

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

## منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة

رسالة مقدمة لنيل درجة (( الماجستير ))

إعداد الطالب

حاسن بن عليّ صوّان الغامدي

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان الصادق البيرة

المجلد الأوّل

١٤١٩ هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم ( ٨ )

## إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية

### بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : حاسن عليّ صوّان الغامدي / كَلِيَّةُ الدَّعْوَةِ وَأَصُولِ الدِّينِ ، قسم : الكتاب والسنة .  
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير . في تخصص : القرآن والسنة .  
عنوان الأطروحة : منهج النَّبِيِّ ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :-  
فبناءً على توصية اللجنة المكوّنة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها  
بتاريخ : / ٨ / ١٤٢٣ هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تمّ عمل اللازم ،  
فإنّ اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...  
والله الموفق ...

### أعضاء اللجنة

| المناقش الداخلي           | المناقش الداخلي                        | المشرف                           |
|---------------------------|--|----------------------------------|
| الاسم : د / أحمد عطا الله | الاسم : د / محمّد عبد العزيز<br>الداود | الاسم : د / سليمان الصادق البيرة |
| التوقيع : .....           | التوقيع : .....                        | التوقيع : .....                  |

يعتمد

رئيس قسم الكتاب والسنة

الاسم : د / مطر أحمد

الزهراني

التوقيع : .....

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

# ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : (( منهج النَّبِيِّ ﷺ في الدَّعوة من القرآن والسُّنة )) .  
موقع البحث من مقاصد التَّصنيف : (( جمع متناثر ، وتصنيفه ، وتبويبه ، وتنظيمه بطريقة معاصرة )) .  
هدف البحث : جمع منهج النَّبِيِّ ﷺ في الدَّعوة من الكتاب والسُّنة على سبيل الشُّمول ؛ لتسهيل مهمَّة الدَّعاة والمربِّين .

مضمون دعوته ﷺ : دعوة النَّاس كآفة إلى التَّوحيد وإفراد الله بالعبادة ، والخلوص له من الشُّرك ، وتعليمهم الصَّلَاة وسائر شرائع الدِّين ، وتقديم الأهمِّ ، والتدرُّج فيه ، والترقي بهم في مراتب الدِّين ، وتربية المجتمع وإقامة شرائع الدِّين وشعائره لإخراج أمة الوسط والشَّهادة ، والريادة والقيادة لدعوة الأمم الأخرى إلى الهدى وإخراجها من الظلمات إلى النُّور .

أسلوبه وسبيله : الدَّعوة إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .  
وسائل دعوته ﷺ :

**تلاوة القرآن الكريم :** وهي أولى مهمَّاته ، ولها أبلغ الأثر وأعمقه في النفوس .

**التَّركية :** وهي التَّربية في أسْمَى صورها ؛ وهي فرض عين على كلِّ أحد ، بخلاف التَّعليم سوى الواجب منه ، ولها أساليبها ووسائلها وتطبيقاتها ، وهدفها الأسمى الأوَّل تحقيق التَّوحيد والترقي بالمسلم إلى مرتبة الإيمان والإحسان ، وتنصبُّ على تربية إرادة القلب . والهدف الآخر ؛ تربية المجتمع وتكوين أمة الإسلام .

**تعليم الكتاب والحكمة :** كان تعليمه ﷺ فرديًّا وجماعيًّا ، ومتدرِّجًا ، في المسجد والبيت والطريق وغيره ، وكان يقرنه بالتَّربية ، ويهتمُّ فقط بالعلم النَّافع ؛ الذي يثمر العمل .

**الجهاد :** مقصوده الرِّحمة وإنقاذهم من العذاب ، ودعوتهم إلى الإسلام ، فإن أبوا فالجزية ، فإن أبوا قاتلهم ، وليس القتل مقصودًا في ذاته ، بل ينهأهم عن الغدر والغلول والتَّمثيل وقتل النِّساء والصِّبيان والشُّيوخ .

منهجه مع الكفار والمشركين عامَّة : دعوتهم إلى التَّوحيد وإبلاغهم ما جاء به وجهادهم به ، والصَّبْر على أذاهم ، وسماع عروضهم ، ومجادلتهم ، والاستشهاد بما يقرونه على ما ينكرونه ، ودعوتهم إلى التَّنكُّر والاعتبار وتألُّفهم بالعطايا ، وغشيان أسواقهم ونوادبهم ومجتمعاتهم ، وإرسال الرُّسل لدعوتهم ، واستقبال وفودهم لتعليمهم وتقبيحهم في الدِّين لينذروا أهلهم إذا رجعوا إليهم .

منهجه مع أهل الكتاب : دعوتهم بالحكمة وعدم مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وتبشيرهم بالأجر مرتين إن هم استجابوا . وإجابتهم على أسئلتهم التَّعجيزية ، وتوضيح بطلان عقيدتهم ، ودعوتهم إلى المباحة حال الرِّض .

منهجه مع المنافقين : قبول علانيتهم وإيكال سرائرهم إلى الله ، ووعظهم ، والصَّبْر على أذاهم ، وكشف خطيئهم ومؤامراتهم ، وإبطالها قبل وقوعها ، والتَّعامل معها بحكمة إذا وقعت ، والتَّأكُّد من فاعلها ، وتجاوزها ، وإشغال أصحابها بما ينفعهم وإزالة ما علق بقلوبهم من فتن .

نتائج البحث :

١ - منهج النَّبِيِّ ﷺ في الدَّعوة هو بعض منهجه الشُّامل الوارد في قوله تعالى : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [ المائدة : ٤٨ ] ، وهو منهج توقيفي والخروج عنه خروج عن سبيل المؤمنين .

٢ - المقصود الأعظم من دعوته وتربيته وتعليمه وجهاده ﷺ تحقيق التَّوحيد ودعوة النَّاس كآفة إليه ، وقد قضى النَّبِيُّ ﷺ حياته في ذلك .

٣ - التَّركية فرض عين على كلِّ أحد ، بخلاف التَّعليم ، فهو من فروض الكفايات سوى الواجبات منه ، والتَّربية والتَّعليم متلازمان في منهج النَّبِيِّ ﷺ والفصل بينهما من أكبر عيوب التَّعليم في هذا العصر . وقد كان أصحابه ﷺ لا يتجاوزون عشر آيات حتَّى يعلموا ما فيها ويعملوا بها .

٤ - مدار تربية النَّبِيِّ ﷺ تركز على إصلاح القلوب وتربية إرادتها ، فصالح القلوب وأعمالها سبب في صلاح الأجساد وأعمالها .

- ٥ - لتربية النَّبِيِّ ﷺ هدفان : الأول إصلاح الفرد وتحقيق توحيده ، والتدرّج به إلى مرتبة الإحسان ، والثاني التربية الجماعية للأمة لإخراج أمة الوسط والشهادة ، لتكون شاهدة على الأمم الأخرى وداعية لها إلى الهدى لتخرجها إلى سعادة الدنيا والآخرة .
- ٦ - من أصول دعوته ﷺ التّحبيب في الله ورسوله ودينه والمؤمنين ودعوتهم إلى الألفة والاجتماع وترك الفرقة والاختلاف .
- ٧ - كان أحرص الخلق على هدايتهم رحمة بهم وشفقة عليهم تطبيقاً لقوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [ الأنبياء : ١٠٧ ] ، أمّا إقامة الحجّة فهدفه الأخير . والله ولي التّوفيق .

عميد كلية أصول الدين  
د . عبد الله الدميحي

المشرف على البحث  
د . سليمان الصادق البيرة

الطالب  
حاسن عليّ صوّان الغامدي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ  
الرَّحِیْمِ  
وَبِهِ نَسْتَعِیْنِ

# شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله  
الأمين ، وبعد :

فإني أشكر الله ﷻ على أن وقّني وأعانني على إتمام  
هذا البحث ، وأسأله تبارك وتعالى أن يجعله عملاً صالحاً  
مقبّلاً .

وأشكر صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور : أبا عبداللطيف  
/ سليمان الصادق البيرة : المشرف على هذا البحث ، على  
توجيهاته السديدة ، ونصحه وبُعد نظره ، وحُلقه الرفيع ،  
وصدقه وصبره .

فأسأل الله أن يحفظه بحفظه ، ويبارك له في عُمره  
وجهده ، وأن ينفع بعلمه ، ويُصلح له في عَقبه .

إنّه وليّ ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلّم وبارك  
على نبيّنا محمّد ، وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن سار على  
نهجه إلى يوم الدين .

# منهج النبي ﷺ في الدعوة

## من القرآن الكريم والسنة المطهرة

### المقدمة :

الحمد لله القائل : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } (١) .

والقائل : { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٢) .

والصلاة والسلام على عبده ورسوله ؛ وخليته ، وخيرته من خلقه ؛ وأمينه على وحيه ؛ محمد المصطفى والنبي المجتبي ؛ « أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » (٣) ، ختم بمحمد ﷺ أنبيائه ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمّة ، وجاهد في الله حقّ جهاده ، فجزاه الله خير ما يجزي نبيّاً عن أمته .

---

(١) التوبة : الآية ( ٣٣ ) .

(٢) يوسف : الآية ( ٢١ ) .

(٣) صحيح مسلم : ( ٧ ) كتاب الجمعة ( ١٣ ) باب تخفيف الصلاة والخطبة : ٥٩٢/١ ، طرف من الحديث رقم ٨٦٧ .



وجعل له حواريين وأصحاب ، هم خير خلقه بعد أنبيائه ، اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ؛ ونصرتهم ، وحمل هذا الدين وتبليغه .

وختم رسالاته بهذه الرسالة العظيمة ، وأكمل بها الدين ، فقال : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } <sup>(١)</sup> ، وختم الأمم بهذه الأمة ؛ فهي آخر أمة ، وأول أمة ، وخير أمة ، وقال : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } <sup>(٢)</sup> . وجعلها أمة العدل والشهادة على الأمم ، فقال : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } <sup>(٣)</sup> .

أمة واحدة على ملة واحدة ؛ ملة أبيها إبراهيم ؛ الحنيفية السمحة ، ملة التوحيد . وشريعة واحدة ، ومنهج واحد ، هو منهاج النبوة . ربّاهها به على التوحيد ، وجمعها به على السنة ، ووحدتها على شرعته . فأصبحوا إخواناً متحابين ، متآلفين ، وثلة متراحمين متناصرين ، مؤتمرين بالمعروف ، متناهين عن المنكر . كما قال الله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

(١) المائدة : الآية ( ٣ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ١١٠ ) .

(٣) البقرة : الآية ( ١٤٣ ) .

أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ { (١) .

**وقال :** { إِيْمَاً وَلِيْكُمُ اللّهُ وَرَسُوْلُهُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ وَيُوْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُوْنَ = ٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّهُ وَرَسُوْلُهُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا فَاِنَّ حَزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُوْنَ } (٢) . **وقال :** { إِيْمَاً الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ } (٣) . **لذا فإن أساس الارتباط والاجتماع بينهم هو الإيمان وكلمة التوحيد (( لا إله إلا الله )) ، والقيام بحقوق هذا الارتباط ، من الولاء والنصرة ، والودّ والإخاء هو ثمرة هذا الإيمان . ومن الإيمان ؛ الحب في الله ، والبغض في الله . قال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان : ... والحب في الله ، والبغض في الله » (٤) . وكل ذلك نابع من حب الله والخضوع والعبودية له . وهذه الحقوق تترتب على المؤمن تجاه إخوانه منذ إسلامه ، وهي من معاني لزوم الجماعة ، التي وصفها الرسول ﷺ بالجسد الواحد ، وبالرجل الواحد ، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ . إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » ، وفي رواية : « الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ . إِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » ، وفي رواية : « الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ . إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ ،**

(١) التوبة : الآية ( ٧١ ) .

(٢) المائدة : الآيتان ( ٥٥ ، ٥٦ ) .

(٣) الحجرات : الآية ( ١٠ ) .

(٤) سيأتي تخريجه إن شاء الله ، في التريبة والتركية ص ( ٣٦١ ) .

وإن اشتكى رأسه اشتكى كله» (١) .

وقوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٢) .

وكل ذلك من حقوق الإيمان . والقيام بحقوق الأخوة  
الإيمانية ، من التراحم والتعاطف والتلاطف والتعاضد  
والتناصر في الحق من الإيمان . وهم متساوون كأسنان  
المشط متكافئون في الحقوق والواجبات .

كما في حديث عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ :  
« المسلمون تنكأفاً دماًؤهم : يسعى بذمتهم أدناهم ، ويجيرُ عليهم أقصاهم ،  
وهم يدُّ على من سواهم ، يرُدُّ مُشدُّهم على مُضعفهم ، ومُتسرِّبهم على  
قاعدهم ... » (٣) .

والتفاضل بينهم والمعيار الوحيد هو التقوى كما قال  
تعالى : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (٤) . لا فضل لأحد على  
أحدٍ إلا بالتقوى . منتهى العدالة والمساواة . كان من ثمارها  
خير أمة أخرجت للناس . أمة مترابطة كالبنين المرصوص

(١) مسلم ( ٤٥ ) البرِّ والصلَّة ( ١٧ ) تراحم المؤمنين وتعاطفهم  
وتعاضدهم : ١٩٩٩/٤ ، ٢٠٠٠ ، رقم ٢٥٨٦ . والروايتان بعده في  
الموضع نفسه .

(٢) المصدر السابق : الموضع نفسه ، رقم الحديث ٢٥٨٥ .

(٣) سنن أبي داود : كتابُ الجهاد : ( ١٥٩ ) باب في السريَّة : رقم الحديث  
٢٧٥١ .

وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٥٢٥/٢ ، رقم ٢٣٩٠ .

(٤) الحجرات : الآية ( ١٣ ) .

يشدُّ بعضه بعضاً ، يرحم كبيرها صغيرها ، وقويها ضعيفها ، وغنيها فقيرها .

أمة مرحومة موحدة مجتمعة على السنة ، متعاونة على البرِّ والتقوى .

ذات هدف ورسالة إلى الناس كافة ؛ البشريّة جمعاء ، كما خاطب الله قذوتها وقائدها ﷺ بقوله : { فُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... } <sup>(١)</sup> . وقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } <sup>(٢)</sup> .

وقال ﷺ : « ... وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ... » <sup>(٣)</sup> .

وقوله ﷺ : « لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أُدْخِلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بَعَزٌّ عَزِيزٌ أَوْ ذُلٌّ ذَلِيلٌ ، إِمَّا يُعْزُهُمُ اللَّهُ ﷻ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا ، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيُذِلُّونَ لَهَا » <sup>(٤)</sup> . وهذا من المبشّرات التي تدفع

(١) الأعراف : الآية ( ١٥٨ ) .

(٢) سبأ : الآية ( ٢٨ ) .

(٣) البخاريّ : ( ١١ ) المساجد ٢٣ ، وقول النبي ﷺ : جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا : ١/١٦٨ ، رقم ٤٢٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢١٦/٩ ، رقم ٢٣٨٧٥ ، طبعة دار الفكر .

وصحّ إسناده الألباني : وقال : « رواه جماعة آخرون ، وهذا الحديث من المبشّرات بأن المستقبل للإسلام ، وقد جمعت ما في معناه ونشرتها في مجلة التمدّن الإسلامي العدد الأوّل من هذه السنة ( ١٣٧٩ هـ ) تحت عنوان ( المستقبل للإسلام ) ، فليراجع فإِنَّه مهم »

إلى الدعوة إلى الله ﷻ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ : يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (١) .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ . فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا . وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا » (٢) .

ولقد بذل رسول الله ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - الوسع في دعوة الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، فجهّز الجيوش ، وبعث البعث ، وأرسل الرسل والرسائل إلى ملوك أهل الأرض لدعوتهم لهذا الدين .

وقد قبض رضي الله عنه ، وأمر المسلمين واحد ، وجماعتهم واحدة ، وطريقتهم واحدة . كما قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : « كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه ؛ غير من أظهر وفاقاً وأضمر

انظر : المشكاة : ٢٠/١ .

(١) مسلم : ١ - كتاب الإيمان : ( ٧٠ ) وجوب الإيمان برسالة نبينا إلى جميع الناس : ١/١٣٤ ، رقم ١٥٣ .

(٢) مسلم : ( ٥٤ ) الفتن وأشرط الساعة : ( ٥ ) باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض : ٤/٢٢١٥ ، رقم ٢٨٨٩ .

نفاقًا)) (١) .

ولم يزل الأمر كذلك في عهد الفاروق حتى استشهد عليه السلام عام ( ٢٣ هـ ) ، وفي عهد ذي الثورين حتى استشهد عليه السلام في عام ( ٣٥ هـ ) ، وكذا في عهد علي عليه السلام ، إلا أن الفتنة قد انتشرت في الأمة ، فكانت فرقتين ، خاضتا حروب الانقسام في صفين والجمال ، وجهد عليه السلام في راب الصدع وإعادة الأمة إلى وحدتها ؛ ولكن ما لبث أن استشهد عليه السلام على رأس ( ٤٠ ) سنة . متممًا عصر الخلافة الراشدة ، فبويع معاوية عليه السلام بعد نزول الحسن بن علي عليه السلام عن الخلافة حقًا لدماء المسلمين وجمعًا لشمل الأمة ووحدتها ، وقد أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام ، فقال : « تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًَا عَاضًا ، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ ، ثُمَّ سَكَتَ » (٢) .

ولم تنزل الأمة تحت لواءٍ واحدٍ تدين لولاية عامةٍ واحدةٍ دهورًا طويلةً ؛ مجموعٌ شملها ، موحدٌ أمرها ؛ ذاتُ شوكةٍ

(١) الفرق بين الفرق ، للخطيب البغدادي ، ص ١٢ .

(٢) المسند للإمام أحمد : ٢٧٣/٤ .

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٨/١ ، رقم ٥ .

ومنعاً وكلمة . لكن نوابت الشرّ قد نبئت ، والأهواء قد كثرت ، والفرقُ قد ازدادت ، والفتنةُ قد استشرت ، ونارها قد استعرت ، فحدث التفكك والتفتت ، ووقع الانقسام والافتراق .

وكانت الفرق ذات مشارب شتى عقديّة ومذهبية ومنهجية .

قال الإمام الشاطبيّ - رحمه الله - : « ثمّ استمرّ مزيدُ الإسلام ، واستقام طريقه على مدّة حياة النبيّ ﷺ ومن بعد موته ، وأكثرُ قرن الصحابة ﷺ ، إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنّة ، وأصغوا إلى البدع المضلّة ، وهذا كلّهُ في آخر عهد الصحابة .

ثمّ لم تزل الفرقُ تكثُر حسبما وعد به الصادق المصدوق ﷺ في قوله : « افترقت اليهودُ على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقةً ، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقةً ، وتفرقت أمّتي على ثلاث وسبعين فرقةً » (١) . وفي الحديث الآخر : « لتنبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع ، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعنهم »

(١) سنن أبي داود (١) كتاب السنّة (١) باب شرح السنّة ، رقم ٤٥٩٦

وصحّحه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٨٦٩/٣ ، رقم ٣٨٤٢ ، بلفظ مقارب ، وكذا في صحيح سنن ابن ماجه ، برقم ٣٢٢٥ بلفظ « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة » .

. قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! آلِيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ ؟» (١) .

وهذا أعمّ من الأوّل ؛ فإنّ الأوّل عند كثيرٍ من أهل العلم خاصٌّ بأهل الأهواء ، وهذا الثاني : عامٌّ في المخالفات ، ويدلُّ على ذلك من الحديث قوله ﷺ : « حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَا تَبِعْتُمُوهُمْ » .

وكلُّ صاحب مخالفة ؛ فمن شأنه أن يدعو غيره إليها ، ويحضّ سواه عليها ، إذ التأسّي في الأفعال والمذاهب موضوعٌ طلبه في الجبلة ، وبسببه تقع من المخالف المخالفة ، وتحصل من الموافق المؤالفة ، ومنه تنشأ العداوة والبغضاء للمختلفين .

كان الإسلام في أوّله وحِدته مقاوماً - بل ظاهراً - وأهله غالبون ، وسوادهم أعظم الأسود ، فخلا من وصف العُربة بكثرة الأهل والأولياء الناصرين ، فلم يكن لغيرهم - ممّن لم يسلك سبيلهم ، أو سلكه ولكئه ابتدع فيه - صولة يعظم موقعها ، ولا قوّة يضعف دونها حزب الله المفلحون ، فصار على استقامة ، وجرى على اجتماع واتساق ، فالشاذُّ مقهورٌ مضطهد .

إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود ، وقوّته إلى الضعف المنتظر ، والشاذُّ عنه تقوى صولته ويكثر سواده ،

(١) البخاريّ : ( ٦٤ ) الأنبياء ( ٥١ ) ما دُكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٤/٣ ، رقم ٣٢٦٩ ، بلفظ مقارب .



واقترضى سرُّ التأسى المطالبة بالموافقة ، ولا شك أن الغالب أغلب ، فتكالبت على سوادِ السنَّة البدع والأهواء ، ففترق أكثرهم شيعاً .

وهذه سنَّة الله في الخلق ؛ أن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل ، لقوله تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } (١) . ولينجز الله ما وعد به نبيه ﷺ من عودٍ وصفِ الغربية إليه ؛ فإنَّ الغربية لا تكون إلا مع فقد الأهل أو قتلهم ، وذلك حين يصير المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، وتصيرُ السنَّة بدعة ، والبدعة سنَّة .

فيُقام على أهل السنَّة بالثريب والتعنيف كما كان أولاً يُقام على أهل البدعة ؛ طمعاً من المبتدع أن تجتمع كلمة الضلال ، ويأبى الله أن تجتمع حتى تقوم الساعة ، فلا تجتمع الفرق كلها - على كثرتها - على مخالفة السنَّة عادة وسمعاً ؛ بل لا بُدَّ أن تثبت جماعة أهل السنَّة حتى يأتي أمرُ الله ؛ غير أنهم لكثرة ما ثناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء (( استدعاءً إلى موافقتهم - لا يزالون في جهادٍ ونزاع ، ومدافعة وقراع ، آناء الليل والنهار ، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ، ويثيبهم الثواب العظيم .

فقد تلخص مما تقدّم أن مطالبة المخالف بالموافقة جارٍ مع الأزمان ، لا يختصّ بزمانٍ دون زمان ، فمن وافق ؛

(١) يوسف : الآية (١٣٠) .

فهو عند المطالب المصيب على أي حال كان ، ومن خالف ؛ فهو المخطئ المصاب . ومن وافق فهو المحمود السعيد ؛ ومن خالف فهو المذموم المطرود . ومن وافق فقد سلك سبيل الهداية ، ومن خالف فقد تاه في طُرُق الضلالة والغواية )) (١) .

أمّا جماعة أهل السنة فهم ثلثة من المؤمنين ، مستمسكين بالسنة ، مجتمعين عليها في وسط أهل البدع والتفرق .

وقد أخبر عنها الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث كثيرة مستفيضة :

فعن ثوبان رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ﻻ » (٢) .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك » (٣) .

- 
- (١) الاعتصام ، للشاطبي : ٢٨/١ - ٣١ ، مختصراً .  
 (٢) سنن ابن ماجه : باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، رقم ١٠ .  
 وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ٧/١ ، رقم ١٠ .  
 وهو في مسلم برقم ١٩٢٠ مع اختلاف في اللفظ دون كلمة ( منصورين ) .  
 (٣) البخاري : ٦٥ - المناقب ، ٢٤ - سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر : ١٣٣١/٣ ، رقم ٣٤٤٢ .

وفي لفظ مسلم في حديث ثوبان : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » (١) . وفي حديث المغيرة رضي الله عنه : « لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » (٢) ، وفي حديث جابر رضي الله عنه : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٣) ، وفي حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : « يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٤) . وعند البخاري : « ... وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ... » (٥) .

قال الإمام البخاري - بعد تبويبه على هذا الحديث - :  
وهم أهل العلم .

« وقال أحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ . قال القاضي عياض : إنَّما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث . قال الإمام النووي : يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين .

(١) مسلم : ٣٣ - الإمارة ، ٥٣ - لا تزال طائفة : ١٥٢٣/٣ ، رقم ١٩٢٠

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٩٢١ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٩٢٣ .

(٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٩٢٤ .

(٥) البخاري : ٩٩ - الاعتصام بالكتاب والسنة ، ١٠ - باب قول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » وهم أهل العلم : ٢٦٦٧/٦ ، رقم ٦٨٨٢ .

فمنهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدّثون ، ومنهم زُهاد وأمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير . ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونوا متفرّقين في أقطار الأرض )) (١) .

وقد ثبت من مجموع هذه الأحاديث وغيرها ، أن أمر هذه الأمة لن يزال مستقيماً حتّى تقوم الساعة أو يأتي أمر الله ، إذ إن أمةً منها لم تنزل قائمة بأمر الله ظاهرين على الحقّ ، يقاتلون عليه ، قاهرين عدوّهم ، ظاهرين على من ناوأهم ، لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم .

هذه الثلثة الظاهرة على النّاس ؛ هي الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وهي من كانت على ما كان عليه النّبي ﷺ وأصحابه ، لم تنقطع لحظة واحدة عن الجماعة الأولى في الصدر الأوّل . إنّما هي امتدادٌ لها ، لم يفصلها عنها فاصل ، ولم يحل دونها حائل .

فهي طائفة ممتدّة ، ضاربة أطناها في أعماق التاريخ ، وليست فرقة أو جماعة حادثة ، إنّما هي امتدادٌ للثلثة الأولى ، وحلقة من حلقاتها المتّصلة التي لم تنقطع ولن تنقطع حتّى يأتي أمر الله ، عقيدتها عقيدتها ، ومنهجها منهجها .

ظاهرة للنّاس عياناً ، كيما يتأسّوا بها ، شاهدة على من سواها من أهل البدع والاختلاف ، فالصراع بينهم قائم ،

(١) عن حاشية مسلم : ١٥٢٣/٣ .

والاختلاف دائم . وقد نهاها الله ﷻ عن التفرُّق والاختلاف والتنازع فيما بينها ، فقال : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... } <sup>(١)</sup> . وقال : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } <sup>(٢)</sup> . وقال : { ... أَنْ أُقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } <sup>(٣)</sup> . وقال : { وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفْسُكُمُ وَتَذَهَبَ رَيْحُكُمْ } <sup>(٤)</sup> .

ولمَّا كان التفرُّق والاختلاف مكتوبًا كونًا ، وأنه واقع لا محالة ، وقد وقع بالفعل ، فقد أخبرنا الله بالمخرج منه ، فأمر بالرد إليه وإلى رسوله ﷺ وإلى الاحتكام إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ ، فقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } <sup>(٥)</sup> . وقال : { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ } <sup>(٦)</sup> . فقد أوجب الله على المسلمين أن إذا وقع الخلاف بينهم أن يجتهدوا في إدراك الحق والصواب ، برد مواضع النزاع والاختلاف إلى الله ورسوله ، والرد إلى الكتاب والسنة هو

(١) آل عمران : الآية (١٠٣) .

(٢) آل عمران : الآية (١٠٥) .

(٣) الشورى : الآية (١٣) .

(٤) الأنفال : الآية (٤٦) .

(٥) النساء : الآية (٥٩) .

(٦) الشورى : الآية (١٠) .

ردُّ إلى الله ورسوله . والتعاون في ذلك واجبٌ عليهم حتَّى يعرفوا الحقَّ ويتفقوا عليه ، ويرتفع الخلاف بينهم .

ومن أعظم أسباب الفرقة والتنازع بين كثيرٍ من دُعاة الإسلام في زماننا ، اختلافُ مناهجهم وتعدُّدها ، واعتقادُ كلِّ أنه على الحقِّ ، وقد امتدت هذه الفرقة إلى الأتباع ، وهم كثرٌ .

فلزم ردُّ ما اختلف فيه إلى الله ورسوله امتثالاً لأمر الله ﷻ . وإن من أعظم الردِّ ؛ بيان منهاج النبوة في الدعوة ؛ من الكتاب ؛ وصحيح السنة والسيرة ، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

وإثبات كليّاته وجزئياته وتأصيلها والتأليف بينها ، وإخراج ما ليس منه ، ليكون معياراً يقاس عليه غيره . وهذا من أعظم الأسباب التي دعت لهذا البحث .

ومنها : رجاء أن يجمع الله عليه دعاة الحقِّ ويؤلف بين قلوبهم كما أُلّف بين قلوب الصّحابة رضوان الله عليهم .

ومنها : تيسير التأسّي والاقْتداء بمناج النبوة ابتداءً ؛ لمن أراد سلامة المنهج ، وحفظ عمره وجهده من الضياع والنتيه في تجارب البشر واجتهاداتهم ، وركوب السُّبل التي تفرّق بهم عن سبيله ، وتنقطع بهم دونه .

ومنها : بيان منهج الإصلاح الذي يصلح به آخر هذه الأمة كما صلح به أولها ، وتزول به غربة الإسلام الثانية كما

زالت به الأولى ، إذ لا يمكن أن يتم ذلك إلا بترسّم منهاج النبوة واقتفاء أثر الجماعة الأولى التي سارت عليه ، فزالت بها الغربية الأولى ، وقامت على يدها دولة الإسلام .

ومنها : أن الجهل بالمنهج النبوي أدّى إلى تعدّد المناهج والاختلاف ، فلزم البيان .

ومنها : إثبات وجوب لزوم المنهج النبوي ، وأنه لا يسع الخروج أو الحيدة عنه .

ولعلّ هذا البحث قد وضع لبنة في هذا السبيل ، وحسبي أني قد بلغت فيه الجهد ، ولسان حالي وقالي يقول ما قاله فقيه هذه الأمة ؛ ابن أمّ عبد ﷺ ، قال : (( فَإِنْ يَكُ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ ))<sup>(١)</sup> .

وأستغفر الله من الزلل والخطل ، وأعوذ به أن أقول عليه ما لا أعلم ؛ أو أن أقدم بين يدي الله ورسوله .

ربّي اجعله عملاً صالحاً خالصاً متقبلاً ، وانفعني به وإخواني المؤمنين يوم يقوم الأشهاد .

{ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ }

(١) سنن أبي داود : كتاب النكاح : ( ٣٢٠ ) ، باب فيمن تزوّج ولم يُسمّ صداقاً حتّى مات ، رقم الحديث ٢١١٦ .

وصحّحه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٣٩٧/٢ ، رقم ١٨٥٨ .

في الأرض ولا في السماء } <sup>(١)</sup> .

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } <sup>(٢)</sup> .

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } <sup>(٣)</sup> .

{ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } <sup>(٤)</sup> .

{ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ = ٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ = ٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } <sup>(٥)</sup> .



(١) إبراهيم : الآية ( ٣٨ ) .

(٢) الحشر : الآية ( ١٠ ) .

(٣) إبراهيم : الآية ( ٤١ ) .

(٤) البقرة : الآية ( ٢٨٦ ) .

(٥) غافر : الآيات ( ٧ - ٩ ) .





## منهج البحث

لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ مُتَعَلِّقًا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمِنْهُجِهِ وَطَرِيقَتِهِ ، فَإِنَّ الْخَطَأَ فِيهِ لَيْسَ كَالْخَطَأِ فِي غَيْرِهِ ، وَالْقَوْلُ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ هُوَ افْتِنَاتٌ عَلَيْهِ . لِذَا فَقَدْ ارْتَبَطَتْ بِالْمَصَادِرِ الْأَصْلِيَّةِ : الْكِتَابُ وَمَا صَحَّ مِنَ السُّنَّةِ وَالسِّيَرَةِ . وَعَقَدْتُ الْعِزْمَ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ عَلَى قِرَاءَةِ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْهَا وَمَا سَمِحَ بِهِ الْوَقْتُ ، قِرَاءَةً مُتَأَنِّيَةً أَسْجَلُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْضُوعِ ؛ إِذْ لَمْ أَكْتَفِ بِتَتَبُّعِهِ مِنْ خِلَالِ الْفَهَارِسِ .

فَبَدَأْتُ بِقِرَاءَةِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ لِلْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ حَتَّى أَتَمَمْتَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ ، وَثَبِّتُ قِرَاءَةَ صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسَلِّمٍ ، مَثْبُتًا مَا زَادَ عَلَى الْبُخَارِيِّ . وَهَكَذَا قَمْتُ بِقِرَاءَةِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ . وَسَنَنِ التِّرْمِذِيِّ ، وَسَنَنِ النَّسَائِيِّ ، وَسَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ .

وَبَعْدَ إِتْمَامِ قِرَاءَةِ الْكُتُبِ السُّنَّةِ وَتَدْوِينِ النُّصُوصِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَوْضُوعِ شَرَعْتُ فِي قِرَاءَةِ مَا تَيَسَّرَ مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ مَبْتَدَأًا بِالسُّنَّةِ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ، ثُمَّ كِتَابِ السُّنَّةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَكِتَابِ السُّنَّةِ لِإِلَّاكَائِي ، وَكِتَابِ السُّنَّةِ لِلْبُرْبَهَارِيِّ ، وَالرِّسَالَةَ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَالْأُئِمَّةِ لِلْإِمَامِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الصَّابُونِيِّ ، وَتَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ لِلْمَقْرِيظِيِّ ، ثُمَّ كِتَابَ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ .

وَقَدْ اسْتَعْرَقَ ذَلِكَ زَمَنًا لَيْسَ بِالْيَسِيرِ : وَلَمْ يَغْنِ عَنِ مِرَاجَعَةِ كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ ، كَالْمَسْنَدِ ، وَالْمَوْطَأِ ،

وصحيح ابن حبان ، وكذا كثير من كتب التوحيد ، كالتوحيد لابن منده ، والتوحيد لابن خزيمة ، والأسماء والصفات للبيهقي .

وقد اطلعت على كتب كثيرة في العلم والسلوك ، قرأت بعضها ، وقطعاً كبيرة من بعضها الآخر ، مثل : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، والفقيه والمتفقه للخطيب ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب ، وتذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ، واقتضاء العلم العمل ، والعلم لأبي خيثمة ، والحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ، وتعليم المتعلم للزرنوجي .

واطلعت أيضاً على بعض الكتب التي تُعنى بالتزكية والسلوك . مثل : إحياء علوم الدين ، ومختصر منهاج القاصدين ، ومدارج السالكين ، والآداب الشرعية لابن مفلح ، وبعض المجلدات من الفتاوى لشيخ الإسلام ، ورسائل في التزكية كرسالة شيخ الإسلام ، وابن القيم ، وأدب الدنيا والدين للماوردي ، والأمد الأقصى للقاضي الدبوسي .

وقرأت قطعاً من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، وكذا الموافقات للشاطبي ، وزاد المعاد لابن القيم ، وجامع الرسائل ، والإيمان ، والعبودية ، واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ، والفوائد لابن القيم .

أما الكتب المعتمدة في فهم كتاب الله فهي كتب التفسير

المعتمدة ، وكنت أكثر التصاقًا بتفسير الطبري ، وابن كثير ، وابن عطية ، والسَّعدي ... أمّا فهم الحديث فكتب الشروح ، وأكثرها فتح الباري ، وإكمال المُعَلِّم بفوائد مسلم ، والمُفهم للقرطبي ، والنووي على مسلم .

أمّا الكتب والرسائل والكتيبات المعاصرة فقد اطلعتُ على قدرٍ كبيرٍ منها ، وأفدت منها .

وقد اجتمع ما يربو على أربعة آلاف نصّ . تمّ تصنيفها موضوعيًا ، وتوزيعها إلى أبواب وفصول ومباحث ومطالب ، ولا زلت أصحّح وأعدّل وأراجع التقسيم مرّات ومرّات ، ولقد أعيد تخطيط وتصنيف بعض الأبحاث ، وعلى سبيل المثال فصل التزكية فقد أعيد أكثر من ثلاثين مرّة ؛ تحريًا للصحة والدقة في اتباع سنّة المصطفى ﷺ .

ولما كانت الفهوم مختلفة ، فإنّ الضابط لصحة الفهم ؛ إمّا دليلٌ صريحٌ من كتاب الله ، أو دليلٌ صحيحٌ صريحٌ من سنّة رسول الله ﷺ أو منهما ، أو من أقوال الصحابة . فإن لم أقف على شيء من ذلك فمن أقوال وعلماء السنّة .

ويمكن الحديث عن منهج البحث في عدّة أمور :

أولاً : لكثرة موضوعاته ، وتعدّد مسأله وتشعبها وتنوّعها ، ولغرض جمع متناثره واستيعاب مسأله وشمولها بقدر الإمكان في موضع واحد ؛ فقد سلكتُ منهج الاختصار والتجوّز غالبًا ، إلّا فيما تمسّ الحاجة إلى تفصيله

وإيضاحه ؛ إمّا لأهمّيته الشديدة ، وأنّ عليه مدار البحث كتحقيق التوحيد وترسيخ الإيمان الذي هو هدف التربية النبوية ، وإمّا لعدم وضوح المسألة لدى كثير من طلبة العلم ، أو أريد إزالة مفهوم خاطئ قد علق بأذهانهم ، والتأكيد على المفهوم الصحيح ، مثل مسألة الحفظ والفهم . أو لطبيعة المسألة وجوانبها المتعدّدة ؛ مثل الأساليب النبوية في التربية ؛ والتعليم ؛ وأخصّ التربية بالقُدوة .

فالعلّة إذاً في طول البحث وضخامته ؛ كثرة موضوعاته وتشعبها وتفرّعها ؛ إذ لم يكن التوسّع في المسألة الواحدة واستقصائها هو القاعدة ؛ بل كان الشمول والتجوّز هو الأصل ، امتثالاً لما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « لَقَدْ رَأَيْتُ - أَوْ أَمَرْتُ - أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي الْقَوْلِ فَإِنَّ الْجَوَازَ هُوَ خَيْرٌ » <sup>(١)</sup> . وكذا الكُتُب ، والله أعلم .

ثانياً : لم أشتغل بالمباحث النظرية التي لا تُثمرُ عملاً تمثلاً بقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : « الاشتغال بالمباحث النظرية التي ليس لها ثمرة عملية مذمومٌ شرعاً ،

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب ( ٩٤ ) باب ما جاء في التشدّق في الكلام برقم ٥٠٠٨ .

وحسّن إسناده الألباني : انظر صحيح سنن أبي داود : ٩٤٥/٣ ، رقم ٤١٨٧ .

وأَنَّهُ لا ينبغي السؤال إلا فيما يفيد في التعبد لله ((<sup>(١)</sup>).

ثالثًا : لم أتعَمَّق في التعاريف والأدلة إلا ما مسّت الحاجة لتقريب المعاني إلى الأفهام ، أو إرادة ترسيخ المفهوم بتضافر الأدلة ؛ وتأكيد لها لبيان الراجح في مسألة فيها خلاف قائم . ومثال التعاريف : تعاريف التزكية والتربية والمقارنة بينهما .

قال الإمام الشاطبي : (( التعمُّق في التعاريف والأدلة ، والبُعد بهما عن مدارك الجمهور بدعة ))<sup>(٢)</sup> .

رابعًا : لما كانت الموضوعات ذات كثرةٍ كثيرة ، واختلاف في طبائعها ؛ إذ كلُّ موضوع يتَّسم بطابع خاصّ ؛ تركتُ لكلِّ جزئيةٍ طابعها وخاصيتها وما يليق بها ؛ وفي ذلك ما فيه أيضًا من التنوع خشية الإملال .

ولكن يجمعها غالبًا ما يلي :

- ١ - التقديم لكلِّ جزئية ، وإيضاح المقصود منها غالبًا .
- ٢ - إثبات أنّ الجزئية موضوع البحث هي إحدى مفردات المنهج النبوي .
- ٣ - وذلك بإيراد بعض الآيات الدالة عليها ، والتوسّع

(١) الموافقات : ٤٧/١ .

والثمرة العملية يقصد بها العمل ( عمل الجوارح وعمل القلوب ) .

(٢) الموافقات : ٥٧/١ .

أحياناً في الآيات لزيادة إيضاح الموضوع .

٤ - الرجوع غالباً إلى تفسير الآيات إلا أن تكون صريحة لا تحتاج إلى مزيد بيان .

٥ - إيراد بعض الأحاديث لفهم الموضوع وإثباته من السنة .

٦ - الرجوع إلى كتب شروح الحديث عند الحاجة .

٧ - إيراد بعض الآثار عن الصحابة أو التابعين أو أقوال العلماء غالباً لإثبات صحة الفهم ، وتوضيح وبيان للموضوع .

٨ - الحرص - غالباً - على ذكر الخلاصة إن كان الموضوع طويلاً ؛ إما استقلالاً أو امتداداً للكلام .

٩ - الحرص غالباً على ذكر مثال تطبيقي عملي من حياة النبي ﷺ في المواضع التي تحتاج إلى ذلك لمعرفة الطريقة العملية التي سلكها النبي ﷺ .

١٠ - العزو لكل ما أثبتته من الآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء ، ولم أنقل قولاً عن أحد العلماء إلا عن قناعة مني بما ذهب إليه ، وفي نقل قول العالم استئناساً وإثباتاً لصحة الفهم ، وتوضيحاً للفكرة .

ومما تجدر الإشارة إليه كثرة النقل أحياناً لبعض العلماء كشيخ الإسلام ، وما ذاك إلا لأن قول عالم تلفته الأمة بالقبول مقدّم وأفضل من قول طالب علم مبتدئ ، وإلا فقد كان

بالإمكان دراسة القول وتلخيصه أو الاقتباس ، ولكني فضلت نقله كما هو إلا في بعض المواضع التي تم اختصار بعض النقول أو إعادة ترتيبها ، وهذا نادر .

خامساً : فقد أخذت على نفسي أن لا أنقل حديثاً ضعيفاً في هذا البحث ، بل يكون مقبولاً صالحاً للاحتجاج ؛ بأن يكون في دائرة الصحيح أو الحسن ، وكذا الآثار .

وقد عرضت عن روايات كثيرة شائعة لم أقف على من اعتنى بدراستها والحكم عليها ، وهناك بعض الأحاديث أو الآثار التي لم أقف على من حكم عليها ، وقد نبهت عليها ، وهي لا تتجاوز أصابع الكف الواحد ، نقلتها اضطراراً .

أما اعتبار الحديث ممّا سوى الصحيحين قبولاً وردّاً صحّة وضعفاً ؛ فالعمدة على علماء الحديث المتقدمين ، والمختصين بالحديث وعلمه من المتأخرين .

ولم يكن من مقاصدي تخريج الحديث من جميع مصادره التي أخرجته وجمع طرقه وذكر رواياته ، والمهمّ عزوه إلى إحداها مع الإشارة إلى من صحّحه أو حسّنه .

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : « التأنق في استخراج الحديث من طرق كثيرة ؛ لا على قصد طلب تواتره ، بل على أن يُعدَّ أخذاً له عن شيوخ كثيرة ، ومن جهات شتى ، وإن كان راجعاً إلى الأحاد في الصحابة ، أو التابعين ، أو غيرهم ، فالاشتغال بهذا من الملح ؛ لا من صلب العلم .



لأنّ تخريجَه من طُرُقٍ يسيرةٍ كافٍ في المقصود منه ؛  
فصار الزائد على ذلك فضلاً<sup>(١)</sup> .

أمّا طريقة اختيار الأحاديث وانتقائها فعلى النحو التالي :  
تقديم الصحيحين على ما سواهما ، ويكتفى بالعزو إلى  
أحدهما ، ويقدم صحيح البخاريّ غالباً ، مع البحث عن أتمّ  
الروايات وأجملها ؛ ممّا يتمّ به المعنى ، ويكون الدليل فيه  
صريحاً .

فإذا لم تكن الرواية تامّةً فإنّه يستكمل الموضوع من  
الروايات الأخرى ، ويتمّ عزوها جميعاً .

وإذا لم يكن الحديث في البخاريّ فيتمّ البحث عنه في  
صحيح مسلم . فإن لم يخرجاه أنثقل إلى السنن أو المسند أو  
الموطأ أو المستدرک أو غيرها من دواوين السنّة . إذا وقفتُ  
على من اعتنى بدراسته والحكم عليه .

أمّا إذا كان الحديث تامّاً في إحدى دواوين السنّة من غير  
الصحيحين وأصله فيهما أو في أحدهما . فإنّي اختار  
الرواية التامّة وأشير إلى أصلها في أحدهما .

(١) الموافقات : ١١٣/١ - ١١٤ ، مختصراً . طبعة دار ابن عфан .

# خطة البحث

فُسِّمَ منهج النَّبِيِّ ﷺ في الدعوة إلى قسمين رئيسيين :

**القسم الأوَّل : ( دعوة المسلمين )**

**الباب الأوَّل : ( التلاوة ) .**

**الباب الثاني : ( التربية والتزكية ) .**

**الباب الثالث : ( التعليم ) .**

**القسم الثاني : دعوة غير المسلمين ( الكفار )**

**الباب الأوَّل : ( منهم النبي ﷺ في دعوة المشركين عامة ) .**

**الباب الثاني : ( منهم النبي ﷺ في دعوة أهل الكتاب ) .**

**الباب الثالث : ( منهم النبي ﷺ وهدية في المنافقين ) .**

وفيما يلي تفصيلات هذه الأبواب :

**القسم الأوَّل**

**( منهجه ﷺ في دعوة المسلمين )**

## الباب الأول : ( التلاوة ) .

- الفصل الأول : ( التلاوة من أولى مهمات النبي ﷺ ) .
- الفصل الثاني : ( أهمية التلاوة وتأثيرها العميق في النفوس ) .
- الفصل الثالث : ( تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس ) .
- الفصل الرابع : ( قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه ) .
- الفصل الخامس : ( صفة تلاوة النبي ﷺ ) .

## الباب الثاني : ( المنهج النبوي في التربية والتزكية ) .

تمهيد : في معاني التربية والتزكية وعلاقتها ، ومقاصد التربية وأهدافها ، وشواهد تصنيف منهجها :

### أولاً : التربية في اللغة .

### ثانياً : التربية في الاستعمال الشرعي .

### ثالثاً : التزكية في اللغة .

### رابعاً : التزكية في الاستعمال الشرعي .

### خامساً : علاقة التزكية بالتربية .

### سادساً : غاية التربية النبوية ومقاصدها الأعظم .

### سابعاً : أهداف التربية النبوية .

### ثامناً : شواهد تصنيف منهج التربية النبوية .

الفصل الأول : ( التربية والتزكية النبوية ) .

## المبحث الأول : ( تعليم الهدى ودين الحق ) .

المطلب الأول : ( تعليم الهدى ) .

المسلك الأول : الدعوة إلى التوحيد .

المسلك الثاني : التربية النبوية على تحقيق التوحيد ..

المسلك الثالث : التربية النبوية على ترسيخ الإيمان .

المسلك الرابع : التربية النبوية على حماية جناب التوحيد وحماه ، وسدّ

ذرائع الشرك .

المطلب الثاني : ( تعليم دين الحق ) .

المسلك الأول : تعليم أعمال القلوب ، وسيأتي في إصلاح القلوب .  
المسلك الثاني : تعليم أعمال الجوارح ، وسيأتي في مطلب باب العلم .

### المبحث الثاني : تربية العمل بالعلم ( إصلاح أداة التعلّم ) .

المطلب الأول : إصلاح القلوب وتربية الإرادة الدافعة والمحرّكة للقيام بالعمل .  
المسلك الأول : ( تطهير القلوب ) .  
المسلك الثاني : تربية المعرفة ( معرفة الله وأسمائه وصفاته ،  
وآلانه وأفعاله ) .  
المسلك الثالث : ( تربية المحبة ) .  
المسلك الرابع : تربية الخوف والرجاء .  
المطلب الثاني : ( تزكية النفوس ) ، و ( التربية على مكارم الأخلاق والتخلّص من رذائلها )  
، وتحصل بما ورد في هذا الفصل كله .

### المبحث الثالث : التواصي بالحقّ ، والتواصي بالصبر .

الفصل الثاني : الأساليب والوسائل التربوية النبوية .

#### المبحث الأول : ( الأساليب التربوية النبوية ) .

#### المبحث الثاني : ( الوسائل التربوية النبوية ) .

المطلب الأول : العلم : وقد أفرّد بباب مستقل .  
المطلب الثاني : القدوة : وسترد في الأساليب .  
المطلب الثالث : الأحداث : وسترد في الأساليب .

## الباب الثالث : ( المنهج النبوي في التعليم ) تعليم

### الكتاب والحكمة .

الفصل الأول : ( مضمون تعليمه ﷺ ومقاصده )

#### المبحث الأول : ( أصل العلم والإيمان ) .

#### المبحث الثاني : ( رأس الأمر التوحيد ) .

#### المبحث الثالث : ( عمود الإسلام ودعائه وسائر شرائعه ) .

#### المبحث الرابع : ( مصادر العلم وطريق فهمه ) .

الفصل الثاني : ( طريقة النبي ﷺ وأساليبه في التعليم )

#### المبحث الأول : ( صفة تعليمه وتحديثه ﷺ ورفقه بالمتعلّم ) .

**المبحث الثاني : (صفة مجلس تحديته ﷺ وأدب أصحابه) .**

**المبحث الثالث : (تعليم النبي ﷺ، وأمره بطلب العلم، والترغيب فيه)**

**المبحث الرابع : (أمره ﷺ بالعمل بالعلم) .**

المطلب الأول : (بيان أن المراد بالعلم العمل) .

المطلب الثاني : (بيان أن العلم حجة لك أو عليك) .

المطلب الثالث : (فتح الجدل ومنع العمل) .

**المبحث الخامس : (أمره ﷺ بتعليم العلم وتبليغه ونشره) .**

**المبحث السادس : (ما يُنشر من العلم وما لا يُنشر) .**

**المبحث السابع : (الأساليب النبوية في التعليم) .**

الفصل الثالث : (أصول وقواعد منهجية في طلب العلم مستقاة من المنهج النبوي) .

**المبحث الأول : (التصحيح للعلم والاجتهاد فيه) .**

المطلب الأول : (إخلاص النية في طلب العلم) .

المطلب الثاني : (الحلم قبل العلم) .

المطلب الثالث : (الجِدُّ والمجاهدة) .

المطلب الرابع : (حفظ العُمُر والشباب خاصة) .

**المبحث الثاني : (ما يؤخذ من العلم وعمّن يؤخذ) .**

المطلب الأول : (أخذ المهم وتقديم الأهم والتدرج فيه) .

المسلك الأول : (أخذ المهم من كلِّ علم ثمَّ التخصص) .

المسلك الثاني : (تقديم الأهم) .

المسلك الثالث : (التدرُّج في التعلُّم) .

المطلب الثاني : (أخذ العلم عن أهله ، وعن كلِّ شيخ ما يُحسِن) .

المطلب الثالث : (اتباع السنَّة وتعظيمها ، وترك التقليد) .

**المبحث الثالث : (حفظ العلم وفهمه واستنكاره) .**

المطلب الأول : (الجمع بين الحفظ والفهم) .

المسلك الأول : (الحفظ أصل في المنهج النبوي) .

المسلك الثاني : (الفهم أصل في المنهج النبوي) .

المسلك الثالث : (الحاجة إلى الجمع بين الحفظ والفهم) .

المطلب الثاني : (استنكار العلم وتعاهده) .

المطلب الثالث : (كتابة العلم وتقييده) .

**المبحث الرابع : (تطبيق عملي) .**

المطلب الأول : (أوصاف علماء السنة الذين يؤخذ عنهم العلم) .

المطلب الثاني : (خوارم المنهج ومعوقاته) .

- 
- المطلب الثالث : (مراحل سَنَم التعلُّم) .
  - المطلب الرابع : (مفردات المنهج) .

## القسم الثاني

### دعوة غير المسلمين ( الكفار )

#### الباب الأول : ( دعوة المشركين عامة ) .

الفصل الأول : ( دعوتهم إلى التوحيد )

الفصل الثاني : ( الأساليب النبوية في دعوة المشركين )

المبحث الأول : ( دعوتهم بالمكة ) .

المبحث الثاني : ( دعوتهم بالموعظة المسنة ) .

المبحث الثالث : ( مجادلتهم ومماورتهم ) .

الفصل الثالث : ( وسائله ﷺ في الدعوة )

#### الباب الثاني : ( منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب ) .

الفصل الأول : دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض .

الفصل الثاني : بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا .

الفصل الثالث : إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية .

الفصل الرابع : مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم .

الفصل الخامس : دعوتهم إلى المباهلة حال الرفض .

الفصل السادس : هديه ﷺ في التعامل معهم .

الفصل السابع : جهادهم .

#### الباب الثالث : ( منهجه ﷺ وهديه في المنافقين ) .

تمهيد : في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه .

الفصل الأول : قبول علانيتهم ، وإيصال سررائرهم إلى الله .

الفصل الثاني : الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم .

الفصل الثالث : عدم توقيفهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم .

الفصل الرابع : جهادهم والإغلاظ عليهم .

- 
- الفصل الخامس : محاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم .  
الفصل السادس : كشف خططهم ومؤامراتهم وإبطالها .  
الفصل السابع : منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين .  
الفصل الثامن : إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم .



# تمهيد

## تقرير وجوب اتباع المنهج النبوي

- أولاً : الأمر باتباع الصراط ، وترك السُّبُل .  
ثانياً : دين الأنبياء واحد ، ولكلِّ نبيٍّ شرعة ومنهاجاً .  
ثالثاً : الوعيد الشديد لمن اتبع غير سبيل المؤمنين .  
رابعاً : الأمر ببيان منهجه ﷺ هو وأتباعه .  
خامساً : الأمر بالدعوة بأسلوب محدّد .  
سادساً : الدعوة عبادة يجب فيها الاتباع .  
سابعاً : اتباع المنهج النبوي يؤرث الاجتماع والاتتلاف المأمور به ،  
وتركه يُفضي إلى التفرُّق والاختلاف المنهي عنه .

## تمهيد

### تقرير وجوب اتباع المنهج النبوي

أولاً : الأمر باتباع الصراط ، وترك السُّبُل .

قال الله تعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (١)

قال أبو جعفر : « وهذا الذي وصاكم به ربكم في هاتين الآيتين من قوله : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } وأمركم بالوفاء به ، هو ( صراطه ) يعني : طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده . ( مستقيماً ) يعني : قويمًا لا اعوجاج به عن الحق ، ( فاتبعوه ) : فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه . ( ولا تتبعوا السُّبُلَ ) : ولا تسلكوا طريقًا سواه ، ولا تركبوا منهجًا غيره ، ولا تبغوا دينًا خلافه . ( فتفرَّقَ بكم عن سبيله ) : فيشئت بكم إن اتبعتم السُّبُلَ المُحَدَّثَةَ . ( عن سبيله ) يعني عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذي وصَّى به الأنبياء ، وأمر به الأمم قبلكم . وعن مجاهد في قول الله : { وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ } قال : البدع والشبهات ، وعن ابن عباس ، قوله : { فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } ، وقوله : { أَنْ أَقِيمُوا

---

(١) الأنعام : الآية (١٥٣) .

الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ { ونحو هذا في القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة . ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله )) (١) .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (( خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا فَقَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خُطُوطًا فَقَالَ : هَذِهِ سُبُلٌ ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا ، ثُمَّ قرأ هذه الآية : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } )) (٢) الموصول إليه .

وعن النّوّاس بن سمعان ، عن رسول الله ﷺ قال : (( صَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانٌ ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَّعَوْجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ : وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجَهُ .

فَالصِّرَاطُ : الْإِسْلَامُ ، وَالسُّورَانُ : حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ : مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ : كِتَابُ اللَّهِ ، وَالدَّاعِي

(١) تفسير الطبري : تحقيق شاکر : ٢٢٨/١٢ - ٢٣٠ مختصرًا .

(٢) المصدر السابق في الموضوع نفسه ، وقال الشَّيْخُ أحمد شاکر - رحمه الله - : صحيح الإسناد .

من فَوْقُ وَاعْظُ اللَّهَ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ» (١) .

وروى ابن جرير عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في : ( الصراط المستقيم ) قال : كتابُ الله» (٢) .

وقال ابن كثير : « وهاهنا لما أخبر الله تعالى عن القرآن بقوله : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ } عطف بمدح التوارة ورسولها» (٣) .

وقال - رحمه الله - في قوله : { فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ } : « إِنَّمَا وَحَّدَ سَبِيلَهُ لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ ، وَلِهَذَا جُمِعَ السُّبُلُ لِتَفَرُّقِهَا وَتَشَعُّبِهَا» (٤) .

وقال أبو جعفر في قول الله تعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } قال : « فكان معنى الكلام : اللهم إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ مَخْلَصِينَ لَكَ الْعِبَادَةَ دُونَ مَا سِوَاكَ مِنَ الْأَلْهَةِ

(١) مسند الإمام أحمد : ١٨٢/٤ .

وصحَّحه الألباني . انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته : ٤/٤ ، رقم ٣٧٨٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧٣/١ ، رقم الأثر ١٧٧ ، وقال شاكر بعد استعراضه لسنده ، قال : وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرک : ٢٥٨/٢ من طريق عمر بن سعد أبي داود الخضري عن الثوري بهذا الإسناد . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ١٣٩٠/٣ . ط مؤسسة علوم القرآن .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ١٣٩٠/٣ .

والأوثان ؛ فأعِنَّا على عبادتك ، ووقفنا لما وُقِّت من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج )) (١) .  
وقال في تأويل الصراط المستقيم : (( أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن { الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه )) (٢) . وقال : (( إنما وصفه الله بالاستقامة لأنه صوابٌ لا خطأ فيه )) (٣) .

وقال : (( والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ، أعني { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ؛ أن يكون معنياً به : وقفنا للثبات على ما ارتضيته ووقفنا له من أنعمت عليه من عبادك ، من قولٍ وعملٍ ، وذلك هو الصراط المستقيم . لأن من وُقِّق لما وُقِّق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء ، فقد وُقِّق للإسلام ، وتصديق الرُّسُل ، والتمسُّك بالكتاب ، والعمل بما أمر الله به ، والانزجار عما زجره عنه ؛ واتباع منهج النبي ﷺ ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . وكلُّ عبدٍ لله صالح ، وكلُّ ذلك من الصراط المستقيم )) (٤)

(١) تفسير الطبري ، طبعة شاكر : ١٦٦/١ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ١٧٠ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ١٧٧ .

(٤) تفسير الطبري ، الموضع نفسه : ١٧١/١ .



ثانيًا : دين الأنبياء واحد ؛ ولكل نبيّ شرعة ومنهاجًا .

**قال الله تعالى :** { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ = ٥١ } وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ { (١) .

**قال شيخ الإسلام :** (( أي ملتكم ملة واحدة ، كقوله : { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ { (٢) )) (٣) .

**وقال النبي ﷺ :** (( أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلاتٍ ، أمهاتهم شتى ودينهم واحدٌ )) (٤) .

**قال أبو الفداء ابن كثير :** (( فإن أولاد العلات هم الإخوة من أب واحدٍ وأمهاتٍ شتى ، فالدين واحدٌ ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات ، كما أن إخوة الأخياف عكسُ هذا ، بنو الأم الواحدة من آباءٍ شتى ، والإخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة ، والله أعلم )) (٥) .

**وقال شيخ الإسلام :** (( فدين الأنبياء واحد ، وهو دين

- 
- (١) المؤمنون : الآيتان ( ٥١ - ٥٢ ) .
  - (٢) الزخرف : الآية ( ٢٣ ) .
  - (٣) جامع الرسائل ، لابن تيمية : ٢٨٣/١ .
  - (٤) البخاري : ٦٤ الأنبياء ٤٩ : باب { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا } : ١٢٧٠/٣ ، رقم ٣٢٥٩ .
  - (٥) تفسير القرآن العظيم : ١٤٠٢/٣ ، طبعة مؤسسة علوم القرآن ودار ابن حزم .

الإسلام ، لأنّ بعض الشرائع تتنوّع ، فقد يُشرع في وقتٍ أمراً لحكمة ثمّ يُشرع في وقتٍ آخر أمراً آخر لحكمة ، فتنوّعت الشريعة ، والدين واحد )) (١) .

قال تعالى : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } (٢) .

وقال أبو الفداء : (( وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ، ثمّ يحلّ في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيفاً فيزداد في الشدّة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والحجّة الدامغة )) ، ثمّ قال : (( ... ولكنه تعالى شرع لكلّ رسولٍ شرعة على حدة ، ثمّ نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده ، حتّى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمّداً ﷺ )) (٣) .

وقال أبو جعفر الطبري : (( والشرعة هي الشريعة بعينها ، وأما المنهاج فإنّ أصله : الطريق البين الواضح . فمعنى الكلام : لكلّ قومٍ منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمّه ، وسبيلاً واضحاً يعمل به )) (٤) .

(١) جامع الرسائل : ٢٨٣/١ .

(٢) المائدة : الآية (٤٨) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ١١٨٧/٣ ، طبعة مؤسسة علوم القرآن ودار ابن حزم .

(٤) تفسير الطبري : ٣٨٤/١٠ ، تحقيق شاكر .



وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } قال : سُنَّةٌ وَسَبِيلًا <sup>(١)</sup> .

وقال أبو عبيدة : (( { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً } أي : سُنَّةٌ ، { وَمِنْهَاجًا } أي سبيلًا بَيِّنًا وَاضِحًا )) <sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ : (( قوله : ( وقال ابن عباس ) وصل هذا التعليق عبدالرزاق في تفسيره بسندٍ صحيح . والمنهاج السبيل ، أي الطريق الواضح . والشرعة والشرعية بمعنى ، وقد شرع أي سنَّ )) <sup>(٣)</sup> .

فتبين بهذا أن الشريعة هي السنن التي سنّها المصطفى ﷺ ، والأحكام الشرعية التي انتهت إليها واستقرت عليها شريعته ﷺ .

وأما المنهج : فهو السبيل ، وهو طريقة النبي ﷺ في فهم وتطبيق هذا الدين ؛ عقيدة وشرعية وأخلاقاً ، والدعوة إليه وفق مراد الله .

وهو منهج واحد ، وسبيل واحد ، ورد بصيغة الإفراد ، كما في قوله ﷺ : « ... ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ » <sup>(٤)</sup> ، ولم

(١) المصدر السابق : ٣٨٧/١٠ ، رقم الأثر ١٢١٣٣ ، وصحَّ إسناده المحقق .

(٢) فتح الباري : كتاب التفسير : باب ٥ - المائدة : ١١٩/٨ .

(٣) فتح الباري : كتاب الإيمان . الباب الأوَّل : ٦٤/١ .

(٤) المسند ، للإمام أحمد : ٢٧٣/٤ .

يقول : مناهج النبوة . وقال ﷺ : « قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها » (١) .

وقال الله تعالى : { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } (٢) . أتى السبيل مفردًا ، وغير سبيل المؤمنين سبُل كثيرة لا تنحصر .

وكذلك قوله تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي } (٣) . أي طريقي .

وهذا السبيل والمنهج هو منهج الفرقة الناجية التي أخبر عنها المصطفى ﷺ في حديث الافتراق بقوله : « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » (٤) . أي في العقيدة والشريعة والمنهاج والأخلاق والآداب .

فتبين بهذا أن منهاج النبوة واحد لا يتعدّد . وأنه الطريق

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٨/١ ، رقم ٥ .

(١) المستدرک للحاکم : ٤٣/٣٣١ ، وسکت عنه الذہبیّ فی التلخیص ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، وصححه بعد أن عزاه للإمام أحمد .

(٢) النساء : الآية ( ١١٥ ) .

(٣) يوسف : الآية ( ١٠٨ ) .

(٤) الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وقال : حسن غريب .

انظر : شرح السنة للبغوي : ٢١٣/١ .

الذي اتبعه ﷺ وسلوكه هو وأصحابه في تطبيق شرع الله ؛ عقيدة وعبادة ، وأحكاماً ، وأخلاقاً وآداباً ، والطريق الذي سلكوه في تنفيذ ذلك كله وتقريره والدعوة إليه .

وهو سبيل المؤمنين الذي توعد الله من اتبع غيره أن يوليه ما تولى ويصليه جهنم ، وهو من ( صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين )<sup>(١)</sup>



---

(١) كما ذكر ذلك ابن جرير الطبري ، ومرّ قريباً . انظر تفسيره : ١/١٧١ ، ط. شاكر .

ثالثاً : الوعيد الشديد لمن اتبع غير سبيل المؤمنين .

وسبيل المؤمنين هو منهجهم : وهو طريقهم في تطبيق النصوص وفق مراد الله وفهم النبي ﷺ وأصحابه . وقد ورد ذكره في قول الله تعالى : { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (( إنها تدلُّ على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ، ولكن مع تحريم مشاققة الرسول من بعدما تبين له الهدى ، وهو يدلُّ على ذمِّ كلِّ من هذا وهذا كما تقدّم ، لكن لا ينبغي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول .

ثمَّ قال : فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً ، والآية توجب ذمَّ ذلك . وإذا قيل : هي إنما ذمته مع مشاققة الرسول . قلنا : لأنهما متلازمان )) (٢) .

وقال - رحمه الله - في الآية : (( وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان ، فعلم قطعاً أنَّهم المراد بالآية الكريمة ؛ فقال تعالى : { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

---

(١) النساء : الآية ( ١١٥ ) .

(٢) الفتاوى : ١٩٣/١٩ - ١٩٤ .

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (١) .

فحيث تقرر أن من اتبع غير سبيلهم ولاه الله ما تولى ، وأصله جهنم . فمن سبيلهم في الاعتقاد : (( الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ؛ ولا سمات المحدثين ، بل أمرؤها كما جاءت ، وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها ، وعلما أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقوه ، ولم يعلموا حقيقة معناها فسكتوا عما لم يعلموه . وأخذ ذلك الآخر عن الأول ، ووصى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أولهم ، وحدروا من التجاوز لهم والعدول عن طريقهم ، وبيّنوا لنا سبيلهم ومذهبهم ، ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه ؛ وسلوك الطريق الذي سلكوه .

ثم قال : (( بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا : أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه ، تارة بالقول العنيف ؛ وتارة بالضرب ، وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته .

(١) التوبة: الآية (١٠٠) .

ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغاً يسأل عن المتشابه أعدَّ له عراجين النخل ، فبينما عمر يخطب قام فسأله عن : { وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا = ١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا } وما بعدها ، فنزل عمر ، فقال : (( لو وجدتك مخلوقاً لضربتُ الذي فيه عيناك بالسيف )) . ثم أمر به فضرب ضرباً شديداً ، وبُعث به إلى البصرة ، وأمرهم أن لا يجالسوه ، فكان بها كالبعير الأجرى ، لا يأتي مجلساً إلا قالوا : ( عزيمة أمير المؤمنين ) ، فتفرقوا عنه ، حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد ممّا كان في نفسه شيئاً ، فأذن عمر في مجالسته . فلما خرجت الخوارج أتي ، فقيل له : هذا وقتك ، فقال : لا ، نفعنتي موعظة العبد الصالح .

ولما سُئِلَ مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - فقيل له : يا أبا عبدالله ! { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } كيف استوى ؟ فأطرق مالك وعلاه الرُّحضاء - يعني العرق - وانتظر القوم ما يجيء منه فيه . فرفع رأسه إلى السائل وقال : (( الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء )) وأمر به فأخرج .

فيُقال في مثل النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وهكذا يُقال في سائر الصفات ، إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسُّنة .

وثبت عن محمد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة - أنه قال : (( اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب : على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ، ولا وصف ، ولا تشبيه ، فمن فسّر شيئاً من ذلك فقد خرج ممّا كان عليه النبي ﷺ ، وفارق الجماعة . فإنّهم لم يصفوا ولم يفسّروا ، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثمّ سكتوا . فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة )) انتهى (١) .

وحيث وضّح شيخ الإسلام جانباً من المنهج الذي كان عليه السلف في تطبيق هذا الدين في أحد مجالاته وهو مجال الاعتقاد ، وأنه جزءٌ من سبيلهم ، وقد ضرب لذلك الأمثلة ، فإنّ منهج النبي ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى هذا الدين ، وما وضّحه الله في كتابه ، وسار عليه النبي ﷺ في سيرته وسنته بهذا الخصوص جزءٌ من سبيل المؤمنين الكلي .

ومن لم يتبعه فقد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وقد توعّده الله بالنار .



(١) الفتاوى : ٢/٤ - ٥ ، مختصراً .





رابعًا : الأمر ببيان منهجه ﷺ هو وأتباعه .

**قال الله تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١) .**

**قال ابن عطية في قوله { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي } : (( إشارة إلى دعوة الإسلام والشريعة بأسرها )) (٢) .**

**وقال أبو جعفر : (( قل يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاج إلى طاعته ، وترك معصيته { سبيلي } ، وطريقتي ودعوتي أدعو إلى الله وحده لا شريك له )) (٣) .**

**ونقل عن ابن زيد في الآية ، قال : { هَذِهِ سَبِيلِي } هذا أمري وسنتي ومنهجي ، { أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } . قال : وحقُّ والله على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه )) (٤) .**

---

(١) يوسف : الآية ( ١٠٨ ) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية : ٣٨٧/٩ ، ط: مطابع فضالة .

(٣) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، لابن باديس ( ت ١٣٥٩ ) ، ص ٨ - ١٣ ، باختصار وتقديم وتأخير .

(٤) تفسير الطبري : ٢٩١/١٦ ، ٢٩٢ .

وقال الشوكاني : (( { سبيلي } طريقتي وسنتي ))<sup>(١)</sup> .  
 وملخص ما سبق في { سبيلي } : أي أن منهجي  
 وطريقتي وسنتي التي أنا عليها أنا ومن اتبعني أني أدعو  
 إلى الله على بصيرة .  
 وفي الآية دعوة لأتباعه للتأسي به من جهة ، وتصريح  
 من جهة بأن مقتضى الاتباع اتباعه .

قال العلامة عبدالحميد بن باديس : (( أمر الله نبيه ﷺ أن  
 يبين سبيله بياناً عاماً للناس لتتضح المحجة للمهتدين ،  
 وتقوم الحجة على الهالكين . ثم بين سبيله بثلاثة أشياء :  
 الدعوة إلى الله على بصيرة ، وتنزيه الله تعالى ، والبراءة  
 من المشركين . فالنبي من يوم بعثه الله إلى آخر لحظة من  
 حياته كان يدعو الناس كلهم إلى الله ، يدعو إلى عبادة الله  
 وتوحيده ، ويشاهد الناس تلك العبادة والتوحيد والطاعة ،  
 فكان ﷺ كله دعوة إلى الله بأقواله وأفعاله وتقريراته وجميع  
 مواقفه في سائر مشاهدته . وكانت دعوته واضحة جلية لا  
 خفاء فيها ، كما قال ﷺ : « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ ، لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا ،  
 لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ »<sup>(٢)</sup> ، كان يدعو إلى دين الله ، فما

(١) فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير :  
 ٥٩/٣ .

(٢) سنن ابن ماجه : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين : ٤٣/١ .  
 وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ١٣/١ ، رقم ٤١ .

دعا لنفسه ، وما دعا إلى قومه ، كان يدعو الناس كلهم ، يدعو الكافرين كما يدعو المؤمنين : يدعو أولئك إلى الدُّخول في دين الله ، ويدعو هؤلاء إلى القيام بدين الله ، فلم ينقطع يوماً عن الإنذار والتبشير والوعظ والتذكير .

لقد كان في بيان أن الدعوة إلى الله هي سبيلُ محمدٍ ﷺ ما يُفيدُ أن على أتباعه - وهو قدوتهم ولهم فيه الأسوة الحسنة - أن تكون الدعوة إلى الله سبيلُهُم . ولكن لتأكيد هذا عليهم وبيان أنه من مقتضى كونهم أتباعه ، وأن أتباعهم له لا يتم إلا به - جاء التصريحُ بذلك هكذا :

{ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } . وأن تكون دعوتهم على بينةٍ وحُجَّةٍ وإيمانٍ ويقينٍ ، وأن تكون وفقاً لدعوتِهِ ، وتبعاً لها .

ثمَّ قال - رحمه الله - : ومن الدعوة إلى الله تعريف المسلمين بدينهم وتربيتهم في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم على ما جاء به وتحبيبهم فيه ، ببيان ما فيه من خيرٍ وسعادةٍ لهم ، وبيان أنه ما من سببٍ ممَّا تسعدُّ به البشريَّةُ إلا بينه لهم ودعاهم إليه ، وما من سببٍ ممَّا تشقى به البشريَّةُ إلا بينه لهم ونهاهم عنه )) (١) .

(١) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، لابن باديس . ت ١٣٥٩ . النص ( ٨ - ١٣ ) باختصار وتقديم وتأخير .



خامساً : الأمر بالدعوة بأسلوبٍ محدّد .

أمر الله نبيّه ﷺ بالدعوة إلى سبيله بأسلوبٍ محدّد لا يتجاوزهُ ، فقال ﷺ : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ = ١٢٥ } وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ = ١٢٦ } وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ = ١٢٧ } إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } (١) .

قال العلامة ابن باديس : (( شرع الله لعباده - بما أنزل من كتابه وما كان من بيان رسوله - ما فيه استنارة عقولهم ، وزكاء نفوسهم ، واستقامة أعمالهم ، وسمّاه سبيلاً ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة ، ليُفضي بهم إلى الغاية المقصودة ، وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخرى ، وأضافه إلى نفسه ليعلموا أنّه هو وضعه ، وأنّه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه . وذكر من أسمائه الرّب ليعلموا أن الرّب هو الذي وضع لهم هذه السبيل لطقاً منه بهم ، وإحساناً إليهم ، لينهجوها في مراحل حياتهم ، فكما كان رحيماً بهم في خلقه ، كان رحيماً بهم في شرعه ، فيسيروا فيها عن رغبةٍ ومحبةٍ فيها ، ومع شكرٍ له وشوقٍ إليه . وأمر نبيّه أن يدعو - وحذف معمول ( ادع ) لإفادة العموم ] عموم

---

(١) النحل : الآيات ( ١٢٥ - ١٢٨ ) .

الإنس والجنّ ] <sup>(١)</sup> - إلى هذا السبيل . فما ترك شيئاً من سبيل ربّه إلاّ دعا إليه ، فعرفنا بهذا أن ما لم يدعُ إليه فليس من سبيل الربّ جلّ جلاله . فالمسلم المتّبع للنبي ﷺ لا يألو جهداً في الدعوة إلى كلّ ما عرف من سبيل ربّه .

وهذه الآية الكريمة جاءت في بيان كيفية الدعوة ، وبماذا تؤدّى ؟ وكيف يُدافع عنها ، مع ذكر الداعي وهو النبي ﷺ ، والمدعوّ إليه ، وهو سبيلُ الربّ جلّ جلاله . والدعوة إلى سبيله الموصل إليه دعوةٌ إليه ، فالمدعوّ إليه في الحقيقة هو الله تعالى .

فقال تعالى : { بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بآتِي هِيَ أَحْسَنُ } .

فالحكمة التي أمر الله نبيّه ﷺ أن يدعو الناس إلى سبيل ربّه بها هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها ، والحقائق ببراهينها ، والأخلاق الكريمة بمحاسنها ، ومقابح أضرارها ، والأعمال الصالحة : من أعمال القلب واللسان والجوارح بمنافعها ومضارّ خلافها . فأيات القرآن وأحاديثه ﷺ هما الحكمة التي كان يدعو إلى سبيل ربّه بها . وتلك الأشياء كلّها هي أيضاً حكمة .

( ف ) الحكمة هي العلم الصحيح الثابت المثمر للعمل المتقن المبني على ذلك العلم . فالعقائد الحقّة ، والحقائق

(١) إضافة يقتضيها السياق .

العلمية الراسخة في النفس رسوخًا تظهر آثاره على الأقوال والأعمال : حكمة ، والأعمال المستقيمة ، والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد حكمة ، والأخلاق الكريمة كالحلم والأناة - وهي علمٌ وعملٌ نفسيٌّ : حكمة .

والبيان عن هذا كله بالكلام الواضح الجامع حكمة ؛ تسمية للدال باسم المدلول .

في سورة الإسراء ثمان عشرة آية جمعت أصول الهداية ، من قوله تعالى : { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } إلى { وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا } <sup>(١)</sup> ، وقد جمعت تلك الآيات كل ما ذكرنا من العقائد الحقة . والحقائق العلمية ، والأعمال المستقيمة ، والكلمات الطيبة ، والأخلاق الكريمة ، وسمى الله ذلك كله حكمة ، فقال تعالى : { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ } <sup>(٢)</sup> .

( ولقد ) هدتنا الآية الكريمة { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } إلى أسلوب الدعوة : وهو الحكمة ، وتجلت هذه الحكمة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فعلينا أن نلتزمها جُهدنا حيثما دعونا ، ونقتدي بأساليب القرآن والسنة في دعوتنا ، فيما يُحصّل الفهم واليقين ، والفقہ في الدين ، والرغبة في

(١) الإسراء : الآيات ( ٢٢ - ٣٩ ) .

(٢) الإسراء : الآية ( ٣٩ ) .

العمل ، والدوام عليه . وهي التي كان يعلمها كما في قوله تعالى : { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } فصلّى الله وسلّم عليه من داع إلى الحكمة ، ومعلّم للحكمة بالحكمة )) (١) .

وقال - رحمه الله - في الدعوة بالموعظة الحسنة : (( هدتنا الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها إلى أن من الموعظة ما هو حسن ، وهو الذي تكون به الدعوة ، ومنها ما هو ليس بحسن فيُتجنب ، وبيّنت مواضع القرآن ، ومواعظ النبي ﷺ ذلك الحسن فعلينا أن نلتزمه ، لأنّه هو الذي تبلغ به الموعظة غايتها وتثمر بإذن الله ثمرتها .

الموعظة التي تحصل المقصود منها : من ترقيق للقلوب ، للحمل على الامتثال لما فيه خير الدنيا والآخرة هي الموعظة الحسنة . وإّما يحصل المقصود منها إذا حسُن لفظها بوضوح دلالاته على معناها ، وحسُن معناها بعظيم وقعه في النفوس فعُدبت في الأسماع ، واستقرت في القلوب ، وبلغت مبلغها من دواخل النفس البشريّة ، فأثارت الرغبة والرغبة ، وبعثت الرجاء والخوف بلا تقنيط من رحمة الله ، ولا تأمين من مكره ، فتلقته النفس من النفس ، وتلقفها القلب من القلب ، إلّا نفساً أحاطت بها الظلمة ، وقلبا عمي عليه الرّان ، عافى الله قلوب المؤمنين .

(١) الدرر الغالية ، لابن باديس ، ص ٢٥ - ٣١ ، باختصار وتقديم وتأخير .



ففي حديث العرباض رضي الله عنه : (( وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَحَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَدَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ... )) (١) ، فهذه حقيقة الموعظة .

( و ) يكون الوعظ بذكر أيام الله في الأمم الخالية ، وباليوم الآخر ، وما يتقدمه ، وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم ، ومصيرهم إلى الجنة أو النار ، وما في الجنة من نعيم ، وما في النار من عذاب أليم ، ويوعده الله ووعيده ، وهذه أكثر ما يكون بها الوعظ .

ويكون بغيرها كتذكير الإنسان بأحوال نفسه ليُعامل غيره بما يُحبُّ أن يُعامل به ، وهو من أدقِّ فنون الوعظ وأبلغها ، مثل قوله تعالى - وقد نهى أن يُقال لمن ألقى السَّلام : لست مؤمناً - : { كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } (٢) .

وقوله تعالى - وقد أمر بالعفو والصفح - : { أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٣) .

ويُفرِّق - رحمه الله - بين الحكمة والموعظة فيقول : يقول الله تعالى : { وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ } (٤) ، ويقول تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ

(١) سنن الترمذي : رقم ٢٦٧٦ .

(٢) النساء : الآية ( ٩٤ ) .

(٣) النور : الآية ( ٢٢ ) .

(٤) الأنعام : الآية ( ١٥٢ ) .

ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا } <sup>(١)</sup> . هذه موعظة . ويقول تعالى { وَلَيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ } <sup>(٢)</sup> هذه موعظة . وهكذا تمتزج المواعظ الحسنة بالحكمة البالغة في آيات القرآن العظيم ، فتتبعها في جميع سورته تجدها )) <sup>(٣)</sup> .

فَعُلِمَ أَنَّ مَا لَهُ تَأْتِيرٌ عَلَى الْقَلْبِ يُوَجِّلُ وَإِنْ كَسَرَ وَرَهَبَهُ أَوْ رَغِبَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

وقال - رحمه الله - في المجادلة بالتي هي أحسن : )) هدتنا الآية الكريمة إلى الطريقة المحمودة المشروعة في الجدل : وفي آيات القرآن بيان لهذه الطريقة البيان التام . وجاءت السنة النبوية الكريمة ، والسيرة المحمدية الشريفة ، مطبقة لذلك ومنقذة له ؛ فالكتاب والسنة فيهما البيان الكافي الشافي للجدال بالتي هي أحسن ، كما فيهما البيان الشافي الكافي للحكمة والموعظة الحسنة .

أمر الله بالدعوة والجدال على الوجه المذكور ، فكلاهما واجب على المسلمين أن يقوموا به ، فكما يجب لسبيل الرب جلّ جلاله أن تُعرف بالبيان بالحكمة ، وأن تُحب بالترغيب بالموعظة الحسنة .

(١) النساء : الآية ( ١٠ ) .

(٢) النساء : الآية ( ٩ ) .

(٣) الدرر الغالية ، لابن باديس ، ص ٣٢ - ٣٩ ، باختصار وتقديم وتأخير .

كذلك يجب أن يُدافع من يصدُّون عنها بالتّي هي أحسن ،  
إذ لا قيام لشيءٍ من الحقِّ إلاّ بهذه الثلاث .

غير أن الدعوة بوجهيها ، والجدال ليستا في منزلةٍ  
واحدة في القصد والدوام : فإنَّ المقصود بالذات هو الدعوة  
، وأمّا الجدل فإنّه غير مقصود بالذات ، وإنّما يجبُ عند  
وجود المعارض بالشبهة ، والصّدّ بالباطل عن سبيل الله .

والجدال يكون عند وجود ما يقتضيه ، ولهذا كانت  
الدعوة بوجهيها محمود على كلّ حال ، وكان الجدل  
مذمومًا في بعض الأحوال ، وذلك فيما إذا استعمل عند عدم  
الحاجة إليه ، فيكون حينئذٍ شاغلًا عن الدعوة مؤديًا في  
الأكثر إلى الفساد والفتنة . فإذا كان جدالاً لمجرّد الغلبة  
والظهور ، فهو شرٌّ كلّهُ ، وأشدُّ شرًّا منه إذا كان لمدافعة  
الحق بالباطل .

وفي هذه الأقسام الممنوعة مثل قوله : { وَيَجَادِلُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ } <sup>(١)</sup> . وقوله ﷺ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ  
بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ » <sup>(٢)</sup> .

( و ) المدافعة والمغالبة من فطرة الإنسان ، ولهذا كان

(١) الكهف : الآية ( ٥٦ ) .

(٢) سنن الترمذيّ : أبواب فضائل القرآن : ٤٤ - سورة الزخرف ، رقم  
الحديث ٣٤٨٣ . وحسنه الألباني . انظر : ج٣ : ص ١٠٣ ،  
رقم ٢٥٩٣ .

الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً ، غير أن التربية الدينية هي التي تضبط خُلُقَهُ ، وتقوِّم فِطْرته ، فتجعل جداله بالحق عن الحقّ . فلنحذر أن يطغى علينا خلق المدافعة والمغالبة فنذهب في الجدل شرّاً مذاهبه ، وتصير الخصومة لنا خُلُقاً ، ومن صارت الخصومة له خُلُقاً أصبح يندفع معها في كلّ شيء ولأدنى شيء ، ولا يُبالي بحقّ ولا باطل ، وإنّما يُريد الغلب بأيّ وجه كان ، وهذا هو الذي قال فيه النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَدُّ الْخَصِمُ »<sup>(١)</sup> ، ومن ضبط نفسه وراقب ربّه ، لا يجادل إلاّ عن الحقّ وبالتي هي أحسن ، وأن يلتزم في جدالهم كلمة الحقّ والكلمات الطيبة ( و ) أن يجتنب كلماتهم الباطلة والقبیحة ، وطرائقهم المتناقضة والملتوية ، وأن يسلك في مدافعتهم طريق الرفق والرجاحة والوقار دون فُحش ولا طيش ولا فظاظة . وهذه الطريقة في الجدل هي التي أحسن من غيرها في لفظها ومعناها ومظهرها وتأثيرها وإفضائها للمقصود من إفحام المبطل وجلبه وردّ شرّه عن النَّاس ، وإطلاعهم على نقصه وسوء قصده ، وهذه الطريقة التي أمر الله نبيّه ﷺ بالجدال بها .

( و ) علينا الدعوة والجدال ، وإلى الله الهدى والضلال والمجازاة على الأعمال . ثمرة العلم بهذا أن الداعي يدعو ولا ينقطع عن الدعوة ولو لم يتبعه أحدٌ ، لأنّه يعلم أن أمر الهدى والضلال إلى الله وإنّما عليه البلاغ وأنّه يصبر على ما يلقي من إعراض وعنادٍ وكيدٍ وأذى دون أن يُجازي

(١) البخاريّ : ٥١ - المظالم : ١٦ - باب قول الله تعالى : { وَهُوَ أَدُّ الْخَصَمِ } : ج٢/٨٦٧ ، رقم ٢٣٢٥ .

بالمثل ، أو يفنر في دعوتيه من آذاه ، لعلمه بأن الذي يُجازي  
إنما هو الله )) (١) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في  
معرض حديثه عن قول الله تعالى { فُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ... } قال :  
فدلّ على أنّ الداعي لا بُدّ أن يكون على بصيرة ، وهي  
الدليل الواضح الذي لا لبس في الحقّ معه ، ولا بُدّ أن تكون  
دعوته بالحكمة وحُسن الأسلوب واللطفة مع إيضاح الحقّ ،  
فإن كانت بقسوة وعُنف وخرق ، فإنّها تضرُّ أكثر ممّا تنفع .  
فلا ينبغي أن يُسند الأمر بالمعروف إسنادًا مطلقًا إلاّ لمن  
جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس ، لأنّ  
الأمر بالمعروف وظيفه الرُّسل وأتباعهم ، وهو مستلزم  
للأذى من الناس لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من  
يتعرّض لهم في أهوائهم الفاسدة ، وأغراضهم الباطلة ، ولذا  
قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده فيما قصّ الله عنه : {  
وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ } (٢) .

واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقتين : طريق لئِن ، وطريق  
قسوة ؛ أمّا طريق اللئِن فهي الدعوة إلى الله بالحكمة  
والموعظة الحسنة وإيضاح الأدلّة في أحسن أسلوب وألطفه ؛  
فإن نجحت هذه الطريق فيها ونعمت ، وهو المطلوب ،

(١) الدرر الغالية ، لابن باديس ، ص ٤١ - ٤٧ ، باختصار مع تقديم  
وتأخير .

(٢) لقمان : الآية ( ١٧ ) .

وإن لم تنجح تعيّنت طريق القسوة بالسيف حتى يُعبد الله وحده ويُقام حدوده ، وتُمنّئل أوامره ، وتُجتنب نواهيه ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } (١) . الآية

ففيه إشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجّة ، فإن لم تنفع الكتب تعيّنت الكتاب ، والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن (( ٢) .

ومن سبيله ﷺ وطريقه ومنهجه ؛ التذكير ، كما قال الله تعالى : { وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } (٣) .

قال الشنقيطي - رحمه الله - : « ويُشترط في وجوبه ( أي الأمر بالمعروف ) مظنة النفع به ، فإن جزم بعدم الفائدة فيه لم يجب عليه ، كما يدلُّ له ظاهر قوله تعالى : { فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَتِ الدَّكْرَى } (٤) (( ٥) .

ومن منهجه ﷺ وسبيله ما جاء في قول الله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) الحديد : الآية ( ٢٥ ) .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ١٧٤/٢ - ١٧٥ .

(٣) الذاريات : الآية ( ٥٥ ) .

(٤) الأعلى : الآية ( ٩ ) .

(٥) أضواء البيان : ١٧٥/٢ .

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ { (١) .  
 بل منهجه القرآن كله ، وقد أمر بتبليغه ، قال تعالى : {  
 يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ  
 رِسَالَتَهُ... } (٢) . وقال تعالى : { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ  
 } (٣) .

قال أبو المظفر السمعاني : (( أي عظ بالقرآن من يخافني  
 . فإن قيل : أليس يوعظ بالقرآن الكافر والمؤمن جميعاً .  
 فكيف معنى قوله : { مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ } والكافر لا يخاف  
 وعيد الله ؟

والجواب أنه لما لم ينتفع بالقرآن إلا المؤمن ، فكأنه لم  
 يخوف بالقرآن إلا المؤمنون ، والله أعلم )) (٤) .

وأفضل منه ؛ قول الإمام السعدي - رحمه الله - : ((  
 والتذكير هو تذكير بما تقرّر في العقول والفطر ، من محبة  
 الخير وإيثاره ، وفعله ، ومن بغض الشرّ ومجانبته ، وإثما  
 يتذكّر بالتذكير ، من يخاف وعيد الله . وأما من لم يخف  
 الوعيد ، ولم يؤمن به ، فهذا فائدة تذكيره ، إقامة الحجّة

(١) الجمعة : الآية ( ٢ ) .

(٢) المائدة : الآية ( ٦٧ ) .

(٣) ق : الآية ( ٤٥ ) .

(٤) تفسير القرآن ، للإمام أبي المظفر السمعاني ( ت ٤٨٩ ) ،

عليه ، لئلا يقول : { مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ } (١) .

ومن منهجه وسبيله ﷺ جهادهم بالقرآن كما أمره ربُّه بذلك فقال : { وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا = ٥١ فلا تُطع الكافرين وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } (٢) .

قال أبو الفداء : (( يدعوهم إلى الله ﷻ ، ولكننا خصصناك يا محمد بالبعثة إلى جميع أهل الأرض ، وأمرناك أن تُبلِّغ الناس هذا القرآن { لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } ، { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا مَوْعِدَهُ } ، { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } ، ولهذا قال : { فَلَا تُطع الكافرين وَجَاهِدْهُمْ بِهِ } يعني بالقرآن ، قال ابن عباس ، { جِهَادًا كَبِيرًا } كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } (٣) . (( (٤) أي ابذل الوسع وأقصى ما تستطيع من الجُهد .

ومن سبيله ﷺ تبیین القرآن وتفسيره للناس ؛ كما قال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي : ٨٩/٥ .

(٢) الفرقان : الآية ( ٥٢ ) .

(٣) التحريم : الآية ( ٩ ) ، كذا التوبة : الآية ( ٧٣ ) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء بن كثير : ٢٥٥٨/٦ ، طبعة دار ابن حزم ، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا .



يَتَفَكَّرُونَ { (١) .



---

(١) النحل: الآية (٤٤) .

سادساً : ( الدعوة عبادة ) يجب فيها الاتباع .

**قال الله تعالى :** { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ... } (١) ،  
**وقال** { وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ } (٢) ، **وقال :** { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا  
أُمِرْتَ } (٣) ، **وقال :** { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ  
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (٤) ، **وقال :** { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ  
بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } (٥) ،  
**وقال** { وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } (٦) ، **وقال :** { هُوَ  
الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ  
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ... } (٧) .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية :** (( فكلُّ ما أمر الله به عباده  
من الأسباب فهو عبادة ، والعبادة والطاعة والاستقامة  
ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء : مقصودها  
واحد ، ولها أصلان : أحدهما : أن لا يُعبد إلا الله ، والثاني  
: أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع . لا يعبد به غير ذلك من  
الأهواء والظنون والبدع ، قال تعالى : { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

---

(١) النحل : الآية ( ١٢٥ ) .

(٢) الحج : الآية ( ٦٧ ) .

(٣) الشورى : الآية ( ١٥ ) .

(٤) فصلت : الآية ( ٣٣ ) ، والقصاص : الآية ( ٨٧ ) .

(٥) المائدة : الآية ( ٦٧ ) .

(٦) الذاريات : الآية ( ٥٥ ) .

(٧) الجمعة : الآية ( ٢ ) .

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }<sup>(١)</sup> . فالعمل الصالح : هو الإحسان ، وهو فعل الحسنات ، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ، ولا في صحيح السنة ، فإنها وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل : ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح .

وأما قوله : { وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } فهو إخلاص الدين لله وحده ، وكان عمر بن الخطاب يقول : (( اللهم اجعل عملي كله صالحًا ، واجعله لوجهك خالصًا ، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا )) ، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } . قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب : أن يكون على السنة ))<sup>(٢)</sup> .

فالدعوة إذاً والتعليم والتركية والتذكير والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلها عبادات متعدية يجب أن تكون خالصة لله ، وأن تكون عملاً صالحًا ، أي صوابًا ؛

(١) الكهف : الآية ( ١١٠ ) .

(٢) العبودية : ص ٣٨ - ٤١ ، مختصرًا . طبعة الإفتاء .

تماماً كما جاءت به السُّنَّة . دون إحداث فيها ، كما قال ﷺ : « مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »<sup>(١)</sup> ، وفي رواية : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »<sup>(٢)</sup> . أي مردود وباطل غير مقبول ، وهذا الحديث قاعدة عظيمة في ردّ جميع البدع والمخترعات في الدين .



- 
- (١) مسلم : ٣ - الأفضية ( ٨ ) نقض الأحكام الباطلة ، وردّ محدثات الأمور : ١٣٤٣/٣ ، رقم ١٧١٨ .
- (٢) المصدر السابق : الموضوع نفسه . وهو رواية أخرى عن أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

سابعاً : اتباع المنهج النبوي يؤرث الاجتماع والائتلاف المأمور به ؛ وتركه يُفضي إلى التفرُّق والاختلاف المنهي عنه .

**أمر الله ﷻ بالاجتماع والائتلاف ، ونهى عن التفرُّق والاختلاف ، فقال سبحانه :** { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ = ١٠٣** وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ = ١٠٤ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ = ١٠٥ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ = ١٠٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } <sup>(١)</sup> .

أخرج الإمام الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كِتَابُ اللَّهِ** ، هو حبلُ الله الممدود من السماء إلى الأرض » <sup>(٢)</sup> .

(١) آل عمران : الآيات ( ١٠٣ - ١٠٧ ) .

(٢) تفسير الطبري : ٧٢/٧ ، رقم الحديث ٧٥٧٢ ، قال أحمد شاكر : وكذلك رواه الترمذي : ٣٤٣/٤ من طريق محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، وعن الأعمش ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن زيد بن أرقم ، مرفوعاً ، نحوه مطوّلاً ، فهو عنده عن أبي سعيد وعن زيد بن أرقم ، ثم قال : حديث حسن غريب ، فأما

وقال الطبري - رحمه الله - في قوله تعالى : { وَلَا تَفَرَّقُوا } ، ولا تتفرّقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، والانتهاه إلى أمره )) (١) . وقال أبو الفداء بن كثير - رحمه الله - : (( أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة . وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنهي عن التفرّق والأمر بالاجتماع والائتلاف . وقد ضُمنت لهم العصمة من الخطأ وخيف عليهم الافتراق والاختلاف ، وقد وقع ذلك في الأمة فافترقوا على ثلاثٍ وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلّمة من عذاب النار ، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه )) (٢) .

وقد نهى الله ﷻ عن التفرّق في الدين فقال : { ... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... } (٣) . قال أبو الفداء ابن كثير : (( وصّى الله تعالى جميع الأنبياء - عليهم السلام - بالائتلاف

---

حديثُ أبي سعيد فقد بيّنا أنّه ضعيف ، من أجل عطية العوفي ، وأمّا حديث زيد بن أرقم ، فإنّه حديث صحيح ، وهو قطعة من قصّة مطوّلة ، رواها أحمد في المسند : ٣٦٦/٤ - ٣٦٧ ( حلي ) ، ورواها مسلم : ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ مطوّلة ومختصرة .

(١) المصدر السابق : ٧٤/٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٧٤٥/٢ مختصراً .

(٣) الشورى : جزء من الآية ( ١٣ ) .

والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف» (١) .

وقال شيخ الإسلام : « وهذا الأصل العظيم - وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرقوا هو من أعظم أصول الإسلام ، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه ، ومما عظم ذمّه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامّة وخاصة» (٢) .

وقال : « والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله» (٣) ، وقال : « التفرُّق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف ، حتّى يصير بعضهم يُبغض بعضاً ويعاديه ، ويُحبُّ بعضاً ويواتيه على غير ذات الله . وهذا كله من أعظم الأمور التي حرّمها الله ورسوله» (٤) .

ومن أعظم أسباب الائتلاف : الاجتماع على المنهج النبوي ، ومن أعظم أسباب التفرُّق ؛ الاختلاف في المنهج ، وهو اختلاف تضاد لا اختلاف تنوّع ، إذ المنهج واحد لا يتعدّد ، فلزم من ذلك أن تعدّد المناهج يُوجب التفرُّق فنهي عنه .

قال الله تعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣١١٩/٧ .

(٢) رسالة الألفة بين المسلمين ، لشيخ الإسلام ، ص ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ { (١)  
. والمنهج النبوي في الدعوة هو من سبيل الله ومن صراطه  
المستقيم ، والمناهج المختلفة هي السُّبُلَ المفرقة عن سبيل الله  
والمنقطعة بأصحابها دونه .

وقد نجم عن اختلاف المناهج وترك اتباع المنهج النبوي ؛  
مخالفات وأضرار بالغة على أصحابها وعلى جماعة  
المسلمين ، وهنا قاعدة مهمّة لفهم منشأ هذه المخالفات :

---

(١) الأنعام : الآية ( ١٥٣ ) .



### قاعدة مهمة في العبادات :

( يجب تعليق الأمور التعبدية بالأصول المنزلة من عند الله ، وما جاء به الرسول ﷺ ، وعدم تحريفها ) .

لما كان الأصل في العبادات وجميع ما يتعلّق بها التوقف حتى يأتي أمر الله ورسوله ؛ فإنّ الواجب في ذلك إمرارها كما جاءت دون تخصيصٍ لما لم يُخصّص ، أو تعميمٍ لما حُصّص ، أو زيادةٍ أو نقص .

ذلك أن المقصود الأعظم من العبادة هو رضا الله على عباده ، ورضاؤه مقدّمٌ على كلِّ أحد . ولا يُحصَلُ إلاّ بتنفيذ أمره كما أمر ، واجتناب نهيه ، فإنّ طاعته وطاعة رسوله ﷺ مقدّمة على اتباع هوى النفس . فالعبادة إذا متعلّقة بطاعة الله ورسوله ، وكثير من الأمور التي أمر الله بها متعلّقة بحبّ الله ورسوله ، وكذا تحكيم الله ورسوله ، فلا يسوغ الإخلال بشيءٍ من ذلك .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام : « فالعبادة : متعلّقة بطاعة الله ورسوله ، كما قال تعالى : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ } <sup>(١)</sup> ، وقال : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } <sup>(٢)</sup> ، وقال : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ

(١) النساء : الآية ( ٦٩ ) .

(٢) الأحزاب : الآية ( ٧١ ) .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } <sup>(١)</sup> . وكذلك علق الأمور بمحبة الله ورسوله ، كقوله : { أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } <sup>(٢)</sup> . وبرضا الله ورسوله ، كقوله : { وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ } <sup>(٣)</sup> . وتحكيم الله ورسوله ، كقوله : { وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ } <sup>(٤)</sup> ، وقوله : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ } <sup>(٥)</sup> . وأمر عند التنازع بالرد إلى الله ، والرسول ، فقال : { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } <sup>(٦)</sup> .

فتعليق الأمور من المحبة والبغضة ، والموالاة والمعاداة ، والنصرة والخذلان ، والموافقة والمخالفة ، والرضا والغضب ، والعطاء والمنع ؛ بما يخالف هذه الأصول المنزلة من عند الله مما هو « أخص منها » أو « أعم منها » أو « أعم من وجه وأخص من جهة » .

كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة ؛ وأهلها خارجون عن السنة والجماعة ، داخلون في البدع والفرقة ؛ بل دين الله تعالى : أن يكون رسوله محمد ﷺ هو المطاع

- 
- (١) النور : الآية ( ٥٢ ) .
  - (٢) التوبة : الآية ( ٢٤ ) .
  - (٣) التوبة : الآية ( ٦٢ ) .
  - (٤) النور : الآية ( ٤٨ ) .
  - (٥) النساء : الآية ( ٦١ ) .
  - (٦) النساء : الآية ( ٥٩ ) .

أمره ونهيه ، المتبوع في محبته ومعصيته ، ورضاه وسخطه ، وعطائه ومنعه ، وموالاته ومعاداته ، ونصره وخذلانه .

ثم ضرب الأمثلة لأنواع المخالفات الثلاث السابقة فقال :

(( فالأعم : ما عليه المتفلسفة ، ومن اتبعهم - من ضلال المتكلمة والمتصوفة - في تسويغ التدين بغير ما جاء به محمد رسول الله ﷺ وإن عظم محمدًا وجعل دينه أفضل الأديان .

والأعم من وجه الأخص من وجه : مثل الأنساب والقبائل والأجناس العربية والفارسية والرومية والتركية أو الأمصار والبلاد .

والأخص مطلقًا : الانتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع الدين كالتجند للمجاهدين ، والفقهاء للعلماء ، أو الانتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف كإمام معين ، أو شيخ ، أو مقالة ، أو فعل تتميز به طائفة أو شعار هذه الفرق ، أو نحو ذلك ، كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة ، وأهلها خارجون عن السنة والجماعة ، داخلون في البدع والفرقة )) (١) .

(١) مجموع الفتاوى : ٣٤١/٣ - ٣٤٣ ، باختصار وتقديم وتأخير طفيف

فحيث تقرّر أن الأمور العبادية : كالمحبّة والبغضة ،  
 والموالاتة والمعاداتة ، والنصرة والخذلان ، والموافقة  
 والمخالفة ، والرضا والغضب ، والعطاء والمنع ، والتقديم  
 والتأخير ، والتآلف والتنافر ، والاجتماع والافتراق والتآخي  
 ، متعلّقة بمحبّة الله ورسوله ، وطاعة الله ورسوله ، ورضاء  
 الله ورسوله ، وتحكيم الله ورسوله ، والردّ إلى الله ورسوله  
 عند التنازع ؛ فلا يجوز الإخلال بشيءٍ منها : وقد تسبّب  
 الانتماء والانتساب إلى الأسماء الحادثة للأحزاب  
 والتنظيمات والجماعات الدعوية في مخالفة كثير من  
 الأصول الشرعية .

ويُلحق بها ما في حكمها ، فإنّ تغْيُر الأسماء أو إلغائها  
 تأسياً بالهدي النبوي مع الإبقاء على الحقائق لا يغيّر من  
 الأمر شيئاً ، فالمضامين باقية ، والأحكام تدور معها حيث  
 دارت .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « تبديل الأسماء لا يوجب  
 تبديل الحقائق » ، وقال : « ومعلوم أن تلك المفاصد تابعة  
 لحقائقها لا تزول بتبدل أسمائها وتغيّر صورتها » .





# القسم الأول

( منهجه ﷺ في دعوة المسلمين )

الباب الأول : ( التلاوة ) .

الباب الثاني : ( التربية والتزكية ) .

الباب الثالث : ( التعليم ) .

# الباب الأوّل ( التلاوة )

- الفصل الأوّل : ( التلاوة من أولى مهمات النبي ﷺ )  
الفصل الثاني : ( أهمية التلاوة وتأثيرها العميق في النفوس )  
الفصل الثالث : ( تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس )  
الفصل الرابع : ( قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه )  
الفصل الخامس : ( صفة تلاوة النبي ﷺ )

## الفصل الأول

### التلاوة من أولى مهمات النبي ﷺ

قال الله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (١) .

وقد ورد هذا المعنى في أربع آيات من التنزيل (٢) ، كلها تبدأ بمهمة التلاوة ، ثم التزكية ، ثم التعليم ، سوى آية واحدة ، فالتلاوة لها الصدارة في كلِّ ، والتزكية بعدها ، ثم التعليم ، سوى آية واحدة منها وهي آية دعوة إبراهيم عليه السلام ، ولكن إجابة الله له كانت على النسق السابق .

قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في معنى الآية : )) يقول جل ثناؤه : يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي

---

(١) سورة الجمعة : الآية ( ١٠ ) .

(٢) وردت في دعوة إبراهيم عليه السلام : { وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، البقرة ، ( ١٢٩ ) ، وكذلك في سورة البقرة : الآية ( ١٥١ ) { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } ، وفي سورة آل عمران : الآية ( ١٦٤ ) { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } .



أنزلها عليه)) (١) .

وقال الراغب : (( تلاه : تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها ، وذلك يكون تارةً بالجسم ، وتارةً بالإقتداء في الحكم ، ومصدره : تَلُوُّ ، وتارةً بالقراءة وتدبُّر المعنى ، ومصدره تلاوة .

والتلاوة تختصّ باتِّباع كتب الله المنزلة ، تارةً بالقراءة ، وتارةً بالارتسام لما فيها من أمرٍ ونهي ، وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك ، وهو أخصّ من القراءة ، فكل تلاوة قراءة ، وليس كلّ قراءة تلاوة ، لا يقال : تلوت رقعتك ، وإنّما يقال في القرآن في شيءٍ إذا قرأته وجب عليك اتِّباعه .

وأما قوله : { يَتْلُوْنَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } [ البقرة/ ١٢١ ] فاتِّباع له بالعلم والعمل)) (٢) .

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم : (( تلاوة : قراءة )) (٣) .  
وروى أبو جعفر بسنده عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : { يَتْلُوْنَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } ، (( يتبعونه حقّ اتِّباعه )) (٤) . وبسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : ((

(١) جامع البيان : ٩٤/٢٨ ، طبعة البابي الحلبي ، ( ط ٣ ) .

(٢) المفردات : ص ١٦٨ ، مادة : تلو .

(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، عن مجمع اللغة العربية بمصر : ١٩٦/١ ، مادة : تلو .

(٤) جامع البيان للطبري ، تحقيق أحمد ومحمود شاکر : ٥٦٦/٢ .

والذي نفسي بيده ، إنّ حقّ تلاوته : أن يحلّ حلاله ، ويحرّم حرامه ، ويقراه كما أنزله الله ، ولا يحرفّ الكلم عن مواضعه ، ولا يتأوّل منه شيئاً على غير تأويله ((<sup>(١)</sup> .

---

(١) المصدر السابق : ٥٦٧/٢ .

والأمر بتلاوته على الناس ، وتبشيرهم به ، وإنذارهم ،  
قد احتفى به القرآن الكريم في مواطن كثيرة ، منها :

قول الله تعالى : { وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ  
بَلَغَ } <sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى : { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى  
رَبِّهِمْ } <sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : { كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ  
مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } <sup>(٣)</sup> ، وقوله عَزَّ وَجَلَّ : { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ }  
<sup>(٤)</sup> ، وقوله سبحانه : { وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى  
مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } <sup>(٥)</sup> .

وقوله جلّ وعزّ : { فُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ  
الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } <sup>(٦)</sup> . فكأنه حصر الإنذار بالوحي .

وقوله تعالى : { كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ

(١) الأنعام : الآية ( ١٩ ) .

(٢) الأنعام : الآية ( ٥١ ) .

(٣) الأعراف : الآية ( ٢ ) .

(٤) التوبة : الآية ( ٦ ) .

(٥) الإسراء : الآية ( ١٠٦ ) .

(٦) الأنبياء : الآية ( ٤٥ ) .

لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ { (١) .

ومن ذلك قوله تعالى : { لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } (٢) .

وقوله تعالى : { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } (٣) .

وقوله تعالى : { إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ } (٤) .

وقوله تعالى : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا } (٥) .

وكان المصطفى ﷺ يقرأ القرآن على الناس كافة ؛ مؤمنهم ، وكافرهم ، ويهوديهم ، ونصرانيهم ، يبنذرهم به ، ويبشّرهم به ، ويجاهرهم به كما أمره ربه ﷻ ، هذا هو الطريق ، وهذا هو المنهج .

روى الإمام البخاري - رحمه الله - من حديث طويلٍ لأَسامة بن زيد قال : « ... فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ عِبْدَةَ الْأَوْثَانِ ، وَالْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ ... فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ

(١) الرعد : الآية ( ٣٠ ) .

(٢) مريم : الآية ( ٩٧ ) .

(٣) الفرقان : الآية ( ٥٢ ) .

(٤) النمل : الآية ( ٩١ ، ٩٢ ) .

(٥) القصص : الآية ( ٥٩ ) .

، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ... » (١) .  
**وقال ﷺ :** « إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الْكَلَامُ وَالْهُدْيُ ، فَأَحْسَنُ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنُ الْهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ » (٢) .  
 فعلم من هذه النصوص وغيرها أن ما يُدعى به الناس  
 كلام الله ﷻ ، وهدى النبي ﷺ .



(١) صحيح البخاريّ : ج٤ ، كتاب التفسير ، باب ( ٧٣ ) ، رقم ( ٤٢٩٠ ) .

(٢) شرح السنّة للالكائي : ٨٤/٤ .

## الفصل الثاني

### أهمية التلاوة وتأثيرها العميق في النفوس

روى الإمام البخاريّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) ، وما ذاك إلا لكونه كلام الله المعجز بلسان عربي . قال الله تعالى : { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ فُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (٢) ، وقال سبحانه : { الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } (٣) . وقال تعالى : { ... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (٤) .

إنّ هذا القرآن كلام الله ﷻ ، و « فضل القرآن على الكلام كفضل الله على عباده » (٥) . والله الذي خلق النفس

- 
- (١) البخاريّ : ج٤ ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحي ، ح٤٦٩٦ ، واللفظ له ، ورواه مسلم في الإيمان ، ج١ ، باب ( ٧٠ ) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، رقم ( ٢٣٩ - ١٥٢ ) .
  - (٢) فصلت : الآية ( ٣ ) .
  - (٣) هود : الآية ( ١ ) .
  - (٤) فصلت : الآية ( ٤١ ، ٤٢ ) .
  - (٥) قولٌ للحسن . انظر : شرح السنّة للبخاري : ٤٣٧/٤ .

البشرية أعلمُ بمداخلها وخبايها ، وما يؤثر فيها .

أنصت إلى قارئٍ مُرثِّلٍ يخرج القرآن من قلبه ، وارعه سمعك وفؤادك ، واستجمع عليه بكليتك ، وتنهياً لقبوله والاستهداء بنوره . ثم قل لي برّبك ماذا تجد ؟

إنّه شعور غريب يسري إلى الفؤاد ، ويتسلل إلى سويداء القلب ، ويتغلغل في شغافه ، فينتاب صاحبه رعدةً وخوفاً وخشيةً ووجلٌ وقشعريرةً ، فرجاءٌ وطمأنينةٌ ولينٌ إلى ذكر الله ... أجل إنّه كلام الباري ﷻ الذي قال : { اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } (١) .

وقال تعالى : { ... وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا } (٢) .

وقال سبحانه : { ... إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } (٣) .

نعم تقشعُرُّ الجلود ، وتخشع القلوب ، وتخرُّ الأجساد والقلوب معها ساجدةً لله ؛ تخاف عقابه ، وترجو رحمته ... إنّه آيات الرحمن تعملُ عملها في القلوب ، وتظهر آثارها على الجوارح ، لذلك فهو كتاب هداية ودعوة ، قال الله تعالى : { ... فَذُجَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ

(١) الزمر : الآية ( ٢٣ ) .

(٢) مريم : الآية ( ٥٨ ) .

(٣) الإسراء : الآية ( ١٠٧ - ١٠٩ ) .

مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { (١) .

{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (٢)  
. { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى  
لِّلْمُسْلِمِينَ } (٣) . { هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }  
(٤) .

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } (٥) .

{ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (٦) .  
وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ } (٧) . { قُلْ هُوَ الَّذِي  
ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً } (٨) .

إنه كتاب هداية ، ورحمة وبشرى ، كتاب مبارك وهدى  
وشفاء ورحمة للمؤمنين ، ألا تراه يتلى على المريض  
فيشفى ؟ وعلى المعين فيبرأ ؟ وعلى المسحور فيصحّ وكأته

(١) المائدة : الآية ( ١٥ ، ١٦ ) .

(٢) الأنعام : الآية ( ١٥٥ ) .

(٣) النحل : الآية ( ٨٩ ) .

(٤) الجاثية : الآية ( ٢ ) .

(٥) الإسراء : الآية ( ٩ ) .

(٦) الإسراء : الآية ( ٨٢ ) .

(٧) الأنبياء : الآية ( ٥٠ ) .

(٨) فصلت : الآية ( ٤٤ ) .



نشط من عقل ؟ ألا نراه يُذهِبُ ما في الصدور من عللٍ  
وأمرض وأدواء واضطراب ؟ بلى إنَّه كلام الله { ألا بِذِكْرِ  
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (١) .

روى الحاكم بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ))  
أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النَّبِيِّ ﷺ فقرأ عليه القرآن ،  
فكأنَّه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عمَّ إنَّ  
قومك يرون أنْ يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه  
فإنَّك أتيت محمداً لتعرض لِمَا قَبْلَهُ ، قال : قد علمت قريش  
أنِّي من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنَّك  
منكر له أو أنَّك كاره له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم  
رجلٌ أعلم بالأشعار منِّي ، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدة مني  
، ولا بأشعار الجنِّ ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ،  
ووالله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّه  
لمثمرٌ أعلاه ، معذق أسفله ، وإنَّه ليعلو وما يُعلَى ، وإنَّه  
ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتَّى تقول فيه

قال : فدعني حتَّى أفكر ، فلما فكَرَ قال : هذا سحرٌ يؤثر  
يأثره عن غيره ، فنزلت : { دَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } [  
المدثر/ ١١] (( (٢) .

(١) الرعد : الآية ( ٢٨ ) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک : ج٢ ، كتاب التفسير ، برقم ٣٨٧٢ ،

« لقد وصفه وصفاً يعجز عنه أكابر البلغاء وأساطين الأدباء ، حتّى بلغ وصفه هذا كل مبلغ ، لقد سرى إلى قلبه وفؤاده ، ولكن الشيطان ( شيطان الإنس ) كان له بالمرصاد ، إنّه فرعون هذه الأمة ، دخل عليه من المدخل الذي يُدْمِي فؤاده ، فنكص عن قوله ، ونكل عن الحق ، فنزل فيه تهديداً ووعيداً يتلى إلى يوم القيامة .

كان المحلُّ قابلاً لكن المانع كبير ، إذ هما شرطا التأثر بالقرآن : قابلية المحلّ وعدم المانع .

إنّ إعجاز القرآن سيبقى مهيمناً على ما سواه ، ذلك « أنّ جملة واحدة تُلقى إلى العلماء والجهلاء ، وإلى الأغبياء والأغبياء ، وإلى السوقة والملوك ، فيراها كلّ منهم مقدّرة على قياس عقله وعلى وفق حاجته ، فذلك ما لا تجده على أتمّه إلا في القرآن الكريم .

فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم ، لا يلتوي على أفهامهم ، ولا يحتاجون منه إلى ترجمان ، وراء وضع اللغة ، فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسرٌ لكلّ من أراد .

وفي النفس الإنسانية قوتان : قوّة تفكير ، وقوّة وجدان ،

---

وقال الدّهبيّ في التلخيص : على شرط البخاريّ ، وصححه مصطفى عطا في تحقيقه للمستدرک ، وذكره مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ، ص ١٦٥ .

فأما إحداهما فتنتقب عن الحق لمعرفة ، وعن الخير للعمل به ، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم ، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطيّر إلى نفسك بهذين الجناحين ، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً .

أولا تراه في معمعة براهينه وأحكامه ، لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق ، وتحذير وتنفير ، وتهويل وتعجيب ، وتبكيك وتأنيب ؟ إنه طابع لا يلتبس معه غيره ، ولا يجعل طامعاً يطمع أن يحوم حول حماه ، بل يدع الأعناق تشرئب إليه ، ثم يردّها ناكسة الأذقان على الصدور .

فأنت تنتقل فيه بين أسباب وأوتار ، وفواصل على أوضاع مختلفة ، يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيبٍ سواء .

فلا يعرّوك منه على كثرة تردادده ملالة ولا سأم ، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد )) (١) .



(١) النبأ العظيم ، لمحمد عبدالله دراز ، (ص ١٠٠ - ١١٦) بتصرف .

## الفصل الثالث

### تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس ( تطبيقات )

لرسول الله ﷺ في التلاوة على الناس ثلاثة أحوال :

الأول : مبادنتهم بتلاوة القرآن عليهم :

والاكتفاء بذلك ، واختيار الآيات المناسبة للحال ، ومن ذلك ما كَانَ من خبر عتبة بن ربيعة ، لما عرض على الرسول ﷺ المال ، أو الملك ، أو الطبَّ إن كَانَ يغلب عليه التابع . « حتَّى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال : فاسمع مني ؛ قال : أفعل ، فقال : بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيمِ { حم = ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ = ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ = ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ = ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ... } [ فصلت/ ١ - ٥ ] . ثم مضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ؛ حتَّى انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ، ثمَّ قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما

جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العربُ فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم )<sup>(١)</sup> .

الثاني : تلاوة القرآن بعد التمهيد لها :

بالدعوة إلى التوحيد ، وتصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به ، والموالاة في طاعة الله ، وغير ذلك من أمور الدين .

ومن ذلك ما جاء في خبر إياس بن معاذ وأبي الحيس حين قدم إلى مكة ومعه فتية من بني عبدالأشهل ، )) يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم

(١) هذا الخبر أخرجه ابن إسحاق مصرّحاً بالتحديث ، سيرة ابن هشام : ٣٦٢/١ - ٣٦٤ . قال الألباني - حفظه الله - في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ، ص ١٣ : هذه القصة أخرجه ابن إسحاق في المغازي بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي مرسلأ ، ووصله عبد بن حميد وأبو يعلى البغوي من طريق أخرى من حديث جابر ﷺ كما في تفسير ابن كثير ( ٩/٤ - ٩١ ) وسنده حسن إن شاء الله .

في خير مما جنّتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب . قال : ثمّ ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - : أي قوم ، هذا والله خيرٌ ممّا جنّتم له ... ((<sup>(١)</sup>

ومنه ما تلاه ﷺ على أصحاب بيعة العقبة الثانية وهم مسلمون : فقد روى ابن إسحاق في بيعة العقبة عن كعب بن مالك ، عندما اجتمع ثلاثة وسبعون رجلاً ، وامرأتان في الشَّعب ، ينتظرون رسول الله ﷺ ، حتّى جاءهم ومعه عمّه العباس بن عبدالمطلب ، وبدأ بالكلام يستوثق لابن أخيه ، حتّى إذا انتهى قال كعب : (( قلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربّك ما أحببت .

قال : فتكلّم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ... )) الحديث<sup>(٢)</sup> .

الثالث : الاكتفاء ببيان ما يدعو إليه :

من التوحيد ، وترك الشرك وعبادة الأوثان والأصنام ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٨٠/٢ ، وصححه المحققان : د. همام والصعيليك ، ورواه البيهقي في الدلائل : ٤٢٩/٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ٩٤/٢ - ٩٧ ، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة ، ص ١٥٩ .

والإيمان بالله وتصديق نبيه ﷺ ، وقد يكون بشرح بعض مقاصد الإسلام كصلة الأرحام ، ومكارم الأخلاق ، وقد يكون بالتشويق بالفلاح ، كقوله ﷺ : « فُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نُفَلِحُوا » (١) .

وقد يكون ببيان أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً ، كما روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } ، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِمَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَوِيئَةَ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (٢) .

وروي أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « لَمَّا نَزَلَتْ : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فَهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ . لِبَطُونِ قُرَيْشٍ ، حَتَّى اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ قَالُوا :

(١) أخرجه الإمام أحمد : ٤٢٣/٥ ، رقم ١٦٠٢٣ .

(٢) صحيح البخاري : ج٤ ، كتاب التفسير ، ص ١٧٨٧ ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ، رقم ٢٦٠ ، ح ٤٤٩٣ .

نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا ، قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ  
عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، إِلَهَذَا جَمَعْتَنَا  
، فَنَزَلَتْ : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ }  
(( ١ ) .

فهنا تقررهم على صِدْقِهِ واعترفوا أَنَّهُمْ لَمْ يَجْرَبُوا عَلَيْهِ  
كذِبًا ، وبعد ذلك أَنذَرَهُم الْعَذَابَ .

(١) صحيح البخاريّ : ج٤ ، كتاب التفسير ، ص١٧٨٧ ، باب وأنذر  
عشيرتك الأقربين ، رقم ٢٦٠ ، ح ٤٤٩٢ .



تلاوة الصَّحابة القرآن على الناس :

وهي كثيرة جدًا ، ومنها ما قام به سفير الرسول ﷺ إلى المدينة مصعب بن عمير ، فقد بعثه رسول الله ﷺ وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يُسمى المقرئ بالمدينة ، وقد أنتشر الإسلام في المدينة على يديه ، ومن الأسباب ذات الأثر الكبير في ذلك دعوته لأسيد بن حُضير ، وسعد بن معاذ .

روى ابن هشام أن أسيد بن حضير وقف على مصعب بن عمير ، وعلى أسعد بن زرارة (( فوقف عليهما متشتمًا ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسقَّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أوتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مُصعَّب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا - فيما يذكر عنهما - : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتهلله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ... ))<sup>(١)</sup> ، ثم أسلم ورجع إلى سعد بن معاذ ، وحدث له قريبًا من هذا الموقف . وقد أسلم بإسلامهما جمٌّ غفير .

(١) السيرة لابن هشام : ٨٨/٢ - ٩٢ . وقد حسن إسناده د. مهدي رزق الله ، وقال : إسناده حسن ، ولكنه مرسل لأنه موقوف على عبدالله بن أبي بكر ، وعبيدالله بن المغيرة بن معيقب ، انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، هامش ص ٢٤٧ ؛ فهو ضعيف .

ومن ذلك ما قاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لدى النجاشي ملك الحبشة حينما وشت قريش عنده بمن هاجر من الصحابة ، فذكر ما جاء به الرسول ﷺ من النهي عن عبادة الأوثان والأحجار ، وقطع الأرحام ، وأكل الميتة ، وارتكاب الفواحش ، والدعوة إلى عبادة الله وحده والانخلاع من ذلك كله ، والأمر بمكارم الأخلاق ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وصلة الأرحام .

فقال له النجاشي : (( هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت أم سلمة - رضي الله عنها - : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدرًا من { كهيعص } .

قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال لهم النجاشي : إنَّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون ))<sup>(١)</sup> .

وقال جعفر أيضًا : (( فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٤١٣/١ - ٤١٨ ، وقد صرح ابن إسحاق بالسمع ، وقال المحققان : وسنده صحيح ، من طريق ابن إسحاق وأحمد والبيهقي . انظر : حاشية ص ٤١٧ من ج ١ ، السيرة النبوية .

نستحلّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا  
وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك  
، واخترناك على من سواك ؛ ورجونا في جوارك ، ورجونا  
أن لا نُظلم عندك أيّها الملك )) (١) .

لقد وُقِّع جعفر رضي الله عنه في ثلاثة أمور :

### الأمر الأوّل :

عرض محاسن الإسلام المخالفة لما كانوا عليه في  
الجاهلية من أمور بشعة تابأها النفس السويّة وتنفر منها .

### الأمر الثاني :

مناسبة الآيات المختارة للمقام إلى حدّ كبير ، وقد  
لامست شغاف قلب الملك وأساقفته ، بدليل بكائهم الشديد  
جميعاً .

### الأمر الثالث :

العبارات الأخيرة التي استثار بها حفيظة الملك لكي  
يُهبّ لنصرتهم من أمثال قوله : فلما قهرونا وظلمونا  
وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك  
، واخترناك على من سواك ؛ ورجونا في جوارك ، ورجونا  
أن لا نُظلم عندك أيّها الملك .

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ٤١٥/١ ، وقد ذكرت تصحيح إسناده كما  
في التعليق السابق .

فَعُلِّمَ من هذا أَنَّ اختيارَ أطايبِ الكلامِ المناسبِ للمقامِ ،  
والآياتِ المناسبةِ ، وبالأخص تلك التي فيها نقاطُ التقاءٍ بين  
الإسلامِ ودينِ المخاطبين له أعظمُ الأثرِ وأبلغه .



## الفصل الرابع

### قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه

يستحب الإكثار من تلاوة القرآن الكريم ، مع الترتيل والتدبر ، فقد امتدح الله من كان ذلك دأبه فقال : { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ = ٢٩ لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } (١) .

وبوّب البخاري في ذلك فقال : ( باب : اغتباط صاحب القرآن ) (٢) .

وروى فيه حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار » (٣) .

وقال ﷺ : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يا ربّ حلّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا ربّ زده ، يا ربّ ارض عنه ،

(١) فاطر : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) البخاري : في فضائل القرآن ، باب ٢٠ .

(٣) البخاري : في فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن : ح٤٧٣٧ : ٤/١٩١٩ .

فيرضى عنه ، ويقال له : اقره وارقه ويزاد بكل آية حسنة ((<sup>(١)</sup>).

وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات متفاوتة ، فمقلٌ ومستكثر ، وقد قال الله تعالى : { فَأَقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } ((<sup>(٢)</sup> ، وثبت في أقل ما يكفي الرجل من القرآن قوله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ بِالْأَيْتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَنَاهُ » ((<sup>(٣)</sup> ، وقوله ﷺ : « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْتَدِرِينَ » ((<sup>(٤)</sup> .

وروى الترمذي قوله ﷺ : « اقرأ القرآن في أربعين » ((<sup>(٥)</sup> ، وأمر ﷺ عبدالله بن عمرو بقوله : « اقرأ القرآن في شهر فقلت : إني أجد قوة ، حتى قال : فأقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » ((<sup>(٦)</sup> .

أما ما ورد في كثرة القراءة فكثيرٌ جداً ، ولعلّ المبالغات التي رويت فُصد بها الحث على الاستكثار من التلاوة .

(١) الحاكم في المستدرک : فضائل القرآن : باب : أخبار فضائل القرآن جملة ، برقم ٢٠٢٩ ، ج ١ ، ص ٧٣٨ ، وقال الحافظ عنه في التلخيص : صحيح .

(٢) المزمّل : ٢٠ .

(٣) البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب في كم يقرأ القرآن ، ح ٤٧٦٤ .

(٤) صحيح سنن أبي داود ، الصلاة : باب تحزيب القرآن ، ح ١٢٤٦ .

(٥) رواه الترمذي ، صحيح سنن الترمذي ، ح ٢٣٤٩ ، ورقم ٣١٢٩ .

(٦) البخاري في فضائل القرآن : باب استذكار القرآن وتعاوده ، ح ٤٧٤٦ .

ولقد ثبت من حديث عبدالله بن عمرو أنه كان يقرأه في كل ليلة ، فقد سأله ﷺ فقال : « كيف تقوم ؟ » قال قلت : كل يوم ، قال : « وكيف تختم ؟ » قال قلت : كل ليلة ، قال : « صم في كل شهر ثلاثة ، وقرأ القرآن في كل شهر » ، ثم أخذ يستزيده حتى قال له : « وقرأه في كل سبع ليال مرة » (١) .

قال البخاري - بعد هذه الرواية - : « وقال بعضهم : في ثلاث ، وفي خمس ، وأكثرهم على سبع » .

وفي الرواية السابقة : « فأقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » .

وقال له في رواية أبي داود : « اقرأ القرآن في شهر قال : إن بي قوة ، قال : اقرأه في ثلاث » (٢) .

وأخبره ﷺ فقال : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » (٣) .

وروى أبو عبيد : أن سعيد بن جبير قال : « قرأت القرآن في ركعة في البيت ؛ يعني الكعبة » (٤) ، قال الذهبي : « هذا خلاف السنة » (٥) . وذلك أن الله ﷻ قال : { وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ

(١) البخاري في فضائل القرآن : باب في كم يقرأ القرآن ، ح ٤٧٦٥ .

(٢) صحيح سنن أبي داود ، كتاب الصلاة : باب في كم يقرأ القرآن ، ح ١٢٤٠ .

(٣) صحيح سنن أبي داود ، كتاب الصلاة : باب تحزيب القرآن ، ح ١٢٤٢ .

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد ، ص ٩١ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ٣٢٥/٤ .

تَرْتِيلاً { (١) ، وقال سبحانه : { وَفَرَعْنَا لِنَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ { (٢) .

وقد بَوَّب البخاريّ على ذلك فقال : باب : الترتيل في القراءة وما يُكره أن يُهدَّ كهَّد الشعر . وذكر قول عبدالله ﷺ : عندما جاءه رجل فقال : « قرأت المفصل البارحة ، فقال : هَذَا كهَّد الشعر ؟ إنا قد سمعنا القراءة ، وإني لأحفظ القرآن التي كان يقرأ بهنّ النبي ﷺ ، ثماني عشرة سورة من المفصل ، وسورتين من آل حم ~ » (٣) . وقد رواه أبو داود عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ قَالَا : أتى ابنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي أَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ ، فَقَالَ : أَهَذَا كهَّدَ الشَّعْرَ وَنَثْرًا كَنَثْرِ الدَّقْلِ ؟! لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ ، السُّورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ : ( النَّجْمَ ) وَ ( الرَّحْمَنَ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( اقْتَرَبْتُ ) وَ ( الْحَاقَّةَ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( الطُّورَ ) وَ ( الدَّارِيَاتِ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( إِذَا وَقَعْتَ ) وَ ( نُونَ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( سَأَلَ سَائِلٌ ) وَ ( النَّازِعَاتِ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( وَيَلُ لِلْمُطَفِّفِينَ ) وَ ( عَبَسَ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( المَدَنِّيَّ ) وَ ( المُرْمَلِ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( هَلْ أَتَى ) وَ ( لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ) وَ ( المُرْسَلَاتِ ) فِي رَكْعَةٍ ، وَ ( الدُّخَانَ ) وَ (

(١) المزمّل : الآية (٤) .

(٢) الإسراء : الآية (١٠٦) .

(٣) البخاريّ : في فضائل القرآن : باب الترتيل في القراءة ، وما يكره أن يهدَّ كهَّد الشعر ، ح ٤٧٥٦ .



إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ( فِي رَكْعَةٍ )) (١) .

قال الخطابي : (( الهدّ : سرعة القراءة ، وإثما عاب ذلك عليه لأنه إذا أسرع بالقرآن ولم يرتله ، فاته فهم القرآن وإدراك معانية )) (٢) .

( كان يقرأ النظائر ) : قال القاضي : هذا صحيح موافق لرواية عائشة وابن عباس أن قيام النبي ﷺ كان إحدى عشرة ركعة بالوتر (٣) ، (( وأن هذا كان قدر قراءته غالباً ، وأن تطويله الوارد ، إنما كان في التدبر والترتيل ، وما ورد من غير ذلك في قراءته البقرة والنساء وآل عمران كان في نادر الأوقات )) (٤) ، قاله النووي .

وقد تأملت هذه النظائر فإذا هي قدر جزئين من كتاب الله ، حزبه ﷺ الذي كان يقوم به غالباً ، في عشر ركعات دون الوتر .

وقد قال ﷺ : (( مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ )) (٥) .

(١) صحيح سنن أبي داود : في الصلاة ، باب تحزيب القرآن ، ح ١٢٤٤

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٧٣/٤ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٧٣/٤ .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٧٤/٤ .

(٥) مسلم في الصلاة ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عن حزبه أو

لقد ارتبطت التلاوة وقراءة القرآن بقيام الليل ، وذلك كان ديدن السلف ﷺ ، فقد حثّ رسول الله ﷺ على القيام بالقرآن لكيلا يتفلت من صاحبه .

روى الإمام مسلم من حديث موسى بن عقبة قال : قال رسول الله ﷺ : « وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذِكْرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَفْعَمْ بِهِ نَسِيَهُ » (١) .

وروى الطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « شرف المؤمن قيام الليل » (٢) .

وقال ﷺ : « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَقَلُّبًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُفْلِهَا » (٣) .

وعند البخاري : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُفْلِهَا » (٤) .

وفي المستدرک للحاكم : « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ وَحْشِي ،

مرض ، انظر مسلم بشرح النووي : ٦/٥ ، ح ١٧٤٢ .

(١) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضائل القرآن ، ح ٢٢٧ ، ج ١ ، ص ٥٤٤ .

(٢) رواه الطبراني ، وحسنه الأرنؤوط ، انظر : التبيان في آداب حملة القرآن ، ص ( ٥١ ) .

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضائل القرآن ، ح ٢٣١ ، ج ١ ، ص ٥٤٥ .

(٤) صحيح البخاري في : فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده ، ح ٤٧٤٦ .

أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرَّجَالِ مِنَ الْإِبِلِ فِي عَفْلِهَا ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : نَسِيتَ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ ، بَلْ هُوَ نُسِّيٌّ» (١) .

وللإمام النووي اختيار في كثرة القراءة وقتها :

قال : « والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدر ما يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة ، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين ، فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهزيمة » (٢) .

وقال الإمام السيوطي : « أخرج ابن أبي داود عن مكحول ، قال الليث في البستان : ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين ، إن لم يقدر على الزيادة ، وقد روى الحسن عن ابن زياد ، عن أبي حنيفة أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه ، لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين ، وقال غيره : يكره التأخير عن ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر ، نصّ

(١) المستدرک للحاکم ، في فضائل القرآن ، باب : أخبار وردت في فضائل القرآن جملة : ٧٣٩/١ ، ح ٢٠٣٢ ، وقال الحاکم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

(٢) التبيين في آداب حملة القرآن : ص ( ٤٨ ، ٤٩ ) .

عليه أحمد)) (١).

---

(١) الإتيان في علوم القرآن : النوع الخامس والثلاثين ، ص ١٣٨ .

خلاصة هذا الفصل :

**أولاً :** استحباب كثرة التلاوة ، ترتيلاً وتدبراً وفهماً وفقهاً ، وأن يقوم بها صاحبها في جوف الليل ، والأمر في حدّها الأدنى مبني على التيسير ، فلم أقف على نصٍّ يذكر الحدّ الزمني الأدنى الذي يوجب على القارئ أن يختمه فيه ، إلاّ وُجد له معارض .

ولكن كره العلماء ، ومنهم الإمام أحمد تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر ، كما مرّ آنفاً ، فحري بطالب العلم أن لا يزهد في كتاب الله .

**ثانياً :** السنّة القولية في أقلّ مدّة يُقرأ فيها القرآن ثلاثة أيام ، وما روي عن بعض الصحابة والسلف في قراءته في ليلة واحدة أو أقلّ ، إنّما هو اجتهاد منهم ﷺ ، واتباع السنّة أولى ، فقد أمر النبي ﷺ عبدالله بن عمرو أن يقرأه في سبع ( وهو ما عليه كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ) ، ونهاه أن يزيد عليها ، فلما أعاد عليه أمره أن يقرأه في ثلاث ، وقال : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث » .

**ثالثاً :** يجملُ بقارئ القرآن أن يكون ذا همّة عالية ، وأن يأخذ بحظّ وافٍ ، وقسطٍ وافٍ ، وأن تكون له الدرجة العالية الرفيعة من كتاب ربّه ، ولا يرضى لنفسه الدون ، متخطياً للعوائق ، متجاوزاً للعقبات ، متحللاً من الذنوب المكبّلة عن القيام ، آخذاً بالحزم ، لحزبٍ يلتزم به لا يشغله عنه شاغل ، ولا يصرفه عنه صارف ، مراعيّاً لأمر أربعة :

١ - أن يرتله ترتيلاً يستشعر فيه عظمة قائله ، ويتدبر أحكامه ومواعظه ، وتبشيره وإنذاره ، وأوامره وزواجره ، وقصصه وأمثاله ، فلا يهدّه هدّ الشعر ، ولا ينثره نثر الدقل .

٢ - أن يقرأه ما انتلف عليه قلبه ، فإذا ما اختلف فليقم عنه .

٣ - الثبات عليه ، والمداومة ، وترك التَّنَقُّلِ والانقطاع ، فأحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ ، وإذا فاتته حزبه من الليل قضاها من الغداة .

٤ - أن لا يُخلَّ بشيءٍ من الواجبات ، أو بما أعدّ نفسه له من مهمّات الدين ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم ، والدعوة إلى الله .





## الفصل الخامس

### صفة تلاوة النبي ﷺ

قال الله تعالى : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } (١) .

فالفائدة من إنزال الكتاب المبارك هو التدبر وحصول التذكّر والتأثر ، والتفكّر حتّى تحدث الهداية ، فإنّ هذا الكتاب كتاب هداية ، قال الله تعالى : { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ } (٢) .

وقد أمر الله نبيّه ﷺ بترتيل القرآن الكريم عند تلاوته له فقال : { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } (٣) ، وسئل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال :

(( الترتيل هو : تجويد الحروف ومعرفة الوقوف )) (٤) ، و (( قال مجاهد : بعضه على إثر بعض ، على تودة . وقال : ترسلّ فيه ترسلًا ، وعن عطاء قال : الترتيل النّبذ : الطرح .

---

(١) ص : الآية ( ٢٩ ) .

(٢) فصلت : الآية ( ٤٤ ) .

(٣) المزمّل : الآية ( ٤ ) .

(٤) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري : ص ٦٠ .



وعن ابن عباس قال بيّنه بيانًا ، وعن الحسن قال : اقرأه قراءة بيّنة ، وقال أبو جعفر : وبين القرآن إذا قرأته تبييّنًا ، وترسل فيه ترسلًا )) (١) .

قال ابن الجزري - رحمه الله - : (( وقال علمائنا : أي تلبّث في قراءته ، وافصل الحرف عن الحرف الذي بعده ، ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض .

- ثم قال رحمه الله - : ولم يقتصر ﷺ على الأمر بالفعل حتى أكّده بمصدره ، تعظيمًا لشأنه ، وترغيبًا في ثوابه ، وقال تعالى : { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا } (٢) ، أي أنزلناه على الترسّل ، وهو المكث ، وهو ضد العجلة ، وقال تعالى : { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ } (٣) . أي ترسل )) (٤) .

ونهاه ربّه ﷻ عن العجلة في أخذه حتى ينقضي الوحي ، فقال : { لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } (٥) .

وقد امتثل ﷺ لأمر ربّه ، ووقف عند نهيه ، فقد جاءت أحاديث كثيرة تصف قراءته ﷺ وتلاوته القرآن .

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، لأبي جعفر الطبري : ١٢٦/٢٩ .

(٢) الفرقان : الآية ( ٣٢ ) .

(٣) الإسراء : الآية ( ١٠٦ ) .

(٤) التمهيد في علم التجويد ، ص ٦١ .

(٥) القيامة : الآيات ( ١٦ - ١٩ ) .

ثبت عن أم سلمة - رضي الله عنها - (( أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرقاً حرقاً )) (١) .

وروى مسلم من حديث حذيفة في صلاة الليل قال : (( يقرأ مُتْرَسَلًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ )) (٢) .

وروى الإمام البخاري : أَنَّ قَتَادَةَ قَالَ : (( سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ ، فقال : كان يمد مدًا )) (٣) ، وقال : (( كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ )) (٤) .

وعن أم سلمة قالت : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ثُمَّ يَقِفُ ، { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ثُمَّ يَقِفُ ، وَكَانَ يَقْرَأُهَا : { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } )) (٥) .

(١) سنن أبي داود : باب استحباب الترتيل في القرآن الكريم ، ح ١٤٦٦ ، والترمذي في ثواب القرآن ، ح ٢٩٢٤ ، والنسائي في صلاة الليل : ٢١٤/٣ ، وأحمد في المسند : ٢٩٤/٦ ، وصححه عبدالقادر الأرناؤوط في آداب حملة القرآن للنووي ، ص ٧٠ .

(٢) مسلم في صلاة المسافرين ، باب : استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، ح ٧٧٢ .

(٣) صحيح البخاري : فضائل القرآن ، باب : مدّ القراءة : ١٩٢٤/٤ ، ح ٤٧٥٨ .

(٤) المصدر السابق ، ح ٤٧٥٩ .

(٥) سنن الترمذي : أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ ، ح ٣١٠٧ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ١٣/٣ ، ح ٢٣٣٦ .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( كان يقرأ  
السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها )) (١) .

وفي رفع الصوت بالقراءة وخفضه : فعن أبي هريرة  
رضي الله عنه قال : (( كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ يَرْفَعُ طَوْرًا ،  
وَيَخْفِضُ طَوْرًا )) (٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (( كَانَتْ قِرَاءَةُ  
النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْمَعُهُ مَنْ فِي الْحَجْرَةِ ، وَهُوَ فِي  
الْبَيْتِ )) (٣) .

وعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
« الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ » (٤)

وَقَالَ أَبُو عِيْسَى : وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ الَّذِي يُسِرُّ  
بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَجْهَرُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، لِأَنَّ  
صَدَقَةَ السِّرِّ أَفْضَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ ، وَإِنَّمَا  
مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِكَيْ يَأْمَنَ الرَّجُلُ مِنَ الْعُجْبِ ، لِأَنَّ

(١) تفسير ابن كثير : ٤٦٣/٤ .

(٢) سنن أبي داود : أبواب قيام الليل ، باب رفع الصوت بالقراءة في  
صلاة الليل ، ح ١٣٢٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود :  
٢٤٦/١ ، ح ١١٧٩ .

(٣) المصدر السابق ، ح ١٣٢٧ ، وصححه الألباني في صحيح سننه ،  
ح ١١٧٨ .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب القراءات ، ح ٣٠٩٨ ، وصححه الألباني ،  
انظر : صحيح سنن الترمذي ، ح ٢٣٣١ .

الَّذِي يُسِرُّ الْعَمَلَ لَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْعُجْبُ مَا يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ  
عَلَانِيَتِهِ . اهـ .

وفي الترمذي أيضًا من حديث طويل عن عبدالله بن أبي  
قيس : (( أنه سأل عائشة قال : .... فقلت : كيف كانت  
قراءته ؟ أكان يسرّ بالقراءة أم يجهر ؟ قالت : كل ذلك كان  
يفعل ، قد كان ربّما أسرّ ، وربّما جهر )) (١) .

وما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ حسن الصوت  
يتغنّى بالقرآن ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه  
سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَا أذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنَ  
الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ » (٢) .

(( والتغني هنا معناه عند الإمام الشافعيّ - رحمه الله -  
وأصحابه ، وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفتوى ،  
يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِهِ ، وقال الشافعيّ وموافقوه : معناه تحزين  
القراءة وترقيقها ، واستدلوا بالحديث الآخر : زَيَّنُوا الْقُرْآنَ  
بِأَصْوَاتِكُمْ ، قال الهرويّ : معنى يتغنّى به ، يجهر به )) (٣) .

وروى الإمام البخاريّ تعليقًا بالجزم ، باب قول النبي ﷺ

(١) المصدر السابق ، ح ٣١٠٤ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سننه  
، ح ٢٣٣٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب  
تحسين الصوت بالقرآن : ٥٤٥/١ ، ح ٧٩٢ ، ورواه البخاريّ بلفظ : ((  
حسن الصوت بالقرآن )) : ٢٧٤٣/٦ ، ح ٧١٠٥ .

(٣) المصدر السابق ، انظر : الحاشية ، ص ٥٤٥ .

: « الماهرُ بالقرآن مع الكرام البررة » ، و « وزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » (١) ، وهذا حتُّ من الرسول ﷺ لأصحابه لتحسين أصواتهم وتجميلها ، ليزيَّنوا القرآن بها ويقرووه غصاً طرياً كما أنزل ، لكي يحصل التأثير به ، سواءً على أنفسهم أو على سامعيهم .

قال الإمام ابن الجزري - رحمه الله - : « وذلك أن الألفاظ إذا أُجليت على الأسماع في أحسن معارضها ، وأحلى جهات النطق بها - حسب ما حتَّ عليه رسول الله ﷺ بقوله : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » - كان تلقي القلوب ، وإقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحسن ، على ما لم يبلغ ذلك المبلغ منها ، فيحصل حينئذ الامتثال لأوامره ، والانتهاز عن مناهيه ، والرغبة في وعده ، والرغبة من وعيده ، والطمع في ترغيبه ، والارتجاء بتخويفه ، والتصديق بخبره ، والحذر من إهماله ، ومعرفة الحلال والحرام ، وتلك فائدة جسيمة ، ونعمة لا يُهمل ارتباطها إلا محروم ، ولهذا المعنى شرع الإنصات إلى قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ، وتُدب الإصغاء إلى الخطبة في يوم الجمعة ، وسقطت القراءة عن المأموم ما عدا الفاتحة ، ومن أجل ذلك دأب الأئمة في السكوت على التام من الكلام ، أو ما يستحسن الوقف عليه ، لما في ذلك من سرعة وصول

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : قول النبي ﷺ « الماهر بالقرآن .. » : ٢٧٤٣/٦ ، رقم الباب ( ٥٢ ) .

المعاني إلى الإفهام ، واشتمالها عليها ، بغير مقارعة للفكر ، ولا احتمال مشقة لا فائدة فيها غير ما ذكرناه . وبالله التوفيق )) (١) .

وقال - رحمه الله - : (( وأما قراءتنا التي نقرأ بها ، فهي القراءة السهلة المرثلة العذبة الألفاظ ، التي لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء ، على وجه من وجوه القراءات ، فنقرأ لكل إمام بما نُقل عنه من مدٍّ أو قصر أو همز ، أو تخفيف همز ، أو تشديد ، أو تخفيف ، أو إمالة ، أو فتح ، أو إشباع ، أو نحو ذلك )) (٢) .

فالترتيل هو المأمور به ، وهو الذي طبَّقه النبي ﷺ ، ويكره أن يُهدَّ كهَّد الشعر ، فقد بَوَّب البخاريُّ على ذلك بقوله : (( بَابُ التَّرْتِيلِ فِي الْقِرَاءَةِ ... وَمَا يُكْرَهُ أَنْ يُهَدَّ كَهْدَ الشَّعْرِ ... فَعَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : غَدَوْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : قَرَأْتُ الْمُفْصَلَ الْبَارِحَةَ ، فَقَالَ : هَذَا كَهْدُ الشَّعْرِ ؟ إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا الْقِرَاءَةَ ، وَإِنِّي لِأَحْفَظُ الْقِرْنَاءَ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ بِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ : ثَمَانِي عَشْرَةَ سُورَةً مِنَ الْمُفْصَلِ ، وَسُورَتَيْنِ مِنْ آلِ حَم )) (٣) ، وفي رواية : (( وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ )) (٤) .

(١) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ، ص ٥٨ .

(٢) التمهيد في علم التجويد ، ص ٥٨ .

(٣) البخاريُّ : فضائل القرآن ، باب : الترتيل في القراءة وما يكره أن يُهدَّ كهَّد الشعر : ٤/١٩٢٤ ، ح ٤٧٥٦ .

(٤) مسلم ، صلاة المسافرين ، ترتيل القراءة : ١/٥٦٣ ، ح ٧٢٢ .

ولمّا نُهي ﷺ عن العجلة وتحريك اللسان به ، قال ابن عباس في آخر حديث طويل له : (( وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أُطْرَقَ ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ )) (١) . وفي رواية عنه : (( فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ )) (٢) .

وكانت قراءته ﷺ قراءةً لينةً ، يُرْجَعُ فيها أحياناً ، عن عبدالله بن مُغَلِّبٍ قال : (( رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ ، قِرَاءَةً لَيِّنَةً ، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرْجَعُ )) (٣) . وفي رواية له في البخاريّ : (( فَقُلْتُ لِمَعَاوِيَةَ كَيْفَ كَانَ تَرْجِيْعُهُ ؟ قَالَ : آ آ آ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ )) (٤) .

وكان ربّما يبكي عند قراءة القرآن ، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : (( فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } ،

(١) البخاريّ ، رقم ٤٧٥٧ .

(٢) المصدر السابق ، رقم ٥ .

(٣) البخاريّ : فضائل القرآن ، باب : الترجيع : ١٩٢٥/٤ ، ح ٤٧٦٠ .

(٤) البخاريّ : التوحيد ، باب : ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربّه : ٢٧٤٢/٦ ، ح ٧١٠٢ .

ومعنى (( يرْجَع )) من الترجيع ، وهو : ترديد القارئ الحرف في الحلق ، انظر : مختار الصحاح ، ص ٩٩ ، وحاشية الحديث رقم ٤٠٣١ في البخاريّ : ١٥٦٠/٤ .

قَالَ : حَسْبُكَ الْآنَ ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ (١) .

وكان ﷺ يشجّع أصحابه على تحسين الصوت ، فعن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال له : « يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » (٢) .

وقد أخذ النبي ﷺ القرآن عن طريق التلقي والمدارسة والمعارضة للقرآن ، فالمعلم الأوّل مطلقاً هو الله ﷻ ، قال تعالى : { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } (٣) .

وقال تعالى : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (٤) .

وقال تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ } (٥) .

وقال تعالى : { الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ

(١) البخاريّ : فضائل القرآن ، باب : قول المقرئ : حسبك : ١٩٢٥/٤ ، ح ٤٧٦٣ .

(٢) البخاريّ : فضائل القرآن ، باب : حسن الصوت بالقراءة للقرآن : ١٩٢٥/٤ ، ح ٤٧٦١ .

(٣) النساء : الآية ( ١١٣ ) .

(٤) العلق : الآيات ( ١ - ٥ ) .

(٥) الشورى : الآية ( ٥٢ ) .



{ الْبَيَانَ } (١) .

وقال تعالى : { وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ } (٢) .

وقال تعالى : { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } (٣) .

وأما المعلم الأول بعد الله ﷺ لرسوله ﷺ فهو جبريل  
 عليه السلام ، قال الله تعالى : { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى } (٤) ، وأما المعلم  
 الأول لأمة محمد ﷺ فهو نبيها ﷺ ، قال الله تعالى : { هُوَ  
 الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ  
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } (٥) .

وقد أمره الله تعالى أن يتلوه على أمته ويعلمهم إياه في  
 غير آية . قال تعالى : { كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا  
 أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } (٦) .

وقد أخذ النبي ﷺ بالتلقي ، كما قال تعالى : { وَإِنَّكَ لَلتَّلْقَى  
 الْفُرْعَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } (٧) . علمه جبريل بطريق  
 المدارس والمعارضة ، فعن ابن عباس قال : « كَانَ رَسُولُ

(١) الرحمن : الآيات ( ١ - ٤ ) .

(٢) البقرة : الآية ( ٢٨٢ ) .

(٣) البقرة : الآية ( ٢٨٢ ) .

(٤) النجم : الآية ( ٥ ) .

(٥) الجمعة : الآية ( ٢ ) .

(٦) الرعد : الآية ( ٣٠ ) .

(٧) النمل : الآية ( ٦ ) .

اللَّهُ ﷻ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسَّوهُ اللَّهُ ﷻ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ )) (١) ، وفي رواية لابن عباس قال : (( لَأَنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ ، يَعْرُضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ الْقُرْآنَ )) (٢) .

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ (( أَنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يِعَارِضُهُ الْقُرْآنَ )) (٣) ، وهذه تفسر حديث أبي هريرة أَنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يِعْرُضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فعن أبي هريرة قال : (( كَانَ يِعْرُضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷻ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً ، فَعْرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ ... )) (٤) .

فالحديث الأوّل نصُّ على المدارس ، والثاني نصُّ على أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يِعْرُضُ عَلَى جِبْرِيْلَ الْقُرْآنَ ، والأخير نصُّ على أَنَّ جِبْرِيْلَ ﷺ كَانَ يِعْرُضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷻ .

فطريقة التلقي والمعارضة هي الطريقة التي اختارها الله

- 
- (١) البخاريّ: بدء الوحي ، باب : كيف بدأ الوحي : ٦/١ ، ح ٦ .
  - (٢) البخاريّ: فضائل القرآن ، باب : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ٤/١٩١١ ، ح ٤٧١١ .
  - (٣) البخاريّ: بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة : ٣/١١٧٨ ، رقم تابع لحديث ٣٠٤٨ .
  - (٤) البخاريّ: فضائل القرآن ، باب : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ٤/١٩١١ ، ح ٤٧١٢ .

لتعليم نبيه ﷺ بواسطة جبريل ﷺ ، وهي الطريقة التي استخدمها النبي ﷺ مع أصحابه ، فهي سنة متبعة .

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يقرؤوا القرآن كما علمهم ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « تمارينا في سورة من القرآن ، فقلنا : خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية . قال : فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ ، فوجدنا علياً يناجيه ، قال : فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة . قال : فاحمرّ وجه رسول الله ﷺ ، وقال : « **إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ بَيْنَهُمْ** » ، قال : ثُمَّ أُسْرَ إِلَى عَلِيٍّ شَيْئًا ، فَقَالَ لَنَا عَلِيٌّ : **إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرُؤُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ** » (١) .

هذا وإن كان الأمر في هذا الحديث وارد في القراءات ، ولكن معناه عام في الأمر بقراءة القرآن كما علمها النبي ﷺ أصحابه ، وكان رضي الله عنه يعلم القرآن بنفسه ، ويبعث بعض الصحابة يعلمون الناس ، فعن أنس بن مالك قال : « **جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ : الْفُرَّاءُ ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَحْيِيُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيغُونَهُ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ**

(١) تفسير الطبري : ٢٣/١ - ٢٤ ، رقم ١٣ ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

الصُّفَّةِ وَالْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَعَرَضُوا لَهُمْ  
فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ... الحديث )) (١) .

ولقد حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على تعليم بعضهم البعض ، وإقراء بعضهم بعضاً ، فهذا عبدالله بن عباس يقول : « كُنتُ أُقْرَأُ رَجَالاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، مِنْهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمَنَى ، وَهُوَ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا ... » (٢) ، فهذا عبدالله بن عباس الشاب يقرئ عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - وهو شيخ ، ومعه رجالاً من المهاجرين ، وذلك من حرصهم على ضبط كتاب الله الكريم وتجويد تلاوته .

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرئ رجلاً ، فقراً الرَّجُلَ : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ } (٣) ، مرسله ، فقال ابن مسعود : « ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ ، فقال الرَّجُلُ : وكيف أقرأها يا أبا عبدالرحمن ؟ قال أقرأنيها : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ } ، فمدّها » (٤) .

فأنكر عبدالله بن مسعود على الرَّجُلِ أَنَّهُ لَمْ يَمُدَّ ، فدلَّ على أَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبِعَةٌ يَأْخُذُ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ كَمَا قَالَ

(١) مسلم الإمارة ، باب : ثبوت الجنة للشهيد : ١٥١١/٣ ، ح ٦٧٧ .

(٢) البخاريّ : المحاربين ، باب : رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت : ٢٥٠٣/٦ ، ح ٦٤٤٢ .

(٣) التوبة : الآية ( ٦٠ ) .

(٤) الإتقان : ٩/١ .

زيد بن ثابت .

وقال البيهقي في الشعب وآخرون : (( الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها ، اتباعاً لهدي رسول الله ﷺ وسنته .

وأبو عمرو يتعمد رؤوس الآي ويقول : هو أحب إليّ ، فقد قال بعضهم : إن الوقف عليه سنة ، ثم ذكر السيوطي حديث تقطيع النبي ﷺ لقراءة الفاتحة )) (١) .

وعن أبي الهذيل أنه قال : (( كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآيات ويدعوا بعضها )) (٢) .

وقال السيوطي : وقوله : (( كانوا )) يدل على أن الصحابة كانوا يكرهون ذلك .

وقال ميمون بن مهران عن الصحابة - رضوان الله عليهم - أنهم كانوا يراعون في الوصل والوقف تمام المعنى ، فقال : (( إنني لأقشعر من قراءة أقوام يرى أحدهم حتماً عليه ألا يقصر عن العشر ، إنما كانت القراءة تقرأ القصص إن طالت أو قصرت )) ، وقال عبدالله بن أبي الهذيل : (( إذا قرأ أحدهم الآية فلا يقطعها حتى يتمها )) (٣) .

وهكذا تعلم الصحابة - رضوان الله عليهم - صفة تلاوة النبي ﷺ ، ونقلوها للتابعين ، ثم أخذها عن التابعين تابعوهم

(١) الإتيان : ١١٥/١ .

(٢) الإتيان : ١١٥/١ ، وقال : إسناده صحيح .

(٣) النشر : ٢٤٠/١ .

، وهكذا انتقلت بالأسانيد المستفيضة عن الثقات إلى يومنا هذا .

ومن مجموع هذه النصوص وغيرها تتبين صفة تلاوة النبي ﷺ في أجمل صورها وأبهى حللها .

الخلاصة :

كانت طريقة تعلم النبي ﷺ القرآن بالتلقي ، والمعارضة ، والمشافهة والمدارسة ، إذ كان جبريل يعرض عليه القرآن ، وهو يعرضه على جبريل في كلّ عام مرّة في رمضان ، فعرضه عليه في العام الذي قبض منه مرتين ، وكان إذا أتاه جبريل ﷺ أطرق واستمع ، وإذا ذهب قرأ على الناس .

فكانت تلاوته ﷺ تلاوة سهلة ، مرتلة مترسلة ، لينة (١) ، عذبة الألفاظ ، لا تخرج عن طباع العرب ولغة الفصحاء ، وكانت مدًا ، يقرأ على مكث ، يُقَطِّعُها ويقف على رؤوس الآي ، ويزين القرآن بصوته ، يتغنّى به ، فكان أجمل الناس صوتًا وأنداء ، من سمعه لم يسمع أجمل من صوته ولا أندى ، ولا يلبث أن يتأثر به . على تلاوته جمالٌ وبهاء ، ولها حلاوة وطلاوة . وكان يرفعُ طورًا ويخفض طورًا ، وكانت قراءته في البيت على قدر ما يسمعه من في الحجرة ، وربما أسرّ وربما جهر . وكان يُرثِلُ السورة حتى تكون أطول من أطول منها ، وكان إذا مرّ بآية تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤالٍ سأل ، وإذا مرّ بتعوذٍ تعوَّذ ، وكان يرجع في قراءته أحيانًا

(١) أي : سهلاً . النهاية في غريب الحديث : ٢٨٦/٤ .

وخاصة في السفر إذا كان راكبًا . وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره ، وينصت له ويستمع ، وربما ذرفت عيناه .

خلاصة باب التلاوة :

جعل النبي ﷺ التلاوة على الناس مؤمنهم وكافرهم من أولى مهماته في دعوتهم ، لما للقرآن من سلطان على القلوب ، وأثر عميق على النفوس ، وكان يقرأ القرآن على الكفار استقلالاً في بعض الأحيان ، ويكتفي به ، وتارة يقرأه بعد بيان للإسلام ودعوة إلى الله ، أما مع المؤمنين فكان يقرنه ﷺ بالترغيب والترهيب ، وشرح مهمات هذا الدين ، والتفسير والتعليم .

فحريُّ بطالب العلم الداعي إلى الهدى أن يتأسى بإمام الدعوة ويعتني بكتاب الله ، تلاوة وفهماً ، وتدبراً ، وحفظاً ، وتطبيقاً ، وأن يهتم بالتلاوة في دعوة الناس ، وينتقي الآيات المناسبة للمقام ، فيقرأها ويشرحها ويفسرها ، فيثور القرآن ويحرك به القلوب ، لأنه مصدر كل خير .

ويحاول حفظ القرآن ، فإن قصرت همته عن كله ، فليأخذ بحظ وافٍ منه ، إذ كيف يتلو على الناس من لا يحفظ ، وكيف يُفسر من لا يتعلم ، وكيف يؤثر في الناس من لا يعمل به ؟ وعليه أن يتعلم صفة تلاوة النبي ﷺ .

ومما يُعين على ذلك كله ، ويثبتته في القلب : قيامه بحزب معلوم من القرآن يداوم عليه في جوف الليل ، حين التنزل الإلهي في الثلث الأخير . والإطراح بين يدي مولاه ، والانكسار له ، والبكاء من خشيته ، والثناء عليه بما هو أهله ، والاستغفار والتحميد والتهليل ، والصلاة على خيله



ومصطفاه ، ثمّ الدعاء بالتوفيق والسداد . هذا هو الزاد والعتاد .

ولمّا كان كتابُ الله هو المقدمّ في دعوة النّاس إلى الهدى ، كان فضل التلاوة مقدّمًا على التزكية والتعليم ، وسيأتي إن شاء الله في باب العلم ، كيف علم النّبي ﷺ ؟ وما هي أساليبه في ذلك ؟ ماذا ينبغي لطالب العلم ؟ وما يكره له ؟ عمّق يؤخذ العلم ؟ وغير ذلك من الأسئلة الكثيرة ؛ ستجيب عنها تلك الأبحاث في باب العلم ، وسيأتي بعد باب التربية إن شاء الله .





# الباب الثاني ( التربية والتزكية )

تمهيد : في معاني التربية والتزكية وعلاقتها ، ومقاصد التربية وأهدافها ، وشواهد تصنيف منهجها :  
الفصل الأول : ( التربية والتزكية النبوية )  
الفصل الثاني : ( الأساليب التربوية النبوية )

## الباب الثاني

### المنهج النبوي في التربية والتزكية

تمهيد : في معاني التربية والتزكية وعلاقتها ، ومقاصد التربية وأهدافها ، وشواهد

تصنيف منهجها :

أولاً : التربية في اللغة :

قال ابن فارس في معنى (( رب )) : (( الراء والباء يدلّ على أصول ، فالأول إصلاح لشيء والقيام عليه .

فالرّبُّ : المالكُ والخالق والصاحب ، والرّبُّ : المصلح للشيء ، والله جلّ ثناؤه الرّبُّ ؛ لأنّه مصلح أحوال خلقه ، والرّبِّيُّ : العارف بالرّبِّ ))<sup>(١)</sup> .

وفي مختار الصحاح : (( ربّاه تربية ، أي غدّاه ، وهذا لكل ما يُنمى كالولد والزرع ونحوه ))<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن منظور : (( قال ابن الأنباري : ربّ الشيء إذا أصلحه ))<sup>(٣)</sup> ، وقال : (( ورّبّاه تربية ، على تحويل التضعيف

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٣٨١/٢ ، ٣٨٢ .

(٢) مختار الصحاح : ص ٩٨ .

(٣) لسان العرب : ٤٠١/١ .

: أحسن القيام عليه )) (١) ، وقال : (( الربُّيُّ منسوب إلى الرب ، والرباني موصوف بعلم الرب ، وقال ابن الأعرابي : الربانيُّ العالم المعلم الذي يغزو الناس بصغار العلم قبل كبارها )) ، وقال ابن الأثير : هو منسوب إلى الرب ، بزيادة الألف والنون للمبالغة ، قال : وقيل : هو من الرب ، بمعنى التربية ، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها )) (٢)

وقال : (( وربّ ولده والصبي يربُّه ربًّا ، عن اللحياني : بمعنى ربّاه ، وفي الحديث : لك نعمة تربُّها ، أي تحفظها وتراعيها وتربيها كما يُربي الرجلُ ولده )) (٣)

وقال : (( وربّيُّتها : نماها وزادها ، وأتمّها ، وأصلحها )) (٤)

وقال الراغب : (( الربّ في الأصل : التربية ؛ وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام ، يُقال ربّه ، وربّاه وربّبه ، فالربُّ مصدر مستعار للفاعل )) (٥)

وقال أبو جعفر : (( وأما تأويل قوله ( ربّ ) فإنّ الربّ

(١) لسان العرب : ٤٠١/١ .

(٢) لسان العرب : ٤٠٤/١ .

(٣) المصدر السابق : ٤٠١/١ .

(٤) المصدر السابق : ٤٠٥/١ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : ص ٣٣٦ .

في كلام العرب منصرفاً على معان ، فالسيد المطاع فيهم يُدعى رباً ، والرجل المصلح للشيء يُدعى رباً ، ثم قال : فربنا جل ثناؤه : السيد الذي لا شبه له ، ولا مثل في مثل سُودده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبع عليهم من نعمه ، والمالك الذي له الخلق والأمر» (١) .

والحاصل من مجموع النقولات السابقة : أن معاني التربية في اللغة تعني : إصلاح الشيء وتغذيته وتنميته ، وتعليمه ، ومن معانيها أيضاً : التنمية والزيادة ، والإصلاح والإتمام ، والحفظ والرعاية ، والقيام على الشيء حتى النهاية .

ثانياً : التربية في الاستعمال الشرعي :

قال الله تعالى : { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } (٢) . قال أبو جعفر : « وأما قوله : { كُونُوا رَبَّانِيِّنَ } ، فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : كونوا حكماء علماء ، وعن ابن عباس قال : كونوا حكماء فقهاء ، وعن مجاهد قال : الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأحرار .

وقال آخرون : بل هم الحكماء الأتقياء ، عن سعيد بن

(١) تفسير الطبري : ١/١٤١ ، ١٤٢ ، تحقيق الأخوين محمود وأحمد

شاكر .

(٢) آل عمران : الآية (٧٩) .

جبير قال : حكماء أتقياء .

وقال آخرون : بل هم ولاة الناس وقادتهم ، وعن ابن زيد يقول في قوله : { كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } ، قال : الربَّانيون ، الَّذِينَ يَرْبُونَ النَّاسَ ، ثُمَّ قَالَ : الربانيون : الولاة ، والأحبار : العلماء .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين (( أنهم جمع (( ربَّاني )) ، وأنَّ الرباني المنسوب إلى (( الرَّبَّانِ )) ، الَّذِي يَرْبُ النَّاسَ ، وهو الَّذِي يَصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَيَرْبُّهَا ، ويقوم بها ، ثُمَّ قَالَ : فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يَرْبُ أُمُورَ النَّاسِ ، بتعليمه إياهم الخير ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان كذلك الحكيم التقى لله ، والوالي الَّذِي يَلِي أُمُورَ النَّاسِ عَلَى الْمُنْهَاجِ الَّذِي وَلِيهِ الْمَقْسُطُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ أُمُورَ الْخَلْقِ ، بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم ، وعائدهُ النفع عليهم في دينهم ، ودنياهم ، كانوا جميعًا يستحقون أن يكونوا ممن دخل في قوله ﷺ : { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } ، ف (( الربانيون )) إذا هم عمادُ النَّاسِ فِي الْفَقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، ولذلك قال مجاهد : (( وهم فوق الأحبار )) ، لأنَّ (( الأحبار )) هم العلماء ، و (( الرباني )) الجامعُ إلى العلم والفقه ، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأُمُورِ الرِّعْيَةِ ، وما يصلحهم في دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ .

وقال - رحمه الله - في القراءتين المروييتين في قوله : { تُعَلِّمُونَ } ، إذا قرئت التاء بالضم والفتح ، قال : « وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام . لأن الله ﷻ وصف القوم بأنهم أهل عمادٍ للناس في دينهم ودنياهم ، وأهلُ إصلاح لهم ولأموارهم وتربية . يقول جلّ ثناؤه : { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } ، على ما بيّنا قبل من معنى « الرباني » ، ثمّ أخبر تعالى ذكره عنهم أنّهم صاروا أهل إصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم إياهم كتاب ربّهم ، ودراساتهم إياه : تلاوته . فمعنى الآية : ولكن يقول لهم : كونوا ، أيها الناس ، سادة الناس ، وقادتهم في أمر دينهم ودنياهم ، ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام ، وفرض وندب ، وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم ، وبتلاوتكم إياه ودراستكموه » (١) .

وقال - رحمه الله - أيضاً في « الربانيون » (٢) : جمع ربّانيّ وهم العلماء والحكماء ، البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم ، والقيام بمصالحهم ، والأخبار هم العلماء ، وقال : وأما الأخبار فإنّهم جمع خبر ، وهو العالم المحكم للشرع ، ومنه قيل لكعب « كعب الأخبار » (٣) .

وروى البخاريّ عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قال :

(١) تفسير الطبري : ٥٤٠/٦ - ٥٤٦ ، تحقيق شاکر ، باختصار .

(٢) المائدة : الآية (٤٤) .

(٣) تفسير الطبري : ٣٤٣/١٠ ، تحقيق شاکر .



(( { كُونُوا رَبَّانِيْنَ } : علماء فقهاء ، ويقالُ : الربانيُّ الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره )) (١) .

أي أنه يُراعي التدرُّج في تعليمهم وتربيتهم فيبدأ بصغار المسائل في العلم ثمَّ يترقى بهم فيه ، هذه هي التربية الصحيحة ، لا أنه يبدأ معهم بدقائق العلم التفصيلية وبكبار المسائل العلمية .

وقال الإمام أبو جعفر في قول الله : (( { وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } (٢) . قال : (( وعنَى بقوله { رَبَّيَانِي } : نمياني )) (٣) .

وقال أبو حيان في قول الله تعالى : (( { أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيْدًا } (٤) ، قال : (( أخذ يستحقره ، ويذكره بحالة الصغر ، المنّ عليه بالتربية ، عدّد عليه نعمة التربية ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث كان يقتل نظراءه من بني إسرائيل )) (٥) .

وقال الشاطبي في معرض حديثه عن تصدير الدعاء

- 
- (١) صحيح البخاريّ : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل : ٣٨/١ . رواه تعليقاً بصيغة الجزم .
- (٢) الإسراء : الآية ( ٢٤ ) .
- (٣) تفسير الطبري : ٦٨/١٥ ، طبعة البابي الحلبي .
- (٤) الشعراء : الآية ( ١٨ ) .
- (٥) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي الغرناطي : ١٤٦/٨ مختصراً .

بلفظ الجلالة : { رَبِّ } ، قال : ومنها كثرة مجيء النداء باسم الربِّ المقتضى للقيام بأمر العباد وإصلاحها ، فكان العبد متعلقاً بمن شأنه التربية والرفق والإحسان قائلاً : يا من هو المصلح لشئوننا على الإطلاق أتم لنا ذلك بكذا ، وهو مقتضى ما يدعو به ، وإِنَّمَا أَتَى ( اللهم ) في مواضع قليلة ولمعان اقتضتها الأحوال )) (١) .

وقد ورد لفظ التربية في حديث رسول الله ﷺ بمعنى التنمية كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَصَقَ بَعْدَ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ . ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ قَلْوَهُ حَتَّى تَكُونَ لَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ » (٢) .

ثالثاً : التزكية في اللغة :

قال ابن فارس في ( زكى ) : « الزاء والكاف والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على نماء وزيادة ، وقال بعضهم : سُمِّيَتْ زكاةً لأنها طهارة ، والأصل في ذلك كله راجعٌ إلى هذين المعنيين ، وهما النماء والطهارة » (٣) .

وقال ابن منظور : « زكا : أي نما ، والزكاة : الصلاح ، وقوله تعالى : { وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } ؛ قالوا : تطهرهم بها ، وقوله

(١) الموافقات : ٢٠٣/٤ .

(٢) البخاري : ( ٣٠ ) الزكاة ٧ - باب لا يقبل الله صدقةً من غُلُولٍ ، ولا يقبلُ إلا من كسبٍ طَيِّبٍ : ٥١١/٢ ، رقم ١٣٤٤ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ١٧/٣ .

تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } ؛ أي يُصلح ، وقال  
الفراء ، وأصل الزكاة في اللغة : الطهارة والنماء والبركة  
والمدح : وكله قد استعمل في القرآن والحديث ((<sup>(١)</sup>).

رابعاً : التزكية في الاستعمال الشرعي :

ورد لفظ التزكية في الكتاب والسنة ، ففي الكتاب ورد  
لفظ ( زكى ) ومشتقاته ( تسع وخمسين مرة في إحدى  
وخمسين آية متفرقة في سبع وعشرين سورة )<sup>(٢)</sup> ، بثمانية  
معان :

١ - ورد لفظ ( زكى ) بمعنى التطهير والنماء والبركة في  
مواضع عدة :

قال الله تعالى : { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ  
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }  
(<sup>(٣)</sup>).

قال ابن عطية : (( ويزكيهم معناه يطهرهم وينميهم بالخير  
، ومعنى الزكاة لا يخرج عن التطهير أو التنمية ))<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب : ٣٥٨/١٤ .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقى ،  
ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٣) البقرة : الآية ( ١٢٩ ) .

(٤) المحرر الوجيز ، لابن عطية : ٣٦١/١ .

وقال القرطبي : « ويزكيهم : أي يطهرهم من وضر<sup>(١)</sup> الشرك »<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو الفداء الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « يقول تعالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم ، أن يبعث فيهم رسولاً منهم ، أي من ذرية إبراهيم ، ثم قال : روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي أمامة قال : « قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ ؟ قَالَ : دَعَوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشْرَى عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ » .

ثم قال : ( ويزكيهم ) ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني طاعة الله والإخلاص<sup>(٣)</sup> .

وقال القرطبي : « ويعلمهم الكتاب والحكمة : ( الكتاب ) القرآن ، و ( الحكمة ) المعرفة بالدين والفقہ في التأويل ، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى ، ثم قال : ( ويزكيهم ) أي يطهرهم من وضر الشرك »<sup>(٤)</sup> .

وفي سورة آل عمران قال تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) وضر ، أي : وسخ . المعجم الوسيط : ١٠٣٩/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ١٣١/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٢٩/١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٣١/٢ .

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ { (١) .

قال الزمخشري : (( ويزكيهم : يطهرهم من دنس القلوب بالكفر ، ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث ، وقيل : يأخذ منهم الزكاة )) (٢) .

وقال ابن كثير : (( يتلو عليهم آياته : يعني القرآن . ويزكيهم : أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو أنفسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم )) (٣) .

وقال تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (٤) .

قال القاضي أبو محمد : (( ويزكيكم : يطهركم من الكفر ، وينميكم بالطاعة )) (٥) .

قال ابن كثير : (( ويزكيكم أي يطهركم من رذائل الأخلاق ودينس النفوس ، وأفعال الجاهلية ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن ، والحكمة وهي

(١) آل عمران : الآية (١٦٤) .

(٢) الكشاف : ٢٢٨/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٤٣٣/١ .

(٤) البقرة : الآية (١٥١) .

(٥) المحرر الوجيز : ١٩/٢ .

السنة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء ، فانقلوا ببركة رسالته ويؤمن سفارته إلى حال الأولياء ، وسجايا العلماء ، فصاروا أعمق الناس علمًا ، وأبرهم قلوبًا ، وأقلهم تكلفًا ، وأصدقهم لهجة )) (١) .

وفي سورة الجمعة قال الله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } (٢) .

ويلاحظ من الآيات الأربع الآنفة الذّكر ، أنّ المهام التي بُعث بها النبي ﷺ ؛ ثلاث مهام ، هي : على الترتيب ، التلاوة ، والتزكية ، والتعليم ، وقد جاءت على هذا الترتيب في ثلاث آيات منها ، والآية الرابعة ؛ تقدّم تعليم الكتاب والحكمة على التزكية ، في دعوة الخليل ﷺ ، ولكن جاءت الإجابة من الكريم المئان مرتبة على النسق المذكور . وما ذاك إلا لأنّ تلاوة القرآن الكريم عامّة في حق الجميع ، والتزكية فرض عين في حقّ جميع المؤمنين . أما تعليم الكتاب والحكمة على التفصيل ؛ فهذا في حق طائفة من كلّ فرقة من المؤمنين ؛ فهو من فروض الكفايات .

ولقد كانت بعثة النبي ﷺ منّة ونعمة امتن الله بها على

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٠١/١ .

(٢) الجمعة : الآية (٢) .

المؤمنين ، كما في آية آل عمران : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ } .

قال ابن كثير : « وذلك من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ } [ إبراهيم/ ٢٨ ] ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : يعني بنعمة الله محمدًا ﷺ ، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ، ومقابلتها بذكره وشكره ، وقال : { فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ } [ البقرة/ ١٥٢ ] ، قال مجاهد في قوله { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ } [ البقرة/ ١٥٢ ] ، يقول : كما فعلت فانكروني . قال عبدالله بن وهب عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم أن موسى ﷺ قال : يا رب كيف أشكرك ؟ قال ربه : تذكرني ولا تنساني ، فإذا ذكرتني فقد شكرتني ، وإذا نسيتني فقد كفرتني » (١) .

وفي سورة التوبة ، قال الله تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٢) .

قال الزمخشري : والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه ، أو بمعنى الإنماء والبركة في المال ، وهكذا الآيات المتبقية في هذا المعنى وهي :

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٠٣/١ .

(٢) التوبة : الآية ( ١٠٣ ) .

الآية ٢١ في سورة النور ، والآية ١٩ في مريم ، والآية ١٨ في فاطر ، والآية الثانية من سورة الجمعة ، والآية ١٨ من النازعات ، والثالثة من عبس ، والآية ١٨ في سورة الليل ، والتاسعة من سورة الشمس التي يقول فيها ﷻ : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } « حُذِفَت اللَّامُ لَطَوَّلَ الْكَلَامُ ، زَكَّاهَا طَهَّرَهَا مِنَ الذَّنُوبِ ، وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَاهَا ، أَخْفَاهَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَأَصْلُهُ دَسَسَهَا أَبْدَلَتْ السِّينَ الثَّانِيَةَ أَلْفًا تَخْفِيفًا » (١) ، وفي سورة الأعلى { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } ، تطهر بالإيمان ، { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } مكبراً ، فصلى الصلوات الخمس » (٢) .

٢ - وقد جاء لفظ ( زكى ) بمعنى الصلاة والثقى :

في سورة الكهف في قول الله تعالى : { فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا } (٣) : « زكاة أي صلاحًا وثقى » (٤) .

٣ - وجاء بمعنى الثناء والمدح .

وذلك في سورة البقرة في قول الله تعالى : { وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ

(١) الجلالين : ص ٥٩٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٩٢ .

(٣) الكهف : الآية ( ٨١ ) .

(٤) تفسير الجلالين ، ص ٣٩٢ .



يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} <sup>(١)</sup> ، قال ابن كثير : ((  
 ويزكيهم أي يثني عليهم ويمدحهم ، بل يعذبهم عذاباً أليماً ))  
<sup>(٢)</sup> . وهكذا الآيات ٧٧ من سورة آل عمران ، والآية ٤٩ من  
 سورة النساء ، والآية ٣٢ من سورة النجم .

#### ٤ - بمعنى الصدقة :

في قول الله تعالى في سورة مريم : { وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً  
 وَكَانَ تَقِيًّا } <sup>(٣)</sup> : وزكاة (( أي صدقة عليهم )) <sup>(٤)</sup> .

#### ٥ - وجاء كذلك بمعنى الإيمان والهداية .

كما في سورة عبس ، حيث قال تعالى : { وَمَا عَلَيْكَ أَلَا  
 يَزَكِّي } <sup>(٥)</sup> : (( أي يؤمن )) <sup>(٦)</sup> . وقال صاحب الكشاف : ((  
 وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ  
 )) <sup>(٧)</sup> .

#### ٦ - وجاء بمعنى : أفضل وأطيب ، وخير .

(١) البقرة : الآية ( ١٧٤ ) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢١٢/١ .

(٣) مريم : الآية ( ١٣ ) .

(٤) تفسير الجلالين ، ص ٣٩٧ .

(٥) عبس : الآية ( ٧ ) .

(٦) الجلالين ، ص ٧٩٢ .

(٧) الكشاف : ١٢٥/٤ .

قال الله تعالى : { دَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }<sup>(١)</sup> . قال صاحب الكشاف : « أزكى لكم وأطهر » من أدناس الآثام ، وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب<sup>(٢)</sup> . وفي الجلالين : « ترك العضل خير لكم »<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى : { وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ }<sup>(٤)</sup> . « أي خير لكم »<sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ }<sup>(٦)</sup> .

٧ - وورد بمعنى ( أحلّ ) أي أكثر حلاً وطيباً .

قال تعالى : { فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا }<sup>(٧)</sup> . أي « أيّ أطعمة المدينة أحلّ »<sup>(٨)</sup> .

٨ - وقد ورد بمعنى ( الزكاة المفروضة ) وتتضمن

(١) البقرة : الآية ( ٢٣٢ ) .

(٢) الكشاف : ١٤١/١ .

(٣) تفسير الجلالين ، ص ٥٠ .

(٤) النور : الآية ( ٢٨ ) .

(٥) الجلالين ، ص ٤٦١ .

(٦) النور : الآية ( ٣٠ ) .

(٧) الكهف : الآية ( ١٩ ) .

(٨) تفسير الجلالين ، ص ٣٨٣ .

## التطهير .

وهي الصدقة الواجبة المعلومة ، وذلك في باقي الآيات التي لم يرد ذكرها من التسع وخمسين آية ..

والزكاة الواجبة ؛ فيها تطهير لمن أخرجها ونماء لماله ، قال الله تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } (١)

٩ - وبمعنى التوحيد : { وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } (٢) . الزكاة هنا التوحيد .

وقد جاءت التزكية في القرآن الكريم منسوبة إلى ثلاثة (٣) :

**النسبة الأولى :** إلى الله ﷻ ، وهي بمعنى هداية التوفيق والإلهام ، وكذلك بمعنى التطهير من الذنوب . قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا } (٤) . (( بل الله يطهر من يشاء بالإيمان )) (٥) .

**وعلى المعنى الثاني :** { وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } (٦) . ))

(١) التوبة : الآية ( ١٠٣ ) .

(٢) فصلت : الآيتان ( ٦ ، ٧ ) .

(٣) قال بنحو هذا د. أنس أحمد كرزون : منهج الإسلام في تزكية النفوس : ١٠٠/١ .

(٤) النساء : الآية ( ٤٩ ) .

(٥) تفسير الجلالين ، ص ٨٦ .

(٦) النور : الآية ( ٢١ ) .

أي يطهر من الذنب بقبول توبته)) (١) .

**النسبة الثانية :** إلى الرسول ﷺ ، وهي بمعنى هداية الإرشاد والبيان والدلالة والتطهير ؛ ذلك أنه ﷺ هو المربي والمزكي الأول لأُمَّته بأمر الله ﷻ ، إذ قال سبحانه : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (٢) .  
 (( يزكيهم أي يطهرهم من الشرك )) (٣) ، ويدلهم على طريق الحق ، ويصلحهم ، ويرقى بهم إلى أعلى المراتب .

**النسبة الثالثة :** إلى العبد نفسه ، وتنقسم إلى قسمين : نسبة مدح ؛ ونسبة ذم .

**فأما الأولى :** فمثل قوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } (٤) .  
 أي طهرها من الشرك والذنوب والمعاصي ، وترقى بها في مدارج الفلاح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذه الآية : (( ولهذا تُفسر الزكاة تارة بالنماء والزيادة ، وتارة بالنظافة والإمطة . والتحقيق أنّ الزكاة تجمع بين الأمرين ( إزالة الشر وزيادة الخير ) ، وهذا هو العمل الصالح ، وهو

(١) تفسير الجلالين ، ص ٣٥٢ .

(٢) الجمعة : الآية ( ٢ ) .

(٣) تفسير الجلالين ، ص ٥٥٣ .

(٤) الشمس : الآية ( ٩ ) .

الإحسان)) (١) .

وقوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } (٢) . (( أي تطهر  
بالإيمان)) (٣) .

وأما الثانية : فمثل قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ  
أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ } (٤) . قال ابن كثير في قوله  
تعالى : { بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ } . (( أي المرجع في ذلك إلى  
الله ﷻ ؛ لأنه أعلم بحقائق الأمور وغوامضها)) (٥) .

وفي إضرابه عن قولهم تبيكت لهم وسخرية منهم .

وقد ورد عن الله ﷻ منع دعوى تزكية النفس والإعجاب  
بها ، فقال سبحانه : { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى } (٦) .  
(( أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب ، أما على سبيل  
الاعتراف بالنعمة فحسن)) (٧) .

قال الراغب : (( وتزكية الإنسان نفسه ضربان : أحدهما  
بالفعل ، وهو محمود وإليه قصد بقوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٩٨/١٦ .

(٢) الأعلى : الآية ( ١٤ ) .

(٣) الجلالين : ص ٥٩٢ .

(٤) النساء : الآية ( ٤٩ ) .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ٥٢٤/١ .

(٦) النجم : الآية ( ٣٢ ) .

(٧) تفسير الجلالين ، ص ٥٢٧ .

زكَّاهَا } ، وقوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } ، والثَّانِي : بالقول ، كتركية العدل غيرَه ، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه ، وقد نهى الله تعالى عنه فقال : { فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } ، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً ، ولهذا قيل لحكيم : ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً ؟ فقال : مدح الرجل نفسه ((<sup>(١)</sup>).

**أما في السنَّة النبوية فقد ورد لفظ زكى ومشتقاته في مواضع كثيرة ، ومن ذلك ما ورد في دعاء الرسول ﷺ الذي رواه زيد بن أرقم ﷺ قال : (( لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ . اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ))<sup>(٢)</sup>.**

**وقوله ﷺ : (( ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان : من عبد الله وحده ، وأنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدةً عليه كلَّ عام ، ولا يُعطي الهرمة ، ولا الدرنة ، ولا المريضة ، ولا الشَّرَطَ : اللئيمة ، ولكن من وسط أموالكم ، فإنَّ الله لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم**

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ، ص ٣٨١ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل : ٢٠٨٨/٤ ، ح ٢٧٢٢ .

بشره ، وزكى نفسه ، فقال رجل : وما تزكية النفس ؟ فقال : أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان» (١) .

أي أن تستقر في قلبه يقيناً معية الله ﷻ ومراقبته ، ويستشعر ذلك في كل أحواله وأقواله وأفعاله وتصرفاته ، وهذه قمة الدين ومرتبة الإحسان التي قال عنها رسول الله ﷺ : « أن نعبد الله كأَنَّكَ تَرَاهُ ، فإن لم تكن تراه فإِنَّهُ يَرَاكَ » (٢) .

خامساً : علاقة التزكية بالتربية :

يتضح من استعراض معاني التربية والتزكية أنَّهما مصطلحان شرعيان لهما جذورهما وأسسهما في الكتاب والسنة والفهم الشرعي ، وأنهما متقاربان في بعض المعاني ، ومتطابقان في بعض ، وأن بينهما معانٍ مشتركة :

- فأما في اللغة : فهما يشتركان في ثلاثة معانٍ هي :  
النماء والزيادة والإصلاح . وتختص التزكية بالتطهير

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير : ٢٠١/١ ، والبيهقي في السنن : ٩٥/٤ .

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح ١٠٤٦ ، وهذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات رجال مسلم غير عبدالله بن سالم وهو الزبيدي ، وهو ثقة . ثم قال : فائدة « قوله ﷺ أن الله معه حيث كان ، قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي : يريد أن الله علمه محيط بكل مكان ، والله على العرش . ذكره الحافظ الذهبي في العلو ، ترجمة رقم ٧٣ .

(٢) صحيح مسلم : الإيمان : باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٨/١

والأفضلية والمدح . وتختص التربية بالحفظ والرعاية والقيام على الشيء إلى حدّ التمام .  
- وأما في الاستعمال الشرعي :

فإنّ التربية ذات معنى واسع وشامل وتصدّق في حقّ الكافر كما تصدق على المسلم ، بل تصدق على كلّ شيء ، فلفظ الجلالة ( الرّب ) ورد في القرآن والسنة بكثرة كاثرة ، فالله ربّ العالمين ، وهو ربّ كلّ شيءٍ ومليكه ، وهو يربُّ الكافر بنعمه كما يربُّ المؤمن .

والكافر يربي ؛ والمسلم يربي ، قال الله تعالى على لسان فرعون : { أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا } <sup>(١)</sup> . فهذا فرعون يمتنّ على موسى ﷺ أن ربّاه صغيراً حتّى شبّ وترعرع ولبت عنده من عمره سنين وهو يغذوه بالطعام والشراب ، ويرعاه بالكساء والدواء ، والنفقة والسكن ، والتنمية الجسمية ، والحماية من الأعداء ، وغير ذلك . فهذه كلّها رعاية ظاهرة لموسى ﷺ حتّى تمام قوّته وصحته واكتمال نموّه .

أمّا تربية الباطن : من قلبٍ ونفسٍ وعقلٍ فأنى لفرعون أن يزكّيها ؟ .

وقد استعملها النبي ﷺ لغير الإنسان ؛ كما في المنفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ ثَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ

(١) الشعراء : الآية ( ١٨ ) .



يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ لَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ» (١)

أما التزكية فهي ألصق بجانب ميدان الباطن كتطهير القلب وتزكية النفس منه إلى ميدان الظاهر .

ولم تطلق التزكية على الكفار إلا في معرض الترهيب ، كما في قوله تعالى : { وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } (٢)

وفي معرض التهكم والتبكيث ، كما في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } (٣) . وفي قوله تعالى : { وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ } (٤) .

وبهذا يتبين أن التزكية لا تصح إلا في حق المؤمنين ، إذ لا زكاة بدون الإيمان ، بيد أن التربية تصح في حق الجميع .

(١) سبق تخريجه قريباً .

(٢) فصلت : الآيتان ( ٦ ، ٧ ) .

(٣) النساء : الآية ( ٤٩ ) .

(٤) عبس : الآية ( ٧ ) .

الخلاصة :

تُعدُّ التزكية الركن الأساس في التربية ؛ وقد تُطلق عليها تغليباً . فهي الجزء الأهم والأكبر في التربية ، وهي أهم مرتبة من مراتبها ، وأعظم مرحلة من مراحلها ، والتزكية أخص من التربية ، فالتربية تصحّ في حقّ جميع الناس ، أمّا التزكية فلا تصحّ إلا في حقّ المسلمين .

وفعل تزكّى : أي فعل فعلاً زاكياً يحبّه الله ، يتزكى به وينظهر به ويتنمّى ، حتّى يصبح زاكياً نامياً ، ولا يتزكّى إلا من تربى تربية إيمانية على أيدي أهل الإيمان وطريقتهم .

وبين التزكية والتربية عمومٌ وخصوص :

فأمّا العموم فإِنَّهُمَا يشتركان في معاني النماء والزيادة والإصلاح .

وأمّا الخصوص ؛ فإنّ التزكية تختص بالتطهير ، والأفضلية والمدح .

وهي نصٌّ في ميدان الباطن مع شمولها للظاهر .

أمّا التربية فهي نصٌّ في ميدان الظاهر مع شمولها للباطن تضمُّناً ؛ وتختص بالحفظ والرعاية والقيام على الشيء إلى حدّ التمام .

سادساً : غاية التربية النبوية ومقصودها الأعظم :

هو تحقيق التوحيد ، وإفراد الله بالعبادة للفوز برضوانه ومحبّته ، ونيل موعوده تعالى ، الذي أعدّه لعباده الصالحين

في دار كرامته ، والنجاة من عذابه . قال الله تعالى : { وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }<sup>(١)</sup> .

وأما محبته ﷺ فنقال باتباع نبيه ﷺ ، قال تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }<sup>(٢)</sup> .

وأما النجاة من النار فذلك هو الفوز ، قال تعالى : { فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ }<sup>(٣)</sup> .

سابعًا : أهداف التربية النبوية :

يُضَح من خلال دراسة السُّنَّة والسيرة النبوية والمجتمع الذي أعده النبي ﷺ أن أهداف التربية النبوية تتلخص في هدفين رئيسيين :

**الأول :** إصلاح العبد باطنًا وظاهرًا ، وتحقيق عبوديته التامة حتى يعلم أن الله معه حيث كان . وتنميته والترقي به من جميع الجوانب الإيمانية والعلمية والعملية والأخلاقية والجسدية والاجتماعية ، ليكون عضوًا فعالاً منتجًا ، ويحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة .

**الثاني :** تكوين أمة الوسط والشهادة وبنائها وفق

(١) التوبة : الآية ( ٧٢ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ٣١ ) .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٨٥ ) .

التوجيهات الربانية ، وتوجيهها بعد اكتمال إعدادها لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة إلى الناس كافة .

فأما الشق الأول فمن شواهد الكثرة قول النبي ﷺ لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن ﷺ : « فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يُوحّدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ ... الحديث » (١) .

وكذلك قوله ﷺ - عندما سئل عن التزكية - : « أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان » (٢) . وقوله ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » (٣) ، وقوله ﷺ : « إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق » (٤) ، وقوله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » (٥) .

**وقول الله تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا**

(١) البخاري : كتاب التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير : ٢٠١/١ ، والبيهقي في السنن : ٩٥/٤ ، وصححه الألباني ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم ١٠٤٦ .

(٣) البخاري : الإيمان : باب فضل من استبرأ لدينه : ٢٨/١ ، رقم ٥٢ .

(٤) مسند أحمد : ٣٨١/٢ ، والحاكم : ٦١٣/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٥) مسلم : القدر : باب الأمر بالقوة : ٢٠٥٢/٤ ، رقم ٢٦٦٤ .

يَعْمَلُونَ} <sup>(١)</sup> .

وأما الشق الثاني : فمن شواهد الكثرة قول الله تعالى : {  
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} <sup>(٢)</sup> .

أخرج الإمام البخاري في هذه الآية حديثاً موقوفاً على أبي  
هريرة رضي الله عنه ، قال : (( خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ  
فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ )) <sup>(٣)</sup> .

وقول الله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } <sup>(٤)</sup> . وقوله تعالى : {  
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يَعْلَمُونَ} <sup>(٥)</sup> .

والقاعدة : أن ما كُلف به النبي صلى الله عليه وسلم فهو تكليف لأُمَّته ما لم  
يرد له مخصّص .

ومن شواهد تربية الأُمَّة التربوية الجماعية أيضاً قول الله  
تعالى : { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

(١) النحل : الآية ( ٩٧ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ١١٠ ) .

(٣) البخاري : كتاب التفسير : باب كنتم خير أُمَّة : ١٦٦٠/٤ ،  
رقم ٤٢٨١ . قال الحافظ : وقد روي مرفوعاً في آخر كتاب الجهاد .

(٤) البقرة : الآية ( ١٤٣ ) .

(٥) سبأ : الآية ( ٢٨ ) .

وَالْعُدْوَانَ { (١) .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... } (٢) . و { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٣) .

ومنها قوله تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } (٤) . وقوله : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (٥) .

وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ = ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

(١) المائدة : الآية (٢) .

(٢) آل عمران : الآية (١٠٣) .

(٣) آل عمران : الآية (١٠٤) .

(٤) آل عمران : الآية (١٥٩) .

(٥) آل عمران : الآية (١٦٤) .

رَاكِعُونَ }<sup>(١)</sup> .

ثامناً : شواهد تصنيف منهج التربية النبوية :

قال الله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }<sup>(٢)</sup> .

فهذه مهام النبي ﷺ في أمته الأمية . وقد وردت هذه المهام في ثلاث آيات أخر كما مرّ آنفاً .  
ويمكن إطلاق مسمى التربية على هذه المهام الثلاث ،  
فالتربية لا تخرج في مضمونها عنها ، وهي :

١ - التلاوة .

٢ - التزكية .

٣ - التعليم .

فالتلاوة : هي قراءة القرآن واتباعه . والقرآن أصل العلم ؛ وقد أفردت التلاوة عن التعليم وهي جزء منه لأهميتها .  
فيصح إدخالها في مسمى التربية العلمية .

والتلاوة عامّة في حقّ جميع المسلمين ، بل تصح التلاوة على غيرهم لدعوتهم للإيمان .

والتزكية : عامّة في حقّ جميع المسلمين ، وهي فرض

(١) المائدة : الآيتان ( ٥٤ ، ٥٥ ) .

(٢) الجمعة : الآية ( ٢ ) .

عين على كل مسلم لا بُدَّ منها ، وعلى رأسها تزكية النفس من الكفر إلى الإيمان ، قال الله تعالى : { وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } <sup>(١)</sup> . والزكاة هنا هي التوحيد . وقوله تعالى : { وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزَّكَّى } <sup>(٢)</sup> ، بمعنى الإيمان والتوحيد والهداية . وقوله تعالى : { فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَّكَّى } <sup>(٣)</sup> . أمرٌ من الله لموسى ﷺ أن يدعو فرعون إلى التزكي من الكفر إلى الإيمان ، أي يزكي نفسه من الكفر ويدخل في الإيمان .

ولما كانت التزكية هي الجزء الأعظم من التربية ، فقد نُطِّقَ عليها تَغْلِيْبًا . أمّا في العصور المتأخرة فأصبح مصطلح التربية يُطِّقُ على التزكية غالبًا .

**أمّا التّعليم :** فتعليم الكتاب والحكمة بمعنى الاستيعاب للعلم والإحاطة به . فهو خاص ببعضهم ، قال الله تعالى : { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } <sup>(٤)</sup> .

دلّ ذلك على أنّ طائفة من كلّ فرقة تكفي للتفقه في الدين لنذارة أقوامهم . ولا يلزم من ذلك كتم العلم وعدم نشره

(١) فصلت : الآيتان ( ٦ ، ٧ ) .

(٢) عبس : الآية ( ٧ ) .

(٣) النازعات : الآية ( ١٨ ) .

(٤) التوبة : الآية ( ١٢٢ ) .



واحتكاره على فئة من الناس ؛ بل الواجب نشره وإشاعته بين كافة أفراد الأمة حتى يعلم كل شخص العلم الضروري الواجب ، وهذا هو الحد الأدنى في حق كل أحد ، لكن المقصود ؛ الإحاطة بالعلم والتمكّن منه ، فهذا خاص بورثة الأنبياء . ولا يُطلب من جميع أفراد الأمة أن يكونوا علماء . بل لا يُتصور ذلك .

يقول شيخ الإسلام في ذلك : « التزكي الحاصل بامتثال أمر الرسول ﷺ ، وإن كان صاحبه لا يتذكر علومًا عنه . كما قال : { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ } ، ثم قال : { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } . فالتلاوة عليهم والتزكية عام لجميع المؤمنين ، وتعليم الكتاب والحكمة خاصٌ ببعضهم . وكذلك التزكي عام لكل من آمن بالرسول ، وأما التذكّر فهو مختص لمن له علوم يذكرها ، فعرف بتذكره ما لم يعلمه غيره من تلقاء نفسه » (١) .

وقال : « وذلك أنّ التزكي هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكيّة ، كما قال : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى = ١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } » (٢) .

فالمطلوب إذن من كافة أفراد الأمة ؛ التزكية التي هي الإيمان والعمل الصالح ، والعلم المطلوب في حقهم هو العلم

(١) الفتاوى : ١٨٥/١٦ .

(٢) المرجع السابق : الموضوع نفسه ، ص ١٨٤ .

الواجب بقدر تصحيح العمل من حيث إخلاص النية ومتابعة السنة . حتى يصبح خالصاً صواباً .

ولما كانت التزكية تحصل بالإيمان والعمل الصالح . وهذان الأخيران لا يمكن حصولهما إلا بالعلم ؛ كان لا بد من الجمع بينهما في الحديث عن منهج التزكية والعلم الذي هو فرض عين على كل أحد ، تحت عنوان التربية والتزكية النبوية .

أما منهج التعليم الذي هو فرض كفائي فما هو إلا امتداد وتوسّع للعلم الواجب . وسيُفرد ببابٍ مستقلّ .

#### أ - محتوى التربية والتزكية ومضمونها مرتباً :

- ١ - تعليم الهدى ودين الحق .
  - ٢ - التربية على العمل به .
  - ٣ - التربية على الدعوة إليه .
  - ٤ - التربية على الصبر والتواصي به .
- والتعليم يبدأ بالتوحيد والإيمان ، ثم بتعليم الأعمال وأحكامها .

وأما معنى الهدى ودين الحق ، فقال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ }<sup>(١)</sup> .

(١) التوبة : الآية ( ٣٣ ) .

قال الحافظ ابن كثير : « فالهُدى هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة ، والإيمان الصحيح ، والعلم النافع . ودين الحق هو الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة . يُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . أَي عَلَى سَائِرِ الأديانِ » (١)

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٦٣/٢ .

**بـ . شواهد المضمون والترتيب :**

قال الله تعالى : { وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } .

فهذه أربع مراتب ، قال الشوكاني : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } : أي جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح . { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ } أي وصى بعضهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به ، وهو الإيمان بالله والتوحيد ، والقيام بما شرعه الله ، واجتناب ما نهى عنه . { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } عن معاصي الله سبحانه ، والصبر على فرائضه ، والصبر على أقداره المؤلمة ، والصبر من خصال الخير ، نص عليه بعد النص على خصال التواصي بالحق ، ولمزيد شرفه عليها وارتفاع طبقته عنها . ولأن كثيراً ممن يقوم بالحق يُعَادَى فيحتاج إلى صبر ))<sup>(١)</sup> .

وقال ابن القيم : (( فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني ، من العلم النافع والعمل الصالح ، والإحسان إلى

(١) فتح القدير للشوكاني ، عن زبدة التفسير من فتح القدير للأشقر ، ص

٨٢١ ، باختصار .

نفسه بذلك ، وإلى أخيه به وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك ))  
(١)

وقال الحافظ ابن كثير : (( العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خيرٍ وشرٍ ، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر ، أي في خسارة وهلاك ، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ، وهو أداء الطاعات وترك المحرمات { وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ } أي على المصائب والأقدار ، وأدى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر )) (٢) .

وقد ذهب ابن القيم - رحمه الله - إلى التقسيم والترتيب نفسه ، واعتبره مراتب جهاد النفس ، فقال :

١ - أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها علمه ، شقيت في الدارين .

٢ - أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرّها لم ينفعها .

٣ - أن يجاهدها على الدعوة إليه ، وتعليمه من لا يعلمه ، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيانات ،

(١) التبيين في أقسام القرآن لابن القيم ، ص ٨٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤/٥٨٥ ، باختصار .

ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

٤ - أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله الله )) (١) .

وهذا فهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ومنهجه في دعوته ، إذ يقول :

(( اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل ؛ الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة . الثانية : العمل به . الثالثة : الدعوة إليه . الرابعة : الصبر على الأذى فيه . والدليل قوله تعالى : { وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ } .

ثم قال : قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم . وقال البخاري - رحمه الله تعالى - : باب : العلم قبل القول والعمل . والدليل قوله تعالى : { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل )) (٢) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : (( وتأمل حكمة القرآن لما قال : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } فإنه ضيق الاستثناء وخصصه

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، تحقيق شعيب و عبدالقادر الأرناؤوط : ١٠/٣ .

(٢) حاشية ثلاثة الأصول : عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - : ١٥/٩ .

، فقال : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ } . ولَمَّا قَالَ : { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } وَسَّعَ الاستثناء وعممه ، فقال : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ولم يقل : { وَتَوَّصَوْا } فَإِنَّ التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح ، وهو قدرٌ زائد على مجرد فعله .

فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصَارَ فِي خُسْرٍ ، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين . فَإِنَّ الإنسان قد يقوم بما يجب عليه ، ولا يأمر غيره ، فَإِنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة ، وقد تكون فرضاً على الأعيان ، وقد تكون فرضاً على الكفاية ، وقد تكون مستحبة .

والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب ، والحق الذي يُستحب ، والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب ، والصبر الذي يُستحب .

فهؤلاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ، ولم يأمروا غيرهم به ، وإن كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم .

فمُطْلَق الخسار شيء ، والخسار المطلق شيء .

وهو سبحانه إِمَّا قَالَ : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } ، ومن ربح في سلعته وخسر في غيرها قد يُطلق عليه أنه في خسر ، وأنه ذو خسر ، كما قال عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما

- : (( لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي فَرَارِيضٍ كَثِيرَةٍ )) (١) ، فهذا نوع تفريط ، وهو نوع خُسْرٍ بالنسبة إلى من حصل ربح ذلك )) (٢) .

فالإيمان والعمل الصالح ، هو الذي جعله الله سبباً في نيل رضاه ، والفوز بدار كرامته ، والنجاة من عذابه . وقد أتبع الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من تسعين موضعاً في القرآن الكريم ؛ تأكيداً لأهميته .

ومن هذه الآيات الكثيرة قول الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } (٣) . وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } (٤) .

وقوله تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ } (٥) . وقوله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

(١) البخاريّ : باب فضل اتباع الجنّاة . قال الحافظ : أي من عدم المواظبة على حضور الدفن ، لأنّ ابن عمر كان يُصلي على الميت ثمّ ينصرف .

(٢) التبيان في أقسام القرآن : ص ٨٥ - ٨٦ .

(٣) يونس : الآية ( ٩ ) .

(٤) النساء : الآية ( ١٢٢ ) .

(٥) الرعد : الآية ( ٢٩ ) .



أَسَاوَرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ { (١) .

**وقوله تعالى :** { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } (٢) .  
**وقوله تعالى :** { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (٣) .

فالإيمان والعمل الصالح هو سبب النجاة ، لأن صاحبه هو المستثنى ممن يُردُّ إلى أسفل سافلين كما بين ذلك ابن القيم - رحمه الله - ، واستشهد بالآية الكريمة : { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ = هـ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } .

وفي ترتيب دعوته ﷺ ، والبدء بالأهم فالمهم ، وتربيته أصحابه ، والتدرج معهم ، وكذا تعليمه إياهم القرآن وتفسيره وتبيينه ، وتفهمه لهم ، فقد ورد كثير من الأحاديث والآثار التي تُبين طريقته ﷺ في ذلك .

ومنه ما أوصى به معاذ بن جبل ﷺ عند ذهابه إلى اليمن . قال ﷺ : « ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ » .

(١) الحج : الآية ( ٢٣ ) .

(٢) الفرقان : الآية ( ٧٠ ) .

(٣) البقرة : الآية ( ٢٧٧ ) .

وَلْيَلِيَّةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ اقْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي  
أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» (١) .

وفي رواية لابن عباس - رضي الله عنهما - قال ﷺ : «  
فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى ...» (٢) .

وهذا منهجه ﷺ الذي سار عليه وطبقه مع أصحابه ،  
وأمرهم به ، وهو البدء بالأهم فالأهم ، مع التدرج .

فتعليم الإيمان مقدّم على تعليم الأحكام ، ومقدّم على  
الصلاة رغم أهميتها ، وتعليم الصلاة مقدّم على تعليم الزكاة  
، وهكذا .

قال جندب بن عبدالله البجلي ﷺ : « كنا فتياناً حزاورة  
مع نبيّنا ﷺ ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثمّ تعلمنا  
القرآن ، فازددا إيماناً ، وإتكم اليوم تعلمون القرآن قبل  
الإيمان» (٣) .

(١) البخاريّ : الزكاة : باب وجوب الزكاة : ٥٠٥/٢ ، رقم ١٣٣١ .

(٢) البخاريّ : التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبيّ ﷺ أمته إلى توحيد  
الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .

(٣) شُعَبُ الإِيمَانِ لِلْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ : ٧٥/١ ، رقم ٧٥ ، رقم ٥١ ، وقال  
مخرّجه محمّد السّيد زغلول : والحديث أخرجه ابن ماجه ( ٦١ ) عن  
عليّ بن محمّد عن وكيع عن حماد بن نجيح ، وكان ثقة به دون قوله «  
وإتكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان» .

وأخرجه ابن منده دون الزيادة المذكورة في كتات الإيمان ( ٣٧٠/١ )  
( ، برقم ٢٠٨ ، وقال مخرّجه عليّ ناصر الفقيهي : حسن .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : (( لقد عشنا برهه من دهرنا ، وإن أهدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ ، فيتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها ، كما تعلمون القرآن ، ثم قال : لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدري ما أمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ، ينثره نثر الدقل (١) )) (٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (( كان الرجلُ مينا إذا تعلم عشر آياتٍ لم يجاوزهنَّ حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهنَّ )) (٣) .

وعن أبي عبدالرحمن : عبدالله بن حبيب السلمي قال : (( حدّثنا الذين كانوا يُقرئونا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى

(١) الدقل من التمر ، معروف ؛ قيل : هو أردأ أنواعه ، انظر : لسان العرب لابن منظور : ٢٤٦/١١ ، مادة : دقل .

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم : ٩١/١ ، رقم ١٠١ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولا أعرف له علة ، ولم يخرجاه ، قال في التلخيص : على شرطهما ولا علة له .

(٣) تفسير الطبري : ٨٠/١ ، رقم ٨١ ، تحقيق أحمد ومحمود شاكر ، وقال : هذا إسناد صحيح ، وهو موقوف على ابن مسعود ولكنه مرفوع معنى لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ ، فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير .

يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً ))  
(١)

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (( والذي لا إله غيره ،  
ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت ؟ وأين  
أنزلت ؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله  
المطايا لأتيته )) (٢)

وعن سعيد بن جبير قال : (( من قرأ القرآن ثم لم يفسره  
، كان كالأعمى أو كالأعرابي )) (٣)

قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - : (( وفي حث الله عز وجل  
عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبيانات  
، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يُحجب عنهم  
تأويله من آية . لأنه مُحال أن يُقال لمن لا يفهم ما يقال له  
ولا يعقل تأويله : اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من  
القبيل والبيان والكلام إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه

(١) المصدر السابق : ٨٠/١ ، رقم ٨٢ ، وقال المحقق : هذا إسناد  
صحيح متصل .

(٢) تفسير الطبري : ٨٠/١ ، رقم ٨٣ ، قال محققه شاکر : أخرجه  
البخاري ، انظر : فتح الباري : ٤٥/٩ - ٤٦ ، ولفظه (( تبلغه الإبل  
لركبت إليه )) .

وانظر البخاري : فضائل القرآن : القراء من أصحاب النبي ﷺ :  
١٩١٢/٤ ، رقم ٤٧١٦ ، ( وسيأتي ) .

(٣) المصدر السابق : ٨١/١ ، رقم ٨٧ ، وقد وثق رجاله المحقق شاکر .

ثمَّ يتدبَّره ويعتبر به ، فأما قبل ذلك فمستحيلٌ أمره بتدبره وهو بمعناه جاهلٌ)) (١) .

وبهذه الأحاديث والآثار تتبين طريقة النبي ﷺ ومنهجه في تعليم الهدى ودين الحق والتربية عليه . فقد كان ﷺ يدعو إلى التوحيد أولاً . فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا إيماناً مجملاً شرع في تعليمهم القرآن والأحكام فزادوا إيماناً مفصلاً مع إيمانهم ، وهداية إلى هدايتهم ، وترسخت معرفة الله في قلوبهم ومحبته وخشيته ، وأخذوا في تعلم الأعمال الصالحة ، فكانوا لا يتجاوزون عشر آيات في المجلس الواحد ؛ حتى يتعلموا تلاوتها والنطق بها على الوجه الصحيح ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، ويتعلمون معانيها ، وما لم يُحجب عنهم تأويله منها ؛ فيعتبرون بأمثالها ، ويتعظون بمواعظها ، ويتعلمون ما فيها من أحكام وحلالٍ وحرام ، وأمرٍ وزاجرٍ ، فيقفون عند حدوده ، ويأتمرون بأمره ، ويعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه . فلا يُغادرونها حتى يفهمونها ويعملون بما فيها من عملٍ للقلب أو الجوارح .

حتى إذا تمَّ لهم ذلك انتقلوا إلى غيرها من الآيات ، وبهذا يتبين أنَّهم لم يكونوا ليأخذوا القرآن سرداً لا يفهمون معانيه ، ولا يتدبرونه ولا يعملون به . أو يأخذونه وكأنه شيئاً

(١) المصدر السابق : ٨٢/١ ، باختصار .

مستقلاً معزولاً عن العمل كأن أخذهم له هو العمل . فلا هذا ولا ذاك ؛ وإنما يأخذون العلم منه ﷺ ، ويشاهدون مثلاً واقعياً ، وتطبيقاً عملياً أمامهم ، فيقتدون به ويتمرسون خطاه ، ويتأسسون بقوله وعمله وتقريره . فيطبقونه على الفور ، ولا يُرجئون العمل به ليستكملوا العلم ، كما يزعم فئام من الناس في هذه الأعصار .

وكان ﷺ مع ذلك يحثهم على العلم وطلبه ، وعلى العمل الصالح ، ويرغبهم فيه ، ويحضهم عليه ، ويُبشّرهم بما أعدّ الله لهم ، إن هم أطاعوه ، وينذرهم ويخوّفهم غضبه وعقابه إن هم عصوه . ويحثهم على الدعوة إليه والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

وهكذا سار ﷺ مع أصحابه في تربيته العلمية والعملية ، يجمع بين العلم والعمل ، والدعوة والجهاد ، وسائر أعمال البرّ ، كلُّ بما يستطيع . مبتدئاً بالأهم فالمهم مع التدرج فيه . فالتوحيد والإيمان أولاً ، ثمّ تعليم الأحكام والأعمال الصالحة ؛ كما هو ظاهر حديث جندب بن عبدالله ﷺ ، مع إصلاح القلب - أداة التعلّم - ليصلح لتلقي العلم وترجمته إلى عمل ، وتزكية النفس من الرذائل ، والتربية على الأدب ومكارم الأخلاق . ثمّ الدعوة والتواصي بالحق الذي علموه وعملوا به . والتواصي بالصبر على تعلّم هذا الحق والعمل به ، والدعوة إليه ، والجهاد لنشره ، والصبر على ما ينالهم من الأذى والعنت في ذلك .

وتهيئتهم التهيئة الأخلاقية الاجتماعية للعيش في جماعة  
متعاونة على البرِّ والتقوى ، فخرَّجَ ﷺ من مدرسة النبوة  
جيلاً فريداً مجاهداً ، قد أحكم العلم والعمل معاً . وفيما يلي  
فصول هذا الباب ومباحثه ، وأولها تعليم الهدى ودين الحق



## الفصل الأول

### التربية والتزكية النبوية

المبحث الأول : ( تعليم الهدى ودين الحق ) .

المطلب الأول : ( تعليم الهدى ) .

**المسلك الأول : الدعوة إلى التوحيد<sup>(١)</sup> :**

أمر الله رُسُلَهُ بدعوة أقوامهم إلى التوحيد فقال ﷺ : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }<sup>(٢)</sup> .

وأمرهم بعبادته وحده ، فقال تعالى : { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }<sup>(٣)</sup> .

وقال : { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ }<sup>(٤)</sup> ، والآيات في هذا كثيرة . وأمر النبي ﷺ معادًا حين أرسله إلى اليمن أن يبدأ بدعوتهم إلى

---

(١) هذا المسلك محلّه في دعوة غير المسلمين ، وإثما وضع هنا لاكتمال الموضوع في مكان واحد ، لذا فسيكون على سبيل الإيجاز .

(٢) الأنبياء : الآية ( ٢٥ ) .

(٣) الأعراف : الآية ( ٥٩ ) .

(٤) هود : الآية ( ٥٠ ) .



التوحيد ، فقال ﷺ : « فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ ... » (١) .

وقال ﷺ : « إنا معشر الأنبياء ديننا واحد ، والشرائع مختلفة » .  
والدين الواحد هو التوحيد والإيمان .

فحياة نبينا ﷺ منذ أن أرسل تدل على بدايته بالتوحيد واهتمامه به وأنه أصل الأصول ، والمقصود الأعظم من دعوته ﷺ ، وهو أصل التزكية وأساسها ، ذلك أن التوحيد والإيمان أعظم الحسنات وجميع الفضائل تتبع منه ، وأعظم السيئات الكفر ، ومنه تتبع جميع الرذائل فليس بعد الكفر ذنب ، فالبدء بإزالته فرض لازم ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَنَاتِ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَعْظَمُ السَّيِّئَاتِ الْكُفْرُ » (٢) ، « وَإِنْ فَعَلَ الْحَسَنَاتِ يُوجِبُ تَرْكَ السَّيِّئَاتِ » (٣) ، « وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَدْ يَمْتَنِعُ بِذَلِكَ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا مِنْ جِهَةِ اجْتِمَاعِهِمَا ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ ضِدَّ الْكُفْرِ ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ ضِدَّ السَّيِّئِ ، فَلَا يَكُونُ مُصَدِّقًا مَكْذِبًا ، مُحِبًّا مَبْغُضًا . وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ اقْتِصَادِيَةِ الْحَسَنَةِ تَرْكَ السَّيِّئَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(١) البخاريّ : التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .

(٢) الفتاوى : ٨٦/٢٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

{ ، وهذا محسوس فإنَّ الإنسان إذا قرأ القرآن وتدبَّره كان ذلك من أقوى الأسباب . المانعة له من المعاصي أو بعضها ، وكذلك الصوم جنة ، وكذلك نفس الإيمان بتحريم المحرّمات وبعذاب الله عليها يصدّ القلب عن إرادتها ، فالحسنات إمّا ضدّ السيئات ، وإمّا مانعة منها ، فهي إمّا ضدّ وإمّا صدّ }<sup>(١)</sup> .

وكذلك فإنَّ جميع الأعمال والفضائل وأنواع التزكيات الكثيرة ، كلّها ليس لها قيمة بدون الإيمان ، قال الله تعالى : { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }<sup>(٤)</sup> .

ولأنَّ الإيمان سببٌ في هداية القلب ، قال الله تعالى : { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ }<sup>(٥)</sup> ، وإذا اهتدى القلب فالجوارح تابعة له . قال ﷺ : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ »<sup>(٦)</sup> .

- 
- (١) المصدر السابق : ١٢٣/٢٠ - ١٢٤ .
  - (٢) الفرقان : الآية ( ٢٣ ) .
  - (٣) المائدة : الآية ( ٥ ) .
  - (٤) التغابن : الآية ( ١١ ) .
  - (٥) النور : الآية ( ٣٩ ) .
  - (٦) البخاريّ : الإيمان : باب فضل من استبرأ لدينه : ٢٨/١ ، رقم ٥٢ .

وقال تعالى : { وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ } <sup>(١)</sup> ، وقال : { وَالَّذِينَ  
 اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } <sup>(٢)</sup> ، وقال سبحانه : { وَالَّذِينَ  
 جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } <sup>(٣)</sup> .

فمن يجاهد لمعرفة الطريق الموصلة إلى الله فسيهديه الله  
 لا محالة .

وحصول الهداية يحتاج إلى إيمان مجمل ومجاهدة في الله .  
 فذلك أحد الأسباب الداعية إلى البدء بالدعوة إلى التوحيد ،  
 وهذا كان ظاهر سيرة المصطفى ﷺ .

(١) الرعد : الآية ( ٢٧ ) .

(٢) محمد : الآية ( ١٧ ) .

(٣) العنكبوت : الآية ( ٦٩ ) .

التطبيقات النبوية :

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : (( وقال ابن خزيمة حدثنا رجاء العدري - حدثنا عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين ، حدثني أبي عن أبيه عند جدّه - أنّ قريشًا جاءت إلى الحصين وكانت تعظمه ، فقالوا له : كَلِّمْ لنا هذا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ يَذْكَرُ آلَهُنَا وَيَسُبُّهُمْ ، فجاءوا معه حتّى جلسوا قريبًا من باب النَّبِيِّ ﷺ ، فقال : أوسعوا للشيخ ، وعمران وأصحابه متوافرون ، فقال : حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ إِنَّكَ تَشْتَمُ آلَهُنَا وتذكرهم وقد كان أبوك حصين (١) خيرًا لقومه منك ، فقال : يا حُصَيْنُ إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ . يا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ ؟ قال : سَبْعًا فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ .

قال : فإذا أصابك الضّر من تدعو ؟ قال : الذي في السماء .

قال : فإذا هلك المال من تدعو ؟ قال : الذي في السماء .

قال : فيستجيبُ لك وحده وتُشْرِكُهُمْ معه ؟ أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ قال : ولا واحدة من هاتين . قال : وعلمتُ أنني لم أكلم مثله .

(١) والصحيح ما رواه النَّسَائِيُّ في اليوم والليلة عن عمران بن حصين عن أبيه أنّه أتى النَّبِيَّ ﷺ فقال : يا مُحَمَّدُ ، عبدالمطلب كان خيرًا لقومه منك ... الحديث . وفيه ذكر إسلامه ، وتابعهما شيبان بن عبدالرحمن وغيره عن منصور ، انظر : تهذيب الكمال للمزي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، عن مؤسسة الرسالة : ٥٢٥/٦ ، رقم ١٣٦٢ .

قال : يا حصين أسلم تسلم ، قال : إنَّ لي قومًا وعشيرة ، فماذا أقول ؟

قال : قل : اللهم إني أستهديك لأرشد أمري ، وزدني علمًا ينفعني ، فقالها حصين . فلم يقم حتى أسلم ، فقام إليه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه ، فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى ، وقال : بكيت من صنع عمران ، دخل حصينٌ وهو كافرٌ فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته ، فلما أسلم قضى حقه ، فدخلني من ذلك الرقة ؛ فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه : قوموا فشيّعوه إلى منزله ، فلما خرج من سدة الباب رآته قريش فقالوا : صبا ؛ وتفرقوا عنه <sup>(١)</sup> .

(١) الإصابة في تمييز الصحابة : طبعة دار الكتب العلمية : ٧٦/٢ ، رقم الترجمة ١٧٤٠ ، وقال : اختلف في إسلامه ، وذكر رواية للنسائي وفيها « فما أقول الآن وأنا مسلم ؟ » ، وقال : وسنده صحيح من الطريقتين ، وذكر عن الطبراني أنه قال : الصحيح أن حصينًا أسلم . وذكر بشار عواد في تعليقه على تهذيب الكمال : بل الصواب أنه أسلم ، قال ابن حجر : « ومما يُعضد ذلك رواية أبي معاوية عن شبيب بن شيبه عن الحسن بن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ لأبي : يا حصين كم تعبد اليوم إلها ، قال : سبعة ؛ ستة في الأرض وواحد في السماء ... الحديث » ، قال : فلما أسلم حصين قال الرسول ﷺ علمني الكلمتين ... الحديث أخرجه الترمذي من حديث أبي معاوية ، وقال : حسن غريب ، وقال الطبراني ، تفرد به أبو معاوية ، قال : قلت : وهو شاهد جيد لحديث إسرائيل . وقال ابن سعد في الطبقات : عمران بن حصين أسلم قديمًا هو وأبوه وأخته « تهذيب : ٣٨٢/٢ . انظر : تهذيب الكمال ، الحاشية : ٥٢٦/٦ .

هذا الحديث نصُّ تطبيقي عملي في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والكفر بالطاغوت ، وشاهد على حكمته ﷺ في الدعوة ، يتضح ذلك من عدة أمور :

منها تلطفه ﷺ بالرجل وإنزاله منزلته في قومه إذ كانت قریش تعظمه كما ذكر في مقدمته ، فأمر بالتوسعة له ، ولقبه بأحسن الألقاب لمكانته وكبر سنِّه فقال : « أوسعوا للشيخ » تمهيداً لجذب قلبه للإسلام .

ومنها إخباره ﷺ بالمغيبات تنبيهاً لحصين على ترك دين الآباء والأجداد وتخويفاً له من المصير الذي وقع فيه أبوه ، والإخبار بالمغيبات مع علمه بصدقه ينشئ هيبة ووقار في قلب المخاطب .

ومنها فهم النبي ﷺ بأحوال الناس ومعتقداتهم ، والدخول إليهم من خلالها .

ومنها وأهمها الإقناع العقلي والحوار الذي دار بين النبي ﷺ وبينه وإقناعه بتهافت الأصنام وضآلتها وعدم نفعها أنفسها فضلاً عن نفع من يعبدها . وترك له الإجابة وألجأه إلى التفكير بطريقة صحيحة والحكم بالعدل عندما عقد المقارنة ، بعد أن اجتث المفاهيم الوثنية وطهر عقله منها .

وفي الحديث : تثبيت النبي ﷺ له ودعمه لإسلامه ، وذلك بأمره أصحابه بتشجيعه ، وكذلك تحقق صورة البراء والولاء لهذا الدين من عمران ﷺ .

وفيه أيضاً رقة النبي ﷺ وشفقته بأصحابه وحبّه لهم .

أخرج الحاكم عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال : انطلق أبو ذرّ ونعيم ابن عمّ أبي ذرّ وأنا معهم نطلب رسول الله ﷺ وهو بالجبل مكتتم ، فقال أبو ذرّ : يا محمّد أتيناك نسمع ما تقول وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله ﷺ : أقول : لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فأمن أبو ذرّ وصاحبه ، وآمنت به ، وكان عليّ في حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها ، وأوحى إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء)) (١) .

لم يجب النبي ﷺ أبا ذرّ عندما سأله إلى ما تدعو ، إلا بالتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله ﷺ . وقد يقرن به بعض شعب الإيمان كصلة الأرحام . فهذا عمرو بن عبسة يخبر عن قصة إسلامه ، يقول : (( ... فقدمت عليه . فإذا رسول الله ﷺ مستخوياً جراًءاً عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ (٢) قال : أنا نبيّ فقلت : وما نبيّ ؟ قال : أرسلني الله ، فقلت : وبأيّ شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء ، فقلت له : فمن معك على هذا ؟ قال : حرٌّ وعبدٌ ، قال ومعه

(١) المستدرک للحاکم : ١٢١/٣ ، رقم ٤٥٨٦ ، وقال الحاکم : « صحیح

الإسناد ولم يخرجاه » ، قال في التلخيص : صحیح .

(٢) قال محمّد فؤاد عبدالباقي : هكذا في الأصول ، ما أنت . وإنما قال :

ما أنت ، ولم يقل : من أنت ، لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته .

والصفات مما لا يعقل . انظر : صحیح مسلم : ٥٦٩/١ .

يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي مُتَّبِعُكَ ، قَالَ :  
 إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا ، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ ؟ وَلَكِنْ ارْجِعْ  
 إِلَى أَهْلِكَ . فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي . قَالَ : فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي  
 ... )) (١) .

قال النووي - رحمه الله - في شرحه على مسلم : (( فيه  
 دلالة ظاهرة على الحث على صلة الأرحام ؛ لأن النبي ﷺ  
 قرنها بالتوحيد ، ولم يذكر له حزيات الأمور ، وإنما ذكر  
 مهمها ، وبدأ بالصلة )) (٢) . وبداءته ﷺ بصلة الأرحام تمهيداً  
 للمقصود الأعظم ، فالعرب تحب مكارم الأخلاق ، كالشجاعة  
 والكرم ، والوفاء بالوعد والعهد وحمي الذمار وصلة الأرحام  
 . فبدأ بخلق معروفٍ ومحبوبٍ عندهم - وهو حق في ذاته ،  
 فقد عدّه البيهقي إحدى شعب الإيمان (٣) - تألفاً لقلبه وترقيقاً له  
 لتنتشرح نفسه لتقبل المقصود الأعظم ، وهو التوحيد والإيمان  
 بالله ورسوله إيماناً مجملاً يدخله في الإسلام وينقله من دائرة  
 الكفر إلى حضرة الإيمان .

والإيمان على سبيل الإجمال (( الإيمان المجمل )) قال فيه

- 
- (١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو  
 بن عبسة : ٥٦٩/١ ، ح ٨٣٢ .
- (٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : كتاب صلاة المسافرين :  
 باب إسلام عمرو بن عبسة : ٥ ، ٣٥٥/٦ ، رقم ١٩٢٧ .
- (٣) انظر : شعب الإيمان للبيهقي : ٢١٣/٦ ، الشعبة رقم ٥٦ ، طبعة  
 دار الكتب العلمية ، بيروت .



شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( أمّا الإجمال فإنه يجب على المكلف أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما أمر به الرسول ونهى ؛ بحيث يقرّ بجميع ما أخبر به وما أمر به . فلا بُدّ من تصديقه فيما أخبر ؛ والانقياد له فيما أمر ، )) والكف عما نهى عنه وزجر )) (١) ((٢) .

(( وأما التفصيل فعلى كلّ مكلف أن يقرّ بما ثبت عنده ؛ من أن الرسول ﷺ أخبر به وأمر به ، وأمّا ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به ؛ ولم يمكنه العلم بذلك ؛ فهو لا يُعاقب على ترك الإقرار به مفصلاً ، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام ، ثمّ إن قال خلاف ذلك متأولاً كان مخطئاً يُغفر له خطأه ؛ إذا لم يحصل منه تفريط ولا عُدوان ، ولهذا يجب على العلماء من الاعتقاد ما لا يجب على آحاد العامة ، ويجب على من نشأ بدار علم وإيمان من ذلك ما لا يجب على من نشأ بدار جهل . وأمّا ما علم ثبوته بمجرد القياس العقلي دون الرسالة ؛ فهذا لا يُعاقب إن لم يعتقده )) (٣) .

وروى الإمام أبي بكر محمد بن الحسين الأجرّي بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (( إنَّ الله ﷻ بعث نبيّه محمّداً ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدّق بها

(١) هذه زيادة لا بُدّ منها ليكتمل المعنى .

(٢) الفتاوى : ٣ : مجمل اعتقاد السلف . ص ٣٢٧ .

(٣) المصدر السابق في الموضوع نفسه ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

المؤمنون زادهم الصلاة ، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام ، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة ، فلما صدّقوا بها زادهم الحج ، فلما صدّقوا به زادهم الجهاد ، ثمّ أكمل لهم دينهم ، فقال جلّ وعلا سبحانه : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } ((<sup>(١)</sup>).

وروى بسنده أيضاً عن أبي عبدالله محمد بن عبدالمك المصيصي قال : (( كُنَّا عند سفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة ، فسأله رجلٌ عن الإيمان ؟ فقال : قول وعمل ، قال : يزيد وينقص ؟ قال : يزيد ما شاء الله ، وينقص حتّى لا يبقى منه مثل هذه ، وأشار سفيان بيده . قال الرّجل : كيف نضع بقوم عندنا يزعمون أنّ الإيمان قولٌ بلا عمل ؟ قال سفيان : كان القول قولهم قبل أن تقرّر أحكام الإيمان وحدوده . إنّ الله ﷻ بعث نبينا محمّداً ﷺ إلى الناس كلّهم كافّة أن يقولوا : لا إله إلاّ الله ، وأتّه رسول الله ، فلما قالوها ، عصموا بها دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها ، وحسابهم على الله ﷻ ، فلما علم الله ﷻ صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالصلاة ، فأمرهم ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم .

فلما علم الله جلّ وعلا صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن

(١) الشريعة للأجري : تحقيق محمّد حامد الفقي : دار الكتب العلمية ،

يأمرهم بالهجرة إلى المدينة ، فأمرهم ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم .

فلما علم الله تبارك وتعالى صدق ذلك من قلوبهم ، أمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبناءهم ، حتّى يقولوا كقولهم ، ويصلّوا صلاتهم ، ويهاجروا هجرتهم ، فأمرهم ففعلوا ، حتّى أتى أحدهم برأس أبيه ، فقال : يا رسول الله ، هذا رأس شيخ الكافرين ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتلهم .

فلما علم الله ﷻ صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبداً ، وأن يحلقوا رؤوسهم تذلاً ، ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتلهم آباءهم .

فلما علم الله ﷻ صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة يطهّرهم بها ، فأمرهم ففعلوا ، حتّى أتوا بها ، قليلاً وكثيراً ، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتلهم آباءهم ، ولا طوافهم .

فلما علم الله تبارك وتعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده ، قال ﷻ : قل لهم : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا }

قال سفيان : فمن ترك حُلة من خلال الإيمان كان بها

عندنا كافرًا ، ومن تركها كسلاً أو تهاونًا بها أدبناه ، وكان بها  
عندنا ناقصًا ، هكذا السنّة أبلغها عنّي من سألك من الناس ))  
(١)



---

(١) الشريعة للأجرّي ، ص ١٠٣ - ١٠٤ بتمامه لأهميته .

## المسلك الثاني: ( التربية النبوية على تحقيق التوحيد ) :

المسألة الأولى : معرفة التوحيد ، وكيفية التحقق به ، وقول الله تعالى :  
{ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ ... } :

تحقيق التوحيد هو هدف التربية النبوية ؛ ولا يتحقق إلا  
بأمرين :

**الأول : معرفته والتحقق به ، والثاني : تجريده .**

فأما معرفته والتحقق به : فإنَّ التوحيد : (( وهو مناقض  
التثليث الذي تعتقه النصارى )) (١) هو : إفراد الله بالعبادة  
بمقتضى ربوبيته وأسمائه وصفاته ، وأفعاله وإلهيته . وهو  
ثلاثة أقسام :

### توحيد الربوبية :

(( هو توحيد الله بأفعاله )) (٢) ، واعتقاد تفرده  
واختصاصه بها دون شريك ، (( فيعتقد أنه المتفرد بالخلق  
والملك والتدبير )) (٣) ، (( وصاحب هذا التوحيد يشهد قيومية  
الربّ تبارك وتعالى فوق عرشه يُدبّر أمر عباده وحده ، فلا  
خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا مميت ، ولا محيي  
ولا مدبّر لأمر المملكة ظاهراً وباطناً غيره ، فما شاء كان  
وما لم يشأ لم يكن ، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا يجري  
حادث إلا بمشيئته ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ، ولا يعزّب

(١) تجريد التوحيد المفيد ، للمقريري ، ص ٤٥ .

(٢) مجموعة التوحيد ، لابن تيمية ، ص ٧ .

(٣) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد ، ص ٨ بتصرف يسير .

عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته ، ونفذت فيها مشيئته واقتضتها حكمته ((<sup>(١)</sup>).

فإذا ظهر للعبد من سرّ الربوبية أنّ الملك والتدبير كله بيد الله تعالى ، فلا يرى نفعًا ، ولا ضرًا ، ولا حركة ، ولا سكوتًا ، ، ولا قبضًا ، ولا بسطًا ولا خفضًا ولا رفعًا إلا والله ﷻ فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وخافضه ، فهذا الشهود هو سرّ الكلمات الكونيات ... وهو علم صفة الربوبية ((<sup>(٢)</sup>).

فقوله تعالى : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } إشارة إلى ( عبادته ) بما اقتضته الربوبية ؛ من التوكل والتفويض والتسليم لأنّ الربّ ﷻ هو المالك ، وفيه أيضًا معنى الربوبية والإصلاح والمالك الذي يتصرّف في ملكه كما يشاء .

والتحقيق بالتوكل والتفويض والتسليم : يكون بعد كشف علم الربوبية ، وهو علم التدبير الساري في الأكوان ؛ كما قال ﷻ : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } .

فإذا تحقّق العبد لهذا المشهد ، ووقفه لذلك بحيث لا يحجبه هذا المشهد عن المشهد الأوّل ( يقصد مشهد الألوهية وسيأتي ) فهو الفقيه في عبوديته ؛ فإنّ هذين المشهدين

(١) بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي : ١٧٢/٥ .

(٢) الفتاوى : ٨٩/١ .

عليهما مدار الدين ، فإنَّ جميع مشاهد الرحمة واللفظ والكرم والجمال : داخل في مشهد الربوبية . ولهذا قيل : إنَّ هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، لأنَّ أولَّها اقتضى عبادته بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء كما ذكرنا ؛ وآخرها اقتضى عبوديته بالتفويض والتسليم وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة في ذلك )) (١) .

(( ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه والافتقار إليه ، والاستعانة به ، والذل والخضوع والانكسار له ، وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته ، وإلهيته في ربوبيته ، وحمده في ملكه ، وعزّه في عفوّه ، ونعمته في بلائه )) (٢) .

### توحيد الألوهية :

وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كالدعاء ، والنذر ، والنحر ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والإناية )) (٣) ، (( والمحبة والأمر والنهي )) (٤) ، وهو توحيد الله بالعبادة .

- 
- (١) الفتاوى : ٨٩/١ - ٩٠ ، بتصرُّف .  
 (٢) الفوائد ، ص ٩٣ .  
 (٣) مجموعة التوحيد لابن تيمية ، ص ٧ .  
 (٤) الفتاوى : ٨٩/١ .

وحقيقته (( فإنَّ الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته :  
 لأنَّه المألوه المعبود )) ، الذي تأله القلوب وترغب إليه ،  
 وتفزع إليه عند الشدائد ، وما سواه فهو مفتقرٌ مقهورٌ  
 بالعبودية فكيف يصلح أن يكون إلهاً؟! قال تعالى : { قُلْ إِنِّي  
 أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } فقوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
 { إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلهيته : من المحبة والخوف  
 والرجاء والأمر والنهي ، فهذا الشهود هو سرُّ الكلمات  
 التكليفيات ... هو علم صفة الإلهية ، فالتحقيق بالأمر والنهي  
 ، والمحبة والخوف والرجاء يكون عن كشف علم الإلهية ))  
 (١)

أي أن هذا التوحيد ينشأ من استحضار العبد معاني  
 الألوهية واستحقاق الله للعبادة لما هو عليه بذاته وجلاله .

قال ابن الأثير : ( وأصله من إله يأله ، إذا تحير ) يريد  
 إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات  
 الربوبية وصرف وهمه إليها ، أبغض الناس حتى لا يميل  
 قلبه إلى أحد )) (٢)

فإنَّه ﷻ هو الإله الحق المتَّصف بصفات الجمال  
 والكمال ، صفات الألوهية الكاملة القائم بذاته سبحانه الغنيُّ  
 عمَّن سواه ، وكلُّ من سواه فقير ومحتاج إليه .

(١) المرجع السابق في الموضوع نفسه مع تقديم وتأخير .

(٢) لسان العرب : ٤٦٧/١٣ ، مادة إله .



فُطرت القلوب على محبته والتعلق به ، وجُبلت على الاضطراب وعدم الاستقرار حتى توحدته بالعبادة ، فتستقر وتطمئن وتهدأ من حركتها الدؤوبة ، فهو المحبوب المألوه بذاته ، وهو مفرع عباده عند الشدائد ولا يصلح غيره لهذا ، فغيره محتاج إليه بالاضطرار ، « ومبنى هذه العبادة على شيئين : المحبة والتعظيم ، ففي المحبة يكون الرجاء وفعل الأوامر طلباً للوصول إلى محبة الله ﷻ وثوابه ، والتعظيم به يترك الإنسان المناهي التي نهى الله عنها ويخاف من عقابه » (١) ، ذلك أن القلوب إذا عظمت الله وأجلته ، وهابته وخشيته ؛ فعظمت أمره ونهيه وشرائعه وامتثلت أوامره واجتنبت مناهيه وهذه هي العبادة ، إذ حقيقة العبادة هي كمال المحبة مع غاية الدل .

#### توحيد الذات والأسماء والصفات :

هو إفراد الله في ذاته وأسمائه وصفاته بإثبات ما أثبتته لنفسه أو أثبتته رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو رسوله إثباتاً بلا تمثيل ، ونفياً بلا تعطيل .

وتعبده بأسمائه وصفاته لقوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا } ، والدعاء يتضمن دعاء العبادة ، ودعاء المسألة .

وأما الصفات فقد دلّ عليها إقراره ﷺ لقول الصحابي في الحديث الذي أخرجه البخاري في سورة الإخلاص أنها

(١) الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد ، ص ١٦ .

صفة الربّ وأنه يحبُّها لأنَّها صفة الله ، وقد أحبَّه الله لحبِّه لها .

قال ابن القيم - رحمه الله - في الفوائد : (( كلَّ اسم له تعبُّدٌ مختصُّ به علمًا ومعرفةً وحالاً . فيتعبَّد بجميع الأسماء والصفات لا تحجبه عبودية اسم عن اسم ، ولا صفة عن صفة . وهذه طريقة العبادة عند الكمّل من النَّاس )) (١) .

كيفية التحقُّق بالتوحيد :

جماع أنواع التوحيد كلّها في توحيد العبادة لله بمقتضى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

قال عليه السلام لأبي هريرة (( اذْهَبْ بِنَعْلِيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وِرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيِقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ )) (٢) ، وفي لفظ «مُخْلِصًا» (٣) ، وفي بعضها : «حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ» (٤) .

قال الحافظ ابن رجب : وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحقيقه بمعنى الشهادتين : فتحقيقه بقول لا إله إلا الله ؛ أن لا يأله القلب غير الله حبًّا ورجاءً ، وخوفًا ، وتوكلًا

(١) مدارج السالكين : ٤٢٠/١ .

(٢) مسلم : ٥٩/١ ، ٦٠ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ، ح ٣١ .

(٣) أخرجه أحمد : ٢٣٦/٥ ، والحميدي ٣٦٩ ، ومن طريقه الطبراني في الكبير : ٦٣/٢٠ ، وابن منده في الإيمان : ١١١/١ ، وأبو نُعيم في الحلية : ٣١٢/٧ ، كلَّ ذلك عن ( كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ) تخريج عماد طه فرّه ، ص ٢٥ .

(٤) أحمد : ٦٣/١ ، وابن جَبَّان في صحيحه : ٢٠٤/١ ، والحاكم : ٧٢/١ عن المرجع السابق ، ص ٢٦ .

واستعانة وخضوعًا ، وإنابة ، وطلبًا . وتحقيقه بأن محمدًا رسول الله ، أن لا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ .

ثم قال في تحقيق كلمة الإخلاص : (( وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله ، والإله هو الذي يُطاع فلا يُعصى هيبته له وإجلاله ، ومحبة وخوفًا . ورجاءً وتوكلًا عليه ، وسؤالاً منه ودعاءً له ، ولا يصلح ذلك كله لغير الله ﷻ ، فمن أشرك مخلوقًا في شيءٍ من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ، ونقصًا في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك . ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه والعمل لأجله كما ورد إطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة ، مثل أن يقول : ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله : مالي إلا الله وأنت ، وكذلك ما يقدر في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة ، والرقي المكروهة ، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذا اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قاذح في تمام التوحيد وكمالها . ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب

التي منشؤها هوى النفس أنّها كفر وشرك كقتال المسلم» (١) .  
 وقال ابن رجب - رحمه الله - : « اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد فإنّه لا يوصل إلى الله سواه ، واحرصوا على القيام بحقوقه ، فإنّه لا يُنجي من عذاب الله إلاّ إياه » (٢)

فالتحقّق بتوحيد الربوبية يتم : باستحضار عظمة الله ﷻ وأنّه ربُّ العالمين ، وأنّه خالقهم ورازقهم ومالكهم ومدبّر شؤونهم . قال الإمام المقرئزي - رحمه الله - : « فإنّ الربّ ﷻ هو الخالق الموجد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم ، المتكفل بصلاحهم ، من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا » (٣) .

فإذا استحضر العبد أنّه ربّ العزّة والجلال والعظمة والكبرياء ، وتذكّر هذه المعاني بحضور قلب خضع قلبه وذلت نفسه لعظمته .

وأضاف ابن القيم - رحمه الله - : « والانكسار لعزّته والخضوع لكبريائه وخشوع القلب والجوارح له ، فتعلوه

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ، تخريج عماد طه فرّه ، ص٢٧ - ٣٣ .

(٢) التمهيد في الكلام على التوحيد ، لجمال الدين يوسف بن عبدالهادي الدمشقي الحنبلي ، ص٢٢٢ . قال المحقق : هي في شرح كلمة الإخلاص ، ص٥٤ .

(٣) تجريد التوحيد المفيد للمقرئزي ، ص٤٣ .

السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ، ويذهب طيشه وقوته وحدته )) (١) .

وإذا استحضر كفاية الله وحسبه ؛ (( والقيام بمصالح العباد ، وسوق أرزاقهم إليهم ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعيته الخاصة لهم انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض إليه والرضا به وبكل ما يجريه على عبده )) (٢) .

وإذا استحضر العبد وتذكر عدل الله وحكمته في قضائه وقدره وبسطه الرزق لمن يشاء وقبضه عن غيره . وبسطه العلم والجسم لبعض ، وإيتائه الملك لمن يشاء من عباده ونزعه ممن يشاء ، وإملائه للظالم على ظلمه ، ومدّه له بالقوة والمال ، ورفع له لأقوام وخفضه لآخرين ؛ علم أن الله في خلقه شئون وله حكمته فيهم فسلم واستسلم وفوض أمره إلى الله ﷻ ورضي بقضاء الله وقدره .

فتوحيد الله في عبادته من جهة صفات ربوبيته تقتضي التوكل عليه والتفويض إليه ، والتسليم والافتقار واللجأ إليه ، والانكسار والخضوع والتذلل له ، والاستعانة به .

أما التَّحَقُّق بتوحيد الإلهية ؛ فإنه يتم باستحضار معاني الألوهية وأن الله هو المعبود المحبوب لذاته لكونه مستحقاً للعبادة والمحبة ولا يستحقها غيره . قال ابن القيم

(١) الفوائد ، ص ٩٢ .

(٢) الفوائد ، ص ٩٢ .

- رحمه الله - : (( وأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ لِدَاوَاتِهِ وَيُحِبُّ لِدَاوَاتِهِ وَيُشْكِرُ لِدَاوَاتِهِ ، وَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ مَا يُحِبُّ لِدَاوَاتِهِ وَيُحْمَدُ لِدَاوَاتِهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ ، وَكُلُّ مَا يُحِبُّ سِوَاهُ ، فَإِنْ كَانَتْ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةً لِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ بَحِيثٌ يَحِبُّ لِأَجَلِهِ ، فَمَحَبَّتُهُ صَحِيحَةٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ مَحَبَّةٌ بَاطِلَةٌ .

وهذا هو حقيقة الإلهية . فَإِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي يُحِبُّ وَيُحْمَدُ لِدَاوَاتِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ إِحْسَانُهُ وَإِنْعَامُهُ وَحِلْمُهُ وَتَجَاوُزُهُ وَعَفْوُهُ وَبِرُّهُ وَرَحْمَتُهُ ؟ فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُحْمَدُهُ لِدَاوَاتِهِ وَكَمَالِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّه لَا مُحْسَنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِأَصْنَافِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ إِلَّا هُوَ ، فَيُحِبُّهُ لِإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ وَيُحْمَدُهُ عَلَى ذَلِكَ .

فَيُحِبُّهُ مِنَ الْوَجْهِينِ جَمِيعًا ، وَكَمَا أَنَّه لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ فَلَيْسَ كَمَحَبَّتِهِ مَحَبَّةٌ ، وَالْمَحَبَّةُ مَعَ الْخُضُوعِ هِيَ الْعِبُودِيَّةُ الَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ لِأَجْلِهَا ، فَإِنَّهَا غَايَةُ الْحُبِّ بِغَايَةِ الدُّلِّ وَلَا يَصْلِحُ ذَلِكَ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ ، وَالْإِشْرَاقُ بِهِ فِي هَذَا هُوَ الشِّرْكَ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ وَلَا يَقْبَلُ لِصَاحِبِهِ عَمَلًا )) (١) .

وقال - رحمه الله - : (( فَإِذَا قَامَ بِقَلْبِهِ شَاهِدُ الْإِلَهِيَّةِ : رَأَى فِي ذَلِكَ الشَّاهِدِ : الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ ، وَالنَّبَوَاتَ وَالْكَتَبَ وَالشَّرَائِعَ ، وَالْمَحَبَّةَ وَالرِّضَى ، وَالْكَرَاهَةَ وَالْبَغْضَ ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ .

(١) الفوائد ، ص ٢٣٦ .

وشاهد الأمر نازلاً ممّن هو مستور على عرشه وأعمال العباد صاعدة إليه ، ومعروضة عليه ؛ يجزي بالإحسان منها في هذه الدار وفي العقبي نضرة وسروراً ويقدم إلى ما لم يكن عن أمره وشرعه منها فيجعل هباءً منثوراً )) (١) .

ولما كانت القلوب مجبولة على حُبِّ خالقها ورازقها ، والمحسن إليها والمتفضّل عليها بنعمه وآلائه ، وهو ملاذها عند الفزع والشدائد ومفزعها ، فإنّها إذا تذكّرت هذه المعاني العظيمة واستحضرتها ؛ انجذبت إليه محبّة ورجاءً وإخباتاً وطاعة .

أمّا إذا تذكّرت عظمته وهيبته وجلاله وعزّته حصل لها الخوف والرهبّة والخشية والإنابة .

ومن هذه الثلاث ( المحبّة ، والخوف ، والرجاء ) تنبعث الاستجابة للأمر والنهي ، محبّة في المحبوب وحبّاً فيما يُحبه ، ورغبة ورجاءً فيه وفيما عنده ، وخوفاً منه وممّا أعده لمن عصاه ، وهذه هي العبادة التامة .

أمّا التحقّق بتوحيد الأسماء والصفات : (( فإنّ العبد إذا عرف أسماء الله وصفاته ، وآمن بها واعتقدتها وأثبتها بلا تمثيل ونفى ما نفاه الله عن نفسه ورسوله بلا تعطيل ، ثمّ تمّم ذلك بالانقياد ، فإنّ الله إذا تجلّى له بصفات السمع والبصر والعلم ، انبعثت من العبد قوّة الحياء فيستحيي من ربّه أن

(١) مدارج السالكين : ٢٥٥/٣ .

يراه على ما يكره أو يسمع منه ما يكره ، أو يُخفي في سريرته ما يمقته عليه ، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع غير مهملّة ولا مرسلّة تحت حكم الطبيعة والهوى )) (١) .

ذلك أن الله ﷻ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } . ))  
فإنّه يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تقنن الحاجات ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تُغلطه المسائل ، ولا يتبرّم بِالْحَاحِ الْمَلْحِينِ ، سواء عنده من أسرّ القول ومن جهر به ، فالسرُّ عنده علانية ، والغيب عنده شهادة ، يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، ويرى نياط عروقها ، ومجاري القوت في أعضائها )) (٢) .

وإذا استحضر واستذكر صفة الرحمة : (( رأى الوجود كله بهذه الصفة ، قد وسع من هي صفة كلّ شيء رحمة وعلماً ، وانتهت رحمته إلى حيث انتهى علمه . فاستوى على عرشه برحمته لتسع كلّ شيء كما وسع عرشه كلّ شيء )) (٣)

وتذكّر قول النبي ﷺ : « من لا يرحم لا يُرحم ، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رِقَّ قلبه ولان لعباد الله ، فيرحم

(١) الفوائد ، ص ٩٢ .

(٢) مدارج السالكين : ٢٥٣/٣ .

(٣) مدارج السالكين : ٢٥٥/٣ .



ضعيفهم ، ويحنو على صغيرهم ، ويعطف على فقيرهم ،  
فيتعبد الله بهذه الصفة .

وهكذا سائر صفاته .

وجماع أنواع التوحيد كلها كما قال ابن القيم - رحمه الله -  
: (( وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته ، وإلهيته في  
ربوبيته ، وحمده في ملكه ، وعزّه في عفوه ، وحكمته في  
قضائه وقدره ، ونعمته في بلائه ، وعطاءه في منعه ، وبرّه  
ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميّته ، وعدله في انتقامه ،  
وجودّه وكرمه في مغفرته ، وستره وتجاوزه .

ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه ، وعزّه في رضاه  
وغضبه ، وحلمه في إمهاله ، وكرمه في إقباله ، وغناه في  
إعراضه ))<sup>(١)</sup> .

(١) الفوائد ، ص ٩٣ .

المسألة الثانية : التربية النبوية على تجريد التوحيد :

لَمَّا كَانَ تَحْقِيقَ التَّوْحِيدِ ؛ هَدَفَ التَّرْبِيَةَ وَالتَّزْكِيَةَ النَّبَوِيَّةَ ،  
وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ وَالتَّحَقُّقِ بِهِ وَتَجْرِيدِهِ مِنَ الشَّرِكِ ، فَقَدَ  
حَرَصَ الْمُصْطَفَى ﷺ عَلَى ذَلِكَ حَرَصًا شَدِيدًا مِنْذُ فَجَرِ  
دَعْوَتِهِ ﷺ .

وَكَانَ مِنْهَجُهُ فِي ذَلِكَ : الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَوْضِيحُهُ  
وَبَيَانُهُ لِلنَّاسِ وَالتَّرغِيبُ فِيهِ وَبَيَانُ مَا يَضَادُّهُ وَيُنَاقِضُهُ مِنَ  
الشَّرِكِ ، وَالتَّحذِيرُ مِنْهُ ، وَالتَّرْهيبُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ ، مَعَ  
بَيَانِ مَالٍ مِنْ أَشْرِكٍ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ ﷻ لِمَنْ مَاتَ لَا  
يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . مَعَ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَاسْتِعْمَالِ الْقِصَصِ .

وَكَذَا كَيْفِيَّةَ التَّخَلُّصِ وَالتَّجَرُّدِ وَالبَرَاءَةِ مِنَ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ ،  
وَالْإِرْتِبَاطِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ وَسَائِطٍ ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ ، وَالْإِعْتِمَادِ  
عَلَيْهِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ ، وَتَرْكِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى النَّاسِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ ؛  
وَالتَّفَكِيرِ فِي الْمُنْعَمِ الْأَوَّلِ .

يَبْضُحُ هَذَا الْمَنْهَجُ مِنْ خِلَالِ دَعْوَتِهِ ﷺ وَتَبْلِيغِهِ كِتَابَ  
رَبِّهِ ﷻ وَبَيَانِهِ لَهُ أَشَدَّ الْبَيَانِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَتَطْبِيقًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
= ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ = ٨٥ قُلْ مَنْ رَبُّ  
السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ = ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا  
تَتَّقُونَ = ٨٧ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ

عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ = ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ =  
٨٩ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (١) .

قال أبو الفداء بن كثير : « يُقَرَّرُ تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين به بالربوبية وأنه لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ، ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى . فقال : { قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا } أي من مالكتها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف المخلوقات { إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ = ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ } أي فيعرفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان كذلك { قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره . { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ } أي بيده الملك . { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } أي متصرفٌ فيها . { وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ } أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي له الخلق والأمر ولا معقب لحكمه الذي لا يُمانع ولا يُخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقال الله { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } أي لا يُسأل عما يفعل لعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يُسألون عن أعمالهم . وقوله : { سَيَقُولُونَ لِلَّهِ }

(١) المؤمنون : الآيات ( ٨٤ - ٩٠ ) .

أي سيعترفون أنّ السيد العظيم الذي يجبر ولا يُجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له { قُلْ فَأَيُّ شُرَكَائِي أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ } فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك . قال تعالى : { بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ } وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك { وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك )) (١) .

ثمّ قال تعالى : { مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ = ٩١ عالم الغيب والشهادة فَنَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٢)

قال أبو الفداء : يُنَزَّهُ تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة ، فقال تعالى : { مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ... } الآية أي لو قُدِّرَ تعدد الآلهة لانفرد كلُّ منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متنسق كلُّ من العالم العلوي والسفلي مرتبط ببعضه ببعض في غاية الكمال .

{ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ } أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً . { فَنَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } أي تقدّس وتنزّه وتعالى وعزّ وجلّ عما يقول

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٦٣/٣ - ٢٦٤ مختصراً .

(٢) المؤمنون : الآيتان ( ٩١ - ٩٢ ) .

الظالمون والجاحدون» (١) .

والقرآن الكريم مليء بمثل هذه الآيات ذوات الأسلوب التقريري ، حتى يتم الاعتراف من قبل المشركين . فإذا اعترفوا ؛ أثار التفكير لديهم ونبههم على عدم الإشراك به ولزوم توحيده .

ومن أساليب القرآن الكريم أيضاً : الأمر بعبادته والتوكل عليه ، قال الله تعالى : { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } (٢) ، وقال تعالى : { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٣) .

وقد وضع النبي ﷺ قاعدة تحمي صاحبها من هذا النوع من الشرك - الشرك في الربوبية - فقد أوصى ﷺ حبر هذه الأمة بوصيته المشهورة التي أخرجها الترمذي عنه ﷺ قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَحْذَهُ نُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِي بِاللَّهِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٦٤/٣ مختصراً .

(٢) هود : الآية ( ١٢٣ ) .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٦٠ ) .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة : الباب رقم ٢٢ : رقم الحديث

قال المباركفوري : (( في قوله « فَاَسْأَلُ » أي وحده لأنّ غيره غير قادر على الإعطاء والمنع ودفع الضرر وجلب النفع . « وَإِذَا اسْتَعْنَتْ » أي أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة « فَاَسْتَعِنُ بِاللَّهِ » فإنّه المستعان وعليه التكلان )) (١) .

قال شيخ الإسلام : (( إذا أراد التخلّص من هذا الشرك ، فليُنظر إلى المُعْطِي الأوّل مثلاً فيشكره على ما أولاه من النعم ، وينظر إلى من أسدى إليه المعروف فيكافيه عليه لقوله ﷺ : « من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له ، حتّى تروا أنّكم قد كافأتموه » لأنّ النعم كلّها لله تعالى كما قال تعالى : { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } وقال تعالى : { كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ } فالله سبحانه هو المعطي على الحقيقة ، فإنّه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها ، وساقها إلى من يشاء من عباده ؛ فالمعطي هو الذي أعطاه ، وحرّك قلبه لعطاء غيره . فهو الأوّل والآخر )) .

ثمّ قال - رحمه الله - بعد إيراد الحديث السابق : (( فهذا يدلُّ على أنّه لا ينفع في الحقيقة إلاّ الله ، ولا يضرُّ غيره ،

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذيّ : ٣٠٨/٢ ، رقم ٢٠٤٣ .

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذيّ للمباركفوري : ٢٢٠/٧ .

وكذا جميع ما ذكرناه في مقتضى الربوبية .

فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم ، وأراح الناس من لومه وذمه إياهم ، وتجرّد التوحيد في قلبه ، فقوي إيمانه وانشرح صدره ، وتنور قلبه ، ومن توكل على الله فهو حسبه . ولهذا قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : من عرف الناس استراح ، يريد - والله أعلم - أنهم لا ينفعون ولا يضرّون ((<sup>(١)</sup>).

فإذا استقرّ في قلب المؤمن أن النافع والضار على الحقيقة هو الرّب تبارك وتعالى وأنّ الناس ؛ كلّ الناس لا ينفعون ولا يضرّون ، حتّى لو اجتمعوا على ذلك وتعاونوا ، وكان بعضهم لبعض ظهيراً ما نفعوا العبد ولا ضرّوه إلّا بإذن الله ؛ ما التفت بعد ذلك إلى أحدٍ من الناس كائن من كان ، ولا تعلق بأحد ، ولا ارتبط إلّا بالله الذي بيده كلّ شيء ، بل لتحقيق هذا المعنى وتأكيد أمر الله ﷻ نبيه أن يخبر الناس بذلك فقال : { فُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } ((<sup>(٢)</sup>).

قال ابن حيان الأندلسي بعد إيراد سبب نزول هذه الآية : (( وهذا منه ﷺ إظهار للعبودية وانتفاء عن ما يختص

(١) مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام : ٩٢/١ - ٩٣ .

(٢) الأعراف : الآية ( ١٨٨ ) .

بالربوبية من القدرة وعلم الغيب ، ومبالغة في الاستسلام فلا  
أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر ، فكيف أملك علم  
الغيب ؟ ) (١) .

وقد أخبر الله نبيه ﷺ بذلك فقال : { وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ  
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ =  
١٧ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } (٢) ، وقال  
تعالى : { وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ  
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ } (٣) فمن ذا الذي يستطيع أن يكشف الضر إذا أراد  
الله لعبده من عباده ، ومن الذي يستطيع أن يرد فضل الله إذا  
أراده لعبده !!

وقد بين الله أن غيره لا ينفع ولا يضر ، فقال : { وَلَا تَدْعُ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ  
الظَّالِمِينَ } (٤) ، وقال : { قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا  
يَضُرُّنَا } (٥) ، وقال : { قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ = ٧٢ أَوْ

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي الغرناطي : ٢٤٠/٥ .

(٢) الأنعام : الآيتان ( ١٧ ، ١٨ ) .

(٣) يونس : الآية ( ١٠٧ ) .

(٤) يونس : الآية ( ١٠٦ ) .

(٥) الأنعام : الآية ( ٧١ ) .



يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ } (١) .

ثُمَّ قَالَ أَيْضًا عَلَى لِسَانِ الْخَلِيلِ ﷺ : { الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ  
يَهْدِينِ = ٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ = ٧٩ وَإِذَا مَرَضْتُ  
فَهُوَ يَشْفِينِ = ٨٠ وَالَّذِي يُمَيِّنِي ثُمَّ يُحْيِينِ = ٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ  
يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } (٢) .

وَقَالَ تَعَالَى : { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ  
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } (٣) .

ومن أساليب تجريد التوحيد التي ربى عليها النبي ﷺ ترك سؤال الناس حتى لا تخضع النفس إلا لخالقها وبارئها ، ومن ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي ، قَالَ : « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ ، فَقَالَ : أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةِ قُلُنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ ؟ قَالَ : عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَتُطِيعُوا - وَأَسْرًا كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا .

فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفَرِ يَسْفُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ فَمَا

(١) الشعراء : الآيتان ( ٧٢ - ٧٣ ) .

(٢) الشعراء : الآيات ( ٧٨ - ٨٢ ) .

(٣) النمل : الآية ( ٦٢ ) .

يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ» (١)

هذا منتهى عزّة النفس والكرامة والتجريد أن يدع المرء سؤال النَّاس والاستعانة بهم حتّى في المسائل اليسيرة التي لا تكاد تُذكر لكي لا تذلل نفسه إلاّ لربّه المستعان وحده ، وفي هذا بلوغ الغاية في تجريد التوحيد وعدم خضوع النفس وذلها إلاّ لله .

هذا طرف من تربية النبي ﷺ أصحابه على تجريد هذا النوع من التوحيد المتمثل في صفة الإعطاء والنفع والضرر وأنه خاصٌ بالله ﷻ . وهذا جزء من توحيد الربوبية ونموذجٌ له ، يندرج على باقي صفات الربوبية التي اختص بها الربّ تبارك وتعالى ، ومنها :

الخلق ، والرّزق ، والإحياء ، والإماتة ، والملك ، والتدبير ، والنفع ، والضرر ، والإعطاء ، والمنع ، والخفض والرفع ، والإعزاز والإذلال .

فمن اعتقد أن الخالق أو الرّازق ، أو المحيي ، أو المميت ، أو المالك أو المدبّر ، أو المعزّ أو المذلّ ، أو المعطي أو المانع ، أو المانع أو الضار ، أو الخافض أو الرافع أو القابض ، أو الباسط ، أو المعين ، أو منزل الغيث ؛ غير الله فقد أشرك بالله ما لم ينزل به سلطاناً .

(١) صحيح مسلم : الزكاة : كراهة المسألة للناس : ٧٢١/٢ ، رقم ١٠٤٣

وكذا من اعتقد أنّ أحدًا يشاركه في ذلك ، أو يستقلّ بالنفع أو الضرر أو غيره بغير أمره فقد أشرك .

قال العلامة المقرئ في هذا النوع من الشرك : « وأما الشرك المتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ فهو نوعان : شرك التعطيل ، وشرك التمثيل :

فشرك التعطيل : وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون في قوله : { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } ، والشرك والتعطيل متلازمان ؛ فكلّ مشرك معطل ، وكلّ معطل مشرك .

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل ، وهو ثلاثة أقسام :

**أحدها : تعطيل المصنوع عن صانعه .**

**الثاني : تعطيل الصانع عن كماله الثابت له .**

**الثالث : تعطيل معاملته عمّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد .**

ومن هذا الشرك شرك أهل الوحدة ، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدوم العالم ، ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة .

النوع الثاني : شرك التمثيل : وهو شرك من جعل معه تعالى إلهاً آخر كالنصارى في المسيح ، واليهود في عزير ، والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث

الشرِّ إلى الظلمة ، وشرك القدريّة المجوسية مختصرٌ منه ))  
(١)

وأما النوع الثاني من الشرك فهو الشرك في الإلهية : أي أن العبد يُشرك في تأله بالله غيره من المخلوقات ؛ فهو بالنظر إلى الله متعلقٌ بإلهيته ، وبالنظر إلى العبد متعلقٌ بعبوديته لله .

قال المقرئزي : (( شركٌ في عبادته ومعاملته ، وإن كان صاحبه يعتقد أنه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته )) (٢) ، ويُخصّص بشرك العبادة ، أو الشرك في توحيد العبادة .

إذ إن توحيد العبادة هو : توحيد التوجُّه إلى الله بأفعال العباد دون إشراك غيره معه في هذا التوجُّه في جميع أنواع العبادات التي لا تصلحُ إلا لله مثل : المحبة ، والخوف والخشية والرغبة ، والرجاء والرغبة ، والتوكل والإنابة والاستعانة ، والاستغاثة ، والدعاء ، والتأله ، والركوع والسجود ، والخشوع ، والتذلل ، والطاعة ، والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية ، وغير ذلك من أعمال القلوب والجوارح .

وأصل هذا الشرك اتخاذ الأنداد وحُبُّهم كحبِّ الله والتقربُ بهم إلى الله زُلفى ، قال الله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

(١) تجريد التوحيد ، ص ٦٩ - ٧٠ مختصراً .

(٢) تجريد التوحيد ، ص ٦٩ .

يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا  
لِلَّهِ { (١) .

قال أبو جعفر : (( والأنداد جمع نِدٍّ ، والنَّد : العدل والمثل  
، وعن مجاهد : { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا } : أي عدلاء ، وعن  
ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ : { فَلَا تَجْعَلُوا  
لِلَّهِ أَنْدَادًا } : قال : أكفاءً من الرجال تطيعونهم في معصية  
الله )) (٢) .

وقال - رحمه الله - : (( وأن الذين اتخذوا هذه الأنداد من  
دون الله يحبون أندادهم كحبّ المؤمنين الله . ثمّ أخبرهم أن  
المؤمنين أشدّ حبّاً لله ؛ من متخذي هذه الأنداد لأندادهم .  
وعن مجاهد { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } مباحاةً ومضاهاةً للحق  
بالأنداد ، { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } من الكفار لأوثانهم ))  
(٣) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (( فمنه الشرك بالله في  
المحبّة والتعظيم ، أن يحبّ مخلوقاً كما يحبّ الله . فهذا من  
الشرك الذي لا يغفره الله ، وقال أصحاب هذا الشرك  
لآلهتهم وقد جمعهم الجحيم { تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ =

(١) البقرة : الآية ( ١٦٥ ) .

(٢) جامع البيان : ٢٦٨/١ . الآثار ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ . تحقيق شاکر .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٩/٣ . الأثر رقم ٢٤٠٧ . تحقيق شاکر .

٩٧ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ { (١) .

ومعلوم أنَّهم ما سوَّوهم به سبحانه في الخلق ، والرزق ، والإماتة ، والإحياء ، والملك والقدرة ، وإثما سوَّوهم به في الحبِّ والتأله والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم (( (٢) .

وهذا هو العدل المذكور في الآية : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } (٣) .

قال المقرئزي : (( والمعنى على أصحِّ القولين أنَّهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحبِّ والعبادة . وكذلك قول المشركين - في النار - لأصنامهم : { تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ = ٩٧ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ومعلوم قطعاً أنَّ هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربِّهم وخالقهم ، وإثما كانت في المحبة والعبادة (( (٤) .

وقد نهى الله ﷻ عن اتخاذ الأنداد فقال : { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٥) . وقد سئل النبي ﷺ : أي الذنب أعظم

(١) الشعراء : الآيتان ( ٩٧ - ٩٨ ) .

(٢) الداء والدواء ( الجواب الكافي ) ، ص ١٨٠ .

(٣) الأنعام : الآية ( ١ ) .

(٤) تجريد التوحيد ، ٥٣ .

(٥) البقرة : الآية ( ٢٢ ) .

عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندًا وهو خالقك » (١) !! فأخبر  
النبي ﷺ بموجب التخلُّص من هذا الشرك في هذه الإجابة  
الموجزة البليغة ؛ أنه هو الخالق سبحانه فكيف يُتخذ من  
دونه أندادًا ؛ لا تخلُق نفسها فضلاً عن غيرها ، قال الله  
تعالى : { أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِفُونَ = ١٩١ وَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ... } (٢) .

فبشيءٍ من التفكُّر والتعقُّل تنتفي الأنداد ، كما قال  
النبي ﷺ لحصين : « كم تعبد ؟ قال : ستة في الأرض وواحدًا  
في السماء . قال : فمن تُعبد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذي في  
السماء ، قال : ألا تسلم فأعلمك كلمات ؟ فأسلم ، فقال النبي ﷺ :  
قل : اللهم ألهمني رشدي ، وقني شرَّ نفسي » (٣) ، وبهذا أرشده  
المصطفى ﷺ إلى التفكُّر الجادِّ والعميق في هذا الأمر حتَّى  
تنتفي الأنداد من ذهنه ، وأنها ما دامت لا تنفع ولا تضرُّ  
عند الحاجة فما الفائدة من إشراكها في عبادة الله ؟ .

ومن منهجه ﷺ في تجريد هذا النوع من التوحيد : بيان  
ما يلتبس على الناس أنه شرك ؛ ليحذروه .

فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية {

- 
- (١) مسلم : ١ - كتاب الإيمان ، ( ٣٧ ) باب كون الشرك أقبح الذنوب ،  
وبيان أعظمها بعده : ٩٠/١ ، رقم ٨٦ .  
(٢) الأعراف : الآيتان ( ١٩١ - ١٩٢ ) .  
(٣) سبق تخريجه ص ١٥١ .

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... } (١) . فقلت له :  
 إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فقال : « أليس يجرّمون ما أحلّ الله فتحرمّونه ،  
 ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه ؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم » (٢) .

فقد بيّن النبي ﷺ لعدي نوعاً من أنواع الطاعة الشركية  
 وذلك بأسلوب الاستفهام التقريري المفصل المُقنع ؛ تحقيقاً  
 للتوحيد وتجريداً له من الشرك .

ولقد بدأ النبي ﷺ بتجريد التوحيد منذ الوهلة الأولى حين  
 أمره ربّه بإنذار عشيرته الأقربين .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ  
 { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } ، قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ،  
 اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِمَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ  
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا  
 صَفِيَّةَ عَمَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ  
 سَلِّينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (٣) .

وهذا نفيٌ لشرك الوسائط من أوّل الأمر ومن بداية  
 الطريق ، فإذا كان النبي ﷺ لا يُغني عن ابنته وريحانته  
 فاطمة - رضي الله عنها - من الله شيئاً فكيف بمن سواها !!

(١) التوبة : الآية ( ٣١ ) .

(٢) مسند أحمد : ٣٧٨/٤ .

(٣) البخاريّ : كتاب التفسير : باب وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض

جناحك : ١٧٨٧/٤ ، رقم ٤٤٩٢ .



ومن ذلك أيضاً شرك الشفعاء والوسطاء والقرابين . قال الله تعالى على ألسنة المشركين : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } <sup>(١)</sup> . فهم يتقربون إلى الله بمعبوداتهم اعتقاداً منهم أنّها تقربهم إلى الله .

والمنهج القرآني قد ركّز على هذا النوع من الشرك لكثرتة وتنوّعه ، فبيّنه وأوضح ضحالة تفكير من يعبد الأصنام ، وتهاافت معبوداتهم وأنها لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضرراً ، ثمّ استخدم أسلوب التبكيت ؛ ثمّ التنزيه لله ﷻ . فقال تعالى : { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلْأَنْتَبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } <sup>(٢)</sup> .

قال شيخ الإسلام : (( سمى الله آلهتهم التي عبدوها من دونه شفعاء كما سماها شركاء في غير موضع ، وذكر الآية السابقة ثمّ قال : وقال الله تعالى : { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ فَلْأَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْلَمُونَ = ٤٣ } قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً } <sup>(٣)</sup> . { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ = ١٢ } وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ } <sup>(٤)</sup> .

(١) الزمر : الآية ( ٣ ) .

(٢) يونس : الآية ( ١٨ ) .

(٣) الزمر : الآيتان ( ٤٣ ، ٤٤ ) .

(٤) الروم : الآيتان ( ١٢ ، ١٣ ) .

وجمع بين الشرك والشفاعة في قوله : { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ = ٢٢ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } (١) .

فهذه الأربعة هي التي يمكن أن يكون لهم تعلق : الأول : ملك شيء ولو قل ، الثاني : شركهم في شيء من الملك ، فلا ملك ولا شركة ولا معاونة يصير بها نداء ، فإذا انتفتت الثلاثة : بقيت الشفاعة فعلقها بالمشيئة (٢) .

قال الإمام ابن القيم : وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعاً ، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريده عابده منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له كان معيماً له وظهيراً ، فإن لم يكن معيماً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده ، فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً ، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفي الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة ، التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعته لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه .

فكفى بهذه الآية نوراً ، وبرهاناً ، ونجاة ، وتجريداً

(١) سبأ : الآيتان ( ٢٢ ، ٢٣ ) .

(٢) الفتاوى : ١١٤/١ .

للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها . والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ((<sup>(١)</sup>).

وقال : (( والأذي في قلوب المشركين وسلفهم : أن ألتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك . فهذا حال من اتخذ من دون الله ولياً ، يزعم أنه يقربه إلى الله . كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } ؟ وفي الفصل الثاني : { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } ، وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول . فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها وعقلها :

لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيدة واتباع رسوله .

وتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه - وقد سأله من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ - قال : « أسعد الناس بشفاعتي : من قال : لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته : تجريد التوحيد ، عكس ما عند المشركين : أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء ،

(١) مدارج السالكين : ٣٤٣/١ .

وعبادتهم وموالاتهم من دون الله . فقلب النَّبِيِّ ﷺ ما في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد . فحينئذٍ يأذن الله للشافع أن يشفع )) (١) .

وبهاتين الآيتين : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } و { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } حسم الله مادة هذا النوع من الشرك ( شرك الشفعاء أو الوسطاء أو القرابين ، وعلق الشفاعة بالإذن للشافع والرضا عن المشفوع له ، ولا يرضى الله إلا لمن أتى بتوحيد خالص مجرد من الشرك .

قال ابن القيم : (( ويتبع هذا الشرك : الشرك به سبحانه في الأفعال ، والأقوال ، والإرادات ، والنيات .

- فالشرك في الأفعال : كالسجود لغيره ، والطواف بغير بيته ، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره ، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها .

- الشرك في اللفظ : كالحلف بغيره ، ومن ذلك قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت .

- الشرك في الإرادات والنيات : فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقلّ من ينجو منه ؛ من أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك في نيته وإرادته .

(١) المرجع السابق : ٣٤٠/١ - ٣٤١ ، باختصار وتقديم وتأخير لا يخلُ بالمعنى .

والإخلاص : أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها» (١) .

ومن الشرك في اللفظ : الحلف بغير الله ، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رجلاً يحلف : لا والكعبة ، قال له ابن عمر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من حلف بغير الله فقد أشرك» (٢) .

وقال المقرئزي : « والقرآن بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية ، وقوله : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية .

فتضمنت هذه الآية : ( تجريد التوحيد ) لرب العالمين في العبادة ، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه ، لا في الأفعال ولا في الألفاظ وفي الإرادات» (٣) .

وبعد أن عدّد أنواعاً من الشرك ، قال :

« وبالجملة ؛ فالعبادة المذكورة في قوله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ }

(١) الداء والدواء ، طبعة دار المدني ، تقديم الدكتور محمّد جميل غازي ، ص ١٨٣ - ١٨٤ باختصار .

(٢) سنن أبي داود ، رقم ٣٢٥١ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٦٢٧/٢ . وأخرجه الحاكم : ١٨/١ ، وقال : على شرط مسلم بمعناه .

(٣) تجريد التوحيد ، ص ٥٨ .

هي : السجود ، والتوكل ، والإنابة ، والتقوى ، والخشية ،  
والتوبة ، والنذور ، والحلف ، والتسبيح ، والتكبير ،  
والتهليل ، والتحميد ، والاستغفار ، وحلق الرأس خضوعاً  
وتعبداً ، والدعاء : كلُّ ذلك محضُ حقِّ الله تعالى ((<sup>(١)</sup>).

وما برح رسول الله ﷺ يربي أصحابه على التوحيد  
وتحقيقه وتجريده من الشرك . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله ﷺ : (( قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك  
، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْنَاهُ وَشِرْكُهُ ))<sup>(٢)</sup> .

أي إن كان بعض الشركاء قد يستغني عن الشركة مع  
غيره فانه أغنى الشركاء عن المشاركة ، لا يقبل من العمل  
إلا ما كان خالصاً صواباً ، والخالص ما أريد به وجه الله .  
قال ﷺ : (( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ))<sup>(٣)</sup> ، والصواب : ما كان  
موافقاً للسنة ، قال ﷺ : (( مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ))<sup>(٤)</sup>  
، ولهذا قال العلماء : هذان الحديثان ميزان الأعمال :  
الأول ميزان الأعمال الباطنة ، والثاني : ميزان الأعمال  
الظاهرة ))<sup>(٥)</sup> .

(١) المرجع السابق : ص ٦٦ .

(٢) مسلم : الزهد والرقائق : باب من أشرك في عمله غير الله : ٢٢٨٩/٤ ،  
رقم ٢٩٨٥ .

(٣) البخاري : بدء الوحي : باب كيف كان بدء الوحي : ٣/١ ، رقم ١ .

(٤) مسلم : الأفضية : باب نقض الأحكام : ١٣٤٣/٣ .

(٥) القول المفيد : ٢٣٠/٢ .

وكان المصطفى ﷺ يخاف على أصحابه من الشرك الأصغر ويُحذّرهم منه ، فعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله ﷻ - إذا جرى الناس بأعمالهم - : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً ؟ » <sup>(١)</sup> ، وفي رواية : « شرك السرائر » .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللّهُ بِهِ ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللّهُ بِهِ » <sup>(٢)</sup> .

وقد سمّاه النبي ﷺ : الشرك الخفي وحذّر منه فقال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قال : قلنا : بلى . فقال : الشرك الخفي : أن يقوم الرجل يُصلي فيزيّنُ صلاته لما يرى من نظر رجلٍ » <sup>(٣)</sup> .

(١) الترغيب والترهيب : ٦٨/١ ، وقال : رواه أحمد بإسنادٍ جيّد ، وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، رقم ٢٩ ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم ٩٥١ .

(٢) مسلم : الزهد : من أشرك في عمله غير الله : ٢٢٨٩/٤ ، رقم ٢٩٨٦ .

(٣) سنن ابن ماجه : باب الرياء والسمعة : رقم ٤٢٠٤ ، وحسنه الألباني : انظر صحيح سنن ابن ماجه : ٤١٠/٢ ، رقم ٣٣٨٩ .

وقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على اتقاء هذا الشرك ؛ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم » (١) .

وكان يعلمهم البراءة من الشرك . فعن فروة بن نوفل رضي الله عنه قال : إنّه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي ، قال : « اقرأ { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ { فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ » (٢) .

ويعلمهم الاستعاذة من شرّ الشيطان وشركه . فيقول : « يا أبا بكر قل : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت ربّ كلّ شيء ومليكه ، أعوذ بك من شرّ نفسي ، ومن شرّ الشيطان وشركه ، وأن اقترب على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم » (٣) .

(١) المسند للإمام أحمد : ٤٠٣/٤ . وذكره المنذري في الترغيب والترهيب : ٧٦/١ ، وعزاه كذلك للطبراني ، وقال : رواه محتجّ بهم في الصحيح إلا أبو أحمد الراوي عن أبي موسى وثقه ابن حبان ولم يُجرّحه أحد .

(٢) سنن الترمذيّ : الدعوات ، باب ٢٢ ، حديث رقم ٣٦٤٣ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذيّ ، رقم ٢٧٠٩ .

(٣) سنن الترمذيّ : أبواب الدعوات ، باب ١٠١ ، رقم الحديث ٣٧٧٩ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذيّ : ١٧٢/٣ ،



ومما يُدْفَع به هذا النوع من الشرك ؛ استحضار عظمة الله ﷻ عند الشروع في العمل وأنه هو الخالق الرّازق ، المحيي المميت ، المنعم ، المتفضل على عباده ، القادر عليهم ، وأنه كما قال ﷻ : { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } (١) .

قال أبو المظفر السمعاني (٢) : (( { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ } أي خيانة الأعين ، وخيانة الأعين : مسارعة النظر إلى ما لا يحلّ . { وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } هو شهوة القلب ، وقيل : هو أنه لو قدر عليها هل يزني أو لا ؟ وعن السدي قال : هو وسوسة القلب )) (٣) .

وقوله تعالى : { وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ } (٤) .

وقوله تعالى : { قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ } (٥) .

رقم ٢٧٩٨ .

- (١) غافر : الآية ( ١٩ ) .
- (٢) أبو المظفر السمعاني هو : الإمام العلامة منصور بن محمد بن عبدالجبار المروزي ( ٤٢٦ - ٤٨٩ هـ ) .
- (٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني : ١٣/٥ .
- (٤) النمل : الآية ( ٧٤ ) .
- (٥) آل عمران : الآية ( ٢٩ ) .

وقوله تعالى : { وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (١) .

وقوله تعالى : { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ } (٢) .

وقوله تعالى : { فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } (٣) .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : (( السِّرُّ ما كان في القلب يُسْرُّه ؛ وأخفى : الذي لم يكن بعد يعلمه هو )) (٤) .

وقال العلامة عبدالرحمن السعدي : (( السِّرُّ : الكلام الخفي ، وأخفى من السِّرِّ ، الذي في القلب ولم ينطق به ، أو السِّرُّ : ما خطر على القلب ، وأخفى : ما لم يخطر ، يعلم تعالى أنه يخطر في وقته ، وعلى صفته .

المعنى : أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، دقيقها ، وجليلها ، خفيها ، وظاهرها ، فسواء جهرت بقولك أو أسررت ، فالكل سواء بالنسبة لعلمه تعالى )) (٥) .

وقال جلال الدين المحلي : (( { فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } منه . أي ما حدثت به النفس ، وما خطر ولم تُحدث به فلا تجهد

(١) التوبة : الآية ( ١٠٥ ) .

(٢) البقرة : الآية ( ٢٣٥ ) .

(٣) طه : الآية ( ٧ ) .

(٤) مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير : ١٦١/٣ ، وذكر في الحاشية أنه عن بدائع الفوائد : ١١/٣ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢٢٤/٣ - ٢٢٥ .

نفسك بالجهر» (١) .

فإنه ﷺ يرى قلب ابن آدم ويعلم حركاته وسكناته وخلقاته وما توسوس به نفسه . السرّ عنده علانية ، والغيب عنده شهادة ، لا شيء يخفى ، فإذا استقرت هذه المعاني في القلب ، فكيف يزوغ عنه إلى غيره؟! .

لكن الشيطان يوسوس ، فإذا جاء الهاجس فإنه ينبغي أن يجدد النية ويخلصها لله متصوراً المعاني السابقة ، وأنه لو زاغ قلبه يمناً أو يسرة ، فإنما يُثعبُ نفسه ويرهقها بالعمل دونما فائدة بل ستكون أعماله حسرات عليه . وليتذكر قول الله ﷻ في المشرك : { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } (٢) . وقول النبي ﷺ في الإحسان : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تُكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .



(١) تفسير الجلالين ، ص ٢١٣ .

(٢) الحج : الآية (٣١) .

### **المسلك الثالث : التربوية النبوية على ترسيخ الإيمان :**

شرع رسول الله ﷺ منذ فجر الإسلام في تعميق إيمان أصحابه وتقويته والترقي به في مراتب الهداية للوصول إلى مرتبة الإحسان .

ذلك أن التوحيد وتحقيقه والإيمان وترسيخه هو مقصود تربيته ﷺ ومحورها . وتعلقه بميزان الباطن ؛ وهو القلب ، أمّا الإسلام إذا اقترن بالإيمان فيتناول ميدان الظاهر .

قال شيخ الإسلام : (( فإنَّ الإيمان أصله الإيمان الَّذِي فِي القلب ولا بُدَّ فِيه من شيئين : تصديق بالقلب وإقراره ومعرفة ، ويُقال لهذا قول القلب ( قال الجنيد بن محمد ) : التوحيد : قول القلب . والتوكُّل عمل القلب ، فلا بُدَّ من قول القلب وعمله ؛ ثُمَّ قول البدن وعمله ، ولا بُدَّ فِيه من عمل القلب ، مثل حبِّ الله ورسوله وخشية الله وحبِّ ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله ، وإخلاص العمل لله وحده ، وتوكُّل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان )) (١) .

فالإيمان له حقيقة أصلها مغروس في القلب ، ودليل وجودها يظهر على الجوارح ، وعن هذه الحقيقة يقول ابن القيم : هو (( حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام : الإيمان : ١٨٦/٧ .

علمًا ؛ والتصديق به عقدًا ، والإقرار به نطقًا ، والانقياد له محبةً وخضوعًا ، والعمل به باطنًا وظاهرًا . وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان . وكماله في الحبّ في الله والبغض في الله ، والعطاء لله والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهرًا وباطنًا ، وتغمض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله ، وبالله التوفيق )) (١) .

وقال : « وإليه أمر عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم وحقائق الإيمان على بواطنهم ، ولا يقبل واحدًا منهما إلا بصاحبه وقرينه ، فكلُّ إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة ، فليس بنافع حتى يكون مع شيء من الإيمان الباطن .

وكلّ حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت .

فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم يُنجه ذلك من النار ، كما أنّه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه ذلك من النار )) (٢) .

ولما كانت القلوب هي المتحكّمة في الأجساد كان اهتمام

(١) الفوائد ، ص ١٤٠ ، مختصرًا .

(٢) الفوائد ، ص ١٨٧ ، مختصرًا .

النَّبِيِّ ﷺ منصباً عليها ؛ لتحقيق سلامتها واستقامتها ، فبعد طهارتها ، ربّاهَا على معرفة الله وتعظيمه وتوقيره وتقديره حقّ قدره ، فامتألت بعظمة الله وجلاله وهيبته وخشيته وخوفه ورجائه ، ومحَبَّته والثقة به .

ذلك أن صلاح الأعمال مترتّب على صلاح القلوب واستقامتها .

قال ﷺ : « لا يستقيم إيمان عبدٍ حتّى يستقيم قلبه » (١) .

قال السفاريني : « قال الحافظ ابن رجب - عليه رحمة الله - : المراد باستقامة إيمانه استقامة أعمال جوارحه في طاعة ربّه ، فإنّ أعمالها لا تستقيم إلّا باستقامة قلبه . ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئاً من تعظيم الله وحبّه ، وحبّ طاعته وكرهه معصيته وغضبه .

قال الحسن لرجل : داو قلبك فإنّ حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم من المحن والفساد ، ولا صلاح للقلوب حتّى

(١) مسند الإمام أحمد ، مسند أنس بن مالك بن النضر : ٣/٣٩٥ ، رقم الحديث ١٣٠٤٧ ، وفي طبعة برقم ١٩٨/٣ .

والحديث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتّى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه ، ولا يدخل رجلُ الجنةَ لا يأمن جاره بوائقه » .

قال شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس في تحقيقهما لجامع العلوم والحكم : « فيه عليّ بن مسعدة ، وهو ضعيف ) . انظر : جامع العلوم والحكم : ٣٣٤/١ .

تستقرّ فيها معرفة علام الغيوب وتمتلى من خوفه وخشيته ومحبّته وعظّمته والتوكّل عليه ومهابته والالتجاء إليه ، وهذا حقيقة التوحيد لله تعالى : وهو معنى ( لا إله إلا الله ) ، فلا صلاح للقلوب حتّى تفرد محبة المحبوب .

روى الليث عن مجاهد في قوله تعالى : { وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } : لا تحبّوا غيري ((<sup>(١)</sup>) .

والناس في حقيقة التوحيد والإيمان يتفاوتون كما يتفاوتون في الأعمال ، وقد قسّمهم الله ﷻ في محكم التنزيل إلى ثلاث مراتب ، فقال تعالى :

{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (<sup>(٢)</sup>) .

فالمرتبة السفلى مرتبة الظالم لنفسه ؛ الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فرط في بعض الواجبات وأتى بعض المحرّمات .

والمرتبة الوسطى مرتبة المقتصد الذي قام بالواجبات وترك المحرّمات .

والمرتبة العليا : مرتبة السابق بالخيرات بإذن الله . الذي

(١) غذاء الألباب : شرح منظومة الآداب للسفاريني : ٦٢/١ .

(٢) فاطر : الآية ( ٣٢ ) .

أدى الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات والمكروهات  
وفصول المباحات .

وفي كل مرتبة من هذه المراتب تفاوت كبير في إيمان  
أصحابها ، ذلك أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص  
بالمعاصي . فكلما تقرب العبد إلى ربه ازداد إيمانه وتقوى .

قال الله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ  
لِيَزِدُّوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } (١) . وقال تعالى : { وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ  
ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا } (٢) . وقال سبحانه : { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ  
إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ  
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } (٣) . وقال : { وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى } (٤) .

« فالعبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملًا ، وقبل  
أوامره وصدق أخباره ، كان ذلك سببًا لهداية أخرى تحصل  
له على التفصيل ، فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد فيها  
ما بلغ فوق هدايته هداية أخرى . وفوق تلك الهداية هداية  
أخرى إلى غير غاية ، فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى  
هداية أخرى ، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد تقوى .  
وكلما فوت حظًا من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه ،  
فكلما اتقى زاد هداه ، وكلما اهتدى زادت تقواه . قال تعالى

(١) الفتح : الآية (٤) .

(٢) الأنفال : الآية (٢) .

(٣) آل عمران : الآية (١٧٣) .

(٤) مريم : الآية (٧٦) .



: { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } (١) .  
فهداهم أولاً للإيمان هداية بعد هداية (( (٢) .

وقمة الإيمان : الإحسان واليقين الذي يرتقي بصاحبه إلى  
الإمامة في الدين ، قال الله تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ  
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } (٣) .

قال شيخ الإسلام : (( بالصبر واليقين تُنال الإمامة في  
الدين )) (٤) .

(( واليقين هو استقرار الإيمان في القلب علماً وعملاً .  
فقد يكون علم العبد جيداً لكن نفسه لا تصبر عند المصائب  
بل تطيش )) (٥) .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : (( اليقين الإيمان كله )) (٦) .  
(( فالإيمان قلب الإسلام ولبّه ، واليقين قلب الإيمان ولبّه  
، وكلُّ علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوّة فمدخول ،  
وكلُّ إيمان لا يبعث على العمل فمدخول .  
ولا يتمّ الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة ،

- 
- (١) يونس : الآية ( ٩ ) .  
(٢) الفوائد ، ص ١٦٩ - ١٧٠ مختصراً .  
(٣) السجدة : الآية ( ٢٤ ) .  
(٤) الفتاوى : انظر : نضرة النعيم : ٣٧٣٠/٨ .  
(٥) الفوائد ، ص ٢٧٥ .  
(٦) نضرة النعيم : ٣٧٢٨/٨ ، وقال بهامشه : البخاري ، الفتح ( الإيمان ، باب  
١ ، ص ٦٠ ) .

وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الحقّ فيكون علمه مقتبساً من مشكاة النبوة ، وإرادته لله والدار الآخرة ، فهذا أصحُّ الناس علماً وعملاً وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله ومن خلفاء رسوله ﷺ في أمته .

والإيمان له ظاهر وباطن ، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح ، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبتته ، فلا ينفع ظاهر لا باطن له وإن حقن به الدماء وعصم به المال والدُرِّيَّة ، ولا يجزي باطن لا ظاهر له إلا إذا تعدّر بعجز أو إكراه وخوف هلاك .

فتخفُّ العمل ظاهراً مع عدم المانع دليلٌ على فساد الباطن وخُلُوه من الإيمان ، ونقصه دليلٌ نقصه ، وقوته دليلٌ قوته ((<sup>(١)</sup>) .

فلما كان الإيمان بهذه المنزلة ، والترقي به إلى مرتبة الإحسان واليقين هو أعلى مراتب الدين ، فقد كان جُلُّ اهتمام النبي ﷺ مصوباً على ترسيخه وتعميقه وتقويته وتنميطه في قلوب أصحابه ﷺ و ﷺ ، وكان له في ذلك أساليب كثيرة ومتعددة .

(١) الفوائد ، ص ١١١ - ١١٢ مع تقديم وتأخير .

الأساليب النبوية في ترسيخ الإيمان :

الأسلوب الأوّل والثاني والثالث على التوالي هي :  
تطهير القلوب ، ومعرفة الله ، ومحبتّه ، وسيأتي الحديث  
عنها مفصلاً في إصلاح القلوب ( أداة التعلّم ) ، ذلك أنّها  
الأساس في غرس الإيمان ونمائه ورسوخه ، وبدونها فلا  
إيمان .



الأسلوب الرابع : تعليم مراتب الدين .

ليجاهد الإنسان نفسه في الترقى في هذه المراتب ودرجاتها ، فإنَّ العلم بها يبعث على المجاهدة والتنافس والحماس .

أخرج الإمام مسلم حديث جبريل عليه السلام الذي قال فيه عبدالله : « حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ النَّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّقَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ :

يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
 الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .  
 قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . قَالَ :  
 فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ .  
 قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ :  
 أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ . فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ

أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)) (١) .

فذكر مراتب الدين الثلاث مرتبة : الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان ، فمن الدخول في الإسلام والقيام بشعائره الظاهرة إلى الإيمان الذي في القلوب ثم رسوخه ، إلى درجة اليقين والإحسان .

قال القاضي عياض : (( وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفُّظ من آفات الأعمال ، حتَّى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ، ومتشعبة منه . على هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذي سميناه بـ (( المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان )) ، إذ لا يشدُّ شيءٌ من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاث )) (٢) .

فذكرُ النبي ﷺ وجبريل عليه السلام مراتب الدين بهذا التدرُّج التصاعدي فيه حفزٌ للهمم وحثٌّ لها على مجاهدة النفس للترقي في سلم الصعود لبلوغ المنزلة العالية والدرجة

(١) مسلم : الإيمان : بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٣٦/١ ، رقم ٨ .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٢٠٤/١ - ٢٠٥ ، وقال في الحاشية عن الكتاب : (( ذكره ابنه له وقال : إنَّه لم يكمله ، ويغلب على الظن أنَّه من الكتب المفقودة ، فلم أجد له ذكرًا في غير هذين الموضعين )) .

الرفيعة . والاجتهاد في التحقُّق بمقام الإحسان بأن يعبد الله كأنه يراه ويشاهده ، فيستجمع قلبه على ذلك ، فإن لم يستطع فإنَّه يستحضر في قلبه أن الله يشاهده وينظر إليه في عبادته ومطلَعُ على قلبه وخلجاته ، بل هو مطلع على جميع تصرفاته ، فينبغي الاجتهاد في ذلك والتحقُّق بهذا المقام العالي .

الأسلوب الخامس : التنبيه على عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، والحث على استكمالها .

وضَّح النَّبِيُّ ﷺ عدد شعب الإيمان ، وأتى بأفضلها وأدناها ، وضرب مثلاً على إحدى درجاتها بالحياء ، وفي هذا تنبيه منه ﷺ على هذه الشعب وأنها درجات ومراتب كثيرة ليجتهد الإنسان في استكمالها من جملة الشريعة ، فهي مبنوثة في سنته ﷺ ولا يضرُّ عدم العلم بها على التحديد ، والعمل على قوله ﷺ : « ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا » .

فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً . فَأَفْضَلُهَا : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » (١) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : « نَبَّهَ الْعَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَفْضَلِهَا بِالتَّوْحِيدِ الْمُتَعَيَّنِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَالَّذِي لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الشُّعْبِ إِلَّا بَعْدَ صِحَّتِهِ ، وَأَدْنَاهَا مَا يَتَوَقَّعُ ضَرَرُهُ بِالمُسْلِمِينَ مِنْ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ الْأَذَى بَعْدَ ، وَبَقِيَ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرِيقِ مِنْ أَعْدَادِ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ مَا لَوْ تُكَلِّفُ حَصْرُهَا بِطَرِيقِ الاجْتِهَادِ وَتَعْيِينِهَا بِغَلْبَةِ

(١) مسلم : ١ - كتاب الإيمان : ١٢ - باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، وفضيلة الحياء ، وكونه من الإيمان : ٦٣/١ ، رقم ٣٥ .



الظنّ إلى حصر عدّته لأمكن ، وقد أشار إلى نحو هذا بعض من تقدّم ، وعليه بنى الفقيه إسحاق بن إبراهيم القرطبي كتابه المسمى بالنصائح ، ولكن القطع أن تعيين ما نقّحه الاجتهاد وترتيبه على تلك الأبواب هو مراد النبي ﷺ يصعب ، ولن يُعدم من يرتّب ترتيباً آخر ، ويُداخل بعض الأبواب في بعض ، ويفصل بعض الأقسام من بعض ، والله ﷻ أعلم ، ولكنّه قد جاء في الأحاديث النصّ على بعض تلك الشعب ، ووقع في الأمّ الشكّ في سبعين أو ستين ، والصواب ما وقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة ( سبعون ) ، ولا يلزم معرفة تعيينها ، ولا يقدر جهل ذلك في الإيمان ، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة ، والإيمان بأنها هذا العدد من الحديث واجب على الجملة ، وتفصيل تلك الأصول وتعيينها على هذا العدد يحتاج إلى توقيف .

وقال القاضي : الحياء أحد الشعب المحصورة ، فهذا من الأعداد المحصورة بالنصّ )) (١) .

وقال أبو العبّاس القرطبي : (( ومقصود هذا الحديث أن الأعمال الشرعية تُسمّى إيماناً وأنها منحصرة في ذلك العدد غير أن الشرع لم يُعيّن ذلك العدد لنا ولا فصلّه ، وقد تكلف

(١) إكمال المُعلّم بفوائد مسلم : للقاضي عياض : كتاب الإيمان ، بيان عدد شعب الإيمان : ٢٧٢/١ - ٢٧٣ مختصراً .

بعض المتأخرين تعديد ذلك ، فتصقح خصال الشريعة وعددها ، حتى انتهى بها في زعمه إلى ذلك العدد . ولا يصح له ذلك ؛ لأنه يمكن الزيادة على ما ذكر والنقصان مما ذكر ببيان التداخل ، والصحيح ما صار إليه أبو سليمان الخطابي وغيره : أنها منحصرة في علم الله تعالى وعلم رسوله ، وموجودة في الشريعة مفصلة فيها غير أن الشرع لم يوقفنا على أشخاص تلك الأبواب ولا عين لنا عددها ولا كيفية انقسامها وذلك لا يضرنا في علمنا بتفاصيل ما كلفنا به من شريعتنا ولا في عملنا ، فما أمرنا بالعمل به عملناه ، وما نهيينا عنه انتهينا ، وإن لم نحط بحصر أعداد ذلك ، والله تعالى أعلم» (١) .

لكن العدد معروف بالتوقيف فلا خلاف فيه . أما التعيين ؛ فما نص عليه الشارع فهو المسلم ، وما لم يرد به النص فلا يُسلم لصاحبه .

ومما نص عليه الشارع : كلمة التوحيد ، وإمطة الأذى عن الطريق ، والحياء ، وقد حث النبي ﷺ على استكمال المسلم لهذه الشُّعب ، ومن ذلك :

منعه لمن كان ينهى أخاه من الاستكثار من الحياء ، وأمره بتركه على حياته .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : لأبي العباس أحمد القرطبي : كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان : ٢١٧/١ مختصراً .

فعن سالم عن أبيه ؛ سمع النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء ، فقال : «الحياء من الإيمان» (١) .

وعن ابن عمر : أن النبي ﷺ ، مرّ على رجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال : «دعه فإنّ الحياء من الإيمان» (٢) .

وعنه ﷺ فيما أخرجه البخاريّ قال : مرّ النبي ﷺ على رجل ، وهو يعاتب أخاه في الحياء ، يقول : إني كنت لستحي ، حتّى كأنه يقول : قد أضرب بك ، فقال رسول الله ﷺ : «دعه ، فإنّ الحياء من الإيمان» (٣) .

قال القاضي : «يعظ أخاه في الحياء : أي يؤنبه ويُقبّح له كثرته ، وأنّه من العجز ، وينهاه عنه» (٤) .

ومن ذلك أيضاً ما رواه أبو أمامة عن النبي ﷺ قال : «

(١) مسلم : الإيمان : بيان عدد شعب الإيمان : ٦٣/١ ، رقم ٣٦ .

(٢) سنن أبي داود : الأدب : باب في الحياء : رقم ٤٧٩٥ ، وصححه

الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩١٠/٣ ، رقم ٤٠١٠ .

والحياء : خُلِقَ يحمل صاحبه على فعل المحمود وترك المذموم .

وقال أبو العباس القرطبي : هو انقباض وحشمة يجدها الإنسان من نفسه عندما يُطَّلَع منه على الحياء مما يُستقبِح ويُذمّ عليه . المفهم :

٢١٧/١ .

(٣) البخاريّ : الأدب : الحياء : ٢٢٦٨/٥ ، رقم ٥٧٦٧ .

(٤) إكمال المُعلِّم : ٢٧٤/١ .

الحياء والعِيُّ شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» (١) .  
 ثم قال الإمام الترمذي : (( والعِيُّ : قِلَّةُ الكلام ، والبذاء : هو  
 الفحش في الكلام ، والبيان هو كثرة الكلام مثل هؤلاء  
 الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام وينقصون في  
 مدح الناس فيما لا يُرضي الله )) .

وقد أخرج الإمام الترمذي في باب استكمال الإيمان  
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضعٌ  
 وسبعون بابًا ، فأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، وأرفعها قول : لا إله إلا  
 الله» (٢) .

(١) سنن الترمذي ، رقم ٢١١٣ . انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٩٩/٢ ،  
 رقم ١٦٥٠ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الإيمان : باب في استكمال الإيمان والزيادة  
 والنقصان : رقم ٢٧٥٨ .

وصححه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٢٨/٢ ،  
 رقم ٢١٠٨ .

الأسلوب السادس : الدلالة على خصال استكمال الإيمان .

عن معاذ الجهني أن النبي ﷺ قال : « من أعطى الله ، ومنع الله ، وأحبَّ الله ، وأبغضَ الله ، وأنكحَ الله ، فقد استكمل إيمانه » (١) .

فالعطاء والمنع والإكاح من الأعمال الظاهرة ، والحبِّ والبغض من أعمال القلوب ، الأعمال الباطنة ، وشرطها كلها أن تكون لله خالصة .

فالحب : أن يحبَّ الله ويحبَّ ما يحبُّه من الأعمال والأوقات والأحوال والأماكن والأنبياء وأتباعهم ، وأن يبغض كلَّ ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان ، ويبغض من يتَّصف بها أو يدعو إليها .

والعطاء والمنع يشمل جميع ما أمر به العبد . وليس قاصراً على العطاء المالي فقط .

وهذا الحديث كما قال الحسن وغيره : « ليس الإيمان بالتمني ولا بالتَّحلي ، ولكنه : ما قر في القلوب وصدَّقته الأعمال » (٢) .

لذا فإنَّه ينبغي للمربي تربية طلابه على إخلاص هذه الأعمال لله وتعويد النَّفس وقسرها على ذلك .

(١) سنن الترمذي : أبواب صفة القيامة : باب ٢٢ : رقم ٢٦٥٥ .

وحسنه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٠٩/٢ ، رقم ٢٠٤٦ .

(٢) اقتضاء العلم العمل ، للخطيب البغدادي ، ص ٤٣ .

الأسلوب السابع : تعليق القلوب بالله وقطع تعلقها بغيره .

فقد كان ﷺ يلفت أنظارهم إلى المعطي الأول والمانع الأول ، والنافع والضار على الحقيقة ، ويقطع تعلق قلوبهم بالناس .

فلو اجتمعوا كلهم لنفعه أو ضرره بشيء لم يُردّه الله تعالى فلن يستطيعوا ، ولو نفعه أحد فإنّ ذلك بأمر الله وقد كتبه وقدره وأراده له . ولولا ذلك ما استطاع ذلك الشخص نفعه أبداً .

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ ؛ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ ، أَحْفَظِ اللَّهَ تُحِذَهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَعَتِ الصُّحُفُ » (١) .

(١) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة : باب ٢٢ ، رقم ٢٦٤٨ .  
وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٠٨/٢ ،  
رقم ٢٠٤٣ .

الأسلوب الثامن : تعظيم قدر التوحيد في القلوب .

فإنَّ المرء إذا عرف فضل الشيء وقيمته ؛ قدره حقَّ قدره ، وجاهد نفسه على الإتيان به كاملاً غير منقوص ، وخاصة إذا وقع في النفس بطريقة وأسلوب جدّاب كما فعل النَّبِيُّ ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال : « بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ . قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ . قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ . قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ : أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ . قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَدِّبَهُمْ » (١) .

(١) البخاري : الرقاق : باب من جاهد نفسه في طاعة الله : ٢٣٨٤/٥ ، رقم ٦١٣٥ .

وأخرجه البخاري في أربعة مواضع غير هذا ، منها : كتاب التوحيد : رقم ٦٩٣٨ .

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان : باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، رقم ٣٠ .

الأسلوب التاسع : غرس أسباب وجود حلاوة الإيمان وذوق طعمه .  
 فإنَّ المؤمن إذا وجد حلاوة الإيمان وذاق طعمه  
 وخالطت بشاشته قلبه لم يتخلَّ عنه أبدًا .

فمن أنس ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ  
 الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا  
 يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ » (١)  
 . وفي رواية مسلم : « وجد بهنَّ » . وفي رواية أخرى له : « لا  
 يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتَّى يحبَّ المرء لا يحبُّه إلاَّ الله ، وحتى أن يُقذف في  
 النار أحبُّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله  
 ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما » . فهنا نفى وجود حلاوة الإيمان  
 حتَّى يتَّصف الإنسان بهذه الأوصاف .

فمن حرص على التحقُّق بها وجاهد نفسه على تحقيقها  
 فسيجد حينئذٍ حلاوة الإيمان ، أي لذته ، فيستلذ بالطاعات  
 والعبادات ، وعلى الأخص ما كان منها بعيدًا عن مظنة  
 الرياء كالمناجاة في الخلوة وقت التنزُّل الإلهي ، وعند ذكِّره  
 سبحانه ، وهكذا في جنس فعل المأمور وسائر العبادات  
 والطاعات ، والكف عن المحظور والمكروه ، ولدى تحمُّل  
 المشاق والمصاعب في رضى الله ﷻ ، وسيستعذبها في

(١) البخاريّ: الإيمان : باب حلاوة الإيمان : ١٤/١ ، رقم ١٦٦ . ومسلم  
 في الإيمان : باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان : ٦٦/١ ،  
 رقم ٤٣ .



سبيله ، وسيؤثر محبة الله ومحابه عن المحاب الأخرى ،  
فهنا يتضح صدق الإيمان والمحبة عند تعارض المحاب .

قال أبو عبدالله البخاريّ : وقال عمّار : « ثلاثٌ من كُنّ فيه  
جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ،  
والإنفاق من الإقتار » (١) .

وعن العباس بن عبدالمطلب ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ  
يقول : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد  
رسولاً » .

قال النووي : « قال صاحب التحرير - رحمه الله - :  
معنى رضيتُ بالشيء : قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه  
غيره . فمعنى الحديث : لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع  
في غير طريق الإسلام ، ولم يسلك إلا ما وافق شريعة  
محمد ﷺ . ولا شك أن من كانت هذه صفته ، فقد خلصت  
حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه » (٢) .

وقال السعدي : « والرضا يقتضي الفرح والسرور  
بربوبية الله له وحسن تدبيره وأفضيته عليه وأن يرضى  
بالإسلام ديناً ويفرح به ويحمد الله على هذه النعمة التي هي

(١) البخاريّ : كتاب الإيمان : باب إفشاء السلام من الإسلام : ١٩/١ ،  
تعليقاً .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي : الإيمان : باب  
الدليل على أن من رضي بالله رباً ... : ١٩٣/٢ ، رقم ١٥٠ .

أكبر المنن حيث رضي الله له الإسلام ووفقه له واصطفاه له ، ويرضى بمحمد ﷺ نبيًا . إذ هو أكمل الخلق ، وأعلاهم في كلّ صفة كمال ، وأمّته وأتباعه أكمل الأمم وأعلاهم وأرفعهم درجة في الدنيا والآخرة .

فالرضا بنبوّة الرسول ورسالته ، وأتباعه ، من أعظم ما يثمر الإيمان ويذوق به العبد حالوته ((<sup>(١)</sup>).

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٢٥ ، مختصرًا .

الأسلوب العاشر : استكمال الإيمان بحسن الخُلق .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ، وخياركم خياركم لنسائهم » (١) .

أي أنه لا يتأتى للإنسان إكمال إيمانه إلا بتحسين خلقه .  
وبقدر النقص في الأخلاق ينقص الإيمان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحياءُ من الإيمان ؛ والإيمانُ في الجنة . والبذاءُ من الجفاء ؛ والجفاءُ في النار » (٢) .

والحياء : خُلق ، وهو شعبة من شعب الإيمان ، وهو خلق ديننا الحنيف ، فلا يكتمل الإيمان إلا به .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا : كلنا رحيم يا رسول الله . قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم رضي الله عنه يقول : «

(١) سنن الترمذي ، أبواب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها : رقم ١١٧٨ ، وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٤٠/١ ، رقم ٩٢٨ .

(٢) سنن الترمذي : رقم ٢٠٠٩ ، والحاكم في المستدرک : ٥٣/١ ، وقال على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٣) قال الحافظ في الفتح : ٤٥٣/١٠ : أخرجه الطبراني ورجاله ثقات ، والألباني في الصحيحة : ٢٧٠/١ ، وقال : هو في كتاب الأدب للبيهقي ، حديث ١٦٧ .

لا تُنَزَّغِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» (١) .

وعن عمرو بن عبسة في حديث طويل . قال : قلت ( أي لرسول الله ﷺ ) : ما الإيمان ؟ قال : « الصبر والسماحة » .

قلت : أي الإيمان أفضل ؟ قال : « حُلُقُ حَسَنٍ » (٢) .

وعن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل المؤمنين : رجلٌ سمحُ البيعِ سمحُ الشراءِ ، سمحُ القضاءِ ، سمحُ الاقتضاءِ » (٣) .

وقال ﷺ : « البذاذة من الإيمان » (٤) .

قال البذاذة : القضاة يعني التقشُّف . والبذاذة أيضاً : رثاثة الهيئة وترك الزينة ، والمراد : التواضع في اللباس وترك التبجُّح به .

وقال ﷺ : « ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفحاش ، ولا البذيء » (٥) .

(١) سنن الترمذي : رقم ١٩٢٣ ، وأبو داود : ٤٩٤٢ ، وقال الألباني : حسن ، ج٣/٩٣٣ ، رقم ٤١٣٣ .

(٢) المسند للإمام أحمد : ٣٨٥/٤ .

وقال الهيثمي في المجمع : ٥٤/١ : « رواه أحمد ، وفيه شهر بن حوشب وقد وثق على ضعف فيه ، وأصله عند مسلم » .

(٣) مجمع الزوائد للهيتمي : ٧٥/٤ .

(٤) صحيح سنن ابن ماجه : ٣٣٢٤/٢ .

(٥) أحمد في المسند : ٤٠٥/١ ، وقال شاكر : إسناده صحيح : ٢٢٢/٥ .

» وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «  
خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق » (١) .

---

(١) أبو داود ، ص ٨١ ، وجامع الأصول : ٦/٦٦٧ ، وقال : إسناده حسن

الحادي عشر : زيادة طمأنينة القلب بالعلم وتظاهر الأدلة .

فليس العارف بالأدلة وتفصيلها ومقارنتها ، والردّ على من يعترضها ، كمن آمن إيماناً مجملاً ولا علم عنده ، وفي هذا يقول شيخ الإسلام : « إن نفس التصديق والعلم في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل ، فليس تصديق من صدّق الرسول مجملاً من غير معرفة منه بتفاصيل أخباره ، كمن عرف ما أخبر به عن الله وأسمائه وصفاته ، والجنة والنار ، والأمم ، وصدّقه في ذلك كله ، وليس من التزم طاعته مجملاً ، ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به كمن عاش حتّى عرف ذلك مفصلاً وأطاعه فيه .

فمن كان مستند تصديقه ومحبّته أدلة توجب اليقين وتبيّن فساد الشبهة العارضة ، لم يكن بمنزلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك .

ولا يستريب عاقل أن العلم بكثرة الأدلة وقوّتها ، وبفساد الشبه المعارضة لذلك ، وبيان بطلان حجّة المحتج عليها ليس كالعلم الحاصل عن دليل واحد من غير أن يعلم الشبه المعارضة له .

فإنّ الشيء كلما قويت أسبابه وتعددت وانقطعت موانعه واطمحت كان أوجب لكماله وقوّته وتمامه» (١) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِذْ قَالَ { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ نُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ

(١) الفتاوى : ٥٦٦/٧ .

تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي } قَالَ : وَيَرْحَمُ اللَّهُ لَوْ طَا لَقَدْ كَانَ  
يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ لَبِثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ  
« (١) » .

ومعنى : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ » : أن الشكَّ  
مستحيل في حقِّ إبراهيم . فإنَّ الشكَّ في إحياء الموتى لو  
كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا ( أي نبينا محمد ﷺ ) أحقَّ  
به من إبراهيم ، وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم  
ﷺ لم يشكَّ « (٢) » .

ومن تعدد الأدلة أيضاً : مراقبة العبد تحقق ما وعد الله  
به على السنة رُسُلِهِ من الأوامر والنواهي ، والإخبارات ،  
وأَنَّهُ إذا فعل كذا جازاه بكذا ، وإذا فعل كذا حصل له كذا ،  
فإنَّ مشاهدة تحقق ذلك ، وعدم تخلفه يزيد الإيمان ويرسخه  
، بكثرة ما يشاهد بعينه من جزاءات على المعاصي  
والحسنات على حدِّ سواء . وفي هذا يقول الإمام ابن القيم  
- رحمه الله - (٣) : « فاعلم أن هذا - أي زيادة الإيمان -  
حاصل من التفات العارف إلى الذنوب والمعاصي منه ومن  
غيره وإلى ترتب آثارها عليها ، وترتب هذه الآثار علَّم من

(١) مسلم : الإيمان : باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة : ١٣٣/١ ،  
رقم ١٥١ .

(٢) نقلها المحقق محمد فؤاد عبدالباقي في الحاشية شرحاً للحديث . وهو  
قول الإمام أبو إبراهيم المُرَني صاحب الشَّافعيِّ وجماعات من العلماء

(٣) مدارج السَّالِكين : ٤٢٢/١ - ٤٢٦ . مختصراً .

أعلام النبوة . فإنَّ الرسل أمروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم ، في معاشهم ومعادهم ، ونهوهما عما فيه فساد ظواهرهم ، وبواطنهم في المعاش والمعاد ، وأخبروهم عن الله ﷻ : أَنَّهُ يَحِبُّ كَذَا وَكَذَا ، وَيُثِيبُ عَلَيْهِ بِكَذَا وَكَذَا ، وَأَنَّهُ يُبْغِضُ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَيَعَاقِبُ عَلَيْهِ بِكَيْتَ وَكَيْتَ . وَأَنَّهُ إِذَا أَطِيعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ : شَكَرَ عَلَيْهِ بِالْإِمْدَادِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّعْمِ ، فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ . وَوَجَدَ الْعَبْدُ زِيَادَتَهُ وَقَوَّتَهُ فِي حَالِهِ كُلِّهَا ، وَأَنَّهُ إِذَا خُولِفَ أَمْرُهُ وَنَهِيَ ، تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ النِّقْصِ وَالْفَسَادِ وَالضَّعْفِ ، وَالذِّلِّ وَالْمَهَانَةِ ، وَالْحَقَارَةِ ، وَضِيقِ الْعَيْشِ ، وَتَنَكُّدِ الْحَيَاةِ مَا تَرْتَّبَ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١) . وَقَالَ تَعَالَى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (٢) .

وُفَسِّرَتِ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرَزَخِ .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ آثَارًا مَحْبُوبَةً لَذِيذَةً طَيِّبَةً ؛ لَدَّتْهَا فَوْقَ لَذَّةِ الْمَعْصِيَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ . لَا نِسْبَةَ لَهَا إِلَيْهَا . وَجَعَلَ لِلسَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي آثَارًا

(١) النحل : الآية ( ٩٧ ) .

(٢) طه : الآية ( ١٢٤ ) .



مكروهة ، وحزازات تُرْبِي على لذة تناولها بأضعاف مضاعفة . فما حصل للعبد حال مكروهة قط إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر . قال الله تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } (١) . وقال لخيار خلقه وأصحاب نبيه ﷺ : { أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا فَلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ } (٢) . وقال : { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } (٣) . والمراد بالحسنة والسيئة هنا : النعم والمصائب التي تصيب العبد من الله . ولهذا قال : { مَا أَصَابَكَ } ، ولم يقل : ما أصبت .

فكلُّ نقص وبلاء وشرٌّ في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ، ومخالفة أوامر الربِّ ، فليس في العالم شرٌّ قط إلا الذنوب وموجباتها .

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال : أمر مشهود في العالم . لا ينكره ذو عقل سليم . بل يعرفه المؤمن والكافر ، والبرِّ والفاجر . وشهود العبد ؛ هذا في نفسه وفي غيره ، وتأمله ومطالعه : مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل .

وبالثواب والعقاب فإنَّ هذا عدل مشهود محسوس في

(١) الشورى : الآية ( ٣٠ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ١٦٥ ) .

(٣) النساء : الآية ( ٧٩ ) .

هذا العالم ومثوبات وعقوبات عاجلة دالة على ما هو أعظم منها لمن كانت له بصيرة .

كما قال بعض الناس : إذا صدر مني ذنب ولم أبادره . ولم أداركه بالتوبة : انتظرت أثره السيئ . فإذا أصابني - أو فوَّقه أو دونه - كما حسبت . يكون هجِّيراي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمَّدًا رسول الله . ويكون ذلك من شواهد الإيمان وأدلته . فإنَّ الصادق متى أخبرك أنك إذا فعلت كذا وكذا ترتب عليه من المكروه كذا وكذا . فجعلت كلما فعلت شيئًا من ذلك حصل لك ما قال من المكروه ؛ لم تزد إلا علمًا بصدقه وبصيرة فيه . وليس هذا لكلِّ أحد . بل أكثر النَّاس ترين الذنوب على قلبه . فلا يشهد شيئًا من ذلك ولا يشعر به البتة .

وإنَّما يكون هذا لقلب فيه نور الإيمان ، وأهوية الذنوب والمعاصي تعصف فيه . فهو يشاهد هذا وهذا . ويرى حال مصباح إيمانه مع قوَّة تلك الأهوية والرياح . فيرى نفسه كراكب البحر عند هيجان الرياح ، وتقلُّب السفينة وتكفُّها ، ولا سيما إذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح .

فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب ، إذا أريد به الخير ، وإن أريد به غير ذلك فقلُّبه في واد آخر .

فشهود العبد نقص حاله إذا عصى ربّه ، وتغيُّر القلوب عليه ، وجفولها منه ، وانسداد الأبواب في وجهه ، وتوعُّر المسالك عليه ، وهوانه على أهل بيته وأولاده وزوجته

وإخوانه ، وتطلبه ذلك حتى يعلم من أين أتى ؟ ووقوعه على السبب الموجب لذلك . مما يقوّي إيمانه .

فإن أفلح وباشر الأسباب التي تُفضي به إلى ضدّ هذه الحال ، رأى العزّ بعد الدّل ، والغنى بعد الفقر ، والسرور بعد الحزن ، والأمن بعد الخوف ، والقوّة في قلبه بعد ضعفه ووهنه ؛ ازداد إيماناً مع إيمانه . فتقوى شواهد الإيمان في قلبه وبراهينه وأدلتها في حال معصيته وطاعته . فهذا من الذين قال الله فيهم : { لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١) .

وصاحب هذا المشهد متى تبصّر فيه ، وأعطاه حقّه : صار من أطباء القلوب العالمين بدائها ودوائها . فنفعه الله في نفسه ونفع به من شاء من خلقه . والله أعلم (( (٢) .

وإيراد هذا هنا ، من وجهين : الأوّل لفت الأنظار إلى هذا المصدر من الأدلة الذي لا ينتهي ، وذلك لترسيخ الإيمان وزيادته . والثاني : محاسبة النفس والاعتبار بما يحصل للإنسان نفسه ولغيره من جرّاء اقتراف الذنوب .

(١) الزمر : الآية ( ٣٥ ) .

(٢) مدارج السالكين : ٤٢٢/١ - ٤٢٦ مختصراً .

الثاني عشر : الحثّ على العمل والعبادة والاستعانة بالله .

ومما يرسّخ الإيمان ويُنْبِثه في القلب : القيام بالأعمال الصالحة ، الظاهرة كالصلاة والصوم والصدقة والدعوة إلى الله ، والتعليم والتربية والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذكر الله ، وغير ذلك من أعمال البرّ .

والباطنة كمحبّة الله ورسوله والمؤمنين وبغض ما يبغضه الله ، والبراء من الكافرين والولاء للمسلمين ، وكذا الخوف والخشية ، والرجاء ، والتوكّل ، وغير ذلك من أعمال القلوب .

قال الله تعالى : { ... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيئًا } <sup>(١)</sup> . فإنّ فعل الأعمال الصالحة - أعمال القلوب وأعمال الجوارح - هي أشدّ تثبيئًا للمؤمن في إيمانه وترسيخه وتقويته .

والطريق إلى ذلك هو الاجتهاد والحرص على فعل الأمور وترك المحظورات والاستعانة بالله على ذلك ، كما قال تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } عبادة واستعانة بالله عليها ، وقوله تعالى : { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } <sup>(٢)</sup> .

وكان ﷺ يأمر بالقوّة في ذلك وبالحرص على ما ينفع ، وترك العجز والكسل ، ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي

(١) النساء : الآية ( ٦٦ ) .

(٢) هود : الآية ( ١٢٣ ) .

هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ . اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ . وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » (١) .

وفي السنن أن النبي ﷺ قضى على رجل ، فقال المَقْضِيُّ عليه : حسبي الله ونعم الوكيل . فقال النبي ﷺ : « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس . فإذا غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم الوكيل » (٢) .

قال شيخ الإسلام : « وأما قوله : فالأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل على ترتيبها ؟ هل يبدأ بالزهد ؟ أو بالعلم ؟ أو بالعبادة ؟ أو يجمع بين ذلك حسب طاقته ؟ فيقال له : لا بُدَّ من الإيمان الواجب ، والعبادة الواجبة ، والزهد الواجب . ثمَّ النَّاسُ يتفاضلون في الإيمان ؛ كتفاضلهم في شعبه ، وكلَّ إنسان يطلب ما يمكنه طلبه ، ويقدم ما يقدر على تقديمه من الفاضل .

فمنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد ، ومنهم من

(١) مسلم : القدر : باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله : ٢٠٥٢/٤ ، رقم ٢٦٦٤ .

(٢) سنن أبي داود : ١٨ - كتاب الأفضية ٢٨ - باب الرَّجُلُ يحلف على حقه : ٤٤/٤ ، رقم ٣٦٢٧ . أسقطه الألباني - رحمه الله - من صحيح سنن أبي داود ، لضعفه . انظر : ضعيف الجامع ، ١٧٥٩ .  
والكيس : خلاف الخرق ، لأنه مجتمع الرأي والعقل . انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ١٤٩/٥ .

يكون الزهد أيسر عليه ، ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه  
منهما .

فالمشروع لكلّ إنسان : أن يفعل ما يقدر عليه من الخير  
كما قال تعالى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } <sup>(١)</sup> . وإذا ازدحمت  
شعب فُدم ما كان أرضى الله وهو عليه أقدر . فقد يكون على  
المفضول أقدر منه على الفاضل ويحصل له أفضل مما  
يجعل من الفاضل ، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له  
وهو في حقه أفضل ، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقاً ، إذا  
كان متعديراً في حقه أو متعسراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع  
؟

كمن يقرأ القرآن بالليل فيتدبره وينتفع بتلاوته ، والصلاة  
تثقل عليه ولا ينتفع منها بعمل ، أو ينتفع بالذكر أعظم مما  
ينتفع بالقراءة .

فأي عمل كان له أنفع والله أطوع أفضل في حقه من  
تكلف عمل لا يأتي به على وجهه . بل على وجه ناقص  
ويفوته به ما هو أنفع له .

ومعلوم أن الصلاة أكد من قراءة القرآن ، وقراءة القرآن  
أفضل من الذكر والدعاء .

ومعلوم أيضاً أن الذكر في فعله الخاص : كالركوع

(١) التغابن : الآية (١٦) .

والسجود أفضل من قراءة القرآن في ذلك المحلّ . وأن الذكر والقراءة والدعاء عند طلوع الشمس وغروبها خير من الصلاة ...

ثمّ قال : وأمّا طريق الوصول إلى ذلك ( أي إلى تقوية الإيمان بالعبادة والعلم والزهد ) فبالاجتهاد في فعل المأمور وترك المحظور والاستعانة به على ذلك <sup>(١)</sup> .

والدعوة إلى الله تعالى والسعي في هداية الناس وطلب الخير لهم ، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البرّ والتقوى ، والجهاد وسائر أنواع البرّ ؛ كلّ ذلك من العمل ، وهو يقوي الإيمان ويثبته وينميّه .

---

(١) الفتاوي : ٦٥١/٧ - ٦٥٣ مختصراً .

الثالث عشر : استحضار أمور الإيمان واستدامة الذكر وعدم الغفلة .  
 قد يكون لدى المؤمن كثير من خصال الإيمان ولكنه لا  
 يستحضرها فيعيش كثيراً من أوقاته في غفلة ، فالتفاضل  
 عند المؤمن بدوام استحضار أمور الإيمان وذكرُ الله ﷻ .  
 فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( كان النبي ﷺ يذكرُ  
 الله على كلِّ أحيانه )) (١) .

قال ابن القيم في أوجه مجيء الذكر في القرآن الكريم :  
 (( الثالث : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته ، كقوله تعالى : {  
 وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٢) . والنهي عن ضده من  
 الغفلة والنسيان كقوله تعالى : { وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } (٣) .

وبالذكر تُستجلب معية الله ﷻ . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال  
 : قال رسول الله ﷺ : (( يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا  
 مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي  
 مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأِ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ،  
 وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً )) (٤) .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (( الشيطان جاثم

(١) مسلم : كتاب الحيض : ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها : ٢٨٢/١ ،  
 رقم ٣٧٣ .

(٢) الأنفال : الآية ( ٤٥ ) ، والجمعة : الآية ( ١٠ ) .

(٣) الأعراف : الآية ( ٢٠٥ ) .

(٤) مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب الحث على  
 ذكر الله : ٢٠٦١/١ ، رقم ٢٦٧٥ .



على قلب ابن آدم ، فإذا سها وعَقَلَ وسوس ، فإذا ذَكَرَ الله تعالى خنس )) (١) .

وقال في قوله تعالى : { وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } (٢) : (( إنَّ الله تعالى لم يفرض على عباده فريضةً إلا جعل لها حدًّا معلومًا ، ثمَّ عذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر فإنَّ الله تعالى لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه فقال : { فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ } (٣) . بالليل والنهار ، في البرِّ والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقير ، والسقم والصحة ، والسرِّ والعلانية ، وعلى كلِّ حال )) (٤) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : (( محبَّة الله ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحبِّ والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته ، هو جنَّة الدنيا والنعيم الذي لا يُشبهه نعيم ، وهو فُرَّة عين المحبِّين وحياة العارفين )) (٥) .

(١) الوابل الصيب ، ص ٥٦ .

(٢) الأحزاب : الآية ( ٤١ ) .

(٣) النساء : الآية ( ١٠٣ ) .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : تفسير سورة الأحزاب : ٥٠٣/٣ .

(٥) الوابل الصيب ، ص ٧٠ .

وقال الحافظ ابن حجر : « ويُطلق ذِكْرُ الله أيضًا ويُراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه ، كتلاوة القرآن ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنقل بالصلاة » (١) .

وقال شيخ الإسلام : « التفاضل يحصل في هذه الأمور - أي أسباب الإيمان - من جهة دوام ذلك وثباته وذكره واستحضاره ، كما يحصل البغض من جهة الغفلة عنه والإعراض والعلم والتصديق والحبّ والتعظيم وغير ذلك . فما في القلب هي صفات وأعراض وأحوال تدوم وتحصل بدوام أسبابها وحصول أسبابها . والعلم وإن كان في القلب ، فالغفلة تنافي تحقّقه . والعالم بالشيء في حال غفلته عنه دون العالم بالشيء في ذكره له : قال عمير بن حبيب الخطمي من أصحاب النبي ﷺ : الإيمان يزيد وينقص ، قالوا : وما زيادته ونقصه ؟ قال : إذا حمدنا الله وذكرناه وسبّحناه فذلك زيادته ، فإذا غفلنا ونسينا وضيّعنا فذلك نقصانه » (٢) .

وقال السعدي : « ومن أسباب دواعي الإيمان : الإكثار من ذكر الله كلّ وقت ، ومن الدعاء الذي هو مخّ العبادة . فإنّ الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيها

(١) فتح الباري : ٢١٢/١١ .

(٢) الفتاوى : ٥٦٦/٧ .

وينميتها ، وكلما ازداد العبد ذكراً لله ، قوي إيمانه ؛ كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر . فمن أحبّ الله أكثر من ذكره ؛ ومحبة الله هي الإيمان بل هي روجه <sup>(١)</sup> .

وإذا كان ذكر الله يغرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وينمّيها ويسقيها ؛ فإنّ الغفلة تُصيب شجرة الإيمان بالذبول والاصفرار وربما الموت .

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥١ .

الرابع عشر : تلاوة القرآن وتعلمه وتدبره .

وسياتي مفصلاً في الحديث عن المعرفة ، وإيراده هنا من باب الأهمية والتأكيد عليه ، فقد كان من أهم أساليبه ﷺ في ترسيخ الإيمان القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتعليماً وتدبراً ؛ إذ هو منبع الهداية وأصلها . قال الله تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ } <sup>(١)</sup> . وقال تعالى : { قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً } <sup>(٢)</sup> .

فتلاوته أو سماعها تزيد الإيمان وترسخه وتقويه ، قال الله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } <sup>(٣)</sup> .

ومن أعظم ما يقوي الإيمان : تدبر القرآن وتأمله ودراسته ، وقد حث الله على تدبره فقال : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } <sup>(٤)</sup> . وقال تعالى : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } <sup>(٥)</sup> . وقال : { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ } <sup>(١)</sup> . وقال تعالى

(١) النحل : الآية ( ٨٩ ) .

(٢) فصلت : الآية ( ٤٤ ) .

(٣) الأنفال : الآية ( ٢ ) .

(٤) النساء : الآية ( ٨٢ ) .

(٥) ص : الآية ( ٢٩ ) .

: { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ } <sup>(١)</sup> . أي أنهم لو أحاطوا بما في القرآن من العلم لمنعهم من التكذيب وأوجب لهم الهداية بل ورسخ إيمانهم وقواه وزاده .

فعن جندب البجلي رضي الله عنه قال : (( كُنَّا غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً <sup>(٢)</sup> مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن ، فازدنا به إيمانًا )) <sup>(٣)</sup> .

وعن قتادة - رحمه الله - قال : (( ما جالس القرآن أحدًا فقام عنه إلا بزيادةٍ أو نقصان ، ثم قرأ : { وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } )) <sup>(٤)</sup> . وهذا صحيح ، فقد قال الله تعالى : { وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ = ١٢٤ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ } <sup>(٥)</sup> . وقوله

(١) المؤمنون : الآية ( ٦٨ ) .

(٢) يونس : الآية ( ٣٩ ) .

(٣) حزاورة : جمع حزور : وهو الغلام إذا قارب البلوغ واشتد وقوي .

(٤) سنن ابن ماجه : باب في الإيمان ، رقم ٦١ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ١٦/١ ، رقم ٥٢

(٥) سنن الدارمي ، ٣٣٤٧ ، عن نضرة النعيم : ١٢٢٧/٤ .

(٦) التوبة : الآيتان ( ١٢٤ ، ١٢٥ ) .

تعالى : { وَيَخْرُونَ لِالذَّقَانِ يَبْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } (١) .  
والخشوع من أعمال القلوب ؛ التي تمثل الإيمان الباطن .

---

(١) الإسراء : الآية ( ١٠٩ ) .

الخامس عشر : النظر بتدبر في آيات الله في الأفاق وفي الأنفس .  
 وسيأتي أيضاً في المعرفة . وإيراده هنا لأهميته .  
 وسيُقتصر على إيراد آية ومثال تطبيقي للرسول ﷺ .

قال الله تعالى : { سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } (١) .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : « أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ . فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ . فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } حَتَّىٰ بَلَغَ : { فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى » (٢) .

فيه دليل على أهمية النظر والتأمل في مخلوقات الله ؛ وأعظمها السماء . فالتأمل فيها يجعل المؤمن يُعظم خالقها ويخشع له قلبه ، فيزداد إيمانه .

(١) فصلت: الآية (٥٣) .

(٢) مسلم : الطهارة : باب السواك : ٢٢١/١ ، رقم ٢٥٦ .

السادس عشر : التعريف بأسماء الله الحسنى والتعبد بها .

قال الله تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } (١) .  
والدعاء يتضمن دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، والكَمَلُ من  
المؤمنين هم الَّذِينَ يَتَعَبَّدُونَ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا ، لَا  
يَطْغَى اسْمَ عَلَى اسْمٍ .

وقد ثبت في كثيرٍ من دواوين السُّنَّةِ منها الصحيحين قول  
النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا - مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا - مَنْ  
أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٢) ، وفي رواية : « من حفظها » .

قال السعدي - رحمه الله - : « أي من حفظها ، وفهم  
معانيها واعتقدها ، وتعبد الله بها دخل الجنة . ومعرفتها  
تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد  
الإلهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . وهذه الأنواع هي  
رُوحُ الإِيمَانِ وَرُوحِهِ ، وَأَصْلُهُ وَغَايَتُهُ ، فَكُلَّمَا أَزْدَادَ الْعَبْدُ  
مَعْرِفَةَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ؛ أَزْدَادَ إِيمَانَهُ ، وَقَوِيَ يَقِينُهُ ،  
فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ : أَنْ يَبْذُلَ مَقْدُورَهُ وَمُسْتَطَاعَهُ فِي مَعْرِفَةِ  
الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَتَكُونَ مَعْرِفَتُهُ سَالِمَةً مِنْ دَاءِ التَّعْطِيلِ  
، وَمِنْ دَاءِ التَّمْثِيلِ ؛ اللَّذِينَ ابْتُلِيَ بِهِمَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ ،  
بَلْ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ مُتَلَقَاةً مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا رُوِيَ عَنْ  
الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، فَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْنَافِعَةُ الَّتِي  
لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا فِي زِيَادَةِ فِي إِيمَانِهِ وَقُوَّةِ يَقِينِهِ ، وَطَمَآنِينَةٍ

(١) الأعراف : الآية ( ١٨٠ ) .

(٢) مسلم : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب أسماء الله تعالى  
وفضل من أحصاها : ٢٠٦٢/٤ ، رقم ٢٦٧٧ .



في أحواله .

فَعُلْمُ : أن ذلك أعظم ينبوع ومادّة لحصول الإيمان وقوّة ثباته ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان ، والإيمان يرجع إليها )) (١) .

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان : ص ٤٠ ، ٤١ باختصار مع تأخير في الجملة الأخيرة .

السابع عشر : التأسى بالنبي ﷺ ، ومعرفة سنته واتباعها .  
ومما يثبت الإيمان : معرفة النبي ﷺ وما هو عليه من  
الخلق العظيم ، فقد وصفه ربه ﷻ فقال : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ  
عَظِيمٍ } <sup>(١)</sup> . وسئلت عائشة - رضي الله عنها - عن ذلك  
فقالت : (( فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ )) <sup>(٢)</sup> .

وكان ﷺ يدعو أصحابه للتأسي به فيقول : (( أليس لكم فيَّ  
أسوة ؟ )) <sup>(٣)</sup> . وقال الله تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ  
حَسَنَةٌ } <sup>(٤)</sup> .

ذلك أن معرفة أخلاق النبي ﷺ وهديه ودله وسمته  
مفصلاً من أكبر الدواعي للتأسي به والتطبيق .

وكان يدعو إلى التمسك بسنته ﷺ في حياته ، ويوصي  
بالتمسك بها بعد مماته ، فيقول ﷺ : (( تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ  
لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي )) <sup>(٥)</sup> .

وقال ﷺ : (( اتقوا الله ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ،

(١) القلم : الآية ( ٤ ) .

(٢) مسلم : صلاة المسافرين وقصرها : باب جامع صلاة الليل : ٥١٢/١ ،  
رقم ٧٤٦ .

(٣) مسلم : صلاة المسافرين وقصرها : باب جامع صلاة الليل : ٥١٢/١ ،  
رقم ٧٤٦ .

(٤) الأحزاب : الآية ( ٢١ ) .

(٥) سيأتي تخريجه إن شاء الله .

وَأِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ  
الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِي الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ  
وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (١) .

وحدّر ﷺ من الرغبة عن سنته ، فقال : « ... فمن رغب عن  
سنتي فليس مني » (٢) .

فالاتجاه في تعلم السنة مع الكتاب ومعرفة أدلة الأحكام  
وهدي المصطفى ﷺ يثبت الإيمان ويقويه ، وينير الطريق  
للعمل .

(١) السنّة لابن أبي عاصم : باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء  
الراشدين : ٢٩/١ ، رقم ٥٤ . قال الألباني : إسناده صحيح ، رجاله  
ثقات .

(٢) البخاري : النكاح : الترغيب في النكاح : ١٩٤٩/٥ ، رقم ٤٧٧٦ .

الثامن عشر : التربية على معرفة صفات أهل الإيمان .

وهي كثيرة ؛ ومنتشرة في الكتاب والسنة ، ومنها ما جاء في مقدّمة سورة (( المؤمنون )) في التسع الآيات الأولى ، وكذا ما جاء في سورة الفرقان في ثمثي عشرة آية من قوله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } ، إلى قوله تعالى : { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } . فهذه الصفات التي جاء فيها : الخشوع في الصلاة ، والمحافظة عليها ، وفعل الزكاة ، وحفظ الفروج ، ورعاية العهود والأمانات ، والتواضع في المشي ، والذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ، ويقومون الليل ، ويدعون الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، وهم معتدلون في الإنفاق لا إسراف ولا تقتير ، ولا يشركون بالله ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ولا يشهدون الزور ، ويجتنبون اللغو ، وإذا دُكِّروا بآيات الله تابوا ورجعوا ، وهم مع ذلك يدعون ربهم أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم فُرَّةً أعين ويجعلهم للمتقين إمامًا . هذه الصفات وتأمّلها وتدبّرُها والتحقّق بها تثمر الإيمان وتنميه وتزيده .

قال السعدي - رحمه الله - : « فحضور القلب في الصلاة وكون المصلي يجاهد نفسه على استحضار ما يقوله ويفعله ، من القراءة والذكر والدعاء فيها ، ومن القيام والقعود ، والركوع والسجود من أسباب زيادة الإيمان ونموه ، وتقدّم أن الله سمّى الصلاة إيمانًا بقوله : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ

إِيمَانَكُمْ} <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } <sup>(٢)</sup> . فهي أكبر ناهٍ عن كلّ فحشاء ومنكر ينافي الإيمان ، كما أنّها تحتوي على ذكر الله الذي يغذي الإيمان وينميه ، لقوله : { وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } .

والزكاة كذلك تنمي الإيمان وتزيده ، فرضها ونفلها : كما قال ﷺ : « والصدقة برهان » . أي على إيمان صاحبها ، فهي دليل الإيمان ؛ وهي كذلك تغذيه وتنميه .

والإعراض عن اللغو الذي هو : كلّ كلام لا خير فيه ، وكل فعل لا خير فيه - بل يقولون الخير ويفعلونه ، ويتركون الشرّ قولاً وفعلًا - لا شكّ أنّه من الإيمان ، ويزداد به الإيمان ، ويثمر الإيمان <sup>(٣)</sup> .

وقد كان ﷺ يربي أصحابه على خصال الإيمان ، وقد استفاضت كتب السنة بهذا ، ومن ذلك قوله ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » <sup>(٤)</sup> .

ومن الأمثلة التطبيقية الكثيرة في حياته ﷺ ما روي عن

(١) البقرة : الآية ( ١٤٣ ) .

(٢) العنكبوت : الآية ( ٤٥ ) .

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) البخاريّ : الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره : ٢٢٤٠/٥ ، رقم ٥٦٧٢ .

عائشة - رضي الله عنها - : (( أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا :  
السَّامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : عَلَيْكُمْ ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَعَضِبَ  
اللَّهُ عَلَيْكُمْ . قَالَ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ  
وَالْفُحْشَ . قَالَتْ : أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟  
رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ )) (١) .

---

(١) البخاريّ : الأدب : باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا : ٢٢٤٣/٥ ،  
رقم ٥٦٨٣ .

التاسع عشر : التربية على الزُّهد .

والزُّهد من أسباب تجريد الإيمان وتحقيقه وذلك لأَنَّهُ يقطع التعلُّق بالدنيا فيصنِّف القلبُ لله ﷻ ، وهذا من أسباب حُبِّ الله للعبد ، ومحبة الله للعبد هي أقصى الأمانى وأجلَّ المطالب وأعظم المقاصد ، وترسيخ الإيمان وتقويته من أجل حصولها .

فالله ﷻ يعطي الآخرة للزاهد في الدنيا والذي لا يريد علواً فيها : قال تعالى : { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } <sup>(١)</sup> . وقال ﷻ : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } <sup>(٢)</sup> . وقال سبحانه : { لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } <sup>(٣)</sup> . وقال ﷻ : { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } <sup>(٤)</sup> .

فهذه الآيات تأمر بالقناعة والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله ؛ وترك الأسى على الفائت والفرح بالآتي ، وأن

(١) القصص : الآية ( ٨٣ ) .

(٢) الشورى : الآية ( ٢٠ ) .

(٣) الحديد : الآية ( ٢٣ ) .

(٤) طه : الآية ( ١٣١ ) .

زهرة الحياة الدنيا فتنة للعبد .

ومن أساليب النبي ﷺ في تربية الزهد في قلوب أصحابه أنه كان يحثُّ عليه ويربطه بمحبة الله .

فعن سهل بن سعد الساعديّ ﷺ قال : أتى النبيّ ﷺ رجلاً فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذُنْبِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ » (١) .

ويأمر بزيارة القبور لنزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وترقق القلوب .

فعن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً » (٢) . وفي حديث أنس ﷺ : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلَا فَرُورُوهَا فَإِنَّهُ يُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُدْمَعُ الْعَيْنَ وَتَذَكَّرُ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَقُولُوا هَجْرًا » (٣) .

وكان ﷺ يرعّب في الاهتمام بالآخرة وعدم الاهتمام

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب الزهد في الدنيا : رقم ٤١٠٢ ، وصححه الألباني : انظر صحيح سنن ابن ماجه : ٣٩٢/٢ ، رقم ٣٣١٠ .

(٢) المستدرک : الجنائز : ٥٣٠/١ ، رقم ١٣٨٦ ، وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه ، قال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم .

(٣) المصدر السابق والمكان نفسه : رقم ١٣٩٣ ، وقال في التلخيص : وروي بإسناد آخر عن أنس .



## بالدنيا .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
 « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ  
 مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ  
 غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » (١) .

ويحدث رضي الله عنه أصحابه أن يكون أحدهم كالغريب في الدنيا ،  
 فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « أَخَذَ رَسُولُ  
 اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ .  
 وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا  
 أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ،  
 وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » (٢) . وفي رواية ابن ماجه : « وَعُدَّ  
 نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » .

ويحذرهم من فتنة الدنيا والمال فيقول صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ  
 أُعْطِيَ وَادِيًا مَلَأًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا ،  
 وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا الثَّرَابُ ، وَيَنْتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » (٣) .

(١) سنن ابن ماجه : الزهد : باب الهم بالدنيا : رقم ٤١٠٥ ، وصححه

الألباني : انظر صحيح سنن ابن ماجه : ٣٩٣/٢ ، رقم ٣٣١٣ .

(٢) البخاري : الرقاق : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كن في الدنيا ... » :

٢٣٥٨/٥ ، رقم ٦٠٥٣ .

وانظر في الرواية الأخرى : صحيح سنن ابن ماجه ، رقم ٣٣٢٢ .

(٣) المصدر السابق والمكان نفسه : رقم ٦٠٧٤ .

ولقد كان ﷺ يدعو الناس بشخصه الكريم ، فقد كان أزهد الناس .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خُبز الشعير » (١) . فهذا مثال تطبيقي من حياته ﷺ ، ومن ذلك أيضاً ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ ، مُنذُ قَدِمَ المَدِينَةَ ، مِنْ طَعَامِ البُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا ، حَتَّى فُيْضَ » (٢) .

وقال عمر رضي الله عنه : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظُلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي ، مَا يَجِدُ دَقْلًا يَمَلَأُ بِهِ بَطْنَهُ » (٣) .

وعن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقول : « وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي ! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ . ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ . وَمَا أَوْقَدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ . قَالَ قُلْتُ : يَا خَالَهُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ .

إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ . فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ

(١) البخاري : الأطعمة ، ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون : ٢٠٦٦/٥ ، رقم ٥٠٩٨ .

(٢) المصدر السابق والموضع نفسه : رقم ٥١٠٠ .

(٣) مسلم ، الزهد والرقائق : ٢٢٨٥/٤ ، رقم ٢٩٧٨ .  
والدقل : رديء التمر ويابس . النهاية : ١٢٧/٢ .

أَلْبَانِيهَا فَيَسْقِينَاهُ» (١) .

وكان ﷺ يدعو الله أن يجعل رزق آل محمد ﷺ قوتًا أو كفاً ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا » (٢) . وفي رواية : كفاً .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ ، وَحَشَوُهُ مِنْ لَيْفٍ » (٣) .

ومن هدي الصحابة في هذا ما رواه أبو عبد الرحمن الحُبَلِيُّ قَالَ : « سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَيْكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَيْكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ، قَالَ : فَإِنَّ لِي خَادِمًا . قَالَ : فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ » (٤) .

ومن زهد النبي ﷺ في الدنيا ما رواه عبدالله قال : « نَامَ

(١) مسلم : الزهد والرقائق : ٢٢٨٣/٤ ، رقم ٢٩٧٢ .

والمنايح : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ، ثم يردّها إذا انقطع اللبن . ثم كثر استعماله حتى أطلق على كلّ عطاء .  
المصباح : ٥٨٠ .

(٢) المصدر السابق : والموضع نفسه : رقم ٢٩٦٩ .

قوتًا : أي بقدر ما يُمسك الرّمق من المطعم . النهاية : ١١٩/٤ .

(٣) البخاريّ : انظر فتح الباري : ٦٤٥٦/١١ .

(٤) مسلم : الزهد : ٢٠٨٢/٤ ، رقم ٢٩٧٩ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ ، فَقَامَ وَقَدْ أُتِرَ فِي جَنْبِهِ ، فَقُلْنَا :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً ، فَقَالَ : مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا ، مَا  
أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاجِبٍ اسْتَنْظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا )) (١) .

---

(١) سنن الترمذي : أبواب الزهد : باب ٣١ ، رقم ٢٤٩٦ ، وصححه  
الألباني ، انظر : صحيح سننه : ٢٨٠/٢ ، رقم ١٩٣٦ .

العشرون : الجلسات الإيمانية .

كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا كانوا عند رسول الله ﷺ كانوا في مستوى إيماني رفيع ، فهم في حالة ذكر دائم ، فإما أن يكونوا في صلاة ، أو مجلس تعليم ، أو مجلس ذكر يذكرهم فيه الله والدار الآخرة ، والجنة والنار . وإما يقصُّ عليهم من قصص الأمم الماضية وما صنع الله بهم .

وإما يكونوا مع بعضهم البعض يتذكرون بينهم ، فإذا غادر أحدهم هذه المجالس الإيمانية وجد في نفسه وأنكر على قلبه تدني المستوى الإيماني عما كان عليه حال وجوده عند رسول الله ﷺ ، حتى إن بعضهم يخشى على نفسه النفاق ، ومن ذلك ما رواه أبو عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي ؛ قال : وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال قلت : نفاق حنظلة . قال سبحان الله ! ما تقول ؟ قال قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يُدكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين . فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات . فنسينا كثيرا . قال أبو بكر : فوالله ! إنا لنلقى مثل هذا .

فأنطلقت أنا وأبو بكر ، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ . قلت : نفاق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذلك ؟ قلت : يا رسول الله ! نكون عندك . نُدكرنا بالنار والجنة . حتى كأننا رأي عين . فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات . نسينا كثيرا . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ! إن لو تدومون على ما تكونون

عُنْدِي ، وَفِي الذِّكْرِ ، لَصَافِحَتِكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ ، وَفِي طُرُقِكُمْ . وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ ! سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ )) (١) .

قال القاضي عياض : (( وقوله : نافق حنظلة ، أي بما ظهر منه بحضرة النبي ﷺ من الخوف ، خلاف ما كان منه في منزله وانفراده ، خشي النفاق . فأعلمه النبي ﷺ أن الحال منهم لا تقتضي بقاءهم على وتيرة واحدة ، وأن مثل هذا ليس بنفاق ، فأعلمهم أن هذه الحال التي وجدوها من أنفسهم عنده لو كانوا ملازمين لها لصافحتهم الملائكة في الطريق )) (٢) ، وذلك للمستوى الإيماني الرفيع ، واليقين الذي يصلون إليه .

قول النبي ﷺ : (( ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذِّكْرِ لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق )) . دلّ على فضل دوام الذِّكْرِ ومجالسه ، واستحضار أمور الإيمان ، والفكر في الآخرة ، والمراقبة وتفقد المرء نفسه وإيمانه . وهو

(١) مسلم : التوبة : فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ... : ٢١٠٦/٤ ، رقم ٢٧٥٠ .

قال القاضي عياض : (( والمعافسة : المصارعة ونحوها ، أي حاولنا ما نحتاج من أمور الأزواج والأولاد والمعاش واشتغلنا به . والضيعات جمع ضيعة ، وهو ما يكون من معاش الرّجل ؛ من مالٍ أو حرفة أو صناعة )) قاله في شرح الحديث ، انظر إكمال المُعَلِّم : ٢٥٠/٨ .

(٢) إكمال المُعَلِّم بفوائد مسلم : ٢٥٠/٨ مختصراً .

ديدن الصحابة رضي الله عنهم ، فإذا وجد أحدهم غفلة أو تشعث في إيمانه طلب إلى إخوانه الجلوس للمّ شعث قلبه ؛ واستعادة ما كان عليه من قوّة ، وتجديد إيمانه والحفاظ عليه وتنميته .

روى البيهقي في شعب الإيمان عن الأسود بن هلال قال : قال معاذ ابن جبل لأصحابه : « اجلسوا بنا نُؤمن - أظنه قال - ساعة ، أي : ندكر الله » (١) . ورواه الإمام البخاريّ تعليقا بصيغة الجزم : « وقال معاذ : اجلس بنا نُؤمن ساعة » (٢) .

وأخرجه ابن أبي شيبة عن الأسود بن هلال بلفظ : كان معاذ يقول للرجل من إخوانه : « اجلس بنا فلنؤمن ساعة ، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه » (٣) .

وروى البيهقي أيضا عن علقمة عن عبدالله أنّه قال : «

(١) شعب الإيمان : باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم : ٧٣/١ .

(٢) البخاريّ : كتاب الإيمان : باب الإيمان وقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » : ١١/١ تعليقا بالجزم . قال الحافظ : وصله أحمد وأبو بكر أيضا بسند صحيح إلى الأسود بن هلال ، وأخرجه أيضا عنه ابن أبي شيبة في الإيمان ، ص ٣٥ ، رقم ١٠٧ ، وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة : كتاب الإيمان والرؤيا : ٢٦/١١ ، رقم ١٠٤١٤ . وقال المحقق : أورده ابن حجر في الفتح : ٢٦/١ من طريق ابن أبي شيبة وغيره .

اجلسوا بنا نزدد إيماناً» (١) .

---

(١) شعب الإيمان : باب القول في زيادة الإيمان : ٧٣/١ . وأخرجه الحافظ ابن أبي شيبة في الإيمان دون ذكر عبدالله بلفظ : « امشوا بنا نزداد إيماناً » . قال الألباني : إسناده حسن ، وعلقمة هو ابن قيس النخعي الكوفي ، ثبت فقيه عابد من أصحاب ابن مسعود . الإيمان لابن أبي شيبة ، ص ٣٥ .



الحادي والعشرون : التحذير مما يُنافي الإيمان أو يُفصّنه .

ينبغي للمؤمن الحذر من الغفلة ، والتيقظ للشيطان ومداخله ، فإذا مسّه طائف من الشيطان فعليه أن يرجع ويتذكر . قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } = ٢٠١ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ } (١) .

قال السعدي - رحمه الله - : « ولما كان العبد لا بُدَّ أن يغفل وينال منه الشيطان ، الذي لا يزال مرابطاً ، ينتظر غرته وغفلته ، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين ، وأن المتقي - إذا أحسّ بذنب ، ومسّه طائف من الشيطان فأذنب بفعل محرّم أو ترك واجب - تذكر من أي باب أتى ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه ، وتذكر ما أوجب الله عليه ، وما عليه من لوازم الإيمان ، فأبصر واستغفر الله تعالى ، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح . والحسنات الكثيرة . فردّ شيطانه خاسئاً حسيراً ، وقد أفسد عليه كلّ ما أدركه منه . وأمّا إخوان الشياطين ، وأولياؤهم ، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب لا يزالون يمدّونهم في الغي ، ذنباً بعد ذنب ، ولا يقصرون عن ذلك » (٢) .

وقال - رحمه الله - : « ومن أهم مواد الإيمان ومقوياته

(١) الأعراف : الآيتان ( ٢٠١ ، ٢٠٢ ) .

(٢) تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المئان : ١٨٣/٢ ، ١٨٤ .

توطين النفس على مقاومات ما ينافي الإيمان : من شعب الكفر والنفاق والفسوق والعصيان .

فإنه كما أنه لا بُدَّ في الإيمان من فعل الأسباب المقوية المنمية له فلا بُدَّ مع ذلك من دفع الموانع والعوائق وهي : الإقلاع عن المعاصي ، والتوبة مما يقع منها ، وحفظ الجوارح كلها عن المحرّمات ، ومقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له ، والشهوات المضعفة لإرادات الإيمان .

فمتى حفظ العبد من الوقوع في فتن الشبهات والشهوات ، تمَّ إيمانه وقوي يقينه .

فالعبد المؤمن الموقِّع لا يزال يسعى في أمرين :

أحدها : تحقيق أصول الإيمان وفروعه والتحقق بها علماً وعملاً وحالاً .

والثاني : السعي في دفع ما ينافيها وينقضها أو ينقصها : من الفتن الظاهرة والباطنة ويداوي ما قصر فيه من الأوّل ، وما تجرأ عليه من الثاني بالتوبة النصوح وتدارك الأمر قبل فواته ((<sup>(١)</sup> .

وأكبر ما ينافي الإيمان ؛ الشرك ، وكان النبي ﷺ يُحذّر منه : قال الله تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }<sup>(٢)</sup> .

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ص ٥٩ - ٦١ مختصراً .

(٢) النساء : الآية ( ٣٦ ) .

قوله : { شَيْئًا } نكرة في سياق النهي ، فتعم كل شيء : لا نبياً ، ولا ملكاً ، ولا ولياً ، بل ولا أمراً من أمور الدنيا ، فلا تجعل الدنيا شريكاً مع الله ، والإنسان إذا كان همه الدنيا كان عابداً لها ، كما قال ﷺ : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّيَّارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ » (١) (٢) .

وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (٣) .

وكذلك قوله تعالى في الوصايا العشر : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... } (٤) .

ففي هاتين الآيتين : التحذير من الشرك ، ومن كبائر الذنوب الأخرى كالقتل والفواحش وقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . وأوصى بالعدل في القول ، والوفاء بالعهد .

وكان ﷺ يُحذّر من الشرك ويوصفه لهم أحياناً ليحذروه . فيقول : « أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن

(١) البخاري : الجهاد : الحراسة في الغزو : ٣٢٧/٢ .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد : ٣٠/١ .

(٣) النساء : الآية ( ١١٦ ) .

(٤) الأنعام : الآيتان ( ١٥١ ، ١٥٢ ) .

نُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ» (١) .

(١) المسند للإمام أحمد : ٤٠٣/٤ .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وعزاه للطبراني . وقال :  
رواته محتجٌّ بهم في الصحيح إلا أبو أحمد الراوي عن أبي موسى وثقه  
ابن حبان ولم يُجرِّحه أحد : ٧٦/١ . انظر في ذلك نضرة النعيم :  
٤٧٤٠/١٠ .

قال الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط : « وجملة الشرك فيكم أخفى من  
دبيب النمل » ثابتة من حديث أبي بكر ، ومن حديث ابن عباس عند  
الحكيم الترمذي وغيره . انظر : فتح المجيد ، ص ٨٣ بتحقيقه  
وتخريجه .

الثاني والعشرون : الدعاء لهم وحثهم على ذلك .

كان من منهجه ﷺ الدعاء لنفسه ولأصحابه أن يزينهم بزينة الإيمان وأن يزينه في قلوبهم ويحببه إليهم ، ويرزقهم اليقين . ويحثهم على طلبه ، وغير ذلك من أمور الإيمان ، فعن ابن عمر قال : (( قَلَمًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهِؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ : اللَّهُمَّ افْسِمْنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلَّغْنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ... )) (١) .

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : (( اليقين الإيمان كله )) (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله . وقال : بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين )) (٣) .

وقال أبو بكر الورّاق : (( اليقين ملاك القلب ، وبه كمال الإيمان ، وباليقين عُرف الله ، وبالعقل عُقل عن الله )) (٤) .  
وقال الجنيد : اليقين : هو استقرار العلم الذي لا يحول

(١) سنن الترمذي : رقم ٣٧٤٩ . وحسنه الألباني : انظر صحيح سنن

الترمذي : ١٦٨/٣ ، رقم ٢٧٨٣ .

(٢) البخاري : الفتح ، كتاب الإيمان ، ص ٦٠ .

(٣) سبق تخريجه . وهو في الفتاوى .

(٤) بصائر ذوي التمييز : ٣٩٨/٥ .

ولا ينقلب ولا يتغير في القلب» (١) .

فمن هذه الآثار يتضح معنى اليقين الذي ورد في دعاء الرسول ﷺ وأنه أقصى درجات رسوخ الإيمان في القلب بحيث يصبح القلب متشبَّعًا بعظمة الله ﷻ وبأمره ونهيه ومقاديره وما أعدّه الله لعباده ، فتصبح أمور الإيمان كلها كأنها رأي العين . تأتي المصيبة فيصبر ويحتسب ، بل يتعدى ذلك إلى مرتبة الرضا ، لأنه وصل إلى درجة من اليقين وكأنه يشاهد جزاء الصابرين المحتسبين الراضين بقضاء الله وقدره ، وأن العاقبة للتقوى . قال ﷺ : « ألا إن الناس لم يؤتوا في الدنيا شيئاً خيراً من اليقين والعافية ، فسلوهما الله » (٢) .

ومما كان يدعو به النبي ﷺ : « اللهم زيننا الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » (٣) .

ويدعو الله أن يحبب إليه وإلى أصحابه الإيمان ويزينه في قلوبهم فيقول : « اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين » (٤) .

(١) المرجع السابق : ٣٩٧/٥ .

(٢) الزهد لابن المبارك ، ص ١٩٦ ، رقم ٥٥٨ . لم أقف على درجته .

(٣) سنن النسائي ، انظر : صحيح سنن النسائي للألباني : ٢٨٠/١ ، رقم ١٢٣٧ .

(٤) الأدب المفرد ، رقم ٦٩٩ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، ص ٢٥٩ ، رقم ٥٣٨ .

وذلك ما امتن الله به على الصحابة رضي الله عنهم فقال عليه السلام : { ..  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ  
 وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ = ٧ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ  
 وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (١) .

وكان عليه السلام يدعو الله أن يصرف قلبه على طاعة الله  
 ويثبت قلبه على دينه فيقول : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا  
 على طاعتك » (٢) .

ويقول : « يا مقرب القلوب ثبت قلبي على دينك » (٣) .

ويسأله تعالى أن يهدي قلبه ويسأل سخيمة صدره فيقول :  
 « ... واهد قلبي ، واسلل سخيمة صدري » (٤) .

وكان عليه السلام يحث أصحابه على سؤال الله أن يجدد لهم  
 إيمانهم ، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله  
 عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الإيمان ليخلق في جوف

(١) الحجرات : الآيتان ( ٧ ، ٨ ) .

(٢) مسلم : القدر : باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء : ٢٠٤٥/٤ ،  
 رقم ٢٦٥٤ .

(٣) سنن الترمذي : جامع الدعوات ، باب ٩٥ ، رقم الحديث ٣٧٦٨ ،  
 وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٧١/٣ ،  
 رقم ٢٧٩٢ .

(٤) المسند : ٣١٠/٣ ، والحاكم وصححه : ٥٢٠/١ ، ووافقه الذهبي .

أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم» (١) .  
 وكان ﷺ يعلم الرجل إذا أسلم الصلاة ، ثم يأمره أن يدعو بهذه الكلمات : « اللهم ! اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني» (٢) .

وكان ﷺ يدعو بالهداية لنفسه :

فعن عبدالله ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والثقى والعفاف والغنى» (٣) .

وعن عليّ رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « قل : اللهم ! اهدني وسدّني . واذكر بالهدى هدايتك الطريق . والسداد سداد السهم» (٤)

وكان ﷺ يُحذّر أصحابه من الفتن ويخبرهم بوقوعها .

قال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا . فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ . وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أْبْيَضَ

(١) المستدرك للحاكم : ٤/١ ، وقال : رواه مصريون ثقات . ووافقه الذهبي .

(٢) مسلم : الذكر والدعاء والتوبة : فضل التهليل والتسبيح والدعاء : ٢٠٧٣/٤ ، رقم ٢٦٩٧ .

(٣) المصدر السابق : والموضع نفسه . رقم ٢٧٢١ .

(٤) المصدر السابق : والموضع نفسه . رقم ٢٧٢٥ ، في مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة .



مِثْل الصَّفَا . فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ» (١) .

قال القاضي عياض : قال لي ( أي شيخه أبو الحسن بن سراج ) ومعنى تُعْرَضُ : أي كأنها تلتصق ، بعرض القلوب ، أي جانبها ، كما يلصق الحصير بجانب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقها به ، قال : وقوله : عودًا عودًا : أي تُعاد وتكرّر عليه شيئًا بعد شيء .

(١) المصدر السابق ، كتاب الإيمان : بيان أن الإسلام بدأ غريبًا : ١٢٨/١ ، رقم ١٤٤ .

وتُعرض الفتن أي تلتصق بالقلب بشدة .

فأي قلبٍ أُشْرِبَهَا : أي دخلت فيه دخولًا تامًا وألزمها وحلّت فيه محل الشراب وتمكّنت منه نكت فيه نكتة : أي نقط نقطة .

مُرْبَادًا : أن يختلط السواد بكثرة .

مجحياً : قال القاضي : كالكوز مجحياً : قال بأنه فُلب ونُكس حتّى لا يعلق به خير ولا حكمة . وقال ابن الأثير : المجحي : المائل عن الاستقامة والاعتدال ، فشبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء . النهاية : ٢٤٢/١ .

مثل الصفا : قال القاضي : ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدّته على عقد الإيمان وسلامته من الفتن وأن الفتن لم تلتصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء ، بخلاف الآخر الذي شَبَّهه بالكوز الخاوي الفارغ من الإيمان .

انظر : إكمال المعلم : ٤٥٣/١ .

وأما غيرهُ فقال : « معناه تُعرض على القلوب ، أي تظهر لها فتنةٌ بعد أخرى » (١) .

والأظهر - والله أعلم - أن المعنى ينطبق على هذا الأخير

وقد أُورد هذا الحديث هنا لتوطين النفس على إنكار القلب للفتن وردّها قبل أن تدخله ويُسْرِبها . فكلما ردّ فتنة قوي القلب وصلب حتّى يُصبح مثل الصفا من قوّة الإيمان ورسوخه فلا تؤثر فيه الفتنة بل يردّها ولا يأبه بها .



---

(١) إكمال المعلم : ٤٥٢/١ .

## **المسلك الرابع : التربية النبوية على حماية جناب التوحيد وحماه ، وسدّ ذرائع الشرك :**

لما كان هدف التربية النبوية تحقيق التوحيد وتجريده من الشرك فقد حرص النبي ﷺ على تحقيقه ، فبيّنه للناس وفسّره وأوضح حقيقته ، وربّاهم على تعظيم الخالق سبحانه وإجلاله وتقديره والخوف منه وخشيته في السرّ والعلانية ، ومحبّته ورجائه والتعلّق به وحده دون الالتفات إلى غيره في السرّاء والضراء ، والمنشط والمكره ، فامتلت قلوبهم بهذه الحقيقة .

ولقد حرص المصطفى ﷺ على بقاء هذا الاعتقاد صافيًا خالصًا لا يشوبه شائبة ، ولا يُكدر صفوه كدر .

فبيّن ما يُضادّه ويخالفه ، ويناقضه ، وكذا ما يُنقّصه ويضعفه ويناقض كماله . وضع له حمى يحميه ، وسياجًا يحرّسه ، لأهمّيته وشفافيته ، فهو رأس الأمر ، وأصل الأصول ، والمقصود الأعظم ، وسبب النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

وقد حمى ﷺ حمى التوحيد ، وسدّ الذرائع المؤدية إلى الشرك بجميع أنواعه ، الأكبر والأصغر ، والجلي والخفي ، والشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

والحمى هو الشيء الممنوع ، قال ابن الأثير : « وهذا شيءٌ حمى أي : محظور لا يُقرب ، وحميّه حماية إذا دفعت عنه ،

ومنعتَ منه من يقربُه» (١).

وسدّ الذرائع هي : إغلاق الطرق التي تخترق هذا الحمى وتخرج صاحبها من دائرة التوحيد إلى دائرة الشرك المحيطة بهذا الحمى .

فمن الأمثلة والتطبيقات على حماية رسول الله ﷺ جناب التوحيد وحماه وسدّ الذرائع المؤدية إلى الشرك قوله ﷺ : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » (٢) .

وقوله ﷺ : « الطيرة شرك ، وما منّا إلا . ولكن الله يذهبُه بالتوكل » (٣) .

وقال ﷺ : « من تعلّق تميمة فقد أشرك » (٤) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي : ٤٤٧/١ .

(٢) المستدرک ، كتاب الأيمان والنذور : ٣٣٠/٤ ، رقم ١٥/٧٨١٤ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال في التلخيص : على شرط البخاريّ ومسلم . طبعة دار الكتب العلميّة ، تحقيق مصطفى عطا .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب : باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ، رقم ٣٥٣٨ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٧٠/٢ ، رقم ٢٨٥٠ .

(٤) المسند : ١٥٦/٤ . والحاكم : ٢١٩ /٤ ، كتاب الطب ، وقال المنذري في الترغيب : ٣٠٧/٤ ، وكذا الهيثمي في المجمع : ١٠٣/٥ : « (ورواة أحمد ثقات) » .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء فلان » (١) ، لأن في ذلك مساواة بين الخالق والمخلوق .

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن الشخير قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيدُ الله تبارك وتعالى » قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً ، فقال : « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجربكم الشيطان » (٢) .

وفي حديث أنس رضي الله عنه : « أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهويكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » (٣) .

(١) سنن أبي داود : الأدب : باب لا يقول خبثت نفسي ، رقم الحديث ٤٩٨٠ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩٤٠/٣ ، رقم ٤١٦٦ .

(٢) سنن أبي داود : الأدب : كراهية التماذج ، رقم ٤٨٠٦ .  
وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩١٢/٣ ، رقم ٤٠١٢ .

(٣) المسند : ٢٤١/٣ . والنسائي في عمل اليوم والليلة ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ . وأبو نعيم في الحلية : ٢٥٢/٦ .  
وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ، ص ٢٤٦ : « إسناداه صحيح على شرط مسلم » .

وفي هذا تحذير لأصحابه ﷺ من إطرائه والغلو فيه ﷺ كما غلت اليهود في عزير والنصارى في عيسى ﷺ ، كل ذلك حماية لجناب التوحيد وحماء مع أنهم ﷺ لم يقولوا إلا الحق ، ولكنه خشي عليهم من خطوات الشيطان .

وقد ورد النهي عن الإطراء في حديث عمر ﷺ قال : قال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح » (١) .

ومن حمايته ﷺ لحمى التوحيد وسدّ الذرائع المؤدية إلى الشرك نهيه عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها واتخاذ القبور مساجد .

فعن عائشة - رضي الله عنها - ؛ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلْمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيْسَةَ رَأَيْتَهَا بِالْحَبَشَةِ ، فِيهَا تَصَاوِيرُ ، لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَوْلِيكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، فَمَاتَ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ . أَوْلِيكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود

(١) البخاري : الأنبياء : باب قول الله تعالى : { وَذَكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ } : ٤٨٧/٣ ، ٣٤٤٥ .

(٢) مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : النهي عن بناء المساجد على القبور : ٣٧٥/١ ، رقم ٥٢٨ .

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (١) .

قالت : فلولا ذلك أبرز قبره . غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً وفي روايتها مع عبدالله بن عباس - رضي الله عنهم أجمعين - قالاً : لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه . فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٢) ، يُحَدِّثُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا .

وقال في حديث جندب : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد . إني أنهاكم عن ذلك » (٣) .

وقد دعا الله ﷻ أن لا يُعبد قبره ، فعن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٤) .

- 
- (١) المصدر السابق في الموضوع نفسه : رقم ٥٢٩ .  
 (٢) المصدر السابق في الموضوع نفسه : رقم ٥٣١ .  
 (٣) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ( ٣ ) باب النهي عن بناء المساجد على القبور : ٣٧٧/١ ، رقم ٥٣٢ .  
 (٤) الموطأ للإمام مالك ، ص ١١٩ ، رقم ٤١٤ ، دار النفائس ، قال محقق تجريد التوحيد : أخرجه ابن سعد في الطبقات : ٢٤١/٢ ، وعبدالرزاق في المصنف : ٤٠٦/١ ، وابن عبد البر في التمهيد : ٤٢/٥ - ٤٣ عن سعيد بن أسلم مرسلاً ، وله شاهد من حديث أبي هريرة بلفظ مقارب ، أخرجه أحمد : ٢٤٦/٢ ، والحميدي : ٤٤٥/٢ ، وإسناده لا بأس به .

وخشي ﷺ على المرأة خاصة من زيارة القبور ، لرققتها وعاطفتها وسرعة نفاذ صبرها ، أن تتعاطف مع صاحب القبر ، فتغلو فيه ، فلعن زوارات القبور ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (( لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور )) (١) .

ومنع أصحابه من الجلوس على القبور والصلاة إليها ، منعاً لشبهة الصلاة لها ، وعبادتها .

فعن أبي مرثد الغنوي ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( لا تُصلُّوا إلى القبور ، ولا تجلسوا عليها )) (٢) .

ونهاهم رضي الله عنهم من جعل بيوتهم قبوراً بالدفن فيها فهذا من خصائص الأنبياء أو أن يجعلوها كالقبور لا يجعلون من صلاتهم فيها فكلاهما ممنوع ، وأمرهم بالصلاة عليه وأخبرهم أن صلاتهم تبلغه حيث كانوا .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلُّوا عليَّ ، فإنَّ صلاتكم تبلغني

(١) سنن ابن ماجه : الجنائز : ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور : رقم ١٥٧٥ .

وحسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٦٣/١ ، رقم ١٢٨١ .

(٢) مسلم : الجنائز : النهي عن الجلوس على القبر والصلاة إليه : ٦٦٨/٢ ، رقم ٩٧٢ .



حيثُ كُنْتُمْ» (١) .

وكان يأمرهم ﷺ بتسوية القبور وعدم رفعها أو تجصيصها أو البناء عليها ، ويأمرهم بطمس التماثيل والصّور ، كل ذلك لسدّ الطرق المؤدية إلى الشرك ، فعن أبي الهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قَالَ : (( قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْتَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ )) (٢) ، وفي رواية أخرى : (( وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا )) .

وعن جابر ؛ قال : (( نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّصَ القبر ، وأن يُقعد عليه ، وأن يُبنى عليه )) (٣) .

وكان يأمر بقطع رؤوس التماثيل ، وطمس الصور ، وتقطيع الستور التي بها صور ، وقال جبريل ﷺ للنبي ﷺ : (( فَمُرْ بِرَأْسِ التَّمْتَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ يُقَطَعُ ، فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ ، وَمُرْ

- 
- (١) سنن أبي داود : كتاب المناسك : باب زيارة القبور ، رقم ٢٠٤٢ .  
وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٣٨٣/١ ،  
رقم ١٧٩٦ .  
وصححه النووي في الأذكار ، ص ٩٣ .
- (٢) مسلم : الجنائز : الأمر بتسوية القبر : ٦٦٦/٢ ، رقم ٩٦٩ . والرواية بعد الحديث مباشرة .
- (٣) المصدر السابق : الجنائز : النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه :  
٦٦٧/٢ ، رقم ٩٧٠ .

بِالسُّتْرِ فَلْيُقَطَّعْ ، فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وَسَادَتَيْنِ مَبْنُودَتَيْنِ تُوْطَأَنَّ» (١) .

وينهى ﷺ عن التصوير ويحذرُ منه ، ويهتك الستور التي بها تصاوير كل ذلك حمايةً لجناب التوحيد وترك مضاهاة الله ﷻ ، وسدًّا لذريعة تعظيم هذه الصور وعبادتها ، فقد أنكر على عائشة - رضي الله عنها - وضع ستارة على الباب فيها تصاوير وتغير وجهه ﷺ وقام على الباب ولم يدخل البيت .

فعن القاسم بن محمد عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أنها أخبرته : (( أَتَهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةَ فِيهَا تَصَاوِيرُ ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ ، فَعَرَفَتْ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، مَاذَا أَدْنَبْتُ ؟ قَالَ : مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ ؟ فَقَالَتْ : اشْتَرَيْتُهَا لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ . وَقَالَ : إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ )) (٢) .

وفي رواية : قالت : (( قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ ، وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَائِيلُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ

(١) سنن أبي داود : اللباس : باب في الصور ، رقم ٤١٥٨ ، وصححه الألباني .

انظر صحيح سنن أبي داود : ٧٨٣/٢ ، رقم ٣٥٠٤ .

(٢) البخاري : اللباس : باب من لم يدخل بيتًا فيه صورة : ٢٢٢٢/٥ ، رقم ٥٦١٦ .

اللَّهُ ﷻ هَتَكَهُ وَقَالَ : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ . قَالَتْ : فَجَعَلْنَاهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ ((<sup>(١)</sup>).

وقال ﷻ : « إِنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ » ((<sup>(٢)</sup>).

وقال ﷻ : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ يَنْفُخُ فِيهَا أَبَدًا » ((<sup>(٣)</sup>).

وقال ﷻ : « كُلُّ مُصَوَّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » ((<sup>(٤)</sup> . وقال ابن عباس في روايته : إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَأَعْلًا فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ .

وعن عمران بن حطان : أن عائشة - رضي الله عنها - حدّثته : « أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب ((<sup>(٥)</sup> إلا نقضه )) ((<sup>(٦)</sup> .

(١) المصدر السابق : اللباس : باب ما وطيء من التصاوير : ٢٢٢١/٥ ، رقم ٥٦١٠ .

(٢) البخاريّ : اللباس : باب عذاب المصوِّرين يوم القيامة : ٢٢٢٠/٥ ، رقم ٥٦٠٦ .

(٣) البخاريّ : البيوع : باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح : ٧٧٥/٢ ، رقم ٢١١٢ .

(٤) مسلم : اللباس والزينة : تحريم تصوير صورة الحيوان : ١٦٧٠/٣ ، رقم ٢١١٠ .

(٥) تصاليب : أي تصاوير على هيئة صليب .

(٦) البخاريّ : اللباس : باب نقض الصور : ٢٢٢٠/٥ ، رقم ٥٦٠٨ .

وكان ﷺ ينهى أصحابه عن الألفاظ التي تُعظم غير الله فيقول : « لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : اسْقِ رَبَّكَ ، أَطْعِمِ رَبَّكَ ، وَضِيَّ رَبَّكَ ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : رَبِّي . وَلَيَقُلْ : سَيِّدِي ، مَوْلَايَ . وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي ، أُمَّي . وَلَيَقُلْ : فَتَايَ ، فَتَايَ ، غَلَامِي » (١) .

وكان يحدِّرهم من الطيرة ويقول : « الطيرة شرك ، وما منَّا إلا . ولكن الله يذهبُهُ بالتوكُّل » (٢) .  
وقد ورد عند الترمذي أن قول : وما منَّا إلا ... من قول عبدالله ابن مسعود (٣) .

ويحدِّرهم ﷺ من عبادة الدينار والدرهم ، وبينهاهم عن التعلُّق بالدنيا والتذلل من أجل الحصول عليها .

فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَالدَّرْهَمِ ، وَالْقَطِيفَةِ ، وَالخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ » . قال البخاري : وَزَادَنَا عَمْرُو قَالَ : ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شَبِكَ

- 
- (١) مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها : باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد : ١٧٦٥/٤ ، رقم ١٥/٢٢٤٩ .  
(٢) سنن ابن ماجه ، الأشربة : من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ، رقم ٣٥٣٨ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٧٠/٢ ، رقم ٢٨٥٠ .  
(٣) سنن الترمذي : أبواب النذور والأيمان : باب ما جاء في الطيرة ، رقم ١٦٧٩ .

فَلَا اِنَّقَشَنَّ ... )) (١) الحديث .

قال صاحب القول المفيد في شرحه كتاب التوحيد : ((  
تعس : بفتح العين أو كسرهما : أي خاب وهلك . وسمّاه عبد  
الدينار ؛ لأنه تعلق به تعلق العبد بالرّب فكان أكبر همّه ،  
وقدّمه على طاعة ربّه .

( و ) من النّاس من يعبد الدنيا ، أي يتذلل لها ويخضع  
لها ، وتكون مناه وغايته ، فيغضب إذا فقدت ويرضى إذا  
وُجدت ، ولهذا سمّى النّبى ﷺ من هذا شأنه عبداً لها ، وهذا  
من يُعنى بجمع المال من الذهب والفضة ، فقد استعبدت قلبه  
حتّى أشغلته عن ذكر الله وعبادته .

( و ) تسمية المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة ،  
هذه العبودية لا تدخل في الشرك ما لم يصل بها إلى حدّ  
الشرك ، ولكنها نوع آخر يخلّ بالإخلاص لأنّه جعل في قلبه  
محبة زاحمت محبة الله ﷻ ومحبه أعمال الآخرة .

(( إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ )) . هذه علامة عبوديته  
لهذه الأشياء ؛ أن يكون رضاه وسخطه تابعاً لهذه الأشياء ))  
(٢)

ومن حفاظه ﷺ على جانب التوحيد وسدّ ذرائع الشرك ؛

(١) البخاريّ : الجهاد : الحراسة في الغزو في سبيل الله : ١٠٥٧/٣ ،  
رقم ٢٧٣٠ .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد : ٢٤٨/٢ - ٢٥٣ باختصار .

منع أصحابه من التشبه بالكفار ، أو ما يوهم الآخرين بجواز بعض أفعال المشركين .

فعن ثابت بن الضحّاك<sup>(١)</sup> ، قَالَ : (( نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةَ<sup>(٢)</sup> فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَقَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ ))<sup>(٣)</sup> .

دلّ هذا الاستفصال منه ﷺ في منع الذبح عند أوثان المشركين وفي أماكن أعيادهم على حمايته ﷺ جانب التوحيد من وجوه :

- (١) قال الحافظ في الإصابة : ثابت بن الضحّاك : بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، شهد بيعة الرضوان ، وذكر الترمذي أنه شهد بدرًا . روي أنه كان رديف الرسول ﷺ يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد ، وكان ممن بايع تحت الشجرة . اختلف في مولده ووفاته ، فقيل في وفاته أنه توفي سنة خمس وأربعين ، وقيل مات أيام ابن الزبير ، وقيل سنة أربع وستين . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة : ٥٠٧/١ ، ترجمة رقم ٨٩٦ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٢) بوانة : بضم الباء وقيل بفتحها ، قال البغوي : موضع في أسفل مكة دون يلملم . عون المعبود : ١٤٠/٩ ، وقال أبو السعادات : هضبة من وراء ينبع . النهاية : ١٦٤/١ .
- (٣) سنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور : باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، رقم الحديث ٣٣١٣ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود . انظر ج٢ : ص ٦٣٧ ، رقم ٢٨٣٤ .

**الأول :** أن في الذبح عند الأوثان أو في أماكن أعيادهم تشبُّه بالكفار في ذبحهم لأوثانهم ، وأن هذا الحكم يسري حتى بعد إزالة الوثن أو انقضاء أعيادهم .

**الثاني :** أن في هذا الفعل إيهام من رآه بجواز الذبح في مكان يذبح فيه المشركون .

**الثالث :** فيه تأييد وتقوية للمشركين إذا رأوا هذا الفعل تشجعوا وازدادوا عتواً .

ومن حمايته ﷺ جناب التوحيد وسدّ ذرائع الشرك : إنكاره الشديد على أصحابه حين طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط .

أخرج ابن حبان بسنده عن أبي واقد الليثي<sup>(١)</sup> - وكان من أصحاب رسول الله ﷺ - قال : (( لما افتتح رسول الله ﷺ

(١) مختلف في اسمه ، قيل : الحارث بن مالك ، وقيل : ابن عوف ، وقيل : عوف بن الحارث بن أسيد بن جابر بن عبد مناة ، كان حليف بني أسد ، قال أبو عمر : شهد بدرًا ، ولا يثبت .

قال أبو نعيم : أسلم عام الفتح أو قبل الفتح . وقيل : إنّه من مسلمة الفتح ، وقد شهد على نفسه أنّه كان بحنّين ، قال : ونحن حديثوا عهد بكفر . وقد نصّ الزُّهري على أنّه أسلم يوم الفتح . ذكر الواقدي أنّه مات سنة ثمان وستين وله خمس وسبعون . ووافق أبو عمر على ما قاله الواقدي ، ثمّ قال : وقيل : مات سنة خمس وثمانين ، وبهذا الأخير جزم البيهقي وآخرون .. باختصار : من الإصابة : ٣٧٠/٧ - ٣٧١ ، رقم الترجمة ( ١٠٧٠١ ) ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

مكة ، خرج بنا معه قبل هوازن ، حتى مررنا على سِدْرَةِ الكفار : سِدْرَةِ يعكفون حولها ، ويدعونها ذات أنواط ، قلنا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ <sup>(١)</sup> كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، إِنَّهَا السَّنَنُ ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } <sup>(٢)</sup> ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّكُمْ لَتُرْكَبْنَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ <sup>(٣)</sup> .

فهي مراحل تؤدي في النهاية إلى الشرك : أولها اتخاذ الشجرة ، ثم تعليق الأسلحة وغيرها عليها ، ثم التبرُّك بها ، والبركة لا تأتي إلا من الله وحده ، ثم عبادتها .  
وقد سدَّ النَّبِيُّ ﷺ كلَّ هذه المراحل قبل بدايتها .

ومن حمايته ﷺ لجناب التوحيد والبعد عن التشبه بعباد

- (١) ذات أنواط : قال ابن الأثير في النهاية : ١٢٨/٥ : هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم : أي يعلقونه بها ، ويعكفون حولها ، فسألوه أن يجعل لهم مثلها ، فنهاهم عن ذلك . وأنواط : جمع نوط وهو مصدر سُمِّيَ به المُنُوط .
- (٢) الأعراف : الآية (١٣٨) .
- (٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : ج١٥ : رقم ٦٧٠٢ ، مؤسسة الرسالة ، قال محققه شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . اهـ .  
وأخرجه الإمام أحمد في المسند بلفظ مقارب : ٢٠٨/٨ ، ٢٠٩ ، رقم ٢١٩٥٦ .  
وأخرجه الترمذي في سننه ، وقال : حسن صحيح : في كتاب الفتن : باب لتركبن سنن من كان قبلكم : رقم ٢٢٨٥ .  
وصححه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢٣٥/٢ ، رقم ١٧٧١ .



الشمس : النهي عن الصلاة في الأوقات التي كان المشركون يسجدون للشمس فيها ، عند شروقها ، وعند زوالها ، وعند غروبها - سوى ذوات الأسباب - .



المبحث الثاني : تربية العمل بالعلم ( إصلاح أداة التعلّم ) :

### المطلب الأوّل : إصلاح القلوب وتربية الإرادة .

#### المسلك الأوّل : ( تطهير القلوب ) .

وفيه مسألتان : الأولى : أهميّة تطهير القلوب ، مع الأدلة .

الثانية : الأسلوب النبوي التطبيقي في تطهير القلوب .

المسألة الأولى : أهميّة تطهير القلوب ، مع الأدلة :

تطهير القلوب جزءٌ من إصلاحها وتركيتها ، وقد أُفرد لشدّة الحاجة إليه ، ومزيد العناية به ، لتهيئة القلب لقبول الهدى ، ذلك أنّ القلب الخالي من الأدران وأعظمها الشرك ثمّ البدع والشبهات والشهوات ، المُفرّغ من الأخلاط والأرجاس وورديء الأخلاق ، يكون قابلاً للانقياد بمجرد سماع الحق وإدراكه .

والأصل في ذلك قولُ الله تبارك وتعالى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

= ١ فُمْ فَأَنْذِرْ = ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ = ٣ وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ = ٤ } (١) .

روى ابن جرير عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - في قوله : { وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ } . قال : لا تلبسها على معصية ولا على غدره ، وعنه أيضاً قال : من الإثم . وعن عكرمة : لا

---

(١) المدّثر ( ١ - ٤ ) .

تلبسها على غدره ولا على فجره . وعن قتادة : طهرها من المعاصي . وعنه أيضاً : من الخطايا . وقال آخرون : لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب . وقال مجاهد : نفسك ليس ثيابك ، وفي رواية : أي عمالك فأصلح . وعن ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه» (١) .

قال الحافظ ابن كثير : « وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب . وقال سعيد بن جبير : وثيابك فطهر ، وقلبك ونيئتكَ فطهر » (٢) .

قال الإمام ابن القيم : « وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا : القلب ، والمراد بالطهارة : إصلاح الأعمال والأخلاق » (٣) .

ففي هذه الآية القصيرة اللفظ ، العظيمة المعنى يأمر الله ﷺ نبيه الكريم ﷺ بالطهارة الشاملة لباطنه وظاهره ، وقد اقترن ذلك بأول أمره بالندارة ، مما يدل على أن الداعي إلى الله يحتاج إلى مزيد عناية بتطهير قلبه ، لما يناله من جرأء الندارة .

ومن الأدلة على أهمية العناية بتطهير القلب : قول الله تعالى

(١) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٩ - ١٣٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٧٠/٤ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : ٥٢/١ .

: { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « مما يدل على أن العبد إذا اعتاد سماع الباطل وقبوله أكسبه ذلك تحريقاً للحق عن مواضعه ، فإذا قبل الباطل أحبه ورضيه ، فإذا جاء الحق بخلافه رده وكذبه ، إن قدر على ذلك ، وإلا حرقه .

فهؤلاء من الذين لم يُرد الله أن يطهر قلوبهم ، فإنها لو طهرت لما أعرضت عن الحق وتعوضت بالباطل عن كلام الله تعالى ورسوله ، كما أن المنحرفين ن أهل الإرادة لما لم تطهر قلوبهم تعوضوا بالسماع الشيطاني عن السماع القرآني الإيماني . قال عثمان رضي الله عنه : « لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله » .

فالقلب الطاهر لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن ولا يتغذى إلا بحقائقه ، ولا يتداوى إلا بأدويته ، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله تعالى ، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة . فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض ، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح ، ودلت الآية على أن طهارة القلب موقوفة على إرادة الله تعالى ، وأنه سبحانه لما لم يرد أن يطهر قلوب القائلين بالباطل ، المحرفين للحق لم يحصل لها

(١) المائدة : الآية (٤١) .

## الطهارة .

ودلت الآية : على أن من لم يطهر الله قلبه فلا بُدَّ أن يناله الخزي في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، بحسب نجاسة قلبه وخبثه ، ولهذا حرم الله سبحانه الجنة على من في قلبه نجاسة وخبث ، ولا يدخلها إلا بعد طيبه وطهره . فإثها دار الطيبين ، ولهذا يُقال لهم : { طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } . أي ادخلوها بسبب طيبكم ، والبشارة عند الموت لهؤلاء دون غيرهم ، كما قال تعالى : { الَّذِينَ تَتَوَقَّأُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ } . فالجنة لا يدخلها خبيث ، ولا من فيه شيء من الخبث ، فمن تطهر في الدنيا ولقي الله طاهراً من نجاسته دخلها بدون معوق ، ومن لم يتطهر في الدنيا فإن كانت نجاسته عينية ، كالكافر ، لم يدخلها بحال . وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعدما يتطهر في النار من تلك النجاسة .

والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفاً على الطهارة ، فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر ، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفاً على الطيب والطهارة ، فلا يدخلها إلا طيباً طاهر . فهما طهارتان : طهارة البدن ، وطهارة القلب ، ولهذا شرع للمتوضى أن يقول عقيب وضوئه : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ » (١) .

(١) الترمذي : أبواب الطهارة : باب ما بعد الوضوء : رقم ٥٥ ، ونصّه : « مَنْ

فطهارة القلب بالتوبة ، وطهارة البدن بالماء . فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى ، والوقوف بين يديه ومناجاته» (١) .

ومن الأدلة أيضاً على وجوب تطهير القلب وخلع الأنداد والأوثان قول الله تعالى : { ... فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٢) .

قال ابن عطية : « وقدّم تعالى ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت » (٣) .

وقال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى : { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ } : من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، فوحد الله فعبده وحده ، وشهد أن لا إله إلا هو » (٤) .

تَوْضِئًا فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، فَتَحَتَ لَهُ تَمَانِيَهُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ ، انظر : صحيح الترمذي : ١٨/١ ، رقم ٤٨ .

(١) إغاثة اللهفان : ٥٥/١ - ٥٦ .

(٢) البقرة : الآية ( ٢٥٦ ) .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق المجلس العلمي

بفاس ، الطبعة الثانية بمطابع فضاله بالمحمدية بالمغرب : ٢٨٣/٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٦٢٨/٢ .

وتطهير القلب من الأوثان والأنداد والتعلق بها والاعتماد عليها هو معنى الشطر الأول من كلمة الإخلاص ، فهي نفي وإثبات ، نفي ما يُعبد من دون الله ، وإثبات الألوهية له سبحانه ، لا إله ؛ أي لا معبود بحق ، نفي كل ما يُعبد من دون الله وخلعه من القلب وتفريغه ، وإثبات الألوهية الحقّة لله وحده ، أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ .

ومن الأدلة على امتلاء قلب الإنسان بالأخلاق ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - أنّ النبي ﷺ قال : «لأن يَمْتَلَى جَوْفُ أَحَدِكُمْ فَيَحَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلَى شِعْرًا» (١) .

والجوف هنا : المراد به القلب إذا امتلأ شعراً فماذا يتبقى لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

وقد جاء الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لأن يَمْتَلَى جَوْفُ رَجُلٍ فَيَحَا يَرِيهِ» (٢) خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلَى شِعْرًا» (٣) .

وفي حادثة تطهير قلب الرسول ﷺ التي تكررت مرتين

(١) البخاريّ ، الأدب ، باب ما يُكره أن يكون الغالب على الإنسان الشّعْر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن : ٢٢٧٩/٥ ، رقم ٥٨٠٢ .

(٢) وري القيح جوفه يريه ورياً : أكله ، انظر : مختار الصحاح ، ص ٢٩٩ .

(٣) البخاريّ ، الأدب ، باب ما يُكره أن يكون الغالب على الإنسان الشّعْر : ٢٢٧٩/٥ ، رقم ٥٨٠٣ .

على أرجح الأقوال ، وذلك وهو صغير في بني سعد ، ثم ليلة الإسراء ، وهي من خصوصياته ﷺ ، ولكن فيها إشارة إلى أنه ينبغي على الإنسان مجاهدة نفسه وتطهير قلبه ليكون صالحاً لقبول العلم والهدى وترجمته إلى عمل حتى يأتي ربّه بقلب سليم ، صالح لمجاورته في دار كرامته .

روى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أنس بن مالك ﷺ : (( أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقه . فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظنره - فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره )) (١) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (( وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ، وقال : إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ، ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت الروايات به . وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في (( الدلائل )) ، ولكل منها حكمة ، فالأول وقع فيه من الزيادات كما عند مسلم من حديث أنس

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت : ٢، ٣٨٩/١ ، رقم ٤١١ .



(( فأخرج العلقة فقال : هذا حظّ الشيطان منك )) ، وكان هذا في زمن الطفولية ، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع شقّ الصدر عند البعث زيادة في إكرامه لينتقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شقّ الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهبّ للمناجاة ، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرّة الثالثة كما تقرّر في شرعه ﷺ )) (١) .

وقد ثبت في روايات البخاريّ أنّه حُشيّ حكمة وإيماناً وسكينة بعد أن أخرجت منه العلقة ، وفي رواية مغمز الشيطان ، وغُسل بماء زمزم وطُهر .

وإنّما أورد هذا في هذا الموضع للتدليل على أهميّة تطهير القلب ، وعلى عناية الله بنبيه محمّد ﷺ في هذه

(١) فتح الباري : كتاب مناقب الأنصار : باب المعراج - ٤٢ ، ج ٧ ص ٢٤٤ ، رقم ٣٨٧٧ .

وقد علّق د. أكرم ضياء العمري على رواية شقّ الصدر عند البعث بقوله : وردت روايات تفيد وقوع شقّ الصدر مرّةً ثالثة قبيل البعث ساقها أبو نُعيم الأصبهاني في (( دلائل النبوة ، ص ٦٩ )) ، والطيالسي (( منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود : ٨٦/٢ - ط سنة ١٣٧٢ هـ ، وفي إسنادها داود بن المحبر وهو متروك ، فروايته ساقطة لا يُعوّل عليها )) ، انظر : السيرة النبوية الصحيحة له ، ص ١٠٣ ، هامش .

الناحية . وعلى أهمية التطهير المعنوي للقلب . أما الشقّ  
وغسل القلب واستخراج العلقه فهذا كله من خصوصياته ﷺ .

ومن الأدلة أيضاً على أهمية تطهير القلب من رواسب  
الجاهلية ما أخرجه الإمام البخاري عن المَعْرُور قال : ((  
لَقِيتُ أَبَا دَرٍّ بِالرَّبَدَةِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ ،  
فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ ،  
فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَا دَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ،  
إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَحْوَهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ  
مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ  
فَأَعَيْبُوهُمْ )) (١) .

وهذا دليل على وجوب تطهير القلب من بقايا الجاهلية .

وقد ورد النهي عن أمور الجاهلية والتخلص منها في  
حديث جابر ابن عبدالله - رضي الله عنهما - قال : (( كُنَّا فِي  
غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ (٢) رَجُلٌ مِّنَ  
الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا

(١) البخاري : كتاب الإيمان : باب : المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا  
يُكْفَرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشَّرْكِ : ٢٠/١ ، رقم ٣٠ .

وعَيَّرَهُ بِأُمَّهِ ، أَي قَالَ لَهُ ( يَا ابْنَ السُّودَاءِ ) كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ  
الرِّوَايَاتُ .

(٢) كَسَعَ : ضَرَبَ دَبْرَ غَيْرِهِ بِيَدِهِ أَوْ بِرِجْلِهِ ، وَقِيلَ هُوَ ضَرَبَ الْعِجْزَ  
بِالْقَدَمِ .

للأنصار ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ )) (١) ، وفي رواية « دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ » (٢) .

ولقد جاء أناسٌ بطرقٍ بدعيةٍ في تطهير القلب وتفريغهِ من الأخلاط فقالوا بتطهير القلب وتفريغهِ من جميع الخواطر والأفكار ، وانتظار شيئاً ينزل عليه يملأ قلبه بالإيمان ، ويدلّه على الطريق المستقيم . وفي ذلك يقول شيخ الإسلام : « وأما أبو حامد وأمثاله فمن أمروا بهذه الطريقة فلم يكونوا يظنون أنّها تفضي إلى الكفر - لكن ينبغي أن يُعرف أنّ البدع بريد الكفر - ولكن أمروا المرید أن يفرغ قلبه من كلّ شيء ، حتّى قد يأمره أن يقعد في مكان مظلم ويغطي رأسه ويقول ؛ الله ، الله .

وهم يعتقدون أنّه إذا فرغ قلبه استعدّ بذلك ، فينزل على قلبه من المعرفة ما هو المطلوب ، بل قد يقولون : إنّهُ

(١) البخاريّ : التفسير : باب قوله : سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَعْفَرْتَ لَهُمْ ... : ١٨٦٢/٤ ، رقم ٤٦٢٢ .

(٢) المصدر السابق : المناقب : باب ما يُنهي من دعوى الجاهلية : ١٢٩٦/٣ ، رقم ٣٣٣٠ .

يحصل له من جنس ما يحصل للأنبياء)) (١) .

ثُمَّ قَالَ : (( إِنَّ الَّذِي قَدْ عَلِمَ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ ؛ إِنَّهُ إِذَا فَرَّغَ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلَّتْ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ، ثُمَّ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ ، كَمَا كَانَتْ تَنَزَّلُ عَلَى الْكُهَّانِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الدَّخُولِ إِلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسَلَهُ ، فَإِذَا خَلَا مِنْ ذَلِكَ تَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ = ٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } .

وخاتم الرسل ﷺ قد أمر أمته بعبادات شرعية من صلاة وذكر ودعاء وقراءة ، لم يأمرهم قط بتفريغ القلب من كل خاطر وانتظار ما ينزل .

ولكن التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ويملؤه بما يحبه الله .

فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرغه عن محبة غير الله ، ويملؤه بمحبة الله ، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله ، ويدخل فيه خوف الله تعالى ، وينفي عنه التوكل على غير الله ، ويثبت فيه التوكل على الله . وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه ، لا يناقضه وينافيه ؛ كما قال جندب وابن عمر : (( تعلمنا الإيمان

(١) الفتاوى : ١٠/٣٩٧ - ٣٩٨ .

قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا .

وأما الاقتصار على الذكر المجرد الشرعي مثل قول : لا إله إلا الله ، فهذا قد ينتفع به الإنسان أحيانًا ، لكن ليس هذا الذكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى دون ما عداه ، بل أفضل العبادات البدنية ؛ الصلاة ، ثم القراءة ، ثم الذكر ، ثم الدعاء .

والمفضول في وقته الذي شرع فيه أفضل من الفاضل ، كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من القراءة ، وكذلك الدعاء في آخر الصلاة أفضل من القراءة .

ثم قد يفتح على الإنسان في العمل المفضول ما لا يفتح عليه في العمل الفاضل .

وقد يبسر عليه هذا دون هذا ، فيكون هذا أفضل في حقه لعجزه عن الأفضل . كالجائع إذا وجد الخبز المفضول متيسرًا عليه والفاضل متعسرًا عليه فإنه ينتفع بهذا الخبز المفضول ؛ وشيعة واغتداؤه به حينئذٍ أولى به <sup>(١)</sup> .

والتطهير للقلب يكون للغين أو الغيم أو الران وهو أشدّها . قال ابن القيم : (( فالأول يقع للأنبياء عليهم السلام ، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَعْفِرُ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » <sup>(٢)</sup> ، والثاني يكون للمؤمن ، والثالث لمن غلبت

(١) الفتاوى : ٣٩٨/١٠ - ٤٠٢ مختصرًا .

(٢) سيأتي تخريجه ص ٢٧٠ .

عليه الشقوة . قال تعالى : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } . قال ابن عباس وغيره : هو الذنب بعد الذنب يُغَطِّي القلب ، حتَّى يصير كالرمان عليه .

**والحجب عشرة :** حجاب التعطيل ونفي حقائق الأسماء والصفات ، وهو أغلظها . فلا يتهياً لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله ، ولا يصل إليه البتة إلا كما يتهياً للحجر أن يصعد إلى فوق .

**الثاني :** حجاب الشرك ، وهو أن يتعبد قلبه لغير الله .

**الثالث :** حجاب البدعة القولية .

**الرابع :** حجاب البدعة العملية .

**الخامس :** حجاب أهل الكبائر الباطنة ، كحجاب أهل الكبر ، والعُجب ، والرياء ، والحسد ، والفخر ، والخيلاء ، ونحوها .

**السادس :** حجاب أهل الكبائر الظاهرة ؛ وحجابهم أرق من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة ، مع كثرة عبادتهم وزهادتهم واجتهاداتهم ، فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك .

**السابع :** حجاب أهل الصغائر .

**الثامن :** حجاب أهل الفضلات والتوسُّع في المباحات .

**التاسع :** حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خُلقوا له ،

وما لله عليهم من دوام ذكره وشكره وعبوديته .

**العاشر :** حجاب المجتهدين السالكين المشمرين في السير  
عن المقصود .

وهذه الحجب تنشأ من أربعة عناصر : عنصر النفس ،  
وعنصر الشيطان ، وعنصر الدنيا ، وعنصر الهوى ، فلا  
يمكن كشف هذه الحجب مع بقاء أصولها وعناصرها في  
القلب البتة ))<sup>(١)</sup> .

---

(١) مدارج السالكين : ٢٢٣/٣ - ٢٢٤ مع قليل من الاختصار .

المسألة الثانية : الأسلوب النبوي التطبيقي في تطهير القلوب :

أولاً - بالتوبة والاستغفار :

فعن الأغرّ المزني - وكانت له صُحبة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّهُ لِيُعَانُ <sup>(١)</sup> عَلَى قَلْبِي . وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » <sup>(٢)</sup> .

فهذا تطبيق عملي منه ﷺ بلجونه إلى الاستغفار حين يُغشى على قلبه . والله ﷻ يقول : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } <sup>(٣)</sup> .

وقال ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ . فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ » <sup>(٤)</sup> .

وقال أبو هريرة ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » <sup>(٥)</sup> .

قال ابن القيم : « فأرسل إليهم اللطيف الخبير الدواء على

(١) ليغان : قال ابن فارس : فالغين : الغيم ، ويقال : غينَ على قلبه ، كأنَّ شيئاً غشيه . معجم مقاييس اللغة : ٤/٤٠٧ ، مادة : غين .

(٢) مسلم : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه : ٤/٢٠٧٥ ، رقم ٢٧٠٢ .

(٣) الأحزاب : الآية ( ٢١ ) .

(٤) مسلم : الذكر والدعاء : باب استحباب الاستغفار : ٤/٢٠٧٥ ، رقم ٢٧٠٣ .

(٥) البخاري : الدعوات : باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة : ٥/٢٣٢٤ ، رقم ٥٩٤٨ .



أيدي أطباء الوجود ، فحماهم الطيب بالمناهي ، وحفظ القوة بالأوامر ، واستفرغ أخلاطهم بالتوبة ، فجاءت العافية من كل ناحية» (١) .

**ثانياً - بالدعاء لتطهير القلب وتنقيته :**

فمن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان النبي ﷺ يقول : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْعَنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ ، الدَّجَالِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ التَّلْجِ وَالْبَرْدِ ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَيْتَ التُّوبَةَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ ، وَالْمَأْتَمِ وَالْمَعْرَمِ» (٢) .

**وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه :** «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَأَمْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا ، لَكَ ذَكَارًا ، لَكَ رَهَابًا ، لَكَ مُطِيعًا ، إِلَيْكَ مُخْبِتًا ، إِلَيْكَ أَوْأَاهَا مُنِيبًا ، رَبِّ نَقِّ قَلْبِي ، وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَاهْدِ قَلْبِي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي ، وَتَبِّتْ حُجَّتِي ، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي» (٣) .

**وفي كل هذا معنى التأسى به ﷺ في دعاء الإنسان لنفسه**

(١) الفوائد ، ص ١٢٣ .

(٢) البخاري : الدعوات : باب التَّعُوذُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ : ٢٣٤٤/٥ ، رقم ٦٠١٦ .

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب الدعاء ، باب دعاء النبي ﷺ : رقم ٣٨٣٠ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح ابن ماجه : ٣٢٤/٢ ، رقم ٣٠٨٨ .

ثالثًا - بالأمر بالاستعاذة من شره :

فقد كان ﷺ يأمر بذلك ، فيقول : « قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي ، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي - يَعْنِي فَرْجَهُ - » (١) .

رابعًا - الإقناع العقلي :

ينطلق المصطفى ﷺ في دعوته وتربيته وتعليمه من حكمةٍ ممتلئٍ بها قلبه ، فتفيض على لسانه ، وتجري على يديه . ذو معرفة دقيقة بأحوال الناس وعقائدهم ، والجاهلية التي كانوا عليها .

يتعامل مع كلِّ شخص بما يناسبه ، وفق الفروق الفردية التي جعلها الله بين عباده ، مراعيًا ظروف الزمان والمكان ، وما يحيط به من عوامل ، يعرف مداخل كلِّ شخص ، ويدخل عليه من الموضع الذي يصلح له ، فيأتي على المعتقدات الفاسدة ، ويقنتع جذور الباطل من القلب ، ويستأصل شأفة الجاهلية ، ويهدم ما في القلب من الأفكار الباطلة ، ويطهره منها ، ويفرغه من الأدران والأخلاق السيئة .

وذلك بإقناعه بتهافت ما هو عليه من الباطل ، وإقناعه بضرره وعدم نفعه ، وأحيانًا يعقد مقارنة بينه وبين المعتقد الحق ، يبين فيها ضلالة الباطل أمام الحق ، وأنه ليس بشيء

(١) سنن الترمذي : جامع الدعوات : باب ٧٦ ، رقم ٣٧٣٨ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الترمذي : ١٦٦/٣ ، رقم ٢٧٧٥ .

، والإقناع بشناعة ما هو عليه ، وأنه لا يوجد وجه شبه بينه وبين الحق .

وقد يخبره بشناعة المصير الذي سيؤول إليه ، والعقاب الذي سيناله بسببه ، والسعادة التي سيفتقدها في الدنيا والآخرة . حتى إذا تمّ تفرّغه من الأخلاط الفاسدة ، شرع في بناء القناعات الصحيحة ، والإرادات السليمة ، بطريقة مشوّقة لما يريد إقناعه به وتحبيبه فيه ، فإنّه لا يترك ما هو عليه إلّا لشيء هو أحب إليه منه وأهم ، أو يرجو الخير من ورائه ويخاف العاقبة بفواته .

### وفيما يلي صور وتطبيقات من طريقته ﷺ في الإقناع :

#### ١ - التطهير من الشرك وعبادة الأوثان :

ومن ذلك حديث إسلام حصين الذي مرَّ أنفًا ، حيث قال للنبي ﷺ : (( ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ إنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان أبوك عبدالمطلب خيرًا لقومه منك . فقال : يا حصين إنَّ أبي وأباك في النار . يا حصين كم تعبد من إله ؟ قال : سبعًا في الأرض وواحدًا في السماء . قال : فإذا أصابك الضرُّ من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فإذا هلك المالُ من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فيستجيبُ لك وحده وتُشركُهُم معه ؟ أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ قال : ولا واحدة من هاتين . قال : وعلمتُ أنني لم أكلم مثله . قال : يا حصين أسلم تسلم ، قال : إنَّ لي قومًا وعشيرة ، فماذا أقول ؟ قال : قل : اللهم إنني أستهديك لأرشد أمري ، وزدني علمًا ينفعني ، فقالها حصين . فلم يقم حتَّى أسلم )) (١) .

فهكذا هدم النبي ﷺ المعتقدات الوثنية لدى حصين ، بإقناع علقي أثار لديه التفكر في وضع هذه الآلهة وماهيتها ، وهل تستطيع نفعه عند الضرر أو عند هلاك المال ، وذلك بعد موعظة سريعة خاطفة : يا حصين إنَّ أبي وأباك في النار ، وحمله النبي ﷺ من خلال إثارة الأسئلة التي سألها والمناقشة التي حدثت بينهما على عملية المقارنة ، والموازنة ، ثم استنتاج

(١) الإصابة : ٧٦/٢ ، رقم الترجمة ١٧٤٠ مختصرًا ، وقد مرَّ الحديث عن إسلامه .

الحكم الصحيح العادل بنفسه هو ، وبعد ذلك بدأ يغرس العقيدة الصحيحة فيه ، وهي الإسلام الذي يبدأ بالشهادتين . وبشّره بالسلامة إذا أسلم . أسلم تسلم .

## ٢ - تطهير القلب من الشبهات :

وهذه الشبهات قد تصل إلى درجة الشرك ، كما في حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه (( وكان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نصراني ))<sup>(١)</sup> أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }<sup>(٢)</sup> . فقلت له : إننا لسنا نعبدهم ، فقال : (( أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه ، ويحلّون ما حرّم الله فتحلّونه ؟ قال : فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم ))<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : كتاب الإيمان ، ص ٦٤ .
- (٢) التوبة : الآية ( ٣١ ) .
- (٣) أخرجه الطبري في تفسيره : ٢١٠/١٤ ، رقم ١٦٦٣٢ ، تحقيق شاكر ، وقال : رواه من طريق مالك بن إسماعيل ، عن عبدالسلام بن حرب بلفظه ، البخاري في الكبير : ١٠٦/٤ . ا.هـ .  
والحديث أخرجه الترمذي ، انظر : تحفة الأحوذى : ٤٩٢/٨ .  
وأخرجه الإمام أحمد في المسند : ج ٧ ، رقم ١٩٣٩٥ ، ١٩٣٩٨ ، وكذلك ج ٦ ، رقم ١٨٢٨٨ .  
وأخرجه ابن حبان في صحيحه : ١٨٣/١٦ ، رقم ٧٢٠٦ .  
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديث عدي بن حاتم : وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهما . ا.هـ . انظر : كتاب الإيمان ، ص ٦٤ .

في هذا الحديث اقتلع النبي ﷺ الشبهة من جذورها بالبيان التقريري الذي أتى على الشبهة التي كانت لدى عدي فأزالها فأسلم مباشرة .

### ٣ - تطهير القلب من الشهوات :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه (( أَنَّ فَتَى سَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ائْذَنْ لِي بِالزَّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ ، قَالُوا : مَهْ (١) مَهْ ، فَقَالَ ﷺ : ائْذَنُ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ ، قَالَ : أُحِبُّهُ لِأَمِّكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِنْتَاهِمِمْ ، قَالَ : أَفُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِخْوَاتِهِمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ )) (٢) .

(١) مَهْ : اسم فعل أمر ، ذ : اكْفَفَ .

(٢) المسند للإمام أحمد : ٢٨٥/٨ ، رقم ٢٢٢٧٤ ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير .

انظر مجمع الزوائد للهيتمي : ١٢٩/١ ، وقال : « رجال إسناده هذا الحديث

جاء هذا الشاب يطلب الإذن بالزنى ، الإذن بارتكاب جريمة من أعظم الجرائم وأشنع الفواحش ، قال الله فيه : { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } (١) . إنه يطلب تشريع هذا العمل وتقنينه على رؤوس الأشهاد ، الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء ، ويطلبه من خير البرية ، فبعد أن زجره الصَّحابة - رضوان الله عليهم - تلطف به النبي ﷺ بقوله : « ادئنه » ، وتقريبه إياه في المجلس ، فاستمال قلبه إليه ، وشرع بمخاطبة عقله بعد استمالة قلبه وتهيئته لسماع الحقّ وقبوله ، فبدأ بتطهير قلبه . « باستئصال سبب الانحراف » لدى هذا الفتى الشاب ، وهو الجهل بشناعة هذا العمل وخُبثه .

أخذ ﷺ بتعليمه بأسلوب استثارة التفكير بطرح أسئلة حول الموضوع لإعمال العقل في التّفكّر في قبح هذا العمل وخُبثه . وتربية إرادة بغض هذا العمل وكرهه واستهجانه في قلب هذا المتعلم بطريقة لطيفة هيّنة ليّنة ، هادئة حانية ، تُعطي مجالاً للتفكير ووقتاً للتأمل والنظر والمراجعة ، وتحكيم العقل والنظر الصحيح ، وذلك بإطالة فترة الحوار حتّى يتمكّن من إزالة وقع الإنكار والزجر الذي تلقاه من الصَّحابة - رضوان الله عليهم - ، ويلتقط أنفاسه ليفكّر بروية وتعقل ، وإلا فقد كان النبي ﷺ يستطيع أن يجمع محارمه

---

رجال الصحيح .

(١) الإسراء : الآية ( ٣٢ ) .

في عبارة واحدة كأن يقول : أتُحبه لأُمَّك ، أو ابنتك ، أو أختك ، أو عمّتك ، أو خالتك ؟ ولكن كان ذلك منتهى الحكمة منه ﷺ .

حتّى إذا استأصل محبّة هذا الفعل الشنيع من قلبه ، وكرّهه فيه ، وبغّضه إليه ، وعلمه أنّ النّاس كذلك لا يحبّونه لقربياتهم . شرع في استمالة قلبه من جديد ليذهب ما قد يتركه الحوار من آثار سلبية . ذلك أنّ الحوار في عمومه مظنة الغضب والانتصار للنفس .

فعمد النّبي ﷺ لإزالة ذلك ، وفتح قلبه لما يريد أن ينشئه فيه ، فوضع يده عليه ، ودعا له ﷺ بالمغفرة وتطهير القلب ، وتحصين الفرج ، وفي ذلك معنى الموعظة لهذا الشاب .

وهكذا قطع النّبي ﷺ تعلق هذا الشاب بالزنى عن طريق الإقناع العقلي والحوار الهادئ ، ومن ثمّ بنى فيه القناعات بتركه وإرادة غيره دون ذكر آيات تحريم الزنا أو الوعيد لمقترف هذا العمل ، حكمة منه ﷺ ومعرفة منه أنّ هذا الأسلوب أجدى في الإقناع لهذا الشاب بسبب فهمه وإدراكه في تلك المرحلة من عمره أنّ لو قال فيها حلال وحرام ربما لا يقع التأثير المطلوب .

فحريٌّ بالمربين انتهاج هذا الأسلوب الحكيم المليء بالحلم والصبر وسعة الصدر ، والعلم بالناس وأحوالهم والتعامل معهم بما يناسبهم ، ذلك أنّ القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها .



قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (( ما ضرب عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، إذا قسا القلب قحطت العين . قسوة القلب من أربعة أشياء إذا تجاوزت قدر الحاجة : الأكل ، والنوم ، والكلام ، والمخالطة . كما أنّ البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب ، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواظ .

من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته . القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلّقها بها . القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبّها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها .

إذا غُذي القلب بالتذكّر ، وسُقي بالتفكّر ، ونُقّي من الدغل رأى العجائب ، وألهم الحكمة . خراب القلب من الأمن والغفلة ، وعمارته من الخشية والدّكر .

من وطّن قلبه عند ربّه سكن واستراح ، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتدّ به القلق .

القلب يمرض كما يمرض البدن وشفأؤه التوبة والحمية ، ويصدأ كما تصدأ المرأة وجلأؤه بالدّكر ، ويعرى كما يعرى الجسم وزينته التقوى ، ويجوع ويظماً كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة .

لا تدخل محبة الله في قلبٍ فيه حبُّ الدنيا إلا كما يدخل

الجمل في سمّ الإبرة» (١) .

ومما يساعد على تطهير القلوب والحفاظ على صفائها :

١ - الكفّ عن أكل الحرام ، والابتعاد عن الشبهات .

٢ - الكفّ عن الجدال والمرء والخصومات في الدين؛ فإنّها

تقسي القلب .

٣ - غضّ السمع والبصر ، قال الله تعالى : { فَلَا تَخْضَعَنَّ

بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } (٢) . فالذي لا يوجد في قلبه

مرض لا يطمع .

فينبغي للمؤمن أن يحافظ على سلامة قلبه من الفتن . قال

الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « إطلاق البصر ينقش في

القلب صورة المنظور ، والقلب كعبة ، والمعبود لا يرضى

بمزاحمة الأصنام ، وقال : شراب الهوى حلو ولكنه يورث

الشرق» (٣) .

٤ - التعريف بعاقبة اتباع الشهوات والشبهات ومفاسدها ،

وأضرارها ومآلاتها ، فإنّ التذكير بذلك يجعل المسلم يتوقّف

عن ارتكابها .

٥ - استدامة مجاهدة النفس في تطهير القلب ومتابعته

(١) الفوائد ، ص ١٢٨ - ١٢٩ باختصار ، مع تقديم وتأخير طفيف .

(٢) الأحزاب : الآية ( ٣٢ ) .

(٣) الفوائد ، ص ٨٩ .

وتفقدته ، فقد قال ﷺ في حجة الوداع : « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ » (١) .

خامساً - إنكار التصرف الناجم عن عدم اكتمال طهارة القلب :

ومن ذلك ما مرّ من حديث رسول الله ﷺ وإنكاره على أبي ذرّ ﷺ بقوله : « أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » ، وذلك عندما قال له أبو ذرّ ﷺ « يا ابن السوداء » ، لذا يجب إنكار مثل الحالات بضوابط الإنكار المعروفة .

سادساً - بشارة من اتّصف بطهارة القلب والدلالة عليه وإثارة التنافس في ذلك :

فعن أنس بن مالك ﷺ قال : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالَ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَحْيَيْتُ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمُضِيَ فَعَلْتُ ، قَالَ : نَعَمْ ،

(١) المسند للإمام أحمد : ٢١/٦ ، وصححه ابن حبان ( ٢٥ ) ، والحاكم

: ١١/١ ، ووافقه الذهبي ، وقال شعيب الأرنؤوط محقق زاد المعاد : «

وسنده جيد » ، عن زاد المعاد : ٦/٣ .

قَالَ أَنَسٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيِ  
الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَوْمٌ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ  
عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَفُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ  
، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا  
مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ : يَا عَبْدُ  
اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ تَمَّ ، وَلَكِنْ  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ  
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أُوِيَّ  
إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلِكَ فَأَقْتَدِي بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ،  
فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا  
رَأَيْتَ . قَالَ : فَلَمَّا وَكَيْتُ دَعَانِي فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ،  
غَيْرَ أَنِّي لَا أَحْدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا ، وَلَا  
أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذِهِ  
الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ» (١) .

هذا الحديث دليلٌ على عِظَمِ مَنْزِلَةِ سَلَامَةِ الصِّدْرِ  
وِطْهَارَةِ الْقَلْبِ . وَفِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ « وَهِيَ الَّتِي  
لَا تُطِيقُ » دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ يَحْتَاجُ إِلَى بَذْلِ الْجَهْدِ  
وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ لِحَمَلِهَا عَلَى ذَلِكَ ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَقْبَلُ  
النَّقِيضِينَ ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « قَبُولُ الْمُحَلِّ  
لَمَا يَوْضَعُ فِيهِ مَشْرُوطٌ بِتَفْرِيعِهِ مِنْ ضِدِّهِ ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ فِي

(١) المسند للإمام أحمد : ٣٣٢/٤ ، رقم ١٢٦٩٧ ، وهو من مسند أنس بن مالك

الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات ، فإذا كان القلب ممتلئاً بالباطل اعتقاداً ومحبةً لم يبق فيه للاعتقاد الحق ومحبةً موضع .

كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه إلا إذا فرغ لسانه من النطق بالباطل ، فكذلك القلب المشغول بمحبة غير الله وإرادته وحبّه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه من تعلقه بغيره .

فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه .

وسرُّ ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأذن ، فإذا أصغى إلى غير حديث الله لم يبق فيه إصغاء ولا فهم لحديثه ، كما إذا مال إلى غير محبة الله لم يبق فيه ميلٌ إلى محبته .

كما إذا بُذلت النصيحة لقلب ملآن من ضدها لا منفعة لها فيه ، فإنه لا يقبلها ولا تلج فيه ، لكن تمرّ مجتازة لا مستوطنة ((<sup>(١)</sup>) .

وقد بوب على هذا بقوله : (( المحلّ لا يقبل ضدين )) ، وقال : (( وطهارة القلب ونزاهته من الأوصاف المذمومة ، والإرادات السفلية ، وخلوّه وتفريغه من التعلّق بغير الله سبحانه ، هو كرسي هذا الشاهد الذي يجلس عليه ، ومقعده الذي يتمكن فيه .

(١) الفوائد ، ص ٤٣ - ٤٤ باختصار .

فحرام على قلبٍ متلوّثٍ بالخبائث ، والأخلاق الرديئة ،  
والصفات الذميمة ، متعلّق بالمرادات السافلة : أن يقوم به  
هذا الشاهد ، وأن يكون من أهله - والشاهد هو شاهد جلال  
الرّب تعالى وجماله وكماله وعزّه وسلطانه وقيوميته وعلوّه  
على عرشه (١) - (٢) .

فإذا تمّ تطهير القلب وتفريغهُ من الأدران والأخلاق  
أصبح صالحاً لمعرفة الله ﷻ وعظّمته وجلاله ، ومن ثمّ  
التعلّق به ومحبّته ، والتوكّل عليه ، وطاعته فيما أمر ،  
والكفّ عمّا نهى عنه وزجر ، فإلى ذلك :



---

(١) مدارج السالكين : ٢٥٢/٣ .

(٢) المرجع السابق : ٢٥٥/٣ .

## **المسلك الثاني : تربية المعرفة ( معرفة الله وأسمائه وصفاته ، وآلته وأفعاله ) :**

وفيه ثلاث مسائل :

**الأولى : المعرفة المقصودة وتأثيرها في القلوب .**

**الثانية : الواجب في معرفة الله وأسمائه وصفاته ، ومقتضياتها وتعلقاتها .**

**الثالثة : الطريقة النبوية في التربية على المعرفة .**

المسألة الأولى : المعرفة المقصودة وتأثيرها في القلوب :

قال الفيروزآبادي : يقال عرفه يعرفه إذا علمه ( علمًا خاصًا ) أي أدركه بتفكيرٍ وتدبرٍ لأثره . قال : وهي أخص من العلم .

والمعرفة : إدراكُ الشيء بتفكيرٍ وتدبرٍ لأثره ، يُقال : فلان يعرف الله ولا يُقال يعلم الله ؛ لأن معرفة البشر لله إنما هي بتدبرٍ آثاره دون إدراك ذاته ، وهي أخص من العلم .

ويُقال : الله يعلم كذا ، ولا يُقال يعرف كذا ؛ لأن المعرفة تُستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكيرٍ وتدبرٍ (١) .

والمعرفة نوعان :

**الأولى : معرفة إقرار ؛ وهي التي اشترك فيها الناس ، البرُّ والفاجر ، والمطيع والعاصي .**

**والثاني : معرفة توجب الحياء منه والمحبة له ، وتعلق**

---

(١) بصائر ذوي التمييز : ٤٧/٤ بتقديم وتأخير .

القلب به ، والشوق إلى لقائه ، وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه (١) .

والثانية هي المقصودة ، وهي التي ربّى النبي ﷺ عليها أصحابه وغرسها في قلوبهم ؛ معرفة توارث الإيمان به ومحبته وتعظيمه ، وتقديره حقّ قدره ، وتعظيم أمره ونهيه ، معرفة توجب الخشية والخوف والانكسار وتبعث على محبته ورجائه ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، معرفة توجب اتباع أمره واجتناب نهيه . معرفة أخرجت ذلك الجيل الفريد الفدّ ، الذي جاهد في الله حقّ جهاده .

والأصل في المعرفة قول الله ﷻ : { فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } (٢) .

قال الإمام البخاريّ - رحمه الله - :

بابٌ : ( العلم قبل القول والعمل . والدليل ؛ فذكر الآية ، ثمّ قال : فبدأ بالعلم ) (٣) .

وقال تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } (٤) . قال ابن كثير : « أي إنّما يخشاه حقّ خشيته العلماء ؛ العارفون

(١) الفوائد ، ص ٢٢١ .

(٢) محمد : الآية ( ١٩ ) .

(٣) صحيح البخاريّ : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل : ٣٧/١

(٤) فاطر : الآية ( ٢٨ ) .



به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحُسنى ، كلما كانت المعرفة به أتمّ ، والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر . وقال عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ، ولكن العلم عن كثرة الخشية )) (١) .

وقال رضي الله عنه : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَنْتَرَهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ !؟ قَوْلَ اللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُهُم بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرَهُمْ مِنْ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ . قَالُوا : إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّ أُنْفَاكُمُ وَأَعْلَمَكُم بِاللَّهِ أَنَا » (٣) . وقد أورده ابن القيم بلفظ : « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » (٤) .

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن

(١) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ٥٦١/٣ .

(٢) البخاريّ : الأدب : باب من لم يواجه الناس بالعتاب : ٢٢٦٣/٥ ، رقم ٥٧٥٠ .

(٣) البخاريّ : انظر : الفتح : ٢٠/١ ، قال ابن حجر : كذا في رواية أبي ذرّ ، وهو لفظ الحديث الذي أورده في جميع طرقه ، وفي رواية الأصيلي : « أعرفكم » وكأنه مذكور بالمعنى حملاً على ترادفهما هنا ، وهو ظاهر هنا ، وعليه عمل المصنّف .

(٤) مدارج السالكين : ٣٣٨/٣ .

رسول الله ﷺ لما بعث معادًا إلى اليمن قال : « إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَي قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ... » (١)

الحديث .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ناسٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ وجاء في آخر الحديث : فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَائِنًا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَبْغُونَهُ ... الحديث )) (٢) .

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « ... فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ . وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَعَاهُ . ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّقَاعَةُ )) (٣) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى :

(١) صحيح مسلم : ٣١/١ .

(٢) صحيح مسلم : ٢٢٩/١ .

(٣) صحيح مسلم : ١٨٣/١ .

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } (١) ، قال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ضَرَبَ مِنْكَبَهُ الْأَيْمَنَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْجَنَّةِ بِيضَاءَ نَفِيَّةٍ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ . ثُمَّ ضَرَبَ مِنْكَبَهُ الْأَيْسَرَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنَّارِ سُودَاءَ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ . ثُمَّ أَخَذَ عَهْدَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ وَلِأَمْرِهِ ، وَالتَّصَدِيقِ بِهِ وَبِأَمْرِهِ ، بَنِي آدَمَ كُلَّهُمْ ، فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَأَمَنُوا وَصَدَّقُوا وَعَرَفُوا وَأَقْرَبُوا . وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ عَلَى كَفِّهِ أَمْثَالَ الْخَرْدَلِ )) (٢) .

وعنه - رضي الله عنهما - في تفسير قول الله ﷻ : { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٣) ، { نُورٌ عَلَى نُورٍ } (٤) . قال : (( كذلك قلبُ المؤمن يعرف الله ﷻ ويستدلُّ عليه بقلبه ، فإذا عرفه ازداد نورًا على نور ، وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله ﷻ بقلبه ، واستدلَّ عليه بدلائله ، فعلم أن له ربًّا وخالقًا ، فلما عرفه الله ﷻ بنفسه ازداد معرفةً فقال : { أَنْحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ } (٥) )) (١)

(١) الأعراف : الآية ( ١٧٢ ) .

(٢) تفسير الطبري : ٢٣٧/١٣ ، رقم ١٥٣٦٢ ، تحقيق شاکر ، وقال : رواه الأجرى في كتاب الشريعة مختصرًا : ٢١٢ من طريق علي بن الحسين بن شقيق .

(٣) الأنعام : الآية ( ٧٩ ) .

(٤) النور : الآية ( ٣٥ ) .

(٥) الأنعام : الآية ( ٨ ) .

وقال البخاريّ: وباب قول النَّبِيِّ ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»، وأنَّ المعرفة فعلُ القلب لقول الله تعالى: { وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } ((٢)) (٣).

وباب معرفة الله ﷻ؛ معرفة أسمائه الحسنی وصفاته العليا، حفظاً وإحصاءاً وإيماناً بها وعملاً وتطبيقاً. فقد حرّض النَّبِيُّ ﷺ على حفظها وحثَّ على ذلك ورغب فيه.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا. مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَإِنَّ اللَّهَ وَثِرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ» (٤). وفي رواية ابن أبي عمر «مَنْ أَحْصَاهَا» (٥).

وعند البخاريّ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواية قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا؛ مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ» (٦).

وقد أمر الله عزَّ وجلَّ بدعائه بها فقال: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

- 
- (١) تفسير القرطبي: ٢١٩/٧.
- (٢) البقرة: الآية (٢٢٥).
- (٣) الفتح: ٨٨/١.
- (٤) صحيح مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها: ٢٠٦٢/٤، رقم ٢٦٧٧.
- (٥) أحصاها: يُفسرُها حديث أبي هُرَيْرَةَ المذكور بمعنى حَفِظَهَا، وقد قيل فيها عدّة أقوال، فقيل: بمعنى عدّها، وقيل: أطاقتها، أي أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه، وصدق بمعانيها. والصحيح الأوّل لورود النصّ به.
- (٦) البخاريّ: الدّعوات: باب لله مائة اسم غير واحد: ٢٣٥٤/٥، رقم ٦٠٤٧.

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } (١) .

ولقد كان لهذه المعرفة آثارًا واسعة لدى السلف - رحمهم الله - .

قال الحسن البصري - رحمه الله - : (( من عرف ربّه أحبّه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ومن خلا عن الحبّ هذا فلائته اشتغال بنفسه وشهواته ، ودُهل عن ربّه وخالفه ، فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته )) (٢) .

وقال أحمد بن عاصم : (( من كان بالله أعرف كان من الله أخوف ، ويدلُّ على هذا قوله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ، وقول النَّبِيِّ ﷺ : (( أنا أعرفكم بالله وأشدّكم له خشية )) )) (٣) .

وقال الفيروزآبادي : (( فإنّ المعرفة الصحيحة تقطعُ من القلب العلائق كلّها وتعلّقه بمعروفه . فلا يبقى فيه علاقة لغيره . ولا تمرُّ به العلائق إلّا وهي مجتازة )) (٤) .

قال أبو حامد الغزالي : (( الخوف من المعصية خوف الصالحين ، والخوف من الله خوف الموحّدين والصدّيقين ، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى ، وكلُّ من عرفه ، وعرف

(١) الأعراف : الآية ( ١٨٠ ) .

(٢) الإحياء : ٣١٨/٤ ، ٣١٩ .

(٣) بصائر ذوي التمييز : ٢٥/٤ .

(٤) بصائر ذوي التمييز : ٢٥/٤ .

صفاته ، علم من صفاته ما هو جديرٌ بأن يُختاف من غير جناية)) (١) .

وقال : (( لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر )) (٢) .

والمعرفة الحقّة بالله تورث الإيمان بالله وترسخه وتزيده ، وبدونها لا تحصل المحبّة ، وتورث الهيبة والوقار ، والسّمّت الصالح ، والهدوء والطمأنينة والرّضا بالله ، وبدينه ، وبرسوله ، وبقضائه وقدره ، وبما قسم الله له من الأعمال والأرزاق ، وما يصيبه من البلايا والرّزايا والمصائب ، فهو يصبر عليها ويرضى بأقدار الله .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : (( فأحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأعلم العالمين ، الذي هو أرحم بعباده منهم بأنفسهم ومن آبائهم وأمهاتهم ، إذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيراً لهم من أن لا يُنزلهم ، نظراً منه لهم ، وإحساناً إليهم ولطفاً بهم . ولو مكّنوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم ، علماً وإرادة وعملاً ، لكنه سبحانه تولى تدبير أمورهم ، بموجب علمه وحكمته ورحمته أحبوا أم كرهوا . فعرف ذلك الموقنون بأسمائه وصفاته .

(١) إحياء علوم الدين : ١٦٧/٤ .

(٢) المرجع السابق : ١٦٨/٤ .

ومتى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة ، في جنّة لا يُشبهُ نعيمها إلا نُعيم جنّة الآخرة ، فإنّه لا يزال راضياً عن ربّه ، والرضا جنّة الدنيا ، ومستراح العارفين ، وهذا الرضا هو بحسب معرفته بعدل الله وحكمته ورحمته وحُسْن اختياره . فكلّما كان بذلك أعرف كان به أَرْضَى .

فقضاءُ الربِّ سبحانه في عبده دائرٌ بين العدل والمصلحة ، والحكمة والرحمة . لا يخرج عن ذلك البتّة ))<sup>(١)</sup>

ومن تأثير المعرفة الصحيحة التي أخبر بها النبي ﷺ وربّي عليها أصحابه ﷺ انقماص النفس وانكسارها إذا استحضرت صفة غضب الله ﷻ وسخطه وعقوبته .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : « وإذا تجلّى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة ؛ انقمعت النفس الأمّارة ، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب ، واللهو واللعب ، والحرص على المحرّمات ، وانقبضت أعنة رعوناتها ، فأحضرت المطيئة حظها من الخوف والخشية والحذر »<sup>(٢)</sup> .

فهذه صفة واحدة هي الغضب استحضرها واستشعرها فانكسرت نفسه وزال عنفوانها وكبرياؤها وجعلها هيئة لينّة

(١) الفوائد ، ص ١٢١ - ١٢٢ مختصراً .

(٢) الفوائد ، ص ٩٢ .

خائفة تترقب ...

فكيف بمن يتعبد الله بجميع أسمائه وصفاته؟! وفي ذلك يقول - رحمه الله - بعد أن تكلم على قيام الشواهد بالقلوب ، شاهد الدنيا وحقارتها ، والآخرة وبقائها ، والنار وتذكرها وما تحدثه في القلوب من خوف ثم انخلاع عن الذنوب والمعاصي ، ثم الجنة ونعيمها وما أعدّه الله لأهلها فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وما تحدثه في النفس من شوق ورجاء وجذب ، وكذلك شاهد يوم المزيد ، ولدة النظر إلى المولى ﷺ . فهنا يسير القلب إلى ربّه أسرع من الريح ، فلا يلتفت إلى غيره ، ثم قال : (( هذا وفوق ذلك شاهد آخر ، وهو شاهد جلال الربّ تعالى ، وجماله وكماله ، وعزّه وسلطانه ، وقبوميته ، وعلوه فوق عرشه ، وتكلمه بكتبه ، وكلمات تكوينه ، وخطابه لملائكته وأنبيائه ، فإذا شاهده شاهد بقلبه قيومًا قاهرًا فوق عباده ، مستويًا على عرشه ، منفردًا بتدبير مملكته ، مرسلًا رسله ، ومنزلًا كتبه ، ويرحم إذا استرحم ، ويغفر إذا استغفر ، ويُعطي إذا سُئِلَ ، ويجيب إذا دُعِيَ ، ويقبل إذا استقبل .

أكبر من كلّ شيء . وأعظم من كلّ شيء ، وأعزّ من كلّ شيء ، وأقدر من كلّ شيء ، وأعلم من كلّ شيء ، وأحكم من كلّ شيء . يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات ، على تفنن الحاجات . فلا يشغله سمعٌ عن سمع . ولا تُغلطه المسائل . ولا يتبرم بالباح الملحّين . سواء عنده من أسرّ القول ومن



جهر به . فالسرّ عنده علانية ، والغيب عنده شهادة .

يرى دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء . ويرى نياط عروقها ، ومجاري القوت في أعضائها . يضع السموات على إصبع من أصابع يده ، والأرض على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع .

ويقبض سماواته بإحدى يديه ، والأرضين باليد الأخرى . فالسماوات السبع في كفه .

ولو أنّ الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفًا واحدًا ما أحاطوا بالله ﷻ . لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سُبُحَّاته ما انتهى إليه بصره من خلقه .

فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد ، فله سلوك وسيرٌ خاص ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة ، أو معرفة مجملة . فصاحب هذا الشاهد : سائرٌ إلى الله في يقظته ومنامه ، وحركته وسكونه ، وفطره وصيامه ، له شأن وللناس شأن . هو في واد والناس في واد .

فلا تزال شواهد الصفات قائمة بقلبه ، توقظه إذا رقد ، وتذكّره إذا غفل ، وتحذوا به إذا سار ، وتقيمه إذا قعد .

- إن قام بقلبه شاهدٌ من الربوبية والقيومية رأى أنّ الأمر كله لله . ليس لأحدٍ من الأمر شيء .

- وإن قام بقلبه شاهد من الإلهية : رأى في ذلك الشاهد الأمر والنهي ، والنبوات والكتب والشرائع ، والمحبة والرضى ، والكراهة والبغض ، والثواب والعقاب ، وشاهدًا

الأمر نازلاً ممن هو مستوٍ على عرشه وأعمال العباد صاعدة إليه ومعروضة عليه ، يجزي بالإحسان منها في هذه الدار وفي العقبى نضرة وسروراً ، ويقدم إلى ما لم يكن عن أمره وشرعه منها فيجعل له هباءً منثوراً .

- وإن قام في قلبه شاهد من الرحمة ، رأى الوجود كله قائماً بهذه الصفة قد وسع مَنْ هي صفته كُلَّ شيء رحمةً وعلماً .

- وإن قام بقلبه شاهد العِزَّة والكبرياء والعظمة والجبروت ، فله شأنٌ آخر. وهكذا جميع شواهد الصفات ، فما ذكرناه هو أدنى تنبيه عليها ))<sup>(١)</sup> .

---

(١) المرجع السابق : ٢٥٢/٣ - ٢٥٦ مختصراً .

المسألة الثانية : الواجب في أسماء الله وصفاته وتعلقاتها ومقتضياتها وآثارها

الواجب في أسماء الله وصفاته :

الإيمان بما وصف الله وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

قال شيخ الإسلام : « ونعلم أنّ ما وصف الله به من ذلك فهو حقّ ليس فيه لغزٌ ولا أحاجي ، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثل شيء لا في نفسه المقدّسة المذكورة بأسمائه ، وصفاته ، ولا في أفعاله . فكما نتيقن أنّ الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية ، فكذلك له صفات حقيقية ، وهو ليس كمثل شيء . لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله » (١) .

والتحريف في النصوص : وهو صرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل .

والتعطيل في المعتقد : « ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطّلوا أسماءه الحسنی وصفاته العليا ، فإنّهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلّا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثمّ شرعوا في نفي تلك المفهومات » (٢) .

(١) الفتاوى : ٢٦/٥ .

(٢) المرجع السابق : ٢٧/٥ مختصراً .

والتكليف يكون في الصفة . قال السلف في أحاديث الصفات : « أمرؤها كما جاءت بلا كيف ، وهو ردُّ على الممثلة » (١) .

والتمثيل : عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإنَّ الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . فالعارفون به المصدِّقون لرسله ، المقرِّون بكماله ، يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل » (٢) .

فالواجب الإيمان بالاسم والصفة وإثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكليف ولا تمثيل ، ثمَّ الإيمان بما دلَّ عليه ، والإيمان بآثاره ومقتضياته . فالرحيم مثلاً دلَّ على صفة الرِّحمة ، ومن آثاره ومقتضياته أنَّه يرحم عباده ، سبحانه .

حكم معرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته :

قال ﷺ : في وصيَّته لمعاذ عند ذهابه لليمن : « فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ ... » (٣) .

قوله ﷺ : « فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ » دلَّ على أنَّ معرفة الله أولى

(١) المرجع السابق : ٣٩/٥ .

(٢) مدارج السالكين : ٣٥٩/٣ .

(٣) مسلم : ٣١/١ .

## الفرائض .

قال الكفويُّ : (( معرفة الله ﷻ بالدليل الإجمالي فرضُ عينٍ لا مخرج عنه لأحد من المكلفين ، وهي بالتفصيل فرضُ كفاية لا بُدَّ أن يقوم به البعض )) (١) .

وقال ابن القيم : لا يستقرُّ للعبد قدمٌ في المعرفة بل ولا في الإيمان ، حتَّى يؤمن بصفات الرّب جلّ جلاله ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل برّبّه .

فالإيمان بالصفات وتعرّفها : هو أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان وثمره شجرة الإحسان ، فمن جحد الصفات ، فقد هدم أساس الإسلام والإيمان ، وثمره شجرة الإحسان ، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان ، وقد جعل الله سبحانه مئكراً صفاته مسيء الظنّ به . وتوعّده بما لم يتوعّد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر . فقال تعالى : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ = ٢٢ } وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } . فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنّهم به وأتّه هو الذي أهلكهم . وقد قال في الظانين به ظنّ السوء : { عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } . ولم يجيء مثل هذا الوعيد في غير

(١) الكلبيات ، ص ٨٢٥ .

من ظنّ السوء به سبحانه ، وجدُّ صفاته وإنكار حقائق أسمائه : من أعظم ظنّ السوء به ، ولَمَّا كان أحبَّ الأشياء إليه : حمده ومدحه ، والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله كان إنكارها وجددها أعظم الإلحاد والكفر به ، فهو شرُّ من الشرك ، فالمعطلُّ شرُّ من المشرك ((<sup>(١)</sup>) ، لأنَّه عطلَّ أسماء الله وصفاته وآثارها ومقتضياتها وتعلقاتها ، فالمشرك يشرك في العبادة شيء مع الله ، في حين أنَّ المعطلَّ يُعطلُّ إعمال أسماء الله وصفاته وأفعاله المتعلقة بجلاله وعظمته سبحانه . فهذا شرُّ النَّاس ، وأفضلهم وخيرهم هو الذي بعكسه ، وهو الذي يتعبَّد الله بجميع أسمائه .

وفي ذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - : « وكلَّ اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة ، فإنَّ أسماءه أوصاف مدح وكمال . وكلَّ صفة لها مقتضى وفعل ، إمَّا لازم وإمَّا متعدُّ ، ولذلك الفعل تعلُّق بمفعولٍ هو من لوازمه . وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه . كل ذلك آثار الأسماء الحُسنَى وموجباتها .

ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال ، وتعطيل الأفعال عن المفعولات ، كما أنَّه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله ، وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن

(١) مدارج السالكين : ٣/٣٤٧ .

أسمائه . وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

فمن أسمائه سبحانه (( العَفَّار ، التَّوَّاب ، العَفْو )) فلا بُدَّ لهذه الأسماء من متعلقات . ولا بُدَّ من جنائية تُعْفَر ، وتوبة تُقْبَل ، وجرائم يُعْفَى عنها . ولا بُدَّ لاسمه (( الحكيم )) من متعلق يظهر فيه حكمه ، إذ اقتضاء هذه الأسماء لآثارها كإقتضاء اسم (( الخالق ، الرازق ، المعطي ، المانع )) للمخلوق والمرزوق ، والمعطي والممنوع . وهذه الأسماء كلها حسنى . والرَّبُّ تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه . فهو عَفْوٌ يحب العفو ، ويحب المغفرة . ويحب التوبة .

وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما .

ومن آثارهما مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات ، والمسامحة على الجنایات ، مع كمال القدرة على استيفاء الحق والعلم منه سبحانه بالجنائية ، ومقدار عقوبتها . فعلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته .

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم ، وفي الأمر ، تبين له أنَّ مصدر قضاء هذه الجنایات من العبيد ، وتقديرها : هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال . وغاياتها أيضاً : مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته .

فله في كلِّ ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات

الباهرة ، والتّعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبّتهم له ، وذكرهم له ، وشكرهم له ، وتعبدّهم له بأسمائه الحسنى .

إذ كلّ اسم فله تعبدٌ مختصٌّ به ، علماً ومعرفة وحالاً .  
وأكمل النَّاس عبودية : المتعبدُّ بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر ، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر .

وهذه طريقة الكمّل من السائرين إلى الله . وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن . قال الله تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } [٧: ١٨٠] .

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ، ودعاء الثناء ، ودعاء التّعبد . وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظّهم من عبوديتها ((<sup>(١)</sup>

وقال - رحمه الله - : (( فالعارف من عرف الله سبحانه وصفاته وأفعاله ، ثمّ صدق الله في معاملته ، ثمّ أخلص له في قصده ونيّاته . ثمّ انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثمّ تطهّر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثمّ صبر على أحكام الله في نعمه وبلّيّاته . ثمّ دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته .

ثمّ جرّد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبّها

(١) مدارج السالكين : ١/٤١٧ - ٤٢٠ مختصراً .



بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة إذا سمّي به غيره على الدعوى والاستعارة) (١) .

ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به ، وخافه ورجاه وتوكل عليه ، وأتاب إليه ، ولهج بذكره ، واشتاق إلى لقائه ، واستحيا منه ، وأجله وعظمه على قدر معرفته به .

ومن علامات المعرفة : أن يبدو لك الشاهد ، وتفنى الشواهد ، وتحلّ العلائق ، وتنقطع العوائق ، وتجلس بين يدي الربّ تعالى ، وتقوم وتضطجع على التأهب للقاءه .

ومن علامات العارف : أنه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحدٍ فضلاً ، ولا يرى له على أحد حقاً . وأنه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآتٍ .

وأن يعتزل الخلق بينه وبين الله ، حتّى كأنهم أموات لا يملكون له ضرراً ولا نفعاً . ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وقد قيل : العارف ابن وقته ، وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغولٌ بوظيفة وقته عمّا مضى ، وصار في العدم وعمّا لم يدخل بعد في الوجود ، فهمّه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية .

ومن علاماته أنه مستأنس برّبّه ، مستوحش ممن يقطعه

(١) مدارج السالكين : ٣٣٧/١ - ٣٣٨ .

عنه ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله .  
وقال ذو النون : علامة العارف ثلاثة : لا يطفى نور  
معرفة نور ورعه ، ولا يعتقد باطنًا من العلم ينقضه عليه  
ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار  
محارم الله .

قال : وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة )) (١) .

وقال - رحمه الله - : (( فالإيمان بالصفات ومعرفة لها ، وإثبات  
حقائقها ، وتعلق القلب بها ، وشهوده لها هو مبدأ الطريق  
ووسطه وغايته . وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى  
الوصول ، ومحرك عزماتهم إذا فُتروا ، ومنير هممهم إذا  
قصرُوا ، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لا  
شاهد له فلا سير له ولا طلب ولا سلوك له .

وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ،  
وذلك هو العلم الذي رُفِع لهم في السير فشمروا إليه .

كما قالت عائشة - رضي الله عنها - (( من رأى  
رسول الله ﷺ فقد رآه غاديًا رائحًا ، لم يضع لينة على لينة ،  
ولكن رُفِع له علم فشمروا إليه )) .

ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل ، حتى يرفع  
الله رُجُلَهُ له - بفضله ومنه - علمًا يشاهده بقلبه ، فيشمروا إليه

(١) مدارج السالكين : ١/٣٣٨ - ٣٤٣ مختصرًا .

ويعمل عليه .

فإنَّ أوصاف المدعو إليه ونعوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته ، وطلب الوصول إليه .

لأنَّ القلوب إنما تُحبُّ من تعرفه ، وتخافه وترجوه وتشتاق إليه . وتلتذ بقربه وتطمئن إلى ذكره ، بحسب معرفتها بصفاته .

فإذا ضُرب دونها حجاب معرفة الصفات والإقرار بها امتنع منها - بعد ذلك - ما هو مشروط بالمعرفة وملزوم لها . فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته .

ثمَّ قال - رحمه الله - : فأما الرسالة ، فإنَّها جاءت بإثبات الصفات إثباتاً مفصلاً على وجه أزال الشبهة ، وكشف الغطاء . وحصل العلم اليقيني ، ورفع الشك والريب ، فتلجت له الصدور . واطمأنت به القلوب . واستقرَّ به الإيمان في نصابه . ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والأفعال ، أعظم من تفصيل الأمر والنهي ((<sup>(١)</sup>) .

(١) المصدر السابق : ٣٥٠ - ٣٥٢ مختصراً .

المسألة الثالثة : الطريقة النبوية في التربية على المعرفة :  
ربنا تبارك وتعالى يدعونا في القرآن إلى معرفته من  
طريقتين :

أحدهما : التفكر في آياته وتدبرها .

والثاني : النظر في مفعولاته .

فهذه آياته المشهودة ، وتلك آياته المسموعة المعقولة ((  
(١)

الطريق الأول : التفكر في آياته وتدبرها :  
فأمّا آياته المسموعة المعقولة فهي آياته في كتابه الكريم  
، القرآن كلام الله ، ومنهج نبيه ﷺ والمؤمنين من بعده ،  
فهو أصل الهداية ومنبعها وأولها وآخرها ، وقد أمر الله ﷻ  
بتدبره وتذكره والتفكر فيه ليكون سبباً في الهداية والتوبة  
والأوبة والإيمان وزيادته ، قال الله تعالى : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ  
إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } (٢) ، وقال  
سبحانه : { أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ  
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } (٣) ، وقال : { أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ

(١) الفوائد ، ص ٣١ ، مع تقديم وتأخير وتعديل في بعض الألفاظ لتناسب ذلك .

(٢) ص : الآية ( ٢٩ ) .

(٣) النساء : الآية ( ٨٢ ) .

عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَا { (١) ، وَقَالَ : { أَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ } (٢) .

فهذه الآيات كلها دعوة من الله تبارك وتعالى لتدبر كتابه الكريم ، والنظر فيه وتفهمه وتذكره ، لأن فيه هدايتهم وسبب نجاتهم ، وفي البعد عنه والصد عنه الخسران والهلاك والضلال .

قال الله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } (٣) . وقال تعالى : { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } (٤) . وقال : { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } (٥) . وقال : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } (٦) وقال : { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي } (٧) . وقال : { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ } (٨) .

قال شيخ الإسلام : « فَيُعْلَمُ أَنَّ آيَاتِ اللَّهِ ، وَالرَّسُولَ تَمْنَعُ

(١) محمد : الآية ( ٢٠٤ ) .

(٢) المؤمنون : الآية ( ٦٨ ) .

(٣) الشورى : الآية ( ٥٢ ) .

(٤) البقرة : الآية ( ٢ ) .

(٥) آل عمران : الآية ( ١٣٨ ) .

(٦) الإسراء : الآية ( ٩ ) .

(٧) سبأ : الآية ( ٥٠ ) .

(٨) آل عمران : الآية ( ١٠١ ) .

الكفر)) (١).

فلذلك قال ﷺ: «إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ: الْكَلَامُ وَالْهَدْيُ...» (٢).

فالكلام كلام الله ، تبارك وتعالى ، والهدي هدي المصطفى ﷺ ، وإنما أداة حصر وتخصيص فعلم أن العمل على الكلام والهدي ، الكتاب والسنة : العلم والطريقة والتطبيق ، وعلم أنهما يمنعان الكفر كما قال شيخ الإسلام .

والنبي ﷺ إنما ربى أصحابه على القرآن ، المنهج الرباني الذي أنزله الله فصار عليه متدرجاً تبعاً للتنزيل القرآني .. حتى أخرج جيلاً ربانياً فريداً مرتبطاً بالله أشد الارتباط ، متوثباً لإجابة داعي الله على الدوام ، دون تردّد أو تلوؤ . مضحياً بالنفس والأهل والولد والمال في سبيل الله ، لإعلاء كلمته وئصرة دينه . فلم يعرف الدعة والاستكانة والوهن والضعف ، وإنما هو الجهاد والدعوة والتربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأعمال البرّ بشتى صنوفها .

فالمنهج هو القرآن ، والتطبيق هو السنة . ولقد استجاب المصطفى ﷺ لداعي الله ، ونفذ ما أمره الله به من أول آية تنزلت بإرساله وهي قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ = ١

(١) الفتاوى : ٣/٢ .

(٢) شرح السنة للالكائي : ٨٤/٤ .

فَمُ فَأَنْذِرْ = ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ = ٣ { (١) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى : { فَمُ فَأَنْذِرْ } أي شمّر عن ساق العزم وأنذر الناس ، وبهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . وقال في قوله تعالى : { وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ } أي عظم (٢) . وقال أبو جعفر الطبري : « وربك يا محمد فعظم بعبادته والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد » (٣) .

ولقد امتثل ﷺ أمر ربه فقام لندارة عباده فلم يقر له قرار ، وعظم الله ﷻ وكبره أيما تكبير وتعظيم ، وشرع لغرس تلك المبادئ في قلوب أصحابه ﷺ ، وأولها تعظيم الله ﷻ وتوقيره وتوحيده ودعوتهم إلى عبادته . وقد بين النبي ﷺ المنهج الذي سار عليه ، وفق ما أمره الله به في قوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٤) .

والذِّكْرُ هو الوحي الثاني ( السنة ) وما نُزِّلَ إليهم هو القرآن ، وقد بيّنه ﷺ تببيئاً كافياً شافياً حتى قال أحد الصحابة مات رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وعندنا منه علم .

(١) المدثر .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٧٠/٤ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤/٢٩ .

(٤) النحل : الآية ( ٤٤ ) .

فقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمّة ، وجاهد في الله حقّ جهاده ، مما جعل ابن أم عبد ﷺ يقول : « وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أَنْزَلْتُ ، وَلَا أَنْزَلْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أَنْزَلْتُ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ » (١) .

وقال حبرُ الأمة : « التفسير على أربعة أوجه : تفسيرٌ تعرفه العرب من كلامها ؛ وتفسيرٌ لا يُعذر أحدٌ بجهالته ؛ وتفسيرٌ تعلمه العلماء ، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب » (٢) . والراسخون في العلم يعلمون تأويله الذي لم يُحجب عنهم : قال مجاهد : عرضتُ المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته ، أقفه عند كلِّ آية وأسأله عن تفسيرها » (٣) .

فمن ربّي عبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عباس وأمثالهما ﷺ أجمعين إلا المصطفى ﷺ . وبم ربّاهم وعلام ربّاهم؟! على القرآن وبالقرآن .

فالقرآن هو الذي يُحرّك ما أودعه الله تبارك وتعالى في كوامن الفطرة من توحيد وإيمان ومعرفة بالخالق ومحبة له

(١) البخاريّ : كتاب فضائل القرآن : باب القراء من أصحاب النبي ﷺ : ١٩١٢/٤ ، رقم ٤٧١٦ .

(٢) الفتاوى : مجمل اعتقاد السلف : ٥٥/٣ .

(٣) المرجع السابق : ٥٥/٣ .



، فهو الذي يستحيي هذه المعاني حتى تُصبح في القلب كأنها رأي العين . حقاً يقيناً وصدقاً وعدلاً لا مرية فيه .

ولذلك عني القرآن بطرق منافذ النفس البشرية ومداخلها من جميع الزوايا ، وبصور كثيرة متعدّدة ، حتى كفل بهذا التنوع الشامل مخاطبتها بجملتها وكائنها وحدة واحدة .

ذلك أنّه كلّما فُتحت ثغرة سُدَّت بخطاب فمن منفذ المحبّة إلى منفذ الرجاء إلى منفذ الخوف إلى استشعار العطاء والنعمة ، إلى الفقر ، إلى الرحمة والطمأنينة والسعادة والفرح ، إلى الرهبة والقهر والجبروت .

خاطب القلب البشري جملةً واحدة بتلك الحقيقة الكبرى حقيقة الألوهية والعظمة والعزّة والجلال . خطاباً يشهد بذاته على صدق المنهج وأّنه من عند الله . وأّنه لا يقدر على مثله سواه ، خطاباً إذا تدبّرهُ المتأمل عرف أنّ كلّ آية من آيات هذا الخطاب هي في الحقيقة جانب من جوانب معرفة الله ﷻ .

فتارة يتعرّف إلى عباده بذاته وأسمائه وصفاته ، وتارة يتحبّب إليهم بنعمه وآلائه ، وتارة بأمره ونهيه ، ويُكثر الحديث مفصلاً عن آثار قدرته في الآفاق وفي الأنفس ، وعرض هذه الآثار في الآفاق والأنفس يملأ النفس بالإجلال والعظمة والتقدير والتوقير ، والمحبّة والخشية ، والرجاء والتوكّل ، فينشأ اليقين من خلال الرؤية والمشاهدة لهذه الحقيقة بآثارها في أغوار النفس المكنونة ، وفي صفحات

الكون المنشورة رؤية واضحة ، ومشاهدة مستيقنة ، فتشهد النفس تلقائياً شهادة الحق ويتبين لها أن القرآن حق من عند الله تبارك وتعالى .

إنّ هذا الحضور الكبير الضخم الدائم في القلوب نتيجة طبيعية للمعرفة الصحيحة بالله وأسمائه وصفاته ، وأفعاله وآلئه وعظمته وجلاله وقدرته .

حتى إذا تغلغت هذه الحقيقة في القلوب ودخلت عليها من أقطارها وامتلات بالمعرفة والمحبة والإجلال والتعظيم ؛ عظمت حينئذٍ أمره ونهيه ، وحرماته ، وشعائره ؛ خوفاً ورغبة ورهبة ومحبة .

وتعلقت به دون غيره ، وقطعت العلائق والعوائد عمّن سواه ، فأصبح هاجسها الوحيد ، وهمّها الدائم مراقبة الله واستحضار عظمته حقيقة تتراءى لهم من كلّ حدبٍ وصوب ، تواجههم في كلّ درب ، تساكنهم بالليل والنهار ، والسرّ والجهر ، والغدوّ والأصال .

تعلم بل تستحضر أنّه مهيمٌ عليها ، قادر عليها ، محيطٌ بها ، يكلؤها بعنايته ، يحوطها بعلمه ، هو معها حيثما كانت بعلمه وعنايته وحفظه وتوفيقه ، ناصرٌ ومؤزّرٌ لها إن هي نصرته ، خاذلٌ لها إن هي عصته .

تعلم أنّه على كلّ شيءٍ قدير ، وأنّه قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً ، يعلم السرّ وأخفى ، وأنّه عليم بذات الصدور ، وأنّه

يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ، السرّ عنده جهر ،  
والغيب عنده شهادة .

إنّه الإيمان الصادق ، واليقين الجازم ، جعل من فئةٍ  
قليلة تصنع المعجزات ، تُكسّر الحواجز ، تُحطّم القيود  
والمألوفات ، تهجر العوائد والموروثات ، تتخطى العوائق  
والعقبات .

إنّه الإيمان الذي يُحرّرُ العبد من عبودية العباد إلى عبادة  
ربّ العباد ، إنّه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب انخلع  
عنه الخوف والجبن ، والضعف والخور ، والدّعة  
والاستكانة ، إلى الشجاعة والقوّة ، والجهد والحركة ،  
وقول الحقّ وفعله حيثما كان لا يخشى في الله لومة لائم .

وقد ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - بيان طريقته ﷺ  
وأنها الأمر بتدبّر القرآن فقال : « ولهذا أمر أهل العقل  
بتدبره ، وأهل السمع بسمعه ، فدعا فيه إلى التدبر والتفكير  
والتذكر ، والعقل والفهم ، والى الاستماع والإبصار ،  
والإصغاء ، والتأثر بالوجل والبكاء وغير ذلك ، وهذا باب  
واسع .

وكان المقصود بالدعوة : وصول العباد إلى ما خُلِقوا له  
من عبادة ربّهم وحده لا شريك له ، والعبادة أصلها عبادة  
القلب ، المستتبع للجوارح .

وإنّما ذلك بعلمه وحاله كان هذا الأصل الذي هو عبادة

الله بمعرفته ومحبتّه هو أصل الدعوة في القرآن ، فقال  
تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } ((<sup>(١)</sup>).

وقال - رحمه الله - : (( وذكرت دعوة الأنبياء عليهم السلام  
؛ أنه جاء بالطريقة الفطرية ، كقولهم : { أفي الله شك فاطر  
السّموات والأرض }<sup>(٢)</sup> ؟ وقول موسى : { رَبُّ السّموات  
والأرض }<sup>(٣)</sup> . وقوله في القرآن : { اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ  
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ = ٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ  
فِرَاشًا }<sup>(٤)</sup> . يبيّن أنّ نفس هذه الذوات آية الله .

ولما وبّخهم بيّن حاجتهم إلى الخالق بنفوسهم ، ثمّ قال :  
(إنّ الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس ، وصلاحها ،  
وغايتها ، ونهايتها ، لم يقتصر على مجرد الإقرار ، كما هو  
غاية الطريقة الكلامية ، فلا وافقوا لا في الوسائل ، ولا في  
المقاصد ، فإنّ الوسيلة القرآنية ، قد أشرنا إلى أنّها فطرية  
قريبة ، موصّلة إلى عين المقصود ، وتلك قياسية بعيدة ؛  
ولا توصل إلّا إلى نوع المقصود لا إلى عينه .

وأما المقاصد ؛ فالقرآن أخبر بالعلم به ، والعمل له ،  
فجمع بين قوتي الإنسان العلمية والعملية ، الحسية والحركية

(١) مجموع الفتاوى : ١/٢ - ٦ باختصار .

(٢) إبراهيم : الآية ( ١٠ ) .

(٣) الشعراء : الآية ( ٢٤ ) .

(٤) البقرة : الآيتان ( ٢١ ، ٢٢ ) .

، الإرادية والإدراكية ، والاعتمادية : القولية والعملية ،  
حيث قال : { اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ } <sup>(١)</sup> .

فالعبادة لا بد فيها من معرفته ، والإنابة إليه ، والتذلل له ،  
والافتقار إليه ، وهذا هو المقصود ، والطريقة الكلامية ؛  
إنما تفيد مجرد الإقرار ، والاعتراف بوجوده ، وهذا إذا  
حصل من غير عبادة وإنابة كان وبالاً على صاحبه ؛ وشقاءً  
له <sup>(٢)</sup> .

وقال - رحمه الله - في معرض حديثه عن بيان أصل  
العلم ، قال : « والأذي أكتبه هنا بيانا للفرق بين المنهاج  
النبوي الإيماني العلمي الصلاحي ، والمنهاج الصابئ  
الفلسفي ، وما تشعب عنه من المنهاج الكلامي والعبادي  
المخالف لسبيل الأنبياء وستتبعهم .

وذلك أنّ الأنبياء عليهم السلام دعوا إلى عبادة الله أولاً  
بالقلب واللسان ، وعبادته متضمنة لمعرفته ، وذكره فأصل  
علمهم وعملهم : هو العلم بالله والعمل لله ؛ وذلك فطري ،  
كما قد قررت في غير هذا الموضع ، وبينت أنّ أصل العلم  
الإلهي فطري ضروري ، وأنه أشدّ رسوخاً في النفوس من  
مبدأ العلم الرياضي : كقولنا أنّ الواحد نصف الاثنين <sup>(٣)</sup> .

(١) البقرة : الآية ( ٢١ ) .

(٢) الفتاوى : ١٢/٢ - ١٣ .

(٣) الفتاوى : ١٥/٢ .

وقال في معرض حديثه عن أصل الهداية : (( فجماع الأمر : أن الله هو الهادي والنصير ، { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } ، وكلّ علم فلا بُدَّ له من هداية ، وكلّ عمل فلا بُدَّ له من قوّة فالواجب أن يكون هو أصل كل هداية وعلم وأصل كل نصره وقوّة ، ولا يستهدي العبد إلاّ إياه ، ولا يستنصر إلاّ إياه ، والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً مفطوراً مصنوعاً : عاد في علمه وعمله إلى خالقه ، وفاطره ، وربّه وصانعه ، فصار ذلك ترتيباً مطابقاً للحق ، وتأليفاً موافقاً للحقيقة إذ بناء الفرع على الأصل ، وتقديم الأصل على الفرع : هو الحق ، فهذه الطريقة الصحيحة الموافقة لفطرة الله وخلقته وكتابه وسنته )) (١) .

قال : وقيل لابن عباس : (( بماذا عرفت ربك ؟ فقال : من طلب دينه بالقياس : لم يزل دهره في التباس خارجاً عن المنهاج ، ظاعناً في الاعوجاج : عرفته بما عرف به نفسه ، ووصفته بما وصف به نفسه )) فأخبر أن معرفة القلب حصلت بتعريف الله وهو نور الإيمان ، وأن وصف اللسان حصل بكلام الله ، وهو نور القرآن )) (٢) .

قال الإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي : (( وذلك أنّه - القرآن - محتوٍ من العلوم على ثلاثة أجناس هي المقصود

(١) المرجع السابق : ١٩/٢ - ٢٠ .

(٢) المرجع السابق : ١٨/٢ .

## الأول :

أحدها : معرفة المتوجّه إليه ، وهو الله المعبود سبحانه .

الثاني : معرفة كيفية التوجّه إليه .

الثالث : معرفة مآل العبد ليخاف الله به ويرجوه .

وهذه الأجناس الثلاثة داخلة تحت جنس واحد هو المقصود ، عبّر عنه قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [ الذاريات/٥٦ ] ؛ فالعبادة هي المطلوب الأول ، غير أنّه لا يمكن إلاّ بمعرفة المعبود ؛ إذ المجهول لا يُتوجّه إليه ، ولا يُقصد بعبادة ولا بغيرها ، فإذا عُرف - ومن جملة المعرفة به أنّه أمر وناهٍ وطالب للعباد بقيامهم بحقه - توجّه الطلب ؛ إلاّ أنّه لا يتأتى دون معرفة كيفية التعبّد ؛ فجيء بالجنس الثاني ((<sup>(١)</sup>).

وقال ابن القيم - رحمه الله - : (( والرسل من أولهم إلى خاتمهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أرسلوا بالدعوة إلى الله . وبيان الطريق الموصّل إليه ، وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه . فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كلّ ملة على لسان كل رسول<sup>(٢)</sup> ، فعرفوا الرّب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً ، حتّى كأن

(١) الموافقات : ٢٠٤/٤ .

(٢) هذه القواعد الثلاث هي نفسها الأجناس الثلاثة من العلوم التي ذكرها الشاطبي في الصّفحة السابقة ذات الرقم ٣٠٩ .

العباد يشاهدونه سبحانه . وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ، ويدبر أمر مملكته ، ويسمع أصوات خلقه ، ويرى أفعالهم وحركاتهم ، ويشاهد بواطنهم ، كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، ويرضى ويغضب ، ويحب ويسخط ، ويضحك من قنوطهم ، وقرب غيره ، ويجيب دعوة مضطربهم ، ويغيث ملهوفهم ، ويعين محتاجهم ، ويجبر كسيرهم ، ويغني فقيرهم ، ويميت ويحيي ، ويمنع ويعطي ، يؤتي الحكمة من يشاء ، مالك الملك ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويفك عانياً ، وينصر مظلوماً ، ويقصم ظالماً ، ويرحم مسكيناً ، ويغيث ملهوقاً ، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تقديمه ، ويؤخر ما يشاء تأخيرها ، فأزمت الأمور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه ، وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة)) (١) .

القاعدة الثانية : تعريفهم بالطريق الموصل إليه وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله وأتباعهم ، وهو امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، والإيمان بوعده ووعيده ، وهذه القاعدة سماها الإمام الشاطبي آنفاً كيفية التوجه إليه .

القاعدة الثالثة : تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما

(١) مدارج السالكين : ٣/٣٤٨ - ٣٤٩ .



تضمنه اليوم الآخر من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط )) (١) .

وقد سمّاها الإمام الشاطبي أنفاً معرفة مآل العبد .

وقال - رحمه الله - في موضع آخر : (( للإنسان قوتان : قوّة علمية نظرية ، وقوّة عملية إرادية ، وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوته العلمية والإرادية ، واستكمال القوّة العلمية ، إنّما يكون بمعرفة فطره وبارئه ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، ومعرفة الطريق التي توصل إليه ومعرفة آفاتها ، ومعرفة نفسه ، ومعرفة عيوبها ، فبهذه المعارف الخمس يحصل كمال قوته العلمية ، وأعلم الناس أعرّفهم بها وأفقههم فيها ، واستكمال القوّة العملية الإرادية لا يحصل إلاّ بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً وإحساناً ومتابعة وشهوداً لمنّته عليه )) (٢) .

وقال - رحمه الله - بصدد المعرفة وأنها أساس الإيمان : (( من أراد علوً بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به ، فإنّ علوً البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه . فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان ، ومتى كان الأساس وثيقاً حملّ البنيان واعثلي عليه ، وإذا تهدّم شيء من البنيان سهّل تداركه ، وإذا كان الأساس غير وثيق

(١) مدارج السالكين : ٣/٣٤٩ .

(٢) الفوائد ، ص ٣٠ .

لم يرتفع البنيان ولم يثبت ، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد .

فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه ، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس ، فلا يلبث بنيانه أن يسقط . فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان ، فإذا تشعث شيء من أعالي البناء وسطحه كان تداركه أسهل عليك من خراب الأساس .

وهذا الأساس أمران :

الأول : صحّة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته .

والثاني : تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه .

فإذا كمل البناء ؛ فبيّضه بحسن الخلق والإحسان إلى الناس ؛ ثمّ حطّه بسور من الحذر لا يقتحمه عدوّ ، ولا تبدو منه العورة ، ثمّ أرخ الستور على أبوابه ((<sup>(١)</sup>) .

(١) المرجع السابق : ٢٠٤ - ٢٠٥ مختصراً .

التطبيقات النبوية على غرس المعرفة :

كان منهجه ﷺ التدرج وتقديم الأهم الأهم في تربية أصحابه على المعرفة ، مع الليالي والأيام ، متفرقاً حسب التنزل القرآني ، والحوادث ، وكان يعلمهم ﷺ ويرببهم مجتمعين تارة ومتفرقين أخرى ، تارة في المسجد ، وتارة في البيت ، أو في أماكن تجمعهم وأسواقهم أو في حوائطهم ، وتارة يوصي أحدهم أو ينصحه ، تارة يجيبهم على أسئلتهم وأخرى يبتدئهم هو ، وثالثة يسألهم .

تارة جالساً وأخرى ماشياً أو راكباً ، وهكذا لا ينتظر ﷺ جميع أصحابه ليكتملوا في مجلس واحدٍ لكيلا يشقّ عليهم ، أو يفوته التبليغ ، ولأنه يعلم ﷺ حرص أصحابه ﷺ على العلم وتداوله بينهم ونقله .

فهو مستمر ومستديم التبليغ ﷺ ، يأتيه الرجل من البدو فيسأله فيجيبه ، يدخل عليه وهو يخطب في الجمعة وينزل من منبره ليعلمه أمور دينه ، يدخل عليه وهو على المنبر ويطلبه أن يستسقي ربّه فيستسقيه .

يركب مع أحدهم على دابةٍ فينصحه نصيحة طويلة . يجلس في قفٍّ بئرٍ بحائطٍ فيتحدّث . ويعطي أحدهم نعليه ويبعثه لبيشّر من وجد خارج الحائط بأنه من مات على التوحيد دخل الجنة .

وكان ﷺ يُقرئهم القرآن ويعلمهم إياه ، ويرببهم عليه وعلى سنته . فعن عبدالله بن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ

يَعْلَمُنَا الْقُرْآنَ ، فَإِذَا مَرَّ بِسُجُودِ الْقُرْآنِ سَجَدَ وَسَجَدْنَا مَعَهُ ))  
(١)

وقال : (( كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا السورة ، فيقرأ السجدة ، فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد أحدنا مكاناً لموضع جبهته )) (٢) . دل ذلك على أنه كان يقرئهم القرآن ويعلمهم إياه ، وفيه معرفة الله بأسمائه وصفاته وآلائه .

وعن عبدالله بن عباس وابن مسعود قالوا : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا النَّسْهَدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ )) (٣) . فيه دليل على تعليمه أصحابه القرآن ، والقرآن مليء بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومن التطبيقات على تعليم النبي ﷺ أصحابه وتربيتهم على معرفة الله من خلال القرآن الكريم : ما رواه البخاري والبيهقي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يعني يقول الله ﷻ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَنْبَغْ لَهُ أَنْ يَكْذِبَنِي ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَنْبَغْ لَهُ أَنْ يَشْتَمَنِي . فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَنْ يَعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلَ خَلْقِهِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ { اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا }

(١) المسند للإمام أحمد : ٥٤٤/٢ ، رقم ٦٤٧٠ .

(٢) المصدر السابق : ٤٦٦٩/٢ ، ومشكاة المصابيح برقم ١٢٥ ، وقال الألباني : متفق عليه .

(٣) المصدر السابق : ٢٨٩٤/١ ، ٣٧٣٨/٢ .

وأنا الله الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفواً أحد» (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - « أن النبي ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ » (٢) . وفي حديث أنس : « فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّهَا ، فَقَالَ : حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ » (٣) ، وهي دعوة عملية لمعرفة صفات الله والتعبد بها .

ففي تعليم النبي ﷺ وإخباره لهم أن الله أحبه ، وأنه أدخله الجنة بسبب حبه لصفة الرحمن ترغيب ودعوة لمعرفة صفات الله ، ودعم وتشجيع لمن عرفها وأحبها .

وفي قول الله تعالى : { ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } (٤) . قال أبو بكر رضي الله عنه : « كُنْتُ

(١) الأسماء والصفات للبيهقي : باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع

نفي التشبيه عن الله تعالى جده : ٦٨/١ ، وفي البخاري في التفسير : باب تفسير قوله تعالى : { قل هو الله أحد } : ١٩٠٣/٤ ، رقم ٤٦٩٠ بألفاظ قريبة منه .

(٢) البخاري : التوحيد : ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد : ٢٦٨٦/٦ ، رقم ٦٩٤٠ .

(٣) البخاري : صفة الصلاة : الجمع بين السورتين في ركعة : ٢٦٨/١ ، رقم ٧٤١ .

(٤) التوبة : الآية ( ٤٠ ) .

مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَانَا ، قَالَ : مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا ؟ ) (١) .

وعنه ﷺ في حديث الهجرة الطويل قال : ( ... فَقُلْتُ : هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ) (٢) .

في هذين الحديثين يبين النبي ﷺ معية الله لهما ، تلك المعية الخاصة فهو معهم بنصره وتأييده ومؤازرته وحفظه لهم من أعدائهم . وفيه تربية على التعلق بالله ﷻ والتوكل عليه ، وترك الخوف من غيره .

وقد وقع هذا من النبي ﷺ في الوقت المناسب ، وقت الشدة ، الوقت الذي كان فيه أبو بكر ﷺ أحوج ما يكون للنتيبت ، ( وقد دعا رسول الله ﷺ فنزلت عليه السكينة ) (٣) .

وهل كان ﷺ خائفًا على نفسه؟! إنما كان خائفًا على رسول الله ﷺ .

وفي بيان قدرة الله ﷻ على الخلق والإعادة ، وأن ما

(١) البخاري: التفسير: سورة التوبة: ٤/١٧١٢، رقم ٤٣٨٦ .

(٢) المصدر السابق: فضائل الصحابة: مناقب المهاجرين وفضلهم:

٣/١٣٣٦، رقم ٣٤٥٢ .

(٣) فتح الباري: ١٠/٧ .

يريده الله ﷻ إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وكذلك بيان رحمة الله ﷻ بعباده ، وَأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، وَأَنَّهَا وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ :

فقد كان النبي ﷺ يُحَدِّثُهُمْ لِبَيَانِ هَذِهِ الْمَعَانِي وَالصِّفَاتِ وَتَأْكِيدِهَا فِي نَفْسِهِمْ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اطْحَنُونِي ، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيْحِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا . فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ : اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ خَشِيتُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ » (١) ، وَقَالَ غَيْرُهُ : « مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ : « فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ... وَقَالَ : ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمِ عَاصِفٍ وَوَرَدَ فِي نَهَائَةِ الْحَدِيثِ : فَنَلِّقَاهُ بِرَحْمَتِهِ » (٢) .

وَفِي حَدِيثِ حَذِيفَةَ : « ... إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا ، ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي ، وَخَلَصَتْ إِلَيَّ عَظْمِي » (٣) .

(١) البخاريّ الأنبياء : ١٢٨٣/٣ ، رقم ٣٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق في نفس الموضع ، رقم ٣٢٩١ .

(٣) المصدر السابق في نفس الموضع ، رقم ٣٢٩٢ .

وقد أخرج مسلم في التوبة : باب : في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم ٢٧٥٦ .

وفي قول الله ﷻ : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } (١) ، قال البخاري : (( يَعْنِي أَضْدَادًا وَاحِدَهَا نِدًّا )) (٢) .

وعن عبدالله : (( قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً ، وَقُلْتُ أُخْرَى ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ . وَقُلْتُ أَنَا : مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ )) (٣) .

أي أن من مات وهو يشرك بالله شيئاً كأن يعبد صنماً أو حجراً أو غيره دخل النار ، وكلمة عبدالله ﷺ بعكسها ؛ فإن من مات وهو لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

وما برح رسول الله ﷺ يُحذّر من الشرك إلى أن توفاه الله ، ويؤكد هذا الاعتقاد .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قول الله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْقَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } (٤) .

قال ﷺ : (( إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْقَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } ))

(١) البقرة : الآية ( ١٦٥ ) .

(٢) البخاري : ٦٨ التفسير ٢٤ - باب قوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا } : ١٦٣٦/٤ .

(٣) البخاري : التفسير : باب قوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. الآية : ١٦٣٦/٤ ، رقم ٤٢٢٧ .

(٤) هود : الآية ( ١٠٢ ) .



« (١) .

فهذا تفسير من النبي ﷺ لهذه الآية ، وتحذير لأصحابه وللأمة من بعدهم من الظلم ، وأن عاقبته وخيمة ، وأن الله يمهّل الظالم ، ولكن إذا أخذه لا يتركه حتى يستوفي عقابه ، وكذلك أخذ ربك للقرى الظالمة ؛ فإن أخذها لها منه العذاب الأليم الشديد .

ومن ذلك ما ورد في عظمة الله ﷻ ومُلكه وقدرته على خلقه ، وترسيخ هذه الصفات في القلوب ، قال الله تعالى : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٢) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ ؟ » (٣) .

وعن عبدالله قال : « جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجِدُ : أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إصْبَعٍ ، وَالْأَرْضِينَ عَلَىٰ إصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالتُّرَىٰ عَلَىٰ إصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ إصْبَعٍ ،

(١) البخاريّ : التفسير : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ... } : ٤/١٧٢٦ ، رقم ٤٤٠٩ .

(٢) الزمر : الآية ( ٦٧ ) .

(٣) البخاريّ : التفسير : باب ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، الآية نفسها : ٤/١٨١٢ ،

رقم ٤٥٣٤ .

فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ تَصَدِّيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... { الآية } (١) .

ومن ذلك أيضا تفسير النبي ﷺ لأصحابه قول الله ﷻ : { وَمَا يَكْتَسِفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ } (٢) .

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يَكْتَسِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسَمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا » (٣) .

وهي العلامة التي بينه ﷻ وبين المؤمنين كما ورد في حديث أبي سعيد الطويل عند مسلم : « ... فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُكْتَسِفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ . وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ . ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحُلُّ الشَّقَاعَةُ » (٤) .

ومن ذلك أيضا قول الله ﷻ : { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

(١) البخاريّ : التفسير ٢٩٧ - باب وما قدروا الله حق قدره : ١٨١٢/٤ ، رقم ٤٥٣٣ .

(٢) القلم : الآية (٤٢) .

(٣) البخاريّ : التفسير : باب يوم يكشف عن ساق : ١٨٧١/٤ ، رقم ٤٦٣٥ .

(٤) مسلم : الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية : ١٦٣/١ ، رقم ١٨٢ .

{ المَتِينُ }<sup>(١)</sup> .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَا أَحَدٌ  
أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرزُقُهُمْ »<sup>(٢)</sup>

وفي اختصاصه ﷺ بالغيب وأنه لا يطلع عليه أحدًا قال  
سبحانه : { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا }<sup>(٣)</sup> .

قال ﷺ : « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ : لَا يَعْلَمُ مَا  
تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي  
الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تُدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ  
مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ »<sup>(٤)</sup> .

ومن ذلك قول الله ﻋَزَّ وَجَلَّ : { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ }<sup>(٥)</sup>

فعن أبي سعيد الخدري في غزوة بني المصطلق : « أَنَّهُمْ  
أَصَابُوا سَبَايَا ، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِنَّ وَلَا يَحْمِلْنَ ، فَسَأَلُوا  
النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْعَزْلِ ، فَقَالَ : مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ

(١) الذاريات : الآية ( ٥٨ ) .

(٢) البخاري : التوحيد : باب قول الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ  
الْمَتِينُ } : ٢٦٨٧/٦ ، رقم ٦٩٤٣ .

(٣) الجن : الآية ( ٢٦ ) .

(٤) البخاري : التوحيد : باب قول الله تعالى : { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى  
غَيْبِهِ أَحَدًا } : ٢٦٨٧/٦ ، رقم ٦٩٤٤ .

(٥) الحشر : الآية ( ٢٤ ) .

مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ قَزَعَةَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ فَقَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا )) (١) .

فقد بين النبي ﷺ لصحابته الكرام أن الله ﷻ قد كتب من سيخلق إلى يوم القيامة وأن كل نفس قد قدر الله خلقها سيخلقها لا محالة عزلوا أم لم يعزلوا .

قال ابن منظور في معنى لفظ الجلالة : البارئ : والبارئ من أسماء الله ﷻ ، والله البارئ الدارئ ، وفي التنزيل العزيز : { الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ } ، وقال تعالى : { فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ } . قال : البارئ هو الذي خلق الخلق لا عن مثال . قال : ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات ، وقلما تستعمل في غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النّسمة ، وخلق السموات والأرض )) (٢) .

وقال الله ﷻ : { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } (٣) .

أخرج البيهقي في الأسماء والصفات في جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع له ، فذكر الآية ، ثم أورد بسنده عن أنس ﷺ قال : « كُنَّا نُهَيِّنَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ

(١) البخاريّ : التوحيد : باب قول الله تعالى : { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ

الْمُصَوِّرُ } : ٢٦٩٥/٦ ، رقم ٦٩٧٤ .

(٢) لسان العرب : ٣١/١ ، مادة : برأ .

(٣) الزمر : الآية ( ٦٢ ) .

أَهْلَ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلُهُ وَتَحْنُ نَسْمَعُ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَتَنَا رَسُولُكَ فَرَزَعَمَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ جَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَبِأَلْذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَنَصَبَ الْجِبَالَ ، وَجَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَبِأَلْذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ... الْحَدِيثُ )) (١) .

وقال - رحمه الله - : قال الحلبي في معنى ( الله ) (( أنه الإله )) وهذا أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني ، والأشبه أنه كأسماء الأعلام موضوع غير مشتق )) (٢) .

وقال الله تعالى : { أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ } (٣) .  
وقال : { بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٤) .

(١) الأسماء والصفات للبيهقي : ٤٦/١ .

وأخرجه مسلم : ج ١ ، كتاب الإيمان ، ص ٤١ ، رقم ١٢ .  
والبخاري بنحوه في كتاب العلم : باب ما جاء في العلم حديث ضمام بن ثعلبة : ٣٥/١ ، رقم ٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ٤٧/١ .

(٣) القيامة : الآية ( ٤٠ ) .

(٤) الأحقاف : الآية ( ٣٣ ) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ : { أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } ، فَلْيَقُلْ : بَلَى » (١) .

وهذا بابٌ واسعٌ نختمه بحديث أسماء الله الحسنى ، فإنه جامع في بابه ، مع ذكر بعض الآيات في الأسماء والصفات .

أخرج الحافظ أبو بكر البيهقي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَهُوَ وَثِرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ ، الرَّحِيمُ ، الْمَلِكُ ، الْقُدُّوسُ ، السَّلَامُ ، الْمُؤْمِنُ ، الْمُهِيمُنُ ، الْعَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ ، الْمُصَوِّرُ ، الْعَقَّارُ ، الْقَهَّارُ ، الْوَهَّابُ ، الرَّزَّاقُ ، الْفَتَّاحُ ، الْعَلِيمُ ، الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الْخَافِضُ ، الرَّافِعُ ، الْمُعِزُّ ، الْمُنْزِلُ ، السَّمِيعُ ، الْبَصِيرُ ، الْحَكَمُ ، الْعَدْلُ اللَّطِيفُ ، الْخَبِيرُ ، الْحَلِيمُ ، الْعَظِيمُ ، الْغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، الْعَلِيُّ ، الْكَبِيرُ ، الْحَفِيفُ ، الْمُقِيتُ ، الْحَسِيبُ ، الْجَلِيلُ ، الْكَرِيمُ ، الرَّقِيبُ ، الْمُجِيبُ ، الْوَاسِعُ ، الْحَكِيمُ ، الْوَدُودُ ، الْمَحِيدُ ، الْبَاعِثُ ، الشَّهِيدُ ، الْحَقُّ ، الْوَكِيلُ ، الْقَوِيُّ ، الْمَتِينُ ، الْوَلِيُّ ، الْحَمِيدُ ، الْمُحْصِي ، الْمُبْدِي ، الْمُعِيدُ ، الْمُحْيِي ، الْمُمِيتُ ، الْحَيُّ ، الْقَيُّومُ ، الْوَاحِدُ ، الْمَاجِدُ ، الْوَاحِدُ ، الصَّمَدُ ، الْقَادِرُ ، الْمُفْتَدِرُ ، الْمُقَدِّمُ ، الْمُؤَخَّرُ ، الْأَوَّلُ ، الْآخِرُ ، الظَّاهِرُ ، الْبَاطِنُ ، الْوَالِي ، الْمُتَعَالِي ، الْبَرُّ ،

(١) الأسماء والصفات : ٥٢/١ .

وانظر سنن أبي داود : صحيح سننه : ١٤٢/١ ، كتاب الصلاة : باب مقدار الركوع والسجود .

التَّوَابُ ، الْمُنتَقِمُ ، الْعَفْوُ ، الرَّعْفُ ، مَالِكُ الْمَلِكِ ، دُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ ، الْمُفْسِطُ ، الْجَامِعُ ، الْعَنِيُّ ، الْمُعْنِيُّ ، الْمَانِعُ ، الضَّارُّ ، النَّافِعُ ، الثَّورُ ، الْهَادِي ، الْبَدِيعُ ، الْبَاقِي ، الْوَارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبْرُ ، الْكَافِي » (١) ، لفظ حديث الفريابي .

وفي رواية الحسن بن سفيان : الرافع بدل المانع (٢) .

وقيل في رواية النسبي (٣) : المغيث بدل المقيت (٤) .

ولقد ثبتت أغلب هذه الأسماء بالقرآن الكريم ، جاءت في

(١) سنن الترمذي : ١٩٣/٥ ، كتاب الدعوات ، باب إنَّ الله تسعة وتسعين اسماً عن أبي هريرة .

(٢) كنز العمال : ٤٥٠/١ ، الباب الثاني في أسماء الله الحسنى عن أبي هريرة أيضاً .

(٣) الحاكم في المستدرک : كتاب الإيمان ، عن أبي هريرة أيضاً : ٦٢/١ ، رقم ٤١/٤١ ، وقال : هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه ، والعلّة فيه عندهما أنّ الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله ، وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره ، وليس بعلة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أنّ / الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجلّ من أبي اليمان ، وبشر بن شعيب وعلي بن عياش وأقرانهم من أصحاب شعيب .

وقال في التلخيص : لم يخرجوا الأسامي لتفرد الوليد بها وليس ذا بعلة ، فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان ، وعلي بن عياش ( ا.هـ . فهي زيادة ثقة وزيادة الثقة مقبولة .

(٤) الأسماء والصفات : ٢٨/١ ، باب بيان الأسماء التي من أحصاها دخل الجنة .

النَّسَقَ القرآني الفريد الذي يتعرّفُ الرَّبَّ جلّ جلاله إلى عباده من خلاله لدعوتهم إلى توحيده وإفراده بالعبادة وعدم الإِشْرَاقِ به ، وذلك بالأسلوب القرآني في استحياء الفطرة واستجاشتها لمعرفة الحقّ واتباعه وتلبية داعي الله .

ومن هذه النصوص الكثيرة قول الله ﷻ : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } (١) .

وقوله تعالى : { الم = ١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ = ٢ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } (٢) .

وقوله تعالى : { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ = ٢٢ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ = ٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (٣) .

(١) البقرة : الآية ( ٢٥٥ ) آية الكرسي .

(٢) آل عمران : الآيات ( ٣١ ) .

(٣) الحشر : الآيات ( ٢٢ - ٢٤ ) .



**وقوله :** { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ = ٣ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ = ٤ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ = ٥ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ = ٦ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ = ٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِنُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ = ٨ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } (١)

**وقوله :** { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (٢)

**وقال تعالى :** { ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (٣)

**وقال :** { هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

(١) الحديد : الآيات ( ٣ - ٩ ) .

(٢) المجادلة : الآية ( ٧ ) .

(٣) غافر : الآية ( ٦٢ ) .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { (١) .

**وقال :** { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا } (٢) .

**وقال سبحانه :** { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } (٣) .

**وقال سبحانه :** { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى = ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى = ٦ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى = ٧ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } (٤) .

**وقوله :** { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } (٥) .

**وقوله تعالى :** { قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى = ٤٩ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } (٦) .

**وقوله :** { قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ

(١) غافر : الآية ( ٦٥ ) .

(٢) الفرقان : الآية ( ٥٨ ) .

(٣) يونس : الآية ( ٦١ ) .

(٤) طه : الآيات ( ٥ - ٨ ) .

(٥) طه : الآية ( ١٤ ) .

(٦) طه : الآيات ( ٤٩ - ٥٠ ) .

رَبِّهِمْ مُعْرَضُونَ = ٤٢ أم لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ  
نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّا يُصْحَبُونَ { (١) .

**وقوله :** { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكَتُوبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ  
خَلْقِ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (٢) .

**وقوله تعالى :** { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ  
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } (٣) .

**وقوله تعالى :** { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ  
الْعَظِيمِ = ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ = ٨٧ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ  
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ = ٨٨  
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } (٤) .

**وقوله تعالى :** { ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }  
(٥) .

ومن تعليم النبي ﷺ أصحابه وتربيتهم على معرفة الله ﷻ ،  
ما ثبت من سنته ﷺ في مواقف كثيرة ، منها :

ما رواه أبو موسى الأشعري ﷺ قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ . فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا ،

(١) الأنبياء : الآيات ( ٤٢ - ٤٣ ) .

(٢) الأنبياء : الآية ( ١٠٩ ) .

(٣) الحج : الآية ( ٦٢ ) .

(٤) المؤمنون : الآيات ( ٨٦ - ٨٩ ) .

(٥) الشورى : الآية ( ١١ ) .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ )) (١) .

ففي هذا الحديث أخبرهم ﷺ أن الله معهم وأنه سميع قريب منهم بعلمه وسمعه وبصره ، وأنه على كل شيء شهيد .

ومنه ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » (٢) .

فهنا يخبرهم ﷺ بصفة من صفات المولى تبارك وتعالى ، وهي صفة التنزل في الثلث الأخير من الليل ، وأنه يستجيب لمن يدعوه ، ويُعطي من سأله ، ويغفر لمن استغفره ، خاصة في ذلك الوقت الفاضل .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِيهِ عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ : « الْكِبْرِيَاءُ رَدَائِي ، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي ، مَنْ نَازَعَنِي مِنْهَا شَيْئًا قَصَمْتَهُ » (٣) .

(١) البخاريّ : الجهاد : ما يُكره من رفع الصوت في التكبير : ١٠٩١/٣ ، رقم ٢٨٣٠ .

(٢) البخاريّ : الجهاد : يريدون أن يبدّلوا كلام الله : ٢٧٢٣/٦ ، رقم ٧٠٥٦ .

(٣) الأسماء والصفات : ٢٢٨/١ .

وانظر : كنز العمال : ٣:٥٢٧ .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة قالاً : قال رسول الله ﷺ : « العزُّ إزارُهُ ، والكبرياءُ رداؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ » (١) .

**الطريق الثاني : النظر في مفعولاته :**

وهو الطريق الثاني من طريق معرفة الله ﷻ بالنظر في مخلوقاته ، وهو الطريق الثاني من طرق إثبات الصفات ، فالمخلوق يدل على الخالق .

**قال الله تعالى :** { سَتَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (٢) .

قال الحافظ ابن كثير : « أي سُنْظَهُرُ لَهُمْ دَلَالَاتِنَا وَحَجَجِنَا عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ حَقًّا مَنْزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِدَلَائِلٍ خَارِجِيَّةٍ » (٣) .

وابن ماجه بلفظ : « من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم » ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٤٠٥/٢ ، رقم ٣٣٦٥ .

(١) مسلم : البر والصلة : تحريم الكبر : ٢٠٢٣/٤ ، رقم ٢٦٢٠ .

والضمير في إزاره وردائه يعود إلى الله تعالى للعلم به ، وفيه محذوف تقديره قال الله تعالى ، ومعنى من يُنَازِعُنِي : يتخَلَّقُ بِذَلِكَ فيصير في معنى المشارك ، وهذا وعيدٌ شديدٌ في الكبر ، مصرحٌ بتحريمه . ( انظر : الحاشية ) : ٢٠٢٣/٤ في صحيح مسلم .

(٢) فُصِّلَتْ : الآية (٥٣) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ١١٣/٤ .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : (( أي أنّ القرآن حقّ ، فأخبر أنّه لا بُدّ أن يريهم من آياته المشهودة ما يُبين لهم أنّ آياته المتلوّة حقّ ، ثمّ أخبر بكفاية شهادته على صحّة خبره ، بما أقام من الدلائل والبراهين على صدق رسوله . فأياته شاهدةٌ بصدقه ، وهو شاهدٌ بصدق رسوله بآياته . فهو الشاهد والمشهود له ، وهو الدليل والمدلول عليه . فهو الدليل بنفسه على نفسه )) (١) .

وقال تعالى : { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (٢) .

قال مجاهد في قوله { سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا } . قال : في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق . اهـ .

والظاهر والله أعلم أنّه عامٌّ في كلّ شيء ، في الأنفس والآفاق ، في السماء والأرض والرزق ، وفي آيات عذابه وسخطه كما قال ابن جرير ، وفي المرض والعافية ، والإحياء والإماتة ، والغيث والجذب ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والرياح مبشرات ، والبرق خوفاً وطمعاً ، والجوار في البحر كالأعلام ، وخلق الأزواج من الأنفس ، والسكن إليها ، والمنام بالليل والنهار ، وفي إهلاك الأمم ، وفي نجاتهم وغير ذلك من علاماته ودلائله وحججه الكثيرة

(١) الفوائد ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) النمل : الآية ( ٩٣ ) .

## القاطعة .

« هذا هو الطريق الثاني من طُرُق إثبات الصفات . وهو دلالة الصنعة عليها . فإنَّ المخلوق يدل على وجود خالقه ، على حياته ، وعلى قدرته ، وعلى علمه ومشيئته . فإنَّ الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاماً ضرورياً . وما فيه من الإتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه ؛ يدلُّ على حكمة فاعله وعنايته وما فيه من الإحسان والنفع ، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق : يدلُّ على رحمة خالقه وإحسانه وجوده .

وما فيه من آثار الكمال : يدلُّ على أنَّ خالقه أكمل منه ، فمعطي الكمال أحق بالكمال . وخالق الأسماع والأبصار والنطق : أحقَّ بأن يكون سميعاً بصيراً متكلماً .

والإحسان إلى المطيعين ، والتقرب إليهم والإكرام ، وإعلاء درجاتهم : يدل على محبته ورضاه . وعقوبته للعصاة والظلمة ، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة : تدل على صفة « الغضب والسخط » والإبعاد والطرده والإقصاء يدل على المقت والبغض .

فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل . ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته . فهو يثبت العلم بربوبيته ووحدانيته وصفات كماله بآثار صفاته المشهورة . والقرآن مملوء بذلك .

فيظهر شاهد اسم (( الخالق )) من نفس المخلوق . وشاهد اسم (( الرازق )) من وجود الرزق والمرزوق . وشاهد اسم (( الرحيم )) من شهود الرحمة المبنوثة في العالم . واسم (( المعطي )) من وجود العطاء الذي هو مدار لا ينقطع لحظة واحدة . واسم (( الحليم )) من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم . واسم (( الغفور )) و (( التواب )) من مغفرة الذنوب ، وقبول التوبة . ويظهر شاهد اسمه (( الحكيم )) من العلم بما في خلقه وأمره من الحكم والمصالح ووجوه المنافع .

وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفه ويجهله من جهله . فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته .

وكلّ سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحِذِّقه وتبريزه على غيره ، وتفردّه بكمال لم يشاركه فيه غيره : من مشاهدة صنّعتّه ، فكيف لا تعرف صفات مَنْ هذا العالم العلوي والسفلي ، وهذه المخلوقات : من بعض صنعه ؟ وإذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات ، وجدتها بأسرها كلّها دالة على النعوت والصفات ، وحقائق الأسماء الحسنی . وعلمت أنّ المعطلة من أعظم الناس عمى بمكابرة . ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصّة .

كما قال تعالى : { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } [ ٢١/٥١ ] ، فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرّب جلّ جلاله ونعوته وأسمائه . فهي كلّها تشير إلى الأسماء الحسنی وحقائقها .



وتنادي عليها وتدلُّ عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال .  
فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة ، يدل  
على إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال .

قال تعالى { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ } [ ٢/٥٩ ] والاعتبار  
افتعال من العبور ، وهو عبور القلب من الملزوم إلى لازمه  
. ومن النظير إلى نظيره .

والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر إلى المؤثر ، ومن  
الصنعة إلى الصانع . فإذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن  
النظر في صنعه : أثمر له إثبات صفات كماله ولا بُدَّ (١) .

وقال - رحمه الله - : ولهذه المعرفة بابان واسعان :

الباب الأوَّل : التفكُّر والتأمُّل في آيات القرآن كلها ،  
والفهم الخاص عن الله ورسوله .

والباب الثاني : التفكُّر في آياته المشهودة وتأمُّل حكمته  
فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه

وجماع ذلك : الفقه في معاني أسمائه الحسنی وجلالها  
وكمالها وتفردُه بذلك ، وتعلُّقها بالخلق والأمر ، فيكون فقيهاً  
في أوامره ونواهيه ، فقيهاً في قضائه وقدره ، فقيهاً في  
أسمائه وصفاته ، فقيهاً في الحكم الديني الشرعي والحكم

(١) مدارج السالكين : ٣/٣٥٤ - ٣٥٧ باختصار مع تقديم وتأخير لا يخل  
بالمعنى .

الكوني القدرى ، و { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (١) .

وقال : تكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال .

فأعمال البر تثمر الهدى ، وأعمال الفجور بالضد . فمن الأصل الأوّل قوله تعالى : { الم = ١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } . وهذا يتضمن أمرين :

أحدهما : أنّه يهدي به من اتقى مساخطه قبل نزول الكتاب ، فإنّ الناس على اختلاف مللهم ونحلهم قد استقرّ عندهم أنّ الله يكره الظلم والفواحش والفساد ، ويحب العدل والإحسان ، والجود والصدق . فلما نزل الكتاب أثاب أهل البر بأن وقّهم للإيمان به جزاءً لهم على برّهم وطاعتهم وخذل أهل الفجور والفحش والظلم بأن حال بينهم وبين الاهتداء به .

والأمر الثاني : أنّ العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً ، كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له على التفصيل .

قال تعالى : { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ... } . وقال : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } (٢) .

(١) الفوائد ، ص ٢٢١ .

(٢) يونس : الآية ( ٩ ) .

وقال تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ } <sup>(١)</sup> . وقال : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } <sup>(٢)</sup> . في سورة لقمان وسورة إبراهيم وسبأ والشورى .

فأخبر عن آياته المشهودة العيانية أنها إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر ، كما أخبر عن آياته الإيمانية القرآنية أنها إنما ينتفع بها أهل التقوى والخشية والإنابة ، ومن كان مقصده اتباع رضوانه ، وأنها إنما يتذكر بها من يخشاه سبحانه ، كما قال : { طه = ١ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ = إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَنْ يَخْشَى } <sup>(٣)</sup> ، وقال في الساعة : { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا } <sup>(٤)</sup> .

وأما من لا يؤمن بها ولا يرجوها ولا يخشاها فلا تنفعه الآيات العيانية ولا القرآنية ، ولهذا لما ذكر عقوبات الأمم المكذّبين للرسول قال : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ } <sup>(٥)</sup> . فأخبر أن في عقوباته للمكذّبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة .

وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك

(١) سبأ : الآية ( ٩ ) .

(٢) سبأ : الآية ( ١٩ ) .

(٣) طه : الآيات ( ١ - ٣ ) .

(٤) النازعات : الآية ( ٤٥ ) .

(٥) هود : الآية ( ١٠٣ ) .

عبرة وآية في حقه ، وإذا سمع ذلك قال : لم يزل في الدهر الخير والشر والنعيم والبؤس والسعادة والشقاوة ، وربما أحال ذلك على أسباب فلكية وقوى نفسانية . وإنما كان الصبر والشكر سبباً لانتفاع صاحبهما بالآيات ؛ لأنّ الإيمان ينبنى على الصبر والشكر ، فنصفه صبر ونصفه شكر .

فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه . وآيات الله إنّما ينتفع بها من آمن بالله وآياته ، ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر .

وأما الأصل الثاني : وهو اقتضاء الفجور والكبر والكذب للضلال فكثير أيضاً في القرآن كقوله تعالى : { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } <sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : { فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا } <sup>(٢)</sup> .

وقال : { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } <sup>(٣)</sup> . أنساهم أنفسهم فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح وهما الهدى ودين الحق فأنساهم طلب ذلك ومحبتته ومعرفته والحرص عليه عقوبة لnesiaهم له )) <sup>(٤)</sup> .

(١) البقرة : الآية ( ٢٦ ) .

(٢) النساء : الآية ( ٨٨ ) .

(٣) التوبة : الآية ( ٦٧ ) .

(٤) الفوائد : ١٦٨ - ١٧٣ مختصراً .

وجميع المفعولات والمصنوعات هي من صنع الله ﷻ ،  
قال الله تعالى : { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } (١) .

روى البخاري في خلق أفعال العباد ، والبيهقي في  
الأسماء والصفات عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ  
تَعَالَى يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتَهُ ، وَتَلَا بَعْضُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ : { وَاللَّهُ  
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } (٢) » (٣) .

فقد كان الله ولم يكن شيء قبله ، قال ﷺ : « كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ  
شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَكَتَبَ  
فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ » (٤) .

فالذي ينتفع بهذه المخلوقات المشهودة في هذا الكون وفي  
الأنفس ، هو الذي يريد الحقيقة ويتواضع لها ، ويجاهد في  
البحث عنها . قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ  
سُبُلَنَا } (٥) ، وأمّا المتكبرون المعاندون أهل الفسق والغفلة  
والغواية ، فإنَّ الله ﷻ يصرفهم عن الاستفادة بها جزاء

(١) الزمر : الآية ( ٦٢ ) .

(٢) الصافات : الآية ( ٩٦ ) .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي : ٣٩٨/١ . وخلق أفعال العباد للبخاري ،  
ص ٣٩ ، رقم ١١٧ ، وقال محققه : إسناده صحيح ، وذكر تخريجه في  
كثير من كتب السنة ، وبعض ألفاظه : « الله خالق كل صانع وصنعه » .

(٤) البخاري : التوحيد : باب وكان عرشه على الماء : ٢٦٩٩/٦ ،  
رقم ٦٩٨٢ .

(٥) العنكبوت : الآية ( ٦٩ ) .

أعمالهم . قال الله تعالى : { .. سأريكم دَارَ الْفَاسِقِينَ = ١٤٥  
 سَأَصْرَفُ عَنْ ءَايَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ  
 يَرَوْا كَلِمًا ءَايَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا  
 وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا  
 عَنْهَا غَافِلِينَ = ١٤٦ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ  
 أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١) .

وقد ينطلق المنتفع بالآيات المبنوثة في الكون ابتداءً من دلالة  
 القرآن الكريم عليها ، وقد يشاهدها في الكون ابتداءً ، ثم يرجع  
 بالتصديق للآيات المنلوثة .

« والناس في النظر إلى مخلوقاته ودلائل أسمائه وصفاته  
 ووحدانيته وآثارها وما تعرّف به إلى عبادته ، وحكمته في دينه  
 وشريعته ثلاثة أقسام :

**أحدها : من عدم بصيرة الإيمان جملة ، فهو لا يرى من  
 هذا الصنف إلا الظلمات والرعد والبرق ، فهو يجعل إصبعيه  
 في أذنه من الصواعق ، ويديه على عينيه من البرق خشية أن  
 يخطف بصره ، ولا يجاوز نظره إلى ما وراء ذلك من  
 الرحمة وأسباب الحياة الأبدية .**

فهذا القسم هو الذي لم يرفع بهذا الدين رأساً ، ولم يقبل  
 هدى الله . ففائدة إنذار هذا إقامة الحجّة عليه .

(١) الأعراف : الآيات ( ١٤٥ - ١٤٧ ) .

**القسم الثاني :** أصحاب البصيرة الضعيفة الذين نسبة إبصارهم إلى هذا النور كنسبة إبصار الخفاش إلى جرم السماء ، وهم الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : أو منقاداً للحق لا بصيرة له في إصابة . فهو لاء إذا كانوا منقادين لأهل البصائر لا يخالجهم شك ولا ريب ، فهم على سبيل نجات

**القسم الثالث :** وهو خلاصة الوجود ولباب بني آدم ، وهم أولو البصائر النافذة الذين شهدت بصائرهم هذا النور فكانوا منه على بصيرة ويقين ومشاهدة لحسنه وكماله ، بحيث لو عرض على عقولهم ضده لرأوه كالليل البهيم الأسود ، وهذا هو المحك والفرقان بينهم وبين الذي قبلهم ، فإن أولئك بحسب داعيهم <sup>(١)</sup> .

(( أمّا النظر في هذه الآيات وأمثالها فهو نوعان :

- نظرٌ إليها بالبصر الظاهر ، فيرى مثلاً زرقة السماء ونجومها وعلوّها وسعتها ، وهذا نظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات ، وليس هو المقصود .

- الثاني : أن يتجاوز هذا النظر بالبصيرة الباطنة ، فتفتح له أبواب السماء ، فيجول في أقطارها وملكوته ، وبين ملائكتها ، ثم يُفتح له باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن ، فينظر سعته وعظمته ، ويرى الملائكة حاقين من

(١) مفتاح دار السعادة : ٣٠٣/١ باختصار .

حوله ، لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير ،  
والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها  
إلا ربّها ومليكتها ، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين ،  
وإعزاز قوم وإذلال آخرين ، وإسعاد قوم وشقاوة آخرين ،  
وإنشاء ملك وسلب ملك . لا يشغله سمعٌ شيء منها عن سمع  
غيره . ولا تُغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها  
وتباينها واتحاد وقتها . ولا يتبرم بإلحاح الملحّين . فحينئذٍ  
يقوم القلب بين يدي الرَّحمن مطرقاً لهيبته خاشعاً لعظمته  
عانٍ لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق سجدة لا يرفع رأسه  
منها إلى يوم المزيد ، فهذا سفر القلب ، وهو في وطنه  
وداره ، وهو من أعظم آيات الله وعجائب صنعه ، فيا له  
من سفرٍ ما أبركه وأروحه وأعظم ثمرته» (١) .

---

(١) المرجع السابق : ١٩٩/١ باختصار .



التطبيقات النبوية في لفت أنظار الصحابة للتأمل في الأنفس والأفاق :  
ولقد كان من منهجه ﷺ لفت أنظار أصحابه إلى  
مخلوقات الله لزيادة إيمانهم ويقينهم ، وهذا كثيرٌ جداً في  
الكتاب والسنة .

والله ﷻ يتعرّف إلى عباده بقدرته على الخلق والإماتة  
تارة ، وبقدرته على إهلاك الأمم الغابرة تارة ، وبقدرته  
سبحانه على خلق المخلوقات تارة ، كالسماوات والأرضين ،  
والجبال والشجر ، والدواب ، والشمس والقمر ، والليل  
والنهار ، والبرّ والبحر ، والبرق والرعد والسحاب . وتارة  
بقدرته على نصر رسله وأوليائه وأهل طاعته وإهلاك  
أعدائه المحاربين لأهل طاعته ، وأحياناً بالحثّ على  
التبصّر في الأنفس ، وأطوار النشأة من النطفة إلى المضغة  
إلى العلقة ، وتارة يبشّرهم بما أعدّه لهم من نعيم وقرّة عين  
لا تنفد ، وتارة بإنذارهم وتخويفهم من عاقبة تكذيبهم  
وكفرهم .

والقرآن مملوء بكثيرٍ من هذا وغيره ، وكذلك السنة ،  
ومن ذلك : قول الله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ = ١٩٠ الَّذِينَ  
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا  
خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (١) .

(١) آل عمران : الآيتان ( ١٩٠ - ١٩١ ) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (( بتُّ عِدَّةَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ ، فَتَحَدَّثَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ قَعَدَ ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } ، ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٍ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ )) (١) .

قال أبو جعفر : (( فقال جلّ ثناؤه : تدبّروا أيها الناس واعتبروا ، ففيما أنشأته فخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عَقَبْتُ بينه من الليل والنهار ، فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم ، تتصرفون في هذا لمعاشكم ، وتسكنون . في هذا راحة لأجسادكم معتبرٌ ومدكرٌ وآيات وعظات )) (٢) .

وقال : (( وأما قوله : { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ بِصِنْعَةِ صَانِعِ ذَلِكَ ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَمَنْ هُوَ مَالِكٌ كُلِّ شَيْءٍ وَرَازِقُهُ ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُدَبِّرُهُ ، وَمَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَبِيَدِهِ الْإِغْنَاءُ وَالْإِفْتِقَارُ ، وَالْإِعْزَازُ

(١) البخاري : التفسير : باب إنَّ في خلق السموات ... الآية : ١٦٦٥/٤ ، رقم ٤٢٩٣ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٧٣/٧ ، تحقيق شاکر .

والإذلال ، والإحياء والإماتة ، والشقاء والسعادة )) (١) .

وقال ابن كثير في الآية : (( أي يفهمون ما فيها من الحِكم  
الدّالة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته واختياره ورحمته  
)) (٢) .

وفي السحاب والسموات أيضاً يلفت النَّبي ﷺ أنظار  
الصَّحابة إلى عِظَم مخلوقات الله وهي السماء وسمك كل  
سما ، والمسافات العظيمة بينها وكم بين السماء الدنيا  
والأرض حتّى تترسّخ عظمة الخالق في نفوسهم ، فعن  
العبّاس بن عبدالمطلب قال : (( كُنّا جلوساً مع رسول الله ﷺ  
بالبطحاء فمرّت سحابة ، فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما هذا ؟  
فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : السحاب ، فقلنا : السحاب ؟  
فقال : والمزن ، فقلنا : والمزن ؟ فقال : والعنان . ثمّ سكّت ، ثمّ  
قال : تدرون كم بين السماء والأرض ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم .  
فقال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة وبين كلّ سماءٍ إلى السماء التي تليها  
مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء  
السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ، ثمّ فوق ذلك ثمانية  
أوعال بين ركبهم وأظلافهم كما بين السماء والأرض ، والله فوق ذلك ليس  
يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء )) (٣) .

(١) تفسير الطبري : ٤٧٥/٧ ، تفسير سورة آل عمران ، تحقيق شاکر .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤٤٧/١ .

(٣) المستدرک : کتاب التفسیر : سورة طه : ٤١٠/٢ ، رقم ٣٤٢٨ ،  
وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال في التلخيص :

ومن ذلك : قول الله ﷻ : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } (١) .

روى البخاري عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ لأبي ذرٍّ حين غربت الشمسُ : « أتدري أين تذهب ؟ قلتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا ، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا ، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا ، يُقَالُ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } » (٢) .

فسؤال النبي ﷺ أبا ذرٍّ فيه لفت انتباه له لهذه الآية العظيمة من آيات الله ، وفيه تذكير له بعلامات القيامة واليوم الآخر .

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - « أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَصَلُّوا » (٣) .

فأخبرهم ﷺ أَنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وأرشدهم إلى الصلاة وإلى ذكر الله ... وفي حديث أبي بكر

وهو صحيح .

(١) يس : الآية ( ٣٨ ) .

(٢) البخاري : بدء الخلق : باب صفة الشمس والقمر بحسبان : ١١٧٠/٣ ، رقم ٣٠٢٧ .

(٣) البخاري : ٢٢ - كتاب الكسوف ١ - باب الصلاة في كسوف الشمس : ٣٥٣/١ ، رقم ٩٩٥ .

: « ... وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ » (١)

ومن ذلك ما كان يعتري النبي ﷺ إذا هبت الرياح الشديدة

قال أنس رضي الله عنه : « كَانَتْ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ » (٢)

وفي قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ } (٣)

عن عائشة - رضي الله عنها - قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا أَذْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ : { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ } » (٤)

ومن ذلك أيضاً ما رواه زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : « )) صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطْرِنًا بِفَضْلِ

(١) البخاري : الكسوف ، باب قول النبي ﷺ : « يخوف الله عباده بالكسوف » : ٣٦٠/١ ، رقم ١٠٠١ .

(٢) البخاري : الاستسقاء : باب إذا هبت الرياح : ٣٥٠/١ ، رقم ٩٨٧ .

(٣) الفرقان : الآية ( ٤٨ ) .

(٤) البخاري : بدء الخلق : ما جاء في قوله : هو الذي يرسل الرياح ... : ١١٧٢/٣ ، رقم ٣٠٣٤ .

اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بَنُوْءُ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ )) (١) .

وفي الزلازل والفتن والآيات :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا تَفُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ » (٢) .

ففي هذا الحديث نبه النبي ﷺ على عدد من علامات آخر الزمان . ومنها كثرة الزلازل والفتن والقتل .

وسئل النبي ﷺ عن كيفية إحياء الله الموتى ، وما آية ذلك ؟

فعن أبي رزين قال : « قلت : يا رسول الله ! كيف يحيي الله الموتى ؟! وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أما مررت بوادٍ لك محلاً ، ثم مررت به يهتز خضراً ؟ ثم مررت به محلاً ، ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك يحيي الله الموتى ، وذلك آيته في خلقه » (٣) .

قال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك : وقد ورد

(١) البخاري : الاستسقاء : باب وتجعلون رزقكم ... : ٣٥١/١ ، رقم ٩٩١ .

(٢) البخاري : الاستسقاء : باب ما قيل في الزلازل والآيات : ٣٥٠/١ ، رقم ٩٨٩ .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي : ٢٧٤/٢ .

ذلك في كتاب الله ﷻ : { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ = ٥ ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١) .

ومما ندب الله ﷻ عباده إلى النظر فيه والتفكير نفس الإنسان ، قال الله تعالى : { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (٢) .

وقد أوضح النبي ﷺ أطوار خلق الإنسان مفصلة لتحصل العبرة والاتعاظ ، فقال : « إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ... » (٣) .

وقال ﷺ : « إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً ؛ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا ، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا ، وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ ! أَدَّكَرْتُ أَمْ أَنْتَى ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ ! أَجَلُهُ ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ ! رِزْقُهُ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلِكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ . فَلَا يَزِيدُ عَلَىٰ مَا أَمَرَ وَلَا يَنْقُصُ » (٤) .

ومن الآيات أيضًا : نصر الرُّسُلِ وأتباعهم ، وإهلاك الأمم

(١) الحج : الآية ( ٥ ) .

(٢) الذاريات : الآية ( ٢١ ) .

(٣) مسلم : القدر : باب كيفية الخلق الأدمي : ٢٠٣٦/٤ ، رقم ٢٦٤٣ .

(٤) مسلم : القدر : باب كيفية الخلق الأدمي : ٢٠٣٧/٤ ، رقم ٢٦٤٥ .

المكذبة ، وهذا في القرآن كثير ، للاتعاظ والادكار ، والعبرة .  
ولقد أخبر الله في سورة القمر عن إهلاك قوم نوح بالطوفان ،  
ونجاة نوح عليه السلام ومن معه في السفينة ، ثم قال سبحانه : { وَلَقَدْ  
تَرَكَنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } <sup>(١)</sup> .

وأخبر عن إهلاك عاد بالريح { تَنزَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ  
نَخْلٍ مُنقَعِرٍ } <sup>(٢)</sup> . وعن ثمود فقال : { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً  
وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ } <sup>(٣)</sup> . وأخبر عن إهلاك قوم لوط  
ونجاة آل لوط فقال : { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ  
نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ } <sup>(٤)</sup> . وعن إهلاك فرعون وقومه فقال : { كَذَّبُوا  
بآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أُخْدًا عَزِيزًا مُقْتَدِرٍ } <sup>(٥)</sup> .

ثم سألهم سؤال تبيكيت : { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ  
بِرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } <sup>(٦)</sup> . ثم أخبر سبحانه أنهم سيهزمون فقال : {  
سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } <sup>(٧)</sup> ، وأضرب عن ذلك فقال : {

(١) القمر : الآية ( ١٥ ) .

(٢) القمر : الآية ( ٢٠ ) .

(٣) القمر : الآية ( ٢٨ ) .

(٤) القمر : الآية ( ٣٤ ) .

(٥) القمر : الآية ( ٤٢ ) .

(٦) القمر : الآية ( ٤٣ ) .

(٧) القمر : الآية ( ٤٥ ) .



بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةِ أَذْهَى وَأَمْرٌ { (١) .

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ { بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةِ أَذْهَى وَأَمْرٌ { )) (٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتُذْكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ إِن تَشَأْ لَا نُعْبَدُ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ ، وَهُوَ يَثْبُ فِي الدَّرْعِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } )) (٣) .

ومثل هذا كثير في كتب السنة والتفسير ، وسنورد بعض الآيات التي تعرّف الله بها إلى عباده من آياته في الآفاق وفي الأنفس وإهلاكه الأمم .

**قال تعالى :** { اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ } (٤) .

(١) القمر : الآية ( ٤٦ ) .

(٢) البخاريّ : التفسير : باب : بل الساعة موعدهم .... : ١٨٤٦/٤ ، رقم ٤٥٩٥ .

(٣) البخاريّ : التفسير : باب : قوله : سيهزم الجمع يولون الدبر : ١٨٤٥/٤ ، رقم ٤٥٩٤ .

(٤) الأعراف : الآية ( ١٤٦ ) .

**وقال :** { أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ } (١) .

**وقال :** { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } (٢) .

**وقال :** { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ = ٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ = ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ } (٣) .

**وقال :** { إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } (٤) .

**وقوله تعالى :** { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } (٥) .

**وقوله تعالى :** { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْعًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ } (٦) .

- 
- (١) الروم : الآية ( ٨ ) .
  - (٢) الإسراء : الآية ( ٤٤ ) .
  - (٣) ق : الآيات ( ٦ - ٨ ) .
  - (٤) فاطر : الآية ( ٤١ ) .
  - (٥) الذاريات : الآية ( ٤٧ ) .
  - (٦) الأنبياء : الآية ( ٣٢ ) .

**وقال تعالى:** { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } (١) .

**وقال:** { وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (٢) .

**وقال:** { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (٣) .

**وقال عَجَبًا:** { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَا تَسْمَعُونَ = ٧١ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَوْ لَا تُبْصِرُونَ = ٧٢ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (٤) .

**وقال تعالى:** { أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ = ١٩ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

(١) يونس : الآية ( ١٠١ ) .

(٢) النحل : الآية ( ١٢ ) .

(٣) الروم : الآية ( ٩ ) .

(٤) القصص : الآيات ( ٧١ - ٧٣ ) .

(١)

**وقال تعالى :** { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٢) .

**وقال تعالى :** { وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } (٣) .

**وقال :** { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } (٤) .

**وقال :** { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ } (٥) .

**وقال تعالى :** { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } (٦) .

**وقال :** { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ

(١) العنكبوت : الآيتان ( ١٩ ، ٢٠ ) .

(٢) فصلت : الآية ( ٣٩ ) .

(٣) يس : الآية ( ٣٣ ) .

(٤) الحج : الآية ( ٦٣ ) .

(٥) النمل : الآية ( ٦٠ ) .

(٦) النمل : الآية ( ٦٢ ) .

يَمْسَسُكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { (١) .

**وقال تعالى :** { وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا فَلِلَّهِ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ } (٢) .

**وقال :** { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } (٣) .

**وقال تعالى :** { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا } (٤) .

**وقال سبحانه :** { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٥) .

**وفي إهلاكه الأمم بعد ذكره قصة لوط عليه السلام مع قومه ، قال :**  
 { إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ = ٣٤ } وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ { (٦) ، ثُمَّ  
**بعد أن ذكر قوم مدين وأخاهم شعيباً قال :** { فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمْ

(١) الأنعام : الآية ( ١٧ ) .

(٢) يونس : الآية ( ٢١ ) .

(٣) النحل : الآية ( ٥٣ ) .

(٤) الإسراء : الآية ( ٦٧ ) .

(٥) يونس : الآية ( ١٢ ) .

(٦) العنكبوت : الآيتان ( ٣٣ - ٣٤ ) .

الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ { (١) ، ثُمَّ ذَكَرَ عَادًا وَثَمُودًا ، وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ مَعَ مُوسَى ﷺ وَعَقَبَ عَلَى الْجَمِيعِ بِقَوْلِهِ : { فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (٢) .

**وقال ﷻ :** { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ = ٢٠ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ = ٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ = ٢٢ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ = ٢٣ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ = ٢٤ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ نَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ } (٣) .

**وقال :** { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (٤)

(١) العنكبوت : الآية ( ٣٧ ) .

(٢) العنكبوت : الآية ( ٤٠ ) .

(٣) الروم : الآيات ( ٢٠ - ٢٥ ) .

(٤) الروم : الآية ( ٤٦ ) .

**وقال تعالى :** { سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } (١) .

**وقال :** { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ = ١٨٢ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنْ كُنَّيْ مَتِينٌ } (٢) .

**وقال :** { وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ } (٣) .

**وقال :** { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (٤) .

**وقال :** { هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (٥) .



(١) الأعراف : الآية ( ١٤٦ ) .

(٢) الأعراف : الآيتان ( ١٨٢ ، ١٨٣ ) .

(٣) غافر : الآية ( ٨١ ) .

(٤) فصلت : الآية ( ٥٣ ) .

(٥) الجاثية : الآية ( ٢ ) .

### المسلك الثالث: (تربية المحبة) .

المحبة : هي الاسم من الحُبِّ ، وكلاهما مأخوذ من مادة ( ح ب ب ) التي تدلُّ على اللزوم والثبات )) (١) .

والحُبُّ : الوداد . والمحبة والحُبُّ نقيض البُغض ، وكذلك الحِبُّ بالكسر ، ويُقال للمحبيب )) (٢) .

والمحبة : اسم للحبِّ . وتحبب إليه : تودد . والأنثى حبة ، ومنه حديث فاطمة - رضوان الله عليها - قال لها رسول الله ﷺ عن عائشة : « إنيها حبة أبيك » .

وحبب إليه الأمر : جعله يُحبه ، والتحبب إظهار الحُبِّ )) (٣) .

والمحبة في الاصطلاح : ميلُ النفس إلى ما تراه وتظنُّه خيراً )) (٤) .

وهي ميلُ النفس إلى المحبوب وتعلقها به ، وهو درجات . أتمها وأكملها محبة الله ﷻ .

محبة الله : اسم المحبة فيه إطلاقٌ وعموم . فإنَّ المؤمن يُحبُّ الله ويحبُّ رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين . وإن كان ذلك من محبة الله ، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره ؛ ولهذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به من

(١) معجم مقاييس اللغة : ٢٦/٢ .

(٢) لسان العرب : ٢٨٩/١ .

(٣) الصحاح للجوهري : ١٠٦/١ .

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للراغب الأصفهاني ، ص ٣٦٣ .



العبادة لله ، والإنابة إليه ، والتبُّل له ، ونحو ذلك ، فكلّ هذه الأسماء تتضمّن محبة الله ﷻ ((<sup>(١)</sup> .

(( والمحبة لما كانت جنساً لأنواع متفاوتة في القدر والوصف ، كان أغلب ما يُذكر منها في حقّ الله ما يختصُّ به ويليق به ، مثل العبادة ، والإنابة ونحوهما ، فإنّ العبادة لا تصلحُ إلاّ لله وحده ، وكذلك الإنابة )) ((<sup>(٢)</sup> .

وقيل فيها : أنْ تهب كُلك لمن أحببت . فلا يبقى لك منك شيء . والمراد أنْ تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبّه ، وتجعلها حبساً في مرضاته ومحابّه . فلا تأخذ لنفسك منها إلاّ ما أعطاك فتأخذه منه له )) ((<sup>(٣)</sup> .

(١) التحفة العراقية في أعمال القلوب ، ص ٦٥ .

(٢) جامع الرسائل : قاعدة في المحبة ، ص ١٩٦ .

(٣) مدارج السالكين : ١٢/٣ مختصراً .

توحيد المحبة هو أصل العبادة وحقيقتها وسرُّها .

**قال الله تعالى :** { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ = ١٦٥ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } (١) .

**قال الإمام البخاري :** عن عبد الله قال : (( قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً ، وَقُلْتُ أُخْرَى ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ . وَقُلْتُ أَنَا : مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِلَّهِ نِدَاءً دَخَلَ الْجَنَّةَ )) (٢) .

**قال أبو الفداء بن كثير :** (( ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئاً ، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ، ويلجأون في جميع أمورهم إليه )) (٣) .

وقال شيخ الإسلام في هذه الآية : (( ولهذا كان هذا الحبّ أعظم الأقسام المذمومة في المحبة ، كما أن حبّ الله أعظم الأنواع المحمودة ، بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها ، وعبادة

(١) البقرة : الآيتان (١٦٥ - ١٦٦) .

(٢) البخاري : التفسير : باب قوله : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا : ١٦٣٦/٤ ، رقم ٤٢٢٧ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢٠٨/١ .

إله آخر من دونه هو أصل الشقاء ورأسه والذي لا يبقى في العذاب إلا أهله ، فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له ، لا يبقى منهم في العذاب أحد ، والذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه ، وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين قال الله تعالى فيهم : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } .  
وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن هذه المحبات ولوازمها ، وأصل دعوة جميع المرسلين صل الله عليهم وسلم قولهم : { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } (١) .

(٢)

وقال تعالى : { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (٣) .

فمن أحب أحد الأصناف الثمانية المذكورة في هذه الآية أو غيرها كحبه لله أو أشد فإن ذلك هو الشرك الأكبر المخرج من الملة . ذلك أن « أصل العبادة محبة الله ، بل إفراده تعالى بالمحبة ، فلا يحب معه سواه ، وإنما يحب ما يحب لأجله وفيه ، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته ، وليست كمحبة من اتخذ من دونه أندادا يحبهم كحبه .

(١) الأعراف : الآية ( ٥٩ ) .

(٢) جامع الرسائل : المجموعة الثانية ( قاعدة في المحبة ) ، ص ١٩٧ .

(٣) التوبة : الآية ( ٢٤ ) .

وإذا كانت المحبة له هي : حقيقة عبوديته وسرّها ، فهي  
إنّما تتحقّق باتّباع أمره واجتناب نهيه . فعند اتباع الأمر  
والنهي تتبيّن حقيقة العبودية والمحبة . ولهذا جعل اتباع  
رسوله علماً عليها وشاهداً لها وشرطاً لمحبة الله لهم .

فعلّم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول ، ولا يكفي  
ذلك حتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما . ومتى  
كان عنده شيء أحبّ إليه منهما فهو الإشراف الذي لا يغفره ،  
قال تعالى : { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ  
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ  
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا  
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (١) ((٢) .

وقال ابن القيم : « والصواب أنّ توحيد المحبة أكمل  
من هذا التوحيد الذي يشيرون إليه - الصوفية - وأعلى  
مقاماً ، وأجلّ مشهداً ، وهو مقام الرُّسل والأنبياء عليهم  
الصلاة والسلام وخواصّ المقرّبين » (٣) .

وقال شيخ الإسلام : « إنّما الكلام في محبة تتعلّق بالنفوس  
لغير الله تعالى ، فهذا لا شكّ أنّه نقص في توحيد المحبة لله ،  
وهو دليل على نقص محبة الله تعالى ، إذ لو كملت محبته لم

(١) التوبة : الآية ( ٢٤ ) .

(٢) تجريد التوحيد المفيد ، للمقرّبي ، ص ١١٣ - ١١٤ باختصار .

(٣) مدارج السالكين : ٤٠/٣ .

يحبّ سواه . وهذا ميزان ، كلما قويت محبة العبد لمولاه ، صغرت عنده المحبوبات وقلّت ، وكلما ضعفت ، كثرت محبوباته وانتشرت . وكذلك الخوف والرجاء ، وما أشبه ذلك ، فإن كمل خوف العبد من ربّه لم يخف شيئاً سواه ))<sup>(١)</sup> .

وقال : (( وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حبّ الله تعالى ورسوله ، وحبّ الله أصل التوحيد العملي وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإنّ :

العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع ، وهذا هو الإسلام ))<sup>(٢)</sup> .

وقال : (( فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها ، وخلق خلقه لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له ؛ إذ العبادة متضمّنة لغاية الحبّ بغاية الدلّ ))<sup>(٣)</sup> .

ومن محبته ﷺ وتعظيمه وإجلاله : تعظيم أمره ونهيه والانقياد له مباشرة .

والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الدلّ ، فالعابد محبّ خاضع ، بخلاف من يحبّ من لا يخضع له ، بل يحبّه ليتوسّل به إلى محبوبٍ آخر ، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبّه ، كما

(١) الفتاوى : توحيد الألوهية : ٩٤/١ .

(٢) جامع الرسائل ، ص ٢٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

يخضع للظالم ، فإنَّ كلاً من هذين ليس عبادة محضة ، وإن كلَّ محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوبٌ من العبادة .

وقال : وكمال الدين هو أداء الواجبات وترك المحرّمات ، والفعل والترك أصلهما الحبّ والبغض ، فإذا ترك مأموراً أو فعل محظوراً ، فإنما هو لنقص الإيمان الذي هو التصديق ، وحبّ ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله .

والمحجوبات على قسمين : قسمٌ يُحبُّ لنفسه ، وقسمٌ يُحبُّ لغيره ، إذ لا بُدَّ من محبوب يُحبُّ لنفسه ، وليس شيءٌ شرع أن يُحبَّ لذاته إلا الله تعالى ، وكذلك التّعظيم لذاته ، تارة يعظم الشيء لنفسه ، وتارة يعظم لغيره ، وليس شيء يستحقّ التّعظيم لذاته إلا الله تعالى ، وكلّ ما أمر الله أن يُحبَّ ويُعظم فإنّما محبّته لله ، وتعظيمه عبادة لله ، فالله هو المحبوب المعظم في المحبّة والتّعظيم ، المقصود المستقرّ الذي إليه المنتهى ، وأمّا ما سوى ذلك فيُحبُّ لأجل الله ، أي لأجل محبّة العبد لله : بحبّ ما أحبه الله ، فمن تمام محبّة الشيء محبّة محبوب المحبوب ، وبغض بغيضه ، فمن أحبّ شيئاً لذاته أو عظّمه لذاته غير الله فذاك شرك به ، وإن أحبّه ليتوصّل به إلى محبوبٍ آخر وتعظيم آخر سوى الله فهو من فروع هذا ، والله لم يشرع أن يعبد الإنسان شيئاً من دونه أو يتخذّه إلهاً ليتوصّل بعبادته ، فمن أحبّ شيئاً كما يحب الله ، أو عظّمه

كما يُعظّم الله فقد جعل الله ندًا)) (١) .

فهذه محبة الله ، أصل العبادات والأعمال ، ومنها تتبع المحاب الأخرى ، وأولها محبة النبي ﷺ ، قال شيخ الإسلام : (( ومحبة الرسول ﷺ هي من محبة الله ، وكذلك كلُّ حبٍّ في الله ، وهو الحبُّ لله )) (٢) .

أخرج البخاريّ من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ إليه من والده ووالده والناس أجمعين » (٣) .

فقد نفى كمال الإيمان عمّن لا يحبُّ الرسول ﷺ أكثر من الوالد والولد وجميع الناس ، إلا إذا خلا القلب من محبة النبي ﷺ فيتوجّه الحديث لنفي أصل الإيمان .

ومحبة الله ورسوله تمنع سبَّ صاحبها وشتمه وإن قارف ذنبًا ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله ، وكان يُلقب حمارًا وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلدّه في الشراب ، فأتى به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجلٌ من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به؟! فقال النبي ﷺ لا تلعنوه فوالله ما علمتُ إنه يحبُّ الله

(١) جامع الرسائل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

(٣) البخاريّ : الإيمان : باب حبِّ الرسول ﷺ من الإيمان : ١٤/١ ، رقم ١٥ .

وَرَسُولُهُ» (١) .

ومن تمام حُبِّ الله ورسوله حُبُّ الْمُؤْمِنِينَ وولائيتهم ،  
وبغض الكافرين وعداوتهم . وهذا من الإيمان ، قال الله تعالى  
: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٢) .

**وقال تعالى :** { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ  
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } (٣) .

**وقال تعالى :** { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (٤) .

**وقال ﷺ :** « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا  
تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوْلَا أُدَلِّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْتَشُوا  
السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » (٥) .

**وعن أنس رضي الله عنه قال :** قال ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ

(١) البخاريّ : الحدود : باب ما يكره من لعن شارب الخمر ، وأنه ليس  
بخارج من الملة : ٢٤٨٩/٦ ، رقم ٦٣٩٨ .

(٢) التوبة : الآية ( ٧١ ) .

(٣) المائدة : الآية ( ٥٥ ) .

(٤) الحجرات : الآية ( ١٠ ) .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا  
المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان : ٧٤/١ ، رقم ٩٤/٥٤ ،  
ورواه الترمذي برقم ٢٨٤١ .



مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١) .

فهذه المحبة العامة بين المؤمنين محبة واجبة ، وهي جزء من محاب الله التي لا يكمل إيمان عبد إلا بها ، ولا يجوز التفريق فيها بناءً على الجنس أو اللون أو الدم أو القبيلة أو الوطن أو أي تجمّع مهما كان منشؤه ، إنّما التفاضل بالتقوى ، فهي الضابط الوحيد .

فكلما ازداد العبد قربة إلى الله كلما ازدادت محبة المؤمنين له ، فلا يجوز بناءً على ذلك تفريق المسلمين إلى شيع وأحزاب متناحرة .

وذلك لأنّ المؤمن وليّ المؤمن ، كما قال الله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ } (٢) .

والمؤمنون كلّهم أولياء الله ، قال الله تعالى : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ = ٦٢ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (٣) . وكلّهم متّقون بدخولهم في مسمّى الإيمان وهروبهم من موجب النار ، وهو الشرك ، فهم متّقون في العموم ، ويتفاضلون ويتفاوتون في التقوى .

ومن المحبة لله حبُّ ما يحبه الله ، وبغض ما يبغضه الله ،

(١) صحيح البخاريّ : الإيمان : باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ

لنفسه : ١٤/١ ، رقم ١٣ .

(٢) التوبة : الآية (٧١) .

(٣) يونس : الآيتان (٦٢ ، ٦٣) .

وكره ما يكرهه ، فلا يجوز اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا } (١) . وقال تعالى : { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } (٢) .

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ = ٥١ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ } (٣) .

وقول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِنُفُوسِ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } (٤) .

وقول الرسول ﷺ : « أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله » (٥) .

(١) النساء : الآية ( ١٤٤ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ٢٨ ) .

(٣) المائدة : الآيتان ( ٥١ ، ٥٢ ) .

(٤) الممتحنة : الآية الأولى .

(٥) الجامع الكبير للطبراني ، ١١٥٣٧ . قال الألباني - رحمه الله - : « فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل ، والله

وقوله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ » (١) .

وبذلك يُعلم أنّ الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، والبراء من الكافرين أحد ركائز الإيمان .

قال السعدي : « أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده ، وهي أصل التأله والتعبد له ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ... ومن تفريعها وتكملها الحب في الله ، فيحبُّ العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال ، ويوالي أوليائه ، ويعادي أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده . أمّا اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله ، فيقدّم طاعتهم على طاعة الله ، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله .

واعلم أنّ أنواع المحبة ثلاثة أقسام :

الأول : محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد .

الثاني : المحبة في الله : وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يُحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة ، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها .

أعلم . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٣٠٦/٤ ، رقم ١٧٢٨ .

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه

: ٣٠٤/٤ .

الثالث : محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر وحجر وبشر وملك ، وهي أصل الشرك وأساسه .

- وأضاف صاحب القول المفيد قسم رابع :

الرابع : وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه إذا كانت مباحة فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات ، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات وإلا بقيت في أقسام المباحات))<sup>(١)</sup> .

---

(١) القول السديد للسعدي ، ص ٩٥ - ٩٧ . عن القول المفيد : ١٤٢/٢ .

**الأساليب النبوية في غرس المحبة في القلوب :**

بدأ النبي ﷺ في تربيته أصحابه بغرس محبة الله وتعظيمه وإجلاله في قلوبهم ، وتحريرها من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، وتعليقها به ، وقطع تعلقها بغيره ، حتّى سمت نفوسهم عن الدُّلّ لغيره ، واللجأ إلى من سواه ، وامتلات بحبه وتعظيمه وخوفه ورجائه .

وثنى بغرس محبته ﷺ والتأسي به واتباعه ، فكان الأسوة الحسنة والشخصية الفدّة القائدة المحبوبة .

وثلت بغرس محبة المؤمنين بعضهم بعضاً ، وتولي بعضهم بعضاً ، والبراءة ممن سواهم ، حتّى إذا عُرست محبة الله ورسوله وأوليائه ، وترسخ الإيمان في القلوب ، اكتملت الفرائض وحُرِّمت الخبائث ، وأمر بالجهاد فكانت الاستجابة في أفضل صورها .

الأسلوب الأوّل : التربية على المعرفة .

التربية على معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته ورحمته بعباده ومغفرته لهم هي الطريق المؤدي إلى المحبة ، وهي الباب الواسع الموصّل إليها . ذلك أنّ المحبة تتبع المعرفة ، وقد سبق الحديث عن المعرفة ، وتقرّر أنّ هناك بابان واسعان للمعرفة .

الأوّل : قراءة كتابه المتلوّ وتدبر آياته وتفهم معانيها ومراميتها ، والتأمل فيها والتفكير وتطبيقها على النفس .

**والباب الثاني :** تدبّر آياته في كتاب الكون المفتوح ، وفي النفس البشرية ، وتأمل هذه الآيات وتدبّرهما والتفكّر في عظمة خالقها وبارئها ومتقنها حتّى يتبين أنّ آيات الكتاب المتلوّ حقٌ وصدق ويقين ، وفي القرآن الكفاية لذوي البصائر والعقول ، وبقدر ما تكون المعرفة تكون المحبّة .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (( اللذة تابعة للمحبّة ، فكما كانت الرغبة في المحبوب والشوق إليه أقوى كانت اللذة بالوصول إليه أتم .

والمحبّة والشوق تابع لمعرفته والعلم به ، فكما كان العلم به أتم كانت محبّته أكمل .

وكمال العبد بحسب هاتين القوتين : العلم والحبّ ، وأفضل العلم العلم بالله ، وأعلى الحبّ الحبّ له . وأكمل اللذة بحسبهما )) (١) .

(( وتارة يتجلّى في صفات الجمال والكمال ، وهو كمال الأسماء وجمال الصفات ، وجمال الأفعال الدال على كمال الذات ؛ فيستنفد حبّه من قلب العبد قوّة الحبّ كلّها ، بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله ، فيصبح فؤاد عبده فارغاً إلاّ من محبّته ، فإذا أراد منه الغير أن يُعلّق تلك المحبّة به ، أبقى قلبه وأحشاؤه ذلك كلّ الإباء )) (٢) .

(١) الفوائد ، ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩١ .

الأسلوب الثاني : الترغيب في محبة الله ورسوله ، وبيان فضلها وثمراتها ، والترهيب من التقصير فيها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه (( أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا ؟ قَالَ : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ )) (١) .

وهذه الإجابة من حكيمته البالغة ﷺ ، فقد أجاب السائل بسؤال ينفعه ، ثم بشره على إجابته بأنه مع من أحب بسبب حبه لله ورسوله ، وهذا فيه دعم وتشجيع وتثبيت له لترسيخ هذه المحبة وتعميقها . وقد جاء في رواية الترمذي قول أنس : فما رأيت فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بها (٢) .

وفيه عن أنس أيضا رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : (( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَهْنَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ )) (٣) .

ومفهوم الحديث أنه لا يجد حلاوة الإيمان من ليس لديه

(١) البخاري : الأدب : باب علامة الحب في الله ﷻ : ٢٢٨٣/٥ ، رقم ٥٨١٩ .

(٢) الترمذي ، رقم ٢٥٠٦ ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٩٤٤/٢ .

(٣) مسلم : الإيمان : باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان : ٦٦/١ ، رقم ٤٣ .

هذه الخلال .

وفيه تنبيه على فضل محبة الله ورسوله والمؤمنين وهذا الدين ، وأن هذه الخلال الثلاث علامات على وجود الإيمان فيمن تحقق بها .

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ جَهْرِيٌّ الصَّوْتِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » (١) .

وقد رهّب النبي ﷺ من عدم محبته ، فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ » (٢) ، ومن حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (٣) .

وفي البخاريّ أيضاً عن زُهْرَةَ بِنِ مَعْبَدٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ : « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،

(١) الترمذيّ : أبواب الزهد : باب المرء مع من أحبّ : رقم ٢٥٠٧ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيحه : ٢٨٣/٢ ، رقم ١٩٤٥ .

(٢) البخاريّ : الإيمان : باب حبّ الرسول ﷺ من الإيمان : ١٤/١ ، رقم ١٤ .

(٣) المصدر ، والكتاب ، والباب نفسه رقم ١٥ .



حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ  
لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (الآنَ يَا عُمَرُ) (١) .

فبهذا يتضح أنّ محبة المصطفى ﷺ فرضُ عينٍ على كلِّ  
أحدٍ لا يؤمن أحدٌ إلاّ بها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( فمحبة ما يحبه الله من  
الأعيان والأعمال من تمام محبة الله ، وهو الحبُّ في الله والله  
، فمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة ، وهي  
الواجبات والمستحبات إذا أُحِببت لله كان ذلك من محبة الله ،  
ولهذا يوجب ذلك محبة الله للعبد ، بل محبة الله مستلزمة  
لمحبة ما يحبه الله من الواجبات ، فإنّ اتباع رسوله هو من  
أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه .

وهو سبحانه أعظم شيءٍ بُغضاً لمن لم يتبع رسوله ، فمن  
كان صادقاً في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة ، وكان  
الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، فكما أنّ المحبة الواجبة  
تستلزم لفعال الواجبات ، وكما المحبة المستحبة تستلزم  
لكمال فعل المستحبات . والمعاصي تُنقصُ المحبة )) (٢) .

(١) البخاريّ : كتاب الأيمان والنذور : باب كيف كانت يمين النبي ﷺ :  
٢٤٤٦/٦ ، رقم ٦٢٥٧ .

(٢) جامع الرسائل ، ص ٢٥٦ - ٢٥٩ مختصراً .

الأسلوب الثالث : التبشير بثمار محبة الله للعبد وماله وما أعد الله له .

**قال رسول الله ﷺ :** « قال الله تعالى : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » (١)

فهذه فضائل جمّة وقطوفٌ دانية ، وثمارٌ جنيّة في محبة الله لعبده المؤمن . **وقال ﷺ :** « إذا أحبَّ الله عبداً غسله ، فقيل : وما غسله ؟ قال : يُوقَّق له عملاً صالحاً بين يدي أجله ، حتى يرضى عنه جيرانه ، أو قال : من حوله » (٢)

ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة **قال : قال رسول الله ﷺ :** « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ . قَالَ : فَيَحِبُّهُ جِبْرِيْلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ . قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُونَهُ . ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ » (٣)

(١) البخاري : كتاب الرِّقَاق : باب التواضع : ٢٣٨٤/٥ ، رقم ٦١٣٧ .

(٢) المستدرک ، للحاكم : ٣٤٠/١ ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٣) مسلم : البرّ والصلة : باب إذا أحبَّ الله عبداً حبَّبه إلى عباده : ٢٠٣٠/٤ ، رقم ٢٦٣٧ .

فهذا فضلٌ عظيمٌ أن يُحبَّ اللهُ العبدَ ويحبَّ فيه أهلَ  
سماواته وأرضه .

الأسلوب الرابع : الإعلام بعلامات محبته وأحبائه .

فمن علامات محبته لعبده ما رواه الحاكم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحبَّ الله عبداً عَسَلَهُ ، فقيل : وما عَسَلُهُ ؟ قال : يُوقَّقُ له عملاً صالحاً بين يدي أجله ، حتَّى يَرْضَى عنه جيرانه ، أو قال : من حوَّله » (١) . وعند ابن أبي عاصم : « إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله ، قالوا : يا رسول الله وكيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته » (٢) .

ومن ذلك حماية عبده من الخطب في الدنيا :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إنَّ الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحميه ، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه » (٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجلاً ، فقال : إني أُحِبُّكَ ، فقال : « استعدَّ للفاقة » (٤) .

ومن ذلك أيضاً وضع المحبة له في الأرض ، فيكون

(١) المستدرک ، للحاکم : ٣٤٠/١ ، وصحَّحه ، ووافقه الذَّهبي . وعَسَلَهُ

من العسل وهو طيب الثناء والذكر الحسن .

(٢) السُّنة لابن أبي عاصم : ١٧٥/١ ، رقم ٣٩٧ ، قال الألباني : إسناده

صحيح على شرطهما أيضاً .

(٣) المستدرک ، للحاکم : ٢٠٨/٤ ، وصحَّحه ، ووافقه الذَّهبي .

(٤) مجمع الزوائد : ٢٧٤/١٠ ، وقال : رواه البزار ورجاله رجال

الصحيح .

محبوبًا عند الناس :

**قال** ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ . قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ . قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ : فَيَبْغِضُونَهُ . ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ » (١) .

**ومن ذلك ما رواه أنس** رضي الله عنه **عن رسول الله** ﷺ **قال** : « عَظُمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ . وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ . فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السُّخْطُ » (٢) .

**قال الإمام ابن قدامة** - رحمه الله - : « **ومن أقوى العلامات** : حُسْنُ التَّدْبِيرِ لَهُ ، يَرَبِّيهِ مِنَ الطِّفْلِ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ ، وَيَكْتَبُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ ، وَيُنَوِّرُ لَهُ عَقْلَهُ ، فَيَتَّبِعُ كُلَّ مَا يَقْرِبُهُ ، وَيَنْفِرُ عَنْ كُلِّ مَا يَبْعَدُ عَنْهُ ، ثُمَّ يَتَوَلَّاهُ بِتَيْسِيرٍ أُمُورَهُ مِنْ غَيْرِ دُلٍّ لِلخَلْقِ ، وَيَسَدِّدُ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ ، وَيَجْعَلُ هَمَّهُ هَمًّا وَاحِدًا ، فَإِذَا زَادَتِ الْمَحَبَّةُ شَغْلَهُ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ »

(١) مسلم : البرّ والصلة : باب إذا أحبّ الله عبداً حبّبه إلى عباده : ٢٠٣٠/٤ ، رقم ٢٦٣٧ .

(٢) سنن ابن ماجه : الصبر على الابتلاء : رقم ٤٠٣٢ .  
وحسنه الألباني : انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣٧٣/٢ ، رقم ٣٢٥٦ .

(١)

ومن علامات أحبائه في القرآن الكريم :

قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } (٢) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : فقد ذكر أربع علامات : الأولى والثانية : أنهم أذلةٌ أعزّةٌ . قيل : معناه : أرقاءٌ رُحماء مشفقين عليهم ، عاطفين عليهم ، فلما ضمّن « أذلة » هذا المعنى عداه بأداة « على » قال عطاء : للمؤمنين كالولد لوالده ، والعبد لسَيِّده ، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته { أشدّاءٌ على الكفار رُحماءٌ بينهم } .

العلامة الثالثة : الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال ، وذلك تحقيق دعوى المحبّة .

العلامة الرابعة : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهذا علامة صِحّة المحبّة ، فكلُّ مُحَبٍّ يأخذهُ اللُّومُ عن محبوبه فليس بمحبٍّ على الحقيقة . والقرآن والسنة مملوءان بذكر من

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسيّ ، ص ٤٤١ ، تخريج

عليّ حسن عليّ عبدالحميد .

(٢) المائدة : الآية ( ٥٤ ) .

يُحِبُّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَكَرَ مَا يُحِبُّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } <sup>(١)</sup> ، { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } <sup>(٢)</sup> (( <sup>(٣)</sup> .

وَمِنَ السُّنَّةِ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ النَّقِيَّ ، الْغَنِيَّ ، الْخَفِيَّ » <sup>(٤)</sup> (( <sup>(٥)</sup> .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَسَامَةُ بْنُ شَرِيكٍ ، قَالَ : « كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَيَّ رُءُوسِنَا الطَّيْرِ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مَتَكَلِّمٌ ، إِذْ جَاءَهُ أَنَاسٌ فَقَالُوا : مَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » <sup>(٦)</sup> .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ

(١) آل عمران : الآية (١٤٦) .

(٢) آل عمران : الآية (١٣٤ و ١٤٨) ، والمائدة : الآية (٩٣) .

(٣) مدارج السالكين : ٤٣٧/٣ مختصرًا .

(٤) الغني الخفي : المراد بالغني غنى النفس ، لقوله ﷺ : « ليس الغني عن كثرة العرض ، ولكن الغني غنى النفس » . أما الخفي : فهو المستخفي بعبادته .

(٥) مسلم : ٢٩٦٥ .

(٦) الترغيب والترهيب للمنذري : ٤٠٨/٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢٤/٨ : رجاله رجال الصحيح .

يتبادلون من أجلي ، وقد حقت محبتي للذين يتصدقون من أجلي ... » (١) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول  
ﷺ لأشجّ عبدالقيس : « إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ  
» (٢) .

وهذا غيضٌ من فيض . فالكتاب والسنة يفيضان بصفات  
أحباء الله ﷻ.

---

(١) مجمع الزوائد للهيتمي : ٢٧٩/١٠ ، وأحمد بنحوه ، ورجال أحمد  
ثقات ( ١١٣/٤ ، ٣٨٦ ) .

وذكر الحاكم في المستدرک نحوه في موضعين : ١٦٩/٤ ، ١٧٠ ،  
وصحهما ، ووافقه الذهبي في الثاني ، وسكت عن الأوّل .

(٢) مسلم : الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع  
الدين : ٤٩/١ ، رقم ١٧ .



الأسلوب الخامس : إشاعة المحبة بين المؤمنين وتعميقها ، وإثارة التنافس في ذلك .

الفرع الأول : الإعلام بالحب وإخبار الرجل بمحبته :  
أخرج الترمذي في باب الإعلام بالحب عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمْهُ إِيَّاهُ » (١) .

ومن التطبيقات :

ما رواه أنس ﷺ « أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي لِأَحِبُّ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : أَعَلِمْتَهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَعَلِمْتَهُ . قَالَ : فَلَحِقَهُ فَقَالَ : إِنِّي أَحْبَبْتُ فِي اللَّهِ . فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ » (٢) .

وعن أنس ﷺ قال : « رَأَى النَّبِيُّ ﷺ النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ مُؤْبِلِينَ - قَالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ عُرْسٍ - فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) سنن الترمذي : أبواب الزهد : باب الإعلام بالحب : رقم ٢٥١٩ . قال الترمذي : وفي الباب عن أبي ذرٍّ وأنس ، حديث المقدم حديث حسن صحيح غريب .

وصححه الألباني . انظر : صحيحها : ٢٨٥/٢ ، رقم ١٩٥٠ .

(٢) سنن أبي داود : أبواب التوم : باب إخبار الرجل بمحبته إياه : رقم ٥١٢٥ .

وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩٦٥/٣ ، رقم ٤٢٧٤ .

مُمْتَلًا (١) فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ((  
(٢)

ومنه أيضاً ما جاء مقروناً بالتأكيد بالقسم :

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : يَا  
مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ ، فَقَالَ : أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ  
فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ))  
(٣)

الفرع الثاني : الإعلام بفضل الحب في الله .

ومن ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
: (( إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بَجَلَالِي ؟ (٤) الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي  
ظِلِّي ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي )) (٥) .

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : (( أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى .

(١) مُمْتَلًا : بضم الأول وسكون الثاني ، وكسر الثالث ، هكذا ورد من  
الرباعي ، وذكر أهل اللغة أنه من مَثَلٍ - بفتح الميم وضم الثاء - من  
الثلاثي ، ومعناه انتصب قائماً . الفتح : ١٤٢/٧ .

(٢) البخاري ، انظر : الفتح : ٣٧٨٥/٧ .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب في الاستغفار : ١٨١/٢ ،  
رقم ١٥٢٧ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود :  
٢٨٤/١ ، رقم ١٣٤٧ .

(٤) بجلالي : أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا . حاشية مسلم : ١٩٨٨/٤ .

(٥) مسلم : البرّ والصلة والآداب : باب فضل الحب في الله : ١٩٨٨/٤ ،  
رقم ٢٥٦٦ .

فَأْرُصَدَ (١) اللّٰهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ (٢) مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ (٣) قَالَ : لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكَ ، بَأَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ )) (٤) .

وفيه فضل المحبة في الله ، وقد تتوجت بالزيارة فيه ، وهي من عوامل ترسيخها .

ومن ذلك أيضاً : الترغيب في حبّ الرجل على العمل من الخير يعمل به . ولا يعمل بمثله .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : « رَأَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فَرَحُوا بِشَيْءٍ ، لَمْ أَرَهُمْ فَرَحُوا بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْهُ ، قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللّٰهِ الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ ، وَلَا يَعْمَلُ بِمِثْلِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ )) (٥) .

ومن أكبر فضائل المحبة : ما رواه أبو مالك الأشعريّ

- (١) فأرصد : أي أقعده يرقبه . حاشية مسلم : ١٩٨٨/٤ .
- (٢) مدرجته : المدرجة هي الطريق : سميت بذلك لأنّ الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون . حاشية مسلم : ١٩٨٨/٤ .
- (٣) تربُّها : أي تقوم بإصلاحها والعناية بها ، وتنهض إليه بسببها . حاشية مسلم : ١٩٨٨/٤ .
- (٤) مسلم : البرّ والصلة والآداب : باب فضل الحبّ في الله : ١٩٨٨/٤ ، رقم ٢٥٦٧ .
- (٥) سنن أبي داود : باب إخبار الرجل بمحبته إليه : رقم ٥١٢٧ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩٦٥/٣ ، رقم ٤٢٧٦ .

ﷺ : (( أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَعْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ . فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! نَاسٌ مِنَ النَّاسِ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَعْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ ؟ ! انْعَثَهُمْ لَنَا - يَعْنِي صِفَهُمْ لَنَا - فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ، وَتَوَازَعِ الْقَبَائِلِ ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَقُوا ، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا ، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا ، وَثِيَابَهُمْ نُورًا ، يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ )) (١) .

الفرع الثالث : بيان أن من خصال الإيمان الحب في الله ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وكان ﷺ يؤكد هذه المعاني ، ويرسخ المحبة بين المؤمنين ، ويربطها بالإيمان ، ويحث المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن من كان حبه لله ، ومنعه الله ، وعطاؤه وبغضه فقد استكمل الإيمان .

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( إِنْ مِنْ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ رَجُلًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ مَالٍ أَعْطَاهُ ، فَذَلِكَ

(١) المسند : ٣٤٣/٥ ، والهيتمي في المجمع : ٢٧٦/١٠ ، وقال : رواه كله أحمد والطبراني بنحوه ، ورجاله وثقوا .

الإيمان» (١) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ» (٢) .

وعنه رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (٣) .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ » (٤) .

الفرع الرابع : الأمر بإفشاء السلام ، والدلالة على أنه سبب في حصول المحبة بين المؤمنين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا

(١) الترغيب والترهيب ، للمنذري : ١٦/٤ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط . وقال الهيثمي : ( ٢٧٤/١٠ ) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

(٢) مسلم : الإيمان : باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان : ٦٦/١ ، رقم ٤٣ .

(٣) البخاري : الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه : ١٤/١ ، رقم ١٣ .

(٤) سنن أبي داود : في باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه : رقم ٤٦٨١ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٨٨٦/٣ ، رقم ٣٩١٥ ، وقال : صحيح . انظر : الصحيحة ، ٣٨٠ .

تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (١) .

الفرع الخامس : إخبارهم بأعمالٍ تُعمِّق المحبَّة بينهم .  
وقد جاء في السنَّة أحاديث كثيرة تُعمِّق المحبَّة والولاء للمؤمنين ، وتحتُّ على الأعمال التي تكون سببًا في جلب المحبَّة أو تثبيتها :

ومن ذلك : الهدية ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «تهادوا تحابُّوا» (٢) .

ومنها : المحبَّة في الله ، والزيارة في الله ، والبذل في الله ، والصدقة من أجله سبحانه ، فقد قال ﷺ : «يقول الله ﻋَزَّ وَجَلَّ : قد حققت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وقد حققت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وقد حققت محبتي للذين يتبادلون من أجلي ، وقد حققت محبتي للذين يتصدقون من أجلي» (٣) . فيه ترغيب باستحقاق محبة الله ﻋَزَّ وَجَلَّ جزاء هذه الأعمال ، وتعميق للمحبَّة بينهم .

ومن ذلك أيضًا : نفع المسلم أو إدخال السرور على قلبه

(١) مسلم : الإيمان : باب بيان أنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان ، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها : ٧٤/١ ، رقم ٥٤ .

(٢) الأدب المفرد ، للإمام البخاري : باب قبول الهدية ، رقم ٥٩٤ ، وحسنه الألباني . انظر : صحيح الأدب المفرد ، ص ٢٢١ ، رقم ٤٦٢ . وانظر : إرواء الغليل : ٤٤/٦ - ٤٧ ، دراسة سند الحديث ورواياته وتخريجه .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧٣ .

، وكشف كربته ، وقضاء دينه ، وطرد جوعه ، والمشى في  
قضاء حاجته :

**قال** ﷺ : « أحبّ النَّاسَ إلى الله تعالى : انفعهم للنَّاس ، وأحبُّ الأعمالِ  
إلى الله ﷻ : سرورٌ يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه  
دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبُّ إليَّ من أن  
أعتكف في هذا المسجد ( يعني مسجد المدينة ) شهرًا ، ومن كفَّ غضبه  
ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه  
رجاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنهيا له أثبت الله قدمه  
يوم تزول الأقدام ، وإنَّ سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلَّ العسل » (١)

ومن ذلك أيضًا : الترغيب الشديد في عيادة مرضاهم :  
فعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إنَّ  
المُسلِّمَ إذا عادَ أخاه المُسلِّمَ لم يزلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ حتَّى يَرجعَ » (٢) ، وفي  
رواية لثوبان : « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ  
: جَنَاهَا ».

ومن ذلك أيضًا : التنفيس عن معسرهم ، فقد رغب

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ( ٢/٢٠٩/٣ ) ، وابن عساكر  
في التاريخ ( ٢/١/١٨ ) عن عبدالرحمن بن قيس الضبي ، وهو بإسناد  
ضعيف جداً ، ولكن قد جاء بأسانيد أفضل منه .

انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٦٠٨/٢ ، رقم ٩٠٦ للألباني .

(٢) مسلم : البرّ والصلة : فضل عيادة المريض : ١٩٨٩/٤ ، رقم ٢٥٦٨

النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ :

فَعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ ؛ « أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ ، ثُمَّ وَجَدَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي مُعْسِرٌ . فَقَالَ : اللَّهُ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفَسْ<sup>(١)</sup> عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ<sup>(٢)</sup> »

ومنه أيضًا : تنفيس الكُرب ، والتيسير على المُعسر ، والستر عليه ، وأن يكون في عون أخيه : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ... »<sup>(٣)</sup> الحديث .

ومن ذلك أيضًا : منحه أرضه يستفيد منها دون أجر ، فقد رغب في ذلك النبي ﷺ ودعا إليه . فإن بذل المال من أكبر البراهين على المحبة ، وهو سبب في نشر المحبة والموودة والتعاطف بين المسلمين ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « لَأَنْ يَمْنَحَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَرْضَهُ خَيْرٌ لَهُ

(١) فَلْيُنْفَسْ : أي يمدّ ويؤخر المطالبة : وقيل معناه : يُفَرِّج عنه . حاشية مسلم : ١١٩٦/٣ .

(٢) مسلم : المساقاة : فضل إنظار المُعسر : ١١٩٦/٣ ، رقم ١٥٦٣ .

(٣) مسلم : الذكر والدعاء : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر : ٢٠٧٤/٤ ، رقم ٢٦٩٩ .



مِنْ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا خَرْجًا مَعْلُومًا» (١) .

ومن ذلك أيضاً : الترغيب في دعاء بعضهم لبعض  
بظهر الغيب : قال ﷺ : « دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ  
مُسْتَجَابَةٌ . عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ . كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ  
: آمِينَ ، وَكَذَلِكَ بِمِثْلِ » (٢) .

الفرع السادس : النهي عن مفسدات المحبة وموانعها .  
الأخوة والمحبة من أعظم مقاصد الشريعة ، وقد حافظ  
عليها المصطفى ﷺ طوال دعوته ، وقد حرم الله ﷻ كل ما  
يفسدها ، ومن أعظم مفسداتها : الحسد والبغي ، وكل ما  
يثير الفتن والشحناء والبغضاء بين المؤمنين :

روى أبو هريرة ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ .  
فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ . وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا ، وَلَا  
تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » (٣) .

(١) المصدر السابق : البيوع : باب الأرض تُمنح : ١١٨٤/٣ ، رقم ١٥٥٠ .

(٢) المصدر السابق : الذكر والدعاء : فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب : ٢٠٩٤/٤ ، رقم ٢٧٣٣ .

(٣) إياكم والظن : قال الخطابي : هو تحقيق الظن وتصديقه ، دون ما يهجس في النفس . والمراد : النهي عن ظنّ السوء الذي يستقرّ في القلب ويستمرّ عليه صاحبه .

والتحسس : الاستماع لحديق القوم ، والتجسس : هو البحث عن العورات والتفتيش عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال في الشرّ .

والتنافس : الرغبة في الانفراد بالشيء عن الآخرين والتباري فيه ،

وزاد في روايات أخرى : « لا تهجروا ، ولا تناجشوا ، ولا تقاطعوا » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مراتٍ ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرامٌ : دمه ، وماله ، وعرضه » (٢) .

ونهى عن الشحناء والتهاجر بين المسلمين ، فقال ﷺ : « تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ، ويوم الخميس ، فيُعقر لكل عبدٍ لا يُشرك بالله

ومعنى الحديث التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحفظها .

والتدابير : المعادة والمقاطعة .

ولا تهجروا أي لا تتكلموا بالهجر ؛ وهو الكلام القبيح .

ولا تناجشوا : النجش في البيع الزيادة في الثمن ممن لا يريد شرائها ، أو مدح السلعة لترويجها وتنفيقيها .

وكونوا عباد الله إخواناً : أي تعاملوا معاملة الأخوة والمعاشرة بالموودة والرفق والشفقة والمحبة . حاشية مسلم : ١٩٨٥/٤ .

(١) مسلم : البر والصلة : تحريم الظن والتجسس : ١٩٨٥/٤ ، ١٩٨٦ ، رقم ٢٥٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الكتاب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله .. : ١٩٨٦ ، رقم ٢٥٦٤ .

شَيْئًا ؛ إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ<sup>(١)</sup> ، فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَدَّيْنِ حَتَّى يَصْنَطِلِحَا ، أَنْظِرُوا هَدَّيْنِ حَتَّى يَصْنَطِلِحَا<sup>(٢)</sup> .

(١) الشحناء : العداوة والبغضاء .

انظروا هذين : أي أخروهما . حاشية مسلم : ١٩٨٦/٤ .

(٢) المصدر السابق ، والكتاب نفسه : باب النهي عن الشحناء والتهاجر :

١٩٨٧/٤ ، رقم ٢٥٦٥ .

الأسلوب السادس : الدعاء لهم بالمحبة .

وكان ﷺ يدعو لبعضهم أن يحبه الله .

فعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حدث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول : « اللهم أحبهما فأني أحبهما » (١) .

وعن البراء بن عازب قال : « رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول : اللهم إني أحبه فأحبه » (٢) .

وكان يدعو ﷺ لبعضهم أن يحبه إلى المؤمنين ، وأن يحب المؤمنين إليه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، من حديث طويل قال : « قلت : يا رسول الله ! ادع الله أن يحبني أنا وأممي إلى عباده المؤمنين ، ويحبهم إلينا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : اللهم حبب عبديك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبديك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين . فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني » (٣) .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يدعون لأنفسهم بالمحبة :

فقد روي عن عبدالله بن عمر أنه كان يدعو بالموافق في حجه فيقول : « اللهم اجعلني أحبك ، وأحب ملائكتك

(١) البخاري : انظر الفتح : ٣٧٣٥/٧ .

(٢) البخاري : انظر الفتح : ٣٧٤٩/٧ .

(٣) مسلم : فضائل الصحابة : فضائل أبي هريرة : ١٩٣٨/٤ ،

رقم ٢٤٩١ .

وأنبياك وعبادك الصالحين . اللهم حبّبي إليك وإلى  
ملائكتك وأنبياك وعبادك الصالحين )) (١) .

---

(١) جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٥٨ .

الأسلوب السابع : الدلالة على أسباب جلب المحبة وتقويتها .

١ - قراءة القرآن ، وتدبره ، والعمل به :

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : (( إن رسول الله ﷺ تلا : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ = ٤١ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (١) . فقال رسول الله ﷺ : (( إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه يعني القرآن )) (٢) .

وقد ورد حبّ الله ﷻ لبعض السُّور :

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : (( قُلْتُ : يا رسول الله ، أقرأ من سورة يوسف ، وسورة هود ؟ فقال : يا عُقْبَةُ ، اقرأ بـ { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } . فإنك لن تقرأ بسورة أحبّ إلى الله ، وأبلغ عنده منها ، فإن استطعت أن لا تفوتك فافعل )) (٣) .

وقراءة القرآن تجلب محبة الله ﷻ من وجوه :

الأوّل : أن القرآن كلام الله وصفة من صفاته ، والتعبّد بتلاوته من أفضل القربات والعبادات ، لأنّه أفضل الذِّكْرِ ،

(١) فصلت : الآيتان ( ٤١ ، ٤٢ ) .

(٢) المستدرک : ٤٤١/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٣) المستدرک : كتاب التفسير : تفسير سورة الفلق : ٥٨٩/٢ ، رقم ٣٩٨٨ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال في التلخيص : صحيح .

فلا يُتَعَبَّدَ ويذكر بشيءٍ أفضل مما خرج منه ، والتقرَّبَ بالنوافل بعد الفرائض سببٌ في محبَّته كما ورد في الحديث : « ... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .. » .

**والثَّاني :** أنَّ تدبُّرَ القرآن وفهمه يزيد من المعرفة بالله فيزداد الإيمان وتزيد المحبَّة وترسِّخ ؛ من خلال فهم خطاب الله لعباده في كتابه الكريم إذ يتعرَّف إليهم بأسمائه وصفاته ، ويتحبَّبُ إليهم بنعمه وآلائه كما قال ابن القيم - رحمه الله - : « فتأمَّل كيف تجده يثني على نفسه ويمجِّد نفسه ، ويحمد نفسه ، وينصح عباده ، ويدلِّم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرعِّبهم فيه ، ويحدِّرهم مما فيه هلاكهم . ويتعرَّف إليهم بأسمائه وصفاته . ويتحبَّبُ إليهم بنعمه وآلائه . فيذكرهم بنعمه عليهم ، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ، ويحدِّرهم من نقمه ، ويذكرهم بما أعدَّه لهم من الكرامة إنْ أطاعوه ، وما أعدَّ لهم من العقوبة إنْ عصوه . ويخبرهم بصنُّعه في أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء .

ويثني على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ، ويذم أعداءه بسيئ أعمالهم وقبيح صفاتهم . ويضرب الأمثال ، وينوع الأدلَّة والبراهين ، ويجيب عن شبه أعدائه ، ويصدِّق الصادق ، ويكذِّب الكاذب . ويدعو إلى دار السلام ، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ، ويحدِّر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ، ويذكِّر عباده فقرهم

إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنه لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكر غناه عنهم .

وكل ما سواه فقيرٌ إليه بنفسه . وأنه لا ينال أحدُ ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضلِهِ ورحمته ، ولا ذرة من الشرّ فما فوقها إلا بعدله وحكمته .

ويشهد من خطابه عتابه لأحبابه أطف عتاب . وأنه مع ذلك مُقيل عثراتهم ، وغافر زلاتهم ، ومقيم أعدارهم ، ومصلح فسادهم ، والدافع عنهم ، والمحامي عنهم ، والناصر لهم ، والكفيل بمصالحهم ، والمنجي لهم من كل كرب ، والموفي لهم بوعدِهِ . وأنه وليهم ونصيرهم على عدوّهم . فنعم المولى ونعم النصير .

فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه ؛ فكيف لا تُحبُّهُ ، وتتنافس في القرب منه ، وتنفق أنفاسها في التودد إليه ، ويكون أحبُّ إليها من كل ما سواه . ورضاه عندها من رضا كل ما سواه ؟

وكيف لا تلهج بذكره ، ويصير حبّه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها ؛ بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها )) (١) .

ثمّ قال في موضع آخر : (( وجماع ذلك أنّه سبحانه يتعرّف إلى العبد بصفات إلهيته تارة ، وبصفات ربوبيته تارة . فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبّة الخاصّة ،

(١) الفوائد ، ص ٤٢ ، ٤٣ مختصراً .



والشوق إلى لقائه ، ويصير هو وحده همّة دون ما سواه ،  
ويوجب له شهود صفات الربوبية ؛ التوكّل عليه ، والافتقار  
إليه ، والاستعانة به ، والدّل والخضوع والانكسار له .

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته ، وإلهيته في  
ربوبيته ، وحمده في ملكه ، وعزّه في عفوه ، وحكمته في  
قضائه وقدره ، ونعمته في بلائه ، وعطاءه في منعه ، وبرّه  
ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميّته ، وعدله في انتقامه ،  
وجوده وكرمه في مغفرته ، وستره وتجاوزه . ويشهد  
حكيمته ونعمته في أمره ونهيه ، وعزّه في رضاه وغضبه ،  
وحلمه في إمهاله ، وكرمّه في إقباله ، وغناه في إعراضه ((  
(١)

٢ - الحثُّ على ذكر الله ذكراً كثيراً :

الدُّكْر من محابِّ الله ﷻ ، بل إنّ جميع العبادات شرّعت  
لإقامته . فقد كان ﷺ يُذكّر أصحابه فضله ، ويتلو عليهم ما  
تنزل عليه فيه ، ويدعوهم إلى إقامة ذكر الله .

قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا  
= ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } (٢) .

عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - أنّه قال في الآية : ((  
إنّ الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً  
معلوماً ، ثمّ عذر أهلها في حال العذر ؛ غير الدُّكْر ، فإنّ الله

(١) المرجع السابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ مختصراً .

(٢) الأحزاب : الآيتان ( ٤١ ، ٤٢ ) .

تعالى لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه . ولم يعذر أحدًا في تركه  
إلا مغلوبًا على تركه ، فقال : { فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَفُعُودًا وَعَلَى  
جُنُوبِكُمْ } بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر  
والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسرّ  
والعلانية ، وعلى كلِّ حال ، وقال ﷺ : { وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً  
وَأَصِيلًا } فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته .

وقال ابن كثير في قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ  
وَمَلَائِكَتُهُ } . (( هذا تهيبج إلى الذِّكْر ؛ أي أنه سبحانه يذكركم  
فادكروه ))<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : { فَادْكُرُونِي أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون }  
<sup>(٢)</sup> .

وقال : { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي  
{<sup>(٣)</sup> . فهذه الصلاة عمود الدين ، شرعت لإقامة ذكر الله ،  
وأمر ﷺ المؤمنين بذكر الله بعد إتمامهم مناسك الحج ( وهو  
أحد أركان الإسلام ) فقال سبحانه : { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ  
فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا }<sup>(٤)</sup> . وأفضل الذِّكْر  
هو القرآن ، فقد سماه الله ذِكْرًا فقال : { قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٥٠٣/٣ .

(٢) البقرة : الآية ( ١٥٢ ) .

(٣) طه : الآية ( ١٤ ) .

(٤) البقرة : الآية ( ٢٠٠ ) .

{ (١) .

وكان ﷺ يدعو أصحابه إلى ذكر الله ، ويرغبهم فيه . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَلَا أُنبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالوَرَقِ ، وَمَنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : وَمَا ذَلِكَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ » (٢) .

وأورد ابن ماجه بعد ذكر هذا الحديث قول لمعاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « مَا عَمِلَ امْرُؤٌ يَعْمَلُ نُجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

وكان ﷺ يعلمهم أفضل الذكر وأفضل الدعاء فعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ » (٣) .

وفي الكلام الذي يُحِبُّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : روى أبو ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عَادَهُ ، أَوْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟

(١) الطلاق : الآية ( ١٠ ) .

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب فضل الذكر ، رقم ٣٧٩٠ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ٣١٦/٢ ، رقم ٣٠٥٧ .

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب فضل الحامدين ، رقم ٣٨٠٠ ، وقال الألباني : حسن . انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣١٩/٢ ، رقم ٣٠٦٥ .

قَالَ : مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ : سُبْحَانَ رَبِّيَ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ رَبِّيَ وَبِحَمْدِهِ» (١) .

وفي رواية مسلم عن أبي ذرٍّ أيضاً رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ . فَقَالَ : إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » (٢) .

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يُفْعَلُوا مَجْنُونًا » (٣) .

(١) سنن الترمذي : أحاديث شتى من أبواب الدعوات : باب : أيُّ الكلام أحبُّ

إلى الله : رقم ٣٨٤٥ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن الترمذي : ١٨٥/٣ ، رقم ٢٨٤٢ .

وأخرجه الحاكم في المستدرک : ٤٦/١٨٤٦/١ ، طبعة دار الكتب العلمية ، باللفظ نفسه سوى : بأمي وأبي بدلاً عن بأبي أنت وأمي ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ( أقول : بل أخرجه مسلم بلفظ مقارب ) . وقال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم .

(٢) مسلم : الذكر والدعاء والتوبة : باب فضل سبحان الله وبحمده : ٢٠٩٣/٤ ، رقم ٢٧٣١ .

(٣) المسند للإمام أحمد : ١٣٧/٤ ، رقم ١١٦٥٣ . وأخرجه الحاكم في المستدرک : كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر : ٦٧٧/١ ، رقم ١٨٣٩ ، وقال : هذه صحيفة للمصريين صحيحة الإسناد ، وأبو الهيثم سليمان بن عتبة العتواري من ثقات أهل مصر . وقال الذهبي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » (١) .

والأحاديث في الذكر وأنواعه وأوقاته كثيرة ، فلترجع في مظانها في كتب السنة والكتب المفردة . كالأذكار للنووي ، وشأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي ، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي . وغير ذلك .

٣ - التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ مَعَ الْجَهْدِ وَالِاسْتِدَامَةِ :

ومن أسباب جلب محبة الله تعالى : التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِمَا شَرَعَهُ مِنَ النَّوَافِلِ بَعْدَ الْقِيَامِ بِالْفَرَائِضِ وَأَدَائِهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ ، وَمِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِهَا . فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنُتُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ ، وَلَئِنْ

في التلخيص : صحيح ، أبو الهيثم من ثقات المصريين .

(١) مسلم : الذكر والدعاء : فضل التهليل والتسبيح : ٢٠٧٢/٤ ، رقم ٢٦٩٤ متفق عليه .

اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (١) .

فالتقرب إلى الله يكون أولاً بأداء الفرائض وإقامتها كاملة على وجهها الصحيح ، فلا يوجد عمل أحب إلى الله منها ، ثم بعد ذلك القرية بالنوافل .

وأخفها وأسهلها الذكر كما مرّ آنفاً وأفضل الذكر القرآن ، ثم كلمة الإخلاص ، أما تفاضل الأعمال فكلُّ عملٍ في وقته هو المقدم والأفضل . وأفضل الأوقات لصلاة النافلة ، الخلوة وقت النزول الإلهي ومناجاته سبحانه ، وتلاوة كلامه وانكسار القلب بين يديه ثم الاستغفار والتوبة .

عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ . وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا » (٢) .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ : أيُّ العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قال : ثم أيُّ ؟ قال : ثم برُّ الوالدين . قال : ثم أيُّ ؟ قال : الجهاد في سبيل الله .

(١) البخاري : الرقاق : باب التواضع : ٢٣٨٤/٥ ، رقم ٦١٣٧ .

(٢) مسلم : الصيام : النهي عن صوم الدهر : ٨١٦/٢ ، رقم ١٨٩/١١٥٩ .

قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ ، وَلَوْ اسْتَرَدَّ نُهُ لَزَادَنِي )) (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ . قَالَ : وَكَأَنَّتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَتْ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ » (٢) .

وعن مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ : لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ ، أَوْ قَالَ : قُلْتُ : بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ . فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ النَّالِيَةَ فَقَالَ : سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ )) (٣) .

وعن رَبِيعَةَ بِنْتِ كَعْبِ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : « كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ ، فَقَالَ لِي : سَلْ . فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : هُوَ ذَلِكَ . قَالَ : فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ )) (٤) .

(١) البخاري : مواقيت الصلاة : فضل الصلاة لوقتها : ١٩٧/١ ، رقم ٥٠٤ .

(٢) مسلم : صلاة المسافرين : فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره : ٥٤١/١ ، رقم ٢١٨/٧٨٢ .

(٣) مسلم : الصلاة : باب فضل السجود والحث عليه : ٣٥٣/١ ، رقم ٤٨٨ .

(٤) المصدر السابق ، والكتاب والباب والجزء والصفحة ، برقم ٤٨٩ .

٤ - دلالتهم على استدامة استحضار منة الله عليهم ، وفضله ورحمته وآلائه ونعمه :

ومن منهج القرآن الكريم أن الله ﷻ يتعرّف إلى عباده ويتحبّب إليهم بتذكيرهم بنعمه الظاهرة والباطنة لعلمهم يؤوبون إليه ويشكرونه على هذه النعم التي لا تنقطع ولا تنفد ، ولا يستطيعون عدّها ، وهذا في القرآن كثيرٌ جدًّا ، ومن ذلك ما جاء في صدر سورة النحل ، وما امتنّ الله به على عباده من إنزال الملائكة بالروح من أمره على الرُّسل لإنذار عباده ودعوتهم إلى توحيده ، وخلق السموات والأرض وخلق الإنسان من نطفة ، وخلق الأنعام وما فيها من منافع لبني الإنسان ، وإنزال الماء من السماء ، وما ينبت به من الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ، ومن كلّ الثمرات ، وتسخيره الليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم لهذا الإنسان ، وكذلك ما ذرأ للإنسان في الأرض بألوانه المختلفة ، وتسخيره البحر ليأكل منه لحمًا طريًا ، واستخراج الحليّ ، كذلك السفن التي تجري في البحر بأمره والجبال الرواسي التي ألقاها في الأرض لكيلا تميد بالناس والأنهار والطرق ، والنجوم ليهدوا بها ، ثمّ ختم تعداد هذه النعم بقوله ﷻ : { وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ }<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

(١) النحل : الآية ( ١٨ ) .



يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بغيرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } (١) .

قال ابن كثير : « يقول تعالى منبهاً خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم ، وما يخلق فيها من سحب وأمطار وتلج وبرد ، وجعله إياها لهم سقفاً محفوظاً ، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار ، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وإزاحة الشبه والعلل ، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم ، بل منهم من يجادل في الله ، أي في توحيده وإرساله الرسل ، ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب ماثور صحيح » (٢) .

وفي سورة النحل امتن الله على عباده بنعم كثيرة ، ثم قال : { يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْفِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } (٣) . ثم قال بعد ذكره تعالى القرية التي كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، فقال : { فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } (٤) .

وقال تعالى : { فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (٥) . خاطب بها

(١) لقمان : الآية ( ٢٠ ) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤٥٩/٣ .

(٣) النحل : الآية ( ٨٣ ) .

(٤) النحل : الآية ( ١١٤ ) .

(٥) الرحمن : الآية ( ١٣ ) . وقد وردت بعدها في ( ٣٠ ) موضعاً في

الثقلين الجنّ والإنس في واحدٍ وثلاثين موضعاً في سورة واحدة هي سورة الرَّحْمَن ، مقررّاً نعمه وآلاءه عليهم . وفي هذا يقول ابن كثير : (( أي فبأي الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجنّ تكذبان ؟ قال مجاهد وغيرُ واحدٍ : ويدلُّ عليه السياق بعده ، أي النعم الظاهرة عليكم ، وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها ، فنحن نقول كما قالت الجنّ المؤمنون به ، اللهم ولا بشيءٍ من آلائك ربّنا نكذب ، فلك الحمد )) (١) .

وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (٢) .

قال ابن كثير : (( ينبّه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في أفراد العبادة له ، كما أنّه المستقلّ بالخلق والرزق ، فكذلك فليُفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ، ولهذا قال تعالى : { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } . أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضوح هذا البرهان ، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان ، والله

السورة .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢٩١/٤ .

(٢) فاطر : الآية (٣) .

أعلم)) (١) . وهذا واضح ؛ فإنَّ طريقة القرآن ؛ الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية وتقريره . وهنا تقرّرهم بتذكيرهم نعم الله عليهم ، وأنّه لا خالق لهم ولا رازق غيره ، فالواجب عليهم توحيدَه في ألوهيته ، وقال تعالى : { فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٢) . قال شيخ الإسلام : (( فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه ، من تسخير السماء والأرض وما فيها من الأشجار والحيوان ، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة ، من الإيمان وغيره فلا بُدَّ أنْ يثير ذلك عنده باعثاً ، وكذلك الخوف ؛ تحرّكه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوه . وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم ؛ والحلم ؛ والعفو)) (٣) .

قال ابن القيم : قال ( أي صاحب المنازل ) : (( وهي محبة تنبت من مطالعة المنة ، وتنبت باتِّباع السُّنة ، وتنمو على الإجابة بالفاقة )) .

قوله : تنبت من مطالعة المنة : أي تنشأ ( أي المحبة ) من مطالعة العبد منة الله عليه ونعمه الباطنة والظاهرة ، فبقدر مطالعته ذلك تكون قوّة المحبة . فإنَّ القلوب مجبولة على حُبِّ من أحسن إليها . وبُغض من أساء إليها . وليس للعبد قطُّ

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥٥٥/٣ .

(٢) الأعراف : الآية ( ٦٩ ) .

(٣) الفتاوى : توحيد الألوهية : ٩٦/١ .

إحسان إلا من الله . ولا إساءة إلا من الشيطان .

ومن أعظم مطالعة مئة الله على عبده : تأهيله لمحبتته ومعرفته وإرادة وجهه ومتابعة حبيبه ، وأصل هذا نورٌ يقذفه الله في قلب العبد ، فإذا دار ذلك النور في قلب العبد وذاته : أشرفت ذاته . فرأى فيه نفسه ، وما أهلت له من الكمالات والمحاسن . فعلت به همته ، وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويترد أحدهما صاحبه ، فرقت الروح حينئذٍ بين الهيبة والأنس إلى الحبيب الأول .

وهذا النور كالشمس في قلوب المقربين السابقين ، وكالبدر في قلوب الأبرار أصحاب اليمين ، وكالنجم في قلوب عامة المؤمنين وتفاوتهم فيه كتفاوت ما بين الزهرة والسُّهى) (١) .

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على شكر النعمة وعدم ازديائها ، ويبيّن لهم طرق تعظيم نعم الله عليهم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله » (٢) .

(١) مدارج السالكين : ٣٦/٣ - ٣٧ ، مختصراً .

(٢) مسلم : ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق : ٢٢٧٥/٤ ، رقم ٢٩٦٣ .

٥ - إخبارهم بشرط المحبة :

قال الله تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }<sup>(١)</sup> .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (( وهي التي تسمى آية المحبة . قال أبو سليمان الداراني : لما ادّعت القلوب محبة الله : أنزل الله لها محنة ، { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } .

قال بعض السلف : ادّعى قومٌ محبة الله ، فأنزل الله آية المحنة { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } . وقال : { يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } . إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها . فدليلها وعلامتها : اتباع الرسول . وفائدتها وثمرتها : محبة المرسل لكم .

فما لم تحصل المتابعة ؛ فليست محبتكم له حاصلة ، ومحبتة لكم منتفية ))<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن كثير : (( هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ؛ حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله . كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ »<sup>(٣)</sup>

(١) آل عمران : الآية ( ٣١ ) .

(٢) مدارج السالكين : ٢١/٣ - ٢٢ .

(٣) البخاري : الصلح : باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح

، ولهذا قال : { إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } ، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأوّل كما قال بعض العلماء الحكماء ؛ ( ليس الشأن أن تُحبّ ، إنّما الشأن أن تُحبّ ) .

وقال الحسن البصري وغيره من السلف : « زعم قومٌ أنّهم يُحبّون الله فابتلاهم الله بهذه الآية » (١) .

وكان ﷺ يدعو أصحابه وأمتّه لطاعته واتباعه . فعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَا أَبِي ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً ، عن النبي ﷺ قال : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤْلَهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (٣) .

وكان يوصي أصحابه ﷺ باتباع سنّته .

فَعَنِ الْعَرَبِ بَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ،

مردود : ٩٥٩/٢ ، رقم ٢٥٥٠ .

(١) تفسير القرآن العظيم : آل عمران : ٣٦٦/١ .

(٢) البخاريّ : الاعتصام بالكتاب والسنة : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ : ٢٦٥٥/٥ ، رقم ٦٨٥١ .

(٣) المصدر السابق في الكتاب نفسه والباب : ٢٦٥٨/٥ ، رقم ٦٨٥٨ .

دَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ ، فَمَادَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ )) (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (( قوله : ( وتنبئت باتباع السنة أي ثباتها إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه ، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها ، وبحسب نقصانه يكون نقصانها ، كما تقدم : أن هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبيية معاً . ولا يتم الأمر إلا بهما ، فليس الشأن في أن تُحبَّ الله ، بل الشأن في أن يُحبَّك الله ، ولا يحبُّك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً ، وصدقته خبراً ، وأطعته أمراً ، وأجبتة دعوةً ، وآثرته طوعاً .

وإن لم يكن ذلك فلا تتعن . وارجع من حيث شئت فالتمس نوراً فلست على شيء )) (٢) .

فاتباع النبي ﷺ ظاهراً وباطناً قولاً وعملاً واعتقاداً وأخلاقاً هو الذي يثبت المحبة .

٦ - تربيتهم على الرجاء في رحمة الله وعدم الركون إلى العمل

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة : ٤٦٠٧ ، وصححه

الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٨٧١/٣ ، رقم ٣٨٥١ .

(٢) مدارج السالكين : ٣٧/٣ مختصراً .

كان ﷺ يربّي أصحابه على الرجاء في رحمة الله ، ويربطهم به سبحانه ، ويحثهم على السداد في العمل واستدامته ، وعدم الالتفات إلى هذه الأعمال مهما كثرت وصلحت ، والدخول على الله من باب الدّل والانكسار ، وإطراح القلب بين يدي مولاه الكريم ، والافتقار إليه ، وطلب رحمته والتسبّب به سبحانه ، والخوف والخشية من عدم قبول عمله ، واضعاً نصب عينيه قول الله تعالى : { **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** } <sup>(١)</sup> . قال أبو الدرداء رضي الله عنه : (( لأنّ استيقن أنّ الله قد تقبّل لي صلاةً واحدة أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها ؛ إنّ الله يقول : { **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** } )) <sup>(٢)</sup> .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( سألتُ رسولَ الله ﷺ **عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ }** <sup>(٣)</sup> ) قالت عائشة : **أَهُمَّ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِفُونَ ؟** قال : لا يا بنتَ الصّدّيق ، ولكنّهم الذين يصومون ويصلّون ويصدّقون وهم يخافون أنّ لا يُقبَلَ مِنْهُمْ ؛ أولئك الذين يسارعون في الخيرات )) <sup>(٤)</sup> .

قال الحسن البصري : (( كانوا يعملون ما عملوا من

(١) المائدة : الآية ( ٢٧ ) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٤٥/٢ .

(٣) المؤمنون : الآية ( ٦ ) .

(٤) سنن الترمذي : كتاب التفسير : المؤمنون : رقم ٣٤٠٠ . وصحّحه

الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ٧٩/٣ ، رقم ٢٥٣٧ .



أعمال البرّ وهم يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله» (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ . قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْتَدُوا وَرَوْحُوا ، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا» (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : « سَدَّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (٣) .

فالمطلوب إذا السداد والمقاربة في العمل ، والدوام على ذلك ، فهذا أحب الأعمال إلى الله ، مع الخوف الدائم من عدم القبول ، واستشعار أنه قد يكون قارف ذنباً أتى على جميع أعماله الصالحة ، فحاله ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء . قال الله تعالى : { وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (٤) . قال الحسن البصري - رحمه الله - في هذه

(١) الزهد ، للإمام أحمد ، ص ٣٤٩ .

(٢) البخاريّ : الرقاق : القصد والمداومة على العمل : ٢٣٧٣/٥ ، رقم ٦٠٩٨ .

(٣) المصدر السابق : في الكتاب والباب نفسه : رقم ٦٠٩٩ .

(٤) الأنبياء : الآية ( ٩٠ ) .

الآية : (( الخوف الدائم في القلب )) (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (( قوله ) وتنمو على الإجابة بالفاقة ( ، الإجابة بالفاقة : أن يجيب الداعي بموفور الأعمال وهو خالٍ منها كأنه لم يعملها ، بل يجيب دعوته بمجرد الإفلاس والفقر التام . فإنَّ طريقة الفقر تأبى أن يكون لصاحبها عمل )) (٢) .

أي يلتفت إليه ويعتمد عليه ، ولكنّه يرجو رحمة الله ﷻ ، كما قال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (٣) ، وقوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } (٤) .

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله : الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم ، ومجالسة الصالحين ، وحضور مجالس الذكر ، وجميع أعمال البرّ المشروع هي قربات إلى الله تجلب محبة الله . ويلزم الابتعاد عن كلّ سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ ، ومن أكبرها أكل

(١) الزهد ، لابن المبارك ، ص ٥٥ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم : ٣٨/٣ .

(٣) البقرة : الآية ( ٢١٨ ) .

(٤) الإسراء : الآية ( ٥٧ ) .

الحرام ، والخصومات في الدين



### المسلك الرابع : تربية الخوف والرجاء .

تُنبه التوحيد والإيمان بطائر : رأسه المحبّة ( محبة الله )  
والخوف والرجاء جناحاه ، وكما أن المحبّة تابعة للمعرفة ؛  
فكذا الخوف والرجاء يتبعان معرفة الله ﷻ وعظمته وجلاله .  
وعبادة الله ﷻ بها جميعاً أمرٌ لازم .

قال الحافظ ابن رجب : « وكان بعضُ السلف يقول : من  
عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف  
وحده فهو حروريٌّ ، و من عبد الله بالحبّ وحده فهو زنديق  
. ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبّة فهو موحدٌ مؤمن .

وسبب هذا أنّه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه  
الوجوه الثلاثة ومن أخلّ ببعضها فقد أخلّ ببعض واجبات  
الإيمان .

وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحبّ ينبغي أن يكون  
أغلب من الخوف والرجاء .

وقد قال الفضيل بن عياض : المحبّة أفضل من الخوف  
ثمّ استشهد بكلام هذا الحكيم الذي حكاه عن وهب .

وقال : أكمل الخوف والرجاء ما تعلّق بذات الحقّ  
سبحانه دون ما تعلّق بالمخلوقات في الجنّة والنار ، فأعلى  
الخوف خوف البُعد والسُّخط والحجاب عنه سبحانه ، كما  
قدّم سبحانه ذكر هذا العقاب لأعدائه على صليهم النار في  
قوله : { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ = ١٥ } ثُمَّ إِنَّهُمْ

لصَالُوا الْجَحِيمِ } .

ثُمَّ قَالَ : فَجَهَّمَ دَلِيلٌ عَلَى عِظْمَةِ اللَّهِ وَشِدَّةِ بَأْسِهِ وَبَطْشِهِ وَقُوَّةِ سَطْوَتِهِ وَانْتِقَامِهِ فِي أَعْدَائِهِ ، فَالْخَوْفُ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ وَإِجْلَالٌ وَإِعْظَامٌ وَخَشْيَةٌ لِصِفَاتِهِ الْمَخُوفَةِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخُوفُ بِهَا عِبَادَهُ ، وَيُحِبُّ مِنْهُمْ أَنْ يَخَافُوهُ بِخَوْفِهَا ، وَأَنْ يَخْشَوْهُ بِخَشْيَةِ الْوَقُوعِ فِيهَا ، وَأَنْ يَحْذَرُوهُ بِالْحَذَرِ مِنْهَا .

فَالْخَائِفُ مِنَ النَّارِ خَائِفٌ مِنَ اللَّهِ مُتَّبِعٌ لِمَا فِيهِ مَحَبَّتُهُ وَرِضَاهُ .

وَالْقَدْرُ الْوَاجِبُ مِنَ الْخَوْفِ مَا حَمَلَ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ ، فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بَحِيثٌ صَارَ بَاعْتِنًا لِلنَّفُوسِ عَلَى التَّشْمِيرِ فِي نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ ، وَالْإِنْكَفَافِ عَنِ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ ، وَالتَّبَسُّطِ فِي فَضُولِ الْمَبَاحَاتِ ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مَحْمُودًا ، فَإِنْ تَزَايَدَ عَلَى ذَلِكَ بَأْنَ أَوْرَثَ مَرْضًا أَوْ مَوْتًا أَوْ هَمًّا لَازِمًا بَحِيثٌ يَقْطَعُ عَنِ السَّعْيِ فِي اِكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ الْمَطْلُوبَةِ الْمَحْبُوبَةِ لِلَّهِ ﷻ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَحْمُودًا )) (١)

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخَافُوهُ ، وَنَصَبَ لَهُمُ الْأَدْلَةَ الدَّالَّةَ عَلَى

(١) التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ وَالتَّعْرِيفُ بِحَالِ دَارِ الْبُورِ ، تَحْقِيقٌ : بِشِيرِ مُحَمَّدٍ عِيُونَ ، ص ٢٥ - ٢٨ مَخْتَصَرًا .

عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدّها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال .

ولهذا كرّر ﷺ في كتابه ذكر النار وما أعدّه فيها لأعدائه من العذاب والنكال ، وما احتوت عليه من الزقوم والضرير والحميم والسلاسل والأغلال إلى غير ذلك ممّا فيها من العظام والأهوال ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه ، والمسارة إلى امتثال ما يأمر به ويحبّه ويرضاه ، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه .

وقد ضمن الجنة لمن خافه من أهل الإيمان ، فقال : { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ } . قال مجاهد : في هذه الآية : الله قائم على كلّ نفس بما كسبت ، فمن أراد أن يعمل شيئاً فخاف مقام ربّه عليه فله جنتان ((<sup>(١)</sup>) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (( إنّ الخوف من المقامات العلية ، وهو من لوازم الإيمان ، قال تعالى : { وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ، وقال تعالى : { فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُوا } .

وقال : فالعبد إن كان مستقيماً فخوفه من سوء العاقبة لقوله تعالى : { آية متن } ، أو نقصان الدرجة بالنسبة ، وإن كان مائلاً فخوفه من سوء فعله ، وينفعه ذلك مع النوم

(١) المرجع السابق ، ص ٧ - ٨ ، مختصراً .

والإقلاع ؛ فإنَّ الخوف ينشأ من معرفة فُبح الجناية والتصديق بالوعيد عليها وأن يُحرم التوبة ، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له ، فهو مشفقٌ من ذنبه ، طالبٌ من ربِّه أن يُدخله فيمن يُغفر له )) (١) .

وطريقة النَّبي ﷺ في تربية الخوف - من الله - في قلوب المؤمنين ، والتربية به أيضاً ؛ تعتمد على القرآن ، والسنة ﷺ ، فمن الأساليب القرآنية :

تلاوة القصص الذي يدل على أن الله لا يتقبل إلا من المتقين ، قال الله تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } (٢) .

ومنها : التخويف من العذاب في الدنيا والآخرة :

قال تعالى : { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (٣) .

قال تعالى : { وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } (٤) .

(١) فتح الباري : ٣١٣/١١ .

(٢) المائدة : الآية ( ٢٧ ) .

(٣) الأنعام : الآية ( ١٥ ) .

(٤) هود : جزء من الآية ( ٣ ) .

قال تعالى : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } (١) .

ومنها : التذكير بأيام الله ، ومصارع الغابرين .

قال تعالى : { قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ = ٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ = ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ = ٣٣ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ = ٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ = ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ = ٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ = ٣٧ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ = ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ = ٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ = ٤٠ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ = ٤١ مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ = ٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ = ٤٣ فَعَنَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ = ٤٤ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ = ٤٥ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } (٢) .

وقوله تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ = ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ = ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ = ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا

(١) هود : الآية ( ١٠٢ ) .

(٢) الذاريات : الآيات ( ٣١ - ٤٦ ) .



صَرَعى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ = ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ { (١) .

والقرآن الكريم مليءٌ بمثل هذا وغيره ، فكله مواضع متتالية . وأما سنته ﷺ فمن ذلك :

الترغيب في رجاء الله وخوف الذنوب :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ ، وَإِنِّي أَخَافُ دُنُوبِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وَأَمَنَّهُ مِمَّا يَخَافُ )) (٢) .

التخويف من عظم النار وحرّها وبُعدِ عُمقها :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرَّقُومِ فَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأُفْسِدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ ، فَكَيْفَ يَمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ )) (٣) .

وعن سمرّة أنّه سمع النبي ﷺ يقول : (( إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ

(١) الحاقّة : الآيات ( ٤ - ٨ ) .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الجنائز ، باب ١٠ ، رقم ٩٩٤ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٢٨٩/١ ، رقم ٧٨٥ .

(٣) سنن الترمذي ، رقم ٢٥٨٥ . وصحّحه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي .

النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ  
« (١) .

وعن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ  
أَهْلَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ  
كَمَا يَغْلِي الْمَرْجَلُ مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا » (٢) .  
وعن أبي هريرة قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ  
وَجِبَةً . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَذَرُونَ مَا هَذَا ؟ قَالَ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
أَعْلَمُ . قَالَ : هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَهُوَ يَهْوِي فِي  
النَّارِ ، الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا » (٣) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَخْرُجُ عُنُقُ  
مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ،  
يَقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ،  
وَبِالْمُصَوِّرِينَ » (٤) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «  
يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ  
يَجْرُؤْنَهَا » (٥) .

(١) مسلم ، ح ٢٨٤٥ .

(٢) مسلم ، ح ٢١٣ .

(٣) مسلم ، ح ٢٨٤٤ .

(٤) سنن الترمذي : أبواب صفة جهنم ١ - باب صفة النار ، رقم الحديث  
٢٧١٣ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٢٠/٢ ،  
رقم ٢٠٨٣ .

(٥) المصدر السابق : رقم ٢٧١١ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ . قَالَ : فَضَلَّتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » (١)

وَأَمَّا فِي الرَّجَاءِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ :

مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } » (٢)

وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَنْعَوِطُونَ ، أَنْيْبُهُمْ فِيهَا : الدَّهَبُ ، أَمْشَاطُهُمْ : مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَجَامِرُهُمْ : الأَلْوَةُ ، وَرَشْحُهُمْ : الْمِسْكُ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ؛ يُرَى مِخُّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، فُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » (٣)

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ :

- 
- وصححه الألباني ، برقم ٢٠٨٢ ، وهو في مسلم .
- (١) البخاري : ٦٣ - بدء الخلق ١٠ - باب صفة النار وأنها مخلوقة : ١١٩١/٣ ، رقم ٣٠٩٢ .
- (٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه : ٨ - باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة : ١١٨٥/٣ ، رقم ٣٠٧٢ .
- (٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم الحديث ٣٠٧٣ .

أن النبي ﷺ قال : « الخيمة ذرّة مجوفة ، طولها في السماء ثلاثون ميلاً ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون » قال أبو عبد الصمد والحارث بن عبيد عن أبي عمران : « سيئون ميلاً » (١) .

وفي الخوف والرجاء معاً :

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات أحدكم فإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ؛ فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار » (٣) .



- 
- (١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم الحديث ٣٠٧١ .  
 (٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم الحديث ٣٠٦٨ .  
 (٣) البخاري : ٨٤ - الرقاق ١٩ - باب : الرجاء مع الخوف : ٢٣٧٤/٥ ، رقم ٦١٠٤ .

المبحث الثالث : التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

قال السعدي - رحمه الله - : « والتواصي بالحقّ : الذي هو الإيمان والعمل الصالح ، أي : يوصي بعضهم بعضاً بذلك ويحثه عليه ويرغبه فيه » (١) .

وقال القرطبي : { وَتَوَاصَوْا } أي تحابُّوا ؛ أوصى بعضهم بعضاً وحثّ بعضهم بعضاً ، { بِالْحَقِّ } أي بالتوحيد ، كذا روى الضحاك عن ابن عباس .

قال قتادة : { بِالْحَقِّ } أي القرآن . وقال السُّدِّي : الحق هنا هو الله ﷻ (٢) .

« والتواصي بالحقّ : هو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والتواصي بالصبر : على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى أقدار الله المؤلمة ، فبالأميرين الأولين يكمل العبد نفسه ، وبالأميرين الأخيرين يكمل غيره .

وبتكميل الأمور الأربعة : يكون العبد ، قد سلم من الخسار ، وفاز بالربح العظيم » (٣) .

وقال ابن كثير : { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } على المصائب والأقدار ، وأذى من يُؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه

---

(١) تيسير الكريم الرّحمن : ٤٥٣/٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٨١/٢٠ .

(٣) تيسير الكريم الرّحمن : ٤٥٣/٥ .

على المنكر» (١) .

وقد أمر الله ﷻ بعد الأمر بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ؛ أمر بالعدل حال المعاقبة إذا أصابه أذى جراء دعوته إلى الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وندب إلى الصبر وأمر به ، فقال :

{ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ = ١٢٦ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ = ١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } (٢) .

قال السعدي - رحمه الله - : « يقول تعالى - مبيحاً للعدل ، ونادباً للفضل والإحسان : { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ } من أساء إليكم بالقول والفعل ، { فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ } من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم ، { وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ } عن المعاقبة ، وعفوتهم { لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } من الاستيفاء ، وما عند الله خيرٌ لك ، وأحسن عاقبة ، كما قال تعالى : { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } ، ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله ، والاستعانة بالله على ذلك ، وعدم الاتكال على النفس ، فقال : { وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ } هو الذي يعينك

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٨٥٣/٨ ، طبعة دار ابن حزم .

(٢) النحل : الآيات ( ١٢٦ - ١٢٨ ) .

عليه ويثبُّك .

{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ } إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولاً  
لدعوتك ؛ فَإِنَّ الحزن لا يجدي عليك شيئاً .

{ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ } أي شدة وحرَج { مِمَّا يَمْكُرُونَ } فَإِنَّ  
مكرهم عائدٌ إليهم . وأنت من المتقين المحسنين . والله مع  
المتقين المحسنين ، بعونه ، وتوفيقه ، وتسديده ، وهم الذين  
اتقوا الكفر والمعاصي ، وأحسنوا في عبادة الله ، بأن عبدوا  
الله ، كأنهم يرونه ، فإن لم يكونوا يرونه ، فَإِنَّه يراهم ،  
والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كلِّ وجه . نسأل الله  
أن يجعلنا من المتقين المحسنين )) (١) .

وقد ربَّى النَّبِيُّ ﷺ أصحابه على الدعوة إلى الحق  
والصبر على الأذى فيه . فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق قال  
: (( فلما أسلم أبو بكر ﷺ ، أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله  
وإلى رسوله ... فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان ،  
والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ،  
وطلحة بن عبيدالله .

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له ، فأسلموا  
وصلوا .

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٩٣/٣ - ٩٤ .

فصلُّوا وصدِّقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله ((<sup>(١)</sup>)  
 والثمانية يقصد بهم : هؤلاء الخمسة ، وأبو بكر الصديق  
 ، وأمّ المؤمنين خديجة ، وعليّ بن أبي طالب ﷺ ، والله أعلم

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه . قال ابن إسحاق : (( كان  
 أوّل من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ عبدالله بن مسعود ،  
 قال : اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما  
 سمعت قريشاً هذا القرآن يُجهرُ لها به قطّ ، فمن رجلٌ  
 يسمعهموه ؟ فقال عبدالله بن مسعود : أنا ؛ قالوا : إنا  
 نخشاهم عليك ، إنّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم  
 إن أرادوه ، قال : دعوني فإنّ الله سيمنعني .

قال : فغدا ابنُ مسعود حتّى أتى المقام في الضحى ، ثمّ  
 قرأ { بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } رافعاً بها صوته { الرَّحْمَنُ =  
 ١ عَمَّ الْفُرْعَانَ } قال : ثمّ استقبلها يقرؤها . قال : فتأمّلوه  
 فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أمّ عبد ؟ قال : ثمّ قالوا : إنّهُ  
 ليتلو بعض ما جاء به محمّدٌ ، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه  
 في وجهه ، وجعل يقرأ حتّى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ،  
 ثمّ انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه .

فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ؛ فقال : ما كان أعداءُ  
 الله أهونَ منهم الآن ، ولنن سنتم لأغاديئهم بمثلها غداً ؛ قالوا

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذرّ الخشنى : ٣١٧/١ ، ٣١٨ ،  
 مختصراً ، وقد سبق تخريجه .



: لا ، حسبك . قد أسمعتهم ما يكرهون )) (١) .

فقد أثبت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه شجاعته في دين الله ،  
وصبره على الأذى الذي لقيه من جرّاء دعوته .

وهذا أبو بكر رضي الله عنه يخشى إن ترك شيئاً من أمر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيغ عن دين الله . قال عروة بن الزبير : «  
وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيحَتَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم  
مِنْ خَيْرٍ وَقَدْكَ ، وَصَدَقْتَهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ  
وَقَالَ : لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ  
بِهِ ، إِنِّي أَخَشَى أَنْ تَرَكَتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ » (٢) .

ولقد ربّاهم النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر ، وخاصة ما ينال  
الداعي إلى الله من أذى جرّاء دعوته ، ربّاهم بالقرآن  
والسنة :

فمن القرآن الكريم : قول الله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا  
مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ = ٣٣  
وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ = ٣٤ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

(١) السيرة النبوية : ٣٨٨/١ - ٣٨٩ .

(٢) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ١٦ - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا  
تورث ، ما تركنا فهو صدقة » : ٣/١٣٨١ - ١٣٨٢ ، رقم الحديث  
٥٤/١٧٥٩ .

وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوْحَظٌّ عَظِيمٌ { (١) .

وقال تعالى : { إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (٢) .

وقال سبحانه : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } (٣) .

وفي الصبر على ما يُصيب الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر يقول تعالى : { يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (٤) .

وقال تعالى في توكل الأنبياء وصبرهم على أذى أقوامهم : { وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آدَبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } (٥) .

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۗ ۱ قُمْ فَأَنْذِرْ ۗ ۲ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۗ ۳ وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ ۗ ۴ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۗ ۵ وَلَا تَمُنْ بِتَسْتَكْبِرُ ۗ ۶ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۗ } (٦) .

(١) فصلت : الآيات ( ٣٣ - ٣٥ ) .

(٢) الزمر : جزء من الآية ( ١٠ ) .

(٣) السجدة : الآية ( ٢٤ ) .

(٤) لقمان : الآية ( ١٧ ) .

(٥) إبراهيم : الآية ( ١٢ ) .

(٦) المدثر : الآيات ( ١ - ٧ ) .

**وقوله تعالى :** { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَامْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ } (١) .

**وقوله تعالى :** { قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (٢) .

**وقوله تعالى :** { فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ } (٣) .

**وقوله :** { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ } (٤) .

**وقوله :** { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } (٥) .

**وقوله :** { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإلَيْنَا يَرْجِعُونَ } (٦) .

**وقوله تعالى :** { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ

(١) الأنعام : الآية ( ٣٤ ) .

(٢) الأعراف : الآية ( ١٢٨ ) .

(٣) طه : الآية ( ١٣٠ ) .

(٤) طه : الآية ( ١٣٢ ) .

(٥) الفرقان : الآية ( ٧٧ ) .

(٦) غافر : الآية ( ٧٧ ) .

وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ { (١) .

**وقوله :** { وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ = ١٦  
اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ } (٢) .

**وقوله :** { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ } (٣) .

**وقوله :** { فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ  
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } (٤) .

**وقوله :** { أُولَئِكَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ = ٢٥  
سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ = ٢٦ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ  
فَارْتَفِبُّهُمْ وَاصْطَبِرْ } (٥) .

**وقوله تعالى :** { كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ  
فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (٦) .

ومن السنة : ما رواه

خبّاب بن الأرتّ قال : (( شكّونا إلى رسول الله ﷺ وهو

(١) محمد : الآية ( ٣١ ) .

(٢) ص : الآيتان ( ١٦ ، ١٧ ) .

(٣) الأحقاف : الآية ( ٣٥ ) .

(٤) ق : الآية ( ٣٩ ) .

(٥) القمر : الآيات ( ٢٥ - ٢٧ ) .

(٦) الأنبياء : الآية ( ٣٥ ) .

مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فُلْنَا لَهُ : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟  
 أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ،  
 فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاِثْنَيْنِ ، وَمَا يَصُدُّهُ  
 ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ . وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا  
 يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ  
 إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الدُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ  
 ((<sup>(١)</sup> .

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : (( قُلْتُ : يَا رَسُولَ  
 اللَّهِ ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ؛ فَيَبْتَلِي  
 الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ  
 رِقَّةٌ ابْتَلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَثْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى  
 الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ))<sup>(٢)</sup> .

وقد اهتدى الأئمة الأعلام بهديه ﷺ ، وتمسكوا بطريقته  
 وفهموا ما أمرهم به وما حثهم عليه ، ومن هؤلاء الأئمة :  
 الإمام ابن القيم - رحمه الله - حيث قال في سورة العصر :  
 (( هذه السورة على غاية اختصارها لها شأن عظيم ،

(١) البخاري : - ٦٥ ، المناقب : ٢٢ - باب علامات النبوة في الإسلام :  
 ١٣٢٢/٣ ، رقم ٣٤١٦ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الزهد ٤٥ - الصبر على البلاء ، رقم ٢٥٢٢ .  
 وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢٨٦/٢ ،  
 رقم ١٩٥٦ .

حَتَّى قَالَ الشَّافِعِيُّ - رحمه الله - : لو فُكِّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِيهَا لَكَفَّتْهُمْ .

فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها ، ونبّه بالمبدأ وهو خلق الزمان ، والفاعلين وأفعالهم على المعاد ، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد ، وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين ، وأفعالهم ، وجعلها قسمين : خيراً ، وشرّاً تأبى أن يسوّي بينهم ، وأن لا يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، وأن يجعل النوعين رابحين أو خاسرين ، بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر ، إلا من رحمه الله ، فهداه ووقّقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه ، وأمر غيره به ، وهذا نظير رده الإنسان إلى أسفل سافلين ، واستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المرذولين .

وتأمل حكمة القرآن لما قال : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } فإنه ضيق الاستثناء وخصّصه ، فقال : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بالصَّبْرِ } ، ولما قال : { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } وسّع الاستثناء وعمّمه ، فقال : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، ولم يقل { وَتَوَّصُوا } فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح وهو قدر زائد على مجرد فعله ، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار في خسر . ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين

، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَلَا يَأْمُرُ غَيْرَهُ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَرْتَبَةٌ زَائِدَةٌ ، وَقَدْ تَكُونُ فَرْضًا عَلَى الْأَعْيَانِ ، وَقَدْ تَكُونُ فَرْضًا عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَحَبَّةً . وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ يَدْخُلُ فِيهِ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ ، وَالْحَقُّ الَّذِي يُسْتَحَبُّ ، وَالصَّبْرُ يَدْخُلُ فِيهِ الصَّبْرُ الَّذِي يَجِبُ ، وَالصَّبْرُ الَّذِي يُسْتَحَبُّ ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الرِّبْحِ مَا خَسَرَهُ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ قَامُوا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَلَمْ يَأْمُرُوا غَيْرَهُمْ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ ، فَمَطْلُوقُ الْخَسَارِ شَيْءٌ ، وَالْخَسَارُ الْمَطْلُوقُ شَيْءٌ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ إِنَّمَا قَالَ : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } وَمَنْ رِبِحَ فِي سَلْعَةٍ وَخَسَرَ فِي غَيْرِهَا قَدْ يَطْلُوقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ فِي خُسْرٍ وَأَنَّهُ نَوْ خُسْرٍ . كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : (( لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيضَ كَثِيرَةٍ )) (١) . فَهَذَا نَوْعٌ تَفْرِيطٌ ، وَهُوَ نَوْعٌ خُسْرٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَنْ حَصَلَ رِبْحٌ ذَلِكَ .

وَلَمَّا قَالَ فِي سُورَةِ التِّينِ : { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } قَالَ : { إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } فَفَقَسَمَ النَّاسُ إِلَى هَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ فَقَطْ ، وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ لَهُ قَوْتَانِ ؛ قُوَّةُ الْعِلْمِ ، وَقُوَّةُ

(١) البخاريّ : الجنائز : باب فضل اتباع الجنائز : ٤٤٥/١ ، رقم ١٢٦٠

قال الحافظ : أي من عدم المواظبة على حضور الدفن ، لأنّ ابن عمر كان يصلي على الميت ثمّ ينصرف .

العمل ، وله حالتان ؛ حالة يَأْتَمِرُ فيها بأمر غيره ، وحالة يأمر فيها غيره ، استثنى سبحانه من كَمَل قوَّته العلمية بالإيمان ، وقوَّته العملية بالعمل الصالح ، وانقاد لأمر غيره له بذلك .

وأمر غيره به من الإنسان الذي هو في خسر ، فَإِنَّ العبد له حالتان : حالة كمال في نفسه ، وحالة تكميل لغيره ، وكماله وتكميله موقوفٌ على أمرين : علم بالحق ، وصبرٌ عليه .

فتضمَّنت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني ، من :  
العلم النافع .

والعمل الصالح .

والإحسان إلى نفسه بذلك .

وإلى أخيه به ، وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك ، وفي قوله تعالى : { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } إرشاد إلى منصب الإمامة في قوَّة الدين . كقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } ، فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين .

والصبر نوعان : نوع على المقدور ، كالمصائب ، ونوعٌ على المشروع ، وهذا النوع أيضاً نوعان ، صبرٌ على الأوامر ، وصبرٌ عن النواهي . فذاك صبرٌ على الإرادة والفعل ، وهذا صبرٌ عن الإرادة والفعل .



فأما النوع الأوّل من الصبر فمشارك بين المؤمن والكافر ، والبرّ والفاجر ، لا يثاب عليه لمجرّده إن لم يقترن به إيمان واختيار .

قال النّبي ﷺ في ابنته : « فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْسِبْ » (١) .

وقال تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } (٢) ، وقال تعالى : { بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا } (٣) ، وقال : { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا } (٤) . فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمنزلة قوّة البدن الخالي عن الإيمان والتقوى ، وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور .

وقال تعالى : { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } (٥) . فأمره أن يصبر ولا يتشبّه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر . فإنّهم لعدم يقينهم عدم صبرهم ، وخفّوا واستخفّوا قومهم .

(١) البخاريّ : الجنائز : باب قول النّبي ﷺ : « يعذب الميّت ببعض بكاء أهله عليه » : ٤٣١/١ ، رقم ١٢٢٤ .

وزينب هي ابنته - رضي الله عنها - التي بعثت إليه أن ابناً لها قبض فانتنا .

(٢) هود : الآية ( ١١ ) .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٢٥ ) .

(٤) آل عمران : الآية ( ١٢٠ ) .

(٥) الروم : الآية ( ٦٠ ) .

ولو حصل لهم اليقين والحقّ لصبروا ، وما خفّوا ولا استخفّوا ، فمن قلّ يقينه قلّ صبره ، ومن قلّ صبره خفّ واستخفّ ، فالموقن الصابر رزين ، لأنّه ذو لبّ وعقل ، ومن لا يقين له ، ولا صبر عنده خفيف طائش تلعب به الأهواء والشهوات ، كما تلعب الرياح بالشيء الخفيف . والله المستعان )) (١) .



---

(١) التبيان في أقسام القرآن ، لابن القيم ، تصحيح وتعليق : محمّد حامد الفقي ، ص ٨٨ .

وقد أثرت إيراده بطوله لأنّه عزيزٌ ونادر ، وله فوائد عظيمة ، وتفصيلٌ جليل ، ومقارنةٌ عجيبة . ولم أجده في كتب التفسير التي اطلعت عليها .

## الفصل الثَّاني

### الأساليب والوسائل التربوية النبوية

**المبحث الأول : ( الأساليب التربوية النبوية ) .**

**المبحث الثاني : ( الوسائل التربوية النبوية ) .**

المطلب الأول : ( العلم ) أفرد بباب مستقل ، وسيأتي .  
المطلب الثاني : ( القدوة ) وهي وسيلة وأسلوب وستأتي في الأساليب

المطلب الثالث : ( الأحداث ) وهي وسيلة وأسلوب وستأتي في  
الأساليب .

## الفصل الثاني

### الأساليب والوسائل التربوية النبوية

المبحث الأوّل : ( الأساليب التربوية النبوية ) .

قال ابن منظور : (( الأسلوب بالضم : الفنّ ، يُقال : أخذ فلان في أساليب من القول ، أي أفانين منه . وقد سلك أسلوبه : طريقته )) (١) .

ويقول مجد الدين : الفيروزآبادي : (( الأسلوب : الطريق )) (٢) .

فالأسلوب في اللغة :

الفنّ ، والطريق ، والطريقة .

والمقصود بالأساليب التربوية النبوية ؛ تلك الطرق والكيفيات التي سلكها النبي ﷺ في تربية أصحابه ؛ إمّا بالقول ، أو السكوت ، أو الفعل ، أو الترك ، أو الإشارة ، أو الانفعال ، أو غيرها من الطرق والهدى الذي انتهجه النبي ﷺ في تربية أصحابه .

ومن الأمثلة العامّة في ذلك : إيانة القول وإغلاظه ، أسلوب الرفق والشدّة ، الحلم والغضب ، الأناة والعجلة ، التأليف والتنفير ، الشكر والعتاب ، الثناء والدّم ، المداراة

(١) لسان العرب لابن منظور : ٤٧٣/١ .

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي : ٨٦/١ ، دار الجيل ، بيروت .

## والمداهنة .

أما الأساليب التي استعملها ﷺ في تربية أصحابه وهي كثيرة منتشرة في كتب السنة والسيرة ، فردية وجماعية ، وفي أحوال مختلفة ، في المنشط والمكره ، في اليسر والعُسْر ، في السلم والحرب ، وفي الإقامة والسفر ، في حال الضعف والقوة ، في الصحة والمرض ، والرضا والغضب ، والنصر والهزيمة ، والرخاء والشدة ، والحج والعمرة والجهاد ، والصوم والفطر ، وحال الفتنة والابتلاء .

وقد تنوعت أساليبه وطرقه ﷺ وفق هذه الأحوال مع مراعاة الفروق الفردية بين الناس قوة وضعفاً ، غناً وفقراً ، علماً وجهلاً ، شجاعة وذكاءً ، كبيراً وصغيراً ، وشباباً ، رجالاً ونساءً .

وكانت الحكمة لا تفارق أساليبه ﷺ ؛ بل هي الأساس والمنطلق لكل تصرفاته وتعاملاته وخطاباته ﷺ ، قال الله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (١) .

قال صاحب المدارك : { بِالْحُكْمَةِ } بالمقالة الصحيحة المحكمة ، وهو الدليل الموضح للحق ، المزيل للشبهة . { وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها أو بالقرآن . أي أدعهم بالكتاب الذي

(١) النحل : الآية ( ١٢٥ ) .

هو حكمة وموعظة حسنة . أو الحكمة المعرفة بمراتب الأفعال ، والموعظة الحسنة ، أن يخلط الرغبة بالرهبة ، والإنذار بالبشارة ، { وَجَادِلْهُمْ بَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ } بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ، أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ، ويجلو العقول ، وهو ردّ على من يأبى المناظرة في الدين ((<sup>(١)</sup>).

فكانت الحكمة لا تفارق أقواله وأفعاله وتقريراته ، ومواعظه ، وخطبه ونصائحه ووصاياه ومجادلاته ومجالسه التعليمية والتربوية . يبين كلّ هذا ما ثبت من أساليبه الكثيرة المبنوثة في دواوين السنّة وكتب السير والمغازي ، ودلائل النبوة . فمن هذه الأساليب الكثيرة التي ثبتت عنه ﷺ مع أصحابه :

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي (ت ٧٠١ هـ) : ٣٠٤/٢ - ٣٠٥ ، طبعة دار الفكر .

١ - مقابلتهم بالترحيب وطلاقة الوجه والتبسم في وجوههم ، وعدم حجبهم :  
 فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (( لما قدم وفدُ  
 عبدالقيس على النبي ﷺ قال : مرحبًا بالوفد ، الذين جاءوا غير  
 خزايا ولا ندامى )) (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أقبلت فاطمة  
 تمشي ، كأن مشيتها مشي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : مرحبًا  
 يا بنتي ، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ... )) (٢) الحديث .

وقالت أم هانئ - رضي الله عنها - : (( ذهبت إلى  
 رسول الله ﷺ عام الفتح ، فوجدته يغتسل ، وفاطمة ابنته  
 تسئره ، قالت : فسأمتُ عليه ، فقال : من هذه ؟ فقلتُ : أنا أمّ  
 هانئ بنتُ أبي طالب ، فقال : مرحبًا بأمّ هانئ ... )) (٣) .

وعن جرير بن عبدالله البجلي قال : (( ما حجيني  
 رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رأني إلا ضحك )) (٤) .

(١) البخاريّ : الأدب : باب قول الرّجل مرحبًا : ٢٢٨٥/٥ ، رقم ٥٨٢٢

(٢) البخاريّ : المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام : ١٣٢٦/٣ ،  
 رقم ٣٤٢٦ .

(٣) البخاريّ : الصلاة في الثياب : الصلاة في الثوب الواحد : ١٤١/١ ،  
 رقم ٣٥٠ .

(٤) البخاريّ : فضائل الصّحابة : ذكر جرير بن عبدالله : ١٣٩٠/٣ ،  
 رقم ٣٦١١ .

وفي رواية له : « ولا رأني إلا تبسّم في وجهي ، ولقد شكوتُ إليه أني لا أثبت على الخيل ، فضرب بيده في صدري ، وقال : اللهم ثبّته واجعله هاديًا مهديًا » (١) .

هذا الأسلوب الحكيم الذي يمزج الترحاب بالابتسامه ثمّ سماع الشكوى ثمّ الإشعار بالفُرب والحنوّ ثمّ الدعاء بالمطلوب وزيادة عليه ؛ يدل على الأخلاق العظيمة والتعاملات الكريمة منه ﷺ ، فقد وسع الصغير والكبير ، والمرأة والرجل بكريم أخلاقه ، ولم تشغله الأمور العظام عن هذه الأخلاق اللطيفة والتعاملات الدقيقة .

ولقد كان يحثُّ صلوات الله وسلامه عليه على بذل المعروف للناس ولو بطلاقة الوجه ، فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : « لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ » (٢) (٣) .

- 
- (١) البخاريّ : الأدب : باب التبسّم والضحك : ٢٢٦٠/٥ ، رقم ٥٧٣٩ .
- (٢) طَلِقٌ : يقال : طَلَقَ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ يَطْلُقُ طَلَاقًا فَهُوَ طَلِيقٌ ، وَطَلِيقٌ : منبسط الوجه متهلّله ، وفي موضع آخر : مستبشّرٌ . النّهاية في غريب الحديث : ١٣٤/٣ .
- (٣) مسلم : البر والصلة والآداب : باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء : ٢٠٢٦/٤ رقم ١٤٤/٢٦٢٦ .



٢ - إنزالهم منازلهم واحترام مشاعرهم :

فعن أبي سعيد : أن أهل قريظة نزلوا على حكم سعد ، فأرسل النبي ﷺ إليه ، فجاء ، فقال : قوموا إلى سيّدكم ، أو قال : خيركم ، فقعده عند النبي ﷺ ... )) (١) الحديث .

قال الطيبي : (( لا يلزم من كونه ليس للتعظيم أن لا يكون للإكرام ، وما اعتل به من الفرق بين إلى واللام ضعيف لأنّ إلى في هذا المقام أفخم من اللام ، كأنه قيل قوموا وامشوا إليه تلقياً وإكراماً ، وهذا مأخوذ من ترتب الحكم على الوصف المناسب المشعر بالعلية ، فإنّ قوله سيّدكم علة للقيام له ، وذلك لكونه شريفاً عليّ القدر )) . وقال البيهقي : القيام على وجه البرّ والإكرام جائز كقيام الأنصار لسعد ، وطلحة لكعب . (( ٢) .

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي ، كَاشِفًا عَن فَخْدَيْهِ ، أَوْ سَاقِيهِ . فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَى ثِيَابِهِ - قَالَ مُحَمَّدٌ : وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ

(١) البخاريّ : الاستئذان : قول النبي ﷺ : « قوموا إلى سيّدكم » : ٢٣١٠/٥ ، رقم ٥٩٠٧ .

(٢) فتح الباري : الاستئذان : ٥٤/١١ ، رقم الحديث ٦٢٦٢ .

لَهُ وَلَمْ يُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ؟ فَقَالَ :  
أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ )) (١) .

وفي حديث سعيد بن العاص : « إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ ، وَإِنِّي  
خَشِيتُ إِنْ أَدْنَيْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ » (٢) .

وهذا منتهى الفهم والمعرفة بأصحابه ﷺ والحفاظ على  
مشاعرهم واحترامها . فهو الرحمة المهداة ﷺ .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «  
إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ  
وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ » (٣) .

ولقد حافظ ﷺ على مشاعر أصحابه ، وأعطى الأخوة  
الإيمانية حقها ، وحافظ على التئام القلوب وترابطها فنهى  
عن تناجي الاثنين دون الثالث ، فعن عبدالله قال : قال  
رسول الله ﷺ : « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبَيْهِمَا ، فَإِنَّ  
ذَلِكَ يُحْزِنُهُ » (٤) .

(١) مسلم : فضائل الصَّحَابَةِ : من فضائل عثمان : ١٨٦٦/٤ ،  
رقم ٢٤٠١ .

(٢) المصدر السابق في الموضوع نفسه : رقم ٢٤٠٢ .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في تنزيل النَّاسِ منازلهم :  
رقم ٤٨٤٣ .

وحسنه الألباني : انظر صحيح سنن أبي داود : ٩١٨/٣ ، رقم ٤٠٥٣ .

(٤) مسلم : السلام : باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه :  
رقم ٤٨٤٣ .

٣ - تألفهم واستمالة قلوبهم :

لقد كان رسول الله ﷺ يتألف قلوب أصحابه ﷺ بالكلام الطيب والثناء عليهم وإعطائهم الأموال ؛ وعلى الأخص حدثاء العهد بالإسلام .

فعن عبدالله ﷺ قال : « لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آتَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا ، أَعْطَى الْأَفْرَعَ مِائَةَ مِنَ الْإِيلِ ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى نَاسًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أُرِيدَ بِهِذِهِ الْقِسْمَةِ وَجْهَ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » (١) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ : « لَمَّا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَافَةِ قُلُوبَهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا ، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَلَمْ أُجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ بِي ، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي ، وَعَالَهُ فَأَعْتَاكُمُ اللَّهُ بِي ؟ كَلِّمًا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ ، قَالَ : مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : كَلِّمًا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ . قَالَ : لَوْ شِئْتُمْ فُلْتُمْ : جِئْنَا كَذَا وَكَذَا ، أَنْتُمْ ضَوْنَا أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ لَوْ لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكَتُ وَاذِيَّ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا ، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ ،

١٧١٨/٤ ، رقم ٢١٨٤ .

(١) البخاري : المغازي : غزوة الطائف : ١٥٧٦/٤ ، رقم ٤٠٨١ .

وَالنَّاسُ دِتَارٌ . إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ  
((<sup>(١)</sup> .

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : (( فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي  
رَجَالًا الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، فَقَالُوا : يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛  
يُعْطِي فُرَيْشًا وَيَبْرُكْنَا وَسُيُوفُنَا نَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ؟ ... وفي  
آخر الحديث فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : سَتَجِدُونَ أُثْرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا  
حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ . قَالَ أَنَسٌ : فَلَمْ  
يَصْبِرُوا ))<sup>(٢)</sup> .

وفي رواية له قال : (( جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ  
فَقَالَ : إِنَّ فُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ<sup>(٣)</sup> وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُجْبِرَهُمْ  
<sup>(٤)</sup> وَأَتَأَلَّفَهُمْ ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟ ))<sup>(٥)</sup> ... الحديث .

وفي رواية له أيضًا ﷺ أوضح فيمن قسم النبي ﷺ  
الغنائم ، فقال : (( فَقَسَمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالطُّلُقَاءِ وَلَمْ يُعْطِ

- (١) البخاري : المغازي : غزوة الطائف : ١٥٧٤/٤ ، رقم ٤٠٧٥ .
- (٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٤٠٧٦ .
- (٣) مصيبة : نحو قتل أقاربهم وفتح بلادهم . البخاري : ١٥٧٦/٤ .
- (٤) أجبرهم ، أي أمحو مصابهم وأخفف عنهم بإصلاح أحوالهم والعطف عليهم ، وتعويض بعض ما فقدوه . البخاري : ١٥٧٦/٤ . وفي النهاية لابن الأثير : واجبرني أي أغنني ، من جبر الله مصيبتة ؛ أي ردّ عليه ما ذهب منه وعوضه . وأصله من جبر الكسر . النهاية : ٢٣٦/١ .
- (٥) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٤٠٧٩ .

الأَنْصَارَ شَيْنًا ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً فَحَنُّ نُدْعَى وَيُعْطَى الْغَنِيمَةَ غَيْرُنَا . فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ ... ((<sup>(١)</sup>)

وَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ تَعْلِبَ « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ أَوْ سَبِيٍّ فَقَسَمَهُ ، فَأَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا ، فَحَمِدَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ ، وَأَكُلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْعَنَى وَالْخَيْرِ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَعْلِبَ . فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ » ((<sup>(٢)</sup>) . تَابَعَهُ يُونُسُ .

فلقد تألف رسول الله ﷺ قلوب أقوامٍ بالمال ، وقلوب آخرين بالقول ، فهذا عمرو بن تغلب يُقسم أن هذه الكلمة التي قالها رسول الله ﷺ « فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَعْلِبَ » أحب إليه من أعجب الأموال وأجلها إلى العرب وهي الإبل الحُمُر .

وَعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : « مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أُعْطَاهُ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ . فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمُ !

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٤٠٨٢ .

(٢) البخاري : الجمعة : من قال في الخطبة بعد الثناء : أَمَا بَعْدُ : ٣١٢/١ ، رقم ٨٨١ .

أَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ )) (١) .

وقال رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله : (( لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أُعْطِينَا هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا ، وَقَالَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا . فَفُضِّضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ . فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ . فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى : مَنْ كَانَتْ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِ . فَقَمْتُ فَقُلْتُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطِينَا هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا . فَحَتَّى أَبُو بَكْرٍ مَرَّةً ، ثُمَّ قَالَ لِي : عُدَّهَا . فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُ مِائَةٍ فَقَالَ : خُذْ مِثْلَيْهَا )) (٢) .

وقد أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية مائة من النعم ، ثم مائة ، ثم مائة )) (٣) .

وأعطى حكيم بن حزام مرتين كما هو في البخاري (٤) .

ومن استمالة قلوبهم : أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ مُعَاذٍ وَإِخْبَارِهِ بِمَحَبَّتِهِ لَهُ ، فَعَنَّ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ : أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي لِأَحِبُّكَ يَا مُعَاذُ ، فَقُلْتُ : وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

(١) مسلم : الفضائل : ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا . وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ : ١٨٠٦/٤ ، رقم ٢٣١٢ .

(٢) المصدر السابق : الموضع نفسه ٢٣١٤ .

(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه ٢٣١٣ .

(٤) البخاري : الخمس : باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه : ١١٤٥/٣ ، رقم ٢٩٧٤ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَلَا تَدْعُ أَنْ تُقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ رَبِّ أَعْيَى عَلَيَّ  
ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ )) (١) .

ومن الإشعار بالمحبة واستمالة القلوب كذلك ما رواه  
ابن عباس قال : (( ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ  
عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ )) (٢) .

فهنا استمالة بفعل منه ﷺ يُشْعِرُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْحَنَانَ وَالشَّفَقَةَ  
والمودّة وبالقول ، وهو دعاؤه ﷺ .

وكان يتألفهم ﷺ بالإقبال عليهم بكلّيته وبوجهه وحديثه  
حتى يشعُر أحدهم أن له الحظوة والمكانة الخاصة عنده ،  
بل قد يتبادر إلى ذهنه أنّه أفضلهم عنده .

فعن عمرو بن العاص ﷺ قال : (( كان رسول الله ﷺ  
يُقبلُ بوجهه وحديثه على أشرِّ القوم ، يتألفهم بذلك ، فكان  
يُقبلُ بوجهه وحديثه عليّ ، حتى ظننتُ أنّي خيرُ القوم ،  
فقلت : يا رسول الله ! أنا خيرٌ أو أبو بكر ؟ قال : أبو بكر .  
فقلت : يا رسول الله ! أنا خيرٌ أو عثمان ؟ قال : عثمان .

(١) سنن النسائي : كتاب السهو : باب رقم ٦٠ ، نوع آخر من الدعاء .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن النسائي : ٢٨٠/١ ،  
رقم ١٢٣٦ .

(٢) البخاري : فضائل الصحابة : باب ذكر ابن عباس : ١٣٧١/٣ ،  
رقم ٣٥٤٦ .

فصدقني ، فلوددتُ أني لم أكن سألته» (١) .

---

(١) الشمائل المحمدية لأبي عيسى الترمذي . رقم الحديث ٣٨٨٠ .  
مختصراً ، وقد أورده صاحب مختصر الشمائل المحمدية بهذا اللفظ  
وحسنه .



٤ - حرص على هدايتهم والخوف والشفقة عليهم :

حرص النبي ﷺ على هداية الناس جميعاً ، وعلى هداية أصحابه على وجه الخصوص . فقد سلك أفضل السُّبُل لتحببيهم وترغيبهم في اتباع سنته ، وتألفهم عليها ، والخوف عليهم من الهلاك إن لم يطيعوه ، ومن الأمثلة على ذلك : ترك مجادلتهم إذ لم يبادروا بنحر هديهم وحلق رؤوسهم حين أمرهم بذلك ، وأخذه بمشورة أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - أن يبدأ بنفسه .

وقد حرص ﷺ على ثباتهم على الهداية ، يتألفهم بالمواعظ والنصائح والوصايا ، وكذا بالأموال كما مرَّ آنفاً ، وحرص على الترقى بمن اهتدى إلى أعلى درجات الهداية ، فما ترك خيراً إلا دلهم عليه ، ولا شراً إلا حذرهم منه .

وكانت تهمة سلامتهم ونجاتهم ، فقد كان يجتمع بأصحابه خفية بدار الأرقم ابن أبي الأرقم ، خوفاً على حياتهم ، ليتمكّن من ترسيخ الإيمان في قلوبهم ليلبغوا دين الله إلى الناس كافة .

ولهذا الخوف والشفقة عليهم أمثلة كثيرة منتشرة في ثنايا سيرته العطرة ﷺ . من ذلك : الاختفاء ببيعتي العقبة ، وأمرهم بالهجرتين ، ودعاؤه لهم يوم بدر ، وموادعة يهود ، وميله ﷺ قبل المشورة للتحصن بأصحابه في المدينة ، خوفاً من انكشافهم أمام العدو ، وهكذا حفر الخندق لحماية المدينة وأهلها والتقليل من الخسائر .

ومن الآيات التي تدلُّ على حرصه ﷺ ؛ قول الله تعالى :  
 { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ  
 بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } (١) .

قال العلامة السعدي - رحمه الله - : (( { حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ }  
 فيحبُّ لكم الخير ، ويسعى جهده ، في إيصاله إليكم ،  
 ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان ، ويكره لكم الشر ،  
 ويسعى جهده في تنفيركم عنه )) (٢) .

ومن شففته ﷺ بأُمَّته وبكائه شفقة عليهم ما رواه عبدالله  
 بن عمرو بن العاص ؛ أن النَّبِيَّ ﷺ ؛ ثَلَا قَوْلَ اللَّهِ ﷻ فِي  
 إِبْرَاهِيمَ : { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي  
 { الْآيَةَ . وَقَالَ عِيسَى الْكَرِيمُ : { إِنْ تُعِدُّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ  
 لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي  
 وَبَكَى . فَقَالَ اللَّهُ ﷻ : يَا جِبْرِيلُ ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَرَبُّكَ  
 أَعْلَمُ ، فَسَلَّهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷻ فَسَأَلَهُ . فَأَخْبَرَهُ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ . وَهُوَ أَعْلَمُ . فَقَالَ اللَّهُ : يَا جِبْرِيلُ !  
 اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسْؤُوكَ ))  
 (٣) .

(١) التوبة : الآية ( ١٢٨ ) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٠٠/٢ .

(٣) مسلم : الإيمان : باب دعاء النَّبِيِّ ﷺ لأُمَّته وبكائه شفقة عليهم :

١٩١/١ ، رقم ٢٠٢ .

**ومن ذلك أيضاً :** ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ . فَنَعَجَلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ . وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » (١) .

**ومن ذلك تحذيرهم من الدجال ، فعن عبادة أن** رسول الله ﷺ **قال :** « إِنِّي قَدْ حَذَرْتُكَمُ الدَّجَالَ حَتَّى قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا ، إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجٌ أَدْعَجُ أَعْوَرٌ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَائِتَةٍ وَلَا حَزْزَاءَ ، فَإِنْ أَلْبَسَ عَلَيْكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَأَنْتُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا » (٢) .

**وفي حديث طويل لسعد بن أبي وقاص ، قال ﷺ :** « إِنِّي لِأَعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةٌ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ » (٣) .

**ولمّا قدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين قال ﷺ :** « .... فَأَبْشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ

(١) مسلم : الإيمان : اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأُمَّته : ١٨٩/١ ، رقم ١٩٩ .

(٢) السنّة لابن أبي عاصم : ١٨٦/١ ، رقم ٤٢٨ ، قال الألباني : إسناده جيد ، رجاله ثقات ، قد صرّح بقیة بالتحديث . والحديث أخرجه أبو داود ٤٣٢٠ . والآجری في الشريعة ، ص ٣٧٥ من طریق أخرى عن بقیة بن الوليد به .

(٣) مسلم : الإيمان : تألیف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه : ١٣٢/١ ، رقم ١٥٠ .

أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَّاَفْسُوهَا كَمَا تَنَّاَفْسُوهَا ، وَتُهْلِكْكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ» (١) .

فمن خوفه وخشيته وحرصه عليهم ﷺ يحدّرهم الدنيا أن تبسط عليهم .

والأمثلة كثيرة ، وليس المقصود استقصاءها .

---

(١) البخاريّ : الجزية : ما جاء في أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والعجم : ١١٥٢/٣ ، رقم ٢٩٨٨ .

٥ - الرفق بهم ورحمتهم :

كان النبي ﷺ رحيماً رقيقاً بأصحابه . فعن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : (( أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظننا أننا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عمَّن تركنا في أهلنا ، فأخبرناهُ وكان رقيقاً رحيماً ، فقال : ارجعوا إلى أهليكم ، فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي ، وإذا حضرت الصلاة فليؤدّن لكم أذنكم ، ثم ليؤمكم أكبركم )) (١) .

وهكذا كان ﷺ يتلمس حاجات أصحابه ، حتى النفسي منها ويحاول إشباعها ، فبمجرد أن ظنّ أنهم قد اشتاقوا إلى أهليهم رقّ لهم ورحمهم فرفق بهم وأمرهم بالعودة إليهم .

وعن أنس بن مالك قال : (( كنتُ أمشي مع النبي ﷺ وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ فجدبه جدبة شديدة ، حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جدبته ، ثم قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعتاء )) (٢) .

وعنه ﷺ : (( أن أعرابياً بال في المسجد . فقأموا إليه ،

(١) البخاريّ : الأدب : باب رحمة الناس والبهائم : ٢٢٣٨/٥ ، رقم ٥٦٦٢ .

(٢) البخاريّ : الخمس : ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم : ١١٤٨/٣ ، رقم ٢٩٨٠ .

فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لا تُزْرِمُوهُ ، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ» (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (( قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ - وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ - : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا . فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ : لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسِعًا يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ )) (٢) .

وكان يأمر بالرفق في الأمر كله : قال النبي ﷺ لعائشة : (( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ )) (٣) . وقال لها : (( إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ . وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ )) (٤) . وعن رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال : (( إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ )) (٥) .

ولقد كان يرفق بأصحابه رضي الله عنهم حتى في الصلاة ، فكان

(١) البخاريّ : الأدب : باب الرفق في الأمر كله : ٢٢٤٢/٥ ، رقم ٥٦٧٩ .

(٢) البخاريّ : الأدب : باب رحمة الناس والبهائم : ٢٢٣٨/٥ ، رقم ٥٦٦٤ .

(٣) البخاريّ : الأدب : باب الرفق في الأمر كله : ٢٢٤٢/٥ ، رقم ٥٦٧٨ .

(٤) مسلم : البر والصلة والآداب : فضل الرفق : ٢٠٠٣/٤ ، رقم ٢٥٩٣ .

(٥) المصدر السابق والموضع نفسه ، رقم ٢٥٩٤ .

يأمر الأئمة بتخفيفها .

فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمْ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ . فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ . فَإِذَا صَلَّى وَحَدَّهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ » (١) .

وفي رواية : « وَإِذَا قَامَ وَحَدَّهُ فَلْيُطِلْ صَلَاتَهُ مَا شَاءَ » .

وفي رواية أخرى : « فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَةَ » .

وعن أنس بن مالك ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا . فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ ، مِنْ شِدَّةِ وَجْدٍ (٢) أُمِّهِ بِهِ » (٣) .

ولقد رفق بأُمَّتِهِ ﷺ من السَّوَاكِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِهِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، فَهُوَ الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ ﷺ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ قَالَ : « لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَلَى أُمَّتِي) لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » (٤) .

(١) مسلم : الصلاة : أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام : ٣٤١/١ ، رقم ٤٦٧ .

(٢) وَجَدٌ ، يَجْدُ وَجْدًا : حزن و - عليه ، موجدة غضب ، وبه - وجدًا : أحبّه . المعجم الوسيط : ١٠١٣/٢ . وفي النهاية : يقال : وجدتُ بفلانة وجدًا ، إذا أحببتها حبًّا شديدًا : ١٥٦/٥ .

(٣) مسلم : الصلاة : أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام : رقم ٤٧٠ .

(٤) مسلم : الطهارة : باب السواك : ٢٢٠/١ ، رقم ٢٥٢ .

بل كان رفقه ورحمته ﷺ تتعدى إلى الحيوان : فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (( كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ . فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْحَانٌ ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تُفَرِّشُ . فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا . وَرَأَى قَرْيَةً نَمَلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا ، فَقَالَ : مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟ فُلْنَا : نَحْنُ ، قَالَ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ )) (١) .

ودخل النبي ﷺ حَائِطًا لِحَاجَتِهِ ؛ فَإِذَا جَمَلٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَدَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ (٢) فَسَكَتَ ، فَقَالَ : مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ فَجَاءَ فَنَى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا ، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنْكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِيهِ (٣) )) (٤) .

وكان ﷺ يحذر من عدم الاتصاف بالرحمة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم رضي الله عنه يقول : ((

(١) سنن أبي داود : رقم ٥٢٦٨ ، وصححه الألباني : صحيح سنن أبي

داود : ٩٨٨/٣ رقم ٤٧٨٨ .

والحُمرة : طائر صغير يشبه العصفور . النهاية : ٤٣٩/١ .

تفرّش : أي تفرش جناحيها وتقرب من الأرض وترفرف بهما .

(٢) ذفرى البعير أصل أذنه . النهاية : ١٦١/٢ .

(٣) تدببه : تتعبه وتشقيه .

(٤) سنن أبي داود ، ٢٥٤٩ ، وقال محقق جامع الأصول : ٥٧٢/٤ :

إسناده صحيح ، وهو عند مسلم بدون قصة الجمل .



لا تُنَزَعِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» (١) .

ويأمر بالرفق ويحث عليه :

**قال** ﷺ : « يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا دَلَّهْمُ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ » . **وفي رواية** : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ » (٢) .

ويدعو لمن رفق بأمته ، ويدعو على من شق عليهم **فيقول** : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ » (٣) .

وكان ﷺ يختار لأمته الأرفق بهم والأيسر ما لم يكن إثماً ، ولم ينتقم لنفسه ﷺ إلا أن تنتهك محارم الله .

فمن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷻ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا . فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ . وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ ﷻ » (٤) .

(١) سنن الترمذي ، ١٩٢٣ ، وقال : حديث حسن . وسنن أبي داود ، ٤٩٤٢ ، وحسنه الألباني ، انظر صحيح سنن أبي داود : ٩٣٣/٣ ، رقم ٤١٣٣ .

(٢) المسند للإمام أحمد : ١٠٤/٦ ، والهيتمي في المجمع : ١٩/٨ ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٥٢٣ .

(٣) مسلم : الإمارة : فضيلة الإمام العادل : ١٤٥٨/٣ ، رقم ١٨٢٨ .

(٤) مسلم : الفضائل : باب مباحثته ﷺ للأثام ... : ١٨١٣/٤ ،

٦ - مداراتهم وملاطفتهم :

كان المصطفى ﷺ يداري من في خلقه شدة أو حدة ويلطفه ويحاول إرضاءه ، اتقاء لسانه .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ : (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَيْتَ لَهُ أَقْبِيَّةً مِنْ دِيبَاجٍ ، مُزْرَرَةً بِالذَّهَبِ ، فَسَمَّهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِدًا لِمَحْرَمَةٍ ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : قَدْ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ . قَالَ أَيُّوبُ بِتَوْبِهِ وَأَنَّهُ يُرِيهِ إِيَّاهُ ، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شَيْءٌ )) (١) ، وفي رواية له : قال : (( يَا أَبَا الْمُسَوَّرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ، يَا أَبَا الْمُسَوَّرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ . وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شِدَّةٌ )) (٢) .

قال الحافظ : قال ابن بطال : المداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي : خفض الجناح للناس ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفة .

وظن بعضهم أن المداراة هي : المداهنة ، فغلط ، لأنّ المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة .

والفرق : أنّ المداهنة من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ، ويستتر باطنه .

رقم ٢٣٢٧ .

(١) البخاريّ : الأدب : باب المداراة مع الناس : ٢٢٧١/٥ ، رقم ٥٧٨٠ .

(٢) البخاريّ : الخمس : باب قسمة الإمام ما يقدم عليه ويخبأ لمن لم يحضره أو غاب عنه : ١١٣٧/٣ ، رقم ٢٩٥٩ .

وفسّرَها العلماء بأنها معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضى بما هو فيه من غير إنكار عليه .

والمداواة هي : الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه ، حيث لا يُظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول ، والفعل ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ، ونحو ذلك .

وقال الحافظ : وإنما قيل في مخرمة ما قيل لما كان في خلقه من الشدّة ، فكان لذلك في لسانه بذاعة )) (١) .

---

(١) فتح الباري : ٥٤٥/١٠ .

٧ - قبول ظواهرهم وإيصال سرائرهم إلى الله :

حدّث أسامة بن زيد بن حارثة - رضي الله عنهما - قال :  
 (( بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، قَالَ : فَصَبَحْنَا  
 الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ ، قَالَ : وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا  
 مِنْهُمْ ، قَالَ : فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : فَكَفَّ  
 عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ ، فَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، قَالَ : فَلَمَّا  
 قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : فَقَالَ لِي : يَا أَسَامَةَ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا  
 قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّدًا ،  
 قَالَ : أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ  
 حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ )) (١) .

فكان غضب النبي ﷺ على أسامة لعدم قبوله ظاهر هذا  
 الرجل ، وكان المتعین أن يكف عنه كما كف عنه  
 الأنصاري وقبل ظاهره ، وهذا إقرار من النبي ﷺ على  
 فعل الأنصاري .

وفي حديث ذي الخويصرة حينما قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ  
 اتَّقِ اللَّهَ ، قَالَ : وَيَلْكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ، قَالَ :  
 ثُمَّ وَكَلَى الرَّجُلُ . قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا  
 أُضْرَبُ عُنُقَهُ ؟ قَالَ : لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي ، فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ  
 مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) البخاري : الديات : باب قول الله تعالى : { ومن أحيائها } : ٢٥١٩/٦ ،  
 رقم ٦٤٧٨ .

: إني لم أومر أن أنفب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم (( (١) ...  
الحديث .

فأخذ بظاهره ﷺ ولم يلتفت إلى الباطن .

وقد أخذ أصحابه من بعده بهذه السنة ، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يقول : (( إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقرّبناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدق ، وإن قال إن سريرته حسنة )) (٢) . فأصبحت من سنة الخلفاء والصحابة بعدهم .

ولما جاءه المخلفون عن غزوة تبوك ، فطففوا يعنذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبأيعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله (٣) .

(١) البخاري : المغازي : باب بعث عليّ وخالد إلى اليمن : ١٥٨١/٤ ، رقم ٤٠٩٤ .

(٢) البخاري : الشهادات : باب الشهداء العدول : ٩٣٤/٢ ، رقم ٢٤٩٨ .

(٣) البخاري : المغازي : باب حديث كعب بن مالك : ١٦٠٥/٥ ، رقم ٤١٥٦ .

٨ - قبول أعدارهم والتجاوز عن أخطائهم :

كان النبي ﷺ يقبل العذر ، ويقول في حديث طويل : « وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ » (١) .

كضرب أم المؤمنين - رضي الله عنها - الصفحة التي في يد الخادم فسقطت وانفلقت ، فجمع النبي ﷺ فلحق الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول : غارت أمكم ، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت (٢) .

ولم يجاوز ذلك ﷺ ، ويوصي في الأنصار بالقبول من محسنهم والعفو عن مسيئهم ، فيقول : « إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرَشِي وَعَيْبَتِي . وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْفُرُونَ وَيَقْلُونَ . فَأَقْبِلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَأَعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » (٣) .

وهذا خليفته عمر ﷺ الذي أوصى ﷺ بالإقتداء بسنته وسنة باقي الخلفاء الراشدين ، يقول ﷺ عند موته : «

(١) صحيح مسلم ، ١٤٩٩ .

(٢) البخاري : النكاح : باب الغيرة : ٥/٥٠٠٣ ، رقم ٤٩٢٧ .

(٣) فضائل الصحابة : من فضائل الأنصار : ٤/١٩٤٩ ، رقم ٢٥١٠ .

كرشي وعييتي : قال العلماء : معناه جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم واعمدهم في أموري .

ويقولون : أي الأنصار . ( انظر حاشية مسلم ) : ٤/١٩٤٩ .

أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين : أن يعرف لهم حقهم ، وأوصي الخليفة بالأنصار ، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يُهاجر النبي ﷺ : أن يقبل من محسنيهم ويعفو عن مسيئهم )) (١) .

وعن أنس بن مالك : « أن النبي ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فلما سلم قام على المنبر ، فذكر الساعة ، وذكر أن بين يديها أموراً عظيماً ، ثم قال : من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا . قال أنس : فأكثر الناس البكاء ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلوني . فقال أنس : فقام إليه رجل فقال : أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال : النار . فقام عبد الله بن حذافة فقال : من أبي يا رسول الله ؟ قال أبوك حذافة ، قال ثم أكثر أن يقول : سلوني ، سلوني ، فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضيينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، قال فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار أنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي فلم أر كالיום في الخير والشر )) (٢) .

وفي حديث أبي موسى الأشعري قال : « سئل رسول

(١) البخاري : التفسير : { والذين تبوءوا الدار والإيمان } : ١٨٥٤/٤ ، رقم ٤٦٠٦ .

(٢) البخاري : الاعتصام : باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه : ٢٦٥٧/٦ ، رقم ٦٨٦٤ .

اللَّهُ ﷺ عَنْ أَسْيَاءَ كَرِهَهَا ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ غَضِبَ ؛ وَقَالَ : سَلُونِي ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : أَبُوكَ حُدَافَةَ ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي ؟ فَقَالَ : أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعُضْبِ قَالَ : إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ (١) .

وفي رواية لأنس : (( خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، قَالَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا . قَالَ : فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ )) (٢) .

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - : (( كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَهْزَاءً )) (٣) .

قال الحافظ : (( وقد وقع في حديث أنس من رواية هشام وغيره عن قتادة عنه في الدَّعَوَاتِ وفي الفتن : سألوا رسول الله ﷺ حتَّى أحفوه بالمسألة ، ومعنى أحفوه : أكثروا عليه حتَّى جعلوه كالحافي . قوله : ( فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله ﷺ من الغضب ) بين في حديث أنس أن الصَّحَابَةَ كُلَّهُم فهموا ذلك ، ففي رواية هشام ( فإذا كلَّ رجلٍ

(١) المصدر السابق ، في الموضوع نفسه ، رقم الحديث ٦٨٦١ .

(٢) المصدر السابق : التفسير : باب لا تسئلوا عن أشياء ... : ٤/١٦٨٩ ، رقم ٤٣٤٥ .

(٣) المصدر السابق : الموضوع نفسه : رقم ٤٣٤٦ .



لأفأ رأسه في ثوبه يبكي ) ، وزاد في رواية سعيد بن بشير ( وظننوا أن ذلك بين يدي أمرٍ قد حضر ) ، وفي رواية موسى بن أنس ( فغضّوا رءوسهم لهم خنين ) زاد مسلم من هذا الوجه ( فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم كان أشدّ منه ) .

قوله : ( فقال : إنا نتوب إلى الله ﷻ ) زاد في رواية الزهري ( فبرك عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ) وفي رواية قتادة من الزيادة ( نعوذ بالله من شرّ الفتن ) ، وفي مرسل السدي عند الطبري في نحو هذه القصة ( فقام إليه عمر فقبلَ رجله وقال : رضينا بالله رباً ) . فذكر مثله وزاد : ( وبالقرآن إماماً ، فأعف عفا الله عنك ، فلم يزل به حتى رضي .

وفي رواية شعيب ( ومحمد نبياً ) ووقع هنا ( فسكت حين قال عمر ، ثمّ قال النبي ﷺ : ( أولى ) . قال المبرّد : يقال للرجل إذا أفلت من معضلة (( أولى لك )) .

أي كدت تهلك ، وقال غيره هي بمعنى التهديد والوعيد (١)

ويؤخذ من هذا كنه أن النبي ﷺ قبل من عمر رضي الله عنه اعتذاره عن خطأ من أخطاء الصحابة رضوان الله عليهم حين أحفوه بالأسئلة ، وسكت ﷺ ورضي باعتذار عمر

(١) فتح الباري : ٢٨٣/١٣ - ٢٨٦ مختصراً .

وتجاوز عن الخطأ ، فأنقذ عمر رضي الله عنه الموقف .

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة حينما كتب إلى بعض المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : (( يا حاطب ما هذا ؟ ، قال يا رسول الله لا تعجل عليّ ... إلى آخر قصته رضي الله عنه ، وقبل منه النبي ﷺ عذره وقال : إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا سِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ )) (١) .

ولما جاءه المخلفون عن الخروج معه إلى تبوك ؛ يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعا وثمانين رجلا . فَقَبِلَ مِنْهُمْ عِلَانِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ (٢) .

فلم يعنّفهم ﷺ ولم يسبّهم ولم يشتمهم بل قبل أذارهم وعلانيتهم وتجاوز عن أخطائهم .

(١) البخاريّ : الجهاد : باب الجاسوس : ١٠٩٥/٣ ، رقم ٢٨٤٥ .

(٢) البخاريّ : المغازي : باب حديث كعب بن مالك : ١٦٠٥/٤ ، رقم ٤١٥٦ .

٩ - إشهار فضائلهم :

من أساليب تربية النبي ﷺ أصحابه أسلوب إشهار الفضائل ، وهو مبثوث في كتب السنة والسيرة ، ومن ذلك ما رواه عمران بن حصين قال : قال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، قَالَ : عِمْرَانُ : لا أُدْرِي أَدْرِي أَدْرِي النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنْ بَعَدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمِنُونَ ، وَيَسْتَهْذُونَ وَلا يُسْتَسْتَهْذُونَ ، وَيَذَرُونَ وَلا يَفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمْنُ » (١) .

وقال رسول الله ﷺ في أبي بكر : « إِنْ أَمَنَّ النَّاسَ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ . وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا . وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ ، لا تُبْقِينَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ » (٢) .

وفي حديث ابن مسعود : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي . وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ ﷻ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا » (٣) .

وفي عمر رضي الله عنه - روت عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ

(١) البخاري : الشهادات : باب لا يشهد على شهادة جور : ٩٣٨/٢ ، رقم ٢٥٠٨ .

(٢) مسلم : فضائل الصحابة : من فضائل أبي بكر : ١٨٥٤/٤ ، رقم ٢٣٨٢ .

(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه : رقم ٢٣٨٣ .

يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ )) (١) . قال ابن وهب : تفسير مُحَدَّثُونَ : ملهَمون .

وفي عثمان رضي الله عنه من حديث طويل قالت عائشة - رضي الله عنها - تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم : (( ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ؟ فَقَالَ : أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ )) (٢) .

وفي علي رضي الله عنه روى سعد بن أبي وقاص قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : (( أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي )) (٣) .

وقال جابر بن عبد الله : (( نَدَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَاثْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاثْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاثْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثَلَاثًا ، فَقَالَ : لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيُّ الزُّبَيْرِ )) (٤) .

وعن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأهل نجران : (( لِأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ . فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَ أَبَا

(١) مسلم : فضائل الصَّحابة : من فضائل عمر : ١٨٦٤/٤ ، رقم ٢٣٩٨

(٢) المصدر السابق : من فضائل عثمان : رقم ٢٤٠١ .

(٣) المصدر السابق : من فضائل علي : رقم ٢٤٠٤ .

(٤) البخاري : التمني : باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير طليعة واحدة : رقم ٦٨٣٣ ، ٢٦٥٠/٦ .

عُبَيْدَةَ)) (١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ » (٢) .

وعن مسروق قال : « كُنَّا نَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَنَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ - وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ عِنْدَهُ - فَذَكَرْنَا يَوْمًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ . فَقَالَ : لَقَدْ ذَكَرْتُمْ رَجُلًا لَا أزالُ أَحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ - قَبْدَأْ بِهِ - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ » (٣) .

وإشهار النبي ﷺ لفضائل أصحابه كثيرة جدًا)) (٤) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٦٨٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٦٨٢٨ .

(٣) مسلم : فضائل الصَّحَابَةِ : من فضائل عبدالله بن مسعود : ١٩١٣/٤ ، رقم ٢٤٦٤ .

(٤) راجع كتب الفضائل والمناقب في الصحيحين وفي السنن ، من ذلك في سنن الترمذي من الحديث رقم ٣٩١٧ - ٤٢٣٤ ، ومن ذلك الحديث في عمّار برقم ٤٦٣٤ في سنن النسائي ، وانظر أيضًا شرح السنة للالكائي : ٢٧٥٤/٣ ، ٢٧٦٤ ، ٢٦٢٥ ، وغيره كثير .

١٠ - شكرهم والثناء عليهم :

كان المصطفى ﷺ يشكر أصحابه ويثني عليهم بما يعلم أنه متحقق فيهم ، ويقول : « لا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ » (١) .

وعن أنس رضي الله عنه : « أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ذَهَبَتِ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ ، قَالَ : لا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ ، وَأَنْتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ » (٢) .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ على المنبر : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ، التَّحَدَّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ » (٣) .

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه : حديثين باب من أنثى على أخيه بما يعلم . الحديث الأول معلقاً ، وقد وصله في موضع آخر ، عن سعد بن أبي وقاص قال : « مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »

(١) سنن أبي داود : الأدب : باب في شكر المعروف : رقم ٤٨١١ ،

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩١٣/٢ ، رقم ٤٠٢٦ .

(٢) المصدر السابق في الموضوع نفسه ، رقم ٤٨١٢ ، وصححه الألباني في صحيح سننه في الموضوع السابق أيضاً برقم ٤٠٢٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٩٤/٦ ، رقم ١٨٤٧٦ ، دار الفكر .

ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٦٦٧ ، ج ٢/٢٧٦ . وعزاه أيضاً للقضاعي .

إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ } الْآيَةُ ، قَالَ : لَا أُدْرِي ، قَالَ مَالِكٌ : الْآيَةُ أَوْ فِي الْحَدِيثِ )) (١) .

والآخر ؛ عن سالم عن أبيه : (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ ذَكَرَ فِي الْإِزَارِ مَا ذَكَرَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ إِزَارِي يَسْفُطُ مِنْ أَحَدٍ شِقِّيهِ ؟ قَالَ : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ )) (٢) .

وقد كره النبي ﷺ الإطراء في المدح ، (( فقد سمع ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ ، فَقَالَ : أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ )) (٣) .

وعن أبي بكرة : (( أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - يَقُولُهُ مِرَارًا - إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ : أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا ، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ ، وَحَسْبِيئُهُ اللَّهُ ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا . قَالَ وَهُيْبٌ عَنْ خَالِدٍ : وَيْلَكَ )) (٤) .

(١) البخاريّ ، فضائل الصّحابة : مناقب عبدالله بن سلام : ١٣٨٧/٣ ، رقم ٣٦٠١ .

(٢) البخاريّ : الأدب : باب من أثنى على أخيه بما يعلم : ٢٢٥٢/٥ ، رقم ٥٧١٥ .

(٣) البخاريّ : الشهادات : باب ما يُكره من الإطناب في المدح ، وليقل ما يعلم : ٩٤٧/٢ ، رقم ٢٥٢٠ .

(٤) البخاريّ : الأدب : باب ما يُكره من التمداح : ٢٢٥٢/٥ ، رقم ٥٧١٤ .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الدَّبْحُ » (١) .

والثناء بحق لا يضرّ الرّجل الصالح الذي لا يُخشى عليه من العُجب والكبر والغرور ، أو التراخي عن العمل ، بل إن ذلك من عاجل بُشراه .

فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : « قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ » (٢) .

أمّا الجمع بين النهي الوارد في الأحاديث السابقة وغيرها ، وأحاديث الأمر بالشكر والثناء ، فقد قال ابن بطّال : « حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العُجب لظنه أنّه بتلك المنزلة ، وربما ضيّع العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به ، ولذلك تأوّل العلماء في الحديث الآخر : « احتوا في وجوه المدّاحين التراب » ، أن المراد من يمدح النّاس في وجوههم بالباطل ، وقال عمر : المدح هو الذبح ، قال : وأمّا من مدح

(١) سنن ابن ماجه : الأدب : باب المدح ، رقم ٣٧٤٤ .

وقد حسّنه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣٠٨/٢ ، رقم ٣٠١٧ .

(٢) مسلم : البر والصلة والآداب : باب إذا أثنى على الصالح فهي بُشْرَى ولا تضرّه : ٢٠٣٤/٤ ، رقم ٢٦٤٢ .



بما فيه فلا يدخل في النهي ، فقد مُدِحَ ﷺ في الشُّعْر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابًا . انتهى ملخصًا .

قال الحافظ : وأما ما مدح به النبي ﷺ فقد أرشد مادحيه إلى ما يجوز من ذلك بقوله ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم » .

وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة بأنَّ الجائزة يصحبها شرط أو تقريب ، والممنوعة بخلافها ، ويستثنى من ذلك ما جاء عن المعصوم فإنَّه لا يحتاج إلى قيد كالألفاظ التي وصف بها بعض الصحابة ، مثل قوله لابن عمرو : « نعم العبد عبدالله » .

وقال الغزالي : آفة المدح في المادح أنه قد يكذب وقد يُرائي الممدوح بمدحه ولاسيما إن كان فاسقًا أو ظالمًا .

وقد يقول ما لا يتحققه ممَّا لا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، ولهذا قال ﷺ : « فليقل أحسب » . كقوله إنَّه ورع ومثق وزاهد بخلاف ما لو قال : رأيتَه يصلي أو يحج أو يُزكي فإنَّه يمكن الاطلاع على ذلك ، ولكن تبقى الآفة على الممدوح فإنَّه لا يأمن أن يُحدث فيه المدح كبيرًا أو إعجابًا ، أو يكله على ما شهره به المادح فيفتتر عن العمل ، لأنَّ الذي يستمر في العمل غالبًا هو الذي يعدُّ نفسه مقصّرًا . فإن سلم المدح من هذه الأمور لم يكن به بأس ، وربما كان مستحبًا ، قال ابن عيينة : من عرف نفسه لم يضره المدح .

وقال بعض السلف : إذا مدح الرَّجُل في وجهه فليقل : اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون ، أخرجَه البيهقي في الشعب .

وقوله : ( ولا يزكي على الله أحداً ) . أي : لا أقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره لكون ذلك مغيباً عنه .

وقوله : ( باب من أثنى على أخيه بما يعلم ) أي : فهو جائز ، ومستثنى من الذي قبله ، والضابط أن لا يكون في المدح مجازفة ، ويؤمن على الممدوح الإعجاب والفتنة )) (١)

ويُستخلص ممّا سبق : جواز الثناء على من يستحقه بثلاثة شروط :

الأوّل : الثناء بما يعلم تحقّقه به ، وترك الإطراء وهو المبالغة في المدح ، فلا يجازف بكذبٍ أو مراعاة ، وخاصة إذا كان في الوجه أو كان فاسقاً أو ظالماً .

الثّاني : أن يؤمن على الممدوح الكبير والإعجاب لظنّه أنّه بتلك المنزلة ؛ أو يكلّه إلى ما شهره به المادح فيُسبّب له فتوراً عن العمل .

الثّالث : أن يشترط ؛ فيقول : أحسب فلاناً ، والله حسيبه ، ولا أزكي على الله أحداً .

(١) فتح الباري : ٤٩٢/١٠ - ٤٩٤ ، مختصراً مع تقديم وتأخير .



١١ - تفريج كرباتهم وقضاء حوائجهم :

كان النبي ﷺ يمشي في قضاء حوائج أصحابه وتفريج كرباتهم ، وقضاء ديونهم ، ومواساة من أصابته جائحة .

يقول النبي ﷺ : « أحبُّ النَّاسِ إلى الله تعالى أنفعهم للنَّاسِ ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله ﷻ سرورٌ يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا .

ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد ( يعني مسجد المدينة ) شهرًا ، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتَّى تنهيا له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام ، وإنَّ سوء الخلق يُفسدُ العمل كما يُفسدُ الخلَّ العسل ) (١) .

وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « المُسْلِمُ أُخُو المُسْلِمِ ، لا يظلمُهُ ولا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢) .

وكان يُعلم أصحابه أدعية لتفريج الكربات . فعن علي بن

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني : ٦٠٨/٢ ، رقم ٩٠٦ ، قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ، ص ٨٠ ، رقم ٣٦ . وقد حسن إسناده الألباني وعزاه إلى آخرين .

(٢) البخاري : المظالم : باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه : ٨٦٢/٢ ، رقم ٢٣١٠ .

أبي طالب عليه السلام قال : (( عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ بِي كَرَبٌ أَنْ أَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ))<sup>(١)</sup>

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرًا قَالَ : يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ))<sup>(٢)</sup>

ومن الأمثلة التطبيقية لتفريج الكربات :

عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال : (( نُوقِيَ أَبِي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَعَرَضْتُ عَلَى عُرْمَائِهِ أَنْ يَأْخُذُوا النَّمْرَ بِمَا عَلَيْهِ فَأَبَوْا ، وَلَمْ يَرَوْا أَنْ فِيهِ وَفَاءً .

فَأْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : إِذَا جَدَدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ فِي الْمَرْبِدِ أَذْنَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَجَاءَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَدَعَا بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ : ادْعُ عُرْمَاءَكَ فَأَوْفِيهِمْ .

فَمَا تَرَكْتُ أَحَدًا لَهُ عَلَى أَبِي دَيْنٌ إِلَّا قَضَيْتُهُ ، وَفَضَلَ

(١) مسند الإمام أحمد ، تحقيق أحمد شاکر : ٩١/١ ، وقال أحمد شاکر : ٨٧/٢ : إسناده صحيح .

(٢) الترمذي ، رقم ٣٥٢٤ ، قال محقق جامع الأصول ٢٩٦/٤ بعد تخريجه : قال الحافظ في تخريج الأذكار : وقد وقع لنا حديث أنس من وجه آخر أقوى من هذا لكنه مختصراً ، ثم أخرجه من طريق وقال بعد ذلك : حديث صحيح أخرجه ابن خزيمة وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه ، عن موسوعة نضرة النعيم : ١٠٥٦/٤ ، رقم ١٢ .

ثَلَاثَةَ عَشَرَ وَسَقًا ، سَبْعَةَ عَجْوَةٍ وَسِتَّةَ لَوْنٍ ، أَوْ سِتَّةَ عَجْوَةٍ  
وَسَبْعَةَ لَوْنٍ .

فَوَافَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ،  
فَضَحِكَ فَقَالَ : أَنْتِ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ فَأَخْبِرْهُمَا . فَقَالَا : لَقَدْ عَلِمْنَا إِذْ  
صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا صَنَعَ أَنْ سَيَكُونُ ذَلِكَ )) (١) .

وأمتلئة تفريج كربات الناس من قبله ﷺ كثيرة ، منها  
حديث بلال في السنن عندما كان النبي ﷺ إذا أتاه الإنسان  
مسلمًا فرآه عاريًا كان يأمره بالاقتراض فيشتري له كسوة ،  
وهو حديث طويل عجيب )) (٢) .

(١) البخاريّ : فتح الباري : ٣٦٥/٥ ، رقم الحديث ٢٧٠٩ ، كتاب  
الصلح : باب الصلح بين الغرماء .

(٢) سنن أبي داود : رقم ٣٠٥٥ ، وصحح إسناده الألباني ، انظر صحيح  
سنن أبي داود : الوصايا : باب في الإمام يقبل هدايا المشركين :  
٥٩٠/٢ ، رقم ٢٦٢٨ .

١٢ - زيارتهم وتفقد أحوالهم والاهتمام بهم :

كان النبي ﷺ يزور أصحابه ويهتم بهم ويتفقد أحوالهم ،  
وربما زار خاصة أصحابه في اليوم مرتين .

فمن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( لم أعقل أبويَّ  
إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمرَّ عليهما يومٌ إلا يأتينا فيه  
رسولُ الله ﷺ طرفي النهار ، بكرةً وعشيَّةً ، فبينما نحن  
جلوسٌ في بيتِ أبي بكرٍ في نحرِ الظَّهيرةِ ، قالَ قائلٌ : هذا  
رسولُ الله ﷺ ، في ساعةٍ لم يكنْ يأتينا فيها ، قالَ أبو بكرٍ :  
ما جاءَ به في هذه الساعةِ إلا أمرٌ . قالَ : إني قد أنزلتُ لي بالخروجِ  
)) (١) .

وكان ﷺ يطعمُ أحيانًا في زيارته أصحابه ويدعو لهم :

فمن أنس : (( أن رسولَ الله ﷺ زارَ أهلَ بيتٍ من  
الأَنْصارِ ، فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ ، أَمَرَ  
بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بَسَاطٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا  
لَهُمْ )) (٢) .

وكان ﷺ يُرغِّبُ في زيارة الإخوان ويقول : (( مَنْ عَادَ  
مَرِيضًا ، أَوْ زَارَ أَحَدًا لَهُ فِي اللَّهِ ؛ نَادَاهُ مُنَادٍ : أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمَشَاكَ ،

(١) البخاريّ : الأدب : هل يزور صاحبه كلَّ يومٍ ، أو بكرةً وعشيًّا :

٢٢٥٧/٥ ، رقم ٥٧٢٩ .

(٢) المصدر السابق : الموضع نفسه ، رقم ٥٧٣٠ .

وَتَبَوَّأَتْ مِنَ الْجَنَّةِ مَنَازِلًا ۖ (١)

ويُخبر بفضل الزيارة والمحبة في الله فيقول : « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ (٢) اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ (٣) مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا (٤) ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ ۖ » (٥)

وكان ﷺ يسأل عن أصحابه ويهتم بهم ويتفقدهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : « أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُومُ الْمَسْجِدَ ( أَوْ شَابًا ) فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهَا ( أَوْ عَنْهُ ) فَقَالُوا : مَاتَ ، قَالَ : أَفَلَا كُنْتُمْ آدِنْتُمُونِي ؟ قَالَ : فَكَأَنَّهُمْ صَعَرُوا أَمْرَهَا ( أَوْ أَمْرَهُ ) فَقَالَ : دُونِي عَلَى قَبْرِهِ ، فَدَلُّوهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ

(١) سنن الترمذي : البرّ والصلة : باب ما جاء في زيارة الإخوان : رقم ٢٠٩٣ .

وحسنه الألباني : انظر صحيح سنن الترمذي : ١٩٤/٢ ، رقم ١٦٣٣ .

(٢) أرصده لكذا : إذا وكله بحفظه .

(٣) المدرجة : الطريق .

(٤) تربُّها : تقوم بها وتسعى في صلاحها .

(٥) مسلم : البرّ والصلة : باب فضل الحبّ في الله : ١٩٨٨/٤ ، رقم ٢٥٦٧ .



بصَلَاتِي عَلَيْهِمْ)) (١) .

وعن أنس : (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ ، مُنْكَسًا رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا سَأَلْتَنِي ؟ فَقَالَ : شَرٌّ ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ مُوسَى : فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ ، فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ )) (٢) .

فصلى الله وسلم على الرحمة المهداة الذي اتسع قلبه للصغار والكبار ، والأغنياء والفقراء ، والوجهاء والضعفاء والمساكين .

والأمثلة التطبيقية في حياته ﷺ كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ، منها قصته ﷺ مع أبي هريرة وأهل الصفة ﷺ حين دعاهم وسقاهم اللبن ، وهي في البخاري .

وقصته ﷺ مع جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - حينما ذبح عناقا ، ودعا النبي ﷺ ، وقال : طَعِيمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، فدعا النبي ﷺ أصحابه

(١) مسلم : الجنائز : باب الصلاة على القبر : ٦٥٩/٢ ، رقم ٩٥٦ .

(٢) البخاري : ٦٨ - التفسير / الحجرات ٣٢٩ - باب { لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي } : ١٨٣٣/٤ ، رقم ٤٥٦٥ .

من المهاجرين والأنصار الذين كانوا في الخندق جميعاً .  
والقصة في الصحيحين .

وقصته ﷺ مع أبي طلحة وأمّ سليم وطعامهما ، وهو  
كسر من الخبر وعُكَّة آدمته بها ، فدعا ﷺ من كان من  
أصحابه معه في المسجد فكفاهم . والقصة في الصحيحين .

١٣ - عيادة مرضاهم :

كان النبي ﷺ حريصاً على عيادة المرضى من أصحابه ﷺ صِغَارًا وكِبَارًا ، رجالاً ونساءً ، أغنياء وفقراء على حدِّ سواء ، بل يعود خدمه من غير المسلمين .

خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : (( إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَكَانَ يَعُودُ مَرُضَانَا ، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا ، وَيَعْزُو مَعَنَا ، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ ، وَإِنَّ نَاسًا يُعَلِّمُونِي بِهِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَأَهُ قَطُّ )) (١) .  
وكان ﷺ يعود المساكين منهم .

فَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنِيفٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ مِسْكِينَةً مَرَضَتْ ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرَضِهَا - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ الْمَسَاكِينَ وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا مَاتَتْ فَأَذِّنُونِي . فَأُخْرِجَ بِجَنَازَتِهَا لَيْلًا ، وَكَرَهُوا أَنْ يُوقِظُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ بِالَّذِي كَانَ مِنْهَا ، فَقَالَ : أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تُؤَذِّنُونِي بِهَا ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَرِهْنَا أَنْ نُوقِظَكَ لَيْلًا ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَفَّ بِالنَّاسِ عَلَى قَبْرِهَا ، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ )) (٢) .

(١) المسند للإمام أحمد : ٣٧٨/١ ، رقم ٥٠٤ ، قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده حسن .

(٢) سنن النسائي : الجنائز : باب الإذن بالجنزة .  
وقد صححه الألباني ، انظر : صحيح سنن النسائي : ٤١١/٢ ، رقم ١٧٩٩ .

وفي رواية له : قال : (( مَرَضَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِي ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ شَيْءٍ عِبَادَةً لِلْمَرِيضِ )) (١) .  
عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ ... )) (٢) الحديث . والعيادة من العود .

وفي حديث عائشة بنت سعد ، ورد في آخره : (( ... ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَبَطْنِي ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا ، وَأْتَمِّمْ لَهُ هِجْرَتَهُ . فَمَا زِلْتُ أُحَدِّثُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي فِيمَا يُخَالُ إِلَيَّ حَتَّى السَّاعَةِ )) (٣) .

وكان ﷺ يعود المريض راكبًا و ماشيًا ، وَرَدَّفًا عَلَى الْحِمَارِ ، فَعِنَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ : (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ ، عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ ؛ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ ... )) (٤) الحديث .

بل عاد ﷺ غلامًا يهوديًا كان يخدمه .

- 
- (١) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، وصححه الألباني برقم ١٨٧٢ .  
(٢) البخاري : النفقات : باب فضل النفقة على الأهل : ٢٠٤٧/٥ ، رقم ٥٠٣٩ .  
(٣) البخاري : المرضى : باب وضع اليد على المريض : ٢١٤١/٥ ، رقم ٥٣٣٥ .  
(٤) البخاري : المرضى : باب عيادة المريض راكبًا و ماشيًا ، وَرَدَّفًا عَلَى الْحِمَارِ : ٢١٤٣/٥ ، رقم ٥٣٣٩ .

فعن أنس رضي الله عنه قال : (( كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَمَرَضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ ؛ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْلِمَ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَطِيعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ )) (١) .

وهذا من رحمته ﷺ بالناس كافة ، إذ أنقذ الله به هذا اليهودي في اللحظات الأخيرة الحاسمة .

وعن جابر رضي الله عنه قال : (( جَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي لَيْسَ بِرَأَكِبٍ بَعْلٍ وَلَا بِرُدُونٍ )) (٢) .

وكان ﷺ إذا عاد مريضاً أو جيء به يدعو له :

فعن عائشة - رضي الله عنها - (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أَتِيَ بِهِ ، قَالَ : أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ؛ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا )) (٣) .

وكان ﷺ يُرْعَبُ في عيادة المريض ، ويحثُّ عليها :

(١) البخاريّ : الجنائز : باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلّى عليه : ٤٥٥/١ ، رقم ١٢٩٠ .

(٢) البخاريّ : المرضى : باب عيادة المريض : ٢١٤٤/٥ ، رقم ٥٣٤٠ .

(٣) البخاريّ : المرضى : باب دعاء العائد للمريض : ٢١٤٧/٥ ، رقم ٥٣٥١ .

فَعَنْ ثَوَيْرٍ <sup>(١)</sup> عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي ، قَالَ :  
 انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُودُهُ ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى ، فَقَالَ  
 عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَعَانِدَا جِنْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا ؟ فَقَالَ : لَا بَلْ  
 عَائِدًا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ  
 يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً ، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنْ عَادَهُ  
 عَشِيَّةً ، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي  
 الْجَنَّةِ » <sup>(٢)</sup> .

(١) ثوير بن أبي فاختة ، واسمه : سعيد بن علاقة ، وكان من موالي أم هانئ بنت أبي طالب .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الجنائز : باب ما جاء في عيادة المريض :  
 رقم ٩٨٣ .

وصححه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢٨٦/١ ،  
 رقم ٧٧٥ .

١٤ - الشفاعة الحسنة لهم ، وقبولها منهم :

وكان ﷺ يشفع لذوي الحاجات ، فيما ليس بحرام ، ويقبل الشفاعة ، ويأمر بها .

فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ ، أَقْبَلَ عَلَى جُلْسَانِهِ فَقَالَ : اشْفَعُوا فَلْتُوَجَّرُوا ، وَلَيَقُضَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبُّ » (١) .

قال القاضي عياض : « الشفاعة لأصحاب الحوائج والرغبات عند السلطان وغيره مشروعة محمودة ، مأجورٌ عليها صاحبها بشهادة هذا الحديث ، وشهادة كتاب الله { مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً } (٢) . على أحد التأويلين . وفيه أن معونة المسلم في كلِّ حال بفعلٍ أو قولٍ فيها أجر ، وفي عموم الشفاعة للمذنبين ، وهي جائزة فيما لا حدّ فيه عند السلطان وغيره ، وله قبول الشفاعة فيه والعفو عنه ، إذا رأى ذلك ، كما له العفو عنه ابتداءً ، وهذا فيمن كانت منه الزلّة والفلتة ، وفي أهل الستر والعفاف ، ومن طمع بوقوعه عند السلطان والعفو عنه من العقوبة أن يكون له توبة .

وأما المصيرُون على فسادهم ، المستهزئون في باطلهم ، فلا تجوز الشفاعة لأمثالهم ولا ترك السلطان عقوبتهم ، ليزدجروا عن ذلك ، وليرتدع غيرهم بما يفعل بهم ، وقد جاء

(١) مسلم : كتاب البرّ والصلة : باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام :

٢٠٢٦/٤ ، رقم ٢٦٢٧ .

(٢) النساء : الآية ٨٥ .

الوعيد في الشفاعة في الحدود» (١).

وقال عروة بن الزبير : « لقي الزبير سارقاً ، فَشَفَعَ فِيهِ ، فقيل له : حَتَّى يَبْلُغَ الْإِمَامَ ، فَقَالَ : إِذَا بَلَغَ الْإِمَامَ فَلَعَنَ اللَّهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفَّعَ » (٢).

وقال عكرمة : « إِنَّ عَبَّاسًا وَعَمَّارًا وَالزَّبِيرَ ، أَخَذُوا سَارِقًا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ ، فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : بئسما صنعتما حين خَلَّيْتُمَا سَبِيلَهُ ؛ فَقَالَ : لَا أُمَّ لَكَ ! أَمَا لَوْ كُنْتَ أَنْتَ لَسَرَّكَ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَكَ » (٣).

وقال الحافظ : « نقل ابن عبد البر وغيره جواز الشفاعة فيما يقتضي التعزير » (٤).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي الشَّيْءَ فَأَمْنَعُهُ ، حَتَّى تَشْفَعُوا فِيهِ فَنُؤَجِّرُوا ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : اشْفَعُوا تُؤَجَّرُوا » (٥).

- (١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض : ١٠٧/٨ .
- (٢) قال الحافظ في الفتح : رواه الطبراني ، وقال : والحديث عند ابن أبي شيبة بسند حسن : ٨٧/١٢ .
- (٣) قال الحافظ في الفتح : أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح : ٩٠/١٢ .
- (٤) فتح الباري : ٩٠/١٢ بتصرف .
- (٥) سنن النسائي : كتاب الزكاة : باب الشفاعة في الصدقة ، رقم الباب

٦٥

وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي : ٥٣٩/٢ ، رقم ٢٣٩٧ .



ومن الأمثلة التطبيقية له ﷺ في الشفاعة لأصحابه :  
 ما رواه جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - : (( أنَّ أباهُ  
 تُؤْفَى وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسَقًا لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَاسْتَنْظَرَهُ  
 جَابِرٌ فَأَبَى أَنْ يُنْظَرَهُ ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَشْفَعَ لَهُ  
 إِلَيْهِ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ ثَمَرَ نَخْلِهِ  
 بِالَّذِي لَهُ فَأَبَى ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ فَمَشَى فِيهَا ، ثُمَّ  
 قَالَ لِجَابِرٍ : جَدُّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ .

فَجَدَّهُ بَعْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَوْفَاهُ ثَلَاثِينَ وَسَقًا ،  
 وَفَضَّلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسَقًا ... )) (١) الحديث .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - (( أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ  
 كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي  
 وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ : يَا عَبَّاسُ !  
 أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ  
 ﷺ : لَوْ رَاجَعْتَهُ . قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : إِنَّمَا أَنَا  
 أُنْشَعُ . قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ )) (٢) .

وفي رواية أخرى له : (( كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتْبَعُهَا فِي سِكَكِ  
 الْمَدِينَةِ يَبْكِي عَلَيْهَا )) (٣) .

(١) البخاري : الاستقراض : باب إذا قاصَّ أو جازفه في الدين : ٨٤٤/٢ ،  
 رقم ٢٢٦٦ .

(٢) البخاري : الطلاق : باب شفاعة النَّبِيِّ ﷺ في زوج بريرة : ٢٠٢٣/٥ ،  
 رقم ٤٩٧٩ .

(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه : رقم ٤٩٧٧ .

وفي رواية أخرى أيضاً : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ  
وَرَاءَهَا فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ » (١) .

ولقد كان الإمام أحمد - رحمه الله - قدوةً في تطبيق  
المنهج النبوي مع تلاميذه :

فقد سأله أحدُ تلاميذه فقال : رجلٌ ظلمني وتعدّى عليّ ووقع  
في شيءٍ عند السلطان ، أعين عليه عند السلطان ؟ قال أحمد : «  
لا ، بل اشفع فيه إن قدرت » ، قال : سرقتني في المكيال  
والميزان ، أَدَسَّ إليهِ من يوقفه على السرقة ؟ قال أحمد : « إن  
وقع في شيءٍ فقدرت أن تشفع له فاشفع له » (٢) .

(١) المصدر السابق : الموضع نفسه : رقم ٤٩٧٨ .

(٢) الآداب الشرعية ، لابن مفلح : ٢٠٣/٢ .

١٥ - الذب عن أعراضهم :

من منهج النبي ﷺ ، وأساليبه التربوية مع أصحابه :  
الذب عن أعراضهم والدفاع عنهم ، وعدم سماع الخوض في  
أعراضهم ، وغيبتهم ، والإنكار على من يخوض فيها ونهيه  
، والقول بما يعرف عنهم .

فَعَنْ عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِهِ الطويل المشهور .  
قال : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ . فَقُمْنَا فَصَفْنَا ، فَصَلَّى  
رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ، قَالَ : وَحَبَسْنَا عَلَى خَزِيرَةَ صَنَعْنَاهَا لَهُ ،  
قَالَ : فَأَبَى فِي الْبَيْتِ رَجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ دَوُّوْ عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا  
، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِ بْنِ أَيْمَنِ الدُّخَيْشِيِّ ؟  
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ  
وَجَهَّ اللَّهُ ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ  
وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ  
عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ (١) .

(١) البخاريّ : المساجد : باب المساجد في البيوت : ١٦٤/١ ، رقم ٤١٥

خزيرة : قال ابن الأثير : لحمٌ يُقَطَّعُ صَغَارًا ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ  
، فَإِذَا نَضُجَ دُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَحْمٌ فَهُوَ عَصِيدَةٌ . انظر  
: النُّهَيْيَّة : ٢٨/٢ .

فتاب : أي اجتمعوا بعد أن تفرّقوا . قال الخليل : المثابة : مجتمع  
النَّاسِ بَعْدَ افْتِرَاقِهِمْ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْبَيْتِ : مَثَابَةٌ . انظر : فتح الباري :  
٦٢٠/١ ، ٦٢١ .

=

قال الحافظ : (( من نَسَبَ من يُظهر الإسلام إلى النفاق ونحوه بقريظة تقوم عنده لا يكفر بذلك ، ولا يفسق ، بل يُعذر بالتأويل ))<sup>(١)</sup> ويبقى على الأصل الذي أظهره .

وقد روى ابن إسحاق في كلام وقع بين عبدالرحمن بن عوف وخالد بن الوليد - رضي الله عنهما - بعد مسير خالد إلى بني جذيمة من كنانة بتهامة . قال : (( حتى كان بينهما شرٌّ . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « مهلاً يا خالد . دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحدٌ ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجلٍ من أصحابي ولا روحته ))<sup>(٢)</sup> .

وقد أخرجه الإمام مسلم عن أبي سعيد ، قال : (( كَانَ بَيْنَ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ))<sup>(٣)</sup> .

وقد ذنب النبي ﷺ الغيبة عن نفسه بالمال :

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أبا عر ؛ فسخطها ، فعاتب رسول الله ﷺ ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ فذكر قصيدة ، ومنها :

وفي مختار الصحاح : تاب الناس ؛ اجتمعوا وجاءوا . ص ٣٨ .

(١) فتح الباري : ١/٦٢٣ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ١٠٤/٤ . قال الهيثمي في المجمع : ١٥/١٠ : ورجاله رجال الصحيح . وهو بألفاظ قريبة من هذه .

(٣) مسلم : فضائل الصحابة : باب تحريم سب الصحابة : ١٩٦٧/٤ ، رقم ٢٥٤١ .

فأصبح نهى ونهب العبيد ❁ د بن عينة والأقرع

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله ﷺ : (( اذهبوا به ، فاقطعوا عني لسانه ، فأعطوه حتى رضي ، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ )) (١) .

وكان المصطفى ﷺ يُحذّر من انتهاك حُرّمات المؤمنين ، دمًا ، وعرضًا ، ومالًا ، فعن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : (( ألا أي شهر تعلمونه أعظم حُرمة ؟ قالوا : ألا شهرنا هذا ، قال : ألا أي بلد تعلمونه أعظم حُرمة ؟ قالوا ألا بلدنا هذا ، قال : ألا أي يوم تعلمونه أعظم حُرمة ؟ قالوا ألا يومنا هذا ، قال : فإن الله تبارك وتعالى قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟ ثلاثا . كل ذلك يجيبونه ألا نعم ، قال : ويحكم ، أو ويلكم لا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض )) (٢) .

(١) السيرة لابن هشام : ١٩١/٤ ، ١٩٢ . قال المحققان : الدكتور همام سعيد ومحمد ابن عبدالله أبو صعيليك بهامشه : فيكون الحديث ضعيفًا من طريق ابن إسحاق ، وله شاهد في حديث رافع رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه : ١٠٧/٣ ، وبه فيكون الحديث حسنًا .

(٢) البخاري : الحدود : باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق : ٢٤٩٠/٦ ، رقم ٦٤٠٣ .

وَيُرْعَبُ فِي الدَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ : « مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) . وَقَالَ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » (٢) .

وقد تعلم الصحابة - رضوان الله عليهم هذا الخلق والأدب العظيم ، وأصبح سلوكًا عمليًا واقعيًا لهم يقفون عنده ويدافعون عنه .

فعن أنس بن مالك قال : « قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي ؟ قَالَ : فَأَنْطَلِقَ إِلَيْهِ . وَرَكِبَ حِمَارًا . وَأَنْطَلِقَ الْمُسْلِمُونَ . وَهِيَ أَرْضٌ سَبَخَةٌ . فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : إِلَيْكَ عَنِّي . فَوَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَنْتُ حِمَارَكَ . قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَاللَّهِ لِحِمَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ . قَالَ : فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ . قَالَ : فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ .

قَالَ : فَكَانَ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَبِالْأَيْدِي وَبِالنَّعَالِ . قَالَ : فَبَلَّغْنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِمْ : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا

(١) سنن الترمذي : أبواب الأشرية : باب ما جاء في الدَّبِّ عن المسلم : رقم ٢٠١٣ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن الترمذي : ١٨١/٢ ، رقم ١٥٧٥ .

(٢) البخاري : الإيمان : باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده : ١٣/١ ، رقم ١٠ .

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا { ((<sup>(١)</sup> .

وفي حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال : (( وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ يَتَّبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبٌ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ . فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِنَسَ مَا قُلْتَ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا . فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ )) ((<sup>(٢)</sup> الحديث .

(١) مسلم : الجهاد والسير : باب في دعاء النبي ﷺ وصيره على أذى

المنافقين : ١٤٢٤/٣ ، رقم ١٧٩٩ .

(٢) البخاري : المغازي : باب حديث كعب : ١٦٠٤/٤ ، رقم ٤١٥٦ .

١٦ - التأليف بين قلوبهم :

والمقصود بهذا الأسلوب ، أن الله ﷻ هو الذي يؤلف بين القلوب المتنافرة ؛ به ﷻ ، وعلى يديه ، وأن هذا من الله وإليه ، فلا يستطيع ملكٌ مُقَرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مرسلٌ أن يؤلف بين القلوب ؛ ولكن الله أَلَفَ بينهم .

قال الله تعالى : { وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ = ٦٢ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (١) .

قال العلامة ابن كثير : (( أي : جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك )) (٢) .

عن عبدالله ﷺ أنه قال : (( نزلت هذه الآية في المتحابين في الله : { لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } )) (٣) .

قال أبو جعفر الطبري : (( { وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } : وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج بعد التفرُّق

(١) الأنفال : الآيتان ( ٦٢ ، ٦٣ ) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٦٠٥/٤ ، طبعة دار ابن حزم الأولى .

(٣) المستدرک للحاکم : ٣٥٩/٢ ، تفسير سورة الأنفال ، رقم الحديث ٣٢٦٩ ، وقال : هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .



والتشتت ، على دينه الحقّ ، فصيرّهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً ، وإخواناً بعد أن كانوا أعداء ، وقوله : { لَوْ أَنْفَقْتَ } ، يا محمّد ما في الأرض جميعاً من ذهب وورقٍ وعرضٍ ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ، ولكن الله جمعها على الهدى فألفت واجتمعت . تقوية من الله لك وتأيداً منه ومعونة على عدوك )) (١) .

وقد خطب النبي ﷺ الأنصار في شأن غنائم حنين فقال : (( يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَلَمْ أُجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي ، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي ، وَعَالَةً فَأَعَانَاكُمْ اللَّهُ بِي ؟ كَلِمًا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ )) (٢) .

فالتأليف منه ﷺ كهداية الدلالة والإرشاد من أقسام الهداية ، فهداية التوفيق هذه بيد الله ، أمّا هداية الدلالة والإرشاد فهذه مهمّة النبي ﷺ .

وفي التأليف كذلك : قام المصطفى ﷺ بما يملك من التقريب بين القلوب المتنافرة ، وأوّل ذلك : الدعوة إلى الهدى والإيمان ، وتوحيد العبادة ، عبادة الله ﷻ ، وهي كمال المحبّة مع غاية الدّل له ، ثمّ اتباع النبي ﷺ ومحبّته بتلك المحبّة الأولى ، ثمّ محبّة ما يحبّه الله ورسوله ، وأوّل ذلك محبّة المؤمنين .

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ٤٥/١٤ مختصراً ، طبعة شاكر .

(٢) البخاريّ : المغازي : باب غزوة الطائف : ١٥٧٤/٤ ، رقم ٤٠٧٥ .

فعبادة الله وحده ومحبته تقتضي محبة المؤمنين وبغض الكافرين ، فالدعوة إلى عبادة الله وحده هي أساس التأليف بين القلوب ، قال الله تعالى : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى } (١) .

فالاجتماع والألفة والمحبة هي من سمات هذا الدين ومن خصائصه ، قال الله تعالى : { وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (٢) .

أما الفرقة ، والتنازع ، والتشاحن ، ففيها ذهاب ربح المؤمنين وقوتهم ، وذلك دخيلٌ على أمة الإسلام .

وقد سلك النبي ﷺ بعد تأسيس هذه القاعدة والأصل العظيم مسالك شتى في تأليف القلوب ، ورأب صدعها ، وبادر ﷺ إلى نزع فتيل الاختلاف ونبذ بوادر الفرقة والشحناء كلما لاحت في الأفق .

ومن أساليبه ﷺ في تأليف القلوب : الأمر بإفشاء السلام وبذله لمن عرف ولمن لم يُعرف ، وحفظ حقوق الأخوة الإيمانية ، والقيام بأدائها ، وإصلاح ذات البين ، والعدل بينهم ، ومواساتهم ، وعبادة مرضاهم ، وزيارتهم في الله ،

(١) الأنعام : الآية ( ٣٥ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ١٠٣ ) .

وقضاء حوائجهم ، وتفريج كرباتهم ، ومناصرتهم ومؤازرتهم ، والتواضع لهم ، وخفض الجناح ، والصبر والحلم عليهم ، والوفاء بالوعد والعهد ، وإخراج الزكاة في فقرائهم ومساكينهم . ثم منع كل ما يشوب ذلك ويعكّر عليه ، وحدّر منه .

ومن ذلك : تحريم غشّ المسلمين وخيانتهم ، والبيع على بيع بعض ، والخطبة على خطبة أخيه ، وحرّم الظلم ، والكبر ، والبغي ، واحتقار الناس وازدراؤهم ، والنعرات الجاهلية ، وغير ذلك ممّا هو مبنوث تحريمه في كتب الشريعة .

فمن أساليبه ﷺ في توثيق أواصر المحبة والأخوة الإيمانية ، والتأليف بين القلوب ؛ الترغيب الشديد في المحبة في الله ، والإخبار بما أعدّه الله للمتحابين بجلال الله .

فعن جرير : « أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :  
 إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِأَنْسَاءَ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ ، وَلَا شُهَدَاءَ ، يَعْطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! نُخْبِرُنَا  
 مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا  
 أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ وُجُوهُهُمْ لِنُورٍ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا  
 خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : { أَلَا إِنَّ  
 أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (١) (١) .

(١) يونس : الآية ( ٦٢ ) .

ومن أساليبه ﷺ : ما مرّ آنفاً في خطبته في الأنصار في شأن غنائم حنين وتأليفهم وتهديتهم وإعلامهم بما يُكِنُّه لهم ﷺ من المحبة والتقدير ، وتذكيرهم بنعم الله عليهم ، وأنّ النَّاسَ يعودون بالشاة والبعير وهم يعودون برسول الله ﷺ .  
فمما قال ﷺ : « أترضون أن يذهب النَّاسُ بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ؟ لو لا الهجرة لكنتُ امرأً من الأنصار ، ولو سلك النَّاسُ واديًا وشعبًا لسلكتُ وادي الأنصار وشعبها ، الأنصارُ شعارٌ ، والنَّاسُ ديارٌ . إنكم ستلقون بعدي أثرةً ، فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض » (٢) .

ومن طرق تأليفه ﷺ : الحثّ على خلق التسامح مع النَّاسِ وإنظار المُعسِرِ ، وذلك بإخبارهم بقصص السابقين .

فمن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . فَقَالُوا : أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا . قَالُوا : تَذَكَّرَ . قَالَ : كُنْتُ أَدَايُنُ النَّاسِ . فَأَمْرُ فَيْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ ، وَيَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ . قَالَ : قَالَ اللَّهُ ﷻ : تَجَوَّزُوا عَنْهُ » (٣) .

ومن ذلك أيضًا : الحثّ على الهدية بينهم ، وبيان أنّها سبب في المحبة :

فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تهادوا

(١) سنن أبي داود : الإجارة : باب ٤٢ في الرهن : رقم الحديث ٣٥٢٧ .

(٢) البخاري : المغازي : غزوة الطائف : ١٥٧٤/٤ ، رقم ٤٠٧٥ .

(٣) مسلم : كتاب المساقاة : باب فضل إنظار المعسر : ١١٩٤/٣ ، رقم ١٥٦٠ .

تحابُّوا» (١) .

وقد حافظ النبي ﷺ على صفاء الأخوة والألفة بين الصحابة ﷺ ، بمنع كل ما يكررها ، ومن ذلك :

ما رواه ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه ، إلا أن يأذن له » (٢) .

وعنه ﷺ : « أن رسول الله ﷺ نهى عن النجش » (٣) .

ومنه أيضاً ما رواه جابر ﷺ حيث يقول : « غزونا مع النبي ﷺ وقد تاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا ، وكان من المهاجرين رجلاً لعاباً ، فكسع (٤) أنصاريًا ، فعضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا ، وقال الأنصاري : يا لأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فخرج النبي ﷺ فقال : ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ ثم قال : ما شأنهم ؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري ، قال : فقال

(١) مسند أبي يعلى : ج ١ .

وحسنه الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير : ٥٦/٣ ، رقم ٣٠٠١ .

(٢) مسلم : البيوع : باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه ، وسومه على سومه ، وتحريم النجش ، وتحريم التصرية : ١١٥٤/٣ ، رقم ١٤١٢ .

(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه : رقم ١٥١٦ .

(٤) فكسع : أي ضرب دبره بيده . النهاية : ١٧٣/٤ .

النَّبِيُّ ﷺ : دَعُوها فَإِنَّها خَبِيئَةٌ ((<sup>(١)</sup>) .

وفي رواية أخرى لجابر رضي الله عنه قال : (( كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً : فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . فَقَالَ : دَعُوها فَإِنَّها مُنْتَنَةٌ . فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَحْلَةَ : فَعَلَوْها ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ . فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِي أُضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ . وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ ))<sup>(٢)</sup> .

قال ابن إسحاق : (( ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى ، وَلَيْلَتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَصَدْرُ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى آذَنَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيَامًا .

وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ

(١) البخاريّ : المناقب : باب ما يُنهي عن دعوى الجاهلية : ١٢٩٦/٣ ، رقم ٣٣٣٠ .

(٢) البخاريّ : التفسير : باب قوله : { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ } : ١٨٦١/٤ ، رقم ٤٦٢٢ .

الذي كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبيّ (١) .  
وفي هذه القصة أسلوبان تربويان مهمّان من أساليب  
النبي ﷺ :

**الأوّل :** أنّ النبي ﷺ لم يقتل عبدالله بن أبيّ كما استأذنه  
عمر رضي الله عنه في ذلك . وذلك حفاظاً على سمعة وليّ أمر  
المسلمين من تهمة الأمر بقتل من دخل في هذا الدين ، بناءً  
على الأصل في إظهاره الإسلام ، رغم علم النبي ﷺ بنفاقه

...

وفي ذلك سدّ لذريعة الإشاعة .

**الثاني :** مسيره ﷺ بهم طوال ذلك اليوم حتّى أمسى ، ثمّ  
طوال الليل حتّى أصبح ، وصدراً من يومهم ذلك ، حتّى  
آذنتهم الشمس .

وهنا تجلّت حكمة المصطفى ﷺ العملية في أثناء الحدث ،  
ذلك الموقف العصيب الذي كان يمكن أن يكون سبباً في اقتتال  
الصّحابة - رضوان الله عليهم - وخسارة عدد كبير منهم ، ثمّ  
بعده التفرّق وذهاب الرّيح .

**ففاعل ذلك لإتعايبهم وإجهادهم بالسير والسّهر والسّفّر  
وإشغالهم بأنفسهم عن الخوض في الفتنة التي كادت أن ترفع  
أطنابها .**

وبالفعل فقد ظهرت ثمرات هذه الحكمة العملية الجليّة ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي ذرّ الخشني : ٤٠٤/٣ . وقد  
أورد هذا النّص الدكتور أكرم العمري في كتابه السيرة النبوية  
الصحيحة : ٤٠٩/٢ ، ٤١٠ .

فما أن لامست الأرض أجسادهم حتَّى وقعوا نيامًا . وأخذت  
نار الفتنة في مهدها .



١٧ - قبول هداياهم ، ومكافأتهم عليها :

وكان من منهجه ﷺ قبول هداياهم - وإن قلت - وإثابتهم عليها . تألفاً لقلوبهم ، وتعويذاً لهم على السخاء ، والأخذ والعطاء ، فهذا مما يُعمق المحبة والتألف والترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لو دُعيتُ إلى ذراعٍ أو كراعٍ لأجبتُ ، ولو أُهديَ إليَّ ذراعٌ أو كراعٌ لقبلتُ » (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - « أنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ ، يَبْتَغُونَ بِهَا ، أَوْ يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ مَرَضَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (٢) .

وكان يقبل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، ويأذن لأصحابه بأكلها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ : أَهْدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَإِنْ قِيلَ : صَدَقَةٌ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُلُوا ، وَلَمْ يَأْكُلْ ، وَإِنْ قِيلَ : هَدِيَّةٌ ، ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ » (٣) .

وكان ﷺ يقبل الهدية ولو كان المُهدي ملكها عن طريق

- 
- (١) البخاري : الهبة : باب القليل من الهبة : ٩٠٨/٢ ، رقم ٢٤٢٩ .  
 (٢) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، باب قبول الهدية ، رقم ٢٤٣٥ .  
 (٣) المصدر السابق ، الموضوع نفسه : رقم ٢٤٣٧ .

الصدقة .

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : (( أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِلَحْمٍ ، فَقِيلَ : نُصَدِّقْ عَلَى بَرِيرَةَ ، قَالَ : هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ )) (١) .

ومن هديه ﷺ المكافأة على الهدية ، قالت عائشة رضي الله عنها : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُنِيبُ عَلَيْهَا )) (٢) .

وكان ﷺ يحثُّ على التهادي بين المسلمين ويقول : (( تهادوا تحابوا )) (٣) . فبين أن الهدية سببٌ في كسب القلوب .

وحدّث عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ثَمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَنَآوَلَنِي طِيبًا ، قَالَ : كَانَ أَنَسُ رضي الله عنه لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ ، قَالَ : وَزَعَمَ أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ )) (٤) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم ٢٤٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه : باب المكافأة في الهبة : رقم ٢٤٤٥ .

(٣) سبق تخريجه في التأليف بين القلوب .

(٤) البخاري : الهبة : باب ما لا يُردُّ من الهدية : ٩١٢/٢ ، رقم ٢٤٤٣ .

١٨ - عتابهم ، وإنكار المنكر عليهم :

ومن أساليبه ﷺ في تربيتهم ، عتابهم وإنكار المنكر عليهم إذا لزم الأمر بعد تحقُّقه وتنبُّته من المعاتب .

وقد يكون ذلك العتاب بينه وبين ذلك الشخص ، كما هو الحال مع أبي ذرٍّ حينما اشتكاه بلال إلى النَّبي ﷺ عندما عيَّره بأُمَّه وقال : يا ابن السوداء .

فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : (( كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَنِلْتُ مِنْهَا ، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي : أَسَابَيْتَ فُلَانًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ . قُلْتُ : عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السَّنِّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيَعْنُهُ عَلَيْهِ )) (١) .

فبعد أن تثبت النَّبي ﷺ من أبي ذرٍّ بتقريره وتأكد من ذلك عاتبه بهذه الكلمة القاسية ، ولم يجامله في ذلك ، ثمَّ

(١) البخاريّ : الأدب : باب ما يُنهى عنه من السَّبَاب واللَّعْن : ٢٢٤٨/٥ ، رقم ٥٧٠٣ .

ومعنى : إنك : امرؤٌ فيك جاهلية : أي أن فيك خصلة من خصال الجاهلية ما زالت فيك ، و ( هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السَّنِّ ) قال في الفتح : أي هل فيَّ جاهلية ، أو جهل وأنا شيخٌ كبير ؟ الفتح : ٤٨٣/١٠ في شرح حديث رقم ٦٠٥٠ .

علمه كيف يتعامل مع الخدم ، وأخبره بأنهم إخوانهم .

وعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقْرَةَ ، قَالَ : فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ : إِنَّهُ مُنَافِقٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا ، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ ، فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ ، فَتَجَوَّزْتُ ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا مُعَاذُ ! أَفَتَأْنُ أَنْتَ ؟ تَلَانًا . اقرأ : وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا ، وَسَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَنَحَوَهَا )) (١) .

وفي رواية فقال : (( فَتَانٌ ، فَتَانٌ ، فَتَانٌ ، ثَلَاثَ مِرَارٍ ، أَوْ قَالَ : فَاتِنًا ، فَاتِنًا ، فَاتِنًا )) (٢) .

وفي رواية ثالثة : (( فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا مُعَاذُ ! أَفَتَأْنُ أَنْتَ ؟ أَوْ أَفَاتِنٌ ؟ ثَلَاثَ مِرَارٍ ، فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ ، وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا ، وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى . فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ ، وَالضَّعِيفُ ، وَدُوَ الْحَاجَةِ )) (٣) . أَحْسِبُ هَذَا فِي

(١) البخاريّ : الأدب : باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً : ٢٢٦٤/٥ ، رقم ٥٧٥٥ .

(٢) البخاريّ : الجماعة والإمامة : باب إذا طوّل الإمام ، وكان للرجل حاجة فخرج فصلّى : ٢٤٨/١ ، رقم ٦٦٩ .

(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه : باب من شكّا إمامه إذا طوّل : رقم ٦٧٣ .

الْحَدِيثُ .

وفي رواية رابعة عن جابر أيضاً قال : (( كَانَ مُعَادٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَوْمُ قَوْمَهُ ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ ، فَأَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ ، فَأَنْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ ، وَأَنْصَرَفَ . فَقَالُوا لَهُ : أَنْأَفَقْتَ يَا فُلَانُ ؟ قَالَ : لَا . وَاللَّهِ ! وَلَا تَيِّنَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَاخْبِرْتَهُ . فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحٍ ، نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ . وَإِنَّ مُعَادًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ أَتَى فَأَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مُعَادٍ فَقَالَ : يَا مُعَادُ ! أَفَتَأْنُ أَنْتَ ؟ أَفَرَأَ بِكَذَا ، وَأَفَرَأَ بِكَذَا )) (١) .

وفي رواية خامسة لجابر : (( فَقَالَ مُعَادٌ : لَئِنْ أُصْبِحْتُ لِأَذْكُرَنَّ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَى مُعَادُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! عَمِلْتُ عَلَى نَاضِحِي مِنَ النَّهَارِ ، فَجِئْتُ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَقَرَأَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا ، فَطَوَّلَ ، فَأَنْصَرَفْتُ فَصَلَّيْتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفَتَأْنُ يَا مُعَادُ ، أَفَتَأْنُ يَا مُعَادُ ، أَفَتَأْنُ يَا مُعَادُ )) (٢) .

(١) مسلم : الصلاة : باب القراءة في العشاء : ٣٣٩/١ ، رقم ٤٦٥ .

(٢) سنن النسائي : كتاب الإمامة : باب رقم ( ٣٩ ) ، باب خروج الرجل من صلاة الإمام وفراغه من صلاته في ناحية المسجد .

وفي رواية سادسة لجابر : (( وقال للفتى : كَيْفَ تَصْنَعُ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا صَلَّيْتَ ؟ قَالَ : أَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ ، وَإِنِّي لَا أُدْرِي مَا دَنَدَنْتُكَ وَدَدَنْتَ مُعَاذٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي وَمُعَاذًا حَوْلَ هَاتَيْنِ ، أَوْ نَحْوَهُمَا ، قَالَ فَقَالَ الْفَتَى : وَلَكِنْ سَيَعْلَمُ مُعَاذٌ إِذَا قَدِمَ الْقَوْمُ ، وَقَدْ خَبَرُوا أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ أَتَوْا . قَالَ : فَقَدِمُوا ، فَاسْتَشْهَدِ الْفَتَى . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُعَاذٍ : مَا فَعَلَ خَصْمِي وَخَصْمُكَ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبْتُ ، اسْتَشْهَدُ )) (١) .

وقد ذكر الحافظ روايتين في الرَّجُلِ صاحبِ القِصَّةِ وأَنَّهُ حَزْمُ بْنُ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، أَوْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ يُقَالُ لَهُ : سَلِيمٌ ، وَقَالَ : وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي الزَّبِيرِ عِنْدَ مُسْلِمٍ : (( فَاَنْطَلِقْ رَجُلًا مَنًّا )) وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ ، وَيَقْوِي رِوَايَةَ مَنْ سَمَّاهُ سَلِيمًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ )) (٢) .

وجمع - رحمه الله - بين الروايات في قضيّة مجيئهما إلى النَّبِيِّ ﷺ والسابق منهما إليه فقال : (( بَيْنَ ابْنِ عَيْنَةَ فِي

وصحّحه الألباني ، انظر : صحيح سنن النسائي : ١٧٩/١ ، رقم ١٠٨ .

(١) كتاب السنن الكبرى للبيهقي : ١١٦/٣ ، كتاب الصلاة : باب ما على الإمام من التخفيف . وأصل هذا الحديث كما تقدّم في الصحيحين في المتفق عليه .

(٢) فتح الباري لابن حجر : ٢٢٨/٢ ، في شرح حديث رقم ٧٠٠ و ٧٠١ .

روايته وكذا محارب وأبو الزبير أنه الذي جاء فاشتكى من معاذ ، وفي رواية النسائي : (( فقال معاذ : لئن أصبحتُ لأذكرنَّ ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ ، فأتى معاذُ النبيَّ ﷺ ، فذكرَ ذلكَ له ، فأرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ إليه ، فقال : ما حملَكَ على الذي صنَعْتَ ؟ )) فذكر الحديث ، وكان معاذًا سبقه بالشكوى ، فلما أرسل إليه جاء فاشتكى من معاذ ((<sup>(١)</sup>)).

وفي هذه الحادثة التي ذكر معظم رواياتها لأهميتها ؛ عبرٌ وفوائد جمّة . منها : أن الصحابة ﷺ كانوا يردُّون خصوماتهم وما اختلفوا فيه إلى النبي ﷺ ليحكم بينهم بما يريه الله ، وهذا مبدأ عظيم وقاعدة شرعية جليلة يجب تطبيقها في واقع الحياة ، قال الله تعالى : { وَمَا اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمه إلى الله } <sup>(٢)</sup> ، { فإن تنازعتم في شئٍ فردوه إلى الله والرسول } <sup>(٣)</sup> .

إنَّ أوَّل ما تبادر إلى ذهنيهما الرجوع إلى الرسول ﷺ والرد إليه ، قال معاذ : لئن أصبحتُ لأذكرنَّ ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ ، وقال سليم : ولأتين رسولَ اللهِ ﷺ فلاخبرتهُ ، ولم يقولوا : سنحتكم إلى بعض الصحابة المصلين بالمسجد ، خاصة أن غالبهم ممن شهد العقبة وبدراً كما تذكر الروايات

(١) المرجع السابق : الموضوع نفسه ، ص ٢٢٩ .

(٢) الشورى : الآية ( ١٠ ) .

(٣) النساء : الآية ( ٥٩ ) .

ومنها حكمته ﷺ في التثبت والتبين ، والحلم والأناة ،  
وسماع الشكوى من الطرفين ، وعدم الحكم على غائب .

ذلك أنه بعد أن أخبره معاذ لم يتعجل ، بل أرسل في طلب الرجل ، فلما حضر لم يتعجل في عقابه على الخروج من الصف ، بل سأله بقوله : « مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ ؟ » .  
واستمع إلى شكواه كاملة غير منقوصة ؛ تماماً كما سمع من معاذ ، ولم يتخذ قبل السماع من الطرف الآخر أي إجراء أو يتكون لديه انطباع عنه ، رغم حبه الشديد لمعاذ ووصاياه المعروفة له ﷺ ، ومكانته من رسول الله ﷺ ، ومكانته بين الصحابة ﷺ ، وحفظه القرآن ، وإمامته للناس ، وفقهه في دين الله .

فلم يحمله كل ذلك على التعجل في الحكم له على الرجل دون السماع منه .

ومنها : أنه في حالة الخصومات فإن أول ما يُبحث عنه : معرفة أسباب الخلاف وبواعثه ومصادره ، فلا يُحكم على النتائج وتترك الأسباب .

إن سُلِيماً لم يخرج من الصف إلا بسبب ، وإن معاذاً لم يثمه بالنفاق إلا بسبب خروجه من الصف ، وإلحاق عمله هذا بصفة من صفات المنافقين .

فهذه نتائج ، ولكن المصطفى ﷺ ترك هذا كله وسأله



عن السبب الذي حمله على صنيعه هذا .

ومنها : أن النبي ﷺ عندما عرف الحقيقة لم تحمله مكانة معاذ عنده على مدهنته أو مجاملته في الحق ، بل عاتبه وجهًا لوجه أمام خصمه إظهارًا للحق وانتصارًا له ، ولما في ذلك من تطيب ل خاطر خصمه وشفاءً لما في صدره ، وتخفيفًا لما لحق به من ضرر جرّاء وصمه بالنفاق ، ليحصل التصافي والتأليف بين القلوب ، ولتعود الأخوة والمحبة الإيمانية على ما كانت عليه من نقاء وصفاء .

ومنها : أنه لا ينبغي للمرء الحكم على إخوانه بمعزلٍ عن مراجعة نفسه ، فلعله سبب فيما ينكره عليهم ، فقد كان التطويل هو سبب المشكلة .

ومنها : أن المقاصد والنوايا الطيبة لا تُغني عن اتباع الحكمة في اختيار الأنسب من الأعمال ، وخاصة المرتبطة منها بالمسلمين ومصالحهم ، فقد كان الأنسب اختيار قصار السور وترك التطويل كما هو توجيه النبي ﷺ لمعاذ .

ومنها : أن ما قد يظهر للمرء أنه خطأ محض فقد يكون هو الصواب بعينه لأن نظرتَه لم تكن شمولية ، فيخطئ في الحكم بسبب ذلك .

لذا يلزم جمع النصوص في المسألة الواحدة واختيار الأصحّ والأنسب ومعرفة قدرات الناس والفروق الفردية بينهم ، والحدّ الأدنى الذي يلزم كلّ مسلم الأخذ به ،

ومطالبة الجميع به ، وعدم إلزامهم بما فوق ذلك من المستحبات وغيرها ، وترك المجال لمن له قدرة على الاستزادة في مواضع أخرى .

ويلحق بذلك أن الحكم الجزئي من خلال نصّ واحد وفي المسألة نصوصٌ كثيرةٌ غيره ، وترك النظرة الشمولية يشكّل مرتعاً خصباً للخلافات ، وما أكثر ما يقع الهجوم على النوايا والمقاصد إذا وقع الخلاف ؛ كما وصم معاذ سليماً بالنفاق .

ومنها أن العتاب في هذه الواقعة خاصاً بمعاذ ، إذ لم يعمّم النبي ﷺ مع احتمال وجود بعض الصحابة حينئذٍ ، كجابر ﷺ راوي الحديث .

ولعلّ سبب مواجهة معاذ وحده بالخطاب والعتاب ، وعدم ذكر الغضب أن ذلك يقع لأول مرة .

بخلاف ما وقع في حادثة مشابهة تماماً لهذه مع أبيّ بن كعب في مسجد قباء وفي صلاة الصبح . فقد عمّم النبي ﷺ الخطاب والعتاب ، وغضب في موعظته غضباً شديداً .

ولعلّ حادثة أبيّ وقعت بعد قصة معاذ فكان ذلك سبباً في الغضب وتعميم العتاب ، لكون ذلك أصبح معلوماً .

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْعَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ

مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلَيَتَجَوَّزَ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ )) (١) .

قال الحافظ : (( ويحتمل أن يكون المراد أن الذي أُلْفِه من تطويله اقتضى له أن يتشاغل عن المجيء في أول الوقت وثوقاً بتطويله . قوله : ( أشدّ ) أي غضباً أشدّ ، وسببه : إمّا مخالفة الموعدة ، أو للتقصير في تعلم ما ينبغي تعلمه ، كذا قاله ابن دقيق العيد .

وقوله : (( إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ )) . فيه تفسير للمراد بالفتنة في قوله في حديث معاذ : (( أَفَأَنْتَ أَنْتَ ؟ )) .

ويحتمل أن تكون قصة أبيّ هذه بعد قصة معاذ ، فلهذا أتى بصيغة الجمع . وفي قصة معاذ واجهه وحده بالخطاب ، وكذا ذكر في هذا الغضب ولم يُذكر في قصة معاذ ، وبهذا يتوجّه الاحتمال الأوّل لابن دقيق العيد )) (٢) .

ومثل ذلك ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَحَّصَ فِيهِ ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ . فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَخَطَبَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَنْتَزَهُونَ

(١) البخاريّ : الأدب : باب ما يجوز من الغضب والشّدّة لأمر الله : ٢٢٦٥/٥ ، رقم ٥٧٥٩ .

(٢) فتح الباري : كتاب الأذان : باب تخفيف الإمام القيام : ٢٣٢/٢ ، ٢٣٣ . شرح حديث رقم ٧٠٢ .

عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ!؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ حَسْبِيَّةً )) (١) .

قال الحافظ : (( قوله : ( فخطب ) في رواية أبي معاوية ( فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فغضب حتى بان الغضب في وجهه )

قوله : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ » . في رواية جرير : « مَا بَالُ رِجَالٍ » . قال ابن بطال : هذا لا ينافي الترجمة ، لأنَّ المراد بها : المواجهة مع التعيين ، كأن يقول : ما بَالُكَ يَا فُلَانُ تَفْعَلُ كَذَا ؟ وما بَالُ فُلَانٍ يَفْعَلُ كَذَا . فأما مع الإبهام فلم تحصل المواجهة وإن كانت صورتها موجودة ، وهي مخاطبة من فعل ذلك ، لكنّه لما كان من جملة المخاطبين ولم يُمَيِّزْ عنهم صار كأنه لم يخاطب .

قال ابن بطال : كان النبي ﷺ رفيقاً بأُمَّته ؛ فلذلك خَفَّفَ عنهم العتاب ، لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشَّدَّةِ ، ولو كان ذلك حراماً لأمرهم بالرجوع إلى فعله . قلت : أمّا المتابعة فقد حصلت منه لهم بلا ريب ، وإِنَّمَا لم يَمَيِّزْ الَّذِي صدر منه ذلك سترًا عليه ، فحصل منه الرِّفْقُ من هذه الحيثية لا بترك العتاب أصلاً . وفي الحديث الحثُّ على الاقتداء بالنبي ﷺ ، وذمُّ التعمُّقِ والتَّنَزُّهِ عن المباح ، وحُسْنُ العِشْرَةِ عند الموعظة والإنكار والتلطُّفِ في ذلك .

(١) البخاريّ : الأدب : باب من لم يواجه النَّاسَ بالعتاب : ٢٢٦٣/٥ ، رقم ٥٧٥٠ .

ولم أعرف أعيان القوم ولا الشيء الذي ترخص فيه النبي ﷺ ، ثم وجدت ما يمكن أن يُعرف به ذلك ، وهو ما أخرجه مسلم في كتاب الصيام أن رجلاً قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إني أصبح جنباً وأنا أريد الصيام فأغتسل وأصوم ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ . فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَسْتَ مِثْلَنَا ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . فغضب رسول الله ﷺ وقال : إني أرجو أن أكون أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقي ) (١) .

ومثل ذلك : حديث هدايا العمال ، حديث ابن التبيية ، وخطبة النبي ﷺ على المنبر ) (٢) .

ومن إنكار المنكر عليهم نزع الخاتم من يد أحدهم وإلقائه أرضاً ، وموعظته بعد ذلك ، والحديث في صحيح مسلم .

(١) فتح الباري : الأدب : باب من لم يواجه الناس بالعتاب : ٥٣٠/١٠ . شرح حديث ٦١٠١ مختصراً .

(٢) فتح الباري : كتاب الأحكام : باب هدايا العمال : ١٧٥/١٣ ، رقم ٧١٧٤ .

١٩ - مواساتهم :

ومن أساليبه ﷺ : مواساتهم بنفسه وماله ؛ فقد خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : « إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّقَرِ وَالْحَضَرِ ، وَكَانَ يَعُودُ مَرَضَانَا ، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا ، وَيَعْزُرُو مَعَنَا ، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، وَإِنَّ نَاسًا يُعَلِّمُونِي بِهِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَأَاهُ قَطُّ » (١) .

ومن الأمثلة التطبيقية الكثيرة في حياته ﷺ ما رواه المقداد قَالَ : « أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي ؛ وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ (٢) ، فَجَعَلْنَا نَعْرُضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَنْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أُعْزِرُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا ، قَالَ : فَكُنَّا نَحْتَلِبُ ، فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيْبَهُ ، وَتَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيْبَهُ ، قَالَ : فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ نَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا ، وَيُسْمَعُ الْيَقْظَانَ . قَالَ : ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي ، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ . فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ دَاتَ لَيْلَةٍ ... » (٣) الحديث .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « المواساة للمؤمنين أنواع : مواساة بالمال ، ومواساة بالجاه ، ومواساة بالبدن والخدمة ، ومواساة بالنصيحة والإرشاد ، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ومواساة بالتوجع لهم ، وعلى قدر الإيمان تكون هذه

(١) سبق تخريجه في ( عيادة مرضاهم ) . ص ٤٦٦ .

(٢) الجهد بالفتح : المشقة . النهاية : ٣٢٠/١ .

(٣) مسلم : الأشربة : باب إكرام الضيف وفضيل إثارة : ١٦٢٥/٣ ، رقم ٢٠٥٥ .

المواساة . فكُلما ضَعُف الإيمان ضَعُفت المواساة ، وكُلما قوي قويت .

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساةً لأصحابه بذلك كُله ، فلا تُباعه من المواساة بحسب اتباعهم لهم )) (١) .

---

(١) الفوائد ، ص ٢٢٢ .

٢٠ - نصيحتهم :

لقد كانت النصيحة من أهم أساليبه ﷺ في تربية أصحابه ، بل كان يبائعهم عليها ، ويعدها هي الدين .

فعن عَنْ جَرِيرِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (( بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ )) (١) .

وفي رواية قال : (( بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . فَأَقْنَنِي : فِيمَا اسْتَطَعْتَ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ )) (٢) .

وفي رواية البخاريّ : عَنْ قَيْسٍ ، سَمِعْتُ جَرِيرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (( بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ )) (٣) .

وعن تميم الداري أنّ النبي ﷺ قال : (( الدِّينُ النَّصِيحَةُ . فُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ )) (٤)

ومن الأمثلة التطبيقية في حياته ﷺ في النصيحة ما رواه أبو هريرة . قال : (( كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(١) مسلم : الإيمان : باب بيان أن الدين النصيحة : ٧٥/١ ، رقم ٥٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) البخاريّ : البيوع : باب هل يبيع حاضر لباد : ٧٥٧/٢ ، رقم ٢٠٤٩ .

(٤) مسلم : الإيمان : بيان أن الدين النصيحة : ٧٥/١ ، رقم ٥٥ .



أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَادْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا)) (١).

**ومن الأمثلة أيضاً ما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ قال:**  
 ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْتَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذْلَجُوا فَانْطَلَفُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاكَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ)) (٢).

**وقال النبي ﷺ:** ((إِذَا اسْتَنْصَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْ لَهُ)) (٣).

**وكان ﷺ يأمر بالنصيحة لولاة الأمر فيقول:** ((ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَعْلُ عَلِيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لَوْلَاةِ الْأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)) (٤).

**ويُعلمهم بكيفية نصيحتهم فيقول:** ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي

(١) المصدر السابق: النكاح: ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها: ١٠٤٠/٢، رقم ١٤٢٤.

(٢) المصدر السابق: الفضائل: شفقتة ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم: ١٧٨٨/٤، رقم ٢٢٨٣.

(٣) البخاريّ تعليقا بالجزم: كتاب البيوع: هل يبيع حاضر لباد: ٧٥٧/٢.

(٤) السنة لابن أبي عاصم: باب ما يجب على الرعية من النصح لولااتها: ٥٠٤/٢، رقم ١٠٨٧. وقال الألباني: إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات.

سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً ، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ ، فَيَخْلُوَ بِهِ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ )) (١) .

وفي رواية : « فَإِنْ قَبِلَهَا قَبِلَهَا ، وَإِنْ رَدَّهَا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ )) (٢) .

وقد تأسى الصحابة - رضوان الله عليهم - بهذا المنهج النبوي :

فعن أسامة بن زيد - حب رسول الله ﷺ - قال : « قِيلَ لَهُ : أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَنُكَلِّمُهُ ؟ فَقَالَ : أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ ؟ وَاللَّهِ ! لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ . مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ . وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا : إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ !؟ فَيَقُولُ : بَلَى ؛ قَدْ كُنْتُ

(١) السنة لابن أبي عاصم : باب كيف نصيحة الرعية للولادة : ٥٠٧/٢ ، رقم ١٠٩٦ .

وقال الألباني : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . وله كلام هناك فراجع .

(٢) المصدر السابق : الموضوع نفسه ، برقم ١٠٩٨ ، وقال الألباني : الحديث صحيح بمجموع طرقه .

أمرٌ بالمعروفِ ولا آتيةً ، وأنهى عن المنكر وآتيةً )) (١) .

قال القاضي عياض في قوله : ( دون أن أفتح باباً ) يعني في المجاهرة بالنكير والقيام بذلك على الأمراء ، وما يُخشى من سوء عقابه ، كما تولد من إنكارهم جهاراً على عثمان بعد هذا ، وما أدّى إلى سفك دمه واضطراب الأمور بعده .

وفيه التلطف مع الأمراء ، وعرض ما ينكر عليهم سرّاً ، وكذلك يلزم مع غيرهم من المسلمين ما أمكن ذلك ؛ فإنّه أولى بالقبول وأجدر بالنفع ، وأبعد لهتك السّتر وتحريك الأنفة .

وقوله : ( لا أقول لأحدٍ يكون عليّ أميراً ... ) الحديث حُجّة كُله على ذمّ المداهنة في الحقّ والمواجهة يُبطن خلافه ، والملق بالباطل ، وهذا هو المذموم . والحال الأولى هي المداراة المحمودة ؛ لأنّه ليس فيها قدح في الدين ، ولا حطّ منه ، إنّما هي ملاطفة في الكلام ، أو هي مجاملة بأسباب الدنيا ومعاطاة بها لصلاح دين أو دنيا .

والمداهنة : إنّما هي إعطاءً بالدين ومصانعة بالكذب ، والتزيين للقيح ، وتصويب الباطل للوصول إلى أسباب الدنيا وصلاحها )) (٢) .

(١) مسلم : الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهى عن المنكر ويفعله : ٢٢٩٠/٤ ، رقم ٢٩٨٩ .

(٢) إكمال المُعلّم بفوائد مسلم : ٥٣٨/٨ .

وقد شبّه النبي ﷺ حال المؤمن وموقفه من أخيه بالمرأة يرى فيها نفسه ويعرف فيها عيوبه من غير فضيحة<sup>(١)</sup>.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « الْمُؤْمِنُ مِرْأَةٌ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ؛ يَكْفُ عَلَيْهِ ضِيَعَتُهُ ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ »<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ : « وقال النووي : فالنصيحة لله ؛ وصفه بما هو له أهل ، والخضوع له ظاهراً وباطناً ، والرغبة في محابه بفعل طاعته ، والرغبة من مساخطه بترك معصيته ، والجهاد في ردّ العاصين إليه .

ثم قال الحافظ . والنصيحة لكتاب الله تعلّمه ، وتعليمه ، وإقامة حروفه في التلاوة ، وتحريرها في الكتابة ، وتفهم معانيه ، وحفظ حدوده ، والعمل بما فيه ، وذبّ تحريف المبطلين عنه .

والنصيحة لرسوله ﷺ تعظيمه ، ونصره حياً وميتاً ، وإحياء سنّته بتعلّمها وتعليمها ، والاقتران به في أقواله وأفعاله ، ومحبّته ومحبة أتباعه .

(١) فيستر أخاه ولا يفضحه ، بل يكفّ عليه ضيعته ويحفظه في غيبته ويفعل ما يسوّغ قبول نُصْحِهِ ، ويهيء نفسيته لعدم ردّها .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في النصيحة ( ٥٧ ) ، رقم ٤٩١٨ .

وصحّحه الألباني : انظر : صحيح سنن أبي داود : ٩٢٩/٣ ، رقم ٤١١٠ .

والنصيحة لأئمة المسلمين ؛ إعانتهم على ما حُمّلوا القيام به ، وتنبيههم عند الغفلة ، وسدّ حُلتهم عند الهفوة ، وجمع الكلمة عليهم ، وردّ القلوب النافرة إليهم .

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن .

ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد ، وتقع النصيحة لهم ببيتّ علومهم ، ونشر مناقبهم ، وتحسين الظنّ بهم .

والنصيحة لعامة المسلمين ؛ الشفقة عليهم ، والسّعي فيما يعود نفعه عليهم ، وتعليمهم ما ينفعهم ، وكفّ وجوه الأذى عنهم ، وأن يُحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ((<sup>(١)</sup>).

---

(١) فتح الباري : كتاب الإيمان : باب قول النبي ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ : لِلَّهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ » : ١/١٦٧ مختصراً .

٢١ - وصيتهم :

أسلوب الوصية معلوم في الكتاب والسنة . وقد ورد في مواضع كثيرة من أبرزها :

الوصايا العشر في سورة الأنعام . قال الله تعالى : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ = ١٥١ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ = ١٥٢ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (١) .

وكانت وصية النبي ﷺ فردية وجماعية ؛ فمن أمثلة الوصايا الفردية ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : « أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرتد » (٢) .

وفي رواية الإمام البخاري : « أوصاني خليلي بثلاث لا

(١) الأنعام : الآيات ( ١٥١ - ١٥٣ ) .

(٢) مسلم : صلاة المسافرين وقصرها : استحباب صلاة الضحى :

٤٩٩/١ ، رقم ٧٢١ .

أَدْعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ : صَوْمٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَصَلَاةُ الضُّحَى ، وَتَوَمُّ عَلَى وَثْرٍ )) (١) .

وقد أوصى أبا الدرداء أيضاً بذلك على انفراد ، يقول أبو الدرداء : (( أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثٍ لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ : بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَصَلَاةِ الضُّحَى ، وَبِأَنْ لَا أُنَامَ حَتَّى أُوتِرَ )) (٢) .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : (( إِنْ خَلَيْتُ أَوْصَانِي ﷺ : إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتِي مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِيبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ )) (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : (( أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي ، قَالَ : لَا تَغْضَبُ . فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ : لَا تَغْضَبُ )) (٤) .

ومن الوصايا الجماعية ؛ ما أوصى به ﷺ أصحابه في مرض موته ، قال ابنُ عباسٍ - رضي الله عنهما - : (( يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَ دَمْعُهُ الْحَصَى .

(١) البخاريّ : التَّطَوُّعُ : صلاة الضُّحَى في الحضر : ٣٩٥/١ ، رقم ١١٢٤ .

(٢) مسلم : صلاة المسافرين وقصرها : استحباب صلاة الضحى : ٤٩٩/١ ، رقم ٧٢٢ .

(٣) مسلم : البرّ والصلة والآداب : الوصية بالجار والإحسان إليه : ٢٠٢٥/٤ ، رقم ٢٦٢٥ .

(٤) البخاريّ : الأدب : الحذر من الغضب : ٢٢٦٧/٥ ، رقم ٥٧٦٥ .

فَقُلْتُ : يَا ابْنَ عَبَّاسِ ! وَمَا يَوْمُ الْحَمِيسِ ؟ قَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ . فَقَالَ : انْثُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدِي .  
 فَتَنَازَعُوا ، وَمَا يَبْغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعُ ، وَقَالُوا : مَا شَأْنُهُ  
 أَهْجَرَ (١) ؟ اسْتَفْهَمُوهُ . قَالَ : دَعُونِي فَأَلْذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ ، أَوْصِيكُمْ  
 بِثَلَاثٍ : أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِخَوْ مَا كُنْتُمْ  
 أُجِيزُهُمْ . قَالَ : وَسَكَتَ عَنِ الثَّلَاثَةِ ، أَوْ قَالَهَا فَأَنْسِبُهَا )) (٢) .  
 ومن ذلك أيضاً ما جاء عن طلحة بن مصرف قال : ((  
 سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى : هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟  
 فَقَالَ : لَا ، فُلْتُ : فَلِمَ كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةُ ؟ أَوْ : فَلِمَ  
 أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ ؟ قَالَ : أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ )) (٣) .

- (١) أَهْجَرَ : على الاستفهام ، لأنّ معنى هجر : هذى ، وإثما جاء هذا من  
 قائله استفهاماً للإنكار على من قال : لا تكتبوا . أي لا تتركوا أمر  
 رسول الله ﷺ وتجعلوه كأمر من هجر في كلامه . لأنه ﷺ لا يهجر .
- (٢) مسلم : كتاب الوصية : باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه  
 : ١٢٥٧/٣ ، رقم ١٦٣٧ .
- (٣) المصدر السابق : الموضع نفسه : رقم ١٦٣٤ .  
 ونفي أمّ المؤمنين عائشة الذي جاء بعد هذا الحديث أنّه أوصى بشيء  
 : أي من الأشياء المادية .



٢٢ - مشاركته في الأعمال ، وعدم التميّز عنهم :

من أعظم الأساليب التي تميّز بها المنهج النبوي في التربية ؛ مشاركته العملية لهم في مباشرة تنفيذ الأعمال بنفسه ﷺ ، وترك الاعتزال والاحتجاب والتميّز عنهم .

فكان القادم الذي لا يعرف النبي ﷺ يسأل عنه لعدم تميّزه عن أصحابه كما في حديث ضمام بن ثعلبة حيث قال : (( **أَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ، فَقُلْنَا : هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ أُجِيبْتُكَ** )) (١) .

فلا يتميّز في المجلس ، ولا يقعد على فراش وأصحابه يقعدون على الأرض ، ولا يصدر الأوامر والنواهي ثمّ يحتجب عنهم ، بل يأمر بالأمر ثمّ يكون في مقدّماتهم لتنفيذه .

خطب عثمان بن عفّان ﷺ فقال : (( **إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَكَانَ يَعُودُ مَرَضَانَا ، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا ، وَيَعْزُو مَعَنَا ، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ ، وَإِنَّ نَاسًا يُعَلِّمُونِي بِهِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَأَاهُ قَطُّ** )) (٢) .

فهذا عثمان ﷺ خليفة رسول الله ﷺ يصف ما كان عليه المصطفى ﷺ في مشاركته أصحابه في عيادة المرضى ،

(١) البخاريّ : العلم : باب ما جاء في العلم .. : ٣٥/١ ، رقم ٦٣ .

(٢) سبق تخريجه في : ( عيادة مرضاهم ) .

واتباع الجنائز ، والغزو معهم ، ومواساتهم بالقليل والكثير .  
ومن الأمثلة التطبيقية الكثيرة : مشاركته ﷺ أصحابه ﷺ  
في بناء المسجد النبوي .

أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - عن أنس ﷺ حديثاً  
في مقدم النبي ﷺ ، وفيه قال : (( وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ ،  
فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، فَقَالَ : يَا بَنِي النَّجَّارِ تَأْمُنُونِي  
بِحَائِطِكُمْ هَذَا . قَالُوا : لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ . فَقَالَ  
أَنْسٌ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ : قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ ، وَفِيهِ خَرْبٌ  
، وَفِيهِ نَخْلٌ . فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ ، ثُمَّ  
بِالْخَرْبِ فَسُوِّيَتْ ، وَبِالنَّخْلِ ففُطِعَ ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ  
الْمَسْجِدِ ، وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ الْحِجَارَةَ ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ  
الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ ❁ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ (( (١)

وفي غزوة الخندق ( الأحزاب ) كان معهم ﷺ في حفر  
الخندق ، وفي نقل التراب ، بل كانوا يرجعون إليه إذا  
استعصى عليهم الحفر .

فَعَنِ الْبِرَاءِ ﷺ قَالَ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ  
الْخَنْدَقِ ، حَتَّى أَعْمَرَ بَطْنَهُ ، أَوْ اغْبَرَ بَطْنَهُ . يَقُولُ :

وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ❁ وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا ❁ وَبِتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا

(١) البخاريّ : المساجد : هل تُنبش قبور مشركي الجاهلية ويُتخذ مكانها  
مساجد ؟ : ١٦٥/١ ، رقم ٤١٨ .

إِنِّ الْأَلَى قَدْ بَعَا عَلَيْنَا ﴿١﴾ إِذَا أَرَادُوا قِتْنَةَ آبِنَا

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ : أَبِيْنَا أَبِينَا )) (١)

وعن جابر رضي الله عنه قال : (( إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدَيْهَ شَدِيدَةً ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا : هَذِهِ كُدَيْهَ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ ، فَقَالَ : أَنَا نَازِلٌ ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَأَبِينَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ دَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلًا ، أَوْ أَهَيْمَ ... )) (٢) الحديث .

وعن سهيل بن سعد الساعدي : (( كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْخَنْدَقِ ، وَهُوَ يَحْفِرُ ، وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ ، وَيَمُرُّ بِنَا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ )) (٣) .

فهكذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يشارك أصحابه في الأعمال التي يأمر بها ، فها هو مرة يحفر معهم ، وتارة ينقل التراب ، وأخرى يستنجدون به فيما صعب عليهم لا ينأى بنفسه عنهم رغم الجوع والفقير والبرد والتعب ، يساعدهم ويتعاون معهم ، بل يخدمهم بنفسه صلى الله عليه وسلم . فها هو يخبز لهم في يوم الخندق في بيت جابر ، ويخمر البرمة والتنور ، ويغرف لهم ، ويقرب ، كما ورد في حديث جابر السابق برواياته ،

(١) البخاري : المغازي : غزوة الخندق : ١٥٠٦/٤ ، رقم ٣٨٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم ٣٨٧٥ .

(٣) البخاري : الرقاق : باب ما جاء في الصحة والفراغ : ٢٣٥٧/٥ ،

قال : « ادْعُ خَازِرَةَ فَلتَخِزْ مَعِي » . وقال : « فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ يَنْزِعُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ ، وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا ، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ ، قَالَ : كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي ، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ » .

إنّ هذا الهدى النبوي الشريف يدفع الصّحابة إلى مزيد من العمل ، ويعودّهم على المشاركة ، ويُشعرهم بأنّ المصطفى ﷺ قريبٌ منهم ؛ يواسيهم بنفسه وماله ، ويُشعرهم بالأخوة والولاية الإيمانية ، ويدعم صفات التعاون والبدل والتضحية . وهذا الهدى منه ﷺ بخلاف من يُصدر الأوامر من برج عاجي بعيداً عن الواقع العملي التطبيقي ، لا يعرف طبيعة هذه الأوامر التي يصدرها . هل هي تناسب الحال والمكان والزمان ؟ وهي تُحدث فجوة عميقة بين المربي والمتربي . تحجب المحبّة الإيمانية والرابطة الأخوية ، والمساواة بين المربي والمتربي ، وتعمّق الشعور بالعزلة بينهما .

إنّ أولئك الذين يفصلون بين التخطيط والتنظير من جهة وبين التنفيذ والواقع العملي ونزول الميدان من جهة أخرى مخطئون ومخالفون للمنهج النبوي .

فلقد كان ﷺ في مقدّمة الجيش في أغلب الغزوات التي أمر بها النبي ﷺ ، يقول زيد بن أرقم رضي الله عنه : « أنّ

رسول الله ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ)) (١) . أي تسعة عشرة غزوة

ويقول ﷺ : (( وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ يَشْتَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَعْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا . وَلَكِنْ لَا أُجِدُّ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ . وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً . وَيَشْتَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي .

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُعْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلُ ، ثُمَّ أُعْزُو فَأَقْتُلُ ، ثُمَّ أُعْزُو فَأَقْتُلُ )) (٢) .

بل كان الصحابة يحتمون برسول الله ﷺ إذا حمي الوطيس .

قال البراء : (( كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ . وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ )) (٣) .

وكان ﷺ سباقًا إلى أماكن الفرع وما يثير روع أصحابه لعله يكفيهم مؤنته ويكف عنهم الأذى .

فعن أنس ﷺ قَالَ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ . وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَأَنْطَلَقَ النَّاسُ قَبْلَ الصَّوْتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ

(١) مسلم : الحجّ : باب بيان عدد عمر النبي ﷺ : ٩١٦/٢ ، رقم ١٢٥٣ .

(٢) مسلم : الإمارة : باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله : ١٤٩٥/٣ ، رقم ١٨٧٦ .

(٣) مسلم : الجهاد والسير : باب في غزوة حنين : ١٤٠١/٣ ، رقم ٧٩/١٧٧٦ .

النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ ، وَهُوَ يَقُولُ : لَنْ تُرَاعُوا ، لَنْ تُرَاعُوا . وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ مَا عَلَيْهِ سَرَجٌ ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ ، فَقَالَ : لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا ، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ )) (١) .

ولم تقتصر مشاركته ﷺ في الأعمال خارج بيته ، بل كان يشارك أهله ﷺ في أعمال البيت .

فقد سألت عائشة - رضي الله عنها - : (( مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ )) (٢) .

(١) البخاريّ : الأدب : باب حُسْنِ الخُلُقِ والسَّخَاءِ ، وما يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ : ٢٢٤٤/٥ ، رقم ٥٦٩٢ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم ٥٦٩٢ .

٢٣ - مخالطتهم وعدم الاحتجاب عنهم :

كان النبي ﷺ يخالط الناس ويجالسهم في مجالسهم ، في بيته وفي بيوتهم ، وفي المسجد ، ويخالطهم في أسواقهم وفي الطرقات ، وفي أماكن تجمعاتهم ، وينبسط إليهم ، يقصُّ عليهم أخبار الأمم السابقة ويُفسِّر رؤاهم ، ويحلُّ مشاكلهم ، ويصلحُ بينهم ويواسيهم ، ويداريهم ويعلمهم ويزكيهم ، وينصحهم ويوصيهم ، ويمازحهم ، ويداعبهم .

قال أنس رضي الله عنه : (( إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخَالِطَنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ : يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ ؟ )) (١) .

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : (( كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي )) (٢) .

وكان ﷺ يحثُّ على مخالطة الناس والصبر على أذاهم .

فعن ابن عمر ؛ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ

(١) البخاري : الأدب : باب الانبساط إلى الناس والدعابة مع الأهل : ٢٢٧٠/٥ ، رقم ٥٧٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم ٥٧٧٩ .

( يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ ) يدخلن البيت ويستترن منه ، ثم يذهبن . ( فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ ) أي يرسلهن واحدة بعد الأخرى .

النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ» (١) .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « خَالِطِ النَّاسَ وَدِينَكَ لَا تَكَلِّمَهُ» (٢) .

قال الحافظ : « وهذا الأثر وصله الطبراني في الكبير من طريق عبدالله بن باباه بموحدتين عن ابن مسعود ، قال : « خالطوا الناس وصافوهم بما يشتهون ، ودينكم لا تكلمونه » . وأخرجه ابن المبارك في كتاب البرّ والصلة من وجه آخر عن ابن مسعود بلفظ : « خالطوا الناس وزايلوهم في الأعمال» (٣) .

أي أن المخالطة المطلوبة هي التي تنفع الناس من خلالها ، وذلك بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، والنصح لهم والشهادة على المحسن بأنه محسن ، وذلك يعني مساعدته ومؤازرته والشّدّ على عضديه وحمائمه ما

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء : رقم الحديث ٤٠٣٢ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣٧٣/٢ ، رقم ٣٢٥٧ .

(٢) البخاري : الأدب : باب الانبساط إلى الناس : ٢٢٧٠/٥ ، أورده تعليقا .

(٣) فتح الباري : الأدب : باب الانبساط إلى الناس : ٥٤٣/١ .

لا تكلمونه : قال الشّيخ ابن باز : صوابه : لا تكلموه ، أي لا تجرحوه . وزايلوهم في الأعمال : خالفوهم .



أمكن في نفسه وأهله وماله ، والشهادة على المسيء بالإنكار عليه بالطرق الشرعية المعروفة بشروطها .

وكلّ ذلك شريطة أن يحافظ المرء على دينه وأن لا يصيبه فيه ضرر جرّاء هذه المخالطة .

قال الحافظ : (( قوله : والدعابة مع أهله )) هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره ، وقد أخرج الترمذيّ وحسنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (( قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا . قَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا )) .

وأخرج من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - رفعه : (( لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَارِضْهُ )) الحديث . والجمع بينهما : أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكير في مهمّات الدين ، ويؤول كثيراً إلى قسوة القلب ، والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار ، والأذي يسلم من ذلك هو المباح ، فإن صادف مصلحة مثل تطيب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب )) (١) .

ولقد خالط النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وتعرّف على أحوالهم عن قرب ، وتلمّس حاجاتهم ، وقام بمصالحهم ، وتحمل كثيراً من معاناتهم حتّى حطموه في آخر حياته ، فصلى قاعداً .

فهذا عبدالله بن شقيق يقول : (( قُلْتُ لِعَائِشَةَ : هَلْ كَانَ

(١) فتح الباري : الأدب : باب الانبساط إلى الناس : ٥٤٣/١٠ .

النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، بَعْدَ مَا حَطَّمَهُ النَّاسُ )) (١) .

قال النووي : قال الرَّاوي في تفسيره : يقال : حطم فلانًا أهله ؛ إذا كبر فيهم كأنه لما حمله من أمورهم ، وأثقالهم ، والاعتناء بمصالحهم صيروه شيخًا محطومًا . والحطم : كسر الشيء اليابس )) (٢) .

ولم يحتجب عنهم ﷺ قط ، فهذا جرير بن عبدالله ﷺ يقول : (( ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رأني إلا ضحك ... )) (٣) .

غير أنه ﷺ سنّ لأُمَّته الاعتكاف ، وهو الخلوة المؤقتة للعبادة :

فعن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ : (( أن النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَرْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ )) (٤) .

(١) مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا : ٥٠٦/١ . رقم ٧٣٢ .

(٢) المنهاج ( صحيح مسلم بشرح النووي ) : ٥ - ٦ / ٢٥٦ .

(٣) البخاريّ : ( ٦٦ ) فضائل الصَّحابة ( ٥١ ) ذكر جرير بن عبدالله : ١٣٩٠/٣ ، رقم ٣٦١١ .

(٤) البخاريّ : كتاب الاعتكاف : باب الاعتكاف في العشر الأواخر ، والاعتكاف في المساجد كلها : ٧١٣/٢ ، رقم ١٩٢٢ .

٢٤ - تقديم الأهم ، والتدرُّج فيه :

أمر النبي ﷺ بالدعوة بأسلوب الحكمة ، قال الله تعالى :  
{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .. } الآية ،  
والحكمة تقتضي تقديم الأهم ، ومن ثم التدرُّج فيه .

عن يوسُف بن مَاهِكٍ قَالَ : (( إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ  
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ : أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ ؟  
قَالَتْ : وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ . قَالَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي  
مُصْحَفًا ، قَالَتْ : لِمَ ؟ قَالَ : لَعَلِّي أَوْلَفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ  
يُفْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ ، قَالَتْ : وَمَا يَضُرُّكَ أَيُّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ .

إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ ، فِيهَا ذِكْرُ  
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . حَتَّى إِذَا تَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ  
وَالْحَرَامُ .

وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ : لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ ، لَقَالُوا : لَا نَدْعُ  
الْخَمْرَ أَبَدًا ، وَلَوْ نَزَلَ : لَا تَزْنُوا ، لَقَالُوا : لَا نَدْعُ الزَّيْنَةَ أَبَدًا .

لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ : { بَلِ  
السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَدْهَى وَأَمْرٌ } ، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ  
الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ . قَالَ : فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ ،  
فَأَمَلْتُ عَلَيْهِ آيَةَ السُّورِ ((<sup>(١)</sup>) .

(١) البخاريّ : فضائل القرآن : باب تأليف القرآن : ١٩١٠/٤ ،  
رقم ٤٧٠٧ .

فهذا هو منهج القرآن الكريم ، وهو المنهج النبوي ؛ حيث قدّم التوحيد والإيمان وتأسيس الاعتقاد . حتى إذا تمكّن الإيمان من القلوب ورسخ فيها ، وتوجّهت إلى بارئها محبة ورجاءً وخوفًا .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : (( أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ )) ، تحببًا في الله وما أعدّه للمؤمن ، ورجاءً في رحمته وجنته ، وتخويفًا من عقوبته . حتى إذا تابوا إلى الإسلام نزل الحلال والحرام وما افترض الله عليهم من الفرائض . ثم ما أرشدهم إليه من أخلاق وفضائل .

وهذا هو معنى وصية النبي ﷺ لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن حيث قال : (( فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ . فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ

فَإِذَا فَعَلُوا ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ . فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا ، فَخُذْ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ )) (١)

فهذه هي الأولويات ، فأعلاها وأشرفها وأولها معرفة الله ﷻ وتعظيمه وإجلاله وتقديره حق قدره وتوحيده والإيمان به وعبادته ومحبته وخوفه ورجائه ، وثانيها تعليم الأحكام

(١) مسلم : الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام : ٥١/١ ، رقم ١٩ .

والشرائع ، وأولها وأعظمها الصلاة ، ثمّ إذا فعلوا تأتي الزكاة وهكذا باقي شرائع الدين وفضائله وأخلاقه ؛ الأهم فالمهم .

فمثلاً : الصلاة عظيمٌ قدرُها في الإسلام ، لكن التوحيد والإيمان أهم ، فليس من منهاج النبوة أن يُدعى إلى الصلاة قبل الإيمان .

وكذا الزكاة مهمةٌ لكن الصلاة أهمّ ، فنُقِّدَمَ عليها . وكذا الصدقة والإنفاق في وجوه الخير مهمّ لكن الصدقة الواجبة ( الزكاة ) أهم .

وهكذا بالنسبة لنواقض الإيمان يُقَدَّمُ الاهتمام بها والتخلُّص منها عمّا يُخِلُّ بالصلاة .

ثمّ يلزم التدرُّج في كُلِّ ، ففي التعلُّيم قال ابن مسعود : « كان الرَّجُلُ مِتًّا إذا تعلَّم عشر آياتٍ لم يجاوزهُنَّ حتَّى يعرف معانيهن ، والعمل بهنَّ » (١) .

لأنّ تحصيل أكثر من ذلك يُكفِّف جهداً ومشقةً ، وقد يفوت المصلحة والهدف الأساس من التعلُّم وهو فهم المعاني والعمل بهن .

ومن أبرز الأمثلة على مبدأ التدرُّج في أمرٍ متغلغل في النفس البشرية ويصعبُ عليها التخلُّص منه ؛ شرب الخمر . قالت عائشة - رضي الله عنها - في الحديث الذي مرَّ آنفاً : « وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ : لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ ، لَقَالُوا : لَا نَدْعُ

(١) تفسير الطبري : ٣٥/١ .

الْخَمْرَ أَبَدًا)) (١)

فهذا المنهج الرباني هو من عند الله ﷻ الذي خلق النفس البشرية وهو أعلم بها { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (٢)

فأسسَ فيها العقيدة أولاً ، ثم فرض الفرائض ثانياً ، وتدرّج في تحريم كثير من الأمور مثل الخمر ، والزنا ، والربا ، والرّق .

أما ما يتصلُ بنواقض العقيدة فلا تدرّج فيه ولا تهاون فالشُّرك لا تدرّج في قطعه وحسم مادته ، بل يُجنتُّ جملة وتفصيلاً .

لقد كانت الخطوة الأولى في تحريم الخمر ؛ التفريق بينه وبين الرِّزق الحسن ، وهذا فيه إشارة إلى أنه خبيث ، وكان ذلك بقوله تعالى : { تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا } (٣) .

ثم كانت الخطوة الثانية ؛ أوضح من الأولى ، فقد قرنه بالميسر وأنّ فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وقد وازن بين الإثم والنعمة ، وبين أن الإثم أكبر ، فهي مرحلة إقناع عقلي ، وإثارة للتفكير في المنافع والإثم . قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ

(١) سبق تخريجه آنفاً .

(٢) الملك : الآية ( ١٤ ) .

(٣) النحل : الآية ( ٦٧ ) .

نَفَعِيهَا { (١) .

أما المرحلة الثالثة ؛ فهي نهي عن قربان الصلاة وهم سُكَّارَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا يَقُولُونَ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } (٢) . وقد خاطبهم الله تعالى بأعظم خاصية لهم وهي الإيمان ؛ الذي به يمكنهم الاستجابة ، وبدونه لا يستطيعون .

وهذه المرحلة هي في الواقع تحدُّ من استعماله إلى حدٍّ كبير ، وتحصره في فترتين ؛ صباحية ومسائية ، إن تمكّن من ذلك وبقدرٍ قليل جدًا .

ثمَّ جاء التحريم القطعي النهائي في المرحلة الرابعة ؛ بصفة قويّة وفي مجموعة من الآيات ، وفيها نداء إلى المؤمنين بإيمانهم ؛ وحصرٌ لهذا العمل وبعض الأعمال الأخرى ، بأنها رجسٌ من عمل الشيطان ، وجاء الأمر الصارم باجتنابه ، وعلقّ الفلاح بالامتنال لأمره ﷻ ، ثمَّ شرع في عملية الإقناع العقلي والوجداني . والتأكيد على المؤمنين بالاستجابة لأمر الله .

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٣) . الآيات بعدها .

(١) البقرة : الآية ( ٢١٩ ) .

(٢) النساء : الآية ( ٤٣ ) .

(٣) المائدة : الآية ( ٩٠ ) وما بعدها .

أمّا الزنا الذي كان متفشياً في المجتمع الجاهلي فقد تدرّج كذلك في عدّة خطوات ، أولها النصيحة ، ثمّ التهديد بالعقوبة ، وتقرير عقوبة مجمّلة ، ثمّ تقرير عقوبة مفصّلة ومحدّدة للمحصن ولغير المحصن .

وقد تدرّج المنع أيضاً من النهي عن إكراه الفتيات على البغاء ، مع إباحة زواج المتعة في وقت محدّد إلى تحريمها بالكلية . حتّى كان الأمر الأخير الذي استقرّت عليه الشريعة وهو الزواج الشرعي والسماح بالتعدد إلى أربع زوجات في آن واحد ، ويسري عليه الأحكام الخمسة .

أمّا الربا فقد تأخر تحريمه إلى السنة العاشرة من الهجرة ، لما كان له من التغلغل في الأنفس وفي المعاملات ، وقد أحلّ الله البيع بديلاً عنه .

أمّا الفرائض : ففي الصلاة مثلاً فقد كان فيها تدرّج ، فقد كان قيام الليل فرضاً في حقّ النّبي ﷺ . وقد فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثمّ زيدت في الحضر ، وأقرّت في السّفرة كما أخبرت أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

وفي الجهاد كان الأمرُ أولاً بكفّ اليد والصبر وترك الرّد والانتقام . ثمّ بقتال من قاتلهم ، ثمّ بقتال من يلونهم من الكفار ، ثمّ بقتال المشركين كافة .

ولا بُدّ في أسلوب التدرّج والبدء بالأهم أن يُعلم أنّه بعد اكتمال الشريعة ، فإنّ كل ما استقرّ الشرع على تحريمه فلا



يجوز إباحته للناس من أجل التدرُّج بهم ، وكلما استقرَّ على إيجابه فلا يجوز إسقاطه .

ولكن يتأكد مبدأ الأولويات والتركيز عليه في الأمر والنهي .

٢٥ - التعويد على العمل وتحمل المسؤولية :

لقد كان أحد أساليب النبي ﷺ التربوية والتعليم بالممارسة العملية التطبيقية تحت نظره وبإشراف مباشر منه . ومع تعليمه أصحابه العلم كان يغرس فيهم نية العمل وعزيمة التطبيق العملي لما تعلموه أولاً بأول في واقع حياتهم العملية ، ويحذّرهم من ترك العمل .

وكان يعودّهم من خلال ذلك على تحمّل المسؤولية والقيام بأعبائها وتحمّل تبعاتها ومواجهة المشكلات والعمل على حلّها مع الاستقلالية في ذلك ، ولا يمنع المشاورة .

وكان ﷺ يواجه الناس بمسئولياتهم ، وأن المرء مسئول عما استرعاه الله ، فالجميع مسئول ، ولا يُخلى أحداً من المسؤولية ، الرّجلُ ، والمرأة ، والخادم ، على حدّ سواء .

فأخرج جيلاً منتجاً مسئولاً ، لا استهلاكياً كلاً على غيره .

فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - يقول : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « كُنْكُمْ رَاعٍ ، وَكُنْكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ : وَالرَّجُلُ رَاعٍ

في مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » (١) .

هكذا حملهم النبي ﷺ المسؤولية ، فالكلُّ مسئولٌ عمَّا استترعاه الله ، ومطالب ومحاسب عن قيامه بشئون من تحت رعايته وفي كنفه في الدنيا والآخرة وهكذا المسؤولية تقع على من رأى المنكر أيضًا .

فقد روى الإمام مسلم ، قال : « وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ (٢) . قَالَ : أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ : مَرْوَانُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ . فَقَالَ : الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ . فَقَالَ : قَدْ تَرَكْتُ مَا هُنَالِكَ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَمَا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (٣) .

وكان يعلمهم ويحثهم على تحمُّل المسؤولية تجاه أنفسهم وأهليهم ، بل وأمتهم كلها ، ولا يخص فردًا منهم بذلك . ويضرب لهم في ذلك الأمثال لكي ترسخ في سويداء قلوبهم .

فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال : قَالَ

(١) البخاريّ : الجمعة : باب الجمعة في القرى والمدن : ٣٠٤/١ ، رقم ٨٥٣ .

(٢) أبو بكر : هو أبو بكر بن أبي شيبة ، أحد مشايخه .

(٣) مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان : ٦٩/١ ، رقم ٤٩ .

**النَّبِيُّ ﷺ** : «مَثَلُ الْمُذْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا : مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا ، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا ، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا ، فَتَأَدُّوهُ بِهِ ، فَأَخَذَ فَأَسَّأَ ، فَجَعَلَ يَنْفِرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا : مَا لَكَ ؟ قَالَ : تَأَدِّيْتُمْ بِي ، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ . فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ ، وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ» (١) .

**والمُذْهِنُ هو : المرائي المضيع للحقوق الذي يُحابي في غير حق ، فلا يُنكر المنكر .**

فقد حدّر ﷺ من إتيان هذا العمل وحمل المسؤولية الجميع . فشبه المجتمع بالقوم في السفينة وذلك الذي يُريد ثقبها ، فإن أخذوا على يد السفينة وأوقفوه عند حدّه وأنكروا عليه ، نجا ونجوا جميعاً ، وإن سكتوا وداهنوا وكلُّ واحدٍ ألقى بالمسئولية على الآخر هلكوا .

وفي تبليغ هذا الدين حمل النبي ﷺ المسؤولية على كلِّ من عرف آية أو استطاع تبليغها إلى من لا يعرفها .

فعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : «بَلِّغُوا عَلَيَّ وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٢) .

(١) البخاريّ : الشهادات : باب القرعة في المشكلات : ٩٥٤/٢ ، رقم ٢٥٤٠ .

(٢) البخاريّ : كتاب الأنبياء : باب ما ذُكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٥/٣

وكان ﷺ يُحذّرهم من مخالفة الأفعال للأقوال .

فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ . فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ . » (١)

ولقد علم النبي ﷺ أصحابه بأسلوب الممارسة للعمل وتكراره أو ما يُسمّى حالياً أسلوب ( التعليم بالمحاولة والخطأ ) .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَردَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ . فَصَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ . ثَلَاثًا . فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، فَمَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ ، فَعَلَّمَنِي ، قَالَ : إِذَا فُئِتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ افْعَلْ

، رقم ٣٢٧٤ .

(١) مسلم : الزهد والرفائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهى عن المنكر ويفعله : ٤/٢٢٩٠ ، رقم ٢٩٨٩ .

ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا )) (١) .

وفي هذا الموقف التربوي العظيم حكمٌ عظيمة ، وفوائد جمّة :

منها : الصبر على التربية والتعليم ، وطول النفس ، فقد صبر عليه النبي ﷺ بانتظاره الطويل ، حتى أعاد الصلاة ثلاث مرات ، وهذا يحتاج إلى صبرٍ من المعلم ﷺ .

ومنها : إعطاء المتعلم فرصة للتعلم ، لعله يصحح خطأه بنفسه ، أو يعجز فيسأل .

ومنها : أهمية التعليم بتكرار الممارسة ومحاولة تصحيح العمل بنفسه مع التعرّض للخطأ .

ومنها : الإشراف المباشر على المتعلم من قبل المعلم ، ومراقبته أثناء أداء العمل يعوّده على الدقة وتوخي صحة العمل .

ومنها : أنه لم يعلمه حتى أخذ الموقف مداه ، فجاء معترفاً ، بل يقسم أنه لا يُحسِن أفضل ممّا فعله ، وطلب تعليمه ، فكان أوقع في نفسه وأدعى إلى قبول التصحيح وامتنال الأمر .

إن هذا الأسلوب التربوي النبوي الحكيم كان له أعظم

(١) البخاريّ : صفة الصلاة : باب حدّ إتمام الركوع والاعتدال فيه والاطمأنينة : ٢٧٤/١ ، رقم ٧٦٠ .

الأثر في غرس الصفات الصحيحة للصلاة وإقامتها والخشوع ، والطمأنينة فيها ، وانطباع ذلك كله في سويداء قلبه ، مما يجعل هذا الموقف نصب عينيه في كل صلواته .

ومنها : شعور المرء بالمسئولية عن صحة العمل ، وأنه هو المسئول أمام الله عن عمله ومؤاخذ به لا يُعني عنه نسب ولا مال ، ولا جماعة . ولن يُسأل غيره عن عمله ، فكل واحد سيلاقي ربه لا محالة فليسالنه .

قال ﷺ من حديث طويل : « ... لَيَقَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ) وفي رواية : ما منكم إلا مناخ ربه . ( ليس بينه وبينه حجاب ، ولا ترجمان يُترجم له ، ثم ليقولن له : ألم أوتك مالا ؟ فليقولن : بلى ، ثم ليقولن : ألم أرسل إليك رسولا ؟ فليقولن : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار ، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرّة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة » (١) .

في هذا الحديث قوله ﷺ : « لَيَقَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ » ، وقوله ﷺ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ » ، وقوله ﷺ في حجة الوداع يخاطب الناس : « هَلْ بَلَّغْتُمْ ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ » .

وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ في حديث تحريم الظلم : « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِّكُمْ بِهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا

(١) البخاري : الزكاة : باب الصدقة قبل الردّ : ٥١٢/٢ ، رقم ١٣٧٤ .

فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » (١) .

هذه الأحاديث ونظائرها كلها تحميل للمسئولية الفردية ، فكلُّ امرئٍ مسائل عن نفسه وعن عمله وعمّا استترعاه الله ، وكذا عن الواجبات تجاه المجتمع ، مثل إنكار المنكر وغيره .

ولقد اهتم الإسلام بالصلاة ، وعظم النبي ﷺ قدرها ، فهي الركن الأول بعد التوحيد ، وهي أكثر الأعمال تكراراً في اليوم ، بل إن بعض الأركان قد لا يجب على المرء في حياته مطلقاً .

فالزكاة قد لا يملك في حياته النصاب الذي يزكي عنه ، وكذا الحجّ قد لا يكون مستطيعاً فيسقط عنه ، والصوم الذي أوجبه الله هو صوم شهر رمضان ، شهر واحد في السنة .

أما الصلاة فتتكرر خمس مرات في اليوم واللييلة ، يحو الله بهن الخطايا . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس . يحو الله بهن الخطايا » (٢) .

لذا فقد عود النبي ﷺ أصحابه عليها جماعة في المسجد

(١) مسلم : البرّ والصلة : باب تحريم الظلم : ١٩٩٤/٤ ، رقم ٢٥٧٧ .

(٢) مسلم : المساجد ومواضع الصلاة : باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات : ٤٦٢/١ ، رقم ٦٦٧ .



حتَّى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم ، يسمعُ أحدهم الأذان فلا يشغله شيءٌ عن الإجابة حال سماعه للنداء . فعن الأسودِ قالَ : « سَأَلْتُ عَائِشَةَ : مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ » (١) .

فإذا لم يعودَ المربي أصحابه على ذلك ويربي فيهم هذه الملكة ويكون هو في مقدّماتهم متأسياً بالمصطفى ﷺ ، فلا فائدة في تربيته مهما ادعى أن لديه مهام دعوية أو غيرها . بل الأمر كما يُقال : ( شنشنة نعرفها من أزم ) . فلطالما شغل كثيرٌ من طلبة العلم ؛ الدعوة إلى الله بمسائل صغيرة هي في ميزان الإسلام لا تُقارن بالصلاة . فأَيُّ دعوة أو تربية هذه؟!!

ومن التربية بالتعويد على العمل ما صنعه النبي ﷺ مع أصحابه في مجالات كثيرة ، منها : الدعوة إلى الله والتعليم والتربية ، فقد أرسل أولَ سفيرٍ له مصعب بن عمير ﷺ قبل الهجرة يدعو إلى الله ويُعلم القرآن مَنْ أسلمَ . وتحكي كتب السير أن النبي ﷺ لم يقدم المدينة حتَّى كاد لا يخلو بيت من بيوتها إلّا دخله الإسلام .

ثمّ بعث معاداً إلى اليمن يدعوهم إلى الله ويعلمهم شرائع الدين ، ويحكم فيهم بكتاب الله ، وبعث عليّاً أيضاً .

(١) البخاريّ : الأدب : ٤٠ - باب : كيف يكون الرّجل في أهله :

٥٦٩٢ ، رقم ٢٢٤٥/٥ .

وكان يولي أصحابه المهام الكثيرة من : دعوة ، وقضاء ،  
وتعليم ، وإمارة وقيادة للجيش . وكتب السِّير تزخر بذلك .

٢٦ - الإقراع بينهم في المشكلات :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَرَضَ عَلَى قَوْمِ الْيَمِينِ ، فَأَسْرَعُوا ، فَأَمَرَ أَنْ يُسْهَمَ بَيْنَهُمْ فِي الْيَمِينِ : أَيُّهُمْ يَحْلِفُ )) (١) .

وقد بَوَّب البخاريّ - رحمه الله - عليه تعليقا بـ (( باب القرعة في المشكلات )) . قال الحافظ : (( أي مشروعيتها ، ووجه إدخالها في كتاب الشهادات أنّها من جملة البيّنات التي تثبت بها الحقوق . فكما تقطع الخصومة والنزاع بالبيّنة ، كذلك تُقَطَّع بالقرعة . وهي إمّا في الحقوق المتساوية ، وإمّا في تعيين الملك ؛ فمن الأوّل عقد الخلافة إذا استتوا في صفة الإمامة ، وكذا بين الأئمة في الصلوات والمؤذنين ، والأقارب في تغسيل الموتى والصلاة عليهم ، والحاضنات إذا كُنَّ في درجة الأولياء في التزويج ، والاستباق إلى الصفّ الأوّل ، وفي إحياء الموات ، وفي نقل المعدن ، ومقاعد الأسواق ، والتقديم بالدعوى عند الحاكم ، والتزاحم على أخذ اللقيط ، والنزول في الخان المسبل ونحوه ، وفي السفر ببعض الزوجات ، وفي ابتداء القسم والدخول في ابتداء النكاح ، وفي الإقراع بين العبيد إذا أوصى بعتقهم ولم يسعهم الثلث . وهذه الأخيرة من صور القسم الثّاني أيضا ،

(١) البخاريّ : الشهادات : باب إذا تسارع قومٌ في اليمين : ٩٥٠/٢ ، رقم ٢٥٢٩ .

وأخرجه أيضا في : باب القرعة في المشكلات في الموضع نفسه ، ص ٩٥٤ ، رقم الباب ٣٠ .

وهو تعيين الملك ، ومن صور تعيين الملك : الإقراع بين الشركاء عند تعديل السهام في القسمة .

وقال : وهو حجّة في العمل بالقرعة» (١) .

وفي حديث النعمان بن بشير قال النبي ﷺ : «مَثَلُ الْمُذْهَنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِعِ فِيهَا : مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةَ ...» (٢) الحديث . قال الحافظ : « استهَموا سفينة أي اقترعوها ، فأخذ كل واحد منهم سهماً أي نصيباً من السفينة بالقرعة بأن تكون مشتركة بينهم ، إمّا بالإجارة وإمّا بالملك ، وإمّا تقع القرعة بعد التعديل ، ثم يقع التشاح في الأنصبة ، فتقع القرعة لفصل النزاع» (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَفُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» (٤) . قال الحافظ : « والغرض منه مشروعية القرعة ، لأن المراد بالاستهام هنا الإقراع»

(١) فتح الباري : كتاب الشهادات ، بابا لقرعة في المشكلات : ٣٤٦/٥ - ٣٤٨ مختصراً .

(٢) البخاريّ : الشهادات : باب القرعة في المشكلات : ٩٥٤/٢ ، رقم ٢٥٤٠ .

(٣) فتح الباري : كتاب الشهادات : القرعة في المشكلات : ٣٤٩/٥ .

(٤) البخاريّ : الشهادات : باب القرعة في المشكلات : ٩٥٥/٢ ، رقم ٢٥٤٣ .

(١)

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ ... » (٢) الْحَدِيثُ .

وَعَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ : « أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ - امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ قَدْ بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ : أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَطْعُونٍ طَارَ لَهُ سَهْمُهُ فِي السُّكْنَى ، حِينَ أَفْرَعَتِ الْأَنْصَارُ سُّكْنَى الْمُهَاجِرِينَ ... » (٣) الْحَدِيثُ .

قال الحافظ : « ومعنى ذلك أن المهاجرين لما دخلوا المدينة لم يكن لهم مساكن ، فاقترح الأنصار في إنزالهم ، فصار عثمان بن مظعون لآل أم العلاء ، فنزل فيهم » (٤) .

مما تقدم تبين أن القرعة ، أحد أساليبه ﷺ مع أصحابه ، فقد استعملها ﷺ مع قوم تسارعوا في أداء اليمين ، فأمر أن يُقرع بينهم لتعيين الحالف . وأقر إقراع الأنصار للمهاجرين في السُّكْنَى عند مقدمهم المدينة .

(١) فتح الباري : الشهادات : القرعة في المشكلات : ٣٤٨/٥ .

(٢) البخاري : الشهادات : باب القرعة في المشكلات : ٩٥٥/٢ ، رقم ٢٥٤٢ .

(٣) المصدر السابق : الموضع نفسه : رقم ٢٥٤١ .

(٤) فتح الباري : الشهادات : القرعة في المشكلات : ٣٤٨/٥ .

٢٧ - استغلال المواقف والأحداث في تربيتهم :

من أهمّ أساليب التربية النبوية ؛ استغلال المواقف والأحداث التي تحدث في حياة الأمة والأفراد في تربيتهم وتزكيتهم ، واستثمار العواطف الإنسانية والانفعالات والغرائز الفطرية .

والحكمة في ذلك ؛ أنه إذا حصل الحدث وكان كبيراً ؛ كان وقعه على النفس عظيماً ، فيهزُّ كيانها ويتغلغل في ثناياها ، ويحدث التفاعل والانفعال ، حزناً ، أو ندماً ، أو خوفاً ، أو فرحاً ، أو حباً ورجاءً ، أو غير ذلك من الانفعالات والمشاعر . حتّى إذا بلغت النفس أقصى درجات التفاعل مع الحدث ، وكانت في ذروة تأثرها بذلك الحدث ؛ دخل عليها المربي الحاذق ذو الحكمة والبصيرة النافذة ، من المدخل المناسب لها ، وبالأسلوب والطريقة المناسبة ، وكذا في الوقت والمكان المناسبين لذلك ، ليؤصّل اعتقاداً معيّنًا ، أو يؤسس خلقاً فاضلاً ، أو يطهر من خلق ذميم ، أو تصرفٍ لا يليق ، أو يأمر بمعروفٍ أو ينهى عن منكر .

حينئذٍ سيجد نفساً مهياً للخير ، قابلة لإحداث الإصلاح المرغوب ، والتغيير المطلوب ، فيبرز الجوانب المؤثرة في ذلك الحدث ، ويصورها له ، ويرسخ معانيها في نفسه ، ويعمّقها ، ويؤكّد على جانب العبرة منها .

فيخرج المربي من هذا الحدث وقد أفاد منه أيّما إفادة ، وطرق على الحديد وهو حارٌّ ملتهب فشكّله كما يُريد ،

وخرج المتربي وقد استفاد فائدة عظيمة ، وخبرة عميقة .  
 أمّا إن ترك الموقف يمرُّ والحدث يمضي حتّى هدأت  
 النفوس ورجعت إلى وضعها ، وبردت الحديدة كما يُقال ،  
 فإنَّ الطرق على الحديدة الباردة لا يؤثّر فيها ، وإن أثر ؛  
 أثر تأثيراً باهتاً لا عمق له ، فيخرج من الموقف دونما إفادة  
 أو استفادة . فهذا بعيدٌ عن التربية الصحيحة المؤثرة .

أمّا الأحداث والمواقف فإنّها إمّا أحداثٌ كبيرة على  
 مستوى الأمة كالغزوات مثلاً ، أو خسوف الشمس ، أو  
 مواقف جماعية كقتل القراء أو مواقف فردية يكون للنبي ﷺ  
 بصددها توجيهاً فردياً أو جماعياً .

ولقد كانت تربية النبي ﷺ أصحابه ، تتم من خلال  
 الوقائع والأحداث والمواقف والمناسبات ، فكان يضعهم في  
 ميادين العمل ، ثمّ تأتيهم التوجيهات تبعاً .

فمن مواقف التربية على الصبر والكفّ ما جاء عن  
 جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بعمّار وأهله وهم يُعدّبون ،  
 فقال : « أبشروا آل عمّار وآل ياسر فإنّ موعدكم الجنة » (١) .

وفي حديث عثمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول  
 لأبي عمّار وأمّ عمّار وعمّار : « اصبروا آل ياسر موعدكم

(١) المستدرک : کتاب معرفة الصّحابة : ٤٣٨/٣ ، رقم الحديث  
 ١٢٦٤/٥٦٦٦ ، وقال : على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، قال في  
 التلخيص : على شرط مسلم .

الجنة» (١)

وكان المشركون قد أخذوهم فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس» (٢)

فهم في هذا الموقف الرهيب ، والفتنة العظيمة . يحثهم النبي ﷺ على الصبر ويبشّرهم بالجنة تشبيهاً لهم على الحق .

ومن المواقف أيضاً : ما رواه أبو بكر رضي الله عنه قال : « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَانَا ، قَالَ : مَا ظَنُّكَ يَا سَيِّدِي . (( اللَّهُ تَالِيَهُمَا ؟ )) (٣)

ففي هذا الموقف العصيب وهما في الغار ، وليس بينهما وبين العدو إلا بيت العنكبوت والمشركون يترصدون بهما الدوائر ، يجيب النبي ﷺ صاحبه الأول بثقة الأنبياء ويطمئنه ، ويعمّق في قلبه عقيدة التوكّل والثقة بالله ومعيته لهم .

وفي موقف بعد الهجرة رواه أنس رضي الله عنه : « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ : مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا ؟ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ : أَنَا ، أَنَا . قَالَ : فَمَنْ

(١) قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات : ٢٩٣/٩ .

(٢) المسند لأحمد : ٣١٩/٥ ، رقم ٣٨٣٢ ، شاكر ، وقال : إسناده صحيح

(٣) البخاري : التفسير / التوبة : ١٧١٢/٤ ، رقم ٤٣٨٦ .



يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟ قَالَ : فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ ( أَبُو دُجَانَةَ ) : أَنَا آخِذُهُ بِحَقِّهِ . قَالَ : فَأَخَذَهُ ، فَقَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ )) (١) .

فهذا الموقف الذي ابتدأه النبي ﷺ بأخذ السيف ، وعرضه على الناس وسؤاله عمّن يأخذه وبسطهم أيديهم لأخذه ، ثمّ لما قال : « فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟ » توقف الناس لصعوبة الطلب ومهابته ، فقد أثار النبي ﷺ التنافس بين الصحابة وألهب حماسهم واختبر شجاعتهم ، وأكدّ على فضيلة الشجاعة في الجهاد وعمّقها في نفوسهم وأن هذا الشرف لا يناله أحد إلاّ بحقه . فقال صاحب عصابة الموت : أنا أخذه بحقه ، فكان قدوة للصحابة ﷺ في الشجاعة والبسالة والإقدام ومثالاً يُحتذى في الجهاد ؛ أسلوب تربوي نبوي كان في يوم الحدث ( يوم أحد ) .

وفي التحذير من التنافس في الدنيا وزهرتها .

أخرج البخاريّ حديثاً ، قال : لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ﷺ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزِيَّتِهَا ... فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِفُدُومِهِ ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ ثُمَّ قَالَ : أَطُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا : أَجَلْ يَا

(١) مسلم : فضائل الصحابة : ٢٥ ، باب من فضائل أبي دجانة

: ١٩١٧/٤ ، رقم ٢٤٧٠ .

رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَأُبَشِّرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلِكَيْي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَنَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ )) (١) .

استثمر النبي ﷺ هنا غريزة حبّ المال وانتظارهم له فاستنثارهم بسؤال تقريرى عن شيء يحبونه بالفطرة لكي يرفع درجة انتباههم ويهيئهم لما سيقوله لهم ؛ فبشّرهم ووعدهم منه خيراً ، حتى إذا تهيئت نفوسهم بقبول ما يريد إيصاله لهم ، وعظهم وحذرهم من زهرة الدنيا وخوفه أن تُبْسَطَ عليهم فيتنافسوها فتهلكهم كما أهلكت الأمم قبلهم .

ومن الأحداث العظام في حياة الأمة ما كان في معركة بدر ، وما واكبها من توجيهات ربّانية ، تربّيهم بهذا الحدث .

قال الله تعالى : { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ = ٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ = ٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ = ٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ } (٢) .

(١) البخاريّ : المغازي : باب شهود الملائكة بدرًا : ١٤٧٣/٤ ، رقم ٣٧٩١ .

(٢) الأنفال : الآيات ( ٥ - ٨ ) .

قال ابن كثير : (( قال ابن جرير : وقال آخرون : معنى ذلك : على كُرِهٍ من فريقٍ من المؤمنين ، كذلك هم كارهون للقتال ، فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم )) .

ثمَّ قال ابن كثير : (( والغرض : أن رسول الله ﷺ لما بلغه خُرُوجُ النَّفِيرِ ، أوحى الله إليه يَعِدُهُ إحدى الطائفتين : إمَّا العيرُ وإمَّا النَّفِيرُ ، ورغب كثيرٌ من المسلمين إلى العير ، لأنَّه كسبٌ بلا قتال ، كما قال تعالى : { وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ } الآية ، وقال العوفي : عن ابن عباس : لما شاور النَّبِيَّ ﷺ في لقاء العدوِّ وقال له سعد بن عبادة ما قال ، وذلك يوم بدر ، أمر النَّاسَ فتعبئوا للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، فكره ذلك أهلُ الإيمان ، فأنزل الله : { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ } ، ومعنى قوله تعالى : { وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ } ، أي يحبون أن الطائفة التي لا حدَّ لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي العير : { وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ } ، أي هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم ، وينصرُكم عليهم ، ويُظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالبًا على الأديان ، وهو أعلم بعواقب الأمور ، وهو الذي يُدبِّرُكم بحسن تدبيره وإن كان العباد يُحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم )) (١) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ١٥٤٧/٤ - ١٥٤٩ باختصار ، طبعة دار ابن

فهذه تربية من الله ﷻ لصحابة رسول الله ﷺ أثناء الحدث .

وكذلك الأمر في أحد ، بل كان أشد ، فقد نزل آيات كثيرة فيها تربية للمؤمنين ، وتحقيق لتوحيدهم وتذكير لهم بمنة الله عليها وما جعل لهم من النصر على أعدائهم في بدر ، وفيها فضح لما في قلوب أعدائهم من الكيد والغل والكراهية ، وفيها مواساة لهم : { إِنَّ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ } (١) ، وفيها استحثات لهمهم : { وَلَا تَهْؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (٢) .

قال الله تعالى : { إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٣) ، { إِنَّ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ = ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ = ١٤١ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } (٤) .

وقال تعالى : { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى

(١) آل عمران : الآية ( ١٤٠ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ١٣٩ ) .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٢٢ ) .

(٤) آل عمران : الآيات ( ١٤٠ - ١٤٢ ) .

إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ { (١) .

إنَّها دروس تربوية متتابعة في هذه الأحداث العظيمة تسترعي انتباه المربي والتوقف عندها ملياً .

وفي حُنين أُعجب المسلمون بكثرتهم وقالوا : لن نُغلب اليوم من قلة ، فكان الدرس قاسياً و عنيفاً .

قال الله تعالى : { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ } (٢)

وفي غزوة تبوك كانت التربية بالأحداث للذين تخلفوا عن الغزوة تربية قاسية وعميقة ، وفيها من التأديب لهم الشيء الكثير .

قال الله تعالى : { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ = ٨١ فَلَيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيَبْئُكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٣) .

وفي ذلك تنفيرٌ عن القعود عن الجهاد في سبيل الله ، ومخالفة أمر الله ورسوله .

(١) آل عمران : الآية ( ١٥٢ ) .

(٢) التوبة : الآية ( ٢٥ ) .

(٣) التوبة: الآيتان ( ٨١ ، ٨٢ ) .

وما أكثر المواقف والأحداث التي حدثت على عهد رسول الله ﷺ ، ولم يفت النبي ﷺ واحدة منها دون الإفادة وتربية أصحابه في ضوئها ، والمقام هنا لا يتسع لاستقصائها .

ولكن يشار إلى بعضها ؛ فمنها : ما حدث في صلح الحديبية ، والدروس المستفادة من هذا الحدث العظيم ، وقبول المسلمين للشروط المجحفة من المشركين ، وفي ذلك تربية للنفوس ، وحادثة أبي جندل ، ومن ذلك استشارة النبي ﷺ لزوجته أم سلمة - رضي الله عنها - وما في ذلك من دروس وعبر .

ومن الأحداث أيضاً : كسوف الشمس على عهد رسول الله ﷺ وموعظة النبي ﷺ ، وكذا التربية بأحداث غزوة الخندق ، ومنها هجر كعب بن مالك خمسين ليلة وما في ذلك من عبر ، ومنها موعظة النبي ﷺ عند القبر واستثمار عاطفة الحزن والخوف من الموت ، ومنها حادثة الإفك ... وهكذا فإنَّ السيرة تزخر بالمواقف الكثيرة .



٢٨ - معالجة المواقف التي تسبب انكساراً في النفس :

كان ﷺ يعالج القضايا والمواقف التي ينشأ عنها أثر غير كريم في النفس ، كالانكسار والحزن وغيره .

فمن ذلك ما حصل لجابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - عندما قُتل أبوه في أحد ، فعنه ﷺ قال : (( لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي : يَا جَابِرُ مَا لِي أُرَاكَ مُنْكَسِرًا ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَدَ أَبِي - فُقِلَ يَوْمَ أُحُدٍ - وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِينًا ، قَالَ : أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا ، فَقَالَ : يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ ، قَالَ : يَا رَبُّ تُحِينِي فَأَقْتُلَ فِيكَ ثَانِيَةً ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ . قَالَ : وَأَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ : { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا } (١) الْآيَةَ )) (٢) .

فهذا المصطفى ﷺ ينظر إلى جابر فيراه منكسراً ، فيعالج حزنه ، ويجبر انكسار قلبه بتبشيره بمقام أبيه عبدالله ﷺ وأنه كلمه كفاحاً بغير حجاب ، ولم يكن ذلك إلا له ، فجبر صدع قلبه ومحا عنه الحزن والاكتئاب والانكسار .

(١) آل عمران : الآية ( ١٦٩ ) . وتمامها : { بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } .

(٢) سنن الترمذي : أبواب تفسير القرآن : من سورة آل عمران ، رقم الحديث ٣٢١٠ .

وحسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٥/٣ ، رقم ٢٤٠٨



أما حين قُتل أبوه فقد قال : (( لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَبْنِي ،  
وَأَكْشِفُ النَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَنْهَوْنِي  
، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَنْهَ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تَبْكِيهِ - أَوْ مَا تَبْكِيهِ ؟ - مَا  
زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ )) (١) .

هذه البشرية تُخَفِّفُ عنه الأحران ، وتفتح له باب الرجاء  
الواسع .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ : (( كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ  
وَرَجُلَانِ يَسْتَبْتَانِ فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أُوْدَاجُهُ فَقَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ : إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ ، لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ  
مِنَ الشَّيْطَانِ ؛ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :  
تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَقَالَ : وَهَلْ بِي جُنُونٌ ؟ )) (٢) .

فعالج النبي ﷺ هذا الموقف بالدلالة على ما يُذهب هذا  
الانفعال والأثر غير المحمود ، وهو الغضب .

ومن المواقف أيضاً التي عالجها النبي ﷺ ما كان من  
تعجب بعض الصحابة ن ساقِيَّ عبد الله بن مسعود ﷺ ، فعن  
عليّ ﷺ قال : (( أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ فَصَعِدَ عَلَى  
شَجْرَةٍ ، أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ ، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجْرَةَ فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ

(١) البخاريّ : المغازي : من قتل من المسلمين يوم أحد : ١٤٩٧/٤ ،  
رقم ٣٨٥٢ .

(٢) البخاريّ : بدء الخلق : باب صفة إبليس وجنوده : ١١٩٥/٣ ،  
رقم ٣١٠٨ .

سَاقِيهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا تَضْحَكُونَ ؟! لِرَجُلٍ عَبَدَ اللَّهَ أَنْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ )) (١) .

ومنها أيضاً : معالجته ﷺ للعيوب والتصرفات التي تنثير نوعاً من السخرية لصاحبها ، فنُسبب انكساراً نفسياً له ، وإثارة لمشاعره .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ : (( ... ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ فَقَالَ : إِيَّاكُمْ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ؟ )) (٢) .

فذكرهم ﷺ وبيّن لهم أنه ما كان ينبغي الضحك على أخيهم من شيء يفعلونه .

(١) مسند الإمام أحمد : من مسند عليّ بن أبي طالب : ٢٤٢/١ ، رقم ٩٢٠ ، طبعة دار الفكر .

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : (( أخرج أحمد بسندٍ حسن )) : ٢٠١/٤ ، ترجمة رقم ٤٩٧٠ ، طبعة دار الكتب العلمية .  
وقوله : حموشة ساقيه ، أي : دقتهما .

(٢) مسلم : كتاب الجنة ونعيمها وأهلها : باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء : ٢١٩١/٤ ، رقم ٢٨٥٥ .

٢٩ - التربية بابتسامة المغضب ، وإظهار الغضب ، والإعراض ، وقطع الكلام والسلام وردّه ، والهجر ، وإقامة الحدّ ، كل ذلك مع حبه لهم :

كل ذلك قد استعمله النبي ﷺ في تربية أصحابه :

ففي حديث كعب بن مالك الطويل وتخلّفه عن غزوة تبوك ؛ وفيه قال : (( ... فَلَمَّا سَلَمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَالَ ... )) (١) الحديث .

وأمر النبي ﷺ المسلمين بهجره وصاحبيه عقوبة لهم ، قال : (( وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرَفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً .

... فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ .

وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَقَتِيهِ بَرْدَ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ؟ ، ثُمَّ أَصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ ، فَأَسَارِفُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَّقْتُ نَحَوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي .

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ ، مَشَيْتُ حَتَّى

(١) البخاريّ : المغازي : ٧٥ - باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله ﷻ :

{ وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا } : ٤/١٦٠٣ ، رقم ٤١٥٦ باختصار .

تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ، أُنَشِدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشِدْتُهُ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشِدْتُهُ ، فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَقَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ ... )) (١) .

في هذا الحديث : التربية بهجر المجتمع لهؤلاء الثلاثة الذي صدقوه الحديث عن سبب تخلفهم عن الجهاد ، فمن ذلك الهجر ؛ التبسم تبسم المُعْضَب ، والنهي عن الكلام معهم ، والإعراض عنه ، والسكوت وعدم إجابتهم حالة السؤال ، وعدم ردّ السلام عليهم ؛ عقوبة لهم على ما اقترفوه من ذنب بتخلفهم عن تلك الغزوة ، حتى تتبين توبتهم (٢) .

هذا الهجر الاجتماعي يُسبب ضيقاً نفسياً ، وحُزناً شديداً ، كما وصف الله ﷻ بقوله : { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا

(١) البخاريّ : ( ٦٧ ) المغازي : ٤/١٦٠٥ ، رقم ٤١٥٦

(٢) وقد بوّب الإمام البخاريّ في صحيحه على ذلك فقال : باب من لم يُسَلِّمْ على من اقترف ذنباً ، ولم يردّ سلامه ، حتى تتبين توبته ، وإلى متى تتبين توبة العاصي ؟ كتاب الاستئذان : رقم الباب ٢١ : ٥/٢٣٠٨ ، وأورد جزءاً من حديث كعب بن مالك الطويل ، رقم ٥٩٠٠ .

أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا... (١) .

فضاقت عليهم الأرض بما رحبت من شدة ما هم فيه من ضيقٍ وحُزنٍ وكربٍ جراء هذه المقاطعة ، فلم تعد تسعهم الأرض جميعاً .

وفي هذا الحديث أيضاً يتضح حبّ النبي ﷺ لكعب وعطفه عليه ، وذلك من قوله : (( فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ ، وَإِذَا التَّفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي )) .

ومن التربية أيضاً المؤثرة أن يفرح المؤمن لأخيه إذا جاء ما يسره فيظهر ذلك على وجهه ، قال كعب : (( فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ )) (٢) .

وبالمقابل إذا رأى ما يُنكره عليه غضب الله ، وهي تربية بالفعل والانفعال ، فعن عليّ ﷺ قَالَ : (( أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ حُلَّةً سِيرَاءَ فَلَبِسْتُهَا ، فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي )) (٣) .

هذا الغضب الذي في هذا الحديث أو في حديث كعب بن

(١) التوبة : الآية ( ١١٨ ) .

(٢) البخاريّ : المناقب : ٢٠ - باب صفة النبي ﷺ : ١٣٠٥/٣ ، رقم ٣٣٦٣ .

(٣) البخاريّ : الهبة : ٢٦ - باب هدية ما يُكره لبسُهُ : ٩٢٢/٢ ، رقم ٢٤٧٢ .

مالك والهجر هو بسبب اقتتراف ذنب في حق الله تعالى ، وهو التخلف عن غزوة من الغزوات ، وفي حديث علي من أجل لبس الحرير .

هذا إذا كان الهجر والغضب لله ، أما إذا كان من أجل خصومات وخلافات ومشاحنات فلم ينتقم النبي ﷺ لنفسه قط ، ولا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث كما ثبت في السنة .

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : « لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة ، فإذا أقيمه سلم عليه ثلاث مرار كل ذلك لا يرد عليه ، فقد بآء بإثميه » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار » (٢) .

وعن أبي خراش السلميّ ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من هجر أخاه سنة فهو كسفق دمه » (٣) .

وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ

(١) سنن أبي داود : كتاب الأخلاق : ٥٥ ، باب فيمن يهجر أخاه المسلم : رقم ٤٩١٣ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الأخلاق : ٥٥ ، باب فيمن يهجر أخاه المسلم : رقم ٤٩١٤ .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الأخلاق : ٥٥ ، باب فيمن يهجر أخاه المسلم : رقم ٤٩١٥ .

يَوْمَ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ ؛ فَيُعْفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ، إِلَّا مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ! فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَدْيَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » (١) .

[ قَالَ أَبُو دَاوُدَ : النَّبِيُّ ﷺ هَجَرَ بَعْضَ نِسَائِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَابْنُ عُمَرَ هَجَرَ ابْنًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ ] .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ : [ إِذَا كَانَتْ الْهَجْرَةُ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا بِشَيْءٍ ، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ غَطَّى وَجْهَهُ عَنْ رَجُلٍ ] .

ولكن مع بقاء أصل المحبة بين المؤمنين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **أَتَى النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، فَمِمَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ ، وَمِمَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ ، وَمِمَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِتَوْبِهِ . فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ : مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أُخْيِكُمْ » (٢) .**

وفي حديث عمر رضي الله عنه : **« أَنْ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ**

(١) سنن أبي داود : كتاب الأخلاق : ٥٥ ، باب فيمن يهجر أخاه المسلم : رقم ٤٩١٦ .

(٢) البخاري : الحدود : باب ما يكره من لعن شارب الخمر : ٢٤٨٩/٦ ، رقم ٦٣٩٩ .

يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ» (١) .

فهذا فيه دلالة صريحة على بقاء أصل الإيمان وأنه لا يخرج بارتكابه الكبيرة فيبقى على أصل المحبة بين أهل الإيمان مع القيام بحقوق الأخوة من التآخي والتناصر، مع إقامة العقوبة عليه . فهي من نصره والأخذ على يديه لأنه ظلم نفسه بارتكابه المنكر .

وقد تمّ إيراد هذا لأنّ كثيراً من طلبة العلم إذا خالفه آخر في مسألة أو في رأي ، أو كان بينهما خصومة ، أو ترك التعاون معه في دعوته لسبب من الأسباب نبذه ، وناصبه العداة وكأنه خرج من الملة وأصبح عدواً من أكبر أعدائه .

فهذا رسول الله ﷺ وصل الأمر أن يقيم حدّاً على أحد أصحابه ومع هذا يدافع عنه وينهى عن سبّه ولعنه لأنّ أصل الأخوة والمحبة باق .

(١) البخاريّ : الحدود : ما يُكره من لعن شارب الخمر ، وأنه ليس بخارج من الملة : ٢٤٨٩/٦ ، رقم ٦٣٩٨ .



٣٠ - التربية بالقصة :

أسلوب القصة من أشد الأساليب تأثيراً في النفوس ، في الكبار والصغار ، والرجال والنساء على حدّ سواء ، لكن النساء والصغار أشدّ تأثراً بها .

فالقصة تسحر القلوب وتمسُّ شغافها ، وتمتلك زمامها ، بما تُحدِّثه من انفعال وتعاطفٍ ، وتحليق في عالمها ، ومتابعة مشاهدتها ، وعيش في أحداثها بالقلب والشعور والوجدان ، وتطّلع إلى معرفة حقائقها وأسرارها ، ونتائجها ، فيظلُّ مشدوداً من أولها إلى آخرها ، لأنّها موافقة ومطابقة للظرة ، ومُشبعة لغريزة حُبّ الاطلاع ، والتفاعل مع أحداثها وأشخاصها مع وجود عنصر التشويق ، وشدّ السامع أو المشاهد وتركيز انتباهه وإثارة مشاعره ، واستمرار متابعته لمعرفة النهاية .

وهذا هو السرُّ في سحر الأسلوب القصصي وتميُّزه عن غيره . فإنّ درجة الانتباه والمتابعة والتحفُّز والتفاعل تظلُّ على أشدّها من البداية إلى النهاية .

فيحصل التأثير المطلوب والتغيير المرغوب . بينما قد ينتاب المرء في كثير من الأساليب الأخرى الفتور ، أو الملل ، أو الغفلة ، فيكون ذلك حاجزاً عن التأثير المطلوب .

ومن عوامل نجاحها تضمُّنها لأسلوب الإيحاء بالتأسي والافتداء بأشخاص القصة فتثير في السامع مكامن الاعتبار والاتعاط بما حدث لهم ، فإن كان خيراً اتبعه ، وإن كان

شراً فرّ منه واجتنبه .

لأنّ اتباع أهل الخير والصلاح وتقليدهم في أعمالهم التي كانت سبباً في نجاحهم مغروسٌ في الفطر ، وكذا النفور من أهل الشرّ والسوء وأعمالهم التي أوبقتهم وكانت سبباً في هلاكهم .

فالخاتمة الحسنة تشدُّ السامع إلى المعروف والخير وتحثُّه عليه وتقدّمه له في ثوب جدّاب فيميل إليه ويحبُّه فينتقل إلى تقليده وفعله ، والخاتمة السيئة تثير فيه النفور من الشرّ والابتعاد عنه ومن ثمّ الحذر من الوقوع فيه أو في مثله ، قياساً على صاحب القصة الذي ذاق وبال أمره وعاقبته الوخيمة ؛ جزاء مقارفته للأعمال المنكرة .

والقصص القرآني والنبوي يحظى من ذلك بأوفر النصيب .

ويتميّز بالصدق ، والوضوح في جميع جزئياته وجوانبه ، ويتميّز أيضاً بطرُق الموضوع مباشرة دون التواء أو إطالة .

ويُضاف إلى تأثير القصة المذكور آنفاً ، التأثير البلاغي للنصّ القرآني والنبوي ؛ فقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم ، فالألفاظ قليلة العدد بالغة التأثير ، وقد يطرُق القرآن الكريم الموضوع من عدّة جوانب كقصة موسى مع فرعون . فالسحر العجيب للقصة يضاف إليه سحر الألفاظ وصدقها ،

وأنها حقائق حصلت وليست من نسج الخيال . وتعرض حقائق غير مصنعة أو مزخرفة أو أن فيها مداهنة لأصحابها .

وتعرض قصة الفاحشة بجلباب الحياء وبطريقة لا تنبه الغافل ولا تثير الغرائز واللذة ، ولا تدعو إلى الفاحشة ، وتقليد من ارتكس فيها .

وتعرض لحظة الهبوط والضعف كما هي ، ولكنها لا تصنع منها بطولة يُرَّكز عليها .

تعرضها لحظة عابرة لحظة ضعف سرعان ما تنتهي وتعود لحظة الطهر والبراءة والإفاقة والإنابة إلى الله ...

إن نسبة وقتها في القصة لا تزيد عن تلك التي في الحياة الطبيعية .

تعرض بأسلوب التنفير والاشمئزاز منها وتسليط الأضواء على لحظة الطهر والبراءة لدفع السامع إلى النفور منها وحمله على العبرة منها .

فالقصاص القرآني يهدف إلى الاعتبار والتصديق للنبي ﷺ وما جاء به ، وفيه تفصيل كل شيء ، وفيه هدى ورحمة للمؤمنين ؛ قال الله تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (١) .

وفيه تثبيت لفؤاد النبي ﷺ ولأُمَّته من بعده ، بما قصَّ عليه من أخبار الرسل من قبله وما لاقوه من أقوامهم فصبروا فكانت العاقبة لهم ولأتباعهم . قال الله تعالى : { وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ } (٢) .

وفي القصص أيضاً إثارة للتفكير والتأمل للرجوع إلى الحق ؛ قال تعالى : { فَأَقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٣) .

والله الذي خلق النفس البشرية ؛ وهو أعرف بها وبمداخلها وفطرتها وما يؤثر فيها . وعلم ﷺ شدة تأثير الأسلوب القصصي فيها ووقعه عليها ، فكان القرآن الكريم أشدَّ احتفاءً بالقصة ، وهي في مجملها تركّز على تحقيق التوحيد ، وصلاح الباطن والظاهر ، واللبأ إلى الله في الرخاء والشدة ، وتركية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، والشجاعة في الحق ، والجهاد في سبيل الله ، ونشر الفضيلة ، والترقي بالعبد في مراتب الإيمان والإحسان .

ومن تلك القصص : قصة آدم ﷺ وإخراجه من الجنة ، وقصة ابني آدم ، وقصة نوح مع قومه وابنه ، وقصة شعيب

(١) يوسف : الآية ( ١١١ ) .

(٢) هود : الآية ( ١٢٠ ) .

(٣) الأعراف : الآية ( ١٧٦ ) .

ومدين ، وهود وعاد ، وصالح وثمود ، ولوط وقومه ، ويعقوب وبنيه ، ويوسف وإخوته ، وامرأة العزيز ، ويونس وقومه ، وإبراهيم وأبيه وابنه إسماعيل وأقوامهم ، وموسى وفرعون ، وداود وسليمان وقومهما ، والهدد ، ومملكة سبأ ، وأصحاب الأخدود ، وذو القرنين ، وصاحب الجنتين .

وأخيراً قصة نبيِّنا ﷺ مع قومه من الكفار والمشركين والمنافقين وغزواته وجهاده فيهم ، وما لاقاه من عنتٍ وبلاءٍ وعنادٍ واستكبارٍ منهم .

أمّا القصص النبوي فكثيرٌ جدًّا ، وكان المصطفى ﷺ يهتمّ بالقصة لما يعلم من تأثيرها ووقعها في النفوس .

فعن عبدالله بن عمرو ؛ قال : « كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُصْبِحَ ؛ مَا يَفُومُ إِلَّا إِلَى عَظْمِ صَلَاةٍ » (١) .

وقد قصّ النبي ﷺ على أصحابه قصصًا كثيرًا ؛ منها : قصة الثلاثة الذي تكلموا في المهد (٢) ، وقصة الثلاثة :

(١) سنن أبي داود : كتاب العلم : ١١ - باب الحديث عن بني إسرائيل : رقم ٣٦٦٣ .

وصحّ إسناده الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٦٩٧/٢ ، رقم ٣١١٢ .

(٢) البخاريّ : الأنبياء : ( ٤٩ ) باب : واذكر في الكتاب مريم : رقم ١٢٦٨/٣ ، رقم ٣٢٥٣ .

الأبرص والأعمى والأقرع في بني إسرائيل (١) ، وقصة الثلاثة الذين توسّلوا بصالح أعمالهم في حديث الغار (٢) .

وقصة المرأة التي كانت ترضع ولدها ، وترك ثديها وتكلم (٣) ، وقصة المرأة المومسة : بغي من بغايا بني إسرائيل التي سقت الكلب (٤) ، وقصة الرجل صاحب الجراحات (٥) .

وقصة تكلم البقرة والذئب ، حيث قصّها النبي ﷺ على أصحابه بعد صلاة الصبح (٦) ، وقصة توبة قاتل التسعة والتسعين (٧) ، وكذلك قصة الرجل الذي أوصى بنيه أن يحرقوه إذا مات ويطحنوه ويذروه في البحر (٨) .

- 
- (١) المصدر السابق : الأنبياء : ( ٥١ ) باب : ما ذكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٦/٣ ، رقم ٣٢٧٧ .
- (٢) المصدر السابق : الأنبياء : ( ٥٢ ) باب : أم حسبت أن أصحاب الكهف : ١٢٧٨/٣ ، رقم ٣٢٧٨ .
- (٣) البخاريّ : الأنبياء : ( ٥٢ ) باب : أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم : ١٢٧٩/٣ ، رقم ٣٢٧٩ .
- (٤) البخاريّ : بدء الخلق : باب : إذا وقع الذباب في شراب أحدكم : ١٢٠٦/٣ ، رقم ٣١٤٣ وكذا رقم ٣٢٨٠ .
- (٥) البخاريّ : الأنبياء : ( ٥١ ) باب : ما ذكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٥/٣ ، رقم ٣٢٧٦ ، وراجع أيضاً رقم ١٢٩٨ .
- (٦) البخاريّ : الأنبياء : ( ٥٢ ) باب : أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم : ١٢٨٠/٣ ، رقم ٣٢٨٤ .
- (٧) مسلم : التوبة : باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم ٢٧٦٦ . وأخرجه البخاريّ أيضاً برقم ٣٢٨٣ .
- (٨) مسلم : التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، رقم ٢٧٥٦ . والبخاريّ : ١٢٨٢/٣ - ١٢٨٤ ، الأرقام : ٣٢٩١ - ٣٢٩٤ .

والقصص النبوي كثيرٌ جداً فتراجع في مظانها من كتب الحديث وشروحها لاستخلاص العبر منها والفوائد ، والمواقف التي سبقت فيها ، فالمقام لا يتسع لذلك .

٣١ - تربية النبي ﷺ أصحابه بالقوة والأسوة الحسنة :

من لطيف تقدير الله ، ودقيق تدبيره ، ورحمته بعباده ، أن أنزل القرآن ، هدىً ورحمة ونور ، وأرسل رسولاً منهم يطبقه تطبيقاً عملياً مشاهداً أمامهم ، فيتأثرون به ويتفاعلون معه ويتلونه حق تلاوته ، ويتبعون هذا الرسول الأمي ويقتدون به حق الاقتداء .

فقد علم سبحانه حاجتهم الفطرية وضرورتهم الجبليّة لاتباع والتقليد والمحاكاة والاقتداء ، وقبول الإيحاء ، والميل الفطري لحب المشاركة في الخير .

فله الحكمة البالغة ، أنزل القرآن منهجاً ، وأرسل محمداً ﷺ مطبقاً تطبيقاً عملياً لهذا المنهج ، فكان بحق ترجمة حقيقية ؛ حيّة للقرآن ، ومثلاً يُحتذى . فلا يستطيع أحد أن يقول : إنّ هذا القرآن في منزلة مثالية خيالية ؛ ولا يمكن تطبيقه على البشر ، فقد قطع ﷺ الحُجج كلها وأبطل الأعداء جميعها وأسقط في أيدي أعدائه فلم يجدوا مخرجاً ولم يحيروا جواباً .

نقل ما يدعو إليه من عالم الألفاظ والمعاني إلى عالم التجسيد المشاهد والواقع المنظور . ومن عالم المتلوّ إلى عالم التطبيق العملي الملموس .

وبهذا ملأ مشاعر قومه ؛ وحواسهم وقناعاتهم ؛ بإمكانية التطبيق والتنفيذ ولسان حاله يقول : هذا ما أدعو إليه بالفعل والقول ؛ ماثلاً بين أيديكم ؛ حقيقة مشاهدة في يسر وسهولة



، فهلاً طبقتموه وتأسيتم به .

فهذا هو الفرق بين العلم والفكر ، والنظرية والتطبيق .  
فهي دعوى مصحوبة بالدليل والبرهان والتطبيق العملي ،  
تسقط أمامها جميع الحجج والأعدار .

لكلّ هذه المعاني كان أسلوب القدوة هو أشدّ الأساليب  
التربوية تأثيراً .

ولقد اختصرت أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -  
ذلك في عبارة واحدة ؛ حينما سألتها فتادة بقوله :

(( يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أُنَبِّئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ  
: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَتْ : فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ  
ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ . قَالَ : فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ ، وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَن  
شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ )) (١) .

قال القاضي عياض : (( وقوله : فهمت أن أقوم ولا  
أسأل أحداً عن شيء حتى أموت : أكتفي بذلك وأقتدي  
بالتخلق بأخلاق النبي ﷺ بالقرآن ، ففيه المقنع من كلّ شيء  
والهداية إلى كلّ رشد والخلاء من كلّ شبهة )) (٢) .

(١) مسلم : صلاة المسافرين : ١٨ ، باب جامع صلاة الليل : ٥١٢/١ ،  
رقم ٧٤٦ .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم : كتاب صلاة المسافرين : ( ١٨ ) ، باب  
جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض : ٩٥/٣ ، طبعة دار الوفاء

والله ﷺ أمر نبيّه ﷺ بالافتداء بهُدى الأنبياء من قبله ، فقال ﷺ : { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ اقْتَدِهْ } <sup>(١)</sup> ، وقال : { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } <sup>(٢)</sup> ، وحث أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم على التأسى به فقال : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } <sup>(٣)</sup> .

قال أبو الفداء - رحمه الله - : « هذه الآية الكريمة أصلٌ كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ؛ ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي ﷺ يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرتة ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربّه ﷺ صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، ولهذا قال تعالى للذين تفلّقوا وتضجّروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ } أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ » <sup>(٤)</sup> .

لأنه الصورة التطبيقية الكاملة للمنهج ، والمثال الذي كمله الله ﷺ ليكون نموذجاً كاملاً يراه الصّحابة ﷺ فيتأثرون به ويتبعونه في شأنه كلّ ، ذلك أن من طبيعة

(١) الأنعام : الآية ( ٩٠ ) .

(٢) الأحقاف : الآية ( ٣٥ ) .

(٣) الأحزاب : الآية ( ٢١ ) .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٤٨٣/٣ ، طبعة دار المعرفة .

النَّاسَ إِذَا رَأَوْا نَمُوذَجًا لِلْكَمَالِ أَوْ النِّجَاحِ أَحْبَبُوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَتَأَسَّوْا بِهِ . وَكَانَ التَّأَثُّرُ شَدِيدًا ؛ وَالِاتِّبَاعُ فِي أَوْجِهِ ، فَأَخْرَجَ اللَّهُ ذَلِكَ الْجَيْلَ الْفَرِيدَ ؛ جَيْلَ الْقِدْوَةِ وَالْقَمَّةِ ؛ الَّذِي سَيَبْقَى كَالْعِلْمِ لِلنَّاسِ ؛ يُشَمَّرُوا إِلَيْهِ . وَالنَّاسُ فِي كُلِّ زَمَنِ بِحَاجَةِ فَطْرِيَّةٍ مَاسَّةٍ إِلَى قِدْوَاتٍ ؛ تَطْبِقُ الْإِسْلَامَ ؛ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا وَأَخْلَاقًا وَتَعَامُلًا فِي أَهْيَ صُورِهِ ، كَمَا قَدَّمَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، صُورَةَ عَمَلِيَّةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ ؛ يَشَاهِدُهَا النَّاسُ مَائِلَةً أَمَامَ نَوَاطِرِهِمْ فَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا وَيَتَّبِعُونَهَا وَيَقْتَدُونَ بِهَا ، يَطْبِقُونَ الْإِسْلَامَ بِالِاقْتِدَاءِ الْمُبَاشِرِ ؛ الْمَائِلِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَمَامَ أَعْيُنِهِمْ ، الْمَنْقُولِ عَنِ الْقِدْوَةِ الْأُولَى ﷺ .

لِذَا كَانَ حَقًّا عَلَى مَنْ يُقْتَدِي بِهِ مِنَ النَّاسِ ؛ أَنْ يَحْمَلَ الْإِسْلَامَ كَامِلًا ، وَيَتَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّاتِهِ كَامِلَةً ؛ وَيَحْمَلَ تَبَعَاتِ الْقِدْوَةِ حَقَّ حَمْلِهَا ، وَأَنْ يَكُونَ مِثَالًا حَيًّا لِلْقُرْآنِ لِيَكُونَ تَأْثِيرُهُ فِي نَفُوسِ الْمُقْتَدِينَ بِهِ فَاعِلًا ؛ فَلَا يَقْعُونَ فِي اضْطِرَابٍ وَحَيْرَةٍ بَيْنَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ وَمَا يَشَاهِدُونَ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ وَتَعَامُلَاتِهِ وَعِبَادَاتِهِ .

فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ قَدْ فَتَنُوا النَّاسَ وَأَوْقَعُوهُمْ فِي حَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ وَتَنَاقُضٍ بَيْنَ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ وَتَعَامُلَاتٍ وَتَصَرُّفَاتٍ .

وَهِيَاهُتْ أَنْ يَصَدِّقُوهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ أَوْ يَتَّبِعُوهُمْ فِيمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ .

فَيَنْبَغِي لِمَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَصَدِّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ ، بَلْ

يدعوهم بفعله قبل قوله كيما يصدّقونه ويحبّونه ويطيعونه  
فيما يأمرهم به أو ينهاهم عنه ويمتثلون المبادئ التي ينادي  
بها لأنهم يرونها ماثلة فيه رأي العين .

### كيف ربّى النبي ﷺ أصحابه بأسلوب القدوة ؟

لقد سلك النبي ﷺ في تربيته أصحابه بهذا الأسلوب  
طريقتين :

الأول : الدعوة إلى الاقتداء به قولاً وفعلاً .

الثاني : بالتطبيق العملي الكامل للوحي .

الأول : الدعوة إلى الاقتداء به قولاً وفعلاً .

١ - بالترغيب والحثّ على ذلك وتلاوة قول الله ﷻ : { لَقَدْ  
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَدَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (١) .

و عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ؛ أنّ رسول الله ﷺ قال : « ما  
من نبيّ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب  
يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثمّ إنّها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما  
لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمنٌ ، ومن  
جاهدهم بلسانه فهو مؤمنٌ ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ . وليس وراء  
ذلك من الإيمان حبة خردلٍ » (٢) .

٢ - الأمر بالإقتداء بسنته رضي الله عنه ، فعن العرياض بن سارية

رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « ... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ

(١) الأحزاب : الآية (٢١) .

(٢) مسلم : الإيمان : ٢٠ - بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان :

٦٩/١ ، رقم ٥٠ .

تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ...» (١) الحديث .

وأمر ﷺ بالاعتداء بهديه في العبادات ، فعن جابر رضي الله عنه قال :  
« رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ :  
لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ . فَإِنِّي لَا أُدْرِي لِعَلِّي لَا أُحْجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ » (٢) .

ومعناه : خذوا مناسككم واتبعوني في ذلك كما صنعت ،  
واقصدوا بي .

وفي الصلاة يأمر أصحابه بالاعتداء به فيها فيقول :  
« وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ... » (٣) .

٣ - مباشرة العمل بنفسه عند عدم المبادرة لامتنال أمره .

وفي ذلك إيحاء منه ﷺ لأصحابه بوجوب سرعة الامتنال  
لأمره ﷺ ، ففي زمن الحديبية ، قال عمر رضي الله عنه : « قَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : فُومُوا فَاَنْحَرُوا ، ثُمَّ اَخْلِفُوا . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ  
مِنْهُمْ رَجُلٌ . حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ  
أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ  
أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اَخْرُجْ ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا  
مِنْهُمْ كَلِمَةً ، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ .

(١) سنن أبي داود : كتاب السنّة : ( ٦ ) باب في لزوم السنّة . رقم الحديث  
٤٦٠٧ ، وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٨٧١/٣ ،  
رقم ٣٨٥١ .

(٢) مسلم : كتاب الحج : ( ٥١ ) باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم  
النحر راكبًا وبيان قوله ﷺ : « لتأخذوا مناسككم » : ٩٤٣/٢ ، رقم ١٢٩٧ .

(٣) البخاري : الأذان : ١٨ - باب الأذان للمسافر : ٢٢٦/١ ، رقم ٦٠٥ .

فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ . نَحَرَ بُدْنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ .

فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا ، حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ... )) (١) .

٤ - بالإنكار على من تقالَّ عمل النَّبِيِّ ﷺ .

عن أنسٍ ﷺ قال : (( جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَن عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَدْ عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا .

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ فُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسَأَكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْفُدُ ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ . فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي )) (٢) .

وحيثما قفل النَّبِيُّ ﷺ راجعاً من غزوة خيبر ، ونام ﷺ وأصحابه حتى طلعت الشمس ثم سار حتى ارتفعت . فعن أبي قتادة ﷺ في حديثه الطويل قال : (( ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَالٍ بِالصَّلَاةِ

(١) البخاريّ : ٥٨ ، كتاب الشروط : ١٥ - باب الشروط في الجهاد :

٩٧٤/٢ . قطعة من حديث رقم ٢٥٨١ .

(٢) البخاريّ : ٧٠ - كتاب النكاح : ١ - باب الترغيب في النكاح :

١٩٤٩/٥ ، رقم ٤٧٧٦ .

. فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكَعَتَيْنِ . ثُمَّ صَلَّى الْعَدَاةَ فَصَنَعَ كَمَا  
كَانَ يَصْنَعُ كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ : وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبْنَا  
مَعَهُ . قَالَ فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَهْمِسُ إِلَى بَعْضٍ : مَا كَفَّارَةُ مَا  
صَنَعْنَا بِتَفْرِيطِنَا فِي صَلَاتِنَا ؟ ثُمَّ قَالَ : أَمَا لَكُمْ فِي أُسْوَةٍ ؟ (١)

الحديث .

---

(١) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة : ٥٥ - باب قضاء  
الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها : ٤٧٢/١ ، رقم ٦٨١ .



الطريق الثاني : سيرته ﷺ ، وقيامه بالتطبيق العملي الكامل للوحي :  
 بلغ النبي ﷺ الغاية في الكمال والنهائية في الامتثال لأمر  
 الله ﷻ ، فترجم بقوة إيمانه وتوكله ، وعبادته ، وسلوكه  
 وأخلاقه ، ومعاملاته ؛ وحي ربه ومنهجه ومعانيه حتى  
 أصبح حقيقة مشاهدة ، وواقعاً حياً ماثلاً أمام الناس ؛  
 يشاهدونه فيتأثرون به ويتأسون به .

فكان بحقّ كما وصفه ربه بقوله عزّ وجلّ : { وَإِنَّكَ لَعَلَى  
 خُلُقٍ عَظِيمٍ }<sup>(١)</sup> .

والخُلُق كما قال ابن منظور : « يُطلق في اللغة على  
 معان هي : الدين ، الطبع ، والسّجية »<sup>(٢)</sup> .

وكما وصفت عائشة - رضي الله عنها - بقولها : « فَإِنَّ  
 خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ »<sup>(٣)</sup> .

وقال خادمه أنس رضي الله عنه في وصفه : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا »<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن ﷺ ليدعو إلى أمرٍ إلا وهو أول من يتّصف به ،

(١) القلم : الآية ( ٤ ) .

(٢) لسان العرب لابن منظور : ٨٦/١٠ ، مادة ( خلق ) .

(٣) كتاب صلاة المسافرين : ( ١٨ ) ، باب جامع صلاة الليل : ٥١٢/١ ،  
 رقم ٧٤٦ .

(٤) مسلم : الفضائل : ١٣ - باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا :  
 ١٨٠٥/٤ ، رقم ٢٣١٠ .

بل يكون متحقق به من قبل .

وما كان ليلتو عليهم قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ = ٢ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } <sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام : { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ مِنْكُمْ مَالًا وَلَا نَفْسًا } <sup>(٣)</sup> . ثم لا يتّصف بما يدعو إليه .

يقول العلامة عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - عند آية الصف : « أي : لم تقولون الخير وتحثون عليه ، وربما تمدّحتم به وأنتم لا تفعلونه ، وتنهون عن الشرِّ ، وربما نزّهتم أنفسكم عنه ، وأنتم متلوّثون متصفون به ، فهل تليق بالمؤمن هذه الحالة الذميمة ؟ أم من أكبر المقت عند الله ، أن يقول العبد ما لا يفعل ؟ ولهذا ينبغي للأمر بالخير ، أن يكون أوّل النَّاس مبادرَةً إليه ، والناهي عن الشرِّ ، أن يكون أبعد النَّاس عنه » <sup>(٤)</sup> .

والنبي ﷺ هو الأولى ، وله القدحُ المعلىّ في ذلك . فلقد كانت أفعاله وأحواله ﷺ موافقة تمامًا لأقواله ، لا تناقض

(١) الصف : الآيتان ( ٢ ، ٣ ) .

(٢) البقرة : الآية ( ٤٤ ) .

(٣) هود : الآية ( ٨٨ ) .

(٤) تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المئان : ٢٢٩/٥ .

بينها مطلقاً .

بل كانت حياته وشخصيته واضحة تمام الوضوح ، وضوح الشمس في رابعة النهار ، مع الشمول والتوازن ، فقد كملّه الله ﷻ ، فلا يطغى جانبٌ على جانب ، ولا يهتمّ بشأنٍ وينسى آخر ، إنّما هو الكمال والتمام في كلّ جانب ؛ فلا يودُّ الناظر إلى سيرته ﷺ أن يراه في شأنٍ إلاّ رآه على أفضل ما يكون ، وكأنّه متفرّعٌ له .

كمال وشمول وتوازن بين الدعوة والتربية والتعليم والعبادات ، والجهاد ، والقيام بأداء الحقوق والواجبات ، مع الأهل والأزواج ، مع الأصحاب والأحاب ، مع الجيران والأضياف ، مع القريب والبعيد .

وهذا يطول شرحه ويبعدُ استقصاؤه ، وتنوء به المجلدات . فلنراجع في مظانّها من كتب الشمائل والدلائل والسير والسنن ، ويكفي هنا إشارات إلى معالم التكامل في شخصيته ﷺ ؛ في محاور ثلاثة :

**المحور الأوّل : رسوخ إيمانه ﷺ وثقته برّبّه وتوكّله عليه**

**المحور الثّاني : منهجه ﷺ في العبادة .**

**المحور الثّالث : عظيم خلقه وحُسن معاملته ﷺ .**

فأمّا المحور الأوّل :

فمن عميق إيمانه وثقته برّبّه ﷻ ويقينه ، ما رواه خباب بن الأرتّ قال : « شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فُلْنَا لَهُ : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟ أَلَا تَدْعُو

**اللَّهِ لَنَا ؟ قَالَ :** كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهِ ، فَيَجَاءُ بِالْمِثْثَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُسْقَى بِإِنْتِنِينَ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ . وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لِيُتَمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الدَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلِكَيْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ )) (١) .

ومن فرط توكله على ربه ويقينه وامتلاء قلبه بمعية الله ﷺ ما رواه أبو بكر رضي الله عنه قَالَ : (( قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ : لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ : مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَانْتِنِينَ اللَّهُ تَالِيَهُمَا ؟ )) (٢) .

وقوله في حديث الهجرة رضي الله عنه : (( فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا ، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْثَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، فَقُلْتُ : هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا )) (٣) .

ومن أعظم الأمثلة على توكله رضي الله عنه وثقته العظيمة بالله ويقينه ما رواه جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قَالَ : (( غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ (٤) ، فَلَمَّا أُدْرِكْتُهُ الْقَائِلَةُ

(١) البخاريّ : - ٦٥ ، المناقب : ٢٢ - باب علامات النبوة في الإسلام :

١٣٢٢/٣ ، رقم ٣٤١٦ .

(٢) البخاريّ : - ٦٦ ، فضائل الصحابة : ٢ - باب مناقب المهاجرين

وفضلهم : ١٣٣٧/٣ ، رقم ٣٤٥٣ .

(٣) المصدر السابق : الموضوع نفسه ، رقم ٣٤٥٢ .

(٤) هي غزوة بني المصطلق من خزاعة ، وهي غزوة المريسيّ ،

وعلى ذلك بوّب عليها الإمام البخاريّ ، انظر : البخاريّ : ٦٧ -

، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا ، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحِينَا ، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَأَخْتَرْتُ سَيْفِي ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي ، مُخْتَرِطٌ صَلْنَا ، قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ فَشَامَهُ (١) ثُمَّ قَعَدَ ، فَهُوَ هَذَا . قَالَ : وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ )) (٢) .

وفي رواية أخرى لجابر حينما قال الأعرابي : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقُلْتُ : اللَّهُ - ثَلَاثًا - وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ )) (٣) .

وأما المحور الثاني :

فمنهجه في عبادته ﷺ ، فمن ذلك ما رواه أنس من حديث الرِّهْطِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ جَاءُوا يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﷺ ... قال : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسَبُكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاهُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَصَلِّي وَأَرْفُدُ ،

المغازي ، ٣٠ - باب غزوة بني المصطلق .

(١) فشامه ، أي : أغمده ، ومخترط أي سال سيفه ، صلنا أي مصلنا ، بارزاً ومستويًا .

(٢) المصدر السابق : ٦٧ - المغازي ، ٣٠ - باب غزوة بني المصطلق ... : ١٥١٦/٤ ، رقم ٣٩٠٨ .

(٣) المصدر السابق : ٦٠ ، الجهاد ، ٨٣ ، من علق سيفه بالشجر عند القائلة : ١٠٦٥/٣ ، رقم ٢٧٥٣ .

وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ . فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي )) (١) ، وسنَّته ﷺ هي منهجه : الوسط والتوازن والاعتدال .

فأمَّا صفة قيامه ﷺ ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - : (( أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمٌ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا ؟ فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ ؛ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ )) (٢) .

وفي حديث المغيرة : (( قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ )) (٣) .

وعن عروة رضي الله عنه (( أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً ، كَانَتْ تِلْكَ صَلَاتُهُ تَعْنِي بِاللَّيْلِ ، فَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدَكُمْ خَمْسِينَ آيَةً ، قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ ، وَيَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَدِّنُ لِلصَّلَاةِ ،

(١) البخاريّ : ٧٠ - كتاب النكاح : ١ - باب الترغيب في النكاح : ١٩٤٩/٥ ، رقم ٤٧٧٦ .

(٢) البخاريّ : ٦٨ - التفسير / الفتح : ٣٢٤ - باب قوله : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك : ١٨٣٠/٤ ، رقم ٤٥٥٧ .

(٣) وقد رواه مسلم في باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة : ٢١٧٢/٤ ، رقم ٢٨٢٠ .

المصدر والموضع نفسه ، رقم ٤٥٥٦ .

((<sup>(١)</sup> .

وعنها - رضي الله عنها - قالت : (( كُلُّ اللَّيْلِ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَهَى وَثْرَهُ إِلَى السَّحَرِ ))<sup>(٢)</sup> .

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (( أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - : كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ ؟ فَقَالَتْ : مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ، يُصَلِّي أَرْبَعًا ، فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ ؟ قَالَ : يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانُ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي ))<sup>(٣)</sup> .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (( بَتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً ، وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا ، لَأَنْظُرَ كَيْفَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ رَقَدَ ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ أَوْ بَعْضُهُ ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَرَأَ : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } إِلَى قَوْلِهِ :

(١) المصدر السابق : ٢٠ ، الوتر : ١ - باب ما جاء في الوتر : ٣٣٨/١ ، رقم ٩٤٩ .

(٢) المصدر والموضع نفسه ، رقم الحديث ٩٥٠ ، في باب ساعات الوتر ، ومعنى كلُّ الليل أوتر : أي لم يكن له وقت معين ، بل وقع منه الوتر في كلِّ أجزاء الليل .

(٣) المصدر السابق : ٣٧ - صلاة التراويح : ١ - باب فضل من قام رمضان : ٧٠٨/٢ ، رقم ١٩٠٩ .

{ لأولي الألباب } ، ثُمَّ قَامَ فَنَوَّضًا وَاسْتَنَّ ، ثُمَّ صَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ، ثُمَّ أَدَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ ((<sup>(١)</sup>).

وسأل علقمة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : (( كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ : لَا ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً ، وَأَيْكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ ﷺ يَسْتَطِيعُ ؟ )) (<sup>(٢)</sup>).

وفي تطوُّعه ﷺ بالنهار ؛ عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ السَّلُولِيِّ ، قَالَ : (( سَأَلْنَا عَلِيًّا عَنْ تَطَوُّعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهَارِ ؟ فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَا تُطِيفُونَهُ . فَقُلْنَا : أَخْبِرْنَا بِهِ نَأْخُذَ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْنَا ، قَالَ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ يُمَهِّلُ ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا ، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ بِمِقْدَارِهَا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ هَاهُنَا ، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ ، قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الشَّمْسُ مِنْ هَاهُنَا ، يَعْنِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ بِمِقْدَارِهَا مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ هَاهُنَا قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعًا ، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَأَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ

(١) البخاريّ ١٠٠ - التوحيد - ٢٧ - باب ما جاء في تخليق السموات والأرض : ٢٧١٢/٦ ، رقم ٧٠١٤ .

(٢) المصدر السابق ٨٤ - الرقاق : ١٨ - باب : القصد والمداومة على العمل : ٢٣٧٣/٥ ، رقم ٦١٠١ .



رَكَعَتَيْنِ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالنَّبِيِّينَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ عَلِيٌّ : فَبِتِلْكَ سِتِّ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، تَطَوُّعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّهَارِ ، وَقَلَّ مَنْ يُدَاوِمُ عَلَيْهَا . قَالَ وَكَيْعُ : زَادَ فِيهِ أَبِي : فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي تَابِتٍ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ! مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِحَدِيثِكَ هَذَا مِائَةً مَسْجِدِكَ هَذَا دَهَبًا )) (١) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ : (( أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَقَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأَحَبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ )) (٢)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا )) (٣)

(( وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ

(١) سنن ابن ماجه : ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها : ١٠٩ ، باب ما جاء فيما يُستحب من التطوع بالنهار ، رقم ١١٦١ .

وقد حسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ١٩١/١ ، رقم ٩٥٢ .

(٢) الشمائل المحمدية للترمذي : الصلاة : رقم ٤٧٨ .

وصححه الألباني في مختصر الشمائل ، ص ١٥٨ ، رقم ٢٥٠ .

(٣) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة . ( ٥٢ ) ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد صلاة الصبح ، وفضل المساجد : ٤٦٤/١ ، رقم ٦٧٠ / ٢٨٧ .

لأوّل وقتها)) (١) .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : (( مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً لَوْ قَتَلَهَا الْآخِرُ مَرَّتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ )) (٢)

قَالَ أَبُو عِيْسَى : ... قَالَ الشَّافِعِيُّ : وَالْوَقْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ أَوَّلِ الْوَقْتِ عَلَى آخِرِهِ : اخْتِيَارُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَلَمْ يَكُونُوا يَخْتَارُونَ إِلَّا مَا هُوَ أَفْضَلُ ، وَلَمْ يَكُونُوا يَدْعُونَ الْفَضْلَ ، وَكَانُوا يُصَلُّونَ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ : (( أُتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ خَلْفِهِ ، فَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ وَهُوَ مُجَحَّجٌ ، فَمَا فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ )) (٣) .

(( وَكَانَ ﷺ إِذَا سَجَدَ جَافَى عَضْدِيهِ عَنْ جَنْبِيهِ حَتَّى نَأْوِيَ

(١) سنن الترمذي : أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ ، ١٢٧ - باب ما جاء في الوقت الأوّل من الفضل : رقم الحديث ١٧٠ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن الترمذي : ٥٦/١ ، رقم ١٤٤ .  
(٢) المصدر السابق ، والموضع نفسه ، برقم ١٧٤ ، وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ٥٦/١ ، رقم ١٤٦ .

(٣) سنن أبي داود : تفريع أبواب الركوع والسجود : ١٥٩ ، باب صفة السجود ، رقم ٨٩٩ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ١٧٠/١ ، رقم ٧٩٦ .

ومعنى مُجَحَّجٌ : أي فاتح عضديه مجافيهما عن جنبيه رافع بطنه عن الأرض .

لَهُ)) (١)

عَنْ مَيْمُونَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سَجَدَ لَوْ شَاءَتْ بِهِمَهُ أَنْ تَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ لَمَرَّتْ )) (٢)

وَعَنْ مُطَرِّفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : (( رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ )) (٣)

أَمَّا صَوْمُهُ ﷺ ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ . فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ )) (٤)

وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : (( لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ ،

(١) المصدر السابق رقم ٩٠٠ ، وصححه في نفس الموضع السابق برقم ٧٩٧ .

ومعنى ناوي له : أي نشفق عليه . انظر : معجم مقاييس اللغة : ١٥١/١ .

(٢) مسلم : ٤ - كتاب الصلاة : ٤٦ ، ما يجمع صفة الصلاة ... : ٣٥٧/١ ، رقم ٤٩٦ .

(٣) سنن أبي داود : تفريع أبواب الركوع والسجود : ( ١٦٢ ) ، باب البكاء في الصلاة ، رقم ٩٠٤ ، وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ١٧٠/١ ، رقم ٨٠٠ .

(٤) البخاري : ٣٦ ، كتاب الصوم : ٥١ - باب صوم شعبان : ٦٩٥/٢ ، رقم ١٨٦٨ .

وَكَانَ يَقُولُ : خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيفُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا .  
وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ ، وَكَانَ  
إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوِمًا عَلَيْهَا )) (١) .

وَعَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ  
كُلِّ شَهْرٍ : أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ )) (٢) .

وفي رواية النَّسَائِيِّ : (( أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَخَمِيسَيْنِ ))  
(٣) .

وعن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : ((  
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ : أَوَّلَ  
اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ ، ثُمَّ الْخَمِيسَ ، ثُمَّ الْخَمِيسَ الَّذِي يَلِيهِ )) (٤) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ . وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ  
فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ . صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ  
الَّتِي قَبْلَهُ ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ . وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ

(١) المصدر السابق والموضع نفسه : رقم ١٨٦٩ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الصوم : ( ٦١ ) ، باب في صوم العشر ،  
رقم ٢٤٣٧ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن أبي داود : ٤٦٢/٢ ،  
رقم ٢١٢٩ .

(٣) صحيح سنن النَّسَائِيِّ : ٤٩٩/٢ ، رقم ٢٢٣٦ .

(٤) المصدر السابق في الكتاب نفسه : ( ٨٣ ) ، باب كيف يصوم ثلاثة  
أيام من كل شهر ؟ : ٥٠٨/٢ ، رقم ٢٢٧٣ .

يُكْفَرُ السَّنَّةَ الَّتِي قَبْلَهُ» (١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ : شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ . وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ : صَلَاةُ اللَّيْلِ » (٢) .

وَقَالَ ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِنًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ » (٣) .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ » (٤) .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى لَا تَكَادَ تُفْطِرُ ، وَتُفْطِرُ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ ، إِلَّا يَوْمَيْنِ ، إِنْ دَخَلَ فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمْتَهُمَا ؟ قَالَ : أَيُّ يَوْمَيْنِ ؟ قُلْتُ ؟ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ . قَالَ : ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأَحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا

(١) مسلم : ١٣ - كتاب الصيام : ( ٣٦ ) ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر : ٨١٨/٢ ، رقم ١١٦٢ .

(٢) المصدر السابق والكتاب نفسه : ٣٨ - باب فضل صوم المحرم : ٨٢١/٢ ، رقم ١١٦٣ .

(٣) المصدر السابق والكتاب نفسه : ( ٣٩ ) باب استحباب صوم ستة أيام من شعبان : ٨٢٢/٢ ، رقم ١١٦٤ .

(٤) سنن الترمذي ، أبواب الصوم ( ٤٣ ) ، باب صوم الاثنين والخميس : رقم ٧٤٩ .

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، رقم ٧٩٥ .

صَائِمٌ)) (١) .

وقال ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ » (٢) .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَصُومَ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْبَيْضَ : ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ » (٣) .

حَدَّثَتْ مُعَاذَةَ الْعَدَوِيَّةُ (( أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ : أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . فَقُلْتُ لَهَا : مِنْ أَيِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ يَصُومُ )) (٤) .

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ . وَأَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا » (٥) .

(١) سنن النسائي : كتاب الصيام ، وهو في صحيح النسائي : كتاب الصيام ( ٧٠ ) ، باب صوم النبي ﷺ : ٤٩٧/٢ ، رقم ٢٢٢٢ .

(٢) المصدر السابق والكتاب نفسه : ٧٥ ، باب صوم ثلثي الدهر : ٥٠١/٢ ، رقم ٢٢٤٩ . والوحر هنا : الوسوسة .

(٣) المصدر السابق : كتاب الصيام : ٨٤ ، باب ذكر الاختلاف على موسى بن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من الشهر : ٥٠٩/٢ ، رقم ٢٢٧٧ .

(٤) مسلم : ١٣ ، كتاب الصيام : ( ٣٦ ) ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر : ٨١٨/٢ ، رقم ١١٦٠ .

(٥) مسلم : ( ١٣ ) كتاب الصيام ( ٣٥ ) ، باب النهي عن صوم الدهر :

وفي اعتكافه ﷺ ؛ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ . حَتَّى تَوَقَّاهُ اللَّهُ ﷻ ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ )) (١) .

وَأَمَّا حَجُّهُ ﷺ ؛ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَجَّ ثَلَاثَ حَجَجٍ : حَجَّتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ ، وَحَجَّةَ بَعْدَ مَا هَاجَرَ وَمَعَهَا عُمْرَةٌ ... )) (٢) .

وَأَمَّا عِدَّةُ عُمْرِهِ ﷺ ؛ فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ : (( سَأَلْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ رَدُّهُ ، وَمِنْ الْقَابِلِ عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَعُمْرَةً فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ )) (٣) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ ، كَمَا يَنْفِي الْكِبْرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ )) (٤)

٨١٦/٢ ، رقم ١١٥٩/١٨٩ .

(١) مسلم : ١٤ ، كتاب الاعتكاف : ( ١ ) باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان : ٨٣١/٢ ، رقم ١١٧٢/٥ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الحج : ٦ - باب كم حج النبي ﷺ ، رقم الحديث ٨١٩ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢٤٥/١ ، رقم ٦٥٢ .

(٣) البخاري : ٣٣ - كتاب العمرة ، ٣ - باب كم اعتمر النبي ﷺ : ٦٣١/٢ ، رقم ١٦٨٨ .

(٤) سنن الترمذي : أبواب الحج : ٢ - باب ثواب الحج والعمرة ، رقم

وقال ﷺ : « فَإِنَّ عُمْرَةَ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي » (١)

وفي الترمذي قال ﷺ : « عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً » (٢)

وفي توبته واستغفاره ﷺ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » (٣)

وَعَنْ الْأَعْرَبِيِّ الْمُزَنِيِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً » (٤)

وعنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ ،

الحديث ٨١٤ .

- وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٢٤٤/١ ، رقم ٦٥٠ .
- (١) البخاري : ٣٤ - الإحصار وجزاء الصيد : ٣٧ - باب حج النساء : ٦٥٩/٢ ، رقم ١٧٦٤ .
- (٢) سنن الترمذي - أبواب الحج ، وهو في صحيح سنن الترمذي : أبواب الحج ٩٢ - باب ما جاء في عمرة رمضان : ٢٧٧/١ ، رقم ٧٤٧ .
- (٣) البخاري : ٨٣ - الدعوات : ٣ - باب استغفار النبي ﷺ في اليوم واللييلة : ٢٣٢٤/٥ ، رقم ٥٩٤٨ .
- (٤) مسلم : ٤٨ ، كتاب الذكر والدعاء : ( ١٢ ) باب استحباب الاستغفار والإكثار منه : ٢٠٧٥/٤ ، رقم ٤١/٢٧٠٢ .



فَأَيُّ أَثُوبٍ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةٌ مَرَّةً)) (١) .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، قَالَتْ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ )) (٢) .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : (( إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، مِائَةً مَرَّةً )) (٣) .

وأما المحور الثالث :

فهو عِظَمُ خَلْقِهِ ﷺ ، وحسن معاملته .

قال القاضي عياض : (( خصال الجلال والكمال في البشر نوعان : ضروري دُنْيَوِي ، اقتضته الجبلة . ومكتسب دِينِي وهو ما يُحْمَدُ فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى .

فأما الضروري : فما ليس للمرء فيه اختيار مثل ما كان في جبلة من كمال خلقته ، وجمال صورته ، وقوة عقله ،

(١) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، رقم ٤٢/٢٧٠٢ .

(٢) مسلم : ٣ ، كتاب الحيض : ( ٣٠ ) باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها : ٢٨٢/١ ، رقم ٣٧٣ .

(٣) سنن ابن ماجه ، ٣٣ ، كتاب الأدب : ( ٥٦ ) ، باب فضل التسبيح : رقم ٣٨١٤ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ٣٢١/٢ ، رقم ٣٠٧٥ .

وفي رواية الترمذي : (( المجلس الواحد )) ( ٣٦٧٥ ) .

وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ، وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته ، وشرف نسبه ، وعزة قومه ، وكرم أرضه ، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ، ومنكحه ، وماله وجاهه .

وأما المكتسبة الأخروية : فسائر الأخلاق العلية ، والآداب الشرعية ؛ من الدين والعلم والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والزهد ، والتواضع ، والعفو ، والعفة ، والجود ، والشجاعة ، والحياء ، والمروءة ، والصمت ، والتؤدة ، والوقار ، والرحمة ، وحسن الأدب والمعاشرة ، وأخواتها ، وهي التي جماعها حسن الخلق .

إذا كانت خصال الكمال والجمال ما ذكرنا ، ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو باثنتين إن اتفقت له في كل عصر ، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ، ولا يعبر عنه مقال ، ولا يُنال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال ، من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء ... ))<sup>(١)</sup> .

ففي حسن سمته : قال البراء : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ ، عَظِيمِ الْجَمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ . عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ : ٧٧/١ - ٧٩ مختصرًا .



والشاهد هنا هو قول طلحة : « وَكَانُوا لَا يَجْتَرُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ يُوقَرُونَهُ وَيَهَابُونَهُ » وذلك مما كان عليه رسول الله ﷺ من الهيبة والوقار ، مع أنه ﷺ كثير التبسم والمداعبة لهم .

قال عبدالله بن الحارث : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (١) . ومن طريق آخر عنه قال : « مَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسُّمًا » (٢) .

وقال أبو هريرة ﷺ : « قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا . قَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » (٣) .

وكان ﷺ واضح الشخصية لا غموض ولا التواء ، ولا مكر ولا خديعة ، إذا سُرَّ استنار وجهه ، وإذا غضب عُرف ذلك في وجهه .

فعن عبدالله بن كعب قال : « سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ

(١) المصدر السابق : أحاديث شتى من أبواب الدَّعَوَات : ٢٢/٤١ - باب برقم ٣٩٠٣ .

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ١٩٦/٣ ، رقم ٢٨٨٠ ، وصححه في مختصر الشمائل برقم ١٩٤ .

(٢) الموضوع نفسه برقم ٣٩٠٤ ، وصححه في الموضوع السابق برقم ٢٨٨١ .

(٣) المصدر السابق : البرِّ والصلَّة : برقم ٢٠٧٥ ، وقال الترمذي : « معنى قوله : ( إنك تداعبنا ) : إنَّما يعنون أنك تمارحنا » . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ١٩٢/٢ ، رقم ١٦٢١ .

يُحَدِّثُ حِينَ تَخَافَ عَنْ تَبُوكَ . قَالَ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ )) (١) .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا ، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ ، فَقَالَ : أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْمُذَلِّجِيُّ لَزَيْدٍ وَأَسَامَةَ - وَرَأَى أَقْدَامَهُمَا - : إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ )) (٢) .

وكان إذا غضب عُرف في وجهه . فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خُدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ )) (٣) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (( قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةَ كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لِقِسْمَةُ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فُلْتُ : أَمَا أَنَا لِأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ ، فَسَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ ثُمَّ قَالَ : قَدْ

(١) البخاريّ : ٦٥ - المناقب . ٢٠ - باب صفة النبي ﷺ : ١٣٠٥/٣ ، رقم ٣٣٦٣ .

(٢) المصدر السابق : الموضوع السابق ، رقم ٣٣٦٢ .

(٣) البخاريّ : ٨١ - الأدب : ٧٢ - باب من لم يواجه الناس بالعتاب : رقم ٥٧٥١ ، ٢٢٦٣/٥ .

أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ )) (١) .

وبالجملة ، فعن بُرَيْدَةَ (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ ، فَإِذَا أُعْجِبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيئَهُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا فَإِنْ أُعْجِبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمُهَا رُئِيَ كَرَاهِيئَهُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ )) (٢) .

وعن جرير قال : (( مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ . وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ )) (٣) .

وفي رواية له : (( وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحَكَ )) (٤) .

وفي صدقه ﷺ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : (( لَمَّا نَزَلَتْ : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } ، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ

(١) البخاري ٨١ - الأدب : ٧١ - باب : الصبر على الأذى : ٢٢٦٣/٥ ، رقم ٥٧٤٩ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الطب ، ٢٤ ، باب في الطيرة ، رقم الحديث ٣٩٢٠ .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ، برقم ٣٣١٩ .

(٣) مسلم : ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة : ( ٢٩ ) ، باب من فضائل جرير بن عبدالله : ١٩٢٥/٤ ، رقم ١٣٥/٢٤٧٥ .

(٤) رواية مسلم في الموضع نفسه برقم ١٣٤ .

والبخاري في ٦٦ - فضائل الصحابة ٥١ - باب : ذكر جرير بن عبدالله البجلي : ١٣٩٠/٣ ، رقم ٣٦١١ .

عَلَى الصَّفَا ، فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فَهْرَ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ، لِبُطُونِ  
فُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ  
أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَفُرَيْشٌ ، فَقَالَ :  
أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟  
قَالُوا : نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا ، قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ  
يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، أَلِهَذَا  
جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ  
وَمَا كَسَبَ } ((<sup>(١)</sup>).

وفي رواية مسلم : (( قالوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ... )) ((<sup>(٢)</sup>)

وفي تواضعه ﷺ : عَنْ أَنَسٍ ؛ (( أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا  
شَيْءٌ . فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . فَقَالَ : يَا  
أُمَّ فُلَانِ ! انظري أَيَّ السُّكَّكِ شِئْتِ ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ . فَخَلَا مَعَهَا  
فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ <sup>(٣)</sup> حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا )) ((<sup>(١)</sup>).

(١) البخاريّ : ٦٨ - التفسير ، ٢٦٠ - باب : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } :  
١٧٨٧/٤ ، رقم ٤٤٩٢ .

(٢) مسلم : ١ - كتاب الإيمان : ( ٨٩ ) ، باب في قوله : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ  
الْأَقْرَبِينَ } : ١٩٣/١ ، رقم ٢٠٨ .

(٣) فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، أَي وَقَفَ مَعَهَا فِي طَرِيقِ مَأْهول  
مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة . ولم يكن ذلك من الخلوة  
بالأجنبيّة ، فإنّ هذا كان في ممرّ النَّاسِ ومشاهدتهم إيّاه وإياها ، لكن لا  
يسمعون كلامها . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . ط دار  
المعرفة : ج ١٥ ، ١٦ ، ص ٨٢ ، رقم ٥٩٩٨ .

وعنه رضي الله عنه قال : (( إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ )) (١) .

وعن عمرة قالت : (( قِيلَ لِعَائِشَةَ : مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ ؛ يَفْلِي تَوْبَهُ ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ )) (٢) .

وعن أنس قال : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُدْعَى إِلَى خَبْزِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنَخَةِ فَيُجِيبُ ، وَلَقَدْ كَانَ لَهُ دَرْعٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فَمَا وَجَدَ مَا يَفْكَهَا حَتَّى مَاتَ )) (٣) .

أما أمانته ﷺ : فمما قاله جعفر بن أبي طالب في قصته مع النجاشي قوله : (( ... حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَقَافَهُ ... )) (٤) .

ومن قبلُ كان يعرف ﷺ بالأمين ، قال ابن هشام : (( وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي

(١) مسلم : ٤٣ - كتاب الفضائل ، ١٩ - باب قرب النبي ﷺ من الناس : ١٨١٢/٤ ، رقم ٢٣٢٦ .

(٢) البخاري : ٨١ - الأدب ، ٦١ - باب الكبر : ٢٢٥٥/٥ ، رقم ٥٧٢٤ .

(٣) مختصر الشمائل : ص ١٧٩ ، رقم ٢٩٣ ، وصححه الألباني .

(٤) المرجع السابق : ص ١٧٧ ، رقم ٢٨٧ ، وصححه الألباني .

وأصله في البخاري ، في كتاب الرهن ، برقم ٢٣٧٣ .

(٥) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف : ٨٧/٢ ، من حديث أم سلمة بإسناد حسن كما قاله العمري في السيرة النبوية الصحيحة : ١٧٤/١ .



: (الأمين) ((<sup>(١)</sup>) .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : « كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَوْبَانِ قَطْرِيَّانِ غَلِيظَانِ ، فَكَانَ إِذَا قَعَدَ فَعَرَقَ تَفْلاً عَلَيْهِ . فَقَدِمَ بَزُّ مِنَ الشَّامِ لِفُلَانِ الْيَهُودِيِّ . فَقُلْتُ : لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَاسْتَرَيْتَ مِنْهُ تَوْبَيْنِ إِلَى الْمَيْسِرَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا يُرِيدُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَالِي أَوْ بِدِرَاهِمِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَذَبَ ، قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَنْفَاهُمْ لِلَّهِ وَآدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ » ((<sup>(٢)</sup>) .

وَأَمَّا صَبْرُهُ ﷺ : فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : « قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ . فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوزِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » ((<sup>(٣)</sup>) .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ قَالَ : « حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ : أَخْبَرَنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ؛ قَالَ : بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ،

(١) سيرة ابن هشام : ٢٨/١ مع الروض الأنف ، وحسن إسناده الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ، ص ٨٥ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب البيوع ، ٧ - باب في الرخصة في الشراء إلى أجل ، رقم ١٢٣٦ . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٤/٢ ، رقم ٩٦٩ .

(٣) البخاري : ٦٤ الأنبياء ، ٢٩ - باب حديث الخضر مع موسى : ١٢٤٩/٣ ، رقم ٣٢٢٤ .

فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ ، فَخَنَقَهُ خَنَقًا شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : { أَنْفَعُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ } { الْآيَةُ } (١) .

ولقد صبر ﷺ صبرًا شديدًا على شدة ما لاقاه يوم أحد .

فَعَنْ أَبِي حَازِمٍ : (( أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ وَهُوَ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ الْمَاءَ ، وَيَمَّا دُووِي . قَالَ : كَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُهُ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ الْمَاءَ بِالْمِجَنِّ ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً ، أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ ، فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ . وَكُسِرَتْ رِبَاعِيئُهُ يَوْمَئِذٍ ، وَجُرِحَ وَجْهُهُ ، وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ )) (٢) .

وفي صبره ﷺ على الجوع قال جابر : (( إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ ، فَقَالَ : أَنَا نَازِلٌ ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَابْنَانَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ دَوَاقًا ... )) (٣)

(١) البخاري : ٦٦ - فضائل الصحابة . ٥٨ - باب : ما لقي النبي ﷺ

وأصحابه من المشركين بمكة : ١٤٠٠/٣ ، رقم ٣٦٤٣ .

(٢) البخاري : ٦٧ - المغازي : ٢٢ - باب : ما أصاب النبي ﷺ من

الجراح يوم أحد : ١٤٩٦/٤ ، رقم ٣٨٤٧ .

(٣) المصدر السابق والكتاب نفسه ، ٢٧ - باب غزوة الخندق وهي

### الحديث

أما حلمه ﷺ بعد صبره على أشدّ موقف لاقاه : فعن عائشة - رضي الله عنها - : (( أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِيَالِيلَ بْنِ عَبْدِكَلالِ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثُّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْريلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْسَبِينَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا )) (١) .

وقال أنس : (( كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةُ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَدَّبَهُ جَدْبَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَّةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَدْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ )) (٢) .

الأحزاب : ١٥٠٥/٤ ، رقم ٣٨٧٥ .

(١) البخاريّ : ٦٣ - بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم : آمين ، والملائكة في السماء ، فوافقت إحداهما الأخرى غُور له ما تقدّم من ذنبه : ١١٨٠/٣ ، رقم ٣٠٥٩ .

(٢) البخاريّ : ٦١ - الخمس : ١٩ - باب : ما كان النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي

وقد مرّ أنفاً قصّته ﷺ مع الأعرابي الذي اخترط عليه سيفه ليقتله ، فصبر عليه ﷺ وحلم ، ولم يعاقبه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : (( أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه ، فأغلظ ، فهمّ به أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ، ثُمَّ قَالَ : أَعْطُوهُ سِنًا مِثْلَ سِنِّهِ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أُمَّتَلَّ مِنْ سِنِّهِ . فَقَالَ : أَعْطُوهُ ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً )) (١) .

ولم يؤثر عنه ﷺ أنه انتقم لنفسه قط :

فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : (( مَا خَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا . فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا )) (٢) .

وفي رواية لها - رضي الله عنها - : (( ... وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ )) (٣) .

المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه : ١١٤٨/٣ ، رقم ٢٩٨٠ .

(١) البخاري : ٤٥ - الوكالة ، ٦ - باب الوكالة في قضاء الدين : ٨٠٩/٢ ، رقم ٢١٨٣ .

(٢) البخاري : ٦٥ - المناقب ، ٢٠ - صفة النبي ﷺ : ١٣٠٦/٣ ، رقم ٣٣٦٧ .

(٣) البخاري : ٨٩ - الحدود ، ١٠ - باب إقامة الحدود والانتقام لحرّمات الله : ٢٤٩١/٦ ، رقم ٦٤٠٤ .

أما في الأناة والتؤدة :

فعن مَرَوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَقَدْ هَوَّازَنَ مُسْلِمِينَ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبَبَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَفُهُ ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ : إِمَّا السَّبِيَّ ، وَإِمَّا الْمَالَ ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ .

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتظَرَهُمْ بِضَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، قَالُوا : فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبَبِنَا ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَتْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ سَبَبَهُمْ . فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيَّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ .

فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّا لَا نَذْرِي مَنْ أَدْنَى مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ ، مِمَّنْ لَمْ يَأْدَنْ ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرْفَاؤَكُمْ أَمْرَكُمْ .

فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرْفَاؤُهُمْ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا ((<sup>(١)</sup>)).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « التائي من الله ، والعجلة من الشيطان ، وما أخذ أكثر معاذير من الله ، وما شيء أحب إلى

(١) البخاريّ : ٤٥ - الوكالة ٧ - باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم  
جاز : ٨١٠/٢ ، رقم ٢١٨٤ .

الله من الحمد» (١) .

وعن سعد بن أبي وقاص ، قَالَ الأعمشُ : وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا  
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « التُّؤدَةُ (٢) فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ  
» (٣) .

وعن ابن مُعَاذٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ : « وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
لِلْأَشَجِّ ، أَشَجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ : إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ  
» (٤) .

وَأَمَّا رَحْمَتُهُ (٥) ﷺ ؛ فَمِنْهَا : رَحْمَتُهُ بِأُمَّتِهِ : فَعَنْ أَبِي  
هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَوْلَا أَنِ اشْتَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي ، أَوْ

(١) الترغيب والترهيب للمنذري : ٤١٨/٣ ، وقال : رواه أبو يعلى  
ورواته رواية الصحيح ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٩/٨ :  
رجاله رجال الصحيح .

(٢) التؤدة : هي التآني والتمهل . مختار الصحاح ، ص ٣١٨ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، ١١ باب الرفق : رقم ٤٨١٠ .  
وصححه الألباني : انظر صحيح سنن أبي داود : ٩١٣/٣ ،  
رقم ٤٠٢٦ .

(٤) مسلم : ١ - كتاب الإيمان ( ٦ ) باب الأمر بالإيمان بالله تعالى  
ورسوله ﷺ ، وشرائع الدين ، والدعاء إليه ، والسؤال عنه ، وحفظه ،  
وتبليغه من لم يبلغه .

وذكر في حاشية مسلم : ( الحلم والأناة ) ، قال : أمّا الحلم فهو العقل  
، وأمّا الأناة فهي التثبّت وترك العجلة .

(٥) الرحمة : قال ابن فارس : الراء والحاء والميم أصلٌ واحد يدلُّ على  
الرِّقَّة والعطف والرفافة . معجم مقاييس اللغة : ٤٩٨/٢ .

عَلَى النَّاسِ ، لِأَمْرَتِهِمْ بِالسُّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ )) (١) .

ورحمته بالصبيان : فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : (( كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأُرْسِلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ . وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا أَوْ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ . فَقَالَ لِلرَّسُولِ : ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا : أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ .

فَعَادَ الرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّهَا قَدْ أَفْسَمَتْ لِنَائِبَتِهَا . قَالَ : فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَنْطَلَقَتْ مَعَهُمْ ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَقَعُّعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ ، فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ . فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ )) (٢) .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخْذِهِ ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخْذِهِ الْأُخْرَى ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أُرْحَمُهُمَا )) (٣) .

(١) البخاريّ : ١٧ - الجمعة . ٧ - باب السواك يوم الجمعة : ٣٠٣/١ ، رقم ٨٤٧ .

(٢) مسلم : ١١ - كتاب الجنائز . ( ٦ ) باب البكاء على الميت : ٦٣٥/٢ ، رقم ٩٢٣ .

(٣) البخاريّ : ٨١ - الأدب : ٢٢ - باب وضع الصبي على الفخذ :

وفي رحمته ﷺ بأصحابه ﷺ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : « اشْتَكَيْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ . فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُوذُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ ، فَقَالَ : أَفْذَقْتَنِي؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا . فَقَالَ : أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ بِرَحْمٍ » (١) .

وبالأمهات خاصة :

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنِّي لِأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطْوَلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي ، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ » (٢) .

وفي حديث أنس : « ... مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمَّهِ مِنْ بُكَائِهِ » (٣) .

٢٢٣٦/٥ ، رقم ٥٦٥٧ .

(١) مسلم : ١١ - الجنائز ( ٦ ) باب البكاء على الميت : ٦٣٦/٢ ، رقم ٩٢٤ .

(٢) البخاري : ١٥ الجماعة والإمامة ٣٦ - باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي : ٢٥٠/١ ، رقم ٦٧٥ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم ٦٧٧ .



وفي حديث آخر له : « وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ ، مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ » (١) .

رحمته بمن غضب عليه من المؤمنين :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَخَذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخَلِّفَنِيهِ . فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ . فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ ، سَتَمْتُهُ ، لَعَنْتُهُ ، جَدَدْتُهُ ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢) .

وفي رواية : « فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣) .

وفي حديث آخر له : « فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً » (٤) .

وأما رحمته بالمصلين :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَّةِ » (٥) .

وأما رحمته بالأعراب :

- 
- (١) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم ٦٧٦ .
  - (٢) مسلم : ٤٥ - كتاب البرِّ والصلة والآداب ( ٢٥ ) باب من لعنه النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أو سبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجرًا ورحمة : ٢٠٠٨/٤ ، رقم ٩٠/٢٦٠١ .
  - (٣) المصدر السابق : الموضع نفسه ، رقم ٩١/٢٦٠١ .
  - (٤) المصدر السابق : الموضع نفسه ، رقم ٨٩/٢٦٠١ .
  - (٥) المصدر السابق : ٤ - كتاب الصلاة ( ٣٧ ) - باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام : ٣٤١/١ ، رقم ١٨٥/٤٦٧ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : (( أن أعرابياً بال في المسجد ، فنار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : دعوهُ ، وأهريقوا على بؤله ذنوباً من ماءٍ ، أو سجلاً من ماءٍ ، فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين )) (١) .

وأما رحمته بالشباب ورقته :

فعن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : (( أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلةً ، فظننا أننا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عمّن تركنا في أهلنا ، فأخبرناهُ ، وكان رقيقاً رحيماً ، فقال : ارجعوا إلى أهليكم ، فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي ، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ثم ليؤمكم أكبركم )) (٢) .

وأما رحمته بالمؤمنين ورافته وحرصه عليهم :

فقد قال الله تعالى فيه ﷺ : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } (٣) .

وفي ليله ﷺ وخفضه جناحه لهم ، قال الله تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

(١) البخاري : ٨١ الأدب : ٨٠ باب قول النبي ﷺ : « يسرّوا ولا تعسّروا » : ٢٢٧٠/٥ ، رقم ٥٧٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : ٢٧ باب رحمة الناس والبهائم : ٢٢٣٨/٥ ، رقم ٥٦٦٢ .

(٣) التوبة : الآية ( ١٢٨ ) .

حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (١) .

وقال : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } (٢) .

بل هو ﷺ رحمة للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، قال الله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا : كلنا رحيم يا رسول الله . قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة الناس ، رحمة العامة » (٤) .

ولقد كان ﷺ رحيماً بالحيوانات ، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ . فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتْ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تُفْرِشُ . فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا . وَرَأَى فَرْيَةً نَمَلٍ قَدْ حَرَّقَهَا ، فَقَالَ : مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟ قُلْنَا : نَحْنُ ، قَالَ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ » (٥) .

(١) آل عمران : الآية ( ١٥٩ ) .

(٢) الحجر : الآية ( ٨٨ ) .

(٣) الأنبياء : الآية ( ١٠٧ ) .

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح : ٤٥٣/١٠ ، وقال : أخرجه الطبراني ، ورجاله ثقات . وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢٧٠/١ قريباً منه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) سنن أبي داود : كتاب الأدب ( ١٧٦ ) ، باب في قتل الدّر ،

بل كان رحيماً وحنوناً على الجماد ، فعن الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ [ من حديثٍ طويلٍ ] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ (( ... مَرَّ إِلَى الْجِدْعِ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا جَاوَزَ الْجِدْعَ ، خَارَ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا سَمِعَ صَوْتَ الْجِدْعِ ، فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمُنْبَرِ ... )) (١) .

وَعَنْ أَنَسٍ ؛ (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِدْعٍ ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمُنْبَرَ ؛ ذَهَبَ إِلَى الْمُنْبَرِ . فَحَنَّ الْجِدْعُ ، فَأَتَاهُ فَأَحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ . فَقَالَ : لَوْلَمْ أَحْتَضِنُهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ )) (٢) .

أما كرمه وجوده ﷺ ، وإيثاره مع الخاصة :

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ : (( جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ فَقِيلَ لَهُ : نَعَمْ ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَّتِهَا . قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا

رقم ٥٢٦٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٩٨٨/٣ ، رقم ٤٣٨٨ .

والحُمرة : طائر صغير كالعصفور .

(١) سنن ابن ماجه : ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ( ١٩٩ ) ، باب ما جاء في بدء شأن المنبر ، رقم الحديث ١٤١٤ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٣٨/١ ، رقم ١١٦١ .

(٢) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، برقم ١٤١٥ ، وصححه الألباني في الموضوع السابق نفسه ، برقم ١١٦٢ .

إِزَارُهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اكْسُنِيهَا . فَقَالَ : نَعَمْ ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا أَحْسَنْتَ ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ . قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ ((<sup>(١)</sup>)).

فلقد آثره النبي ﷺ على نفسه مع الخصاص والحاجة إليها ، إذ ورد في الحديث أنه كان ﷺ محتاجاً إليها ، وأنه خرج إلى أصحابه وإنها إزاره .

وَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (( مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا )) ((<sup>(٢)</sup>)).

ولم يكن النبي ﷺ بخيلاً أبداً :

فَعِنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ : (( أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ ، مَقْفَلُهُ مِنْ حُنَيْنٍ ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ ، فَوَقَّفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : أَعْطُونِي رِدَائِي ، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهِ بَيْنَكُمْ . ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا ، وَلَا كَذُوبًا ، وَلَا جَبَانًا )) ((<sup>(٣)</sup>)).

وَعَنْ أَنَسٍ ؛ (( أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ،

(١) البخاريّ : ٣٩ البيوع ، ٣١ - باب ذكر النَّسَاجِ : ٧٣٧/٢ ، رقم ١٩٨٧ .

(٢) البخاريّ : ٨١ الأدب . ٣٩ : حُسْنُ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ : ٢٢٤٤/٥ ، رقم ٥٦٨٧ .

(٣) البخاريّ : ٦٠ - الجهاد . ٢٤ - باب الشجاعة في الحرب والحُبْنِ : ١٠٣٨/٣ ، رقم ٥٦٦٦ .

فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ! أَسْلِمُوا . قَوْلَ اللَّهِ !  
 إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ )) (١) .

قال أنس رضي الله عنه قَالَ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ  
 النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ . وَلَقَدْ فَزَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ،  
 فَأَنْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ  
 النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ ، وَهُوَ يَقُولُ : لَنْ تُرَاعُوا ، لَنْ تُرَاعُوا . وَهُوَ  
 عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ مَا عَلَيْهِ سَرَجٌ ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ  
 ، فَقَالَ : لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا ، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ )) (٢) .

قال البخاري في رواية لأنس : ( يعني الفرس ) (٣) .

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ فَقَالَ أَكُنْتُمْ  
 وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ ؟ فَقَالَ : أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ  
 مَا وَلى .

وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفاءً مِنَ النَّاسِ ، وَحُسْرًا إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ  
 هَوَازِنَ . وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاءٌ . فَرَمَوْهُمْ بِرَشْقٍ مِنْ نَبْلِ . كَأَنَّهَا  
 رَجُلٌ مِنْ جَرَادٍ . فَاكْشَفُوا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(١) مسلم : ٤٣ ، كتاب الفضائل ( ١٤ ) ، باب ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا ، وَكَثْرَةَ عَطَائِهِ .

(٢) البخاري : ٨١ - الأدب . ٣٩ - باب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ : ٢٢٤٤/٥ ،  
 رقم ٥٦٨٦ .

(٣) البخاري : ٦٠ - الجهاد . ١٦٢ - باب إِذَا فَزَعُوا بِاللَّيْلِ : ١١٠٦/٣ ،  
 رقم ٢٨٧٥ .

وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ يَفُودُ بِهِ بَعْلَتُهُ . فَنَزَلَ وَدَعَا ،  
وَأَسْتَنْصَرَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

اللَّهُمَّ نَزَّلْ نَصْرَكَ . قَالَ الْبِرَاءُ : كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَاسُ  
نَتَّقِي بِهِ . وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ ))  
(١)

أَمَا زُهِدَهُ ﷺ :

فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : (( كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ ))  
(٢)

وهذا لزُهدِهِ في الدنيا وكرمه ، وشدة توكلِهِ على الله .  
ولقد رهن رسولُ الله ﷺ درعه عند يهودي في شعير .  
فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ : (( أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَبْزِ شَعِيرٍ ،

(١) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ٢٨ - باب في غزوة حُنين :  
١٤٠١/٣ ، رقم ١٧٧٦/٧٩ .

(٢) الشمائل المحمدية - ٤٨ - باب ما جاء في خُلُق رسول الله ﷺ .  
وصححه الألباني في مختصر الشمائل ، ص ١٨٥ ، رقم ٣٠٤ .  
وقال : (( وهذا منه ﷺ لكمال توكله على ربه ، وقد يدخر لعياله قوت  
سنتهم لضعف توكلهم بالنسبة إليه ﷺ ، وليكون سنة للمعيلين من أمته  
، وفي الصحيحين أنه ﷺ كان يدخر لأهله قوت سنتهم )) اهـ .  
وليس بالضرورة أن يرجع ادخاره ﷺ قوت عياله لسنة إلى هذا  
التعليل .

وإِهَالَةً سِنَخَةً .

وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعًا لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لِأَهْلِهِ . وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَا أَمَسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاغُ بُرٍّ ، وَلَا صَاغُ حَبٍّ . وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ )) (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا ، حَتَّى فُيْضَ )) (٢) .

و عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ : (( ابْنُ أُخْتِي ! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ : ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، نَارٌ فَقُلْتُ : مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ )) (٣) .

وعنها - رضي الله عنها - قالت : (( كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ ، وَحَشْوُهُ مِنْ لَيْفٍ )) (٤) .

(١) البخاريّ : ٣٩ - البيوع ، ١٤ - باب شراء النَّبِيِّ ﷺ بالنسيئة : ٧٢٩/٢ ، رقم ١٩٦٣ .

(٢) البخاريّ : ٨٤ - الرقاق ، ١٧ - باب كيف كان عيش النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه ، وتخليهم من الدنيا : ٢٣٧١/٥ ، رقم ٦٠٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٦٠٩٤ .

(٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٦٠٩١ .



وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا ، وَأَمِئْتِي مِسْكِينًا ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً ، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ » (٢) .

وفي ورعه ﷺ :

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنِّي لِأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي ، ثُمَّ أَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا ، ثُمَّ أَحْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأَلْفِيهَا » (٣) .

وَعَنْ نَافِعِ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ : « أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ صَوْتَ زَمَّارَةٍ رَاعٍ ، فَوَضَعَ أَصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ، وَعَدَلَ رَاحِلَتَهُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا نَافِعُ أَسْمَعُ ؟ فَأَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَمْضِي ، حَتَّى قُلْتُ : لَا ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ ، وَأَعَادَ رَاحِلَتَهُ إِلَى

(١) سنن الترمذي : أبواب الزهد ، ٢٤ - باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، رقم ٢٤٧١ . وصححه الألباني ، انظر : ٢٧٥/٢ ، رقم ١٩١٧ .

(٢) المصدر السابق ٢٥ - باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله ، رقم ٢٤٧٩ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٢٧٦/٢ ، رقم ١٩٢٣ .

(٣) مسلم : ١٢ - كتاب الزكاة ، ٥٠ - باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله ، وهم بنو هاشم ، وبنو المطلب دون غيرهم : ٧٥١/٢ ، رقم ١٠٧٠ .

الطَّرِيقَ ، وَقَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعَ صَوْتَ زَمَّارَةٍ رَاعٍ فَصَنَعَ مِثْلَ هَذَا )) (١) .

وفي وفائه ﷺ بالعهد والوعد والشرط :

عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ - يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ - قَالَا (٢) : (( ... فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ - وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ - إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا . قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، يَرْسُفُ فِي فُيُودِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَأَجِزْهُ لِي . قَالَ : مَا أَنَا بِمُحِيزِهِ لَكَ ، قَالَ : بَلَى ، فَافْعَلْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . قَالَ مِكْرَزٌ : بَلْ قَدْ أَجَزْتَاهُ لَكَ ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ : أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا !؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ ؟ وَكَانَ قَدْ عُدِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ ... ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ فُرَيْشٍ - وَهُوَ مُسْلِمٌ فَأَرْسَلُوا فِي طَلْبِهِ

(١) المسند ، للإمام أحمد ، تحقيق شاکر : ٢٤٥/٦ ، رقم ٤٥٣٥ . وقال عنه : إسناده صحيح . انظر : حاشية الصفحة المذكورة ففيها تفصيلاً للسند .

(٢) حديث طويل جداً ، نجتزئ منه الشواهد .

رَجُلَيْنِ ، فَقَالُوا : الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا ، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ ، فَخَرَجَا بِهِ ، حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِ لِهْمٍ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا ، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ ، فَقَالَ : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ، ثُمَّ جَرَّبْتُ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ : أَرْنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْذُو . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ : لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَيْلُ أُمَّهِ ، مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ ، قَالَ : وَيَنْقَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابُهُ ... )) (١) .

وفي رواية السيرة لموقف أبي جندل ، قال : (( فجعل ينتره بتلبيته ويجرُّه ليردُّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! أَرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي ؟ فَزَادَ ذَلِكَ النَّاسَ شَرًّا إِلَى مَا بِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَبَا جَنْدَلِ ! اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) البخاري : ٥٨ - الشروط ( ١٥ ) - باب الشروط في الجهاد :

جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا  
وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَا نَعْدِرُ بِهِمْ  
« (١)

ومن وفائه ﷺ لخديجة - بعد موتها - ما روته عائشة -  
رضي الله عنها - قالت : (( مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ  
ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ  
يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا دَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا  
فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا  
امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ ، وَكَانَتْ ، وَكَانَتْ ، وَكَانَتْ لِي مِنْهَا وَلَدٌ ))  
(٢)

وأما رفقته ﷺ .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (( كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ  
وَجْهِهِ وَيَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ )) (٣)

وعن أبي هريرة ﷺ قال : (( قَدِمَ طَفِيلُ بْنُ عَمْرٍو  
الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي نزر الخشنى : ٤٤٢/٣ ، وقال

أكرم العمري : هو في مسند أحمد : ٣٢٥/٤ بإسناد حسن .

(٢) البخاري : ٦٦ - فضائل الصحابة ٥٠ - باب تزويج النبي ﷺ خديجة

وفضلها : ١٣٨٩/٣ ، رقم ٣٦٠٧ .

(٣) مسلم : ٢٣ - كتاب الجهاد والسير ٣٧ - باب غزوة أحد : ١٤١٧/٣ ،

رقم ١٧٩٢ .

إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا . فَقِيلَ : هَلَكْتَ دَوْسٌ . قَالَ : «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ» (١) .

عن عائشة - رضي الله عنها - : « أَنْ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : عَلَيْكُمْ ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . قَالَ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ . قَالَتْ : أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ » (٢) .

وفي رواية لها - رضي الله عنها - : « ... وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْلًا يَا عَائِشَةُ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » (٣) ... الحديث .

أما تحمله ﷺ للأذى ، وكظمه غيظه ، وعفوه ، وصفحه ، وإحسانه :

فعن أنس قال : « كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَدَّبَهُ جَدْبَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ فَدَأَّرْتُ بِهِ حَاشِيَةَ

(١) البخاريّ : ٦٠ - الجهاد ( ٩٩ ) - باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم : ١٠٧٣/٣ ، رقم ٢٧٧٩ .

(٢) البخاريّ : ٨١ - الأدب ٣٨ - لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا : ٢٢٤٣/٥ ، رقم ٥٦٨٣ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ٣٥ - باب : الرفق في الأمر كله ، رقم ٥٦٧٨ .

الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ )) (١) .

قال الحافظ : (( وفي هذا الحديث بيان حلمه ﷺ ، وصبره على الأذى في النفس والمال ، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام ، وليتأسى به الولاية بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن )) (٢) .

ففي هذه الحادثة تحمّل ﷺ الأذى من الأعرابي ، وكظم غيظه ، وعفا عنه ، بل صفح عنه إذ لم يُعاتبه ، وقابله بالابتسام ، ثم أحسن إليه . وفي هذا أسوة حسنة لجميع المسلمين ، وعلى رأسهم العلماء والأمرء وطلبة العلم ؛ الدعاة إلى الله .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : (( أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } . قَالَ : فِي التَّوْرَةِ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا ، وَحَرِزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمِيئَكَ الْمُتَوَكَّلَ ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بَأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا ، وَأَذَانًا صُمًّا ،

(١) البخاري : ٦١ - الخمس ١٩ - باب : ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه : ١١٤٨/٣ ، رقم ٢٩٨٠ .

(٢) فتح الباري : ٧٨ - كتاب الأدب ٦٨ - باب التبسم والضحك : ٥٢٢/١٠ . شرح الحديث رقم ٦٠٨٨ .

وَقُلُوبًا غُلْفًا)) (١)

وفي حُسْنِ خَلْقِهِ ﷺ :

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاصِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : (( لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا ، وَلَا مُتَفَحِّشًا . وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا )) (٢) .

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا )) (٣) .

وعنه رضي الله عنه قال : (( خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ . وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي : أَقَّا قَطُّ . وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ : لِمَ فَعَلْتَ كَذَا ؟ وَهَلَا فَعَلْتَ كَذَا ؟ )) (٤) .

وسئلت عائشة عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : (( لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا ، وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ )) (٥) .

(١) البخاريّ : ٦٨ - التفسير / الفتح . ٣٢٥ - باب : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً : ١٨٣١/٤ ، رقم ٤٥٥٨ .

(٢) مسلم : ٤٣ - كتاب الفضائل ١٦ - باب كثرة حياته ﷺ : ١٨١٠/٤ ، رقم ٦٨/٢٣٢١ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ١٣ - باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً : ١٨٠٥/٤ ، رقم ٢٣١٠ . وهو جزء من حديث ( التُّغَيْرِ ) في البخاريّ برقم ٥٨٥٠ .

(٤) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ١٨٠٤ ، رقم ٥١/٢٣٠٩ .

(٥) سنن الترمذيّ : أبواب البرِّ والصلّة : ٦٨ - باب خلق النبي ﷺ : رقم

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَفْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحْسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْغَضْتُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدْتُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : التَّرْتَارُونَ ، وَالْمُنْتَشِدُونَ ، وَالْمُنْفِيهِفُونَ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا التَّرْتَارُونَ وَالْمُنْتَشِدُونَ فَمَا الْمُنْفِيهِفُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ » (١) .

قال أبو عيسى : التَّرْتَارُ : هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ ، وَالْمُنْتَشِدُ : الَّذِي يَنْطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ ، وَيَبْدُو عَلَيْهِمْ .

وقال ﷺ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا ، وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ » (٢) .

وعن عبدالله بن الحارث قال : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (٣) .

وفي تلطفه ﷺ مع فقراء أصحابه ، وحرصه على عدم

الحدِيث ٢١٠٢ .

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ١٩٦/٢ ، رقم ١٦٤٠ .

(١) المصدر السابق ، الموضوع السابق ٧٠ - باب ما جاء في معالي الأخلاق : رقم ٢١٠٤/١٦٤٢ . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ١٩٦/٢ .

(٢) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ٧٣ - باب ما جاء في كظم الغيظ ، رقم ٢١٠٧ . وهو في صحيح سنن الترمذي للألباني برقم ١٦٤٥ .

(٣) المصدر السابق : أبواب الدَّعَوَات : ٢٢/٤١ - باب برقم ٣٩٠٣ . وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ١٩٦/٣ ، رقم ٢٨٨٠ .



إغضابهم ، ولو كان ذلك صادراً من أعز أصحابه :

ما رواه عائذ بن عمرو : (( أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر . فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها . قال فقال أبو بكر : أنقولون هذا لشيخ فرئيس وسيدهم ؟

فأتى النبي ﷺ فأخبره . فقال : يا أبا بكر ! لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك .

فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوانه ! أغضبتكم ؟ قالوا : لا . يعفور الله لك يا أخي ! )) (١) .

وفي حسن خلقه وتعامله مع الخدم :

ما رواه أنس قال : (( خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أف قط . وما قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟ )) (٢) . الحديث .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( ما ضرب

(١) مسلم : ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٤٢ - باب من فضائل

الصحابة سلمان وصهيب وبلال ﷺ : ١٩٤٧/٤ ، رقم ٢٥٠٤ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب البر والصلة ٦٨ - باب خلق النبي ﷺ ، رقم

الحديث ٢١٠١ .

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ١٩٦/٢ ، رقم ١٦٣٩ .

وأصله في الصحيحين : البخاري / الفتح : ج ٦ ، رقم ٣٥٦١ ،

ومسلم ؛ رقم ٢٣٣٠ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا خَادِمًا ؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ ؛ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ . ((<sup>(١)</sup>)

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : (( مَا رَأَيْتُ رَجُلًا اتَّقَمَ أَدْنَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيُنْحِي رَأْسَهُ ؛ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنْحِي رَأْسَهُ .

وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ )) ((<sup>(٢)</sup>) .

وَفِي حُسْنِ عَشْرَتِهِ ﷺ مَا رَوَاهُ أَنَسٌ قَالَ : (( بَلَغَ صَفِيَّةُ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ لَهَا : ابْنَةُ يَهُودِيٍّ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ تَبْكِي ، فَقَالَ ﷺ : وَمَا يُبْكِيكِ ؟ قَالَتْ : قَالَتْ لِي حَفْصَةُ : إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّكَ لابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍّ ، فَبِمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ؟

(١) مسلم : ٤٣ - كتاب الفضائل : ٢٠ - باب مباحثته ﷺ للأثام ... : ١٨١٤/٤ ، رقم ٢٣٢٨ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ( ٦ ) ، باب في حُسْنِ العشرة . رقم الحديث ٤٧٩٤ .

وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٩١٠/٣ ، رقم ٤٠٠٩ .

ثُمَّ قَالَ : اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةَ ((<sup>(١)</sup>) .

وعن عائشة - زوج النبي ﷺ - قالت : (( دخل الحبشة المسجد يلعبون ، فقال لي : يا حُميراء أتحيين أن تنظري إليهم ؟ فقلت : نعم ، فقام بالباب ، وجنَّه ، فوضعتُ ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده ، قالت : ومن قولهم يومئذٍ : أبا القاسم طيبًا ، فقال رسول الله ﷺ : حسبك ، فقلت : يا رسول الله ، لاتعجل ، فقام لي ، ثُمَّ قَالَ : حسبك ، فقلت : لاتعجل يا رسول الله ، قالت : ومالي حبُّ النظر إليهم ، ولكي أحببتُ أن يبلغ النساءَ مقامه لي ، ومكاني منه )) (<sup>(٢)</sup>) .

وعنها - رضي الله عنها - قالت : (( كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا

(١) صحيح ابن حبان المسمّى (( الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ))

٦١ - كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصَّحابة ، باب ذكر تعظيم النَّبي ﷺ صفيّة ورعايته حَفْها : ١٦/١٩٣ ، رقم ٧٢١١ .

قال محققه : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، رجال الشيخين غير محمد بن عبد الملك ، وهو ثقة .

(٢) كتاب عشرة النساء ، للإمام النَّسائي صاحب السنن ، ص ٩٨ ، رقم ٦٥ .

وأصله في الصحيحين : البخاريّ : الفتح : ٥١٠/٢ ، رقم ٩٥٠ .  
قال الحافظ في شرحه للحديث - بعد ذكر رواية النَّسائي هذه - :  
إسناده صحيح ، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا :  
٥١٥/٢ .

حَائِضٌ ، ثُمَّ أُنَاوَلُهُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعٍ فِيَّ .  
فَيَشْرَبُ .

وَأَتَعَرَّقُ الْعَرَقَ <sup>(١)</sup> وَأَنَا حَائِضٌ . ثُمَّ أُنَاوَلُهُ النَّبِيَّ ﷺ  
فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعٍ فِيَّ )) <sup>(٢)</sup> .

و عن سماحته ﷺ في التعامل :

ما رواه أبو هريرة قال : كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنَّةٌ  
مِنَ الْإِيْلِ ، فَجَاءَهُ يَتَّقِضَاهُ ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ ، فَطَلَبُوا سِنَّةَ فَلَمْ  
يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا ، فَقَالَ : أَعْطُوهُ . فَقَالَ : أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى  
اللَّهِ بِكَ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنْ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً )) <sup>(٣)</sup> .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : (( كُنْتُ مَعَ  
النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا ، فَأَتَى عَلِيَّ النَّبِيَّ  
ﷺ ، فَقَالَ : جَابِرُ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا سَأَلْتُكَ؟ قُلْتُ : أَبْطَأَ  
عَلِيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا ، فَتَخَلَّفْتُ ، فَنَزَلَ يَحْجُبُهُ بِمِحْجَبِهِ ، ثُمَّ قَالَ  
: ارْكَبْ ، فَرَكِبْتُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكْفُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ  
: تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : بَكَرًا أَمْ تَيْبًا؟ قُلْتُ : بَلْ تَيْبًا ، قَالَ  
: أَفَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟ قُلْتُ : إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ

(١) الْعَرَقُ : الْعِظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنْ لَحْمٍ .

(٢) مسلم : ٣ - كتاب الحيض ، ٣ - باب جواز غسل الحائض رأس  
زوجها وترجيله ... : ٢٤٥/١ ، رقم ٣٠٠ .

(٣) البخاري : ٤٥ - الوكالة ، ٥ - باب وكالة الشاهد والغائب : ٨٠٩/٢ ،  
رقم ٢١٨٢ .

أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ ، وَتَمَشُطُهُنَّ ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ . قَالَ :  
 أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ ، فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ . ثُمَّ قَالَ : أَتَبِيعُ جَمَلَكَ ؟ قُلْتُ :  
 نَعَمْ ، فَاسْتَرَاهُ مِنِّي بِأَوْقِيَّةٍ . ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلِي ،  
 وَقَدِمْتُ بِالْعَدَاةِ ، فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدْنَاهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ  
 ، قَالَ : الْآنَ قَدِمْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَدَعُ جَمَلَكَ ، فَادْخُلْ فَصَلِّ  
 رَكَعَتَيْنِ ، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ ، فَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يَزِنَ لَهُ أُوقِيَّةً ،  
 فَوَزَنَ لِي بِلَالٌ فَأَرْجَحَ لِي فِي الْمِيزَانِ ، فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ  
 . فَقَالَ : ادْعُ لِي جَابِرًا ، قُلْتُ : الْآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ ، وَلَمْ يَكُنْ  
 شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ ، قَالَ : خُذْ جَمَلَكَ ، وَالْكَ تَمْنُهُ )) (١) .

فذلك منتهى حسن التعامل ، أرجح له ﷺ في القيمة ، وأعطاه  
 . الجمل .

أما ما كان يتمتع به ﷺ من الحذر والحيطه :

ففي حديث عائشة الطويل في الهجرة قالت : (( ... فَبَيْنَمَا  
 نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهْرَةِ ، قَالَ  
 قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا ، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ  
 يَأْتِينَا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ  
 فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ ، قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ  
 ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ .  
 فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ :

(١) البخاري: ٣٩ - البيوع . ٣٤ - باب شراء الدواب والحمير : ٧٣٩/٢ ،  
 رقم ١٩٩١ .

فَأَيُّ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ )) (١) ... الحديث .

ومن حذره وحيطته ﷺ : ما رواه كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا ، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ نَبُوكَ ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا ، وَمَقَازًا ، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ ، فَجَلَى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ ، لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ عَدُوِّهِمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ » (٢) .

أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهِ وَمَعَ أَهْلِهِ وَأَزْوَاجِهِ فَقَدْ ضَرَبَ أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا مَرَّ أَنْفًا مِنْ تَلَطُّفِهِ ﷺ مَعَ زَوْجِهِ عَائِشَةَ فِي مَشَاهِدَتِهَا لِلأَحْبَاشِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، وَفِي تَلَطُّفِهِ مَعَهَا فِي الشُّرْبِ مِنَ الْإِنَاءِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي شَرِبْتَ مِنْهُ ، بَلْ كَانَ يُقْسِمُ عَلَيْهَا ﷺ أَنْ تَشْرَبَ قَبْلَهُ ، فِي رِوَايَةٍ غَيْرِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ ، كَمَا وَرَدَتْ فِي السُّنَنِ :

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - (( سَأَلْتُهَا (٣) ؟ هَلْ تَأْكُلُ الْمَرْأَةُ مَعَ زَوْجِهَا وَهِيَ طَامِئَةٌ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ! كَانَ رَسُولُ

(١) البخاري : ٦٦ - فضائل الصحابة ، ٧٤ - باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة : ١٤١٧/٣ ، رقم ٣٦٩٢/٣٦٩٤ .

(٢) البخاري : ٦٠ - الجهاد ، ١٠٢ - باب من أراد غزوة فورى بغيرها : ١٠٧٨/٣ ، رقم ٢٧٨٧ .

(٣) السائل هو : شريح بن هانيء .

اللَّهُ ﷺ يَدْعُونِي ، فَأَكُلُ مَعَهُ ، وَأَنَا عَارِكٌ ، وَكَانَ يَأْخُذُ  
الْعَرَقَ ، فَيُقْسِمُ عَلَيَّ فِيهِ ، فَأَعْتَرِقُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَضَعُهُ ، فَيَأْخُذُهُ  
فَيَعْتَرِقُ مِنْهُ ، وَيَضَعُ فَمَهُ حَيْثُ وَضَعْتُ فَمِي مِنَ الْعَرَقِ ،  
وَيَدْعُو بِالشَّرَابِ ، فَيُقْسِمُ عَلَيَّ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ ، فَأَخُذُهُ  
فَأَشْرَبُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَضَعُهُ ، فَيَأْخُذُهُ فَيَشْرَبُ مِنْهُ ، وَيَضَعُ فَمَهُ  
حَيْثُ وَضَعْتُ فَمِي مِنَ القَدَحِ )) (١) .

ولقد حُبسَ الجيشُ ابتغاءَ عقدها - رضي الله عنها - :

فَعَنْ عَمَّارٍ قَالَ : (( عَرَّسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأُولَاتِ الجَيْشِ  
وَمَعَهُ عَائِشَةُ زَوْجَتُهُ ، فَأَنْقَطَعَ عِقْدُهَا مِنْ جَزَعِ ظِفَّارٍ (٢) ،  
فَحَبَسَ النَّاسُ ابْتِغَاءَ عِقْدِهَا ذَلِكَ ، حَتَّى أَضَاءَ الفَجْرُ ، وَكَلِمَةُ  
مَعَ النَّاسِ مَاءٌ ... )) (٣) .

وكان ﷺ يتلطف معها - رضي الله عنها - في مناداتها  
أيضاً ، فيناديها باسمها مرحماً .

(١) سنن النسائي : كتاب الطهارة ١٧٧ - باب مؤكلة الحائض والشرب  
من سؤرها .

وقال الألباني : صحيح الإسناد ، انظر : صحيح سنن النسائي :  
٥٧/١ ، رقم ٢٦٨ .

(٢) الظفَّار : خرز يأتي من ظفار من سواحل اليمن . وما زال يُستعمل  
حتى وقتنا الحاضر .

(٣) المصدر السابق : الطهارة ١٩٦ - باب التيمم في السفر .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن النسائي : ٦٥/١ ، رقم ٣٠٣ .

فعنها - رضي الله عنها - قالتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( يَا عَائِشَ ! هَذَا جِبْرِيْلُ يُفْرِنُكَ السَّلَامَ . قُلْتُ : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، قَالَتْ : وَهُوَ يَرَى مَا لَا نَرَى )) (١) .

وقد تقدّمت قريباً مواساته ﷺ لأمّ المؤمنين صفية - رضي الله عنها - وجبر خاطرها عندما عيرتها حفصة - رضي الله عنها - بأبيها اليهودي .

ومن عنايته ﷺ بأزواجه ورعايته لهنّ وتواضعه ﷺ ما رواه أنس ﷺ بشأن بناء النبي ﷺ بصفية - رضي الله عنها - ووضعها رجلها على ركبته الشريفة لتركب الجمل ، قَالَ : (( قَدِمْنَا خَيْبَرَ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ، ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا ، وَكَانَتْ عَرُوسًا . فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي : آذِنْ مِنْ حَوْلِكَ . فَكَانَتْ تِلْكَ وَوَلِيْمَتُهُ عَلَى صَفِيَّةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعْبَاءَةً ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ ، وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ )) (٢) .

(١) البخاريّ : ٨١ : ١١١ - من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً : ٢٢٩١/٥ ، رقم ٥٨٤٨ .

(٢) البخاريّ : ٦٧ - المغازي ٣٦ - باب غزوة خيبر : ١٥٤٢/٤ ، رقم ٣٩٧٤ .



وكان ﷺ حريصاً على إدخال السرور على قلوب زوجاته :

ومن ذلك ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبْنَ مَعِي ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعَنَ مِنْهُ ، فَيُسْرِبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي )) (١) .

وعنها - رضي الله عنها - : (( أَتَهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ ، قَالَتْ : فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رَجُلِي ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي . فَقَالَ : هَذِهِ بَيْنَكَ السَّبَقَةَ )) (٢) .

ومن رعايته ﷺ وتلطُّفه مع أهله والتخفيف عنهم :

ما روته عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي . قَالَتْ : فَقُلْتُ : مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أَمَا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تُقُولِينَ : لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي قُلْتَ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ . قَالَتْ : قُلْتُ : أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا

(١) البخاريّ : ٨١ - الأدب . ٨١ - باب الانبساط إلى الناس والدعابة مع الأهل : ٢٢٧٠/٥ ، رقم ٥٧٧٩ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد ٦٨ - باب في السبق على الرجل ، رقم ٢٥٧٨ .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٤٩٠/٢ ، رقم ٢٢٤٨ .

أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ» (١) .

ومن التلطف بغلمانه ﷺ :

ما رواه أنس ﷺ قَالَ : « كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فِي الثَّقَلِ ، وَأَنْجَسَتْهُ غُلَامُ النَّبِيِّ ﷺ يَسُوقُ بِهِنَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَنْجَسُ ، رُوَيْدَكَ سَوْفَكَ بِالْقَوَارِيرِ » (٢) .

ومن ملاطفته ﷺ للصغار وتحمله لهم ، وصبره عليهم ، ورأفته بهم :

ما رواه أنس ﷺ قَالَ : « إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخَالِطَنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ : يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ ؟ » (٣) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ ، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا .

قَالَ أَبِي : فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي ، فَلَمَّا قَضَى

(١) البخاريّ ٧٠ - النكاح . ١٠٧ - باب غيرة النساء ووجدهن : ٢٠٠٤/٥ ، رقم ٤٩٣٠ .

(٢) البخاريّ : ٨١ - الأدب ١١١ - باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرّفاً : ٢٢٩١/٥ ، رقم ٥٨٤٩ .

(٣) البخاريّ : ٨١ - الأدب ٨١ - باب الانبساط إلى الناس والدعابة مع الأهل : ٢٢٧٠/٥ ، رقم ٥٧٧٨ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ ، قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلَّتْهَا ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ ؟ قَالَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ )) (١) .

وَحَدَّثَ أَبُو قَتَادَةَ قَالَ : (( خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَأَمَامَهُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ ، فَصَلَّى ، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا )) (٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةً بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِشَمْسٍ ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا )) (٣) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : (( ... وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا )) (٤) . أَيِ الْحَسَنِ

(١) سنن النسائي . ١٢ - كتاب التطبيق ، ٨٢ - هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة .

وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي : ٢٤٦/١ ، رقم ١٠٩٣ .  
(٢) البخاري : ٨١ - الأدب ١٨ - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته : ٢٢٣٥/٥ ، رقم ٥٦٥٠ .

(٣) المصدر السابق : ١٢ - سترة المصلي ١٦ - باب إذا حمل جارية صغير في عنقه في الصلاة : ١٩٣/١ ، رقم ٤٩٤ .

(٤) البخاري : ٨١ - الأدب ، ١٨ - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته : ٢٢٣٤/٥ ، رقم ٥٦٤٨ .

والحسين .

وقال البراء رضي الله عنه : (( رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ )) (١) .

وعن أمّ خالد بنت خالد : (( أَتَيْ النَّبِيَّ ﷺ بِنِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءٌ صَغِيرَةٌ ، فَقَالَ : مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، قَالَ : ائْتُونِي بِأُمَّ خَالِدٍ ، فَأَتِيَتْ بِهَا تُحْمَلُ ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا ، وَقَالَ : أَبْلِي وَأَخْلَقِي ، وَكَانَ فِيهَا عِلْمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ ، فَقَالَ : يَا أُمَّ خَالِدٍ ، هَذَا سَنَاءٌ . وَسَنَاءُ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ )) (٢)

وفي رواية : (( سَنَةٌ سَنَةٌ )) . وفي نهاية الحديث « أَبْلِي وَأَخْلَفِي » (٣) ثلاث مرّات .

أمّا غلامه أنس رضي الله عنه فيقول : (( خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أَفٌّ ، وَلَا : لِمَ صَنَعْتَ ؟ وَلَا : أَلَا صَنَعْتَ ؟ )) (٤) .

(١) البخاريّ : ٦٦ - فضائل الصّحابة ، ٢٢ - مناقب الحسن والحسين - رضي الله عنهما - : ١٣٧٠/٣ ، رقم ٣٥٣٩ .

(٢) البخاريّ : ٨٠ - اللباس ، ٢١ - الخميصة السوداء : ٢١٩١/٥ ، رقم ٥٤٨٥ .

(٣) المصدر السابق : ٨١ - الأدب ، ١٧ - باب من ترك صبيّة غيره حتّى تلعب به ، أو قبّلها ، أو مازحها : ٢٢٣٤/٥ ، رقم ٥٦٤٧ .

(٤) المصدر السابق : ٨١ - الأدب ، ٣٩ - باب حسن الخلق والسّخاء : ٢٢٤٥/٥ ، رقم ٥٦٩١ .

وعن الأسود قال : (( سألتُ عائشة - رضي الله عنها - :  
مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ  
، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ )) (١) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (( بَتُّ عِنْدَ  
خَالَتِي مَيْمُونَةَ ، فَتَحَدَّثَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ  
، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ قَعَدَ ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : {  
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي  
الْأَلْبَابِ } ، ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَأَسْتَنَّ ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ  
رَكْعَةً ، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٍ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى  
الصُّبْحَ )) (٢) .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ يُصَلِّي وَسَطَ السَّرِيرِ ، وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُبَيْلَةِ ،  
تَكُونُ لِي الْحَاجَةُ ، فَأَكْرَهُ أَنْ أَقُومَ فَأَسْتَقْبِلَهُ ، فَأَنْسَلُ أَنْسِلًا ))  
(٣) .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - : (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا

(١) المصدر السابق ، الموضوع نفسه : ٤٠ - باب : كيف يكون الرجل في أهله : ٢٢٤٥/٥ ، رقم ٥٦٩٢ .

(٢) البخاري : ٦٨ - التفسير / آل عمران ٧٥ - باب : إن في خلق السموات والأرض... الآية... : ١٦٦٥/٤ ، رقم ٤٢٩٣ .

(٣) البخاري : ٨٢ - الاستئذان ٣٧ - باب : السرير : ٢٣١٤/٥ ، رقم ٥٩٢٠ .

دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسَّوَاكِ ((<sup>(١)</sup>)).

وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : (( مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْعِشَاءِ ، وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا )) (<sup>(٢)</sup>).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : (( جَدَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ . يَعْنِي : زَجَرْنَا )) (<sup>(٣)</sup>).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (( مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ )) (<sup>(٤)</sup>).

وبالجملة ، فلقد كانت حياته ﷺ بين دعوة ، وتعليم ، وتربية ، وأمر بمعروفٍ ، ونهي عن منكر ، ونصح ، وإصلاح بين الناس ، وبناءً للمجتمع الإسلامي ، وسياسته بما أنزل الله ، وبين جهادٍ ، وحجٍّ ، وعمرةٍ ، وصيامٍ ، وقيامٍ ، وذكرٍ لله ، وحُسنِ معاشرته وتعاملٍ ، واهتمامٍ بالصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، والصاحب والغريب ، والجار

(١) مسلم : ٢ - كتاب الطهارة ، ( ١٥ ) باب السواك : ٢٢٠/١ ، رقم ٤٤/٢٥٣ .

(٢) سنن ابن ماجه : ٢ - كتاب الصلاة ( ١٢ ) - باب النهي عن النوم قبل صلاة العشاء ، وعن الحديث بعدها ، رقم ٧٠٢ .

وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ١١٧/١ ، رقم ٥٧٦ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٧٠٣ .

وصححه الألباني في الموضع نفسه ، برقم ٥٧٧ .

(٤) البخاري : ٧٣ - الأطعمة ، ٢٠ - باب ما عاب النبي ﷺ طعامًا : ٥٠٩٣ ، رقم ٢٠٦٥/٥ .

## والبعيد .

ولقد كان ﷺ يدًا حانية تمتد إلى الجميع تتلمس حاجاتهم ،  
فترحم الصغير ، وتعطف على الكبير ، وتحنو على الفقير ،  
وتمسح على رأس اليتيم ، وتزور الصديق ، وتعود المريض ،  
وتُدخلُ السرور على القلوب المنكسرة ...

ومع كلِّ هذا فهو النَّبيُّ ﷺ الرحمة المهداة للعالمين ،  
وهو القائد ، وهو المربي ، وهو المعلم ، وهو الأب ، وهو  
الزوج ، وهو الصاحب والصديق ، ولقد كان أمة في كل  
شأن من هذه الشؤون ﷺ .

قال عن نفسه ﷺ في الجهاد - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه -  
قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا  
تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَعْرُؤُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ » (١) .

وحدَّث زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ  
غَزْوَةً ، وَأَنَّهُ حَجَّ بَعْدَ مَا هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدَةً لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا ،  
حَجَّةَ الْوَدَاعِ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : وَبِمَكَّةَ أُخْرَى » (٢) .

(١) البخاريّ : ٦٠ - الجهاد ، ٧ - باب تمني الشهادة : ١٠٣٠/٣ ،  
رقم ٢٦٤٤ .

(٢) البخاريّ : ٦٧ - المغازي ، ٧٣ - باب حجة الوداع : ١٥٩٩/٤ ،  
رقم ٤١٤٢ .





# الباب الثالث

## ( المنهج النبوي في التعليم )

### تعليم الكتاب والحكمة

الفصل الأول : ( مضمون تعليمه ﷺ ومقاصده )

**المبحث الأول : ( أصل العلم والإيمان ) .**

**المبحث الثاني : ( رأس الأمر التوحيد ) .**

**المبحث الثالث : ( عهود الإسلام ودعائمه وسائر شرائعه ) .**

**المبحث الرابع : ( مصادر العلم وطريق فهمه ) .**

الفصل الثاني : ( طريقة النبي ﷺ وأساليبه في التعليم )

**المبحث الأول : ( صفة تعليمه وتحديثه ﷺ ورفقه بالمتعلم ) .**

**المبحث الثاني : ( صفة مجلس تحديثه ﷺ وأدب أصحابه ) .**

**المبحث الثالث : ( تعليم النبي ﷺ ، وأمره بطلب العلم ، والترغيب فيه ) .**

**المبحث الرابع : ( أمره ﷺ بالعمل بالعلم ) .**

المطلب الأول : ( بيان أن المراد بالعلم العمل ) .

المطلب الثاني : ( بيان أن العلم حجة لك أو عليك ) .

المطلب الثالث : ( فتح الجدل ومنع العمل ) .

**المبحث الخامس : ( أمره ﷺ بتعليم العلم وتبليغه ونشره ) .**

**المبحث السادس : ( ما ينشر من العلم وما لا ينشر ) .**

**المبحث السابع : ( الأساليب النبوية في التعليم ) .**

الفصل الثالث : ( أصول وقواعد منهجية في طلب العلم مستقاة من المنهج النبوي )

**المبحث الأول : ( التهيؤ للعلم والاجتهاد فيه ) .**

المطلب الأول : ( إخلاص النية في طلب العلم ) .

المطلب الثاني : ( الحلم قبل العلم ) .

المطلب الثالث : ( الجِدُّ والمجاهدة ) .

المطلب الرابع : ( حِفْظُ العُمُر والشباب خاصة ) .

### **المبحث الثاني : ( ما يُوْخذ من العلم وعمّن يُوْخذ ) .**

المطلب الأوّل : ( أخذ المهم وتقديم الأهم والتدرج فيه ) .

**المسلك الأوّل : ( أخذ المهم من كلّ علم ثمّ التخصص ) .**

**المسلك الثاني : ( تقديم الأهم ) .**

**المسلك الثالث : ( التدرّج في التعلّم ) .**

المطلب الثاني : ( أخذ العلم عن أهله ، وعن كلّ شيخ ما يُحسِن ) .

المطلب الثالث : ( اتباع السُنّة وتعظيمها ، وترك التقليد ) .

### **المبحث الثالث : ( حِفْظُ العلم وفهمه واستنكاره ) .**

المطلب الأوّل : ( الجمع بين الحفظ والفهم ) .

**المسلك الأوّل : ( الحفظ أصل في المنهج النبوي ) .**

**المسلك الثاني : ( الفهم أصل في المنهج النبوي ) .**

**المسلك الثالث : ( الحاجة إلى الجمع بين الحفظ والفهم ) .**

المطلب الثاني : ( استنكار العلم وتعاهده ) .

المطلب الثالث : ( كتابة العلم وتقييده ) .

### **المبحث الرابع : ( تطبيق عملي ) .**

المطلب الأوّل : ( أوصاف علماء السنة الذين يُوْخذ عنهم العلم ) .

المطلب الثاني : ( خوارم المنهج ومعوقاته ) .

المطلب الثالث : ( مراحل سلّم التعلّم ) .

المطلب الرابع : ( مفردات المنهج ) .

## الفصل الأول

### مضمون تعليمه ﷺ ومقاصده

المبحث الأول : ( أصل العلم والإيمان ) .

أصل العلم الإلهي ، ومبدأه ، ودليله الأول :

أولاً : « عند الرسول ﷺ : وهو وحيُّ الله إليه ، قال الله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } (١) . وقال تعالى : { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } (٢) .

وفي صحيح البخاريّ ، في خطبة عمر لما توفي النبي ﷺ كلام معناه أنّ الله هدى نبيكم بهذا القرآن فاستمسكوا به (٣) .

ثانياً : عند الذين آمنوا هو الإيمان بالله ورسوله ، قال

---

(١) الشورى : الآية ( ٥٢ ) .

(٢) سبأ : الآية ( ٥٠ ) .

(٣) البخاريّ : كتاب الاعتصام بالسنة ، رقم ٧٢٦٩ ، انظر الفتح : ٢٥٩/١٣ ، والكلام هو : « أما بعد ، فاختار الله لرسوله ﷺ الذي عنده على الذي عندكم ، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم ، فخذوا به تهتدوا لما هدى الله به رسوله » .

خاتم الأنبياء : « أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا » (١)

وتقرير الحجّة في القرآن بالرسول كثير ، كقوله : { لِيَأْتِيَ النَّاسَ بِالْبَيِّنَاتِ } . وقوله : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } (٢) .

ولمّا كان أصل العلم والهدى : هو الإيمان بالرسالة المتضمنة للكتاب والحكمة كان ذكره طريق الهداية بالرسالة التي هي القرآن ، وما جاءت به كثيراً جداً ، كقوله : { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } (٤) . وقوله : { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } (٥) . وقوله : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِّلنَّاسِ لِيَأْتِيَ هِيَ أَقْوَمٌ } (٦) .

ولهذا كان طائفة من أئمة المصنّفين للسنن على الأبواب إذا جمعوا فيها أصناف العلم : ابتدئوها بأصل العلم والإيمان ، كما ابتدأ الإمام البخاريّ صحيحه ببدء الوحي

(١) مسلم : كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله : ٥٣/١ ، رقم ٢٢/٣٦ (فيه أصل الحديث) .

(٢) النساء : الآية (١٦٥) .

(٣) الإسراء : الآية (١٥) .

(٤) البقرة : الآية (٢) .

(٥) آل عمران : الآية (١٣٨) .

(٦) الإسراء : الآية (٩) .

ونزوله ؛ فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول ﷺ أولاً ، ثم أتبعه بكتاب الإيمان : الذي هو الإقرار بما جاء به ، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به . فرتبته الترتيب الحقيقي [ (١) ، وقال في موضع آخر : « معلوم أن أصل الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله ، وهو أصل العلم الإلهي » (٢) .

وعن جندب بن عبدالله ، قال : « كنا مع النبي ﷺ ، ونحن فتيان حزاورة ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازدنا به إيماناً » (٣) . دل ذلك على إيمانهم بالله وتصديقهم برسول الله ﷺ ، ومن ثم تعرفوا على ما جاء به من العلم فازدادوا بذلك إيماناً إلى إيمانهم .



- 
- (١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية : ٤-١/٢ باختصار ، وإعادة ترتيب .  
 (٢) الفتاوى : ٦٣٨/٧ .  
 (٣) صحيح سنن ابن ماجه ، باب في الإيمان : ١٦/١ ، برقم ٥٢ .  
 ومعنى حزاورة : أشداء أقوياء ، انظر معجم مقاييس اللغة : ٥٥/٢ .

المبحث الثاني : رأس الأمر (( التوحيد )) .

**قال الله تعالى :** { فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } <sup>(١)</sup> . **وقال :** { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } <sup>(٢)</sup> . **وقال :** {  
فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا  
انْفِصَامَ لَهَا } <sup>(٣)</sup> .

**وقال المصطفى ﷺ :** « يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله  
تفلحوا » <sup>(٤)</sup> .

**وفي حديث ابن عباس في بعث معاذ إلى اليمن قال ﷺ :**  
« فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحَدُوا اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ،  
فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ... الحديث » <sup>(٥)</sup> .

**وفي رواية :** « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ،  
فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم ... الحديث » <sup>(٦)</sup> .

---

(١) محمد : الآية ( ١٩ ) .

(٢) الأنبياء : الآية ( ٢٥ ) .

(٣) البقرة : الآية ( ٢٥٦ ) .

(٤) مسند أحمد : ٤٢٣/٥ ، رقم ١٦٠٢٣ ، وحسن إسناده أكرم العمري ،  
انظر السيرة النبوية الصحيحة له : ١٩٣/١ في الحاشية .

(٥) البخاري : كتاب التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى  
توحيد الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .

(٦) مسلم : كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام :

وفي حديث أبي مالك عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » (١) ، وفي رواية « من وحد الله » (٢)

فأخبر تبارك وتعالى بأهم العلوم وأجلها وأولها وأشرفها ، التوحيد ، لا إله إلا الله ، أي لا معبود حق إلا الله ، وهو الذي أنزلت من أجله الكتب وأرسلت الرُّسل ، وخُلِقَت من أجله الخلائق .

وأخبر المصطفى ﷺ أنه أول العلوم وأشرفها ، وأهم الواجبات ورأسها ، وأصل الأصول ومقصودها الأعظم ، وهو الذي به يُدخَلُ الجنة ، وبدونه يُطرد ، وبه يُخرج من النار ، وبغيره يُخد ، وبه تُقبلُ الأعمال ، وبدونه تُحبط .

وأخبر ﷺ في حديث معاذ أنه أول ما يُدعى إليه فقال ﷺ : « فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى » ، وفسر التوحيد في الرواية التي بعده بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

١/٥٠ ، رقم ٢٩ .

(١) مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله : ١/٥٣ ، رقم ٣٧ .

(٢) مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله : ١/٥٣ ، رقم ٣٨ .

فبدأ بالأهم وقدمه على المهم ، ثم قال : ﷺ : « فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ » ، أي أطاعوا لك في الاعتراف بها وقولها ، وشهدوا بها وأقرّوا ، « فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ » .

وقد تقدّم التوحيد على غيره ، ثم الصلاة على غيرها من الفرائض في جميع الأحاديث والروايات ، وما ذاك إلا لعلّ منزلته ، إذ ينقل المرء من الكفر إلى الإسلام ، ومن الخوف إلى الأمن ، ويصبح معصوم الدم والمال إلا بحقه ، قال ﷺ : « أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عُصِمَ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحَسَابِهِ عَلَى اللَّهِ » (١) .

ولا يتم إيمان عبدٍ إلا بالكفر بالطاغوت ( جميع ما يعبد من دون الله ) ، والبراءة من ذلك وبغضه ومقته ، والإيمان بالله وحده ، ومحبته والولاء له وفيه ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، ولاء وبراء ، ولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، وبراء من الطواغيت وكفرٌ بها وبراءة من أهلها ، وهو معنى قول الخليل ﷺ لأبيه وقومه : { إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي } (٢) .

وإنما كان الأمر بالعبادة في دعوة الرُّسُل مقدّمًا لتضمّنها كلمة التوحيد ولأنها المقصود الأعظم بعد الشهادة : قال

(١) مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا

الله محمدًا رسول الله : ٥٢/١ ، رقم ٣٣ .

(٢) الزخرف : الآية ( ٢٦ - ٢٧ ) .



العلامة ابن القيم بعد إيراد حديث « أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . قال : « ولهذا كان الصحيح : أَنْ أَوْلَ واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله . فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا » (١) .

وفي حديث معاذ فسّر العبادة بالشهادة ، وبهذا المعنى بدأت دعوة الرسل بالعبادة .

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } (٢) . وقال : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (٣) . وقال : { فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } (٤) . وقال : { وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } (٥) .

وقال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (٦) . هذه العبادة المتضمنة للتوحيد والإخلاص لله هي المقصودة من دعوة الرسل .

قال شيخ الإسلام : « وكان المقصود بالدعوة : وصول

(١) مدارج السالكين : ٤٤٣/٣ .

(٢) البقرة : الآية ( ٢١ ) .

(٣) النحل : الآية ( ٣٦ ) .

(٤) مريم : الآية ( ٦٥ ) .

(٥) البيئنة : الآية ( ٥ ) .

(٦) الذاريات : الآية ( ٥٦ ) .

العباد إلى ما خُلِقوا له من عبادة ربّهم وحده لا شريك له ، والعبادة أصلها عبادة القلب ، المستتبع للجوارح ، فإنَّ القلب هو الملك ، والأعضاء جنوده ، وهو المضغّة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ، وإِثْمًا ذلك بعلمه وحاله ، كان هذا الأصل ؛ الذي هو عبادة الله ، بمعرفته ومحبته وهو أصل العبادة» (١) .

أي أنّ معرفة الله بأسمائه وصفاته تورث محبته الموجبة للتذلل له ، والإنابة والافتقار إليه ، وعبادته بما شرع ، وقال - رحمه الله - : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ الَّتِي هِيَ كَمَالُ النُّفُوسِ وَصَلَاحِهَا ، وَغَايَتُهَا وَنَهَايَتُهَا ، وَأَمَّا الْمَقَاصِدُ فَالْقُرْآنُ أَخْبَرَ بِالْعِلْمِ بِهِ وَالْعَمَلِ لَهُ ، فَجَمَعَ بَيْنَ قُوَّتِي الْإِنْسَانِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ ، الْحِسِّيَّةِ وَالْحُرُوكِيَّةِ ، الْإِرَادِيَّةِ وَالْإِدْرَاكِيَّةِ ، وَالْإِعْتِمَادِيَّةِ : الْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ ، حَيْثُ قَالَ : { اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ } . فَالْعِبَادَةُ لَا بَدَّ فِيهَا مِنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ ، وَالْإِفْتِقَارُ إِلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ . وَالقُوَّةُ الْعِلْمِيَّةُ مَعَ الْعَمَلِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ وَالْغَايَةِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : الْعِلْمُ بِلَا عَمَلٍ كَالشَّجَرِ بِلَا ثَمَرٍ ، وَالْمَرَادُ بِالْعَمَلِ هُنَا عَمَلُ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ إِنْابَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَخَشْيَتُهُ لَهُ ، حَتَّى يَكُونَ عَابِدًا لَهُ . فَالرَّسُلُ وَالْكِتَابُ الْمَنْزَلَةُ أَمَرَتْ بِهَذَا وَأَوْجِبَتْهُ ، بَلْ هُوَ رَأْسُ الدَّعْوَةِ وَمَقْصُودُهَا وَأَصْلُهَا .

(١) الفتاوى : ١/٢ - ٦ باختصار .

والطريقة النبويّة ، القرآنية ، السنية ، الجماعية ، فيها العلم والعمل كاملين)) (١) .

### وخلصه أقوال شيخ الإسلام :

أنّ الطريقة النبويّة القرآنية تجمع بين القوتين العلمية والعملية ، أي العلم والافتناع والتأثر الذي يكون دافعاً للعمل .

فالعلمية هي أخبار القرآن والسنة بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وعظمته وقدرته ، وما أعدّه للمطيعين ، وما أعدّه للعاصين .

والعملية أمره بالعبادة المطلوبة منه ، والتي أصلها معرفة الله وتقديره حقّ قدره ، ومحبته الدافعة للتذلل له ، والانكسار والإنابة والافتقار إليه ، وعبادته بما شرع .

فهاتان القوتان هما نوعا التوحيد ، توحيد المعرفة والإثبات ، وتوحيد القصد والطلب . ويسميان التوحيد العلمي الخبري ، والتوحيد الإرادي الطلبي ، وهو أي الأخير توحيد العبادة ، وهذا التقسيم باعتبار ما يجب على العبد .

وقد قسّمه العلماء باعتبار متعلّقه ثلاثة أقسام : الأوّل : توحيد الربوبية ، والثاني : توحيد الأسماء والصفات .

(١) الفتاوى : ١٢/٢ - ١٤ باختصار .

وهذان القسمان مقابل توحيد المعرفة والإثبات ، والثالث :  
توحيد الألوهية ، ويقابل القصد والطلب ، وهو توحيد العبادة

فمعنى الأوّل : أن تعتقد جازماً أنه لا خالق ولا مالك ولا  
مدبّر للخلق إلا الله ، والثاني : أن تثبت لله أسماء وصفاته  
مع نفي المماثلة ، والثالث : إفراده سبحانه بالعبادة .

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : « وأما التوحيد الذي  
دعت إليه رُسل الله ، ونزلت به كتبه : فوراء ذلك كله ،  
وهو نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ، وتوحيد في  
الطلب والقصد :

**فالأول :** هو حقيقة ذات الرّب تعالى ، وأسمائه ، وصفاته  
، وأفعاله ، وعلوّه فوق سماواته على عرشه ، وتكلمه بكتبه ،  
وتكليمه لمن شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه وقدره ،  
وحكمه ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدّ الإفصاح . كما  
في أوّل سورة الحديد ، وسورة طه ، وآخر سورة الحشر ،  
وأوّل سورة الحشر ، وأوّل سورة تنزيل السجدة ، وأوّل  
سورة آل عمران ، وسورة الإخلاص بكمالها وغير ذلك .

**النوع الثاني :** مثل ما تضمّنته سورة ( قل يا أيها  
الكافرون ) ، وقوله : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... الآية } ، وأوّل سورة ( تنزيل الكتاب ) وآخرها  
، وأوّل سورة ( يونس ) ووسطها وآخرها ، وأوّل سورة (  
الأعراف ) وآخرها ، وجملة سورة ( الأنعام ) ، وغالب

سور القرآن ، بل كلّ سورة القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد .

بل نقول قولاً كلياً : إنّ كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد ، شاهدة به ، داعية إليه .

فإنّ القرآن : إمّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فهو التوحيد العلمي الخبري . وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع كلّ ما يُعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي . وإمّا أمرٌ ونهي ، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره ، فهي حقوق التوحيد ومكملاته . وإمّا خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيدهِ وطاعته ، وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيدهِ . وإمّا أخبارٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحلُّ بهم في العقبي من العذاب ، فهو خبرٌ عمّن خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كلّهُ في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم .

ف ( الحمد لله ) توحيد ، و ( ربّ العالمين ) توحيد ، و ( الرّحمن الرحيم ) توحيد ، و ( مالك يوم الدين ) توحيد ، و ( إياك نعبد ) توحيد ، و ( إياك نستعين ) توحيد ، و ( اهدنا الصراط المستقيم ) توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد ، الذين أنعم عليهم ، و ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) الذين فارقوا التوحيد . ولذلك شهد الله لنفسه

بهذا التوحيد ، وشهد له به ملائكته ، وأنبيأؤه ورسله . قال ﷺ : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } . فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد ، والرد على جميع هذه الطوائف ، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم . وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية ، ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية ، والحقائق الإيمانية) (١) .

وقال : « فالقرآن قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره ؛ فإنه هو الدعوة والحجة ، وهو الدليل والمدلول عليه ، وهو الشاهد والمشهود له ، وهو الدعوى والبيّنة ، قال الله تعالى : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ } أي من ربه وهو القرآن) (٢) .

وقال : « ولا ريب أنّ أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم - علماً ومعرفة وحالاً - تفاوتاً لا يحصيه إلا الله . فأكمل الناس توحيداً : الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . والمرسلون منهم أكمل في ذلك ، وأولوا العزم من الرسل أكمل توحيداً . وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وأكملهم توحيداً : الخليلان : محمد وإبراهيم صلوات الله وسلامه

(١) مدارج السالكين : ٤٤٩/٣ ، ٤٥٠ .

(٢) مدارج السالكين : ٤٦٩/٣ .

عليهما . فإتّهما قاما من التوحيد بما لم يقيم به غيرهما - علماً ومعرفة وحالاً ، ودعوة للخلق وجهاداً .

ولما قاموا بحقيقته علماً وعملاً ودعوة وجهاداً ، جعلهم الله أئمة للخلائق ، يهدون بأمره ويدعون إليه . وجعل الخلائق تبعاً لهم . يأتّمون بأمرهم ، وينهون إلى ما وقفوا به عندهم ، وخص بالسعادة والفلاح والهدى أتباعهم ، وبالشقاء والضلال مخالفيهم .

وقال لإمامهم وشيخهم إبراهيم خليله : { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } ، أي لا ينال عهدي بالإمامة مشرك ، ولهذا أوصى نبيّه محمداً ﷺ أن يتّبع ملة إبراهيم ، وكان يُعلّم أصحابه ، إذا أصبحوا أن يقولوا : « أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمداً ﷺ ، وملة أبينا إبراهيم ، حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » .

فملة إبراهيم : التوحيد ، ودين محمداً : ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً .

وكلمة الإخلاص : هي شهادة أن لا إله إلا الله .

وفطرة الإسلام : هي ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له ، والاستسلام له عبودية وذلاً ، وانقياداً وإنابة .

فهذا هو توحيد خاصة الخاصة الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء . فقسّم سبحانه الخلائق قسمين : سفياً لا

أسفه منه ، ورشيدياً . فالسفيه من رغب عن ملته إلى الشرك ، والرشيدي من تبرأ من الشرك قولاً وعملاً وحالاً .

فكان قوله توحيداً ، وعمله توحيداً ، وحاله توحيداً ، ودعوته توحيداً . وبهذا أمر الله سبحانه جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم ((<sup>(١)</sup>).

وقال بعد كلام لشيخ الإسلام أورد فيه بعض الآيات في توحيد العبادة فقال : (( وهذا في القرآن كثير ، بل هو أكثر من أن يُذكر ، وهو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وذروة سنامه ، وقطب رحاه ، وأمرنا تعالى أن نتأسى بإمام هذا التوحيد في نفيه وإثباته كما قال تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ } .

وإذا تدبّرت القرآن - من أوله إلى آخره - رأيتَه يدور على هذا التوحيد ، وتقريره وحقوقه . قال شيخنا : والخليلان هم أكمل خاصة الخاصة توحيداً ، ولا يجوز أن يكون في الأمة من هو أكمل توحيداً من نبي من الأنبياء . فضلاً عن الرسل فضلاً عن الخليلين ، وكمال هذا التوحيد هو : أن لا يبقى في القلب شيء لغير الله أصلاً ، بل يبقى العبد موالياً لربه في كل شيء يُحب من أحب وما أحب ، ويبغض من أبغض وما أبغض ، ويوالي من يوالي ، ويعادي من يعادي ويأمر بما يأمر به ، وينهى عما نهى عنه

(١) مدارج السالكين : ٤٨٠/٣ ، ٤٨٢ باختصار .



(( (١)

ولقد احتفت السنّة النبوية بفضل التوحيد وعظيم قدره  
وأثمه محور الدين وقطب رحاه ، وبغيره لا يقبل الله من  
المخلوق صرّفاً ولا عدلاً . وقد ورد في ذلك أحاديث لا  
نُحصى ، نجتزئ بعضها :

**قال ﷺ :** « أتاني جبريلُ فبشّرني أنّه من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل  
الجنة ... الحديث » (٢) .

**وقال ﷺ :** « لن يُوفي عبداً يوم القيامة يقول لا إله إلا الله بيتغي بها  
وجه الله إلا حرّم الله عليه النار » (٣) ، **وقال :** « أسعد الناس بشفاعتي من  
قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » (٤) .

**وفي حديث الشفاعة الطويل ، قال ﷺ :** « فيقول (أي الله ﷻ)  
: وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا  
الله » (٥) . **وفي حديث الشفاعة الطويل أيضاً ، قال ﷺ :** «

- 
- (١) مدارج السالكين : ٤٨٤/٣ ، ٤٨٥ باختصار .  
(٢) البخاريّ : كتاب التوحيد : باب كلام الرّب مع جبريل : ٢٧٢١/٦ ،  
رقم ٧٠٤٩ .  
(٣) البخاريّ : في الرقاق : باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله :  
٢٣٦٠/٥ ، رقم ٦٠٥٩ .  
(٤) البخاريّ : في الرقاق : باب صفة الجنة والنار : ٢٤٠٢/٥ ،  
رقم ٦٢٠١ .  
(٥) البخاريّ : كتاب التوحيد : باب كلام الرّب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء  
وغيرهم : ٢٧٢٧/٦ ، رقم ٧٠٧٢ .

فأقول : يا ربّ أمّتي أمّتي ، فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردلٍ من إيمانٍ فأخرجه من النار ، فأطلق فأفعل» (١) .

**وقال :** « ثمّ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة» (٢) .

**وقال ﷺ في حديث طويل :** « فيقالُ لي : انطلقْ فَمَنْ كانَ في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجه من النار ، فأطلقْ فأفعلْ ثمّ قال : فأقولُ : يا ربّ ! انذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله . قال : ليسَ ذلكَ لك ، أو قالَ ليسَ ذلكَ إليك ، ولكنْ وعزّي ! وكبريائي ! وعظمتي ! وكبريائي ! لأخرجنَّ من قال : لا إله إلا الله» (٣) .

**وقال ﷺ في حديث طويل :** « فيقبضُ قبضةً من النار فيخرجُ منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطُّ قد عَادُوا حُمَمًا فيلقِيهم في نهرٍ في أفواه الجنة يُقالُ له : نهرُ الحياةِ فيخرجونَ كما تخرجُ الحبةُ في حميل السيلِ ثمّ قال : فيخرجونَ كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة . هؤلاء عتقاء الله

(١) البخاريّ : في التوحيد : باب كلام الرّب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم : ٢٧٢٧/٦ ، رقم ٧٠٧٢ .

(٢) مسلم : كتاب الإيمان : باب ( ٨٤ ) ، أدنى أهل الجنة منزلة فيها : ١٨٢/١ ، ح ٣٢٥ .

(٣) مسلم : كتاب الإيمان : باب ( ٨٤ ) ، أدنى أهل الجنة منزلة فيها : ١٨٤/١ ، ح ٣٢٦ .

الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بَغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ... الحديث» (١) .

وسمع رسول الله ﷺ مؤذناً يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : « خرجت من النار » ، فنظروا فإذا هو راعي معزى » (٢) .

وقال ﷺ في حديث البطاقة : « يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ ، فَيُنشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجْلاً ، كُلُّ سِجْلٍ مَدَّ الْبَصَرَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبَّ ! فَيَقُولُ : أَظْلَمْتَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ ؟ ثُمَّ يَقُولُ : أَلَيْكَ عَنْ ذَلِكَ حَسَنَةٌ ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : بَلَى ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَتُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : فَيَقُولُ : يَا رَبَّ ! مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجْلَاتِ ! فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، فَتُوضَعُ السِّجْلَاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السِّجْلَاتُ وَتَفَلَّتِ الْبَطَاقَةُ » (٣) .

وقال ﷺ : « يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ ، فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَرِشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَبْتُلُونَ كَمَا يَبْتُلُ الْعُتَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ، ثُمَّ

(١) مسلم : كتاب الإيمان : باب ( ٨١ ) ، معرفة طريق الرؤية : ١٧٠/١ ، ١٧١ ، ح ٣٠٢ .

(٢) مسلم : كتاب الصلاة : باب ( ٦ ) ، الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان : ٢٨٢/١ ، ح ٩ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : في الزهد : باب ( ٣٥ ) ما يُرجى من رحمة الله يوم القيامة : ٤٢٨/٢ ، رقم ٣٤٦٩ .

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» (١)

ولقد مكث رسول الهدى ﷺ عشر سنوات بمكة يدعو إلى التوحيد وتجريده من الشرك والبدع والمعاصي ، ويؤصله في قلوب أصحابه ويعمقه ، ويرسخ المفاهيم الإيمانية ويفصلها ، حتى خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم ، وتغلغت في أفئدتهم ، وذلك كله قبل أن تُفرض الصلاة (٢) فثبتوا معه في الشدائد ، وصمدوا في الفتن ، وضحووا بأنفسهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

لكل ذلك كان للتوحيد هذه المنزلة العظيمة ، فالواجب اتخاذه الهدف الأسمى والمقصود الأعظم في دعوة الناس ، وتنزيله في الواقع العملي ، تعليماً وتطبيقاً وتربية وتصنيفاً ونشراً ، كل ذلك ينطلق منه ويصب فيه فيرسخه ويعمقه ويحافظ عليه من كل ما يشوبه .



(١) سنن الترمذي : في أبواب صفة جهنم : باب أن للنار نفسين ، وما دُكر من يخرج من النار من أهل التوحيد : ٣٢٣/٢ ، رقم ٢٠٩٤ - ٢٧٣٧ عن جابر ﷺ .

(٢) ليلة الإسراء والمعراج .

المبحث الثالث : ( عمود الإسلام ودعائمه وسائر شرائعه ) .

إنَّ قدر الصلاة في الإسلام عظيم ، فهي عموده ، وركنه  
الركين ، كما في حديث بعث معاذ إلى اليمن ، وقد شُدِّد في  
تعظيم قدرها ، والعناية بها ، والاهتمام بإقامتها وأدائها على  
الوجه الشرعي .

ومما يزيد الصلاة شرفاً وقدرًا ، فرضها فوق سبع  
سماوات ، ليلة الإسراء ، قال ﷺ في حديث الإسراء : « ثُمَّ  
عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ ، قَالَ أَنَسُ بْنُ  
مَالِكٍ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَفَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً ... الْحَدِيثُ  
» (١) .

وهي من الإيمان ، فقد بَوَّب البخاريّ لذلك بقوله : ( باب  
: الصلاة من الإيمان ) ، وذكر قول الله تعالى : { وَمَا كَانَ  
اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } (٢) ، قال : يعني صلاتكم عند البيت ،  
وذكر فيه حديث تحويل القبلة : « وقال : فيه أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ  
الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ  
رِجَالٌ وَقُنُّوا ، فَلَمْ نَدْرَ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَمَا  
كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } » (٣) .

---

(١) البخاريّ : كتاب الصلاة : باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء :

١٣٦/١ ، رقم ٣٤٢ .

(٢) البقرة : الآية ( ١٤٣ ) .

(٣) البخاريّ : الإيمان : باب الصلاة من الإيمان : ٢٣/١ ، رقم ٤٠ .

وعن معاذ بن جبل قال : « كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ ، قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، قَالَ ثُمَّ تَلَا : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } ، حَتَّى بَلَغَ { يَعْمَلُونَ } (١) ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَادُ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » (٢) .  
رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

وروى البخاري من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ

(١) السجدة : الآية ( ١٦ ) .

(٢) صحيح سنن الترمذي : أبواب الإيمان : باب حرمة الصلاة : ٣٢٨/٢ ، رقم ٢١١٠ - ٢٧٦٢ .

وقال شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس إنه صحيح بطرقه ، انظر :  
جامع العلوم والحكم بتحقيقهما : ١٣٤/٢ .

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ، وَإِيْتَاءَ ، الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ» (١) .

قال الحافظ ابن رجب : « والمراد من هذا الحديث أنَّ الإسلام مبنيٌّ على هذه الخمس ، فهي كالأركان والدعائم لبيئانه ، وقد خرَّجه محمد ابن نصر المروزي في « كتاب الصلاة » ولفظه قال : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسِ دَعَائِمٍ » (٢) ، فذكره . والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان ، ودعائم البنيان هذه الخمس ، فلا يثبت البنيان بدونها ، وبقيّة خصال الإسلام كنتمة البنيان ، فإذا فُقد منها شيء ، نقص البنيان وهو قائم لا ينتقض بنقض ذلك ، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس ؛ فإنَّ الإسلام يزولُ بفقدها جميعها بغير إشكالٍ ، وكذلك يزولُ بفقد الشهادتين ، والمراد بالشهادتين ، الإيمان بالله ورسوله » (٣) .

ثمَّ قال : « وأما إقام الصلاة فقد وردت أحاديثٌ متعددةٌ تدل على أنّ من تركها فقد خرج من الإسلام » (٤) .

(١) البخاريّ : في الإيمان : باب الإيمان ، وقول النَّبِيِّ ﷺ : بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : ١٢/١ ، رقم ٨ .

(٢) تعظيم قدر الصلاة : ٤١٩/١ ، رقم ٤١٣ .

وقال المحققان شعيب الأرنؤوط وباجس : « وإسناده صحيح على شرط مسلم . انظر : جامع العلوم والحكم : ١٤٥/١ في الحاشية .

(٣) جامع العلوم والحكم : ١٤٥/١ .

(٤) جامع العلوم والحكم : ١٤٥/١ .

والأحاديث في ذلك كثيرة ، منها : حديث جابر : « بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » (١) .

وقال ﷺ : « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » (٢) .

ومن حديث بريدة قال ﷺ : « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ » (٣) ، ومن حديث الأعمش قال ﷺ : « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ أَوْ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » (٤) ، وعن جابر قال ﷺ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » (٥) .

ولمنزلة الصلاة في الإسلام فإنها العمل الوحيد من بين الأعمال الذي تركه كفر ، كما ثبت عن عبدالله بن شقيق العقيلي قال : « كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ » (٦) .

وقال ابن رجب في حديث معاذ المتقدم : « فجعل الصلاة

- 
- (١) صحيح سنن الترمذي : أبواب الإيمان : باب ترك الصلاة : ٣٢٩/٢ ، رقم ٢١١١ .
  - (٢) صحيح سنن الترمذي : أبواب الإيمان : باب ترك الصلاة : ٣٢٩/٢ ، رقم ٢١١٢ .
  - (٣) صحيح سنن الترمذي : أبواب الإيمان : باب ترك الصلاة : ٣٢٩/٢ ، رقم ٢١١٣ .
  - (٤) صحيح سنن الترمذي : أبواب الإيمان : باب ترك الصلاة : ٣٢٩/٢ ، رقم ٢١١١ - ٢٧٦٥ .
  - (٥) مسلم : الإيمان : باب إطلاق اسم الكفر على ترك الصلاة : ٨٨/١ ، رقم ١٣٤ .
  - (٦) سنن الترمذي : أبواب الإيمان ؛ وانظر : صحيح سنن الترمذي : أبواب الإيمان : باب ترك الصلاة : ٣٢٩/٢ ، رقم ٢١١٤ .



كعمود الفسطاط الذي لا يقوم الفسطاط ولا يثبت إلا به ، ولو سقط العمود لسقط الفسطاط ، ولم يثبت بدونه» (١) .

وأخرج المروزي في كتاب الصلاة أن المسور بن مخرمة وابن عباس دخلا على عمر بن الخطاب ﷺ إذ طعن (( فلما أصبح من غدٍ ، فزعه فقالوا : الصلاة ، ففرع ، فقال : نعم ، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة )) فصلى ، والجرح يثعب دماً )) (٢) .

أما في شأن الزكاة :

فقد قال ﷺ من حديث عبدالله بن عمر : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » (٣) .

وقد قاتل أبو بكر ﷺ مانعي الزكاة وقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤثونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلنهم

(١) جامع العلوم والحكم : ١٤٦/١ .

(٢) تعظيم قدر الصلاة : ٨٩٢/٢ ، رقم ٩٢٣ - ٩٣١ كل هذه الروايات لهذا الأثر ، قال الألباني في رواية ( ٩٢٥ ) في الهامش : والأثر صحيح الإسناد على شرط الشيخين . انظر : ص ٨٩٤ من المصدر نفسه .

(٣) مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ : ( ٨ ) : ٥٣/١ ، رقم ٣٦ .

« عَلَى مَنْعِهِ » (١) . وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ عند البخاريّ ))  
عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُونَهَا )) (٢) .

وقال الله تعالى : { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاءتُوا الزَّكَاةَ  
فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } (٣) .

وبايع الصَّحَابَةِ - رضوان الله عليهم - على إيتائها ، قال  
جرير بن عبدالله : « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة  
، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » (٤) .

وفي الحجّ : قال الله تعالى : { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ  
مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (٥) .

وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَيُّهَا  
النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا » ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَسَكَتَ . حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
« لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ » (٦) . وفي حديث أنس : « ولو

- 
- (١) مسلم في الكتاب والباب السابق : ٥٢/١ ، رقم ٣٢ .  
(٢) البخاريّ : في الزكاة ، باب وجوب الزكاة : ٥٠٧/٢ ، رقم ١٣٣٥ .  
(٣) التوبة : الآية ( ١١ ) .  
(٤) البخاريّ : كتاب الزكاة : باب البيعة على إيتاء الزكاة : ٥٠٧/٢ ،  
رقم ١٣٣٦ .  
(٥) آل عمران : الآية ( ٩٧ ) .  
(٦) مسلم في الحج ، باب فرض الحج مرّة في العمر : ( ٧٣ ) : ٩٧٥/٢ ،  
رقم ٤١٢ .

وجبت لم تقوموا بها . ولو لم تقوموا بها عُذبتُم )) (١) .

وفي أركان الإسلام الخمسة : والإيمان كذلك ، يقول ﷺ  
من حديث جبريل : « الإسلام أن تُعبدَ اللهَ ولا تُشركَ به شيئاً ، وتُقيمَ  
الصَّلَاةَ ، وتُؤتيَ الزَّكَاةَ ، وتُحجَّ البَيْتَ ، وتَصُومَ رَمَضَانَ ، قَالَ ( أي  
جبريل ) : إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :  
صَدَقْتَ ، فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الرَّجُلِ صَدَقْتَ ، أَنْكَرْنَاهُ ، قَالَ : يَا  
مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالْكِتَابِ  
وَالنَّبِيِّينَ وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ ، قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ ؟ قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ ، قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي  
مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تُعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ  
، قَالَ : صَدَقْتَ )) (٢) .

قال ابن رجب في الحديث المتقدم لابن عمر : « بُني  
الإسلام » ، قال : « ولم يذكر الجهاد في حديث ابن عمر هذا ،  
مع أنَّ الجهاد أفضل الأعمال ، وفي رواية أنَّ ابن عمر قيل  
لَهُ : فَالْجِهَادُ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ حَسَنٌ ، وَلَكِنْ هَكَذَا حَدَّثَنَا رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ ، خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ )) (٣) .

(١) سنن ابن ماجه : المناسك ، وانظر : صحيح سنن ابن ماجه في المناسك  
، باب فرض الحج ( ٢ ) : ١٤٧/٢ ، رقم ٢٣٣٢ ، وقال الحافظ في  
التلخيص برقم ٩٥٢ : رجاله ثقات .

(٢) النَّسَائِي ، كتاب الإيمان وشرائعه ، باب صفة الإيمان والإسلام ( ٦ )  
: ١٠٢٥/٣ ، رقم ٤٦١٨ .

(٣) جامع العلوم والحكم : ١٥٢/١ .

وفي حديث معاذ بن جبل قال ابن رجب : (( وذرورة سنامه : أعلى شيء فيه ، ولكنه ليس من دعائمه وأركانه التي بُني عليها ، وذلك لوجهين :

**أحدها : أنَّ الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء ليس بفرض عين بخلاف هذه الأركان .**

**والثاني : أنَّ الجهاد لا يستمر فعله إلى آخر الدهر ، بل إذا نزل عيسى عليه السلام ولم يبق حينئذٍ ملة غير ملة الإسلام فحينئذٍ تضع الحرب أوزارها ، ويُستغنى عن الجهاد ، بخلاف هذه الأركان ، فإنها واجبة على المؤمنين إلى أن يأتي أمرُ الله وهم على ذلك ، والله أعلم )) (١) .**

وقد جمع - رحمه الله - بين الأحاديث الماضية بكلام جيد هذا معناه ملخصاً :

**إنَّ قتال الكافر من أجل التوحيد ، فإذا وحد وجاء بالشهادتين ، وصار مسلماً ، عُصِمَ ماله ودمه إلا بحقها ، ومن حقها ، ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرّمات ، بالحدود الشرعية ، ومن حقها الامتناع عن الصلاة التي هي حقّ البدن ، والزكاة التي هي حقّ المال ، فإذا قام بباقي شرائع الإسلام فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم وإنْ أخلّ بشيء من هذه الأركان ، فُرق بين :**

(١) جامع العلوم والحكم : ١٥٢/١ .

١ - الجماعة الذين لهم منعة فإنهم يُقاتلون ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها قول الله ﷻ : { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ } (١) .

وقول أبي بكرٍ لأقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فيه دليل على أن قتال تارك الصلاة مُجمعٌ عليه لأنه جعله أصلاً مقيساً عليه ، وقول عمر : لو أن الناس تركوا الحجّ لقاتلناهم عليه ، كما نقاتلهم على الصلاة والزكاة ، وهكذا الحكم عند ترك سائر أركان الإسلام أن يقاتلوا عليها كما يقاتلون على ترك الصلاة والزكاة ، فهذا في حق الطائفة الممتنعة عن شيء من هذه الواجبات .

٢ - أما قتل الواحد الممتنع عنها ، فأكثر العلماء على أنه يُقتل الممتنع من الصلاة ، أما باقي الفرائض فعلى خلاف بين العلماء ، فمن مجيزٍ ومن مانعٍ (٢) .

وقال - رحمه الله - في الجهاد : « وأما ذرورة سنامه - وهو أعلى ما فيه وأرفعه - فهو الجهاد ، وهذا يدلّ على أنّه أفضل الأعمال بعد الفرائض ، كما هو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء . وقوله في رواية الإمام أحمد : « وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهَهُ وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تُبْتَغَى فِيهِ دَرَجَاتٌ

(١) التوبة : الآية (٥) .

(٢) هذا معنى كلام طويل وشرح مفصّل لابن رجب - رحمه الله - ، جامع العلوم والحكم : ٢٢٨/١ - ٢٣٦ .

الْجَنَّةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷺ)) ، يدلّ على ذلك صريحاً)) (١) .

وفي الصحيحين من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! أيُّ العمل أفضلُ ؟ قالَ : « إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ » (٢) .

ثمّ قال - رحمه الله - : « فهذه الأعمال أسباب مقتضية لدخول الجنة ، وقد يكون ارتكاب المحرّمات موانع ، ثمّ قال : وهذا كله من ذكر السبب المقتضي الذي لا يعمل عمله إلاّ باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، ويدلّ على هذا ما خرّجه الإمام أحمد عن بشير بن الخصاصية قالَ : أتيتُ النَّبِيَّ ﷺ لأبأبعه ، فشرطَ عليّ شهادَةَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وأنَّ أُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وأنَّ أُوتِيَ الزَّكَاةَ ، وأنَّ أُحُجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ ، وأنَّ أُصُومَ رَمَضَانَ ، وأنَّ أُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَنْتَهِنِ فَوَاللَّهِ مَا أُطِيفُهُمَا ، الْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ ، فَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ ثُمَّ حَرَّكَهَا وَقَالَ : « فَلَاجِهَادٍ وَلَا صَدَقَةٍ ؟ فِيمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذَا ؟ » ، قُلْتُ :

(١) المصدر السابق : ١٤٦/٢ .

(٢) البخاريّ : في العتق : باب أي الرقاب أفضل : ٨٩١/٢ ، رقم ٢٣٨٢ . وأخرجه مسلم في الإيمان ، باب : بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، رقم ٨٤ .

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَبَايُكَ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْنَ كُلِّهِنَّ )) (١) .

ففي هذا الحديث أنه لا يكفي في دخول الجنة هذه الخصال بدون الزكاة والجهاد ، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ارتكاب بعض الكبائر يمنع دخول الجنة ، كقوله : « لا يدخل الجنة قاطع » (٢) ، وقوله : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » (٣) ، وقوله : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » (٤) ، ثم قال : فإن تحقق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصدقته فيها وإخلاصه بها يقتضي أن يرسخ فيه تأله الله وحده ، إجلالاً ، وهيبه ، ومخافة ، ومحبة ، ورجاءً ، وتعظيمًا ، وتوكلًا ، ويمتلئ بذلك ، وينتفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين ، ومتى كان كذلك لم يبق فيه محبة ، ولا إرادة ، ولا طلب لغير ما يريد الله ويحبّه ويطلبه ، وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفوس وإراداتها ،

(١) رواه أحمد : ٢٢٤/٥ .

وقال شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس : « ورجاله ثقات رجال الصحيح ، غير أبي المثني العبيدي راويه عن بشر ، واسمه مؤثر بن عنازة ، فقد روى عنه جماعة من التابعين ، وذكره ابن حبان في « الثقات » ، انظر حاشية جامع العلوم والحكم : ٥١٩/١ .

(٢) البخاري : الأدب : باب إثم القاطع : ٢٢٣١/٥ ، رقم ٥٦٣٨ .

(٣) مسلم : الإيمان : باب تحريم الكبر وبيانه ( ٣٩ ) : ٩٣/١ ، رقم ١٤٧ .

(٤) مسلم : الإيمان : باب ( ٢٢ ) بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون : ٧٤/١ ، رقم ٩٣ .

ووساوس الشيطان ، فمن أحبّ شيئاً وأطاعه ، وأحب عليه وأبغض عليه ، فهو إلهه ، فمن كان لا يحبُّ ولا يبغض إلاّ لله ، ولا يوالي ولا يعادي إلاّ له ن فالله إلهه حقاً ، ومن أحبّ لهواه ، وأبغض له ، ووالى عليه ، وعادى عليه ، فالله هو الهواه ، كما قال تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ } (١) ، قال الحسن : (( هو الذي لا يهوى شيئاً إلاّ ركبه )) (٢) ، وقال قتادة : (( هو الذي كلما هوى شيئاً ركبه ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى )) (٣) .

فتبين بهذا أنّه لا يصح تحقيق معنى قول لا إله إلاّ الله إلاّ لمن لم يكن في قلبه إصرارٌ على محبة ما يكرهه الله ، ولا على إرادة ما لا يُريده الله ، ومتى كان في القلب شيءٌ من ذلك ، كان ذلك نقصاً في التوحيد ، وهو من نوع الشرك الخفي .

ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى : { أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } (٤) . قال : لا تُحبّوا غيري ، وأن من دخل النار من أهل هذه الكلمة (( التوحيد )) فلقلّة صدقه في قولها ، فإنّ هذه الكلمة إذا صدقت ، طهرت من القلب كلّ ما سوى الله ، فمن صدق في

(١) الجاثية : الآية ( ٢٣ ) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة ، ابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور : ٢٦٠/٦ .

(٣) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم . انظر : الدر المنثور للسيوطي .

(٤) الأنعام : الآية ( ١٥١ ) .



قوله : لا إله إلا الله ، لم يُحبّ سواه ، ولم يرج إلا إياه ، ولم يخش أحداً إلا الله ، ولم يتوكل إلا على الله ، ولم تبق له بقية من آثار نفسه وهواه ، ومتى بقي في القلب أثر لسوى الله ، فمن قلة الصدق في قولها ... ويشهد لهذا حديث معاذ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (١) . فإنّ المحتضر لا يكاد يقولها إلا بإخلاص ، وتوبةٍ ، وندمٍ على ما مضى ، وعزم على أن لا يعود إلى مثله ، ورجح هذا القول الخطابي في مصنّف له معزو في التوحيد وهو حسن (٢) .

وما أرسل النبي ﷺ إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، ليدخلوا في السلم كافة لأنقاذهم من النار ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وتحقيق مصالحهم في معاشهم ومعادهم بتعبيدهم لربّ العباد ، على هدىً منه وبصيرة ، فكان منهجه ﷺ في دعاء الناس ، نقلهم من الكفر إلى الإسلام أولاً ، بتوحيد الله والكفر بالطاغوت ، فعرّفهم بالله ﷻ ، والإيمان به ، وبأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومرّه ، وتعريفهم بقدرته سبحانه وعظمته ، وملكه وتدبيره لملكوته ، وهيمنته وعلمه ، وتربيتهم على التوكل عليه والإنابة إليه ، والإخلاص له ، والصبر لحكمه ، والرضا بقضائه ،

(١) رواه أحمد : ٢٣٣/٥ و ٢٤٧ ، وأبو داود ( ٣١١٦ ) ، وصححه الحاكم : ٣٥١/١ ، ووافقه الذهبي .

(٢) جامع العلوم والحكم : ٥١٨/١ - ٥٢٧ باختصار .

والخوف من عذابه ، والرجاء لرحمته .

فهذا هو الواجب الأوّل .

ثمّ علّمهم الصلاة قولاً وعملاً واعتقاداً ، وما يجب لها من طهارة ، ولباس وغيره ، ثمّ الزكاة ، التي هي حقّ المال ، فالصيام والحجّ ، ثمّ الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله .

وتعلّمهم شرائع الدين كاملة من بيع وشراء ، ومعاملات ، ونكاح وطلاق ، وصدق في الحديث ، وأداء للأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالوعد والعهد ، ورعاية الحقوق ، وحسن الجوار ، وإجابة الدعوة ، وإكرام الضيف ، وعيادة المريض ، وإغاثة الملهوف ، وفك العاني ، والشفاعة في الخير .

ومن تعليمه ﷺ لهم التعاون على البرّ والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصح للأمة .

والتفقه في الدين ، وعقد الأخوة الإيمانية بينهم ، وتربيتهم على الاجتماع ، والائتلاف ، وترك الفرقة والشحناء والاختلاف ، وسياستهم بما أنزل الله ، وإقامة شرع الله وحدوده .

وكان يرسل الملوك يدعوهم إلى الله ، ويستقبل الوفود .

وكان ﷺ يعلم أصحابه مكارم الأخلاق ويعودّهم عليها ، ويدعوهم إلى محاسن الأعمال والابتعاد عن سفاسفها ، ويؤدّبهم بآداب الإسلام ، كآداب الحديث ، والاستئذان ،

والأكل والشرب ، والمعاشرة ، وآداب الطريق ، وغير ذلك

وكان يعلمهم القرآن ويربيهم ﷺ بصغار العلم قبل كباره ، وكان يعلمهم الدعاء ، والذكر ، والاستخارة ، والاستشارة ، والتشهد .

قال ابن مسعودٍ : « عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّشَهُدَ ، كَفِّي بَيْنَ كَفْيَيْهِ ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَاقْتَصَّ التَّشَهُدَ بِمِثْلِ مَا اقْتَصُّوا » (١) . وعن ابن عباسٍ أَنَّهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَكَانَ يَقُولُ : « التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » . وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمَحٍ كَمَا يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ » (٢) .

ومنه ما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيُّ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ : « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ - ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرًا لِي فِي

(١) مسلم : كتاب الصلاة : باب التشهد في الصلاة : ٣٠٢/١ ، رقم ٥٩ .

(٢) مسلم : كتاب الصلاة : باب التشهد في الصلاة : ٣٠٢/١ ، رقم ٦٠ .

عَاجِلْ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -  
فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي  
دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -  
فَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ « (١) .

ومنه أيضاً ما رواه مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن  
أبيه ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا نُعَلِّمُ  
الْكِتَابَةَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ  
مَنْ أَنْ تُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ » (٢) .

وأحياناً كان يطلب الصحابي منه أن يعلمه دعاءً يدعو به  
لنفسه ، فعن أبي بكر الصديق ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : عَلِّمْنِي  
دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي ، قَالَ : « قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي  
ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ،  
وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (٣) .

ومن ذلك أيضاً ، تعليمه لهم كيف يُشِمَّت العاطس : قَالَ  
ﷺ : « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ :  
يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَإِذَا قَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَلْيَقُلْ : يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنَتِكُمْ

(١) البخاريّ : التوحيد : باب قول الله تعالى : { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ } ، الأنعام ،  
آية ( ٦٥ ) : ٢٦٩٠/٦ ، رقم ٦٩٥٥ .

(٢) البخاريّ : الدّعاوات : باب التعوذ من فتنه الدنيا : ٢٣٤٧/٥ ،  
رقم ٦٠٢٧ .

(٣) البخاريّ : الدّعاوات : باب الدعاء في الصلاة : ٢٣٣١/٥ ،  
رقم ٥٩٦٧ .

« (١) .

وبالجملة فقد قال الله تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا  
لِكُلِّ شَيْءٍ } (٢) . قال ابن مسعود : « أنزل في هذا القرآن كلَّ  
علم ، وكل شيء قد بُيِّن لنا في القرآن » (٣) .

« وَعَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ : قِيلَ لَهُ : قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ  
شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ (٤) ؟ قَالَ ، فَقَالَ : أَجَلٌ ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ  
نَسْتَقِيلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ ، أَوْ أَنْ  
نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ (٥) أَوْ  
بِعَظْمٍ » (٦) .

وعن أبي ذرّ قال : « تركنا رسول الله ﷺ وما طائر  
يقَلْبُ جناحيه في الهواء إلاّ وهو يذكرنا منه علماً ، فقال ﷺ

(١) البخاريّ : الأدب : باب إذا عطس كيف يُسَمَّتْ ؟ : ٢٢٩٨/٥ ،  
رقم ٥٨٧٠ .

(٢) النحل : الآية ( ٨٩ ) .

(٣) تفسير الطبري : ١٦٢/١٤ ، ط. الحلبي .

(٤) الخراءة بالكسر والمدّ : التخلّي والقعود للحاجة . قال الخطابيّ :  
وأكثر الرواة يفتحون الخاء . النّهاية : ١٧/٢ .

(٥) قال في المصباح : الرجيع : الروث والعذرة ، فعيل بمعنى فاعل ،  
لأنّه يرجع عن حاله الأولى بعد أن كان طعاماً ، أو علّقاً ، وكذلك كلُّ  
فعلٍ أو قولٍ يُردّ فهو رجيع .

(٦) مسلم : كتاب الإيمان : باب الاستطابة ( ١٧ ) : ٢٢٣/١ ، رقم ٥٧ .

: « ما بقي شيء يُقَرَّب من الجنة ويُباعَد من النار إلا وقد بُيِّن لكم » (١) .

### والعلم الشرعي نوعان : سمعي وعقلي :

**فالسمعي** : ما جاء به النبي ﷺ وُبعث به من الإيمان والقرآن والحكمة . وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة والإجماع .

**والعقلي الشرعي** : ما أخبر به الشارع أو أمر به أو دلَّ عليه .

قال الله تعالى : { سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } (٢) .

فالعلوم العقلية والتي تسمَّى التجريبية أو العلمية أو الصناعية هي شرعية أيضاً لدلالة الشرع عليها أو أمره بها أو إخباره عنها .

قال تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (٣) . ويدخل في هذا الصناعات الحربية لاستعمالها في الجهاد ، فإنَّ الصانع إنْ أخلص النية وأراد بعمله وجه الله ﷻ فإنه يُؤجر على ذلك ، وكذلك تعليم الرماية وما في حكمها ، ويدخل في

(١) المعجم الكبير ، رقم ١٦٤٧ .

كما ذكره وصحح إسناده الألباني في الصحيحة : ٤١٦/٤ ، رقم ١٨٠٣ .

(٢) فصلت: الآية (٥٣) .

(٣) الأنفال : الآية (٦٠) .

ذلك أيضاً جميع المعدات الحربية من دبابات وطائرات ورادارات وغيرها مما هو في حكمها .

ومما أمر به الشارع : الطبّ والتداوي وما يلحق به من صناعات طبية وهكذا ، فكل علم يخدم المسلمين ويرفع من شأنهم وعلى الأخص العلم المتعلق بأمن المسلمين وجهادهم .. والاشتغال بفروض الكفايات والقيام بها أكد وأعظم أجراً

وفي هذا يقول شيخ الإسلام :

« فَإِنَّ الشَّرْعِيَّاتِ : مَا أَخْبَرَ الشَّارِعَ بِهَا ، وَمَا دَلَّ الشَّارِعَ عَلَيْهَا . وَمَا دَلَّ الشَّارِعَ عَلَيْهِ يَنْتَظِمُ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمِهِ بِالْعَقْلِ ، وَجَمِيعَ الْأَدْلَةِ وَالْبِرَاهِينِ وَأَصُولِ الدِّينِ وَمَسَائِلِ الْعُقَائِدِ . بَلْ قَدْ تَدَبَّرْتُ عَامَةً مَا يَذْكُرُهُ الْمُتَفَلِّسُ وَالْمُتَكَلِّمَةُ وَالِدَلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ ، فَوَجَدْتُ دَلَائِلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَأْتِي بِخِلَاصَتِهِ الصَّافِيَّةِ عَنِ الْكُذْرِ . وَتَأْتِي بِأَشْيَاءَ لَمْ يَهْتَدُوا لَهَا ، وَتَحْذِفُ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الشَّبَهَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ مَعَ كَثْرَتِهَا وَاضْطِرَابِهَا .

وأما إذا أُريد بالشرعية ما شرع علمه ؛ فهذا يدخل فيه كلّ علم مستحب أو واجب : وقد يدخل فيه المباح ، وأصول الدين على هذا من العلوم الشرعية أيضاً : وما عُلم بالعقل وحده فهو من الشرعية أيضاً ؛ إذا كان علمه مأموراً به في الشرع .

وعلى هذا فتكون الشرعية قسمين : عقلية وسمعية . وقد تبين بهذا أنّ كل علم عقلي أمر الشرع به أو دلّ الشرع عليه

فهو شرعيٌ أيضاً إما باعتبار الأمر أو الدلالة أو باعتبارهما جميعاً .

ثمَّ قال : وأتَّه يجتمع في العلم أن يكون عقلياً وهو شرعي بالاعتبارات الثلاثة : إخباره به ؛ أمره به ؛ دلالاته عليه . فتدبر أن النسبة إلى الشرع بهذه الوجوه الثلاثة )) (١) .

وقال - رحمه الله - في موضع آخر : « وتعليم هذه الصناعات - آلات الجهاد - هو من الأعمال الصالحة لمن يبتغي بذلك وجه الله ﷻ ، فمن علم غيره ذلك ؛ كان شريكه في كلِّ جهاد يجاهد به ، لا ينقص أحدهما من الأجر شيئاً ، كالذي يُقرأ القرآن ويعلم العلم )) (٢) .

« وللمعلمين أن يطلبوا جُعلاً ممن يعلمونه هذه الصناعة ، فإنَّ أخذ الجُعْل والعوض على تعليم هذه الصناعة جائز ، والاكتساب بذلك أحسن المكاسب )) (٣) .

« وأصل هذا أن يُعلم أن هذه الأعمال عونٌ على الجهاد في سبيل الله ، والجهاد في سبيل الله مقصوده أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا )) (٤) .

(١) الفتاوى ( أصول الفقه ) : ٢٣٢/١٩ - ٢٣٤ ، باختصار .

(٢) الفتاوى : ١٣/٢٨ .

(٣) المرجع السابق : ٢٢/٢٨ .

(٤) المرجع السابق : ٢٣/٢٨ .





المبحث الرابع : مصادر العلم وطريق فهمه .

الكتاب وسنة النبي ﷺ وأصحابه هي مصادر العلم الشرعي السمعي ، ويلحق بهما الإجماع والقياس ، قال الله تبارك وتعالى : { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } <sup>(١)</sup> . قال ابن زيد : (( { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ } ، القرآن )) <sup>(٢)</sup> ، وقال قتادة : (( الحكمة : أي السنة )) <sup>(٣)</sup> ، وقال مالك : هي (( المعرفة بالدين ، والفقهاء في الدين والاتباع له )) <sup>(٤)</sup> ، وقال ابن زيد : (( { الْحِكْمَةُ } : الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ )) يعلمهم إياها . وقال : والحكمة : العقل في الدين ، وقرأ : { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [ البقرة/ ٦٩ ] ، وقال لعيسى : { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } [ آل عمران/ ١٦٩ ] ، قال : وقرأ ابن زيد : { وَآتَىٰ عَلَيْهِمُ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا } [ الأعراف/ ١٧٥ ] قال : لم ينتفع بالآيات ، حيث لم تكن معها حكمة ، قال : والحكمة : شيء يجعله الله في القلب يُنور له به )) <sup>(٥)</sup> .

وقال الله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

---

(١) البقرة : الآية ( ١٢٩ ) .

(٢) تفسير الطبري : ٨٦/٣ ، رقم ٢٠٧٧ ، طبعة شاكر .

(٣) تفسير الطبري : ٨٧/٣ ، رقم ٢٠٧٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٧/٣ ، رقم ٢٠٧٩ .

(٥) تفسير الطبري : ٨٧/٣ ، رقم ٢٠٨٠ .

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (١) .

وقد روى الطبري عن قتادة في قوله تعالى : { وَانكُرْنَا مَا يُوْتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } (٢) . قال : (( أي السنة ، قال : يمتن عليهم بذلك )) (٣) .

وروى السيوطي في معنى الآية : (( أنَّ عبدالرزاق وابن سعد وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كلهم أخرج عن قتادة قوله : القرآن والسنة ، عتب عليهن بذلك )) (٤) .  
وعن الحسن (( قال : الكتاب : القرآن ، والحكمة : السنة )) (٥) .

وعن الأوزاعي : عن حسان بن عطية قال : (( كان جبريل ﷺ ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل القرآن عليه يعلمه إياها كما يعلمه القرآن )) (٦) .

وعن ابن مسعود أنه كان يقوم الخميس قائماً فيقول : (( إِنَّمَا هُمَا اثْنَانِ : الْهَدْيِ وَالْكَلامِ ، فَأَفْضَلُ الْكَلامِ - أَوْ أَصْدَقُ الْكَلامِ - كَلامُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ

(١) النحل : الآية ( ٤٤ ) .

(٢) الأحزاب : الآية ( ٣٤ ) .

(٣) تفسير الطبري : ٩/٢٢ ، ط. الحلبي .

(٤) الدر المنثور : ٦٠٧/٦ .

(٥) السنة للالكائي : ٧٠/١ ، رقم ٧٠ .

(٦) السنة للالكائي : ٨٣/١ ، رقم ٩٩ .

وقال المحقق : رواه الدارمي عن محمد بن كثير عن الأوزاعي به / ج: ٥٩٣ ، ورجاله ثقات ، والمروزي في السنة ٢٨ ، ١١٦ .

الأمر محدثاتها ، ألا وكلّ محدثة بدعة ، ألا لا يتطاولنّ عليكم الأمد فتفسوا قلوبكم ، ولا يلهيكم الأمل ؛ فإنّ كل ما هو آتٍ قريب ، ألا إنّ بعيداً ما ليس آتياً» (١) .

ومن حديث المقدم بن معد يكرب قال ﷺ : «ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثله معه ، ألا يُوشِكُ رجلٌ شَبَعانُ على أريكته يقولُ : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرّموه ... الحديث» (٢) .

وسنة الصحابة - رضوان الله عليهم - واجبة الاتباع كما قال ﷺ : «وإنّ أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين مئة كلها في النار ، إلاّ مئة واحدة ، قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي» (٣) .

- 
- (١) جامع بيان العلم وفضله : ١١٦٢/٢ ، رقم ٢٣٠١ ، وقال المحقق : حديثٌ صحيح ، وقد ذكر هناك أنّ جماعة من أهل العلم منهم ابن ماجه وابن أبي عاصم واللالكائي أخرجوه مرفوعاً .
- (٢) سنن أبي داود : السنة : باب لزوم السنة : رقم ٤٦٠٤ ، وهو في صحيح سنن أبي داود : السنة : باب لزوم السنة : ٣٨٤٨/٣ .
- (٣) الشريعة للأجري . باب ذكر افتراق الأمم في دينهم ، وعلم كم تفترق هذه الأمة ، ص ١٦ . وأخرجه الحاكم عن عوف بن مالك : ٤/٤٧٧ ، رقم ٨٣٢٥ . وسنن أبي داود عن معاوية بن أبي سفيان ، برقم ٤٥٩٧ . وأخرجه اللالكائي عن عوف أيضاً : ١٠١/١ ، رقم ١٤٩ . وتتبع الألباني - رحمه الله - طرقه في الصحيحة برقم ٢٠٤ ، وقال في خاتمة كلامه : والحمد لله الذي وقّنا للإبانة عن صحّة هذا الحديث من حيث إسناده .

وقد خصّ الرسول ﷺ الخلفاء الراشدين بمزيد عناية فقال من حديث العرياض : « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » (١) .

وزاد في التأكيد على التمسك بسنة العمرين فقال من حديث حذيفة : « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ » (٢) .  
وأمر بالاهتداء بهدي عمّار والتمسك بعهد ابن أم عبد ، روى الحميدي عن حذيفة قال : قال ﷺ : « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، واهتدوا بهدي عمّار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » (٣) .

وأخبر ﷺ بخير الناس فقال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (٤) ، وأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ، فقال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ » (٥) .

- 
- (١) صحيح سنن أبي داود : كتاب السنة ، باب لزوم السنة : ج ٣ ، برقم ٣٨٥١ .  
(٢) سنن الترمذي : ٦٠٩/٥ ، وقال : حديث حسن ، وابن ماجه : ٣٧/١ ، وأورده الألباني في الصحيحة ، برقم ٢٣٣/٣ - ٢٣٦ .  
(٣) جامع بيان العلم وفضله : ١١٦٦/٢ ، رقم ٢٣٠٨ ، قال ابن عبد البر : والصحيح ما ذكرناه من رواية الحميدي عنه .  
(٤) البخاري ٦٦ - فضائل الصحابة ١ - باب فضائل أصحاب النبي ﷺ : ١٣٣٥/٣ ، رقم ٣٤٥١ .  
(٥) صحيح سنن الترمذي : ١٧٥٩/٢ .

وبهذا ثبت لنا وجوب اتباع الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة ، وهم الصحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسان ، وكذلك إجماع الأمة لأنها لا تجتمع على ضلالة ، وأنّ الخيرية في القرون الثلاثة الأولى .

هذه هي مصادر العلم الشرعي السمعي (النقلي) ، أمّا العقلي فما أخبر به الشارع أو أمر به أو دلّ عليه كما قرّره شيخ الإسلام في المبحث السابق ، ويدخل فيها ما ذكر هنالك .

هذا هو سبيل المؤمنين ، الذي لا يقبل الله غيره ، ومن رام الهدى في غيره ولأه الله ما تولى .

قال الله تعالى : { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }<sup>(١)</sup> .

قال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - : (( سنّ رسول الله ﷺ ، وولاه الأمر بعده سنناً : الأخذ بها تصديق لكتاب الله ﷻ ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتدياً بها هُدي ، ومن استنصر بها منصور ، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ))<sup>(٢)</sup> .

(١) النساء : الآية ( ١١٥ ) .

(٢) السنّة لعبدالله بن أحمد : ٧٦٦/١ ، وقال : إسناده صحيح .

ولقد عرف علماء هذه الأمة الطريق الواضح البين ،  
فاتبعوه ونصروه ، حالاً ومقالاً ، دعوة ومنهاجاً .

فهذا الإمام ابن القيم - رحمه الله - يقول في نونيته :

العلم قال الله قال رسوله      ❁ قال الصحابة هم أولو العرفان

ما لعلم نصيبك للخلاف سفاهة      ❁ بين الرسول وبين رأي فلان (١)

فلقد أكد - رحمه الله - أن مصادر العلم ثلاثة : كتاب الله ،  
وسنة رسوله ﷺ وأصحابه .

قال الأوزاعي : (( العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ ،  
وما لم يجيء عن واحدٍ منهم فليس بعلم )) (٢) .

وعن ابن أثير قال : قال لي الشعبي : (( ما حدثوك عن  
أصحاب رسول الله ﷺ فخذ به ، وما قالوا فيه برأيهم فبُلْ  
عليه )) (٣) .

وأما الشق الثاني : فهو الطريق إلى فهم هذا العلم ، فإنَّ  
الرجوع إلى أقوال الصحابة الذين عايشوا التنزيل وفهموه  
وطبقوه ، ودعوا إليه ، أمر ضروري لفهم مراد الله ورسوله ،  
مع تعيين فهم لغة الخطاب التي كانوا يتخاطبون بها ،

(١) نونية ابن القيم : ص ١٦١ ، ط. دار المعارف .

(٢) جامع بيان العلم وفضله : ٧٦٩/١ ، رقم ١٤٢١ ، قال المحقق :  
إسناده حسن .

(٣) جامع بيان العلم وفضله : ٧٧٦/١ ، رقم ١٤٣٨ ، وصححه المحقق .

وكان يخاطبهم بها الرسول ﷺ .

قال شيخ الإسلام : « ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ، و يخاطبهم بها النبي ﷺ ، وعادتهم في الكلام ، وإلا حرّف الكلم عن مواضعه .

فإن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله ورسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله ، أو الصحابة بتلك الألفاظ ، ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك » (١) .

وقال الشاطبي : « فإذا كان الأمر هكذا ، فاللزام الاعتناء بفهم معنى الخطاب ، لأنه المقصود والمراد ، وعليه يبني الخطاب ابتداءً ، وكثيراً ما يغفل هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة ، فتلتبس غرائبه ومعانيه على غير الوجه الذي ينبغي ، فتستبهم على المتلمس ، وتستعجم على من لم يفهم مقاصد العرب ، فيكون عمله في غير معمل ، ومشيه على غير طريق . والله الوافي برحمته » (٢) .

والفهوم تتباين من قوم إلى قوم ، ومن زمن إلى زمن باختلاف الملكات والمدارك والمشارب ، والمآرب ،

(١) الفتاوى : ٢٤٣/١ ، وقد ضرب - رحمه الله - لذلك أمثلة تساعد على

فهم ما يريد فلترجع هناك .

(٢) الموافقات : ٨٨/٢ .



والأهواء والمقاصد . والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها تفسير القاديانية لخاتم الأنبياء بأنه زينة الأنبياء ، لتأييد بدعتهم ونبههم المزعوم .

أمام هذه الآراء والتأويلات والتفسيرات والاجتهادات في تفسير النصوص ، وُضِع ضابط لجميع الفهوم ، وهو فهم السلف الصالح ، وعلى الأخص الصحابة رضي الله عنهم ، إذ لا سبيل صحيح لفهم مراد الله ومراد رسوله إلا بأمرين :

**الأول :** معرفة أقوال الصحابة وأفعالهم وسننهم وفهمهم للنصوص .

**الثاني :** معرفة اللغة التي كانوا يتخاطبون بها ، ويخاطبهم الرسول ﷺ بها ، وعاداتهم في الكلام ، وأساليبهم ومقاصدهم .

قال ابن الإمام القيم : « وإتّما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب ، فعرف علم اللغة ، وعلم العربية ، وعلم البيان ، ونظر في أشعار العرب وخطبها ، ومقالاتها في مواطن افتخارها ، ورسائلها ، وأراجيزها ، وأسجاعها ، فعلم منها تكوين الخطاب ، ومعدوله ، وفنون البلاغة ، وضروب الفصاحة ، وأجناس التجنيس ، وبدائع البديع ، ومحاسن الحكّم والأمثال » (١) .

هذا في معرفة اللغة وفهمها ، أما معرفة أقوال الصحابة

(١) الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم ص ٧ .

وسننهم فلا بد من الاطلاع على كتب السنن والآثار  
والمصنفات ، وغيرها من الكتب التي تُعنى بذلك .

قال سفيان : (( إِنَّمَا الدِّينُ الْآثَارُ )) (١) .

وأنشد الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - (٢) :

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| دينُ النبي محمدٌ أخبار     | ✻ نعم المطيئة للفتى الآثار |
| لا ترغبن عن الحديث وأهله   | ✻ فالرأي ليل والحديث نهار  |
| ولربما جهل الفتى أثر الهدى | ✻ والشمس بازغة لها أنوار   |

وعن محمد بن سيرين قال : (( كانوا يرون أنهم على  
الطريق ما داموا على الأثر )) (٣) .

وقال ابن المبارك : (( ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ  
من الرأي ما يُفسر لك الحديث )) (٤) .

وعن زُفر بن الهذيل قال : (( إِنَّمَا نَأْخُذُ بِالرَّأْيِ مَا لَمْ

يجيء

الأثر )) (٥) .

ولمّا كان الوحي هو مصدر التشريع العلمي النظري ؛

- 
- (١) جامع بيان العلم وفضله : ٧٨٢/١ ، رقم ١٤٥٨ .
  - (٢) جامع بيان العلم وفضله : ٧٨٢/١ ، رقم ١٤٥٩ .
  - (٣) جامع بيان العلم وفضله : ٧٨٣/١ ، رقم ١٤٦٢ .
  - (٤) جامع بيان العلم وفضله : ١٠٣١/٢ ، رقم ١٩٧٨ .
  - (٥) الفقيه والمتفقه للخطيب : ٥٦١/١ .

فقد جعل الله له تطبيقًا عمليًا واقعيًا يتمثل في جيل الصَّحابة - رضوان الله عليهم - جيل القدوة ، أبرّ النَّاس وأطيبها قلوبًا بعد الأنبياء ، وأفصحها ألسنًا ، وأصدقها حديثًا ، وأفهمها بمقاصد الشريعة ومقاصد العرب وكلامها ، فهم العلماء الراسخون في العلم ، الذين عايشوا التنزيل وفهموه على مراد الله ورسوله . فكانوا نموذجًا عمليًا تطبيقيًا للوحي في أفضل صورة ، ومرجعية للفهم . فلم يترك الله ذلك للناس يقولون فيه بآرائهم واجتهاداتهم وفهومهم ، وأعرافهم وعوائدهم وتقاليدهم . فهذا النموذج الفريد هو مصدر الفهم ، الموحد لجميع الفهوم ، والذي يصدر عنه علماء السنَّة ، فلقد كان الشَّافعيّ وأحمد - رحمهما الله - يأخذان بقول الصحابي ويعملان به ، وجميع الأئمة من أهل السنَّة لا يخرجون مطلقًا عن إجماع الصَّحابة .

فمن رجع إلى هذا النموذج التطبيقي واتخذه مرجعًا وأساسًا لفهم النصوص الشرعية فقد فاز ونجا ، ومن استغنى بفهمه وأعرض عنه فهو إلى الضلال أقرب .

إنَّ الطريق الوحيد لتوحيد هذه الأمة وإنقاذها من التفرُّق والاختلاف الذي وصل إلى العقائد ، هو توحيد الفهوم ( فهم الكتاب والسنَّة ) وجعلها فهمًا واحدًا هو فهم الصَّحابة وما كانوا عليه ، وتقديس النص الشرعي والعمل به وتطبيقه بالطريقة التي فهمها جيل القدوة والاجتماع عليه ، والانخلاع من الأهواء والعوائد المخالفة . وهذا هو المنهج

الصحيح ، وهو سبيل المؤمنين .

ويصدق ذلك أحاديث رسول الله ﷺ الكثيرة ومنها :  
حديث الافتراق الذي جاء في وصف منهج الطائفة الناجية  
قوله ﷺ : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، وقد مرّ آنفاً . فهذا نصّ  
صريح في المنهج ، فكلُّ قولٍ أو عملٍ يخالف ما كان عليه  
المصطفى ﷺ وأصحابه من الأقوال والأعمال والتقريرات  
فهو باطل .

فلم يبق إذاً إلاّ الاتباع والإقتداء ، فقد كان يسألهم ﷺ  
فيقول : أي يومٍ هذا فيقولون : الله ورسوله أعلم ، يظنون أنّه  
سيغيّر اسمه ، ولو غيّرهُ لاتبعوه وما ترددوا أبداً ولا تلكنوا

وكان يصلي في نعليه ويقول : « صلّوا في نعالكم ، خالفوا  
اليهود » ، وعندما خلع نعليه لقدرٍ أصابها ، خلعوا نعالهم  
جميعاً اقتداءً فورياً ، فلما انتهى ﷺ نظر إليهم وقال : لم  
خلعتم نعالكم ؟ قالوا : رأيناك يا رسول الله خلعت نعليك  
فخلعنا نعالنا ، فقال : أتاني جبريل فأخبرني أنّ في نعليّ  
أذى فخلعتهما .

هذا منهج الاتباع .. والعالم وطالب العلم أولى من اتّبع  
الرسول ﷺ ويرد شبهة أنّ الإسلام ليس له إلاّ تطبيق واحد ،  
وقد اختلفت المجتمعات ، فهذا مجتمع صناعي ، وهذا  
زراعي ، وهذا رعوي ، فلا بُد من قبول غير النصوص  
الشرعية .

ويُردُّ على ذلك بأن التطبيق الذي عناه العلماء في عهده ﷺ وأصحابه هو ما يتعلّق بالعقائد والقيم والأخلاق والمفاهيم والأحكام ، هذا كله لا يتغيّر ولا يتبدّل بتغيّر الأزمان والأماكن .

فالصدق مثلاً هو الصدق ، سواء في مجتمع زراعي أو صناعي أو تقني أو بدوي ، فهو نقيض الكذب ، وكذلك الإيمان ، والعبادات ، وما يتعلّق بأمور الغيب من جنّة ونار ، وصراط ، وبعث ، وحشر ، وغير ذلك ، كذلك المحرّمات من خمور ، وزنا ، وشهادة زور ، وعقوق ، وغيرها .

فلقد كان مقتضى النصّ الشرعي عندهم هو دين الله ، إلّا ما كان مخصوصاً أو مقيداً أو مفسّراً أو منسوخاً ، ثمّ جاء أناسٌ يتأولونه ليوافق أهواءهم وأعرافهم وعوائدهم ، أمّا اليوم فلم يعدّ عند أهل الأهواء تأويلاً وإنّما مصادمة صريحة للنصوص الشرعية .

وكثيرٌ من النّاس يخشون من تطبيق النصّ الشرعي وطلب الدليل ، لأنّه سيغيّر كثيراً مما هم عليه من عادات ؛ يعزّ عليهم تركها ، ونسوا قول النّبي ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .





## الفصل الثاني : ( طريقة النبي ﷺ وأساليبه في التعليم )

**المبحث الأول : ( صفة تعليمه وتحديثه ﷺ ورفقه بالمتعلم ) .**

**المبحث الثاني : ( صفة مجلس تحديثه ﷺ وأدب أصحابه ) .**

**المبحث الثالث : ( تعليم النبي ﷺ ، وأمره بطلب العلم ، والترغيب فيه ) .**

**المبحث الرابع : ( أمره ﷺ بالعمل بالعلم ) .**

المطلب الأول : ( بيان أن المراد بالعلم العمل ) .

المطلب الثاني : ( بيان أن العلم حجة لك أو عليك ) .

المطلب الثالث : ( فتح الجدل ومنع العمل ) .

**المبحث الخامس : ( أمره ﷺ بتعليم العلم وتبليغه ونشره ) .**

**المبحث السادس : ( ما يُنشر من العلم وما لا يُنشر ) .**

**المبحث السابع : ( الأساليب النبوية في التعليم ) .**

## الفصل الثاني

### طريقة النبي ﷺ وأساليبه في التعليم

المبحث الأول : صفة تعليمه وتحديثه ﷺ ، ورفقه بالمتعلم .

عن عقبة بن عامر قال : (( ... فأدرکت رسول الله ﷺ قائماً يُحدِّث النَّاسَ )) (١) .

وفي حديث حذيفة عند أبي داود قال : (( قام فينا رسول الله ﷺ قائماً ، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّثه )) (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( إنّ رسول الله ﷺ لم يكن يسرُّ الحديثَ كسرديكم )) (٣) .

وعنها - رضي الله عنها - قالت : (( إنّ النَّبيَّ ﷺ كان يُحدِّث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه )) (٤) .

وقالت : (( ما كان رسول الله ﷺ يسرُّ سردكم هذا ، ولكنّه كان يتكلّم بكلام يُبينه ، فصل ، يحفظه من جلس إليه

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب ذكر المستحب عقب الوضوء : ٢٠٩/١ ، رقم ٢٣٤/١٧ .

(٢) صحيح سنن أبي داود : الفتن : باب ذكر الفتنة ودلائلها : ٧٩٨/٣ ، رقم ٣٥٦٧ - ٤٢٤٠ .

(٣) البخاريّ : المناقب : باب صفة النَّبي ﷺ : ١٣٠٧/٣ ، رقم ٣٣٧٥ .

(٤) البخاريّ : المناقب : باب صفة النَّبي ﷺ : ١٣٠٧/٣ ، رقم ٣٣٧٤ .



((<sup>(١)</sup> .

وعن أنس عن النبي ﷺ (( أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى يفهم عنه ، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم ، سلم عليهم ثلاثاً ))<sup>(٢)</sup> .

وعن جابر بن عبد الله قال : (( كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل ، أو ترسيل ))<sup>(٣)</sup> .

وعن عائشة - رضي الله عنها - (( أن كلام رسول الله ﷺ كان كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه ))<sup>(٤)</sup> .

وعن عمرو بن العاص أنه قال يوماً - وقام رجل فأكثر القول - فقال عمرو : لو قصد في قوله لكان خيراً له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( لَقَدْ رَأَيْتُ - أو أمرتُ - أن أتجوزَ في القولِ فإنَّ الجوازَ هوَ خَيْرٌ ))<sup>(٥)</sup> .

(١) سنن الترمذي : أبواب المناقب ، وانظر : صحيح سنن الترمذي : أبواب المناقب : ١٩٦/٣ ، رقم ٣٩٠١/٢٨٧٨ .

(٢) البخاري : العلم : باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه : ٤٨/١ ، رقم ٩٥ .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، وانظر : صحيح سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب الهدى في الكلام : ٩١٧/٣ ، رقم ٤٨٣٨/٤٠٥٠ .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، وانظر : صحيح سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب الهدى في الكلام : ٩١٧/٣ ، رقم ٤٨٣٩/٤٠٥١ .

(٥) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، وانظر : صحيح سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في التشدق في الكلام : ٩٤٥/٣ ،

وروى الإمام أحمد عن معاذ : « ... فَلَمَّا رَأَى مُعَاذَ بُشْرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ وَخَلَوْتُهُ لَهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائذَنْ لِي أَسْأَلَكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْني وَأَسْقَمَتْني وَأَحْزَنْتْني ؟ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : سَلْنِي عَمَّ شِئْتِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَدِّثْني بِعَمَلٍ يُدْخِلْني الْجَنَّةَ ، لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : بَخْ بَخْ لَقَدْ سَأَلْتَ بِعَظِيمٍ ثَلَاثًا وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ يُحَدِّثُهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَالَهُ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَعْنِي أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حِرْصًا لِكَيْمَا يُثَبِّتَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَنُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَنَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعِدْ لِي فَأَعَادَهَا لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ... » (١) . والحديث طويل ، والشاهد فيه إعادة النبي ﷺ الكلام ثلاث مرات كيما يتقنه عنه .

فتبين من مجموع الأحاديث السابقة أنه كان ﷺ يُحَدِّثُ قائمًا وقاعدًا ، ولا يسرد الحديث سردًا ، ولكن كان يترسل فيه ويرتله ، ويبينه ويتجوز فيه ، فلو عدّه العادّ لأحصاه ، كلامًا فصلًا ، يفهمه ويحفظه من سمعه .

رقم ٥٠٠٨/٤١٨٧ .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٦٢/٨ ، رقم ٢٢/٨٣ ، والحديث شيق جدًا ، وطويل ، فليراجع هناك .

والحديث عند الترمذي مختصرًا ، انظر : صحيح سنن الترمذي : أبواب الإيمان ، باب حرمة الصلاة : ٣٢٨/٢ ، رقم ٢١١٠ - ٢٧٦٢ .

وكان ﷺ يرفع صوته بالعلم عند الحاجة ، فعن عبدالله بن عمرو قال : (( تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها ، فأدركنا - وقد أرهقتنا الصلاة - ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً )) (١) .

وأما رفيقه ﷺ بالمتعلم فيتعدّر استيعابه ، ولكن في الثلاثة النصوص التالية كفاية :

١ - أمر ﷺ باللين للمتعلم وللمعلم ، فقال : (( لينوا لمن تُعلمون ، ولمن تتعلمون منه )) (٢) .

٢ - عن معاوية بن الحكم السلمي قال : (( بيننا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت : يرحمك الله ! فرماني القوم بأبصارهم فقلت : وا تكل أميأه ! ما شأنكم تنظرون إليّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمّونني . لكتني سكتٌ . فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ! ما رأيتُ معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه . فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني ، قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ... الحديث )) (٣) . والكهر ، والقهر ، والنهر ،

(١) البخاري : العلم : باب من رفع صوته بالعلم : ٣٣/١ ، رقم ٦٠ .

(٢) سنن أبي داود : ١٩٠/٢ .

(٣) صحيح مسلم : المساجد : باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما

## مقاربة .

فهذا الصحابي الجليل يفدي الرسول ﷺ بأبيه وأمه لرفقه به ، وحسن تعليمه له ، ويخبر بأنه لم ير معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه ، وأنه لم يضربه ، ولم يشتمه ، وإنما علمه ما يصلح للصلاة وما لا يصلح بهدوء وتؤدة .

فهذا المثال ينبغي أن يكون قدوة للدعاة من العلماء والمعلمين ، وطلبة العلم في الرفق واللين والرحمة بالمتعلم ، وترك القسوة والفظاظة والجلافة والاستعلاء على الناس .

٣ - عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ : (( أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا ، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا قَالَ : ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ ، وَعَلِّمُوهُمْ ، وَصَلُّوا ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ )) (١) . وفي رواية : (( أتينا النبي ﷺ ونحن شبيبة متقاربون )) (٢) .

وفيه الرحمة والرفق والشفقة بالمتعلم ، ومراعاة حالته النفسية ، وفيه أيضاً الأمر بتعليم الأهل .

كان من إباحة : ٣٨١/١ ، رقم ٣٣ ت ٥٣٧ .

(١) البخاريّ : الأذان : باب من قال : ليؤدّن في السفر مؤذن واحد :

٢٢٦/١ ، رقم ٦٠٢ .

(٢) البخاريّ : الأذان : باب الأذان للمسافر : ٢٢٦/١ ، رقم ٦٠٥ .



المبحث الثاني : صفة مجلس تحديته ﷺ وأدب أصحابه .

روى الإمام البخاري ، عَنْ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ : (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَهَبَ وَاحِدٌ ، قَالَ : فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةَ فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا ، فَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ )) (١) .

وروى الإمام مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ : (( دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ وَهُمْ حِلْقٌ ، فَقَالَ : مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِينَ ؟ (٢) أَي : جماعات متفرقة لا يجمعكم مجلس واحد . وَعَنْ الْأَعْمَشِ بِهَذَا ، قَالَ : كَأَنَّهُ يُحِبُّ الْجَمَاعَةَ )) (٣) .

وعن جابر بن سمرة قال : (( كنا إذا أتينا النبي ﷺ ،

- 
- (١) البخاري : كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي المجلس ، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها : ٣٦/١ ، رقم ٦٦ .
  - (٢) مسلم : الصلاة : باب الأمر بالسكون في الصلاة ، والأمر بالاجتماع : ٣٢٢/١ ، رقم ١١٩ - ٤٣٠ .
  - (٣) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، وانظر : صحيح سنن أبي داود : الأدب : باب في التحلق : ٩١٥/٣ ، رقم ٤٠٣٩ .

جلس أحدنا حيث ينتهي)) (١) .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ : (( أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ دَاوَى ؟ فَقَالَ : تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ )) (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : (( كنا جلوساً في المسجد إذ خرج رسول الله ﷺ فجلس إلينا ، فكأن على رؤوسنا الطير ، لا يتكلم أحدٌ منا )) (٣) .

قال الميداني : (( وفي صفة مجلس رسول الله ﷺ : )) إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير )) ، يريد أنهم يسكنون ولا يتكلمون ، والطير لا تسقط إلا على ساكن )) (٤)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (( تعلموا العلم وعلّموه الناس

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب ، وانظر : صحيح سنن أبي داود : الأدب : باب في التحلق : ١١٦/٣ ، رقم ٤٠٤٠ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الطب ، وانظر : صحيح سنن أبي داود : الطب : باب في الرجل يتداوى : ٧٣١/٢ ، رقم ٣٢٦٤ - ٣٨٥٥ .

(٣) الجامع لأخلاق الرّواي : توفير مجلس الحديث : ٢٨٩/١ ، رقم ٣٢٤

(٤) مجمع الأمثال : ١٤٦/٢ .

، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه  
ولمن علمتموه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء ، فلا يقوّم جهلكم  
بعلمهم)) (١) .

وكان عددٌ من الصّحابة غير قليل يلازمون النبي ﷺ ؛  
ويتناوبون لحضور مجالسه ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
وصاحبه ، كانا يتناوبان ، ينزل هذا يوماً وينزل هذا يوماً ،  
أما أبو هريرة رضي الله عنه فقد كان لا ينفك عنه ، يلازمه في أغلب  
مجالسه ، إذ يقول عن نفسه : (( ... وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزِمُ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ ،  
وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ )) (٢) . وهذا دليل على أهمية ملازمة  
العالم والحضور لديه ، وأهمية حفظ العلم .

وكانوا ﷺ إذا اجتمعوا في غياب النبي ﷺ يتذكرون  
العلم ، قال الخطيب : (( كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا  
اجتمعوا تذكروا العلم ، وقرؤوا سورة )) (٣) .

ومن أدبهم ﷺ مع النبي ﷺ الاعتذار الشديد عند إغضابه  
، روى البخاري عن أبي موسى قال : (( سئل النبي ﷺ عن  
أشياء كرهها ، فلمّا أُكثِرَ عليه غَضِبَ ... فلمّا رأى عمرُ ما

(١) صحيح جامع بيان العلم : ص ١٦٨ ، رقم ٥٧٠ .

(٢) البخاري : العلم : باب حفظ العلم : ٥٥/١ ، رقم ١١٨ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ٢/٢٦٢ ، رقم ٩٤٨ ، وقال محققه : إسناده صحيح .



في وجهه قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) .

وروى أيضاً عن أنس بن مالك : (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ فَقَالَ : مَنْ أَبِي ؟ فَقَالَ : أَبُوكَ حُدَافَةُ ، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ : سَلُونِي فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا فَسَكَتَ )) (٢) .

وكانوا يتلطفون في الرد عليه ، فعن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، قال : (( صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَرَكَ آيَةَ ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ أَبِيٌّ بَنُ كَعْبٍ ؟ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نُسَخْتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا ، أَمْ نَسَيْتَهَا ؟ قَالَ : بَلْ نَسِيْتُهَا )) (٣) .

ويتلطفون في سؤاله ، ويهابونه ، ويترددون في سؤاله .  
روى البخاري عن أبي ذر قال : (( انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ يَقُولُ : هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . قُلْتُ : مَا شَأْنِي ؟ أَيَّرَى فِيَّ شَيْءٌ ؟ مَا شَأْنِي ؟ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْكُتَ ، وَتَعَسَّانِي مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَقُلْتُ : مَنْ هُمْ يَا أَبِي أَنْتَ

(١) البخاري : العلم : باب الغضب في الموعظة والتعليم : ٤٧/١ ، رقم ٩٢ .

(٢) البخاري : العلم : باب الغضب في الموعظة والتعليم : ٤٧/١ ، رقم ٩٣ .

(٣) الفقيه والمنقّه : ٢٨٨/٢ ، رقم ٩٨٨ ، وقال المحقق : إسناده صحيح

وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا)) (١).

وينبغي أن لا يمنعه الحياء من السؤال عن أمر نزل به، روى البخاري عن أم سلمة قالت: ((جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ، فَغَطَّتْ أُمَّ سَلَمَةَ تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلِذَٰهَا؟)) (٢).

وروى البخاري تعليقًا بالجزم عن مجاهد قال: ((لا يتعلم العلم مستحي، ولا مستكبر))، وقالت عائشة: ((نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن ينفقهن في الدين)) (٣).

ومن استحيا فلم يستطع السؤال فله أن ينيب غيره، فقد روى البخاري عن علي قال: ((كنت رجلاً مداءً، فأمرت المقداد أن يسأل النبي ﷺ، فسأله، فقال: فيه الوضوء)) (٤).

(١) البخاري: الأيمان والنذور، كيف كانت يمين النبي ﷺ: ٢٤٤٧/٦، رقم ٦٢٦٢.

(٢) البخاري: العلم: باب الحياء في العلم: ٦٠/١، رقم ١٣٠.

(٣) البخاري: العلم: باب الحياء في العلم: ٦٠/١، تعليقًا.

(٤) البخاري: كتاب العلم: باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال: ٦١/١، رقم ١٣٢.

وينبغي المبادرة بالسؤال وعدم الرضا بالجهل ، ولو في الأمور الصغيرة التي تُهمّ طالب العلم ، فقد قال الأعمش : (( سل سؤال الأحق ، واحفظ حفظ الأكياس ))<sup>(١)</sup> .

وقال عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز : (( ما من شيء إلا وقد علمتُ منه إلا أشياء صغاراً ، كنت استحيي أن يُرى مثلي يسأل عن مثلها ، فبقي جهالتها فيّ إلى الساعة ))<sup>(٢)</sup> .  
ويسأل عما يكثر نفعه ، ويُقلّ المسألة عما لا فائدة فيه .

قال ﷺ : (( إنَّ اللهَ كرهَ لكم ثلاثاً : قيلَ وَقَالَ ، وإِضَاعَةَ المَالِ ، وَكثْرَةَ السُّؤَالِ ))<sup>(٣)</sup> . والسؤال هنا : إما طلب أموال الناس تكثراً ، وإما السؤال في العلم عما لا يفيد .



(١) الفقيه والمتفقه : ٣٠٣/٢ ، رقم ١٠١٢ ، وقال المحقق : إسناده حسن

(٢) المصدر السابق : ٣٠٣/٢ ، رقم ١٠١٣ ، وقال المحقق : إسناده صحيح .

(٣) البخاريّ : الزكاة : باب { لا يسألون الناس إلحافاً } : ٥٣٧/٢ ، رقم ١٤٠٧ .

المبحث الثالث : تعليم النبي ﷺ ، وأمره بطلب العلم ، والترغيب فيه .

**قال الله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (١) .**

**أخبر الله ﷻ أنه أرسل رسوله في أمة أمية ، وجعل من أولى مهماته ﷻ رفع الجهالة عنهم ونشر العلم بينهم ، بتلاوة آياته وتعليمهم الكتاب والسنة ، وتفهمهم . قال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٢) ، والذِّكْر هنا هو الحكمة ، وهو السنة ينزلها الله على نبيه ﷻ ليبين للناس القرآن ويشرحه لهم ، بوحى من نوع آخر ، وكلُّ من عند الله ، قال تعالى : { وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } (٣) .**

**وأمره ربُّه بالبلاغ فقال : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ } (٤) .**

**روى البخاري في ذلك تعليقا بالجزم عن الزهري قال : (( من الله الرسالة ، وعلى رسول الله ﷻ البلاغ ، وعلينا**

(١) الجمعة : الآية ( ٢ ) .

(٢) النحل : الآية ( ٤٤ ) .

(٣) النجم : الآيات ( ١ - ٤ ) .

(٤) المائدة : الآية ( ٦٧ ) .

التسليم)) .

وعن عائشة كذلك ، قالت : (( إذا أعجبك حُسنُ عمل امرئٍ فقل : { اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } (١) ، ولا يستخفّنك أحد )) (٢) .

وأخرج البخاريّ كذلك عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (( من حدّثك أنّ النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تُصدّقه ، إنّ الله تعالى يقول : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... الآية } )) (٣) .

وقد أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب أن يبيّنوه للناس ولا يكتُمونه ، فقال : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ } (٤) .

وأذّر سبحانه الذين يكتُمونه ويشترّون به ثمنًا قليلاً ، فقال : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ

(١) التوبة : الآية ( ١٠٥ ) .

(٢) البخاريّ تعليقا : كتاب التوحيد : باب قول الله : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } : ٢٧٣٨/٦ .

(٣) المصدر السابق ، والكتاب ، والباب : ٢٧٣٩/٦ ، رقم ٧٠٩٣ .

(٤) آل عمران : الآية ( ١٨٧ ) .

بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} (١) .

وكان أول ما بُدئ برسول الله ﷺ من الوحي : { اقرأ  
باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم .  
الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم } (٢) .  
فكان أول ما خاطبه ربه ، يأمره بالقراءة والعلم ، ذلك  
أن هذا الدين هو دين العلم والتعلم والتعليم ، والعلم هو أبرز  
سمة من سماته .

روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :  
« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي  
رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ  
رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ  
الرَّيْحِ الْمُرْسَلَةِ » (٣) ، وفي رواية أخرى لابن عباس قال : «  
يَعْرَضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ » (٤) . وروي من حديث  
عائشة - رضي الله عنها - أن فاطمة - رضي الله عنها - قالت  
: « أَسْرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارِضُنِي

(١) البقرة : الآيتان ( ١٧٤ ، ١٧٥ ) .

(٢) العلق : الآيات ( ١ - ٥ ) .

(٣) البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة : ١١٧٧/٣ ،  
رقم ٣٠٤٨ .

(٤) البخاري : فضائل القرآن ، باب : كان جبريل يعرض القرآن على  
النبي ﷺ : ١٩١١/٤ ، رقم ٤٧١١ .

العام مرتين ، ولا أراه إلا حضرَ أجلي وإنك أولُ أهل بيتي لحاقاً بي )) (١) .  
 فلقد علم جبريلُ النبي ﷺ الكتاب ، وكان كلَّ واحد يعرضه على الآخر ويدارسه فيه ، وكان ينزل عليه بالسُّنة يعلمه إياها كما يعلمه القرآن ، وكان التعليم مستمراً إلى قبل وفاته ﷺ بوقتٍ يسير ، بل إنه ازداد قبل وفاته كما ذكر في الحديث السابق : « وإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي » .

وقد اجتهد ﷺ في تعليم العلم كما تعلمه من جبريل ، فكان لا يدع ﷺ موقفاً ولا مناسبة إلا انتهزها في تعليم أصحابه ، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا علمها لهم .

فَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَوْلَاءُ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيَهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَأَهُ عَرَفَهُ » (٢) .

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا

(١) البخاريّ : المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام : ١٣٢٦/٣ ، رقم ٣٤٢٦ .

(٢) مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة : ٢٢١٧/٤ ، رقم ٢٣/٢٨٩١ .

طائر في السماء يقلب جناحيه إلا وعندنا منه علم» (١) .

ويدلُّ على اجتهاد النبي ﷺ في تعليم الصحابة ، ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ... » (٢) .

وكان يقول عن نفسه ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر بن عبدالله ، قال : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَنِي مُعَنَّأً وَلَا مُتَعَنَّأً ، وَلَكِنْ بَعَنِي مُعَلِّمًا مُيَسَّرًا » (٣) . أي أنه لم يبعثه مشددًا على الناس ، طالبًا لزلاتهم . ويقول ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ أَعَلَّمَكُمْ » (٤) .

وقد أمر ﷺ بالتعليم ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « عُلِّمُوا وَيَسِّرُوا ، وَلَا تَعَسَّرُوا - ثَلَاثًا - » (٥) .

وقد رغب النبي ﷺ أصحابه في طلب العلم والاجتهاد فيه

- (١) صحيح ابن حبان : ٢٦٧/١ ، وجاء مثله من حديث أبي الدرداء عند الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٢٦٤/٨ .
- (٢) البخاري : كتاب العلم : باب هل يجعل للنساء يومًا على حدة في العلم : ٥٠/١ ، رقم ١٠١ .
- (٣) مسلم : كتاب الطلاق : باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية : ١١٠٥/٢ ، رقم ١٤٧٨ .
- (٤) سنن ابن ماجه : الطهارة : الاستنجاء بالحجارة ، رقم ٣١٣ ، وصححه الألباني ، انظر صحيحها : ٥٧/١ ، رقم ٢٥٢ .
- (٥) صحيح جامع بيان العلم : ص ١٥٤ ، رقم ٥٠٥ .



، وأوصى بالعناية بطلاب العلم ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ : مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاقْنُوهُمْ » (١) .

قال : فُلْتُ لِلْحَكَمِ : مَا اقْنُوهُمْ ؟ قَالَ : عَلِّمُوهُمْ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا ، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِحَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ » (٢) .

وقال رضي الله عنه : « مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أجنحتها ، رِضًا بِمَا يَصْنَعُ » (٣) .

وقال رضي الله عنه : « وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَذَكَّرُونَ فِيهِ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَقَّقَتْهُمْ »

(١) صحيح سنن ابن ماجه : باب الوصاة بطلبة العلم : ٤٧/١ ، رقم ٢٤٧/٢٠١ .

وانظر اللسان ، مادة : فنا : ٢٠١/١٥ ، قال : أي علّموهم واجعلوا لهم قنية من العلم يستغنون به إذا احتاجوا إليه .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم : ٤٤/١ ، رقم ٢٢٧/١٨٦ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم : ٤٤/١ ، رقم ٢٢٦/١٨٥ .

الملائكة ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَأً <sup>(١)</sup> بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرَعْ بِهِ نَسَبُهُ  
 (( <sup>(٢)</sup> .

### وفي الحديث فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ودراسته

**وقال ﷺ :** « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى  
 الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ  
 يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَّانِ فِي الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ  
 عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ .  
 إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ  
 بِحِطِّ وَافِرٍ » <sup>(٣)</sup> .

**وعن عثمان رضي الله عنه قال :** قال النبي ﷺ : « إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ  
 الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » <sup>(٤)</sup> . وفي رواية عنه **قال ﷺ :** « خَيْرُكُمْ مَنْ

(١) قال النووي : معناه : من كان عمله ناقصًا لم يُلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال ، فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل ، شرح النووي على مسلم : ٢٤/١٧ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر : ٢٠٧٤/٤ ، رقم ٢٦٩٩/٣٨ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم : ٤٣/١ ، رقم ٢٢٣/١٨٢ .

(٤) البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه : ١٩١٩/٤ ، رقم ٤٧٤٠ .

تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (١) .

وجاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ وهو في المسجد متكئ على بُردٍ له أحمر ، قال : قلت : يا رسول الله إني جئتُ **أطلبُ العلم** ، قال : «مرحبًا بطالب العلم ، إنَّ طالب العلم لتحفُّ به الملائكة وتُظِلُّه بأجنحتها ، فيركبُ بعضها بعضًا حتَّى تعلقوا إلى السماء الدنيا من حُبِّهم لما يطلب ، فما جئتَ تطلب ؟ قال : قلت : يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة ، فأفتني عن المسح على الخفين . وذكر الحديث ...» (٢) .

**إنَّ قَمَّةَ الْعِلْمِ وَأَصْلَهُ كِتَابُ اللَّهِ الْكَرِيمِ ، فَحَرِيٌّ بِطَالِبِ الْعِلْمِ الْإِرْتِبَاطُ بِهِ حِفْظًا وَدِرَاسَةً وَتَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا ، فَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ .**

**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «طلبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (٣) .**

(١) البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه : ١٩١٩/٤ ، رقم ٤٧٣٩ .

(٢) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ٣٦ ، رقم ٥٧ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : باب فضل العلم ، والحث على طلب العلم : ٤٤/١ ، رقم ١٨٣ - ٢٢٤ .

وقد حسَّن هذا الحديث محقق جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، أبو الأشبال الزهيري ، فقال : حديث حسن بشواهد ، رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - منهم أنس بن مالك ، وعبدالله بن مسعود ، وأبو سعيد الخدري ، وابن عباس ،

وروى الخطيب بسند صحيح عن ابن المبارك في هذا الحديث قال : (( ليس هو الذي يطلبونه ، ولكن فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه ))<sup>(١)</sup>

قال أبو عمر الحافظ ابن عبد البر : (( قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه ، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع . واختلفوا في تلخيص ذلك ، والذي يلزم الجميع فرض من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه ، نحو الشهادة باللسان ، والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ، خالق كل شيء ( لا معبود بحق سواه )<sup>(٢)</sup> ، والشهادة بأن محمداً عبده ورسوله ، وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال ، والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة في الجنة ، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في السعير حق . وأن القرآن كلام الله وما فيه حق يلزم الإيمان بجميعة ، وأن

---

والحسين بن عليّ ، وابن عمر ، وعلي بن أبي طالب ، وجابر ، وقد ذكر أسانيد كل واحد منهم ونظر فيها وحكم عليها من خلال أقوال الأئمة ، وفي ذلك غثية ، انظر : حاشية جامع بيان العلم : ٢٣/١ - ٥٢

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي : ١٧١/١ .

(٢) إضافة أرى أن السياق يحتاجها .

الصلوات الخمس فريضة ويلزمه من علمها : علم ما لا تتم إلا به من طهارتها ، وسائر أحكامها ، وأن صوم رمضان فرض ، ويلزمه علم ما يُفسد صومه ، وما لا يتم إلا به . وإن كان ذا مال وقدرة على الحجّ لزمه فرضاً أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ، ومتى ، وفي كم تجب ، وكذلك الحج إن استطاع إليه سبيلاً ، إلى أشياء يلزمه معرفة جملها ، ولا يُعذر بجهلها ، نحو تحريم الزنا ، والخمر ، والخنزير ، والميتة ، والأنجاس كلها ، والسرقه ، والربا ، والغصب ، والرشوة في الحكم ، والشهادة بالزور ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وتحريم الظلم كله ، ونكاح الأمهات والبنات والأخوات ومن ذكر معهن ، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق ، وما كان مثل هذا مما قد نطق به الكتاب وأجمعت الأمة عليه . ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه ، وتعليم الناس إياه ، وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم ، والحكم به بينهم فرض على الكفاية ، يلزم الجميع فرضه ، فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقيين بموته ، لا خلاف بين العلماء في ذلك ، وحجتهم آية { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ } (١)

فألزم النفير في ذلك البعض دون الكل ، ثم ينصرفون

(١) التوبة : الآية ( ١٢٢ ) .

فيعلمون غيرهم ، والطائفة في لسان العرب : الواحد فما فوقه .

وكذلك الجهاد فرض على الكفاية ، فإن أظلم العدو بلدة لزم الفرض حينئذٍ جميع أهلها وكل من قرب منها ؛ إن علم ضعفها عنه وأمكنه نصرتها لزمه فرض ذلك أيضاً .

وقال أبو عمر بن عبدالبرّ : وردّ السلام عند أصحابنا من هذا الباب ، فرض على الكفاية ، ومنه تكفين الموتى ، وغسلهم ، والصلاة عليهم ، وموارثهم ، والقيام بالشهادة عند الحكّام ، فإن كان الشاهدان عدلين ولا شاهد له غيرهما تعين الفرض عليهما .

ومن هذا الباب عند جماعة من أهل العلم : الأذان في الأمصار ، وقيام رمضان . وأكثر الفقهاء يجعلون ذلك سنة وفضيلة .

وقد ذكر قوم من العلماء في هذا الباب عيادة المريض ، وتشميت العاطس ، قالوا : هذا كله فرض على الكفاية (١) .  
ويُلحق بذلك جميع العلوم والمخترعات المهمة للأمة

(١) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ١٠ - ١٢ مختصراً ، فراجعه هناك .

وراجع في ذلك أيضاً قول الإمام أحمد ، وقول الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه : ١٧٣/١ - ١٧٤ ، وما قيل قبلها في شرح حديث طلب العلم فريضة على كلّ مسلم .

كالتّطب والهندسة ، وما يلحق بهما ، ووسائل الاتصال ، والإعلام ، والمواصلات ، والحاسبات ، وعلوم الفضاء ، وغيرها من المخترعات ، وكلّ ما يحفظ للأمة أمنها ويجعلها في قوّة وعزّة ومنعة قادرة على القيام بما أمر الله من الجهاد ونشر الدين وحفظ مصالح العباد ، وتحقيق وسطية هذه الأمة لتكون شاهدة على باقي الأمم .

وقال الإمام الزرنوجي في شرح الحديث السابق (١) :

اعلم أنّه لا يُفترض على كلّ مسلم طلبُ كلّ علمٍ ، وإنّما يُفترض عليه طلبُ علم الحال ، فإنّه يقال : أفضلُ العلم علمُ الحال ، وأفضلُ العمل حفظُ الحال ، ويفترض على المسلم طلبُ علم ما يقع له في حاله في أي حالٍ كان ، فإنّه لا بُدّ له من الصلاة ، فيفترض عليه علمُ ما يقع له فيها بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة ، ويجب عليه بقدر ما يؤدي به الواجب ، لأنّ ما يتوسّل به إلى إقامة الفرض يكون فرضاً ، وكذلك في الصوم والزكاة إن كان له مال ، والحج إن وجب عليه ، والبيع إن كان متّجرًا ، وأما حفظ ما يقع في بعض الأحياء ففرض كفاية .

وطالبُ العلم يشرفُ بشرف ما يطلبه ، وإنّما شرفُ العلم ، وعظمت منزلته بأصله ومقصوده وثمرته ؛ فأما أصله : فالوحي كلام الله وصفته ، وسنة نبيه ﷺ ، والفقهاء فيهما ،

(١) تعليم المتعلّم : ص ٥ ، ٧ مختصرًا .

وأما مقصوده : فمعرفة الله بأسمائه وصفاته ، معرفة تورث الخشية والمحبة ، وتدفع لعبادته على هدى وبصيرة . وأما ثمرته فسعادة الدارين .

وقد خصّ الله العلماء بكمال خشيته فقال : { إِيْمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } <sup>(١)</sup> . فأصبحوا بهذه الخشية خير البرية ، قال تعالى : { أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } ، ثمّ قال : { ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } <sup>(٢)</sup> .

وقرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بتوحيده فقال : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } <sup>(٣)</sup> . فلا مكانة ولا تشريف أجلّ من هذا

ورفع منزلتهم على إخوانهم المؤمنين فقال : { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } <sup>(٤)</sup> ، وقال : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } <sup>(٥)</sup> .

وسمّاهم أهل الذكر ، وجعلهم مرجعاً للناس في الفتوى ، فقال : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } <sup>(٦)</sup> . وحكّاماً

(١) فاطر : الآية ( ٢٨ ) .

(٢) البيّنة : الآيتان ( ٧ ، ٨ ) .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٨ ) .

(٤) المجادلة : الآية ( ١١ ) .

(٥) الزمر : الآية ( ٨ ) .

(٦) النحل : الآية ( ٤٢ ) .



بينهم عند الاختلاف ؛ فقال : { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ } <sup>(١)</sup> . وعند التنازع فقال : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } <sup>(٢)</sup> . أي إلى الكتاب والسنة بعد وفاة الرسول ﷺ ؛ ولا يستطيع ذلك إلا العلماء بالكتاب والسنة .

وقد جعلهم الله ﷻ مرجعاً للناس أيضاً حال مجيء أمرٍ من الأمن أو الخوف ، وعاب عليهم إذاعتهم به ، وندبهم إلى رده إليهم فقال : { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } <sup>(٣)</sup> . فقد ردَّ حكمه في الواقع إلى استنباطهم ، فهم الذي يستطيعون فهم مراد الله وحكمه في الوقائع والحوادث ، وتنزيله تنزيلاً صحيحاً ، وألحق رتبهم برتبة الأنبياء لأنه خصهم بكمال العقل فقال : { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } <sup>(٤)</sup> . وجعل آياته بينات في صدورهم فقال : { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } <sup>(٥)</sup> .

قال الحافظ ابن كثير : (( أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق ، أمراً ونهياً وخبراً ، يحفظه العلماء ، يسره الله عليهم حفظاً وتلاوةً وتفسيراً )) <sup>(٦)</sup> .

(١) الشورى : الآية ( ١٠ ) .

(٢) النساء : الآية ( ٥٩ ) .

(٣) النساء : الآية ( ٨٣ ) .

(٤) العنكبوت : الآية ( ٤٣ ) .

(٥) العنكبوت : الآية ( ٤٨ ) .

(٦) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير : ٤٢٨/٣ .

وفيها دليل لمن أراد أن يؤتى العلم أن يحفظ القرآن ، ويجتهد في أن تكون آياته بيّنات في صدره بتعلم تفسيره وعلومه والتفقه فيها .

وقد أخبر النبي ﷺ أن العلماء أصحاب ميراث النبوة فقال : « إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ » (١) . فأُنعم به من حظٍّ وميراث ، جعله النبي ﷺ علامة على من أراد الله به الخير فقال : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ » (٢) ، والفقهاء في الدين هو ذروة العلم .

وقد حصر ﷺ الحسد المحمود - وهو الغبطة - في أمرين ، فقال : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا » (٣) ، والحكمة هي : العلم ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - « ضَمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ » (٤) .

(١) من حديث طويل لأبي الدرداء : صحيح سنن ابن ماجه : باب فضل العلماء : ٤٣/١ ، رقم ١٨٢ .

(٢) متفق عليه ، واللفظ للبخاري ، كتاب العلم : باب من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين : ٣٩/١ ، رقم ٧١ .

(٣) البخاري ، كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة : ٣٩/١ ، رقم ٧٣ .

(٤) البخاري ، كتاب العلم : باب قول النبي ﷺ : اللهم علِّمهُ الكتاب : ٤٧/١ ، رقم ٧٥ .

**وقال ﷺ :** « مَثَلُ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَفْرَأُ وَهُوَ يَنْعَاهِدُهُ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ » (١) ،  
**وفي رواية مسلم** « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » (٢) ، **والماهر هو :**  
**الحافظ (٣) الحاذق (٤) المتقن لحفظه وتجويده وأدائه .**

**وقد فضل الرسول ﷺ العالم على العابد فقال :** « وَقَضَلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَقَضَلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ » (٥) ، **وقال :** « قَضَلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَقَضَلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ » (٦) ، **وعن أبي الدرداء ؛ قال :**  
**سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :** « إِنَّهُ لَيَسْتَعْفِرُ لِعَالِمٍ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

(١) البخاريّ ، كتاب التفسير : باب تفسير سورة عبس : ١٨٨٢/٤ ، رقم ٤٦٥٣ .

(٢) مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل الماهر بالقرآن : ٥٥٠/١ ، رقم ٧٩٨/٢٤٤ .

(٣) كما فسّرتة رواية الإمام البخاريّ السابقة ، وفيها قوله ﷺ : « مَثَلُ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ » .

(٤) لسان العرب : ١٨٤/٥ ، مادة ( مهر ) .

(٥) صحيح سنن الترمذيّ : باب : فضل الفقه على العبادة : ٣٤٢/٢ ، رقم ٢٨٣٥/٢١٥٩ .

(٦) صحيح سنن الترمذيّ : باب : فضل الفقه على العبادة : ٣٤٣/٢ ، رقم ٢٨٣٨/٢١٦١ .

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى الْحَيْثَانِ فِي الْبَحْرِ » (١) .

وقد يقتل العابدُ نفسه بجهله ، ويُوقدُ الله بالعالم أمماً ، فعن أبي سعيد الخدري ؛ أن النبي ﷺ قال : « كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قَدْ لَعَنَ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قَدْ لَعَنَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ ... الحديث » (٢) .

قال الإمام الزرنوجي في فضل العالم (٣) :

وإنما شرف العلم لكونه وسيلة إلى التقوى التي يستحقُّ بها المرءُ الكرامة عند الله تعالى ، والسعادة الأبدية . كما قيل لمحمد بن الحسن ابن عبدالله - رحمه الله عليه - :

|                            |   |                                |
|----------------------------|---|--------------------------------|
| تعلّم فإنّ العلم زين لأهله | ✻ | وفضل وعنوان لكلّ الحامد        |
| وكن مستفيداً كل يوم زيادةً | ✻ | من العلم واسبح في مجور الفوائد |
| تفقّه فإنّ الفقه أفضل قائد | ✻ | إلى البرّ والتقوى وأعدل قاصد   |

(١) صحيح سنن ابن ماجه ، باب ثواب معلّم الناس الخير : ٤٦/١ ، رقم ٢٣٩/١٩٥ .

(٢) مسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله : ٢١١٨/٤ ، رقم ٢٧٦٦/٤٦ .

(٣) تعليم المتعلّم طريق التعلّم ، للإمام برهان الإسلام الزرنوجي ، تلميذ صاحب الهداية ، ص ٦ - ٧ ، طبعة دار الفكر .

هو العلمُ الهادي إلى سنن الهدى ❁ هو الحصنُ يُنجي من جميع الشدائد  
فإنَّ فقيهاً واحداً متورعاً ❁ أشدُّ على الشيطان من ألف عابدٍ

وقال الزهري في فضل العلم وصحة العبادة : (( ما عُبدَ  
الله بمثل العلم )) (١) .

ويُنسب إلى عليٍّ عليه السلام : (( كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا  
يُحسنه ، ويفرح به إذا نُسب إليه ، وكفى بالجهل ذمّاً أن يتبرأ  
منه من هو فيه )) (٢) .

وروى ابن عبد البرّ عن أحدهم قال (٣) :

العلم بلمّ قوماً ذروة الشرف ❁ وصاحبُ العلم محفوظ من الخرف  
يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه ❁ بالمواقف فما للعلم من خلف



(١) جامع بيان العلم : ٢٢٥/١ ، وصحح إسناده المحقق .

(٢) حاشية جامع بيان العلم : ٢٥١/١ ، رقم ٢٩٥ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله : ٢٤٨/١ ، رقم ٢٩٠ .

المبحث الرابع : أمره ﷺ بالعمل بالعلم :

### المطلب الأول : بيان أن المراد بالعلم العمل .

قال الله تعالى : { وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }<sup>(١)</sup> ، وقال : { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }<sup>(٢)</sup> ، وقال : { هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }<sup>(٣)</sup> ، وقال : { فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }<sup>(٤)</sup> . وقال : { إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }<sup>(٥)</sup> وقال : { وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقَّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }<sup>(٦)</sup> .

وقد اقترن العمل الصالح بالإيمان أكثر من سبعين مرة في القرآن الكريم ، من مثل قول الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }<sup>(٧)</sup> . وما ذاك إلا لأهمية العمل الصالح وأنه موضع الابتلاء ، قال الله تعالى : { لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }

(١) الأعراف : الآية ( ٤٣ ) .

(٢) النحل : الآية ( ٣٢ ) .

(٣) النمل : الآية ( ٩٠ ) .

(٤) يس : الآية ( ٥٤ ) .

(٥) الطور : الآية ( ١٦ ) .

(٦) الأحقاف : الآية ( ١٩ ) .

(٧) الحج : الآية ( ١٤ ) .

(١)

والعبدُ مسئولٌ يوم القيامة عن علمه ، من جهة العمل الصالح ، قال ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : فذكر منها : وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ » (٢) .

فالمراد إذاً من العلم العمل ، ولَمَّا كان العلمُ غزيراً ، والعمل كثيرًا ، والأمل طويل ، والعمر قصير ، والرحيل قريب ، والطريق مُرعب ، والعوارض كثيرة ، والمفاجآت أكثر ، نظر امرؤٌ لنفسه واغتنم سنيَّ عمره ، فإنها تمرُّ مرَّ البرق الخاطف ، والريح العاصف . واختطَّ لنفسه من قريب ، ما يستطيع المداومة عليه من العمل وإن كان قليلاً ، قال ﷺ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » (٣) . وكذلك ما يستطيع بلوغه من العلم مع الحفاظ على العمل الذي اختطه لنفسه ، وهو الذي ينجو بسببه عند الله يوم القيامة ، إذا تفضّل الله عليه برحمته ، إذ الجمعُ بينهما هو المطلوب ، وإن قلَّ النصيب منهما .

والمرء محاسبٌ على النقص في العمل والزيادة في العلم الذي لا يقابله عمل ، فالعلم المبارك النافع الذي كان يدعو

(١) الكهف : الآية (٧) .

(٢) صحيح سنن الترمذي : ٢٩٠/٢ ، رقم ٢٥٤٥/١٩٧٠ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره : ٥٤١/١ ، رقم ٧٨٣ .

به النبي ﷺ هو الذي يُثمر العمل فيكونا كجناحي طائر ، علمٌ يتبعه عمل في الحال . قال الإمام الشاطبي : (( العلم المعتبر شرعاً هو ما ينبني عليه عمل ، وهو ما اقتضته الأدلة الشرعية )) ، وقال : (( روح العلم هو العمل )) ، وقال : (( إنما فضل العلم لكونه وسيلة إلى العمل )) (١) .

وقال سفيان الثوري : (( إنما يُطلبُ الحديثُ لِيُتقى الله به ، فلذلك فضلُ على غيره من العلوم ، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء )) (٢) .

قال الله تعالى في حقّ المؤمنين العاملين بالقرآن : { يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } (٣) ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية : (( يتبعونه حقّ اتباعه )) (٤) .

وقال تعالى في حقّ أهل الكتاب : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيئْتُهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ } (٥) . عن مالك بن

(١) الموافقات : ٩١/١ ، ٦٢ ، ٦١ ، الأقوال على الترتيب ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

(٢) جامع بيان العلم : ٦٦٣/١ ، رقم ١١٥٢ ، وحسن إسناده المحقق .

(٣) البقرة : الآية ( ١٢١ ) .

(٤) تفسير الطبري : ٥٦٦/٢ ، الأثر رقم ١٨٨٠ .

قال الألباني : رواه ابن جرير والحاكم موقوفاً على ابن عباس ، وهو الصواب ، انظر : اقتضاء العلم : ص ٧٦ .

(٥) آل عمران : الآية ( ١٨٧ ) .



مِعُولَ قَالَ : (( نُبِنْتُ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ { فَذَبُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ } ، قَالَ : قَذَفُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَتَرَكَوْا الْعَمَلَ بِهِ )) (١) .

وَرَوَى الْخَطِيبُ عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ : { وَكُلَّ إِنْسَانَ أَلْمَمْنَا طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ } (٢) . ( قَالَ : عَمَلُهُ )) (٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ } (٤) . قَالَ : (( عَلَّمْتُمْ فَعَلِمْتُمْ وَلَمْ تَعْمَلُوا ، فَوَاللَّهِ مَا ذَلِكُمْ بَعْلَم )) (٥) .

قَالَ الْفَضِيلُ : (( لَا يَزَالُ الْعَالَمُ جَاهِلًا بِمَا عَلِمَ حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا )) (٦) .

وَقَالَ : (( إِنَّمَا يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْعَمَلُ ، وَالْعِلْمُ دَلِيلُ الْعَمَلِ )) (٧) .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : (( هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ )) (٨) .

(١) تفسير الطبري ، طبعة شاكر : ٤٦٤/٧ ، وصححه الزهيري في صحيح جامع بيان العلم ، ص ٢٥٢ ، رقم ٨٦٢ .

(٢) الإسراء : الآية ( ١٣ ) .

(٣) اقتضاء العلم العمل : ص ٤٣ ، رقم ٥٧ .

(٤) الأنعام : الآية ( ٩١ ) .

(٥) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٥١ ، رقم ٨٥٤ .

(٦) اقتضاء العلم العمل : ص ٣٧ ، رقم ٤٣ .

(٧) اقتضاء العلم العمل : ص ٣٧ ، رقم ٤٤ .

(٨) الفقيه والمتفقه : ص ٨٨ ، وهو مروى عن سفيان الثوري بلفظ : (( العلم يهتف بالعمل ... )) . انظر : صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٥٢ .

وقال الحسن : « العالم الذي وافق علمه عمله . ومن خالف علمه عمله فذلك رواية أحاديث ، سمع شيئاً فقله » (١) . وقال أبو حنيفة : « ما العلم إلا العمل به » (٢) . وقال عبدالله بن المعتز : « علمٌ بلا عمل كشجرة بلا ثمر » (٣) . وقال سفيان الثوري : « رضي الناس بالحديث وتركوا العمل » (٤) . وقال سهل بن عبدالله : « العلم كله دنيا ، والآخرة منه العمل به » (٥) .

ولمّا كان للعلم تبعات ، منها العمل به ، وتعليمه ، ونشره ، وترك كتمانها ، قال ابن عون : « وددت أني خرجت منه كفاً » (٦) .

وروى ابن عبدالبرّ بسنده إلى عبدالعزيز بن ظبيان قال : « قال عيسى عليه السلام : من علم وعمل وعلم دُعي في ملكوت السموات عظيماً » (٧) .

وقال داود الطائي : « رأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب ، أليس يجمع آله ؟ فإذا أفنى عُمره في الآلة فمتى

- 
- (١) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٤٨ ، رقم ٨٢٦ .
  - (٢) تعليم المتعلم : ص ٩ .
  - (٣) اقتضاء العلم : ص ٣٧ ، رقم ٤٦ .
  - (٤) اقتضاء العلم : ص ٨٥ ، رقم ١٣٦ .
  - (٥) اقتضاء العلم : ص ٢٨ ، رقم ٢٠ .
  - (٦) اقتضاء العلم : ص ٦١ ، رقم ٩٥ .
  - (٧) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٤٦ ، رقم ٨٠٩ .

يُحارب ؟ إِنَّ العِلْمَ آلهُ العَمَلِ ، فَإِذَا أَفْنَى عَمْرَهُ فِي جَمْعِهِ فَمَتَى يَعْمَلُ ؟ )) (١) ، أَي مَتَى يَعْمَلُ بِهِ !! .

وقال ابن الأعرابي : (( إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَالِمًا عَامِلًا مَعْلَمًا ، قِيلَ لَهُ : هَذَا رَبَّانِي ، فَإِنْ خَرَمَ عَنْ خِصْلَةٍ مِنْهَا ، لَمْ يُقَلَّ لَهُ رَبَّانِي )) (٢) .

فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا ، فَإِنَّ هَاهُنَا عِدَّةُ أُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِالعَمَلِ وَالْعِلْمِ :

### **الأول : تصحيح النية :**

فَإِنَّ النِّيَّةَ مَدَارُ قَبُولِ الأَعْمَالِ إِذَا حَسُنَتْ ، فَعَلَى طَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَصْحَحَ نِيَّتَهُ فِي طَلْبِ العِلْمِ ، وَيَقْصِدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ ، وَإِنْقَاذَ نَفْسِهِ مِنَ النَّارِ ، وَرَفْعَ الجَهَالَةِ عَنْهَا . وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَى النِّيَّةِ قَرِيبًا فِي بَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ بِعَنْوَانِ : الإِخْلَاصِ فِي العِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالتَّعْلِيمِ ، لِأَهْمِيَّتِهِ .

### **الثاني : الاستعانة على طلب العلم بالصوم وعلى حفظه بالعمل به .**

عَنْ وَكَيْعِ بْنِ الجِرَاحِ قَالَ : (( كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِ الحَدِيثِ بِالعَمَلِ بِهِ ، وَكُنَّا نَسْتَعِينُ فِي طَلْبِهِ بِالصَّوْمِ )) (٣) .

(١) اقتضاء العلم : ص ٤٤ ، رقم ٦١ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٨٥/١ ، رقم ١٨٠ ، وصحَّح إسناده المحقق .

(٣) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ٢٥٢ ، رقم ٨٦ .

**الثالث : الوعظ بالأعمال مقدّم على الوعظ بالأقوال :**

قال القاسم بن محمّد : (( أدركتُ النَّاسَ وما يعجبهم القول ، إنّما يعجبهم العمل )) (١) .

وقال المأمون : (( نحن إلى الوعظ بالأعمال أحوج منّا إلى أن نوعظ بالأقوال )) (٢) .

وعن الحسن قال : (( اعتبروا النَّاسَ بأعمالهم ودعوا أقوالهم ؛ فإنَّ الله لم يدع قولاً إلاّ جعل عليه دليلاً من عملٍ يصدّقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه ، فإن وافق قوله عمله ، فنعم ونعمت عين )) (٣) .

**الرابع : القطرُ على الصفا .**

يضع الله القبول في قلوب النَّاسِ لمن يعمل بما يقول ، ويصدّق قوله فعله ، قال ﷺ : (( والصدقة برهان )) (٤) . وقال محمّد بن القاسم بن خلاد كان يُقال : (( لا خير في القول إلاّ مع الفعل ، ولا في المنظر إلاّ مع المخبر ، ولا في الفقه إلاّ مع الورع )) (٥) . ولو كان مخلصاً لا يضطره إخلاصه للعمل بما يقول ، ونفع الله بموعظته .

(١) المصدر السابق : ص ٢٤٨ ، رقم ٨٢١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤٨ ، رقم ٨٢٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤٨ ، رقم ٨٢٠ .

(٤) مسلم : كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء : ٢٠٣/١ ، رقم ٢٢٣ .

(٥) الفقيه والمتفقه : ٣٤٠/٢ ، رقم ١٠٦٥ ، وصحح المحقق إسناده .

قال مالك بن دينار : « إِنَّ الْعَالَمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ ، زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصِّفَا » (١) فلا يتعلّى .

#### الخامس : أولى الناس بالله ، وبكلامه :

قال ﷺ : « يَأْتِي الْقُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ » (٢) .

وقال الحسن : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنْ اتَّبَعَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَأُهُ » (٣) .

فأهل القرآن : هم الذين اتبعوه وعملوا به ، وهم أولى الناس به ، وليس أولئك الذين حفظوا حروفه ، وضيّعوا حدوده ، وإن اجتهدوا في إقامة ألسنتهم بتجويده وتحقيق مخارج حروفه .

#### السادس : الأكثرُ علماً ، الأحسنُ عملاً .

العلم النافع المبارك يقودُ صاحبه للعمل به . ذلك أنّه يؤرثه التقوى والخشية في القلب والخوف من الله تبارك وتعالى فيدفعه ذلك للعمل الصالح ، وكما أنّ الابتلاء والفتنة بحسن العمل كما قال الله تعالى : { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } .

(١) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٤٩ ، رقم ٨٣٩ .

(٢) صحيح سنن الترمذي : أبواب فضائل القرآن : باب آل عمران : ٥/٣ ، رقم ٢٣١٢ .

(٣) اقتضاء العلم : ص ٧٠ ، رقم ١٠٨ .

(١) . فإن كثرة العمل الموافقة للسنة لا تنفك عن الكيفية ، فقد قال ﷺ : « أَعْيِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » (٢) . فليس من قام بجزأين من كتاب الله في إحدى عشرة ركعة كمن قام بحزب واحد في خمس ركعات إذا تساوت في الحُسْنِ والخشوع وغيره.

وليس من صام يوماً وأفطر يوماً كمن صام ثلاثة أيام ، وليس من تابع بين الحج والعمرة كمن حج في العمر مرة ... وعلى هذا فقيس كل الأعمال ، من جهاد ، ورباط ، وإنفاق ، وذكر الله ، وقراءة قرآن ، وتعليم ، وتربية ، ودعوة ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة .

قال ابن المبارك : « أكثركم علماً ينبغي أن يكون أكثركم خوفاً » (٣) .

وقال الحسن : « الذي يفوق الناس في العلم ، جدير أن يفوقهم في العمل » (٤) .

وقال الإمام الصابوني : « فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيماناً ، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية

(١) الملك : الآية ( ٢ ) .

(٢) مسلم : الصلاة . باب فضل السجود والحث عليه : ٣٥٣/١ ، رقم ٤٨٩ .

(٣) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٥١ ، رقم ٨٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٥١ ، رقم ٨٥١ .

والغفلة والإضاعة ، فأيمانه ناقص ))<sup>(١)</sup> .

وقال الإمام أحمد لرجلٍ يطلب الحديث : (( صاحب حديثٍ ولست بصاحب ليل ! )) ، أي : صلاة وعبادة في الليل ، فقال له الرجل : إني مسافر ! فقال أحمد - رحمه الله تعالى - : (( حجّ مسروق - رحمه الله تعالى - فما نام إلا ساجدًا ))<sup>(٢)</sup> .



---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث : ص ٦٩ ، رقم ١٠٨ .

(٢) الجامع في الحثّ على طلب العلم : ص ٧٥ . ومسروق : تابعي كبير ثقة .

## المطلب الثاني : ( بيان أن العلم حجة لك أو عليك ) .

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنَّ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا » (١) .

فهو شاهدٌ لا محالة ، لك أو عليك ، فإن كنت ممن عمل به فلك ، وإن لم فعليك ، فالعالم أو طالب العلم الذي لا يعمل بعلمه ، ويُعلم النَّاسَ ، ويأمرهم بالمعروف ، ولا ياتمر به ، وينهاهم عن المنكر ، ولا ينتهي عنه .

قال ﷺ في حقه : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَيَنْدَلِقُ أَفْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ » (٢) .  
ويا لله من هول هذه الفضيحة ، والحسرة والندامة التي سببوا بها هذا الرَّجُلَ ، نعوذ بالله من الخسران .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُفْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ ، كُلَّمَا فُرِضَتْ وَفَتْ . فَقُلْتُ : يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ .

---

(١) مسلم : كتب الطهارة : باب فضل الوضوء : ٢٠٣/١ ، رقم ٢٢٣ .  
(٢) مسلم : كتب الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله : ٢٢٩٠/٤ ، رقم ٢٩٨٩ .



، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون» (١) .

وعن جندب بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ العالم الذي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ ، كَمَثَلِ السَّرَّاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ » (٢) .

وقال ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأَثْرَجَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَفْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالثَّمَرَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَفْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ ، طَعْمُهَا مُرٌّ ، أَوْ خَبِيثٌ ، وَرِيحُهَا مُرٌّ » (٣) .

وقال سري بن المغلس السقطي : « كُلَّمَا أزدت علماء كانت الحجّة عليك أوكد » (٤) .

وقال محمد بن أحمد بن سمعون الواعظ : « كلّ من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه ، فالعلم حجّة عليه ووبال » (٥) .

ويروى أنّ سفيان الثوريّ كان ينشد متمثلاً بأبيات هي لسابق البربري (٦) :

(١) اقتضاء العلم : ص ٧٣ ، رقم ١١١ . قال الألباني : إسناده حسن .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٩ ، رقم ٧٠ ، وصحّحه الألباني .

(٣) البخاريّ : كتاب : فضائل القرآن : باب إثم من راعى بقراءة القرآن أو تأكل به ، أو فخر به : ١٩٢٨/٤ ، رقم ٤٧٧٢ .

(٤) اقتضاء العلم : ص ٥٣ ، رقم ٧٨ .

(٥) اقتضاء العلم : ص ٥٣ ، رقم ٩٨ .

(٦) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٤٨ ، رقم ٨٢٧ .

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً ❁ عليك ولم تُعذر بما أنت جاهله  
فإن كنت قد أتيت علمًا فإنما ❁ يصدق قول المرء ما هو فاعله

وقال ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ :  
وذكر منها : وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ » (١) .

قال أبو الدرداء : « إِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ عَلَى  
الحساب أن يُقال لي : قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت ؟  
» (٢) .

وعن أبي الزاهرية قال : « بلغني أن في بعض الكتب :  
أنَّ الله ﷻ يقول : أُبْتُ الْعِلْمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، حَتَّى يَعْلَمَهُ  
الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ ، وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ، فَإِذَا فَعَلَتْ  
ذلك بهم أخذتهم بحقي عليهم » (٣) . ذلك أن الله ﷻ قد أقام  
الحجة عليهم ، وقد قيل (٤) :

وعالمٌ بعلمه لم يعملن ❁ معذبٌ من قبل عبّاد الوثن

وقال الحسن : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلَانِ  
: رَجُلٌ نَظَرَ إِلَى مَالِهِ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ ، سَعِدَ بِهِ وَشَقِيَ هُوَ  
به . وَرَجُلٌ نَظَرَ إِلَى عِلْمِهِ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ سَعِدَ بِهِ ، وَشَقِيَ

(١) صحيح سنن الترمذي : ٢٩٠/٢ ، رقم ٢٥٤٥/١٩٧٠ .

(٢) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٤٠ ، رقم ٧٩٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤٤ ، رقم ٨٠٥ .

(٤) حاشية ثلاثة الأصول ، ص ١٢ .

هو به)) (١).

وختلصة القول : ما رُوي عن ابن عيينة قال : (( العلم  
إن لم ينفعلك ضرّك )) (٢).



---

(١) المصدر السابق : ص ٢٥٢ ، رقم ٨٦٣ .

(٢) اقتضاء العلم العلم : ص ٥٣ ، رقم ٨٤ .

### المطلب الثالث : ( فتح الجدل ومنع العمل ) .

وفيه عن أبي أمامة ، قال : قال ﷺ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ } [ الزخرف/ ٥٨ ] » (١) . وقال ابن ماجه : « الجدل : هو الخصومة بالباطل » .

والغالب على استعمالات الاسم « جدل » في الكتاب والسنة حال النزم ، قال تعالى : { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا } (٢) ، { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } (٣) .

وقال في النهاية : « الجدل : مقابلة الحجّة بالحجّة . والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، والمراد به في الحديث : الجدل على الباطل ، وطلب المغالبة به . فأما الجدل لإظهار الحقّ فإنّ ذلك محمود ، لقوله تعالى : { وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } » (٤) ، بل قد يكون فرضاً .

وقال ابن منظور : « والجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالاً . والاسم : الجدل ، وهو : شدة الخصومة ، والمراد به في الحديث : الجدل على

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه : ١٤/١ ، رقم ٤٨/٤٥ .

(٢) الزخرف : الآية ( ٥٨ ) .

(٣) الكهف : الآية ( ٥٤ ) .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير : ٢٤٧/١ - ٢٤٨ .

الباطل ، وطلب المغالبة به ، لا إظهار الحق فإن ذلك محمود» (١) .

أخرج البخاري في قول الله ﷻ : { وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ } (٢) ، حديثاً عن عائشة - رضي الله عنها - ، عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصِيمُ » (٣) .

والباعث على الجدل المذموم : إما الجهل ، أو اتباع الهوى ، والغالب على أهل الجدل الميل إلى الرأي والكلام ، وترك السنن . فعن عمر قال : « إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ ، أَعَيْتَهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا ، فَقَالُوا بِالرَّأْيِ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » (٤) . وقال : « سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن ، خذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله » (٥) . وقال عليٌّ رضي الله عنه : « سيأتي قوم يجادلونكم ، فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله » (٦) .

(١) اللسان : ١٠٥/١١ ، مادة ( جدل ) .

(٢) البقرة : الآية ( ٢٠٤ ) .

(٣) البخاري : المظالم : باب قوله تعالى : { وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ } : ٨٦٧/٢ ، رقم ٢٣٢٥ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : ١٢٣/١ ، رقم ٢٠١ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٣/١ ، رقم ٢٠٢ .

(٦) المصدر السابق : ١٢٣/١ ، رقم ٢٠٣ . وقوله : « بشبهات القرآن ، أي

فالجدل المذموم إذاً هو الخصومة في الدين بالباطل ، وقد منعه السلف لأنه طريق إلى أمراض القلوب ، ومحق الدين ، وسدّ باب العمل . قال الإمام الأوزاعي - رحمه الله - : (( إذا أراد الله بقوم شرّاً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل ))<sup>(١)</sup> .

وقال معروف الكرخي : (( إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبدٍ شرّاً فتح له باب الجدل ، وأغلق عنه باب العمل ))<sup>(٢)</sup> .

ويُلحق به المراء والاختلاف ، وكثرة الأسئلة ، والبحث عن الأشياء الغامضة ، والتعمُّق ، والغلوّ ، والتكفُّ ، والتنطع ، والتفهيُّق ، والترثرة ، والتشدُّق ...

فحريٌّ بالمؤمن أن يبتعد عن مواطن الجدل ، لأنّ لها آثاراً مُدمّرة لدينه ، منها :

أولاً : تقدح الشكّ في القلب : فقد ذكر أبو محمّد ؛ الحسن بن عليّ البربهاري إمام أهل السنّة في زمانه في عقيدته شرح السنّة قال : (( والكلام والخصومة والجدال والمراء مُحدّث ، يقدح الشكّ في القلب ، وإنّ أصاب صاحبه الحق والسنّة ))<sup>(٣)</sup> .

بمتمشابهه ، إذا لا يوجد في القرآن شبهه .

(١) المصدر السابق : ١٤٥/١ ، رقم ٢٩٦ ، والخطيب في اقتضاء العلم :

ص ٧٩ ، رقم ١٢٢ .

(٢) اقتضاء العلم : ص ٧٩ ، رقم ١٢٣ .

(٣) شرح السنّة للبربهاري : ١٢/٧١ .

وسمع رسولُ الله ﷺ قوماً على باب حجرته يقول أحدهم : ألم يقل الله كذا ؟ وقال الآخر : ألم يقل الله كذا ؟ فخرج مغضباً فقال : « أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا بُعثتُ إليكم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ » (١) .

ثانياً : وتمحق الدين ، فعن عليّ رضي الله عنه قال : « إياكم والخصومة ، فإنها تمحق الدين » (٢) .

ثالثاً : الأهواء تلقي بين الناس العداوة والبغضاء . قال أبو العالية : « إياكم وهذه الأهواء التي تُلقى بين الناس العداوة والبغضاء » (٣) .

والجدال والاختلاف سبب في التفرُّق ، فعن ابن عباس قال : « أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم : بالمرء والخصومات » (٤) .

رابعاً : تورث النفاق في القلب : قال جعفر بن محمد : « إياكم والخصومات في الدين فإنها تشغل القلب ، وتورث النفاق » (٥) ، وقال الأحنف بن قيس : « كثرة الخصومة

(١) المصدر السابق : ص ١٣٠ تابع لرقم ١٥٧ ، وصححه المحقق : قال البربهاري : فنهى عن الجدال .

(٢) السنة للالكائي : ١٢٧/١ ، رقم ٢١١ .

(٣) المصدر السابق : ١٢٧/١ ، رقم ٢١٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٢٧/١ ، رقم ٢١٢ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٨/١ ، رقم ٢١٩ .

تنبت النفاق في القلب» (١) .

**خامساً : تحبط الأعمال :** قال معاوية بن مرة : (( إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال )) (٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (( سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا ، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ ، وَقَالَ : كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا )) (٣) .

وعن جندب بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : (( اقرءوا القرآن ما انتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه )) (٤) .

(( فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّعْطَ وَالْاِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَوْمُوا عَنِّي )) (٥) .

ولمّا كان الجدل مبنياً على الجهل أو الهوى والرأي والفكر ، فإنه لا يثبت ولا يستمر ، بل يأتي جدلاً أقوى منه

(١) المصدر السابق : ١٢٩/١ ، رقم ٢٢٠ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٩/١ ، رقم ٢٢١ .

(٣) البخاريّ : كتاب الأنبياء : باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم : ١٢٨٢/٣ ، رقم ٣٢٨٩ .

(٤) البخاريّ : الاعتصام بالكتاب والسنة : باب كراهية الاختلاف : ٢٦٨٠/٦ ، رقم ٦٩٣١ .

(٥) البخاريّ : كتاب الاعتصام : باب كراهية الاختلاف : ٢٦٨٠/٦ ، رقم ٦٩٣٢ .



فينقضه . قال الخليل بن أحمد : « ما كان جدل إلا أتى بعده جدلٌ يبطله » (١) ، وقال مالك : « أو كلما جاء رجلٌ أجدل من الآخر ردّ ما أنزل جبريل على محمد ﷺ » (٢) ، وقال عمر بن عبدالعزيز : « من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل » (٣) .

والمراء من الجدل : وعد الرسول ﷺ من تركه ببيت في الجنة ، فعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراءَ وإن كان مُحِقًا ، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » (٤) .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الاختلاف والتنازع والتعمُّق والغلو في الدين والتنطع ، فقال : « يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين ، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » (٥) . وعن عبدالله قال

- 
- (١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، للالكائي : ١٢٨/١ ، رقم ٢١٧ .
  - (٢) المصدر السابق : ١٤٤/١ ، رقم ٢٩٤ .
  - (٣) السنة ، لعبدالله بن أحمد بن حنبل : رقم ١٠٣ .
  - (٤) صحيح سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب حسن الخلق : ٩١١/٣ ، رقم ٤٠١٥ .
  - (٥) سنن ابن ماجه : المناسك : باب قدر حصي الرمي ، رقم ٣٠٢٩ .  
وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : ١٧٧/٢ ، رقم ٢٤٥٥ .

قال رسول الله ﷺ: « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا » (١) . وبوّب البخاري له بابًا فقال: « بَاب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ وَالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدْعِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } [ النساء/ ١٧ ] » (٢) ، ثم ذكر حديث الوصال والذي قال الرسول ﷺ فيه: « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحْسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْغَضْتُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدْتُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : التَّرْتَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، وَالْمُتَّقِيهِفُونَ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا التَّرْتَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَّقِيهِفُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ » (٣) .

وقد ورد النهي عن القيل والقال وكثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة والتكلف ، فعن أنس قال: « كُنَّا عِنْدَ

- 
- (١) مسلم: العلم: باب هلك المتنتفعون: ٢٠٥٥/٤، رقم ٢٦٧٠ .  
والمتنتفعون هم المتعمقون الغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأعمالهم .
- (٢) البخاري: الاعتصام: ٢٦٦١/٦، وحديث الوصال رقم ٦٨٦٩ .
- (٣) صحيح سنن الترمذي: أبواب البر والصلة: باب ما جاء في معالي الأخلاق: ١٩٦/٢، رقم ٢١٠٤/١٦٤٢ .  
والترثارون: هم الذين يكثر الكلام تكلفًا وخروجًا عن الحق، والترثرة: كثرة الكلام وترديده. النهاية: ٢٠٩/١ .  
والمتشددون: المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل: أراد بالمتشدد: المستهزيء بالناس؛ يلوي شذقه بهم وعليهم. النهاية: ٤٥٣/٢ .

عُمَرَ فَقَالَ : نُهَيْنَا عَنِ التَّكْلِيفِ « (١) . أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يفيد البحث عنها . وَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْمُغِيرَةَ : « اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنِ قِيلٍ وَقَالَ ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَوَادِ الْبَنَاتِ وَمَنْعِ وَهَاتِ « (٢)

وقال ﷺ : « دَعُونِي مَا تَرَكَكُمْ ، إِمَّا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (٣) .



- 
- (١) البخاريّ : كتاب الاعتصام : باب ما يكره من كثرة السؤال ، وتكليف مالا يعني : ٢٦٥٩/٦ ، رقم ٦٨٦٣ .
- (٢) البخاريّ : كتاب الاعتصام : باب ما يكره من كثرة السؤال ، وتكليف مالا يعني : ٢٦٥٩/٦ ، رقم ٦٨٦٢ .
- (٣) البخاريّ : الاعتصام بالكتاب والسنة : باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ : ٢٦٥٨/٦ ، رقم ٦٨٥٨ .

المبحث الخامس : أمره ﷺ بتعليم العلم وتبليغه ونشره :

**أمر النبي ﷺ أصحابه بتعلم العلم وتعليمه وتبليغه ونشره ، وحثّ على ذلك ورغب فيه ، فقد قال ﷺ : « علموا ويسرّوا ، ولا تعسرّوا - ثلاثا - » (١) ، وقال : « إن الله لم يبعثني معنّاً ولا مُتَعنّئاً ، ولكنّ بعثني معلماً ميسراً » (٢) .**

**وأمر بتبليغ العلم ، ونهى عن الكذب عليه فقال : « بلّغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فلينبأ مفعده من النار » (٣) ، وقال ﷺ : « ليلبغ الشاهد الغائب ، فإنّ الشاهد عسى أن يلبغ من هو أوعى له منه » (٤) .**

**ودعا النبي ﷺ بالنضارة لمن يلبغ العلم ، فقال : « نضّر الله امرأ سمع مقالتي فلبغها ، فربّ حامل فقه غير فقيه ، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه » (٥) .**

- 
- (١) صحيح جامع بيان العلم : ص ١٥٤ ، رقم ٥٠٥ .
  - (٢) مسلم : كتاب الطلاق : باب بيان أنّ تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلاّ بالنيّة : ١١٠٥/٢ ، رقم ١٤٧٨ .
  - (٣) البخاريّ : كتاب الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل : ١٢٧٥/٣ ، رقم ٣٢٧٤ .
  - (٤) البخاريّ : العلم : باب قول النبي ﷺ : « ربّ مبلغ أوعى من سامع » : ٣٧/١ ، رقم ٦٧ .
  - (٥) سنن ابن ماجه : باب من بلغ علماً : رقم ٢٣٠ .  
وصححه الألباني ، انظر : صحيحها : ٤٤/١ ، رقم ١٨٧ .

ورغب ﷺ في تعلم العلم وتعليمه فقال : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (١) . وقال حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ : « وَأَقْرَأُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ ، فَقَالَ : وَذَلِكَ الَّذِي أَفْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا » (٢) . وقال ﷺ في رواية لحديث عثمان ﷺ : « إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (٣) . وقال ﷺ : « مَنْ عَمَّ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرٌ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ » (٤) ، وقال ﷺ في آخر حديث الهدى والعلم : « فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ » (٥) .

وقال ﷺ في نشر العلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ ، قال : « إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » (٦) .

- 
- (١) البخاريّ : فضائل القرآن : باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه : ١٩١٩/٤ ، رقم ٤٧٣٩ .
- (٢) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، جاء عقب الحديث السابق .
- (٣) البخاريّ : كتاب فضائل القرآن : باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه : ١٩١٩/٤ ، رقم ٤٧٤٠ .
- (٤) سنن ابن ماجه : باب ثواب معلم الناس الخير : رقم ٢٤٠ .
- وصححه الألباني ، انظر : صحيحها : ٤٦/١ ، رقم ١٩٦٦ .
- (٥) البخاريّ : العلم : فضل من علم وعلم : ٤٢/١ ، رقم ٧٩ .
- (٦) سنن ابن ماجه : باب ثواب معلم الناس الخير : رقم ٢٤٢ .

وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْظُرُونَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ حَتَّى تَضَعُ كَقَدْحِ بَدْرٍ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الْخُوتَ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ » (١) .

وقال الفضيل : « عالم عامل معلم يُدعى كبيراً في ملكوت السموات » ، ذكره أبو عيسى الترمذي بعد الحديث السابق .

وقد حدّر ﷺ من كتمان العلم فقال : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » (٢) .

وقد اجتهد الصحابة ﷺ في تعلم العلم وتعليمه ، فهذا أبو هريرة يقول عن نفسه : « ... وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ » (٣) . ويقول : « حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَيَّنْتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَيَّنْتُهُ فُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ » (٤) .

ولقد تعلم أصحاب رسول الله ﷺ كباراً وصغاراً ، قال

وصححه الألباني ، انظر : صحيحها : ٤٦/١ ، رقم ١٩٦ .

(١) سنن الترمذي : أبواب العلم : باب فضل الفقه على العبادة : رقم ٢٨٣٨ .

وصححه الألباني ، انظر صحيح السنن : ٣٤٣/٢ ، رقم ٢١٦١ .

(٢) سنن ابن ماجه : باب من سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ : رقم ٢٦٦ .

وصححه الألباني في صحيحها : ٤٩/١ ، رقم ٢١٣ .

(٣) البخاري : كتاب العلم : باب حفظ العلم : ٥٥/١ ، رقم ١١٨ .

(٤) البخاري : كتاب العلم : باب حفظ العلم : ٥٦/١ ، رقم ١٢٠ .

الإمام البخاريّ : (( وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ )) (١)

واجتهدوا في تعليم الناس ، روى البخاريّ عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : (( أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَكَانَا يُقْرَأَنَّ النَّاسَ ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدُ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يُقْلَنَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ : سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فِي سُورَةٍ مِنَ الْمَفْصَلِ )) (٢) .

وروى مسلم عن أنس بن مالك قال : (( جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ . فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ ... فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ ... )) (٣)

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى .

(٢) البخاريّ : كتاب فضائل الصحابة : باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة : ١٤٢٨/٣ ، رقم ٣٧١٠ .

(٣) مسلم : كتاب الإمارة ، باب : ثبوت الجنة للشهيد : ١٥١١/٣ ، رقم ١٤٧ مختصراً .

وروى النَّسَائِي عن عليّ : « أَنَّهُ دَعَا بَوْضُوءٍ ، فَتَمَضَّمَضَ وَأَسْتَنَشَقَ ، وَنَثَرَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، فَفَعَلَ هَذَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا طُهُورُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ » (١) .

فكان أصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم مسروق بن الأجدع ، قال : « جالست أصحاب رسول الله ﷺ ، فكانوا كالإخاذ ، منهم ما يروي الرجل ، والإخاذ ما يروي الراكبين ، والإخاذ يروي العشرة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، وإنَّ عبدالله بن مسعود من تلك الإخاذ » (٢) .

ولقد كانوا - رضوان الله عليهم - كخليّة النحل حفظًا ومذاكرة ، وتعلّمًا وتعليمًا ، ونشرًا للعلم ، فلقد تفرّقوا في الأمصار تنفيذًا لوصايا رسول الله ﷺ بتبليغ العلم ونشره في الناس .

فها هو أبو الدرداء وعُبادة بن الصامت ومعاذ وغيرهم يذهبون إلى الشّام ، وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأبو موسى الأشعري في الكوفة ، وأنس وأبو موسى في البصرة ، وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيره في مصر ، وابن عبّاس في مكّة ، وعبدالله بن عمرو وأبو هُرَيْرَة وغيرهم في المدينة ...

فلم يبق قطر من الأقطار إلا وتفرّق فيه الصّحابة ﷺ .

(١) النَّسَائِي : كتاب الطهارة : باب بأي اليدين يستنثر : ٢١/١ ، رقم ٨٩ .

(٢) العلم ، لأبي خيثمة : ص ١٧ .



وجاء التابعون من بعدهم ، فهذا عمر بن عبدالعزيز ، يروي البخاري عنه أنه (( كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ : انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ ، وَدَهَابَ الْعُلَمَاءِ ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ .

وَلِنَفْسُوا الْعِلْمَ ، وَلِتَجْلِسُوا حَتَّى يُعْلَمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا )) (١) .

وعن جعفر بن برقان قال : (( كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز : أما بعد ، مُرُّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ مِنْ جُنْدِكَ فَلْيُنْشِرُوا مَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ ﷻ فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَالسَّلَامَ )) (٢) .

ثم تتابع علماء المسلمين من المحدثين والفقهاء والمفسرين والأصوليين والجهابذة الذين اتصفوا بكل تلك العلوم انتصبوا لنشر العلم وتفقيه الناس في أمر دينهم ، وتذكيرهم ووعظهم وإرشادهم إلى الهدى ودين الحق ، فكانوا مصابيح هدى ، تفرّقوا في أنحاء المعمورة ، فهاهي تواريخ عواصم البلدان الإسلامية ومدنها يشهد بذلك .

هاهو تاريخ بغداد ، ودمشق ، والمدائن ، والموصل ، وحمص ، والقاهرة ، وأصبهان ، وجرجان ، ونيسابور ، وسمرقند ، وبخارى ... يزخرُ بجهود العلماء في تعليم العلم

(١) البخاري : كتاب العلم : باب كيف يُقبض العلم : ٤٩/١ ، تعليقا .

(٢) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ١٥٠ ، رقم ٤٩١ .

، ومصنفاتهم تشهد بهذا .

ولقد اهتم العلماء - رحمهم الله - بطلابهم تأسيًا برسولهم الكريم الذي كان يقول : « **إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَاهُ أَعْلَمُكُمْ** » (١) .  
وكانوا يقولون لهم : « **مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ** » (٢) .

قال أبو حمزة - نصر بن عمران - الضبي أحد الأئمة ( ت ١٢٧ ) : « كنت أقعد مع ابن عباس ، فكان يجلسني معه على سريره ، فقال لي : أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من مالي » (٣) .

وقال الأعمش : « **كُنَّا نَأْتِي خَيْثَمَةَ فَيَقُولُ : تَنَاوَلِ السَّلْتَةَ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ ، فَاتَنَاوَلْهَا وَفِيهَا خَبِيصٌ ( طَعَامٌ أَوْ حَلْوَى مِنْ التَّمْرِ وَالسَّمْنِ ) فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ آكَلُهُ ، وَلَكِنْ أَصْنَعُهُ لَكُمْ** » (٤) .

وقال الأعمش أيضاً : « كنت آتي مجاهدًا فيقول : لو كنت أطيق المشي لجئتك » (٥) .

وهكذا تتابع الأفاضل من علماء الأمة في نشر العلم وتعليمه ، والدعوة إلى الله به ، ومنهم : مجاهد ، وعكرمة ،

(١) سبق تخريجه ص ٦٧٢ .

(٢) المستدرک : ٨٨/١ ، وقال : حديث ثابت صحيح .

(٣) الفقيه والمتفقه : ١١٧/٢ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١١٧/٢ .

(٥) المصدر السابق : ١١٩/٢ .

وقتادة ، ومالك بن أنس ، والسفيانين ، وابن المبارك ، والأئمة الأربعة ، والبخاري ، ومسلم ، وأصحاب السنن ...

وحافظ المشرق : الخطيب البغدادي ، وحافظ المغرب ابن عبدالبر ، والدَّهَبِيّ ، وشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ وطلابه : ابن القيم ، والعماد ابن كثير ، والحافظ ابن حجر ، وغيرهم من علماء المسلمين أُلوف مؤلفة .

وقد كان يحضر لهم أُلوف من الطلبة ، فهذا مجلس أبو الحسن الواسطيّ عاصم بن عليّ ( ت ٢٢١ ) في مسجد الرصافة ببغداد يُحزّر بأكثر من مائة ألف إنسان ، وقال الإمام العجلي : شهدت مجلسه فحزّر بأكثر من مائة وستين ألفاً . وسيرد كثيرٌ من هذه النماذج في مبحث الحفظ .

ومن ثمّ أنشأت المدارس التي تنشرُ العلم بطريقة جماعية ومنظمة ، ومن ذلك المدرسة النظامية ببغداد التي بناها نظام الملك .

روى الرحّالة ابن جبّير أنّه رأى ببغداد نحوًا من ثلاثين مدرسة ، وهو يقول : إنّها فيها مدرسة إلاّ ويقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها المدرسة النظامية ، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات واسعة للإنفاق على الفقهاء والمدرّسين بها وللإجراء على الطلبة (١) . انتهى

(١) أسس العلم وضوابطه في السنّة النبوية ، عن تاريخ التربية الإسلامية

؛ أحمد شلبي ، ص ٣٦٦ .

مختصرًا .

وهكذا انتشرت المدارس في جميع أنحاء المدن الإسلامية ، فكانت منارات للعلم ، وبهذا يتبين من جهود العلماء وطلابهم والمدارس وما حوت من علماء معلمين أنّ أصل الدعوة إلى الله ، والتربية ، والإصلاح ، والهدى ، والبرّ إنّما هو العلم ليس غير .



المبحث السادس : ( ما يُنشر من العلم وما لا يُنشر ) .

حظي هذا الأمر بمزيد عناية من النبي ﷺ ، مراعاة للفروق الفردية تارة ، ولعدم إثارة الفتنة أحياناً ، أو أن يُشاع عنه سمعة لا يرضاها . وأخرى حفاظاً على ترابط المجتمع المسلم وتماسكه ، وصفاء القلوب والمحبة والمودة بين أفراده .

بل ترك ﷺ بعض الاختيار مخافة أن يُفتن الناس .

وقد أخبر النبي ﷺ بعض أصحابه ببعض العلم ، وترك آخرين ، وحرّر من أقوامٍ ينتبّهون نوعاً من العلم .

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : (( ومن هذا يُعلم ، أنّه ليس كلّ ما يُعلم مما هو حقٌّ يُطلب نشره ، وإن كان من علم الشريعة ، ومما يُفيدُ علماً بالأحكام )) (١) .

وقد قسم - رحمه الله - العلم من حيث قابليته للنشر إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل : علمٌ يُنشر مطلقاً .

القسم الثّاني : علمٌ لا يُنشر مطلقاً .

القسم الثّالث : علمٌ في نشره تفصيل متعلّق بالأحوال أو

---

(١) الموافقات : ١٦٧/٥ .

الأوقات ، أو الأشخاص (١) .

### القسم الأول :

وهو غالب علم الشريعة ، مما لم يُذكر في القسم الثاني والثالث ، كتعليم التوحيد ، وإفراد الله بالعبادة ، والتحذير من الشرك والبدع والمعاصي ، وتعليم العبادات ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وأحكامها ، والمعاملات ، وأعمال البر ، والتحذير من المحرمات ، كالربا ، والزنا ، وشرب الخمر ، والنظر إلى المحرمات ، واستماع الغناء ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وغير ذلك مما هو مقرر في الشريعة واضح لا لبس فيه .

### القسم الثاني : علم لا يُنشر مطلقاً : ومن ذلك :

أولاً : علم السحر ، والتنجيم ، والكهانة ، تعلمًا وتعليمًا ، فإنه كفر ، قال الله تعالى : { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } (٢) . دلت الآية على أن ذلك كفر .

ثانياً : علم المتشابهات : فإن فيه تفصيل : فهو نوعان :

النوع الأول : لا يعلمه إلا الله ، استأثر بعلمه ، وجعله متشابه على الجميع .

النوع الثاني : يعلمه الراسخون في العلم ، فهو متشابه

(١) الموافقات : ١٦٧/٥ بتصرفٍ يسير .

(٢) البقرة : الآية ( ١٠٢ ) .

على من دونهم ، والمراد النوع الأول الذي لا يُنشر مطلقاً ، ولا يُخاض فيه ، ولا يُتَّبَع .

قال الشاطبي : « ومن ذلك علم المتشابهات والكلام فيها ، فإنَّ الله ذمَّ من اتبعها ، فإذا ذُكرت وعُرضت للكلام فيها ، فربما أدَّى ذلك إلى ما هو مستغنى عنه » (١) .

روى الإمام البخاريّ عن عائشة قالت : « تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (٢) قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ » (٣) .

أي ذكرهم الله في كتابه باتباعهم المتشابه ؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تفسيره بأهوائهم ، بسبب وجود الزيغ في قلوبهم وهو ( الشك ) كما فسره البخاريّ ، قال ابن قدامة في روضة الناظر : « ولأنَّ في الآية قرآنٌ تدلُّ على أنَّ الله سبحانه متفرِّدٌ بعلم المتشابه ، وأنَّ الوقف الصحيح عند قوله

(١) الموافقات : ١٦٨/٥ .

(٢) آل عمران : الآية (٧) .

(٣) البخاريّ : كتاب التفسير : باب { منه آيات محكمات } : ١٦٥٥/٤ ، رقم ٤٢٧٣ .

تعالى : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } لفظاً ومعنى ؛ أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال : ويقولون آمنا به بالواو . أما المعنى فلأنه ذمّ مبتغي التأويل ، ولو كان ذلك للراسخين معلوماً لكان مبتغيه ممدوحاً لا مذموماً ، ولأنّ قولهم : آمنا به ، يدلّ على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه سيّما إذا أتبعوه بقولهم : كلُّ من عند ربنا ، فذكرهم ربهم هاهنا يُعطي الثقة به والتسليم لأمره ، وأنه صدر من عنده ، كما جاء من عنده المحكم ؛ ولأنّ لفظة ( أمّا ) لتفصيل الجمل ، فذكره لها في الذين في قلوبهم زيغٌ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه ، وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة ، وهم الراسخون ، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأوّل في ابتغاء التأويل ، وإذ قد ثبت أنّه غير معلوم التأويل لأحد فلا يجوز حمله على غير ما ذكرناه )<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (( التفسير على أربعة أنحاء : تفسير لا يُعذر أحدٌ في فهمه ، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ))<sup>(٢)</sup> .

قال الشنقيطي : (( فهذا تصريح من ابن عباس أنّ هذا

(١) روضة الناظر بشرحها نزهة خاطر العاطر : ١٨٦/١ - ١٨٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦٨٢/٢ .



الذي لا يعلمه إلا الله بمعنى التفسير لا ما تؤول إليه حقيقة الأمر» (١) .

وقال : « ولا شك أن في القرآن أشياء لا يعلمها إلا الله ، كحقيقة الروح ، وكمفاتيح الغيب التي نص على أنها لا يعلمها إلا الله بقوله : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ } . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنها الخمس المذكورة في قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ } الآية . وكالحروف المقطعة في أوائل السور ، وكنعيم الجنة ، لقوله تعالى : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } الآية » (٢) .

### النوع الثاني :

قال - رحمه الله - : « وفيه أشياء يعلمها الراسخون في العلم دون غيرهم ، كقوله تعالى : { فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، وقوله : { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } ، مع قوله : { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ } ، وقوله : { وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ } ، وكقوله : { وَرُوحٌ مِنْهُ } » (٣) .

وقال تعالى : « رسوخهم في العلم هو السبب الذي جعلهم ينتهون حيث انتهى علمهم ، ويقولون فيما لم يقفوا

(١) أضواء البيان : ٢٧٢/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٧٥/١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٥/١ .

على علم حقيقته من كلام الله جلّ وعلا : { آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا } ، بخلاف غير الراسخين فإنهم يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وهذا ظاهر )) (١) .

فهذا العلم لا يعرفه إلا الراسخون ، ويثبت في الخاصة لئلا يلتبس على العامة .

**ثالثاً : تعيين أصحاب البدع في حديث الافتراق .**

قال الشاطبي : (( ومن ذلك تعيين هذه الفرق ، فإنه وإن كان حقاً فقد يثير فتنة ، كما تبين تقريره ، فيكون من تلك الجهة ممنوعاً بنه )) (٢) ويقصد بالفرق ؛ تلك التي وردت في حديث الافتراق ، كما هو السياق .

على أن لا يمنع ذلك من بيان الحق ، والطريق الصحيح ، وعلى الأخص في بيان مسائل التوحيد والاعتقاد الصحيح ، والصدع بذلك ، رضي من رضي وغضب من غضب ، أحدث فرقة أم لم يحدث ، لأن ذلك هو الدين ، قال الله تعالى : { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ } (٣) .

وقال - رحمه الله - : (( فإن قيل : فالبدع مأمورٌ باجتنابها واجتناب أهلها والتحذير منهم والتشريد بهم ، وتقبيح ما هم عليه ، فكيف يكون ذكر ذلك والتنبيه عليه غير جائز .

(١) المصدر السابق : ٢٧٥/١ .

(٢) الموافقات : ١٦٨/٥ .

(٣) الكهف : الآية ( ٢٩ ) .

فالجواب : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَبَّهَ فِي الْجُمْلَةِ عَلَيْهِمْ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ كَالْخَوَارِجِ ، وَنَبَّهَ عَلَى الْبِدْعِ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى تِلْكَ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَأَشَارَ إِلَى خَوَاصِّ عَامَّةٍ فِيهِمْ وَخَاصَّةٍ وَلَمْ يُصَرِّحْ بِالتَّعْيِينِ غَالِبًا تَصْرِيحًا يَقْطَعُ الْعُذْرَ ، وَلَا ذَكَرَ فِيهِمْ عِلَاقَةَ قَاطِعَةٍ لَا تَلْتَبِسُ فَنَحْنُ أَوْلَى بِذَلِكَ مَعِشَرِ الْأُمَّةِ ، وَمَا ذَكَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ ذَلِكَ فَبِحَسَبِ فُحْشِ تِلْكَ الْبِدْعِ ، وَأَنَّهَا لَاحِقَةٌ فِي جَوَازِ ذِكْرِهَا بِالْخَوَارِجِ وَنَحْوِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « فَاَلْبِدْعُ الَّتِي تَفْتَرِقُ بِهَا الْأُمَّةَ مُخْتَلِفَةٌ الرِّتَبِ فِي الْقَبْحِ ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّهَا كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَمَا فِي الْحَدِيثِ مَحْصُورٌ ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهَا غَيْرَ دَاخِلٍ فِي الْحَدِيثِ ، أَوْ يَكُونَ بَعْضُهَا جِزْءًا مِنْ بَدْعَةٍ فَوْقَهَا أَعْظَمُ مِنْهَا ، أَوْ لَا تَكُونُ دَاخِلَةً مِنْ حَيْثُ هِيَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبِيلِ الْمَكْرُوهِ ؛ فَصَارَ الْقَطْعُ عَلَى خُصُوصِيَّاتِهَا فِيهِ نَظَرٌ وَاسْتِنْبَاهٌ ؛ فَلَا يُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِبِرْهَانٍ قَاطِعٍ ، وَهَذَا كَالْمَعْدُومِ فِيهَا ؛ فَمِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ صَارَ الْأَوْلَى تَرْكُ التَّعْيِينِ .

فإن قيل : فالعلماء يقولون خلاف هذا ، وإن الواجب هو التشريد بهم والزجر لهم ، والقتل ومناصبه القتال إن امتنعوا ، وإلا أدى ذلك إلى فساد الدين .

فالجواب :

إنَّ ذَلِكَ حَكْمٌ فِيهِمْ [ كَمَا هُوَ فِي سَائِرِ مَنْ تَظَاهَرَ بِمَعْصِيَةِ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ أَوْ دَعَا إِلَيْهَا أَنْ يُؤَدَّبَ أَوْ يُزَجَرَ أَوْ يُقْتَلَ ] إِنْ اِمْتَنَعَ [ مِنْ فِعْلٍ وَاجِبٍ أَوْ تَرْكٍ مَحْرَمٍ ؛ كَمَا يُقْتَلُ تَارِكُ

الصلاة ، وإن كان مقرراً ، إلى ما دون ذلك ، وإنما الكلام في تعيين أصحاب البدع من حيث هي بدع يشملها الحديث ؛ فتوجُّه الأحكام شيء ، والتعيين للدخول تحت الحديث شيء آخر (١) .

أي هما مقامان منفصلان ، لا يُشكَل أحدهما على الآخر ، ثم ذكر - رحمه الله - بعض النصوص الشرعية التي توضح علامات هذه الفرق في الجملة ، وعلاماتها في التفصيل .

- وملخص هذا الأمر يتضح بالجمع بين ما أورده - رحمه الله - في الموافقات ، وما أورده في الاعتصام ، حيث قال :

(( فمن هنا لا ينبغي للرأسخ في العلم أن يقول : هؤلاء الفرق هم بنو فلان وبنو فلان ! وإن كان يعرف بعلاماتهم بحسب اجتهاده ، اللهم إلا في موطنين :

(( أحدهما : حيث نبه الشرع على تعيينهم كالخوارج )) (٢)

(( فإذا كان من مقتضى العادة أن التعريف بهم على التعيين يورث العداوة والفرقة وترك المؤلفات ؛ لزم من ذلك أن يكون منهيًا عنه ؛ إلا أن تكون البدعة فاحشة جدًا ، كبدعة الخوارج ، فلا إشكال في جواز إبدائها وتعيين أهلها

(١) الموافقات : ١٥٧/٥ - ١٥٩ ، باختصار .

(٢) الاعتصام : ٧٢٦/٢ .

، كما عيّن رسول الله ﷺ الخوارج وذكرهم بعلاماتهم حتّى يُعرفون ويُحدّر منهم ، ويُلقق بذلك ما هو مثله في الشناعة أو قريباً منه بحسب نظر المجتهد ، وما سوى ذلك ، فالسكوت عن تعيينه أولى )) (١) .

**والثاني :** « حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وتزيينها في قلوب العوام ومن لا علم عنده ؛ فإنّ ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس ، وهم من شياطين الإنس ؛ فلا بُدّ من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة ، ونسبتهم إلى الفرق إذا قامت له الشواهد على أنّهم منهم .

ثمّ قال : فمثل هؤلاء لا بُدّ من ذكرهم والتشريد بهم ؛ لأنّ ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم ، إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرّق والعداوة .

ولا شكّ أنّ التفرّق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم إذا أقيم عليهم ، أسهل من التفرّق بين المسلمين وبين الداعين ومن شايعهم واتبعهم ، وإذا تعارض الضرران ؟

فالمُرْتَكِب أخفهما وأسهلها ، وبعضُ الشرِّ أهون من جميعه ؛ كقطع اليد المتأكلة ؛ إتلافها أسهل من إتلاف النفس ، وهذا شأن الشرع أبداً ، ويُطرح حكم الأخفّ وقاية من الأثقل .

(١) الموافقات : ١٥٥/٥ .

فإذا فُقد الأمران ؛ فلا ينبغي أن يُذكروا ، ولا أن يُعيَّنوا وإن وجدوا ؛ لأن ذلك مثير للشر وإلقاء العداوة والبغضاء ، ومتى حصل باليد منهم أحد ؛ ذاكه برفق ، ولم ير أنه خارج من السنَّة ، بل يريه أنه مخالف للدليل الشرعي ، وأن الصواب الموافق للسنَّة كذا وكذا ، فإنَّ فعل ذلك من غير تعصُّب ولا إظهار غلبة ؛ فهو أنجح وأنفع ، وبهذه الطريقة دُعي الخلق أولاً إلى الله تعالى ، حتَّى إذا عاندوا وأشاعوا الخلاف وأظهروا الفرقة ؛ قوبلوا بحسب ذلك )) (١) .

والحاصل :

أنَّه لا ينبغي التعيين ، بل السكوت والستر وتسكين الثائرة هو الأصل ، لأن التعيين يثير العداوة والبغضاء والفرقة فلا يكون إلا في موضعين ، ولا يصحَّ إلا من مجتهد :

١ - عندما تكون البدعة فاحشة جدًّا واضحة الأدلة لا لبس فيها ، كبدعة الخوارج فهنا يُعيَّن أهلها ، ويبيِّن لهم ، ويُحاوِّرون ويُقنعون ويُفحمون ، فإذا لم يستجيبوا عوقبوا بقدر بدعتهم وحُدِّر منهم .

٢ - حيث تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها وبدعتها وتزيينها في قلوب العوام ، ومن لا علم عنده .

رابعًا : كل ما يثير الاختلاف في حُبِّ الصَّحابة :

(١) الاعتصام : ٧٢٦/٢ - ٧٣٢ باختصار .

- ومن ذلك ذكر ما قاله النبي ﷺ في بعضهم وهو غضبان : فقد خرّج أبو داود عن عمرو بن أبي فُرّة ؛ قال : (( كَانَ حُدَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ ، فَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُدَيْفَةَ ، فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُدَيْفَةَ ؛ فَيَقُولُ سَلْمَانُ : حُدَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ . فَيَرْجِعُونَ إِلَى حُدَيْفَةَ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : قَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَكَ لِسَلْمَانَ ؛ فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ ، فَأَتَى حُدَيْفَةَ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي مَبَقَلَةٍ ، فَقَالَ : يَا سَلْمَانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَيَرْضَى فَيَقُولُ فِي الرِّضَا لِنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أَمَا تَنْتَهِي حَتَّى تُورِثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ ، وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ ، وَحَتَّى تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً ؟ وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً أَوْ لَعْنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي ؛ فَأَيُّمَا أَنَا مِنْ وُلْدِ أَدَمَ أَغْضَبْتُ كَمَا يَغْضِبُونَ ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ؛ فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاللَّهِ لِنُنْتَهِينَ أَوْ لِأَكْتُبَنَّ إِلَى عُمَرَ )) (١) .

(١) صحيح سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ : ٨٨١/٣ ، ٨٨٢ ، رقم ٣٨٩٤ - ٤٦٥٩ .

أما حديث النبي ﷺ فقد روى البخاري نحوه عن أبي هريرة ؓ ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : (( اللهم فأئما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة )) : ٢٣٣٩/٥ ، برقم ٦٠٠٠ ، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه ، رقم ٢٦٠١ .

- ومن ذلك ذكر ما شجر بين الصحابة ﷺ أجمعين على وجه التآليب والتحامل على بعضهم .

فقد سئل عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - عن قتال أهل صفين ؛ فقال : (( تلك دماءُ كفَّ الله عنها يديَّ ؛ فلا أحبُّ أن يُلَطَّخَ بها لساني )) (١) .

**القسم الثالث : علمٌ في نشره تفصيل متعلِّقٌ بالأشخاص ، أو الأوقات ، أو الأحوال .**

أولاً : ( علم يُنشر في قوم دون قوم ) .

وينقسم تبعاً لأصناف الناس إلى ثلاثة أقسام :

**القسم الأوَّل :** من العلم الذي يخبر به قوم دون قوم ، ( علمٌ يُخبر به بعض خاصة الخاصة ) : والمقصود بهم الثقات من أهل العلم ، وهو كل علم توقرت فيه العلة الآتية أو أحدها :

**العلَّة الأولى :** الخوف على الناس أن يُفنتوا في دينهم بسبب قصر فهمهم فيشتبه عليهم الأمر ، فيقعوا في أشد منه ، تشكيكاً في الدين أو نكوص عنه بالكليَّة ، فالواجب المتعين تركه .

مثال ذلك : ما أخرجه الإمام البخاري في : (( باب مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْاِخْتِيَارِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ فَيَقَعُوا فِي أَشَدِّ مِنْهُ )) ، وله جانبان : الأوَّل ترك الفعل

(١) العزلة للخطابي : ص ١٣٦ .



ولو كان هو المختار ، والآخر ترك الإعلام به إلا خاصة الخاصة ، من يثق به وأمن عليه الفتنة ، أخرج الإمام البخاري (( عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ : كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا ، فَمَا حَدَّثْتِكَ فِي الْكَعْبَةِ ؟ قُلْتُ : قَالَتْ لِي : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثٌ عَاهَدْتُهُمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : بِكُفْرٍ - لَتَفَضَّنْتُ الْكَعْبَةَ ، فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ : بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ . فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ )) (١) .

### العلة الثانية : الخوف على النفس :

مثاله : ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة قال : (( حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَتَّنْتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَتَّنْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ )) (٢) .

قال الحافظ ابن حجر : (( وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبئه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يُصرِّح به خوفاً على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان ، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة . وإنما أراد أبو هريرة

(١) البخاري : كتاب العلم : باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن

يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه : ٥٩/١ ، رقم ١٢٦ .

(٢) البخاري : كتاب العلم : باب حفظ العلم : ٥٦/١ ، رقم ١٢٠ .

بقوله : (( قطع )) أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعالهم ، وتضليله لسعيهم ، ويؤيد ذلك أنّ الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها ، لما ذكره في الحديث الأوّل من الآية الدالة على نم كتم العلم .<sup>(١)</sup>

**العلة الثالثة :** كلّ ما يُحدّث خوفاً ورعباً وهلعاً وتفرُّقاً في المجتمع دون جدوى :

ومن ذلك إخبار النبي ﷺ لحذيفة ؓ ببعض ما سيقع من الفتن والشُرور ، وكذلك أسماء المنافقين ، وعدم إخبار من هو أفضل منه كأبي بكر وعمر .

**القسم الثّاني :** من العلم الذي يُنشر في قوم دون قوم ، ( ينشر في الخاصة ) :

والمقصود بالخاصة : أهل العلم والفقهاء ، وطلّبتهم ، وأشرف النّاس وعقلائهم الذين يختصون بالفهم السليم ، فينزلوا الحكمة على وجهها .

وقد ورد ما يدل على اختصاصهم بهذا النوع من العلم ، ويبيّض ذلك من الأمثلة :

روى الإمام البخاريّ بسنده عن عليّ ؓ قال : (( حدّثوا

(١) فتح الباري : كتاب العلم : باب حفظ العلم : ٢٦١/١ .

النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَنُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ؟ ) (١) .

وروى الإمام مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : « مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَتْ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً » (٢) .

ومن أمثلة هذا العلم :

أولاً : العلم الدقيق ، ومنه أحاديث الرخص .

روى الإمام البخاري بسنده إلى أنس قال : « ذُكِرَ لِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ . قَالَ : أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَكَلَّمُوا » (٣)

وفي رواية لأنس قال : « وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَائِمًا » (٤)

وروى مسلم أن عمر قال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بِأبي أنتَ وأمي ، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِتَعْلِيكَ : مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيِقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بِشَرِّهِ بِالْجَنَّةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَا

(١) فتح الباري : كتاب العلم : باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا : ٥٩/١ ، رقم ١٢٧ .

(٢) مسلم : المقدمة : ٧٦/١ .

(٣) فتح الباري : كتاب العلم : باب من خصّ بالعلم قوماً ... : ٥٩/١ ، رقم ١٢٩ .

(٤) المصدر السابق ، وفي الكتاب والباب نفسه ، برقم ١٢٨ .

تَفْعَلْ ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلَّهْمُ يَعْمَلُونَ .  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَخَلَّهْمُ )) (١) .

قال الحافظ ابن حجر فيما وقع لمعاذ : (( خشي معاذ من الإثم المترتب على كتمان العلم ، وكأنه فهم من منع النبي ﷺ أن يخبر بها إخباراً عاماً ، لقوله : (( أفلا أبشّر الناس ؟ )) . فأخذ بعموم المنع ، فلم يخبر بها أحداً ، ثمّ ظهر له أنّ المنع إنّما هو من الإخبار عموماً ، فبادر قبل موته ؛ فأخبر بها خاصاً من الناس ؛ فجمع بين الحكيمين ، فكان النهي للمصلحة لا للتحريم ، فلذلك أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ ، والله أعلم )) (٢) .

فتعيّن بهذا ، أنّ من العلم ما لا يُنشر على عموم الناس ، فقد ينزلوه على غير وجهه وبغير ضوابطه ، والنصوص كما هو معلوم يكمل بعضها بعضاً ، ويُفسّر بعضها بعضاً .

ثانياً : قال الحافظ ابن حجر : (( وممنّ كره التحديث ببعض دون بعض ، أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف في الغرائب ، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدّم عنه في

(١) مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً : ٥٩/١ - ٦١ ، رقم ٣١ .

(٢) فتح الباري : كتاب العلم : باب من خصّ بالعلم قوماً ... : ٢٧٥/١ باختصار .

الجرابين ، وأن المراد ما يقع من الفتن )) (١) .

ثالثًا : أخرج الإمام البخاريّ بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « كُنْتُ أَقْرَى رَجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ ، فَبَيَّنَّمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمَنَى ، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا ، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ ؟ يَقُولُ : لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلَئْتَهُ فَتَمَّتْ ، فَغَضِبَ عُمَرُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ ، فَمُحَدِّرُهُمْ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَهُ يُطِيرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطِيرٍ ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا ، وَأَنْ لَا يَضْعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا ، فَأَمَهْلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ ، فَإِنَّهَا دَارُ الْهَجْرَةِ وَالسُّنَّةِ ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا ، فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَاتِكَ ، وَيَضْعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا . فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي عُقْبِ ذِي

(١) فتح الباري : كتاب العلم : باب من خصّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية

أن لا يفهموا : ٢٧٢/١ .

الْحَجَّةِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَجَلَتْ الرِّوَا حَ حِينَ زَاغَتْ الشَّمْسُ ... )) (١) ، والخطبة طويلة ، وكان مما قال فيها : (( أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ فُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا ، لَا أُدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَجْلِي ، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاَهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَعْقِلَهَا فَلَا أَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ )) .

وقال : (( مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُتَابَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغْرَةً أَنْ يُقْتَلَ )) . ثم ذكر أوصاف بيعة أبي بكر ، وختم بإعادة العبارة السابقة .

والشاهد من إيراد هذا الأثر عن عمر وعبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - أن ما يتعلق بالحكم وسياسة الناس لا ينبغي نشره في رعايهم وغوغائهم ، وإنما يُنشر في الخاصة من أهل العلم والفقهاء وأشراف الناس الذين يعون القول وينزلونه منازلهم .

رابعاً : علم المتشابهات : التي يعلمها العلماء الراسخون

(١) فتح الباري : كتاب المحاربيين : باب رجم الحبل في الزنا إذا أحصنت : ٢٥٠٣/٦ ، رقم ٦٤٤٢ .

وروى الشق الأول منه أيضاً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب ذكر النبي ﷺ ، وحض على اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة ... : ٢٦٧٠/٦ ، رقم ٦٨٩٢ . وفيه : فتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، فيحفظوا مقالته ، وينزلوها على وجهها .

في العلم ، وهم يعلمون القسم الثاني من المتشابهات كما مرّ سوى ما اختص الله بعلمه ، وهو ما عناه ابن عباس - رضي الله عنهما - بقوله : (( وتفسيرٌ يعلمه العلماء )) أي أنهم اقتصوا بعلمه ، فلا ينبغي نشره في العامة حتّى لا يلتبس عليهم الأمر فيقعوا في المحذور .

**خامساً :** ذكر الشبهات ومذاهب الفرق المختلفة للردّ عليها .

وهذا النوع من العلم لا يُنشر إلا في الخاصة من طلبة العلم ، ولا يُذكر عند العامة حتّى لا يشككهم في دينهم ، بل لا يذكر في طلبة العلم المبتدئين والضعفاء .

ويشترط لذلك شروط :

أن يبيّن الحقّ أولاً ، ثمّ تُعرض الشبهة مقتضبة دون إسهاب ، ويردّ عليها تفصيلاً ، ويكون ذلك في مجلس واحد .

**سادساً :** فقه الموازنات .

وهو ما يسمى بفقه الخلاف أو الفقه المقارن ، فإنّه لا يصلح للعامة ، ولا يسوغ نشره فيهم ، فإنّ العامّي إذا سمع اختلاف الآراء أصيب بحيرة وإشكال . فلا يصلح لعامة الناس إلا سماع حكم شرعي واحد ، وينبغي للعلماء أن تجتمع كلمتهم فتوحّد فتاواهم بقدر المستطاع في البلد الواحد على الأقلّ .

القسم الثالث من العلم الذي يُنشر في قوم دون قوم : علمٌ يُنشر في العامة :

وهو العلم الذي يُنشر مطلقًا كما تقدّم ، كعلم التوحيد ، وإفراد الله بالعبادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحجّ ، والجهد ، والتقرب إلى الله بنوافل العبادات ، وتذكيرهم بالخالق ﷻ وعظمته ، وقدرته على الخلق ، ورحمته بعباده ، وما أعد الله للمتقين من عباده ، وما أعد لمن عصاه ، والجنة والنار ، وأمور الآخرة ، والقبر وعذابه ونعيمه .

قال الغزالي في الإحياء : « بل لا ينبغي أن يُخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات ، وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدددها ، ويملاً قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجنة والنار ، كما نطق به القرآن ، ولا يُحرّك عليهم شبهة ، فإنّه ربّما تعلقت الشبهة بقلبه ، ويعسرُ عليه حلّها فيشقى ويهلك ، وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث ، فإنّه يعطلّ عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ، ودوام عيش الخواص » (١)

وعلى المعلم الداعية أن يعرف من يخاطب ، وأن يعطيه على قدر فهمه ، قال الغزالي : « فليبت إليه الحقيقة إذا علم أنّه يستقلّ بفهمها ، ولذلك قيل : كلُّ لكلّ عبد بمعيار عقله ،

(١) إحياء علوم الدين : ٩٧/١ .



وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه ، وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار ، ثم أورد مقولة لبعض العلماء أنه قال : وليس الظلم في إعطاء غير المستحق ، بأقل من الظلم في منع المستحق . وقال : المتعلم القاصر ينبغي أن يُلقى إليه الجليّ اللائق به ، ولا يُذكر له وراء هذا تدقيقًا ، وهو يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته في الجليّ ويشوش عليه قلبه ، ويؤهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق )) (١) .

ولا يجيب على جميع أسئلة العوام ، قال الشاطبي : )) ومن ذلك ( أي العلم المذموم ) سؤال العوام عن علل مسائل الفقه وحكم التشريعات ، وإن كان لها علل صحيحة وحكم مستقيمة . ولذلك أنكرت عائشة - رضي الله عنها - على من قالت : لم تقضي الحائض الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت لها : أحرورية أنت ؟ )) (٢) ، إلى غير ذلك ، مما يدل على أنه ليس كل علم يُبَيَّن ويُنشر وإن كان حقًا .

ومنه أن لا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهى ، بل يربى بصغار العلم قبل كبارها )) (٣) .

(١) المصدر السابق : ٩٦/١ - ٩٧ باختصار .

(٢) البخاريّ : كتاب الحيض : باب لا تقضي الحائض الصلاة : ٤٢١/١ ، رقم ٣٢١ .

(٣) الموافقات : ١٧٠/٥ - ١٧١ باختصار .

وقال - رحمه الله - : « ويعرضُ أيضاً للقسم الأول ( صلب العلم ) أن يصير من الثالث ( ما ليس بعلم ) ، ويُتصورُ ذلك فيمن يتبجح بذكر المسائل العلمية لمن ليس من أهلها ، أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها ، على ضد التربية المشروعة ، فمثل هذا يوقع في مصائب ، فلا يصحّ للعالم في التربية العلمية إلا المحافظة على هذه المعاني وإلا لم يكن مربيّاً واحتاج هو إلى عالم يُربيّه » (١) .

ثانياً : العلم المتعلق نشره بالأوقات : ( :

وهو العلم الذي يُتوقف في نشره في زمان دون زمان ، أي أنه يصلح نشره في بعض الأوقات ، ولا يصلح نشره في البعض الآخر ، إذ إنّ في نشره فتنة لبعض الناس ، ومثاله : ترك النبي ﷺ الاختيار الأفضل وهو هدم الكعبة وإعادة إنشائها خوفاً على الناس أن يفتنوا في دينهم .

كما أخرج البخاريّ بسنده « عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ : كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا ، فَمَا حَدَّثْتَكِ عَنِ الْكَعْبَةِ ؟ قُلْتُ : قَالَتْ لِي : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدُهُمْ - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - بِكُفْرٍ ، لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ ، فَجَعَلْتُ لَهَا

(١) الموافقات : ١/١٢٣ ، ١٢٤ باختصار .

بَابَيْنِ : بَابُ يَدْخُلُ النَّاسُ ، وَبَابُ يَخْرُجُونَ )) (١) .

فلو أنَّ الإيمان قد خالطت بشاشته القلوب وترسّخ فيها  
كباقي الصّحابة ، لنفّذ النبي ﷺ ما يريد ، ولكن ذلك يحتاج  
إلى زمن .

ومن ذلك أيضاً ، ما يقع في زمن الفتن ، فإنّه لا يجوز  
إيراد الأدلة والمبررات التي تهيج الفتنة وتزيد من سفك  
الدماء ، أو تستعدي الولاة على الناس بدون حقّ ، أو تؤكّد  
البدعة . كما حدث في زمن المأمون وفتنة القول بخلق  
القرآن .

وذكر الحافظ ابن حجر عن حذيفة وعن الحسن أنّه أنكر  
تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين ، لأنّه اتخذها وسيلة  
إلى ما كان يعتمد منه من المبالغة في سفك الدماء بتأويله  
الواهي )) (٢) .

ثالثاً : العلم المتعلّق نشره بالأحوال )  
( :

وهذا يتعلّق بأحوال الناس وواقعهم ، من الذكاء والقدرة  
على الفهم والاستيعاب ، أو قلة ذلك ، وما حصل لهم من  
العلم وما لم يحصل ، فإنّ ما قيل في العلم الذي يُنشر بين

(١) البخاريّ : كتاب العلم : باب من ترك بعض الاختيار ... : ٥٩/١ ،

رقم ١٢٠ .

(٢) فتح الباري : كتاب العلم : باب ترك بعض الاختيار : ٢٧٢/١ .

العامة والخاصة يدخل تحت هذا الباب ، ذلك أن مراعاة الفروق الفردية بين الناس أمر متعيّن .

فقد راعى النَّبِيُّ ﷺ كلَّ ذلك ، وفرّق بين الصغير والكبير ، والشاب والشيخ ، والغني والفقير ، والمرأة والرجل ، والقوي والضعيف ، والشجاع ، وغير ذلك .

وما أنكره الحسن من تحديث أنس للحجاج بقصة العرنبيين يصحّ هنا ، ذلك أن الحجاج سفاك دماء ، فإذا كان حاله هكذا فإنَّ تحديثه بحديث مثل هذا يزيد من تهيجه على قتل الأبرياء ويشجعه على ذلك ويُزيّن له التأويلات الواهية .

ضوابط نشر العلم :

١ - قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : (( وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة ، فإن صحّت في ميزانها ، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله ، فإن لم يؤد ذكره إلى مفسدة ، فاعرضها في ذهنك على العقول ، فإن قبلتها ؛ فلك أن تتكلم فيها ، إمّا على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم ، وإمّا على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم ، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ ؛ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية )) (١) .

٢ - وقال الغزالي : (( فليبتّ إليه الحقيقة إذا علم أنّه يستقلّ بفهمها )) (٢) .

٣ - قال الحافظ ابن رجب : (( أحاديث الرُّخص لا تُشاع في عموم النّاس لئلا يقصُر فهمهم عن المراد بها )) (٣) . أي خوف الترخُّص والاتكال ، ولا مانع من إخبار من يستقل بفهمها .

٤ - تحديث النّاس بما يفهمونه ويعرفونه مخافة أن يكذب الله ورسوله ، وخوفًا عليهم أن يُفنتوا في دينهم بسبب قصور فهمهم فيشتبه عليهم الأمر ، فيقعوا في أشدّ منه .

(١) الموافقات : ١٧٢/٥ .

(٢) إحياء علوم الدين : ٩٦/١ .

(٣) فتح الملهم شرح صحيح مسلم : ٥٨٨/١ .

- ٥ - العلم الدقيق يُخصّ به قوم فيهم الضبط .
- ٦ - ترك كل ما يُحدث خوفاً ورعباً وهلعاً في المجتمع دون جدوى .
- ٧ - الخوف على النفس، كما في حديث أبي هريرة (كتم الوعاء الثاني).
- ٨ - المشتبهات التي لا يعلمها إلا العلماء الراسخون في العلم لا تُنشر إلا في الخاصة .
- ٩ - وقال في الموافقات عن مالك - رحمه الله - : (( كان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل ، وأخبر عمّن تقدّمه أنهم كانوا يكرهون ذلك ))<sup>(١)</sup> .
- ١٠ - الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، وكذلك ما يتعلّق بالحكم والسياسة ، لا ينبغي نشره على الرعاع والغوغاء ، وإنما يُنشر في الخاصة من أهل العلم والفقهاء وأشرف الناس الذين يعون القول ويُزلونه منازلهم .
- ١١ - أحاديث الصفات والغرائب ، وما ظاهره يقوي البدعة ، قال الحافظ ابن حجر : (( وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة ، وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عند من يُخشى عليه الأخذ بظاهره ))<sup>(٢)</sup> .

(١) الموافقات : ١٧١/٥ .

(٢) فتح الباري : كتاب العلم : باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم :

١٢ - ذكر الشبهات ، ومذاهب الفرق المختلفة للردّ عليها لا يُنشر إلاّ في الخاصة ، ولا يُذكر عند العامة خوف التشكيك في دينهم .

١٣ - تعيين أصحاب البدع الذين يدخلون في حديث الافتراق ، ولكن تُذكر أوصافهم دون أسمائهم .

١٤ - العلم الذي قد يُثير اختلاف في حُبّ الصّحابة .

١٥ - العلم المتعلّق نشره بالزمان ، فقد يثير نشره فتنة لبعض النّاس لحدائثة عهدهم بالإسلام ، وقلة فهمهم ، أو ما يقع في زمن الفتن ؛ فإنّه لا يجوز إيراد الأدلة والمبررات التي تهيج الفتنة وتزيد من سفك الدماء ، أو تستعدي الولاية .

١٦ - فقه الموازنات : لا يُنشر بين العامة لأن كثرة الخلافات والآراء تسبب الحيرة لهم .







المبحث السابع : ( الأساليب النبوية في التعليم ) .

### ١. أوقات تعليمه ﷺ وأماكنه :

القاعدة في ذلك أنّ رسول الله ﷺ كان يتخوّل أصحابه بالموعظة والعلم حتّى لا يُملّهم . روى البخاريّ عن ابن مسعود قال : (( كان النَّبِيُّ ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيام ، كراهة السّامة علينا )) (١) .

وأما ما كان يعرض للنبي ﷺ ، فلم يكذب يخلو منه يوماً من أيامه إلّا وفيه جديد من وحي يتنزل عليه فيُخبر به من حضر من أصحابه ، فيعلمون فيم نزل ، وأين نزل ، وسبب نزوله ، وكيفية تلاوته ، ومعانيه ، وإمّا سنّة من فعله ﷺ ، أو قوله ، أو تقريره يفقهونها ويروونها عنه .

يدلُّ على ذلك كثير من أعمال صحابته - رضوان الله عليهم - ومن ذلك ملازمة أبي هريرة له ﷺ بشبع بطنه ﷺ يتلقى منه العلم )) (٢) .

ومنه تناوب عمر بن الخطاب وصاحبه - رضي الله عنهما - على مجلس رسول الله ﷺ ، قال عمر : (( كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي

---

(١) البخاريّ : العلم : باب ما كان النَّبِيُّ ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا : ٣٨/١ ، رقم ٦٨ .

(٢) البخاريّ : العلم : باب حفظ العلم : ٥٥/١ ، رقم ١١٨ .

المدينة ، وَكُنَّا نَتَنَاقَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا ، فَإِذَا نَزَلَتْ حِنُّهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ )) (١) .

فدل ذلك على وجود جديد في كل يوم لا يكاد يتخلف ، ولقد اشتكى النساء من غلبة الرجال على مجلس رسول الله ﷺ ، فقلن للنبي ﷺ : (( غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ... )) (٢) .

ومما خفف عبء التعليم عليه ﷺ ويسره على أصحابه وأبعده عن الملل والسامة أمران :

**الأول :** أنه هو بنفسه ﷺ كان قدوة للناس ، وأسوة حسنة في كل شيء ، فأعماله تعليم وتربية للناس ، وعباداته تعليم وتربية ، وأقواله وتقريراته كذلك ، فهي بذواتها علم يراها الناس في المسجد أو في الطريق ، أو في أي مكان فينقلونها عنه ، أو تراها إحدى أزواجه في البيت فتنتقلها عنه ، إذ هو تشريع كُله ، بل كان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - يقلدونه حتى في بعض السنن الجبليّة حُبًّا وتأسياً به ﷺ .

(١) البخاريّ : العلم : باب التناوب في العلم : ٤٦/١ ، رقم ٨٩ مختصراً .

(٢) البخاريّ : العلم : باب هل يجعل للنساء يومٌ على حدة في العلم : ٥٠/١ ، رقم ١٠١ مختصراً .

والأمر الآخر : انتهازه ﷺ للمناسبات الدائمة والعارضة لتعليمهم وعظتهم ، فأما الدائمة فكخطب الجمعة ، والعيدين ، والحجّ ، وعقب بعض الصلوات المفروضة ، كصلاة الفجر ، كان إذا انصرف من صلاته قال لأصحابه : من منكم رأى رؤيا البارحة ، فإن لم يجبه أحد قصّ عليهم من أخبار الأمم الماضية ، للاعتبار والعظة ، وترسيخ الإيمان في قلوبهم .

وأما المناسبات العارضة فهي كثيرة جداً ، كالاستسقاء ، والخوف ، والغزوات ، والأسفار ، والأحداث التي تمرُّ بها الأمة ، كحادثة الإفك ، وحادثة قتل الفراء ، وغيرها . وعند تنزُّل القرآن أيضاً يقرأه على من حضر عنده ، أو يجيبهم على ما سألوه .

ومن ذلك أيضاً الظواهر الطبيعية ، كالرّعد والبرق والمطر والرياح .

ومنه مجيء الوفود ، طلاب العلم ، والأعراب الذين يأتونه من البادية فيسألونه ، وقد كان الصحابة يفرحون بمجيئهم لأنهم يهابون سؤال النبي ﷺ ، ومنه مجيء الضيوف على رسول الله ﷺ وأصحابه .

ومنه أيضاً ما يراه أحياناً من فقر وحاجة على بعض الوفود الذين يقدمون إليه ، كالذين جاءوه مجتابي النمار ، فخطب في الناس يحثهم على الصدقة عليهم .

ومن ذلك اختلاف الليالي والأيام والشهور ، وما يكون فيها من وظائف ، كشهر رمضان ، وشوّال وذي الحجة ، والمحرم ، وشعبان . أو الليالي الفاضلة ، كالعشر الأواخر من رمضان ، ومنها ليلة القدر ، أو الأيام ، كعشر ذي الحجة ، والعاشر من المحرم .

وكان يزور أصحابه في بيوتهم ويعظهم أحياناً ، ويعلمهم ، ويصلي في بيوتهم ، ويعود مرضاهم ، ويعود جيرانه ولو كانوا من غير المسلمين كالغلام اليهودي الذي أنقذه الله به من النار وهو في الرmq الأخير .

ومن ذلك حرصه ﷺ وشفقته على الناس ، كعمه أبي طالب من قبل فقد عاده وهو في اللحظات الأخيرة محاولاً إنقاذه من النار ، ولكن اجتولته شياطين الإنس والجن .

ولقد كان ﷺ يُعلم الناس في أغلب أحواله ، في حال صحته ومرضه ، شبابه وكبره ، انشغاله وفراغه . قاعداً وقائماً ، وراجلاً وراكباً ، بل قد يردف أحد أصحابه على حمار ويعلمه ويوصيه ، كما فعل بمعاذ .

ولا يتحرى اجتماع أصحابه في كل الأحوال ، بل يهتبل المناسبات فيتكلم ويعظ ويعلم جماعات وفرادى ، وهم بدورهم يتناقلون ما سمعوه وشاهدوه ، فيخبرون به بعضهم بعضاً .

ولم يكن المسجد هو المكان الوحيد لتعليمه ﷺ ، بل لا

يكاد يترك مكانًا إلا وقد علم فيه ، فقد كان معلّمًا وأميرًا بالمعروف ، وناهياً عن المنكر ، في الأسواق ، وفي البيوت ، وفي الحوائط ( البساتين ) ، وفي أرض المعركة ، وفي الطرقات ، والمقابر ، إذ كان يغتنم مناسبة الموت التي تكون عندها النفس البشرية منكسرة ، وجلة ؛ خائفة خاضعة ، قابلة للتذكير ، ومن ذلك ما حدّث النبي ﷺ به من حديث البراء بن عازب الطويل المشهور .

وهو معلّم مصلح في الخصومات ، كما في قصة جابر بن عبدالله وصاحب الدين ...

وبالجملة فلقد اغتنم النبي ﷺ أغلب المناسبات والأحداث لتعليم أصحابه وتربيتهم العلمية والعملية مع اختلاف الليالي والأيام ، لعدم إملالهم والتشديد عليهم ، وسيأتي تفصيل لبعض ما ذكر .

وقد يخالف هذه القاعدة التي درج عليها ﷺ من التخفيف الدائم والإيجاز في كلامه إلى التطويل لعارض ، وسيأتي بيان ذلك .

ولقد راعى ﷺ أحوال الناس المختلفة من الصحة والمرض ، والغنى والفقر ، والقوة والشجاعة والضعف ، والصغر والكبر ، وقوة الحفظ والفهم وسرعته ، إلى غير ذلك من الأحوال الشخصية والفروق الفردية .

والحاصل أنّ حياته ﷺ كانت كلها قدوة وأسوة حسنة ،

بين دعوة وتعليم ، وتربية وجهاد وعبادة .

### ٢. أمره ﷺ أصحابه بحضور مجلسه :

وكان ﷺ يأمر أصحابه بالحضور أحياناً والتجمع لتلقي العلم ، روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احْتَدُوا <sup>(١)</sup> فَإِنِّي سَافِرٌ عَلَيْكُمْ تُلْتِ الْفَرَانُ ، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ دَخَلَ . فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : إِنِّي أَرَى هَذَا خَبْرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَنْخَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي فُلْتُ لَكُمْ : سَافِرٌ عَلَيْكُمْ تُلْتِ الْفَرَانُ ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ تُلْتِ الْفَرَانُ » <sup>(٢)</sup> .

### ٣. انتهاز المناسبات العارضة للتعليم ( أو ما يُسمى بالربط بالأحداث ) .

كان من أكثر مجالات تعليمه ﷺ انتهاز مثل هذه المناسبات لطرح ما يناسبها من العلم الذي يريد إيصاله لأصحابه ، وما ذاك إلا لأن الحدث القائم يجعل المسألة واقعاً ملموساً مشاهداً ، أمام المتعلم ، فنتهياً نفسه لقبول ما يتعلق به من علم .

روى الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبِيٌّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ »

(١) احشدوا : اجتمعوا . يقال : حشد القوم إذا اجتمعوا وخفوا في التعاون

. انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٦٦/٢ ، مادة : حشد .

(٢) مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضل قراءة قل هو الله أحد :

٥٥٧/١ ، رقم ٨١٢ .

تُدِيهَا تَسْقِي ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ  
بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ : أَنْزَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا  
فِي النَّارِ ؟ قُلْنَا : لَا ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَا تُطْرَحَهُ فَقَالَ : اللَّهُ  
أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا )) (١) .

إنَّ مشهد المرأة وهي تحلب ثديها تسقي ، وفي بعض  
النسخ بالتشديد ( قد تحلب ثديها ) أي فاض بالحليب ،  
وبحثها عن وليدها وتلفها للقائه ، وإصاقه ببطنها  
وإرضاعه الحليب ، وغمره بالحب والحنان ، والعطف  
والرحمة والشفقة ، هذا المشهد كان شاخصاً حياً أمام  
الصَّحَابَةِ ، ولأنه مشهد مؤثر للغاية انتهزه ﷺ لترسيخ صفة  
من صفات الله في قلوب أصحابه ، لتؤثر محبة الله ﷻ ،  
وتبعث على رجائه في قلوبهم ، فزاده ﷺ بعداً جديداً بطرح  
سؤالٍ يجعل المسألة في أوضح صورها ( النار ، وإلقاء  
وليدها الذي تحبه أشد الحب فيها ) ، طرح هذا السؤال كيما  
يستثير كوامن النفوس ويلفت الانتباه إلى ما سيلقيه على  
أسماعهم من العلم ، فربط هذا المشهد المرئي بنوع مقارنة  
بحقيقة غيبية ، { وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } . حتى ترسخ في جذر  
قلوبهم ، وتكون صورتها ماثلة في أذهانهم .

#### ٤. التَّخَوُّلُ وَالتَّجَوُّزُ :

كان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة والعلم : قال ابن  
مسعود : « كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام ،

(١) البخاريّ : الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته : ٢٢٣٥/٥ ،  
رقم ٥٦٥٣ .

كراهة السامة علينا» (١) ، وقد بَوَّب البخاريُّ له بابًا ( ما كان النبي ﷺ يتخولِّهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ) (٢) .

وبوَّب أيضًا باب : ( من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة ) (٣) ، وذكر حديث أبي وائل قال : « كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ دَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُمْ ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا ، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا » (٤) .

ولما كان ﷺ أقرب الناس هديًا وسميًا ودلاً برسول الله ﷺ دلَّ ذلك على أن هذا أقرب ما يكون لمنهج النبي ﷺ .

ويؤكد ذلك أمر ابن عباس لعكرمة قال : حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ أَبَيْتِ فَمَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مَرَارٍ ، وَلَا تُمَلِّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَلَا أَلْفَيْكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ ، فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتَمْلُهُمْ ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ ، فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ »

(١) البخاري: العلم: باب ما كان النبي ﷺ يتخولِّهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا: ٣٨/١، رقم ٦٨ .

(٢) البخاري: العلم: باب ما كان النبي ﷺ يتخولِّهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا: ٣٨/١، رقم ١١ .

(٣) البخاري: العلم: باب ما كان النبي ﷺ يتخولِّهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا: ٣٩/١، رقم ١٢ .

(٤) البخاري: العلم: باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة .



## الحديث (١)

وإلى جانب هذا التحريّ لِنفسية أصحابه ، كان يتجوّز في الحديث ، قال عبدالله بن عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَقَدْ رَأَيْتُ - أَوْ أَمَرْتُ - أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي الْقَوْلِ فَإِنَّ الْجَوَازَ هُوَ خَيْرٌ » (٢)

## ٥. تخصيص النساء بأيام معلومة لتعليمهنّ ووعظهنّ :

اهتم النبي ﷺ بتعليم النساء ووعظهن كاهتمامه بالرجال ، فقد كنّ يحضرن مجالسه ﷺ في العلم والوعظ للرجال ، فإذا غلب على ظنّه أنّ النساء لم يسمعن خصّهنّ بمجلس ، قال عطاء : سمعت ابن عباس قال : « أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ ، فَوَعَّظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْفُرْطَ وَالْخَاتَمَ ، وَبِلَالٌ يَأْخُذُ فِي طَرْفِ ثَوْبِهِ » (٣)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : « سَمِعْتُهُ (أَي ابْنَ عَبَّاسٍ)

(١) البخاريّ : الدعوات : باب ما يُكره من السجع في الدعاء : ٢٣٣٤/٥ ، رقم ٥٩٧٨ .

(٢) سنن أبي داود : باب ما جاء في التشدّق في الكلام رقم ٥٠٠٨ ، وانظر : صحيح سنن أبي داود : باب ما جاء في التشدّق في الكلام : ٩٤٥/٣ ، رقم ٤١٨٧ .

(٣) البخاريّ : العلم : باب عظة الإمام النساء وتعليمهنّ : ٤٩/١ ، رقم ٩٨ .

يَقُولُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ قَبْدًا بِالصَّلَاةِ ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ بَعْدُ ، فَلَمَّا فَرَغَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ ، فَأَتَى النِّسَاءَ فَذَكَرَهُنَّ ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى يَدِ بِلَالٍ ، وَبِلَالٌ بَاسِطٌ تَوْبَهُ ، يُلْقِي فِيهِ النِّسَاءُ صَدَقَةً . قُلْتُ : لِعَطَاءٍ أُنْزِلَ عَلَى الْإِمَامِ الْآنَ أَنْ يَأْتِيَ النِّسَاءَ فَيُذَكِّرُهُنَّ حِينَ يَفْرُغُ ؟ قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ عَلَيْهِمْ ، وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يَفْعَلُوا )) (١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ذَهَبَ الرَّجَالُ بِحَدِيثِكَ ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ ، نُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ . قَالَ : اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَاجْتَمِعْنَ ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةَ إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : وَائْتَيْنِ . وَائْتَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَائْتَيْنِ وَائْتَيْنِ وَائْتَيْنِ )) (٢)

فَعُلِّمَ بِهَذَا أَنَّ مِنْهُجَ النَّبِيِّ ﷺ تَحْدِيثَ الْجَمِيعِ رِجَالًا وَنِسَاءً ، فَإِذَا غَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُنَّ لَمْ يَسْمَعْنَ ذَهَبَ إِلَيْهِنَّ وَوَعظهن ، وَقَدْ يَخْصِنَهُنَّ بِبَعْضِ أَيَامِهِ ؛ يَجْتَمِعْنَ فِيهِ يَعْلَمُهُنَّ وَيُحَدِّثُهُنَّ وَيَعْظُهُنَّ وَيُحِثُّهُنَّ عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَيَخْصِنُهُنَّ بِالْعِلْمِ الْمُنَاسِبِ

(١) البخاريّ: العيدين: باب المشي والركوب إلى العيدين .... : ٣٢٧/١ ، رقم ٩١٨ .

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه: ٢٠٢٨/٤ ، رقم ٢٦٣٣ .

لهنّ .

### ٦ . التطويل في الموعظة والعلم نادراً :

لقد كانت خُطْبُ النَّبِيِّ ﷺ ومواعظه قصيرة في الأعمّ الأغلب ، وكان يقول : « إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقَصْرَ خُطْبَتِهِ ، مِثْلُهُ مِنْ فَهْمِهِ . فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ ، وَأَقْصِرُوا الخُطْبَةَ . وَإِنَّ مِنَ النَّبِيَّانِ سِحْرًا » (١) .

ولكن الحاجة أحياناً تقتضي التطويل ، فيطوّل ، ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب قال : « صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ ، فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا » (٢) .

وربّما حدّثهم من بعد صلاة العشاء إلى الفجر . قال عبدالله بن عمرو بن العاص : « كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُصْبِحَ ، مَا يَقُومُ إِلَّا إِلَى عَظْمِ صَلَاةٍ » (٣)

(١) مسلم : ٧ - كتاب الجمعة ١٣ - باب تخفيف الصلاة والخطبة : ٥٩٤/١ ، رقم ٨٦٩ .

(٢) مسلم : الفتن : باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة : ج٤ ، رقم ٢٢١٧ .

(٣) صحيح سنن أبي داود : العلم : باب الحديث عن بني إسرائيل :

وفي حديثه ﷺ عن بني إسرائيل يبين لأصحابه حال أمة من الأمم قد خلت ، وكيف تعاملت مع أنبيائها ، وكيف كان تعتتها ، وكيف عاقبهم الله ، لكي يعتبروا ويتعظوا ، قال الله تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ } (١) . الآية

#### ٧. أمره ﷺ بأخذ العلم عنه ابتداءً .

وكان ﷺ يأمر أصحابه بالأخذ عنه :

روى مسلم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « خُذُوا عَنِّي . خُذُوا عَنِّي . فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا . الْبُكَرُ بِالْبُكَرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفِي سَنَةٍ ، وَالنَّيْبُ بِالنَّيْبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ » (٢) .  
وفي رواية أخرى لعبادة قال : « فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ : (بنحوه) » (٣) .

وروي أيضاً عن جابر قال : « رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَأْسِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ : لِنَأْخُذُوا مَنَّا سِكِّكُمْ . فَإِنِّي لَا أُدْرِي

٦٩٧/٢ ، رقم ٣١١١ - ٣٦٦٣ .

(١) يوسف : الآية ( ١١١ ) .

(٢) مسلم : الحدود : باب حدّ الزنى : ١٣١٦/٣ ، رقم ١٢ - ١٦٩٠ .

(٣) مسلم : الحدود : باب حدّ الزنى : ١٣١٦/٣ ، رقم ١٣ - ١٦٩٠ .

لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (١) .

### ٨. ترحيبه ﷺ بطالب العلم :

وعن زرّ بن حبیش قال : « جاء رجلٌ من مراد يقال له : صفوان ابن عسال إلى رسول الله ﷺ وهو في المسجد متكئ على بُردٍ له أحمر ، قال : قلت : يا رسول الله إني جنئتُ أطلبُ العلم ، قال : مرحبًا بطالب العلم ، إن طالب العلم لتحفُّ به الملائكة وتُظله بأجنحتها ، فيركبُ بعضها بعضًا حتّى تعلو إلى السماء الدنيا من حُبِّهم لما يطلب ، فما جنئتَ تطلب ؟ قال : قلت : يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة ، فأفتني عن المسح على الخفين . وذكر الحديث ... » (٢) .

وفي حديث وفد عبدالقيس ، قال ﷺ : « مَرَحَبًا بِالْوَفْدِ أَوْ الْقَوْمِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى » (٣) .

### ٩. الأمر بالتيسير والنهي عن التعسير والتنفير :

عن أنس عن النبي ﷺ قال : « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَسِّرُوا وَلَا

(١) مسلم : الحج : باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا وبيان قوله ﷺ : « لتأخذوا مناسككم » : ٩٤٣/٢ ، رقم ١٢٩٧ . ورواه أبو داود برقم ١٩٧٠ ، انظر : صحيح سننه : ٣٧٠/١ ، برقم ١٧٣٣ بلفظه . ورواه ابن ماجه بلفظ : « لتأخذ أمتي نسكها ... » . انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ١٧٥/٢ ، رقم ٣٠٢٣/٢٤٤٩ .

(٢) المستدرک ، للحاكم : ١٠٠/١ ، وقال : صحيح الإسناد .

(٣) البخاريّ : العلم : باب تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ، ويخبروا من وراءهم : ٤٥/١ ، رقم ٨٧ .

تُنْفَرُوا» (١) ، وعن أبي موسى قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره قال : «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا» (٢) .

فكان ﷺ في أغلب أحواله يبشّر أصحابه .

قال ﷺ ذات ليلة بعد أن أتم بصلاة العشاء : «على رسلكم أبشروا ، إن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس يصلي هذه الساعة غيركم ، أو قال : ما صلى هذه الساعة أحد غيركم» (٣) .

روى البخاري ( أن عمرو بن عوف أخبره أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بحزبتيها ، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأوصار يقدوم أبي عبيدة فوافقت صلاة الصبح مع النبي ﷺ ، فلما صلى بهم الفجر انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، وقال : أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء ؟ قالوا : أجل يا رسول الله ، قال : فأبشروا وأمّلوا ما يسركم ، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن نبسط

(١) البخاري : العلم : باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا : ٣٨/١ ، رقم ٦٩ .

(٢) مسلم : الجهاد والسير : باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير : ١٣٥٨/٣ ، رقم ١٧٣٢ .

(٣) البخاري : مواقيت الصلاة : باب فضل العشاء : ٢٠٧/١ ، رقم ٥٤٢ .

عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَّاَفْسُوهَا كَمَا تَنَّاَفْسُوهَا ، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ )) (١) .

فقد بشرهم ﷺ أولاً وفتح لهم باب الأمل فيما يسرهم ، وهذا مدخل وتوطئة لتحذيرهم من التنافس في الدنيا إذا بسطت عليهم لكيلا تهلكهم .

#### ١٠. تعليمه ﷺ كل ما كان من أمر الدين .

كان ﷺ يُعَلِّم أصحابه كلَّ أمر من أمور الدين لا يترك منه شيئاً ، ولا يأخذ بعضاً ويترك بعضاً ، قال تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } (٢) .

قال ابن مسعود : (( أنزل في هذا القرآن كلَّ علم ، وكلَّ شيء قد تبين لنا في القرآن )) (٣) .

وعن أبي ذرٍّ قال : (( لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر في السماء يقلبُ جناحيه إلَّا وعندنا منه علم )) (٤) .

وَعَنْ سَلْمَانَ قَالَ : (( قِيلَ لَهُ : قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ

(١) البخاريّ : الجزية : باب الجزية والموادعة مع أهل الذمّة والحرب : ١١٥٢/٣ ، رقم ٢٩٨٨ .

(٢) النحل : الآية ( ٨٩ ) .

(٣) تفسير الطبري : ١٤ / ١٦٢ ، ط. الحلبي .

(٤) صحيح ابن حبان : ١ / ٢٦٧ ، وجاء مثله من حديث أبي الدرداء عند الطبرانيّ ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٨ / ٢٦٤ .

شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةِ ؟ قَالَ ، فَقَالَ : أَجَلٌ ... الأثر )) (١) .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (( لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً ، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَهُ فَعَرَفَهُ )) (٢) .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : (( جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ . قَالَ أَنَسٌ : لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ )) (٣) .

#### ١١. التدرج في التعليم وتقديم الأهم :

كان ﷺ يتدرج في تعليم أصحابه فلا يُعطيهم العلم دفعة واحدة فلا يفهموه أو يملوه ، بل يُعلمهم ما يستطيعون حمله دون مشقة ، ومع هذا فقد كان يبدأ بالأهم فالمهم ، وأبرز ما يوضح هذين المفهومين حديث بعث معاذ إلى اليمن .

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ

(١) مسلم : كتاب الإيمان : باب الاستطابة ( ١٧ ) : ٢٢٣/١ ، رقم ٥٧ .

(٢) البخاري : القدر : باب وكان أمر الله قدرًا مقدرًا : ٢٤٣٥/٦ ، رقم ٦٢٣٠ .

(٣) البخاري : التوحيد : باب وكان عرشه على الماء : ٢٦٩٩/٦ ، رقم ٦٩٨٤ .



صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ )) (١) .

ففي هذا الحديث العظيم يأمر النبي ﷺ معادًا أن يستعمل التدرُّج في تعليم شرائع الدين والدعوة إليها ، وأن يبدأ بالأهم مطلقًا ، وهو توحيد الله ، ثمَّ المهم وهو الصلاة ، ثمَّ الزكاة .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (( كان الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ )) (٢) .

وعن أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي قال : (( حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقَرِّئُونَنَا : أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَخْلُفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنْ عَمَلٍ ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا )) (٣) .

ولقد أنزل القرآن على النبي ﷺ مفرقًا ، نجومًا ليقراه على الناس على مكث ، قال تعالى : { وَفَرَّءْنَا مَا كُنَّا نَنْقُرْهُ

- 
- (١) البخاريّ : الزكاة : وجوب الزكاة : ٥٠٥/٢ ، رقم ١٣٣١ .  
(٢) تفسير الطبري : المقدمة : ذكر الأخبار التي رويت في الحزب على العلم بتفسير القرآن : ٨٠/١ ، رقم ٨١ ، وقال العلامة أحمد شاكر : هذا إسناد صحيح ، وهو موقوف على ابن مسعود ولكنه مرفوع معنى لأن ابن مسعود إنما تعلم من رسول الله ﷺ ، فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير .  
(٣) المصدر السابق : المقدمة : ٨٠/١ ، رقم ٨٢ ، وقال أحمد شاكر : هذا إسناد صحيح متصل .

على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلًا { (١) ، فُرئت بالتشديد والتخفيف ، روى الطبري قال : « دُكر عن ابن عباس أنه كان يقرأها بتشديد الراء ( فرقناه ) بمعنى نزلناه شيئًا بعد شيء ، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة ، وقال الطبري في قوله تعالى : { على مكثٍ } ، لنقرأه على الناس على تودة ، فترتله وتبينه ، ولا تعجل في تلاوته ، فلا يفهم عنك » (٢) .

### ١٢. حفزُ الهمم للعلم والتعليم بالتذكير بفضلهما :

كان ﷺ يُذكر أصحابه بفضل التعلم والتعليم ، لحفز هممهم للعلم ، وهذا كثير في باب فضل العلم والتعليم ، ومن ذلك قوله ﷺ : « ... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِندَهُ ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرَعْ بِهِ نَسَبُهُ » (٣) .

وفي فضل التعليم قال ﷺ : « مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرٌ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ » (٤) .

(١) الإسراء : الآية ( ١٠٦ ) .

(٢) تفسير الطبري : ١٧٨/١٥ ، ١٧٩ ، تفسير سورة الإسراء ، ( ط . البابي الحلبي ) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر : ٢٠٧٤/٤ ، رقم ٢٦٩٩/٣٨ .

(٤) صحيح سنن ابن ماجه : باب ثواب معلم الناس الخير : ٤٦/١ ، رقم ٢٤٠/١٩٦٦ .

## ١٣. البدء بالفائدة دون السؤال عنها :

ومن منهجه ﷺ في التعليم بدء أصحابه بما يفيدهم ، حباً لهم ، وحرصاً منه وشفقة عليهم ، وتبليغاً لدين الله ، وقد كان هديه هذا عليه الصلاة والسلام يشغل حيزاً كبيراً من طريقته في التعليم ، ويُمثل كمّاً هائلاً من الأحاديث النبوية يصعب حصرها . وفيما يلي بعضها :

عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أُدَلِّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَاتِّظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ » (١) . وفي حديث مالكٍ ثنَّيْنِ « فَذَلِكَ الرَّبَاطُ . فَذَلِكَ الرَّبَاطُ » (٢) .

وعن عبدالرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ » (٣) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا ، فَأَقْبَلَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ

(١) مسلم : الطهارة : باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره : ٢١٩/١ ، رقم ٢٥١ .

(٢) مسلم : الطهارة : باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره : ٢١٩/١ ، رقم ٢٥١ .

(٣) البخاري : الاسئذان : باب من أتكا بين يدي أصحابه : ٢٣١٤/٥ ، رقم ٥٩١٨ .

مَا نُطِيفُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمُوتُوا ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ  
وَإِنْ قُلَّ (١) .

#### ١٤. تعليمه ﷺ بالوعظ والتذكير :

قال الله تعالى : { وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } (٢) ،  
وقوله : { إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ } (٣) ، وقوله تعالى : { وَعَظُهُمْ وَقُلْ  
لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } (٤) ، وقوله : { وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ } (٥)  
، وقوله تعالى : { فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدٌ } (٦) ، وقوله  
تعالى : { وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } (٧) ،  
وقوله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي  
الصُّدُورِ } (٨) .

وَعَنْ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : (( وَعَظْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، دُرِّقَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ،  
وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ ،  
فَمَادَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ  
وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ

(١) البخاريّ : اللباس : باب الجلوس على الحصير ونحوه : ٢٢٠١/٥ ،  
رقم ٥٥٢٣ .

(٢) الذاريات : الآية ( ٥٥ ) .

(٣) الغاشية : الآية ( ٢١ ) .

(٤) النساء : الآية ( ٦٣ ) .

(٥) إبراهيم : الآية ( ٥ ) .

(٦) ق : الآية ( ٤٥ ) .

(٧) هود : الآية ( ١٢٠ ) .

(٨) يونس : الآية ( ٥٧ ) .

وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ )) (١)

وروى مسلم في المتلacenيين قال : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ النَّورِ : { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ } [ النور/ ٦ - ٩ ] فَنَلَّاهُنَّ عَلَيْهِ وَوَعَّظَهُ وَذَكَرَهُ . وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ . قَالَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! مَا كَذَّبْتُ عَلَيْهَا . ثُمَّ دَعَاَهَا فَوَعَّظَهَا وَذَكَرَهَا ... » الحديث (٢)

وروى أيضا عن زيد بن أرقم قال : « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا ... فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَّظَ وَذَكَرَ ... » الحديث (٣)

#### ١٥. تعليمه بالترغيب والترهيب :

وهذا من أعظم أساليبه ﷺ ، إذ كان يُرغِّب في الخير الذي يُعلمه ، فيذكر ثوابه وفضله وما ينول إليه ، ويُرهِّب من الشرِّ الذي يُحدِّر منه ، بذكر عقابه ومساوئه ، وما ينول إليه من عاقبة مُهينة .

وقد ورد في صور عدَّة : فتارة يجمع بين الترغيب

(١) صحيح سنن الترمذي : العلم : باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة : ٣٤١/٢ ، رقم ٢٨٢٨/٢١٥٧ .

(٢) مسلم : اللعان : ١١٣٠/٢ ، رقم ١٤٩٣ .

(٣) مسلم : فضائل الصَّحابة : باب من فضائل عليٍّ : ١٨٧٣/٤ ، رقم ٢٤٠٨ .

والترهيب ، وتارة يُفرد كل واحد منهما عن الآخر .  
وضابطه أن لا يؤدي النوع المستخدم إلى ضده ، فلا يؤدي  
الترغيب منفردًا إلى التهاون والكسل ، والإرجاء ، ولا  
يؤدي الترهيب إلى اليأس والقنوط والملل والنفور .

ومن هذه الصور ما يلي :

### أولاً : الجمع بين الترغيب والترهيب :

وقد كان ﷺ يُقدّم أحدهما على الآخر ، وفي أكثر أحواله  
يبدأ بالتبشير والترغيب قبل الإنذار والترهيب . وهذا كثيرٌ  
جداً ، كقوله ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ  
تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا . وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ  
الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » (١) .

وقال ﷺ : « أَقِيمُوا الصُّفُوفَ ، وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ ،  
وَلْيَبُتُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَلَا تَذَرُوا فُرْجَاتِ لِلشَّيْطَانِ ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا  
وَصَلَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ » (٢) .

### ثانياً : التعليم بالترغيب :

كقوله ﷺ : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ  
سَبْعِينَ خَرِيفًا » (٣) .

(١) مسلم : العلم : باب من دعا إلى هدى : ٢٠٦٠/٤ ، رقم ٢٦٧٤ .

(٢) صحيح سنن أبي داود : تفريع أبواب الصفوف : باب تسوية الصفوف :  
١٣٣/١ ، رقم ٦٦٦/٦٢٠ .

(٣) البخاري : الجهاد : باب فضل الصوم في سبيل الله : ١٠٤٤/٣ ،

وقوله ﷺ : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ : أَيِ فُلٍ هَلُمَّ » (١) . والزوجان هما الشيطان من أي نوع ينفق.

وقوله ﷺ : « الْخَيْلُ مَعْفُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : الْأَجْرُ وَالْمَعْنَمُ » (٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ » (٣) .

### ثالثاً : التعليم بالترهيب :

عن عبدالله بن عمرو قال : « تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا ، فَأَدْرَكْنَا - وَقَدْ أَرَهَقْنَا الصَّلَاةَ - وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا » (٤) . وأرهقتنا أي أعجلتنا الصلاة لضيق الوقت .

رقم ٢٦٨٥ .

(١) البخاريّ : الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله : ١٠٤٥/٣ ،

رقم ٢٦٨٦ .

(٢) البخاريّ : الجهاد : باب الجهاد ماض مع البرّ والفاجر : ١٠٤٨/٣ ،

رقم ٢٦٩٧ .

(٣) مسلم : البر والصلة : باب فضل إزالة الأذى عن الطريق :

٢٠٢١/٤ ، رقم ١٢٩/١٩١٤ .

(٤) البخاريّ : العلم : باب من رفع صوته بالعلم : ٣٣/١ ، رقم ٦٠ .

فهذا تعليم من النبي ﷺ ورد بصيغة الإخبار الذي يحمل الترهيب من النار .

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِحَطْبٍ فَيُحْطَبَ ، ثُمَّ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَدَّنَ لَهَا ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيَوْمَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رَجَالٍ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرَقًا سَمِيًّا ، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ ، لَشَهَدَ الْعِشَاءَ » (١) . والعرق هو العظم الذي عليه بقية لحم قليلة ، والمرماة : ظلف الشاة ، أي قدمها .

وهذا فيه تهديد من الرسول ﷺ للمتخلفين عن صلاة الجماعة ، ورد بصيغة الخبر الذي يحمل التهديد والترهيب ، وفيه تعليم بوجوب صلاة الجماعة .

وقال ﷺ : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » (٢) .

وقال ﷺ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا » (٣) .

وقال ﷺ : « مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا » (٤) .

(١) البخاري : الجماعة والإمامة : باب وجوب صلاة الجماعة : ٢٣١/١ ، رقم ٦١٨ .

(٢) البخاري : الزكاة : الزكاة على الأقارب : ٥٣١/٢ ، رقم ١٣٩٣ .

(٣) مسلم : العلم : باب هلك المتنتفعون : ٢٠٥٥/٤ ، رقم ٢٦٧٠ .

(٤) البخاري : الجزية : باب إثم من قتل مُعَاهِدًا بغير جُرم : ١١٥٥/٣ ،



وفي إيضاح جانب الوعظ في تعليم النبي ﷺ والفرق بين مهمة الواعظ والمعلم قال صاحب فيض الباري شرح صحيح البخاري :

(( اعلم أن هناك وظيفتين :

**الأولى :** وظيفة الواعظ المذكر ، فإنه يُحرّض على العمل ، ويُرغّب إليه ، فيختار من التعبيرات ما يكون أدهى لها ، ولا يلتفت إلى تحقيق المسائل واستيفاء شرائطها وموانعها ، بل يُرسل الكلام فيعدُّ ويوعدُّ ، ويُرغّب ويُرهّب مطلقاً ، ويأمرُ وينهى ، ولا يلتفت إلى مزيد التفاصيل .

**والثانية :** وظيفة المعلم والفقير ، وهو يريد تلقين العلم ، وبيان المسألة ، أما العملُ بها فبمعزلٍ عن نظره ، فيحقق البيان ، ويدقق الكلام ، ويستوفي الشروط ، ويختارُ من التعبيرات ما لا يكون موهماً ، فلا يُرسل الكلام ، بل يذكره بشرائطه ، وَيَعِدُّ وَيُوعِدُّ ، وَيُرغِّب وَيُرهِب بشرائطه .

فهاتان وظيفتان ، ومنصبُ الشارح المذكر ، وليس له منصب المعلم فقط ، فهو مذكرٌ ومعلمٌ معاً ، فوجب أن يعبرَ بما هو أدهى للعمل وأبعد عما يوجب الكسل .

وهذا هو التعليم الفطري ، فإن أكثر تعليماته ﷺ مستفادٌ من عمله ، فما أمر به الناس عمل به أولاً ، ثمّ تعلم منه الناس ، ولذا لم يحتاجوا إلى التعليم والتعلم ، ولو كان طريقه

كما في زماننا لما شاع الدين إلى الأبد ، ولكنه علم الناس بعمله ، ثم إذا قال لهم أمراً اختار فيه الطريق الفطري أيضاً ، وهو الأمر بالمطلوب ، والنهي عن المكروه ، ولم يبحث عن مراتبه ، قال الله تعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } . فهذا هو السبيل الأقوم .

أما البحث عن المراتب فهو طريق مستحدث سلكه العلماء لفساد الزمان ، وأما الصحابة رضي الله عنهم فإنهم إذا أمروا بشيء أخذوه بجميع مراتبه ، وإذا نهوا عنه تركوه بالكلية ، فلم تكن لهم حاجة إلى البحث .

ولو كان الشارع تعرض إلى المراتب لفاته منصب المذكر ، ولانعدم العمل ، فإنه إذا جاء البحث والجدل لبطل العمل ، ولفات غرضه من التشديد ، ولذا كان السلف يكرهون تأويله .

فالحاصل أنه إذا أمرنا بشيء فكأنه يريد العمل به بأقصى ما يمكن بحيث لا تبقى مرتبة من مراتبه متروكة ، وكذلك في جانب النهي ، ولذا كان يقول عند البيعة : « فيما استطعتم » .

فبذل الجهد والاستطاعة لا يكون إلا إذا أجمل الكلام ، وإذا فصل يحدث التهاون ، كما هو مشاهد في عمل العوام

وعامة العلماء)) (١) .

وهذا جيد في الفرق بين الواعظ والمعلم ، ولكن طريقة النبي ﷺ في التعليم والوعظ أجدر بالاتباع ، وهي الأكمل والأفضل ، وبها يحصل المقصود والنفع الأعظم .

فمتى كان المراد إيصال العلم ، كان الدور للمعلم أصالة ، والتذكير والتأثير تبعاً .

ومتى كان المراد التأثير والتذكير أصالة كان التعليم تابعاً ، فهما صنوان لا ينفصلان .

فإن فصل التذكير والتأثير عن التعليم وعن التربية أيضاً هو مكنم الداء ، ومنشأ البلاء ، ومما عمّت به البلوى في هذه الأزمان ، فالمعلم يلقن الطلاب العلم مجرداً عن التأثير والتذكير ، والطلاب يتلقونه بطريقة آلية لا روح فيها ، قد أفقدته حلاوته ، ونزعت منه طلاوته ، وكأنه غير مخاطب به ، ولا يُراد منه العمل بهذا العلم ، إنما هو مجرد مجموعة من العلوم والمسائل والقواعد يتلقاها ليُفرغها في الامتحان وينتهي عندئذ الأمر .

إن المقصود الشرعي من العلم وتعلمه وتعليمه إحياء القلوب بالإيمان والعمل الصالح ، ومنحه النور الذي يمشي به في الأرض ، فإذا لم يتحقق ذلك كان العلم حجة وترة وحسرة

(١) الرسول المعلم : ص ١٩٠ ، عن فيض الباري ، شرح صحيح البخاري ، للكشميري : ٢٨٠/١ .

على صاحبه يوم القيامة .

ولا يتحقق ذلك إلا بإيصال العلم بالطريقة النبوية ، وهي اختيار أفضل الأساليب وأنسبها لحال المتعلم ، بحيث ما أن تمسّ أذن المتلقي حتى تصل إلى قلبه ، فنتمكّن منه فتورثه الخشية والخوف والمحبة لله ﷻ فتدفعه إلى العمل ، وهذه هي البصيرة . التي هي الملكة والقدرة الإضافية الزائدة عن العلم التي تمكّن صاحبها من اختيار أفضل السبل لإيصال العلم إلى المتلقي بطريقة واضحة وسهلة ومؤثرة .

وأمرٌ آخر ، وهو أنّ الشارع إذا أمر بأمرٍ ، فإنّ المطلوب من العبد أن يأتي منه ما استطاع ، لقوله ﷺ : « ... فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ » (١) ، أي أنّ الاستطاعة وبذل الجهد بأكبر قدر تكون في الأوامر مع عدم إجهاد النفس إلى حدّ الملل ، لقوله ﷺ : « فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » (٢) ، واستحباب المداومة على ذلك العمل لقوله ﷺ : « أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ » (٣) .

أما إذا نهى عن شيءٍ فإنّ فرضه الانتهاء عنه كله جملة

(١) مسلم : كتاب الحج :

(٢) البخاريّ : التهجدّ : باب ما يكره من التشديد في العبادة : ٣٨٦/١ ، رقم ١١٠٠ .

(٣) مسلم : صفات المنافقين : باب لن يدخل أحد الجنة بعمله : ٢١٧١/٤ ، رقم ٢٨١٨ .

وتفصيلاً .

١٦. تعليمه ﷺ في الوقت المناسب ، وعدم تأخير البيان عن وقته :

قال الله تعالى : { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (١) .

وقال سبحانه : { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (٢) .

وقال تعالى : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (٣) .

وقال ﷻ : { فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (٤) .

وعن عبدالله بن عمرو قال : « تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها ، فأدركنا - وقد أرهقتنا الصلاة - ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً » (٥) ، وأرهقتنا أي أعجلتنا لضيق الوقت .

فها هو ﷺ يباشر البلاغ بأعلى صوته لضيق الوقت ، ولعدم جواز تأخير التعليم والبيان عن وقته ، لأن ذلك من كتمان العلم .

(١) النور : الآية ( ٥٤ ) ، والعنكبوت : الآية ( ١٨ ) .

(٢) التغابن : الآية ( ١٢ ) .

(٣) النحل : الآية ( ٨٢ ) .

(٤) النحل : الآية ( ٣٥ ) .

(٥) البخاري : العلم : باب من رفع صوته بالعلم : ٣٣/١ ، رقم ٦٠ .

فيجب على من رأى تقصيراً في عبادة أو مخالفة أو نقصاً وقد ضاق وقته أن يبينه للناس ولا يؤخره عن وقته . وكذلك إذا رأى منكراً ، فلا ينبغي تأخير إنكاره بشرطه .

### ١٧. تعليمه بالقصص :

كان للقصص حيزٌ كبير في أسلوب تعليمه ﷺ ، فللقصص ماله من تأثير عجيب على النفس البشرية ، فهو ينتشلها من السامة والملل ، وينقلها إلى عالم آخر فيه العظة والعبرة والسلوان ، بل إن الله ﷻ كان يثبت به فؤاد الرسول ﷺ .

قال الله تعالى : { وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ } <sup>(١)</sup> . وفيه العبرة ، قال الله تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } <sup>(٢)</sup> .

فها هو ﷺ يُعلم أصحابه الصبر وقوة الاحتمال والجلد عن طريق القصص ، ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده إلى خباب بن الأرت ، قال : « شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا ؟ فَقَالَ : قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيهَا ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمَشَّطُ

(١) هود : الآية ( ١٢٠ ) .

(٢) يوسف : الآية ( ١١١ ) .

بأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لَيَتِمَنَّ هَذَا الْأَمْرُ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ )) (١) .

فهذا درسٌ في الصبر على الفتن ، والقوة في الدين ، ألقاه ﷺ على أصحابه في قصة قصيرة جدًا ، فكان له أعمق الأثر ، وأشدّ التأثير في النفوس ، ذلك أنّ الأسلوب القصصي لا يُوجّه فيه أمرٌ ولا نهيٌ ولا لومٌ للمخاطب ، فهو يغزوا النفس البشرية دون تقريع لها ، أو جفاءٍ أو إملالٍ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ : فَإِذَا مَاتَ فَحَرَّفُوهُ ، وَادْرَأُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ لَهُ » (٢) . والنبي ﷺ بهذا لفت الانتباه إلى أنّ خشية الله تؤدي إلى مغفرته للعبد .

### ١٨. تعليمه ﷺ بالخطابة :

كان ﷺ يُعَلِّمُ النَّاسَ فِي خُطْبِهِ الْمَعْتَادَةِ ، كَالْجُمُعَةِ ، وَالْعِيدِينَ ، وَالْإِسْتِسْقَاءِ ، وَفِي خُطْبِهِ الطَّارِئَةِ ، وَمَا أَكْثَرُهَا ،

(١) البخاريّ : الإكراه : باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر : ٢٥٤٦/٣ ، رقم ٦٥٤٤ .

(٢) البخاريّ : التوحيد : باب قول الله تعالى : { يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ } : ٢٧٢٥/٦ ، رقم ٧٠٦٧ .

ومنها حينما كسفت الشمس على عهده ﷺ ، فقد روى الإمام البخاري عن عائشة قالت : (( ... فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ ، فَخَطَبَ النَّاسَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ : ... مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيئُهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا ، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ ، مِثْلَ - أَوْ قَرِيبَ مِنْ - فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، يُؤْتَى أَحَدَكُمْ فَيُقَالُ لَهُ : مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوْ قَالَ : الْمُؤَقِنُ ، شَكََّ هِشَامُ - فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ، هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ، فَأَمَّا وَأَجِبْنَا وَاتَّبَعْنَا وَصَدَّقْنَا ، فَيُقَالُ لَهُ : نَمْ صَالِحًا ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوْ قَالَ : الْمُرتَابُ شَكََّ هِشَامُ - فَيُقَالُ لَهُ : مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : لا أدري ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ )) (١) .

فهذه خطبة يعلم فيها أصحابه أنه قد رأى في مقامه ذلك كل شيء حتى الجنة والنار ، ويعلمهم أنهم سيفتنون في قبورهم قريباً من فتنة المسيح الدجال ، ويخبرهم بطبيعة هذه الفتنة .

وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ (( خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ ، قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبَدْنَا بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنُنْحَرَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا ، وَمَنْ دَبِحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَلُهُ لِأَهْلِهِ ، لَيْسَ مِنْ

(١) البخاري : الجمعة : باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد : ٣١٢/١ ، رقم ٨٨٠ ، مختصراً .

وقد روي في أماكن عدّة من الصحيح ، ومنها في كتاب الكسوف : باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف ، برقم ١٠٠٥ .



النُّسُكُ فِي شَيْءٍ)) (١) .

فها هو ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطْبَتِهِ تَرْتِيبَ أَعْمَالِ يَوْمِ النَّحْرِ ، وَيُعَلِّمُهُمُ السُّنَّةَ فِي ذَبْحِ النَّسُكِ ، وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الصَّلَاةِ .

وهكذا خطبه ﷺ تحمل الوعظ والإرشاد ، والتعليم ، والترغيب والترهيب ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتذكير بأيام الله ، والحثّ المستمرّ على الأعمال الصالحة .

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ : « خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِنَى ، فَفَتَحَ اللَّهُ أَسْمَاعَنَا ، حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ ، حَتَّى بَلَغَ الْجِمَارَ فَقَالَ : بِحَصَى الْخَذْفِ ، وَأَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ يَنْزِلُوا فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ ، وَأَمَرَ الْأَنْصَارَ أَنْ يَنْزِلُوا فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ » (٢) .

#### ١٩. تعليمه بالوصية :

التعليم بالوصية أحد أساليبه ﷺ ، فقد كان يعلم أصحابه تارة ويخص بعضهم تارة أخرى .

(١) البخاريّ : العيدين : باب التكبیر إلى العيد : ٣٢٩/١ ، رقم ٩٢٥ مختصراً .

(٢) صحيح سنن النسائي ، كتاب الحج : باب رقم ( ١٨٩ ) ما ذكر في منى : ٦٢٨/٢ ، رقم ٢٨٠٢ .

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، فَقَالَ : أوصيك يا معاذ لا تدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ))<sup>(١)</sup>

فهنا يعلم النبي ﷺ معاذ دعاءً يقوله في دبر كل صلاة ، أي في آخرها قبل السلام ، وذلك عن طريق الوصية ، ولفظ الوصية يترك أثراً قوياً في نفس الموصى ، ويُشعرُ بنوع من الخصوصية والفراق مما يحمل على استدامة التمسك والتشبُّث به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (( أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى ، وَأَنْ أُوْتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ ))<sup>(٢)</sup> .

## ٢٠. الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن :

وهو من منهج النبي ﷺ ، قال الله تعالى : { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا }<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي

(١) سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب في الاستغفار : ١٨١/٢ ، رقم ١٥٢٢ .

وصحه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ٢٨٤/١ ، رقم ١٣٤٧ .

(٢) البخاريّ : الصوم : باب صيام أيام البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة : ٦٩٩/٢ ، رقم ١٨٨٠ .

(٣) الكهف : الآية ( ٣٧ ) .

زَوْجَهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : { وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } <sup>(٢)</sup> .

فالحوار والجدال بالتي هي أحسن يكون للشخص الذي يحتاج إلى إقناع ، إما لشبهة جالت في خاطره ، وإما لشهوة ، أو لجهل ، أو لغير ذلك ، وحوار النبي ﷺ ومجادلاته بالحسنى كانت مثالا لحلمه وأناته وعلمه ورفقه بالمتعلم مع قوة إقناعه ﷺ في هدوءٍ وتؤدة بعيدًا عن أسلوب المغالبة والانتصار للنفس .

ومما يميّز حواراته ﷺ شفقتة بالمتعلم وحبّ الخير له .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة قال : (( إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! انْذَنْ لِي بِالزَّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ ، قَالُوا : مَهْ مَهْ ، فَقَالَ : اذْنُهُ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ : فَجَلَسَ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ،

(١) المجادلة : الآية ( ١ ) .

(٢) النحل : الآية ( ١٢٥ ) .

جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ، قَالَ :  
فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ  
، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ (١) .

جاء هذا الشاب مندفعاً يريد الإذن بالزنا وتحليله ، فلم  
يزجره النبي ﷺ ولم يعنّفه ، ولم يخبره بالحكم ، وإنما  
عالجه بطريقة عقلية وجدانية ، تجتث منه هذا هذا التوجّه  
نحو الحرام ، ووضع شهوته في غير محلّها ، وبناء قناعات  
صحيحة تحلّ محلّها ، وختم هذا الحوار الهاديء ، بدعاءٍ ،  
امتلك على هذا الشاب جوانحه ، فبغّض الحرام إليه وحبّبه  
في النبي ﷺ .

#### ٢١. الإقناع بالقياس ( قياس النظير بنظيره ) :

إقناع النبي ﷺ بالقياس تشريع منه ﷺ لمعرفة طرق  
الأحكام الشرعية واستنباطها وتفتيح مدارك الناس لهذا  
الأمر ، وفيه أيضاً تثبيت للمعلومات كي ترسخ في عقل  
السائل .

روى الإمام البخاريّ عن ابن عبّاس « أن امرأةً جاءتُ

(١) مسند الإمام أحمد ، مسند الأنصار ، حديث أبي أمامة الباهلي :  
٢٨٥/٨ ، رقم ٢٢٢٧٤ ، قال الهيثمي : « رجاله رجال الصحيح » :  
١٢٩/١ .

وقال الألباني في السلسلة الصحيحة : ٦٤٥/١ : « وهذا سنده صحيح  
، رجاله كلهم ثقات ، رجال الصحيح » .

إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ قالت: نعم، فقال: افضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء)) (١).

وعن أبي هريرة (( أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسوداً، وإنني أنكرته، فقال له رسول الله ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: حمراء، قال: هل فيها من ورق؟ قال: إن فيها لورقاً، قال: فأنى ترى ذلك جاءها؟ قال: يا رسول الله عرق نزعها، قال: ولعل هذا عرق نزعته ولم يرخص له في الإنثفاء منه)) (٢).

ففي المثال الأول كان يمكن الاكتفاء بالشرط الأول من الإجابة «نعم حجي عنها». ولكن الجزء المتبقي لترسيخ الجواب، ولتنشيط السائلة على الوفاء بحق الله.

وفي المثال الثاني: اجتثاث للشك الذي وقع في نفس السائل، بالمثال الذي ضربه له من بيئته التي يعرفها ويمر عليها صباح مساء.

(١) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة: باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن: ٢٦٦٨/٦، رقم ٦٨٨٥.

(٢) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة: باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن: ٢٦٦٧/٦، رقم ٦٨٨٤.

## ٢٢. تعليمه ﷺ بالتشبيه :

وقد جاء التشبيه في القرآن والسنة بكثرة كاثرة ، ذلك أنه أساس البلاغة والبيان ، وذلك لتقريب المعاني الخفية إلى صور جلية واضحة في الأذهان ، تيسر للمتعم فهمها ، وتكشف له عن المعاني المقصودة باختصار ، وروعة وجمال ، فتشبه الخفي بالجلي ، والمعقول بالمحسوس ، والغائب بالمشاهد ، فتجعله ماثلاً شاخصاً وكأنه رأي العين ، وقد صنّف في تشبيهات القرآن (١) أبو القاسم بن البنداري ، لما لهذا الأمر من أهمية في وضوح المعاني ، وتبيانها لدى المتلقي .

ومن ذلك قول الله ﷻ : { مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ } (٢) ، { وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } (٣) ، وقوله تعالى : { فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ } (٤) ، وقوله تعالى :

(١) كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » ، صنّفه أبو القاسم عبدالله بن محمّد بن الحسين بن نايقا الأديب الشاعر اللغوي ، المتوفى سنة ( ٤١٠ ) ، ويوجد من الكتاب نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛ عن نسخة مخطوطة بمكتبة الأسكربال ، هذا عن البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٤١٤/٣ ، وذكر الكتاب السيوطي في الإتقان : ٥٤/٢ .

(٢) النور : الآية ( ٣٥ ) .

(٣) الرحمن : الآية ( ٢٤ ) .

(٤) الرحمن : الآية ( ٣٧ ) .

وَحُورٌ عَيْنٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : { كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ } <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ { <sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : { كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ } <sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى : { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا } <sup>(٥)</sup> .

ولقد استعمله ﷺ في تعليمه لتجسيد صورة في الدهن إلى صورة شاخصة في الواقع ومحسوسة . فعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأَثْرِجَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأَ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » <sup>(٦)</sup> .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ،

(١) الواقعة : الآيتان ( ٢٢ ، ٢٣ ) .

(٢) الصافات : الآية ( ٤٩ ) .

(٣) النور : الآية ( ٣٩ ) .

(٤) الصافات : الآية ( ٦٥ ) .

(٥) الجمعة : الآية ( ٥ ) .

(٦) البخاري : الأطعمة : باب ذكر الطعام : ٢٠٧٠/٥ ، رقم ٥١١١ .

وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ )) (١) .

### ٢٣. تعليمه ﷺ بضرب الأمثال :

استخدم النبي ﷺ هذا النوع من الأساليب التعليمية في تعليمه ، وتربيته ، ودعوته ﷺ ، وهي كلمات موجزات تحمل معانٍ كبيرة ، تصور المعاني بصورة الأشخاص ، فتنبت في الأذهان .

وقد ورد في كتاب الله الكريم آياتٌ كثيرة تدلُّ على أهمية هذه الأمثال ، ووجوب الأخذ بها ، وتدبرها وتعقلها والاعتبار بها ، قال تعالى : { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (٢) ، وقال تعالى : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٣) ، وقال : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ } (٤) .

بل لقد امتن الله على عباده بأن ضرب لهم الأمثال فقال : { وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ } (٥) .

قال الأصهباني : « لضرب العرب الأمثال واستحضار

(١) البخاريّ : الرقاق : باب قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » : ٢٣٥٨/٥ ، رقم ٦٠٥٣ .

(٢) الزمر : الآية ( ٢٧ ) .

(٣) الحشر : الآية ( ٢١ ) .

(٤) العنكبوت : الآية ( ٤٣ ) .

(٥) إبراهيم : الآية ( ٤٥ ) .



العلماء النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ، ورفع الأستار عن الحقائق ، تُريك المتخيّل في صورة المتحقق ، والمتوهّم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه شاهد ، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، وقمع لضرورة الجامع الأبويّ ، فإنّه يؤثّر في القلوب ما لا يؤثّر وصف الشيء في نفسه ، ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه ، وفي سائر كتبه الأمثال ، وفي سور الإنجيل سورة تُسمى سورة الأمثال ، وفشت في كلام النبي ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء ((<sup>(١)</sup>).

قال السيوطي : (( أمثال القرآن قسمان : ظاهر مصرّح به ، وكامن لا ذكر للمثل فيه .

فمن أمثلة الأوّل : { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا } الآيات ، ضرب فيها للمنافقين مثلين ، مثلاً بالنار ، ومثلاً بالمطر .

وأما الكامن : فقال الماوردي : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول : سمعت أبي يقول : سألت الحسن بن الفضل فقلت : إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله : احذر شرّ من أحسنت إليه ؟ قال : نعم ، { وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ } . قلت : هل تجد في كتاب الله : ليس الخبر كالعيان ؟ قال : في قوله تعالى : { أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَى

(١) الإتيان : ١٦٧/٢ ، النوع السادس والستون .

ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } . قلت : فهل تجد : في الحركات البركات ؟ قال : في قوله تعالى : { وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً } ، قلت : فهل تجد : كما تدين تدان ؟ ، قال : في قوله تعالى : { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } ، قلت : فهل تجد فيه : من أعان ظالمًا سلط عليه ؟ قال : { كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } ، قلت : فهل تجد فيه : للحيطان آذان ؟ قال : { وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ } ، قلت : فهل تجد فيه : الجاهل مرزوق ، والعالم محروم ؟ قال : { مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا } (١)

ثم قال : « فائدة : عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابًا في ألفاظ القرآن جارية مجرى المثل ، وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل ، وأورد من ذلك قوله تعالى : { لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ } ، { الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ } ، { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ } ، { فَضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ } ، { أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } ، { لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ } ، { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } ، { فُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ } ، { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } ، { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } ، { مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ } ، { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } ، { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً } ، { الْآنَ وَقَدْ

(١) الإلتقان : ١٦٨/٢ - ١٦٩ باختصار .

عَصَيْتَ قَبْلُ { ، { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى } ، { وَلَا يُنَبِّئُكَ  
مِثْلُ خَيْرٍ } ، { كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } ، { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ  
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } ، { لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ } ، { ظَهَرَ  
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } ، { ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ } ، { لِمِثْلِ  
هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ } ، { وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ } ، { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي  
الْأَبْصَارِ } ، في ألفاظ أخر (١) .

وقد ضرب الله في كتابه العزيز من كلِّ مثل ، تعليمًا ،  
وتذكيرًا ، ووعظًا وإرشادًا ، وتربوية ودعوة وعبرة ، وما  
يعقلها إلا العالمون ، قال الله تعالى : { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً  
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ } (٢) ، وقال تعالى : { أَلَمْ  
تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ  
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ  
اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } (٣) . وكلَّ هذه الأمثال  
والحكم كانت تجري على لسان رسول الله ﷺ عند قراءته  
للقرآن .

وأما من هديه ﷺ فقد ورد كثيرًا من ذلك .

فعن زيد بن أسلم قال : « سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : جَاءَ  
رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ مِنَ النَّبِيَّانِ

(١) الإتيان : ١٦٩/٢ مختصرًا .

(٢) الرعد : الآية ( ١٧ ) .

(٣) إبراهيم : الآيتان ( ٢٤ ، ٢٥ ) .

لسحرًا» (١)

وفي تعبيره عن المنافق وتقريب صورته لأذهان أصحابه حتى كأنه رأي العين ، روى مسلم عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْعَمِيمِينَ . تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً» (٢) . والعائرة : هي الحائرة المترددة أيهما تتبع ، فقد صورّه كالشاة المتحيرة بين قطيعين ، هل تتبع هذا القطيع أو ذاك .

أما في الحديث الآتي فقد صورّه صورة مختلفة بالنسبة للبلاء ، فمثله بالأرزة الصماء التي لا تؤثر فيها الريح حتى تُجتثّ دفعة واحدة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَفْهُ ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكْفِنُهَا ، فَإِذَا سَكَنْتِ اعْتَدَلَتْ ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكْفَى بِالْبَلَاءِ . وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ ، صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ ، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ» (٣) . يفِيءُ أي يميل ، وفي رواية أخرى لأبي هريرة : «الفاجر بدلاً من الكافر» (٤) ، وفي حديث كعب : «وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ ، لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً» (٥) ، والانجعاف الانقلاع ، والخامة : هو الغصن الرطب من النبات ، وتكفئها : أي

- (١) البخاريّ : النكاح : باب الخُطبة : ١٩٧٦/٥ ، رقم ٤٨٥١ .
- (٢) مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٦/٤ ، رقم ٢٧٨٤ .
- (٣) البخاريّ : التوحيد : باب في المشيئة والإرادة : ٢٧١٦/٦ ، رقم ٧٠٢٨ . وقد أورده صاحب مجمع الأمثال ، برقم ٣٨٣٨ .
- (٤) البخاريّ : المرضى : باب كفارة المرض : ٢١٣٨/٥ ، رقم ٥٣٢٠ .
- (٥) البخاريّ : المرضى : باب كفارة المرض : ٢١٣٧/٥ ، رقم ٥٣١٩ .

تميلها .

وفي رواية أبي هريرة عند مسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ . وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ . لَا تَهْتَرُ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ » (١) .

وعن تميم الداري ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » (٢) .

وقال ﷺ : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » (٣) ، فهذا تعليم من النبي ﷺ لأصحابه في كلمتين موجزتين تعطيان معنًا كبيرًا ، ذلك أَنَّ العبد إذا أصاب ذنبًا فندم على اقترافه فإنَّ ذلك توبة منه .

وعن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَتَشْبِكُ أَصَابِعُهُ » (٤) .

#### ٢٤. تعليمه ﷺ بجوامع الكلم :

أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم ؛ حِكْمٌ يَنْطِقُهَا وَيَعْلَمُهَا النَّاسُ :

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « فَضِّلْتُ عَلَى

(١) مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٦٣/٤ ، رقم ٢٨٠٩ .

(٢) مسلم : كتاب الإيمان : باب الدين النصيحة : ٧٤/١ ، رقم ٥٥ . وقد أورده صاحب مجمع الأمثال في ج ١ ، رقم ١٤٣٣ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : باب ذكر التوبة : ٤١٨/٢ ، رقم ٣٤٢٩ ، وأورده صاحب مجمع الأمثال برقم ٤٢٤٦ .

(٤) البخاري : المساجد : باب تشبيك الأصابع : ١٨٢/١ ، رقم ٤٦٧ .

الأَنْبِيَاءُ بِسِتٍّ : أُعْطِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخْتِمَ بِي النَّبِيُّونَ» (١) .

وفي رواية البخاريّ : «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ..» (٢) .

قال الحافظ ابن حجر عن الزهري في تفسيرها ما حاصله أنه كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني ، وجزم غير الزهري في تفسيرها بأن المراد «جوامع الكلم» القرآن ، بقرينة قوله «بُعِثْتُ» ؛ والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني» (٣) .

وقال : «فإنَّ دخول القرآن في قوله : «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ» لا شكّ فيه ، وإنَّما النزاع هل يدخل غيره من كلامه من غير القرآن ؟ وقد ذكروا من أمثلة جوامع الكلم في القرآن قوله تعالى : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } ، وقوله تعالى : { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } ، إلى غير ذلك .

(١) مسلم : المساجد ومواضع الصلاة : ٣٧١/١ ، رقم ٥٢٣ .

(٢) البخاريّ : الاعتصام بالكتاب والسنة : باب بعثت بجوامع الكلم : ٢٦٥٤/٦ ، رقم ٦٨٤٥ .

(٣) فتح الباري : كتاب الاعتصام : باب بعثت بجوامع الكلم : ٢٦١/١٣ ، رقم ٧٢٧٤ .

ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية حديث عائشة : « كَلَّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » ، وحديث « كَلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ » ، متفق عليهما ، وحديث أبي هريرة « وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » ، وحديث المقدم « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ » الحديث أخرجه الأربعة ، وصححه ابن حبان والحاكم ... إلى غير ذلك مما يكثر بالتتابع ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة في ألفاظه . والطريق إلى معرفة ذلك أن تقلّ مخارج الحديث وتتفق ألفاظه » (١) .

وقال الهروي : يعني به القرآن ، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه ، المعاني الكثيرة ، وكلامه ﷺ كان بالجوامع مع قليل اللفظ كثير المعنى » (٢) .

قال القاضي عياض : « أوتي جوامع الكلم ، وخصّ ببدائع الحكّم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كلّ أمة بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتّى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله » (٣) .

وقال : « وأما كلامه المعتاد ، وفصاحته المعلومة ،

(١) فتح الباري : كتاب الاعتصام : باب بعثت بجوامع الكلم : ٢٦٢/١٣ ،

شرح حديث رقم ٧٢٧٤ .

(٢) حاشية صحيح مسلم : ٣٧١/١ .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٩٦/١ .

وجوامع كلمه ، وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين ، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ، وفيها ما لا يُوازى فصاحة ، ولا يبارى بلاغة ؛ كقوله : « الْمُسْلِمُونَ تَنَكَّافًا دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ »<sup>(١)</sup> ، وقوله : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »<sup>(٢)</sup> ، و « النَّاسَ مَعَادِينَ »<sup>(٣)</sup> ، و « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ »<sup>(٤)</sup> ، وقوله : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتِيعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »<sup>(٥)</sup> ، وقوله : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(٦)</sup> ... إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ، ومحاضراته ، وخطبه ، وأدعيته ، ومخاطباته ، وعهوده ، مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يُقاس بها غيره ، وحاز فيها سبقاً لا يُقدر قدره »<sup>(٧)</sup> .

ومن جوامع كلمه ﷺ التي كان يستعملها في تعليمه ،

- (١) سنن ابن ماجه ، برقم ٢٦٨٣ ، وهو في صحيح سنن ابن ماجه للألباني : ١٠٦/١ ، رقم ٢١٧٢ .
- (٢) أخرجه الشيخان عن أنس ، وهو في مسلم : ٢٠٣٤/٤ ، رقم ٢٦٤٠ .
- (٣) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ، وهو في مسلم : ١٩٥٨/٤ ، رقم ٢٥٢٦ .
- (٤) سنن الترمذي : باب ما جاء أن المستشار مؤتمن : رقم ٢٩٨٩ ، وصحه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٦٩/٢ ، رقم ٢٢٦٣ .
- (٥) سنن الترمذي : ٣٥٥/٤ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي ، باب ما جاء في معاشره الناس : ١٩١/٢ ، رقم ١٦١٨ .
- (٦) البخاري : المظالم : باب الظلم ظلمات يوم القيامة : ٨٦٤/٢ ، رقم ٢٣١٥ .
- (٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١٠١/١ - ١٠٤ باختصار .



قوله : « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَعِمُّوا »<sup>(١)</sup> . قال القاضي عياض : « هذا من جوامع كلمه ﷺ ، وهو مطابق لقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } . أي وَحَدَّوا الله وآمنوا به . ثُمَّ اسْتَقَامُوا فلم يَحِيدُوا عن التوحيد ، والتزموا طاعته ﷺ إلى أن تُوفِّوا على ذلك » . ا.هـ .

ومن جوامع كلمه أيضاً : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »<sup>(٢)</sup> ، وقوله ﷺ : « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ »<sup>(٣)</sup> ، وقوله ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ »<sup>(٤)</sup> ، وقوله ﷺ : « احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ »<sup>(٥)</sup> ، وقوله ﷺ : « الْحَرْبُ خَذَعَةٌ »<sup>(٦)</sup> ، وقوله ﷺ : « الْحَمُّ الْمَوْتُ »<sup>(٧)</sup> .

#### ٢٥. تأكيد ما يعلمه بالقسم :

لقد أقسم الله ﷻ في كتابه الكريم على أمور كثيرة جداً لتصديق ما أخبر به سبحانه ، وتأكيد به ، وقد صنَّف في ذلك مصنِّفات .

- (١) مسلم : الإيمان : جامع أوصاف الإسلام : ٦٥/١ ، رقم ٣٨ ، وبحاشيته كلام القاضي عياض .
- (٢) مسلم : الإيمان : تفاضل الإسلام : ٦٥/١ ، رقم ٤١ .
- (٣) مسلم : الإيمان : عدد شعب الإيمان وأفضلها : ٦٤/١ ، رقم ٣٧ .
- (٤) البخاري : بدء الوحي : ٣/١ ، رقم ١ .
- (٥) سنن الترمذي : ٢٦٤٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٣٠٨/٢ ، رقم ٢٠٤٣ .
- (٦) مسلم : الجهاد : جواز الخداع في الحرب : ١٣٦١/٣ ، رقم ١٧٣٩ .
- (٧) مسلم : السلام : تحريم الخلوة : ١٧١١/٤ ، رقم ٢١٧٢ .

وأمر الله ﷻ نبيّه الكريم بالقسم لتصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم في يونس : ( ٥٣ ) { قُلْ إِي رَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ } ، وفي سبأ : ( ٣ ) { قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } ، وفي التغابن : ( ٧ ) { قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ } .

وامتثل النبي ﷺ هذا المنهج الرباني في مواضع كثيرة من تعليمه ودعوته وتربيته .

**قال ﷺ :** «ثلاثة أقسام عليهنّ وأحدنكم حديثاً فاحفظوه . قال : ما نقصَ مالٌ عبدٍ من صدقةٍ ، ولا ظلمَ عبدٌ مظلماً فصبرَ عليها إلا زادَهُ اللهُ عزّاً ، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ اللهُ عليه بابَ فقرٍ ، - أو كلمةً نحوها - وأحدنكم حديثاً فاحفظوه ، قال : إنّما الدنيا لأربعة نفرٍ : عبدٌ رزقه اللهُ مالاً وعِلماً فهو يتقي فيه رَبَّهُ ، ويصلُ فيه رَحِمَهُ ، ويعلمُ لله فيه حقّاً ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبدٌ رزقه اللهُ علماً ، ولم يرزقه مالاً فهو صادقُ النيةِ يقولُ : لو أن لي مالاً لعمِلْتُ بعمَلِ فلانٍ ، فهو بينيَّه ، فأجرُهُما سَوَاءٌ ، وعبدٌ رزقه اللهُ مالاً ولم يرزقه علماً ، فهو يخبِطُ في ماله بغيرِ علمٍ ، لا يتقي فيه رَبَّهُ ، ولا يصلُ فيه رَحِمَهُ ، ولا يعلمُ لله فيه حقّاً ، فهذا بأخبثِ المنازل ، وعبدٌ لم يرزقه اللهُ مالاً ولا علماً فهو يقولُ : لو أن لي مالاً لعمِلْتُ فيه بعمَلِ فلانٍ ، فهو بينيَّه ، فوزرُهُما سَوَاءٌ» (١) .

وعن أبي ذر قال : « انتهيتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو في ظلِّ الكعبةِ يقولُ : هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الكعبةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الكعبةِ . قلتُ : ما شأنِي ؟ أيرى فيَّ شيءٌ ؟ ما شأنِي ؟

(١) الترمذي : أبواب الزهد : باب ما جاء في مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، رقم ٢٤٤١ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سننه : ٢/٢٧٠ ، رقم ١٨٩٤ .

فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْكُتَ ، وَتَعَشَّانِي مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَقُلْتُ : مَنْ هُمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا ، وَهَكَذَا ، وَهَكَذَا )) (١) .

وعن أبي هريرة قال : قال أبو القاسم ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا » (٢) .

وعن ابن عمر قال : كانت يمين النبي ﷺ : « لا وَمَقْلَبِ الْقُلُوبِ » (٣) .

وعن أبي هريرة ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللُّونُ لَوْنُ الدَّمِّ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ » (٤) .

وعن أبي شريح : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي لَا يَأْمَنُ

(١) البخاريّ : الأيمان والنذور ، كيف كانت يمينُ النبي ﷺ : ٢٤٤٧/٦ ، رقم ٦٢٦٢ .

(٢) البخاريّ : الأيمان والنذور ، كيف كانت يمينُ النبي ﷺ : ٢٤٤٧/٦ ، رقم ٦٢٦١ .

(٣) البخاريّ : الأيمان والنذور ، كيف كانت يمينُ النبي ﷺ : ٢٤٤٥/٦ ، رقم ٦٢٥٣ .

(٤) البخاريّ : الجهاد : باب من يُجرح في سبيلِ الله عزّ وجلّ : ١٠٣٢/٣ ، رقم ٢٦٤٩ .

جَارُهُ بَوَائِقَهُ» (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ ، قَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَتْ : فُلَانَةٌ ، تَذَكَّرُ مِنْ صَلَاتِهَا ، قَالَ : مَهْ ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيفُونَ ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ» (٢) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٣) .

#### ٢٦. أسلوب العرض على الشيخ :

كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن على جبريل عليه السلام ، يعرضه عليه . فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، لِأَنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ ، يَعْرُضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ ، فَإِذَا لَقِيَهِ جِبْرِيْلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيْحِ الْمُرْسَلَةِ» (٤) .

(١) البخاريّ : الأدب : باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه : ٢٢٤٠/٥ ، رقم ٥٦٧٠ .

(٢) البخاريّ : الأيمان : أحب الدين إلى الله أدومه : ٢٤/١ ، رقم ٤٣ .

(٣) مسلم : الإيمان : باب بيان أنّه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون : ٧٤/١ ، رقم ٩٤/٥٤ .

(٤) البخاريّ : فضائل القرآن : باب كان جبريلُ يعرض القرآن على

وفي رواية له : « وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ » (١) .

قال الحافظ في الفتح : قوله : « يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ » هذا عكس ما وقع في الترجمة لأنَّ فيها أنَّ جبريل كان يعرض على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي هذا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعرض على جبريل ، فيحمل على أنَّ كلاً منهما كان يعرض على الآخر ، ويؤيده ما وقع في رواية أبي هريرة (٢) .

وفي رواية فاطمة - رضي الله عنها - « يعارضني » ، والمعارضة : مفاعلة لا تكون إلا من اثنين فأكثر ، والمعارضة : هي المقابلة ، أي مقابلة المحفوظ من الطرفين : جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرأ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ يعرضه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه . أمَّا المحفوظ فإنه تتم معارضته من الطرفين .

#### ٢٧. القراءة من الشيخ :

كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يعرض القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأه عليه .

قالت فاطمة - رضي الله عنها - : « أَسْرَّ إِلَيَّ إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٤/١٩١١ ، رقم ٤٧١١ .

(١) البخاري : الصوم : أجود ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون في رمضان : ٦٧٢/٢ ، رقم ١٨٠٣ .

(٢) فتح الباري : فضائل القرآن : كان جبريل يعرض القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٦٦٠/٨ ، رقم ٤٩٩٨ .

يُعارضني القرآن كلَّ سنةٍ مرَّةً ، وإنَّه عارضني العامَ مرتين)) (١) .

وبوّب عليه الإمام البخاريّ - رحمه الله - بقوله : (( كان جبريلُ يعرض القرآن على النبي ﷺ ، وعلى حديث أبي هريرة كذلك ، قال : كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرَّةً ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه )) (٢)

قال الحافظ : (( قوله : ( كان يُعرض على النبي ﷺ ) كذا لهم بضم أوله على البناء للمجهول ، وفي بعضها بفتح أوله بحذف الفاعل ، فالمحذوف هو جبريل ، صرح به إسرائيل في روايته عن أبي حُصين ، أخرجه الإسماعيليّ ، ولفظه ( كان جبريل يعرض على النبي ﷺ القرآن في كلِّ رمضان ) ، وإلى هذه الرواية أشار المصنّف في الترجمة )) (٣) .

٢٨- عنايته بالنُّخبة من أصحابه وأشهار فضائلهم في العلم ، وبيان مراتبه ،

وأمره بالأخذ عنهم ، ( وفيه إشارة إلى التخصّص ) :

حرص النبي ﷺ أثناء مسيرته التعليمية الطويلة على عدد من أصحابه ممّن يتوسّم فيهم النّجابة في العلم ،

(١) البخاريّ : المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام : ١٣٢٦/٣ ، رقم ٣٤٢٦ .

(٢) البخاريّ : فضائل القرآن : باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ١٩١١/٤ ، رقم ٤٧١٢ .

(٣) فتح الباري : فضائل القرآن : باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ٦٦٢/٨ ، رقم ٤٩٩٨ .

فخصّهم بمزيد عناية ، واهتم بإشهار فضائلهم ، وأمر أصحابه بالأخذ عنهم ، ورعّب في ذلك أيّما ترغيب . فهذا أبيّ بن كعب الأنصاري ﷺ صعد ذكره في الملائكة الأعلى ، فأمر الله نبيه بالقراءة عليه .

روى البخاريّ عن أنس بن مالكٍ ﷺ (( قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيّ : **إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَكِيَ** )) . وعنه قال : (( قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيّ : **إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ** )) <sup>(١)</sup> . **وعنه ﷺ (( أَنْ نَبِيّ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِيّ بْنِ كَعْبٍ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَكَ الْقُرْآنَ . قَالَ : اللَّهُ سَمَّانِي لَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ))** <sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ ابن حجر : (( وفي رواية للطبراني من وجه آخر عن أبيّ بن كعب قال : « نعم ، باسمك ونسبك في الملائكة الأعلى » . قال : قال أبو عبيد : المراد بالعرض على أبيّ ليتعلم أبيّ منه القراءة ويثبت فيها ، وليكون عرض القرآن هو السنّة ، وللتنبيه على فضيلة أبيّ بن كعب وتقديمه في حفظ القرآن ، وليس المراد أن يستذكر منه النبي ﷺ شيئا بذلك العرض . ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كانوا دونه . وقال القرطبي : خصّ هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من

(١) البخاريّ: التفسير: باب تفسير لم يكن: ٤/١٨٩٦، رقم ٤٦٧٦ .  
 (٢) البخاريّ: التفسير: باب تفسير لم يكن: ٤/١٨٩٧، رقم ٤٦٧٧ .

التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكُتب المنزلة على الأنبياء وذكر الزكاة والمعاد ، وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها» (١) .

وقال : « والجمع بين الروايتين حمل المطلق على المقيد لقراءته لم يكن دون غيرها ، فقيل : الحكمة في تخصيصها بالذكر لأن فيها { فِيهَا كُتُبٌ قِيَمَةٌ } . وفي تخصيص أبي بن كعب التنويه به في أنه أقرأ الصحابة ، فإذا قرأ عليه النبي ﷺ مع عظيم منزلته كان غيره بطريق التبعية له » (٢) .

وفي ذلك تواضع الفاضل للمفضول ، ومشروعية قراءته عليه ، وأنّ عرض القرآن هو السُنّة ، وتخصيص فضلاء الطلاب بمزيد عناية ، وأنه لا غضاضة في ذلك .

فقد كان يؤذن لابن مسعود ويحجب غيره . قال أبو الأحوص : « شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَرَأَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ؟ فَقَالَ : إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، إِنْ كَانَ لِيُؤَدَّنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا ، وَيَشْهَدُ إِذَا غَبْنَا » (٣) .

(١) فتح الباري : كتاب مناقب الأنصار : باب مناقب أبي بن كعب : ١٥٩/٧ ، رقم ٣٨٠٩ .

(٢) فتح الباري: التفسير : باب تفسير لم يكن : ٥٩٧/٨ ، رقم ٤٩٦٠ .

(٣) مسلم : فضائل الصحابة : عبدالله بن مسعود : ١٩١١/٤ ، رقم ٢٤٦١ .



ومن كثرة دخول ابن مسعود على رسول الله ﷺ ، وملازمته له كان يُظنُّ أنَّه من أهل بيته ، فعن أبي موسى قال : (( قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ ، فَكُنَّا حِينًا وَمَا نَرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلِزُومِهِمْ لَهُ )) (١) .

ولقد خصَّ النبي ﷺ عبدالله بن مسعود بفضيلة قراءة القرآن غَضًّا كما أنزل ، ورغَّب أصحابه في قراءته عليه فقال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَفْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَفْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ » (٢) .

وعلى المنهج نفسه أشهر النبي ﷺ فضائل بعض القراء الذين جمعوا القرآن على عهده ، وتقدّموا في إتقانه وضبط ألفاظه ، وأخذوه مشافهة عنه ، وأمر أصحابه بالأخذ عنهم فقال : « خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ - فَبَدَأَ بِهِ - وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَآبِي بَنِي كَعْبٍ ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ » (٣) .

وعند البخاريّ : « اسْتَفْرُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ

(١) مسلم : فضائل الصَّحابة : عبدالله بن مسعود : ١٩١١/٤ ،

رقم ٢٤٦٠ . والحديث متفق عليه . أخرجه البخاريّ برقم ٣٥٥٢ .

(٢) سنن ابن ماجه : المقدّمة : ١٣٨/١١ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٢٩/١ ، رقم ١١٤ .

(٣) مسلم : فضائل الصَّحابة : عبدالله بن مسعود : ١٩١٣/٤ ،

رقم ٢٤٦٤ .

مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ» (١).

وفي حق عمر رضي الله عنه قال رضي الله عنه : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيَتْ بِهِ ، فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالُوا : فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْعِلْمُ» (٢).

ولمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَجَابَةَ ابْنِ عَمِّهِ (عبدالله بن عباس) دعا له وشجعه بضمه إلى صدره ، روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قَالَ : «ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ ، وَقَالَ : عَلِّمَهُ الْكِتَابَ» (٣) ، وقال : «اللَّهُمَّ فَهِّمُهُ فِي الدِّينِ» (٤) . فأصبح فقيهاً عالماً ، بل حبر هذه الأمة .

وهذا أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يشجعه رسول الله ﷺ على ملازمته وحفظ العلم ، يقول : «... وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي ، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا ، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا . وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا : أَيُّكُمْ يَبْسُطُ تَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا ، ثُمَّ يَجْمَعُهُ

(١) البخاري : فضائل الصَّحابة : عبدالله بن مسعود : ١٣٧٢/٣ ، رقم ٣٥٤٩ .

(٢) مسلم : فضائل الصَّحابة : عمر بن الخطاب : ١٨٥٩/٤ ، رقم ٢٣٩١ .

(٣) البخاري : فضائل الصَّحابة : ابن عباس : ١٣٧١/٣ ، رقم ٣٥٤٦ .

(٤) البخاري : الوضوء : وضع الماء عند الخلاء : ٦٦/١ ، رقم ١٤٣ .

إلى صدره؟ فإنه لم ينس شيئاً سمعه . فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي ، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ )) (١) .

وَعَنْ أَنَسٍ (( أَنْ أَهَلَ الْيَمَنَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ : هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ )) (٢) . وَالْأَمِينُ هُوَ الثَّقَةُ الْمَرْضِيُّ .

وَعَنْ حذيفة قال : (( جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِينًا ، فَقَالَ : لِابْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ ، حَقَّ أَمِينٍ . قَالَ : فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ . قَالَ : فَبِعَثْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ )) (٣) .

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (( لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ )) (٤) ، وَفِي لَفْظِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ : (( إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيْئَهَا الْأُمَّةُ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ )) (٥) .

وإشهار هذه الفضيلة من النبي ﷺ لها أبلغ الأثر في نفس أبي عبيدة وفي غيره من الصحابة إذ جعلتهم يستشرفون لها

- 
- (١) مسلم : فضائل الصحابة : أبو هريرة : ١٩٤٠/٤ ، رقم ٢٤٩٢ .
  - (٢) مسلم : فضائل الصحابة : أبو عبيدة : ١٨٨١/٤ ، رقم ٥٤/٢٤١٩ .
  - (٣) مسلم : فضائل الصحابة : أبو عبيدة : ١٨٨٢/٤ ، رقم ٢٤٢٠ .
  - (٤) البخاري : المغازي : قصة أهل نجران : ١٥٩٢/٤ ، رقم ٤١٢١ .
  - (٥) مسلم : فضائل الصحابة : أبو عبيدة : ١٨٨١/٤ ، رقم ٥٣/٢٤١٩ .

، ليس حباً في الإمارة ولكن في الشرف الذي ذكره النبي ﷺ

وأما الأمين فهو الثقة المرضي . قال العلماء : والأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة ، لكن النبي ﷺ خص بعضهم بصفات غلبت عليهم ، وكان أخص بها .

### ٢٩. إثارة التنافس والغبطة بينهم في العلم :

عن عبدالله بن مسعود قال : قال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » (١) .

ومن حديث سالم عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يثلوه آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » (٢) .

قال الحافظ : « الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه ، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه ، والحق أنه أعم ، وسببه : أن الطباع مجبولة على حب الترفع على الجنس ، فإذا رأى لغيره ما ليس له أحب أن يزول ذلك عنه ليرتفع عليه ، أو مطلقا ليساويه . وصاحبه مذموم إذا عمل

(١) البخاري ، كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة : ٣٩/١ ، رقم ٧٣ .

(٢) البخاري ، كتاب التوحيد : باب قول النبي ﷺ : « رجل آتاه الله القرآن ... » : ٢٧٣٧/٦ ، رقم ٧٠٩١ .

بمقتضى ذلك من تصميم أو قولٍ أو فعل . وينبغي لمن خطر له ذلك أن يكرهه كما يكره ما وُضِع في طبعه من حبّ المنهيات ، واستثنوا من ذلك ما إذا كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله تعالى ، فهذا حكم الحسد بحسب حقيقته .

وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة ، وأطلق الحسد عليها مجازاً ، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه .

والحرص على هذا يُسمّى منافسة ، فإن كان في الطاعة فهو محمود ، ومنه : { فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } . وإن كان في المعصية فهو مذموم ، ومنه : « ولا تنافسوا » . وإن كان في الجائزات فهو مباح ، فكأنه قال في الحديث : ( لا غبطة أعظم - أو أفضل - من الغبطة في هذين الأمرين ) (١) .

وقال في المراد بالقيام بالقرآن : « العمل به مطلقاً ، أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها ، ومن تعليمه ، والحكم والفتوى بمقتضاه ، فلا تخالف بين لفظي الحديثين ، ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي « رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْفُرْآنَ ، فَهُوَ يَوْمُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ » . (٢) .

والمقصود : لفت الأنظار إلى أن العلم والمال من أعظم

(١) فتح الباري : ٢٠٠/١ - ٢٠١ .

(٢) فتح الباري : ٢٠١/١ .

الوجوه التي يُشرع فيها التنافس وتوجيه الطاقات والقدرات لتعلم العلم والعمل به وتعليمه ، والكسب المشروع لإنفاقه وبذله في وجوه الخير ، لا لكنزه والشحّ به .

### ٣٠. التشجيع والتهنئة بالعلم :

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ؛ قَالَ : (( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } قَالَ : فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ : وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ )) (١) . أَيُّ هُنِيئًا لَكَ بِالْعِلْمِ .

هذه التهنئة منه ﷺ تزيد في ثبات أبي في العلم ، وتشجعه على ترسيخ قدمه فيه ، فللعالم أو الفقيه أو المعلم أسوة حسنة في رسول الله ﷺ ، فإذا أصاب الطالب فحقّ عليه أن يخبره بإصابته ويهنئه بذلك ليزداد في العلم رغبة وإقبالاً وانشراحاً .

وعن عبدالرحمن بن عوف ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : (( كيف صنعت في استلامك الحجر ؟ قلت : استلمتُ وتركتُ ، قال : أصبت )) (٢) .

(١) مسلم : صلاة المسافرين : فضل سورة الكهف وآية الكرسي : ٥٥٦/١

، رقم ٨١٠ .

(٢) الفقيه والمنقّه : ٢٧٩/٢ ، رقم ٩٧٥ ، وقال المحقق : إسناده صحيح

وعن علقمة قال : (( كُنَّا بِحَمَصَ ، فَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ سُورَةَ يُوسُفَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « أَحْسَنْتَ » )) (١) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : (( قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : اقْرَأْ عَلَيَّ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } قَالَ : حَسْبُكَ الْآنَ ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ )) (٢) .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ : « يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » (٣) .

في هذه الكلمات : ( ليهنك ، أصبت ، أحسنت ، حسبك ، لقد أوتيت مزامارًا من مزامير آل داود ) تشجيعًا منه ﷺ وتثبيثًا لفؤاد المتعلم .

### ٣١. اعترافه ﷺ بالنسيان ، وتلطُّف أصحابه في الرد :

إذا أخطأ العالم أو نسي فالسُّنَّةُ الاعتراف والرجوع عن الخطأ أو النسيان ، قال الله تعالى : { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا

(١) الفقيه والمتفقه : ٢/٢٨٠ ، رقم ٩٧٦ ، وقال المحقق : صحيح .

(٢) البخاري : فضائل القرآن : باب قول المقرئ للقارئ : حسبك : ٤/١٩٢٥ ، رقم ٤٧٦٣ .

(٣) البخاري : فضائل القرآن : باب حُسن الصوت بالقراءة للقرآن : ٤/١٩٢٥ ، رقم ٤٧٦١ .

أَوْ أَخْطَأْنَا } <sup>(١)</sup> . والرجوع إلى الحق فضيلة وشجاعة ،  
وليس بعيب .

قال ﷺ : « كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَابُونَ » <sup>(٢)</sup> .

وعن ابن أبيزى ، عن أبيه ، قال : « صَلَّى رسولُ اللهِ ﷺ فترك آيةً ، فلما صَلَّى قال : أفي القومِ أبيّ بن كعب ؟ ، فقال : يا رسولَ اللهِ ، نُسخت آيةٌ كذا وكذا ، أم نسيتهَا ؟ قال : بل نسيتهَا » <sup>(٣)</sup> .

فها هو رسولُ اللهِ ﷺ يسأل عن حافظِ القومِ ، وما أجمل ردَّ أبيّ في صيغة السؤال ، وما أجمل تأكيدَه ﷺ على النسيان ، إذ لم يجد غضاضةً في ذلك .

وقال عبدالله : « صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَا أُدْرِي - زَادَ أَوْ نَقَصَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَحَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا ، فَتَنَّى رَجُلِيهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ، ثُمَّ سَلَّمَ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ قَالَ : إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَأْتُكُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ ، أَنَسَى كَمَا تَنْسَوْنَ ، فَإِذَا نَسِيْتُ فَذَكَّرُونِي ، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ ، فَلْيَنْحَرِ الصَّوَابَ فَلْيَتِمَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ » <sup>(٤)</sup> .

(١) البقرة : الآية ( ٢٨٦ ) .

(٢) الفقيه والمتفقه : ٢٨٨/٢ ، رقم ٩٨٨ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ٢٨٨/٢ ، رقم ٩٨٨ .

(٤) البخاري : القبلة : التوجُّه نحو القبلة حيثُ كان : ١٥٦/١ ، رقم ٣٩٢



وَعَنْ أَنَسٍ (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلْقِحُونَ ، فَقَالَ : لَوْلَمْ تَفْعَلُوا الصَّلْحَ . قَالَ : فَخَرَجَ شَيْصًا <sup>(١)</sup> ، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ : مَا لِيْنَحْلِكُمْ ؟ قَالُوا : قُلْتِ : كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ )) <sup>(٢)</sup> .

وفي حديث موسى بن طلحة عن أبيه قال ﷺ : (( ... فَإِنِّي إِئْمًا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِدُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُدُّوا بِهِ ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ﷻ )) <sup>(٣)</sup> .

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ : (( قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ . يَقُولُونَ يُلْقِحُونَ النَّخْلَ ، فَقَالَ : مَا تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَصْنَعُهُ . قَالَ : لَعَلَّكُمْ لَوْلَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا . فَتَرَكُوهُ ، فَفَضَّتْ أَوْ فَنَفَصَتْ . قَالَ : فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : إِئْمًا أَنَا بَشَرٌ ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُدُّوا بِهِ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ ، فَإِئْمًا أَنَا بَشَرٌ ، قَالَ عِكْرِمَةُ : أَوْ نَحْوَ هَذَا . قَالَ الْمَعْقَرِيُّ : فَفَضَّتْ وَلَمْ يَسْئَلْ )) <sup>(٤)</sup> .

قال العلماء : (( قوله ﷺ : « مِنْ رَأْيٍ » . أي في أمر الدنيا

- 
- (١) الشيص : هو البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفاً .  
 (٢) مسلم : كتاب الفضائل : باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ، دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي : ١٨٣٦/٤ ، رقم ٢٣٦٣ .  
 (٣) المصدر السابق : ١٨٣٥/٤ ، رقم ٢٣٦١ مختصراً .  
 (٤) مسلم : الفضائل : وجوب امتثال ما قاله له شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا على سبيل الرأي : ١٨٣٥/٤ ، رقم ٢٣٦٢ .

ومعايشها ، لا على التشريع ، فأما ما قاله باجتهاده ﷺ ورآه شرعاً فيجب العمل به ، وليس إبار النخل من هذا النوع . بل من النوع المذكور قبله ، مع أن لفظة (( الرأي )) إنما أتى بها عكرمة على المعنى ، لقوله : (( أو نحو هذا )) ، وقال العلماء : ولم يكن هذا القول خبراً ، وإنما كان ظناً كما بينته هذه الروايات . قالوا : ورأيه ﷺ في أمور المعاش وظنه كغيره . فلا يمتنع وقوع مثل هذا ، ولا نقص في ذلك ، وسببه تعلق همهم بالآخرة ومعارفها)) (١) .

لم يأنف ﷺ أن يقول : (( بل نُسِيتُ )) ، وأن يقول في أمور معاش الدنيا (( إنما أنا بشر )) ، وقوله : (( إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن )) . فينبغي للعالم إذا نسي أو أخطأ أن يقول الحقيقة ، ويقبل الحق ، قال سفيان بن عيينة : (( كان يُستحبُّ للعالم إذا علم أن لا يُعنف ، وإذا علم أن لا يأنف )) (٢) .

### ٣٢. اهتمامه ﷺ بضبط الحفظ :

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (( إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسَلْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسَلْتَ ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ،

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : ١١٦/١٥ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ٢٨٧/٢ ، رقم ٩٨٥ .

وَأَجْعَلُنَّ آخِرَ مَا تَنَكَّلُمُ بِهِ . قَالَ : فَرَدَدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا بَلَغْتُ : اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، فُلْتُ : وَرَسُولِكَ ، قَالَ : لَا ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ )) (١) .

فهذا البراء ﷺ استبدل كلمة رسول بنبي ، فمنعه رسول الله ﷺ ، رغم إفادتها قريباً من المعنى .

ولقد دعا رسول الله ﷺ لمن حفظ الحديث وبلغه كما سمعه ، فقال : « نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَغَهُ كَمَا سَمِعَ ، قُرْبًا مُبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » (٢) ، وفي حديث آخر : « سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ » (٣) .

والشاهد هنا هو أداة التشبيه « كَمَا سَمِعَهُ » . أي بنصه .

(١) البخاريّ : الوضوء : فضل من بات على الوضوء : ٩٧/١ ، رقم ٢٤٤ .

(٢) الترمذيّ : أبواب العلم : باب في الحث على تبليغ السماع ، رقم الحديث ٢٨٠٨ .

وهو صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذيّ : ٣٣٨/٢ ، رقم ٢١٤٠ . والحديث متواتر بلفظ : « نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي » ، انظر : دراسة الحديث رواية ودراية لعبدالمحسن العباد .

(٣) المصدر السابق ، رقم ٢١٣٩ .

وهو صحيح ، انظر : صحيح سنن الترمذيّ ، برقم ٢١٣٠ .

٣٣. ذكر ثواب العمل بعد أدائه لاستدامته ، وقبله ترغيباً فيه وتشويقاً إليه

؛

**فمن الأول :** ما رواه البخاريّ عن رفاعَةَ بِنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ قَالَ : « كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ : رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : مَنْ الْمُتَكَلِّمُ ؟ قَالَ : أَنَا ، قَالَ : رَأَيْتُ بَضْعَةَ وَتَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوْلَى » (١) .

**ومن الثاني :** ما رواه البخاريّ أيضاً عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : { غَيْرَ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فَقُولُوا : آمِينَ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٢) .

**وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :** « إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٣) ، وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « آمِينَ » .

(١) البخاريّ : صفة الصلاة : باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد : ٢٧٥/١ ، رقم ٧٦٦ .

(٢) البخاريّ : صفة الصلاة : باب جهر المأموم بالتأمين : ٢٧١/١ ، رقم ٧٤٩ .

(٣) البخاريّ : صفة الصلاة : باب جهر الإمام بالتأمين : ٢٧٠/١ ، رقم ٧٤٧ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا قَالَ الْإِمَامُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ ، فَقُولُوا : اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ ، فَإِنَّهُ مَنْ وَاقَفَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (١) .

وعنه ﷺ قال : قال أبو القاسم رضي الله عنه : « فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ ، لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّيُ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ . وَقَالَ بِيَدِهِ قُلْنَا : يُقَالُهَا ، يُزَهَّدُهَا » (٢) .

وقال ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُبْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » (٣) .

وقال ﷺ : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٤) ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ (٥) خَرِيفًا » (٦) .

(١) البخاري : صفة الصلاة : باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد : ٢٧٤/١ ، رقم ٧٦٣ .

(٢) المصدر السابق : الدعوات : باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة : ٢٣٥٠/٥ ، رقم ٦٠٣٧ .

(٣) البخاري : الأدب : باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم : ٢٢٣٢/٥ ، رقم ٥٦٤٠ .

(٤) في سبيل الله : أي مخلصاً لوجه الله ، أو يصوم وهو في الجهاد .

(٥) سبعين خريفاً : أي مسافة سير سبعين عاماً .

(٦) البخاري : الجهاد : باب فضل الصوم في سبيل الله : ١٠٤٤/٣ ، رقم ٢٦٨٥ .

٣٤. تعليمه ﷺ بذكر علة الحكم ليثبت الفهم ويمكن القياس :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ التَّمَارِ حَتَّى تُزْهِيَ . فَقِيلَ لَهُ : وَمَا تُزْهِي ؟ قَالَ : حَتَّى تَحْمَرَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَّعَ اللَّهُ التَّمْرَةَ ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ ؟ )) (١) .

لقد كان يكفي نهيه ﷺ عن هذا البيع وسيمتثل الصحابة لهذا النهي بدون ذكر العلة ، ولكن ذكره ﷺ لعلة النهي وأنه أخذ مال أخيه المسلم بدون حق وأنه من الغرر ، يُرْسَخُ الفهم ، ويتسبب في استقرار المعلومات ، وفيه تطيب خاطر البائع ، والمشتري كذلك ، وفيه حث على التريث والتؤدة وترك تعجل الأمور .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (( سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنْ شِرَاءِ التَّمْرِ بِالرُّطْبِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيَنْفَعُ الرُّطْبُ إِذَا بَيْسَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ )) (٢) .

إنَّ سؤال النبي ﷺ عن نقصان الرطب إذا بيس فيه

(١) البخاري : البيوع : باب إذا باع التمر قبل أن يبدو صلاحها ، ثم أصابته عاهة فهو من البائع : ٧٦٦/٢ ، رقم ٢٠٨٦ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب البيوع : باب في التمر بالتمر : حديث رقم ٣٣٥٩ ، وهو صحيح ، انظر : صحيح سنن أبي داود للألباني : ٦٤٦/٢ ، رقم ٢٨٧١ .

إشارة إلى العلة ، ونقصان الرطب إذا يبس لا يخفى عليه ﷺ ، وإتما هو من باب التعليم .

٣٥. اكتفاؤه ﷺ بالإجمال والتعريض دون التفصيل في تعليم ما يستحيا منه

؛

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - (( أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ ؟ فَقَالَ : تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا <sup>(١)</sup> فَتَطَهَّرُ ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلَكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ . ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً <sup>(٢)</sup> مُمْسَكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا . فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : - كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ - تَتَّبَعِينَ أَثَرَ الدَّمِ . وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ ؟ فَقَالَ : تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ ، حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا ، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ ! لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَّفَقَهُنَّ فِي الدِّينِ )) <sup>(٤)</sup> .

(١) سدرتها : السدر شجر النبق ، مختار الصحاح ص ١٢٣ . والمراد هنا ورق السدر المطحون .

(٢) شؤون : أصول شعر رأسها . الفتح : ٤٩٥/١ .

(٣) فِرْصَةٌ : قطعة من صوف أو قطن أو جلدة عليها صوف ، حكاها أبو عبيد وغيره ، وفرصة ممسكة أي مطيئة بالمسك ، قال النووي : والمقصود باستعمال الطيب دفع الرائحة الكريهة على الصحيح . قاله الحافظ في الفتح : ٤٩٥/١ .

(٤) مسلم : كتاب الحيض : باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض

وفي البخاريّ : « ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَحْيَا ، فَأَعْرَضَ بَوَجْهِهِ ، أَوْ قَالَ : تَوَضَّيْتُ بِهَا ، فَأَخَذْتُهَا فَجَدَّبْتُهَا ، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ » (١) .

قال الحافظ في الفتح : « قوله : « أثر الدم » ، قال النووي : المراد به عند العلماء الفرج ، وقال المحاملي : يُسْتَحْبُّ لَهَا أَنْ تَطْيَّبَ كُلَّ مَوْضِعٍ أَصَابَهُ الدَّمُ مِنْ بَدَنِهَا ، وَلَمْ أَرَهُ لِغَيْرِهِ ، وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لَهُ ، قُلْتُ : وَيَصْرَحُ بِهِ رِوَايَةُ الْإِسْمَاعِيلِيِّ : « تَتَّبِعِي بِهَا مَوَاضِعَ الدَّمِ » ، ثُمَّ قَالَ : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ (٢) :

- ١ - التسبيح عند التعجُّب ، ومعناه : كيف يخفى هذا الظاهر الذي لا يحتاج في فهمه إلى فكر ؟ .
- ٢ - وفيه استحباب الكنايات فيما يتعلّق بالعورات .
- ٣ - سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يُحتشمُ منها .
- ٤ - الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة .
- ٥ - تكرير الجواب لإفهام السائل ، وإنّما كرّره مع كونها لم تفهمه أولاً لأن الجواب به يؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله : « تَوَضَّيْتُ » ، أي في المحل الذي يُستحيى من مواجهة

فرصة من مسك في موضع الدم : ٢٦١/١ ، رقم ٣٣٢ .

(١) البخاريّ : الحيض : باب غُسل المحيض : ١١٩/١ ، رقم ٣٠٩ .

(٢) ترقيم الفوائد غير وارد في كلام الحافظ كما هو شأن العلماء السابقين ، وإنّما أثبت ليسهل فهمه وحفظه لمن أراد ذلك .



المرأة بالتصريح به ، فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال ،  
وفهمت عائشة - رضي الله عنها - ذلك فتولت تعليمها .  
وبوّب عليه المصنّف في الاعتصام ( الأحكام التي تُعرف  
بالدلائل ) .

٦ - وفيه تفسير كلام العالم بحضرتة لمن خفي عليه إذا  
عرف أنّ ذلك يُعجبه .

٧ - وفيه الأخذ عن المفضول بحضرة الفاضل .

٨ - وفيه صحّة العرض على المحدث إذا أقرّه ، ولو لم  
يقبل عقبه نعم .

٩ - وأنّه لا يُشترط في صحّة التحمّل فهم السامع لجميع ما  
يسمعه .

١٠ - وفيه الرفق بالمتعلّم وإقامة العذر لمن لا يفهم .

١١ - وفيه أنّ المرء مطلوب بستر عيوبه ، وإن كانت مما  
جُبِلَ عليها من جهة أمر المرأة بالتطيّب لإزالة الرائحة  
الكريهة .

١٢ - وفيه حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ ، وعظيم حلمه وحيائه ، زاده  
الله شرفاً )) (١) .

ويُستفاد من إقرار النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها -

(١) فتح الباري : الحيض : باب ذلك المرأة نفسها ... : ٤٩٦/١ ، شرح حديث  
رقم ٣١٤ .

بتعليمها المرأة ، أنّ تعليم المرأة الضابطة للعلم بني جنسها فيه إراحة للعالم وللنساء أيضاً من الحرج في مثل هذه المواطن . ومن حديث البخاريّ : ينبغي للعالم والمعلم أنّ يستحيي ويعرض بوجهه عند تعليم ما يستحيا منه عند النساء ، فلربما يكون التّعليم عن طريق الدارات التلفزيونية ، وقد يسمّعه ويرينه من حيث لا يراهن عن طريق الحواجز الزجاجية ، فيُشرع له ذلك ، كذلك مع الشباب عند تعليمهم مثل هذه الأحاديث أو غيرها ، كالغسل والجماع ، وغيرها ، فإنّ بعض المعلمين لا يتورّع عن إيراد التفاصيل والاستطراد فيها .

٣٦. مداعبة من أخطأ تخفيفاً عنه ، وبيان خطئه في رفق ولين من غير

#### تعنيف :

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا {  
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} ؟ أَهْمَا الْخَيْطَانُ ؟ قَالَ : إِنَّكَ  
لَعَرِيضُ الْفَقَا إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : لَا ، بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ ،  
وَبَيَاضُ النَّهَارِ ((<sup>(١)</sup>) .

فقوله : «إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْفَقَا» ، مداعبة منه رضي الله عنه لعديّ بن حاتم لأنه اجتهد في تفسير الآية ، ولكنه أخطأ ، فما أحبّ النبي ﷺ مواجهته بالخطأ مباشرة ، وإنّما مهّد له تمهيداً

(١) البخاريّ : التفسير : باب : { وكلوا واشربوا ... } : ١٦٤٠/٢ ، رقم ٤٢٤٠ .

لطيفًا ، ثم أخبره بالإجابة الصحيحة .



## الفصل الثالث

### أصول وقواعد منهجية في طلب العلم مستفزة من المنهج النبوي

#### المبحث الأول: (النميؤ للعلم والاعتماد فيه).

- المطلب الأول: (إخلاص النية في طلب العلم).
- المطلب الثاني: (الحلم قيل العلم).
- المطلب الثالث: (الجؤ والمجاهدة).
- المطلب الرابع: (حفظ العؤمر والشباب خاصة).

#### المبحث الثاني: (ما بيؤخذ من العلم وعمّن بيؤخذ).

- المطلب الأول: (أخذ المهم وتقديم الأهم والتدرج فيه).
- المسلك الأول: (أخذ المهم من كل علم ثم التخصص).
- المسلك الثاني: (تقديم الأهم).
- المسلك الثالث: (التدرج في التعلم).
- المطلب الثاني: (أخذ العلم عن أهله، وعن كل شيخ ما يحسن).
- المطلب الثالث: (اتباع السنة وتعظيمها، وترك التقليد).

#### المبحث الثالث: (حفظ العلم ونعمه واستذكاره).

- المطلب الأول: (الجمع بين الحفظ والفهم).
- المسلك الأول: (الحفظ أصل في المنهج النبوي).
- المسلك الثاني: (الفهم أصل في المنهج النبوي).
- المسلك الثالث: (الحاجة إلى الجمع بين الحفظ والفهم).
- المطلب الثاني: (استذكار العلم وتعاهده).
- المطلب الثالث: (كتابة العلم وتقييده).

#### المبحث الرابع: (تطبيق عملي).

- المطلب الأول: (أوصاف علماء السنة الذين بيؤخذ عنهم العلم).
- المطلب الثاني: (خوارم المنهج ومعوقاته).
- المطلب الثالث: (مراحل سلم التعلم).
- المطلب الرابع: (مفردات المنهج).

## الفصل الثالث

### أصول وقواعد منهجية في طلب العلم مستقربة من المنهج النبوي

المبحث الأول : التهيؤ للعلم والاجتهاد فيه .

#### المطلب الأول : إخلاص النية في طلب العلم :

##### النية :

قال ابن فارس : (( النون والواو والحرف المعتل أصل صحيح يدل على معنيين : أحدهما مقصدٌ لشيء ، والآخر عَجَمَ شيء ))<sup>(١)</sup> .

وقال ابن القيم في معناها الحقيقي : (( النية علم الفاعل بما يفعله ومقصده له ، والعاقل المختار لا يفعل فعلاً يسبق تصوّره وإرادته ، وذلك حقيقة النية ، فليست النية أمراً خارجاً عن تصوّر الفاعل ومقصده ، والنية هي عمل القلب الذي هو ملك الأعضاء ، والمقصود بالأمر والنهي ))<sup>(٢)</sup> .

قال الغزالي : (( النية هي الإرادة ، وانبعثت النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إمّا في الحال وإمّا

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : ٣٦٦/٥ .

(٢) بدائع الفوائد : ٢٢٥/٢ .

في المآل)) (١) .

أما في الاصطلاح : فالنية قصدٌ كلي ، نسبي ، شامل للعزم والقصد المتقدم على الفعل أو المقارن له في بعض أحواله)) (٢) .

### الإخلاص :

قال ابن فارس : (( الخاء واللام والصاد : أصلٌ واحدٌ مطرد ، وهو تنقية الشيء وتهذيبه )) (٣) .

وقال ابن منظور : (( الإخلاص : كلمة التوحيد ، والمخلصون : الموحدون )) (٤) .

وقال الراغب : (( حقيقة الإخلاص التبرئ عن كل ما دون الله )) (٥) . وهو الصدق في النية والإرادة .

فالإخلاصُ إذاً هو (( تجريد النية من كل ما يشوبها )) .

وإخلاص النية لله وتجريدها من الرياء والشرك ، هو أحد ركني قبول الأعمال ومضاعفتها وتكثيرها أو ردّها ، والركن الثاني تجريد المتابعة في الأعمال ، واقتفاء سنة

(١) إحياء علوم الدين : ٣٥٣/٤ .

(٢) النية وأثرها في الأحكام الشرعية : ١٠٣/١ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٢٠٨/٢ ، مادة خلص .

(٤) اللسان : ٢٦/٧ ، مادة ( خلص ) .

(٥) المفردات للراغب : ص ٢٩٢ ، مادة ( خلص ) .

المصطفى ﷺ . فعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (١) .

وفي لفظ لمسلم : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَى » (٢) .

وقال رضي الله عنه : « قَالَ اللَّهُ ﷻ : أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكَ ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ، وَهُوَ لِذِي أَشْرَكَ » (٣) .

وقال الله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (٤) . قال ابن كثير : « كقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } » (٥) .

ولقد جاء المنهج النبوي في إخلاص النية وتهذيبها وتجريدها ، بالترهيب الشديد من إرادة غير وجه الله بالعلم وإرادة عرض من الدنيا .

- 
- (١) البخاريّ : بدء الوحي : باب كيف بدء الوحي : ٣/١ ، رقم ١ .
  - (٢) مسلم : الإمارة : باب قوله ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ » : ١٥١٥/٣ ، رقم ١٩٠٧ .
  - (٣) سنن ابن ماجه : انظر : صحيحها للألباني : ٤٠٩/٢ ، رقم ٣٣٨٧ .
  - (٤) البيّنة : الآية ( ٥ ) .
  - (٥) تفسير القرآن العظيم : ٥٧٤/٤ .

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » <sup>(١)</sup> . يَعْنِي رِيحَهَا .

وقد ورد التحريم لقصد طلب العلم لممارسة السفهاء ، أو مباحة العلماء ، أو للدعوة إلى النفس . فقد روى ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ وَجْوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ » <sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك أيضًا : ما جاء في حديث طويل لأبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ؛ - فذكر ثلاثة ، منهم - : وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ . فَأَتَى بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ

(١) سنن ابن ماجه : باب الانتفاع بالعلم والعمل به : رقم ٢٥٢ .

وهو في صحيح سننه للألباني : ٤٧/١ ، رقم ٢٠٤ .

وأخرجه الخطيب ، انظر : اقتضاء العلم : ص ٦٥ ، رقم ١٠٢ .

وقال فيه الألباني : حديث صحيح أخرجه الحاكم وابن عبد البر : ١٩٠/١ في بيان العلم ، وقال الحاكم : على شرط البخاري ومسلم ؛ ووافقه الذهبي .

(٢) المصدر السابق : باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، رقم ٢٥٣ .

وهو في صحيح سنن ابن ماجه للألباني : ٤٨/١ ، رقم ٢٠٥ .



فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ...» (١) .

فهذا وعيد وتهويل شديد لمن أراد بطلب العلم أو تعليمه الرياء والسمعة .

وفي الرياء والسمعة أيضاً والمشاققة ، أخرج البخاري عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ » (٢) ، وفي رواية أخرى له : « مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْفِقْ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣) . وهذا وعيد شديد لمن يُسَمِّعُ النَّاسَ بِعَمَلِهِ أَوْ بِعِلْمِهِ وَيُرَائِي بِهِ ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الشَّهْرَةِ وَالسَّمْعَةَ وَالْمَكَانَةَ عِنْدَ النَّاسِ هِيَ الْقَاصِمَةُ .

وإذا صلحت النية وصدق صاحبها ؛ فإنه يبلغ بها مقامات كبيرة .

فعن أبي كبشة الأنماري قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَهُمَا فِي الْأَجْرِ

(١) مسلم : الإمارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار : ١٥١٣/٣ ، رقم ١٩٠٥ .

(٢) البخاري : الرقاق : باب الرياء والسُّمْعَةَ : ٢٣٨٣/٥ ، رقم ٦١٣٤ ، وهو في مسلم برقم ٢٢٨٩ .

(٣) البخاري : الأحكام : باب من شاقَّ شقَّ الله عليه : ٢٦١٥/٦ ، رقم ٦٧٣٣ .

سَوَاءٌ . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ » (١) .

وفي هذا الحديث الشريف استحباب إصلاح نية العبد واستعمالها في الخير .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبهُ » (٢) .

وقال ﷺ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاسِهِ » (٣) . وهذا يدل على فضل النية الصادقة ، فإنَّ النية والصدق فيها من أعمال القلوب ، ويبلغ العبد بنيتها ما لا يبلغ بعمله ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ عَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذْيَا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ : وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ » (٤) . فهم معهم

(١) سنن ابن ماجه : انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني : ٤١٣/٢ ، رقم ٣٤٠٦ .

(٢) مسلم : الإمارة : باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله : ١٥١٧/٣ ، رقم ١٩٠٨ .

(٣) مسلم : الإمارة : باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله : ١٥١٧/٣ ، رقم ١٩٠٩ .

(٤) البخاري : المغازي : باب نزول النبي ﷺ في الحجر : ١٦١٠/٤ ، رقم ٤١٦١ .

بقلوبهم ونياتهم ، حسبهم العذر عن الذهاب .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال : قال : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ . فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » (١) .

وأما الحرص على المال والمكانة والشرف فإنها مفسدة للدين ؛ فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أَرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ » (٢) . فأخبر ﷺ أن حرص المرء على المال والصيت وعلو المكانة والرفعة والشهرة أشد فتكا بدينه من ذنبين هجما على قطيع من الغنم ففتكا به .

وهناك فارق كبير بين الأسد والذئب إذا هجما على الغنم ؛ فالأسد يفترس واحدة من الغنم ، وإذا لم تكفه افترس الثانية ، أما الذئب فإنه يفترس أكبر قدر ممكن من الغنم حتى لو قدر على القطيع كله لفتك به ، فإما الفرار وإما الموت . فسبحان الله ما أعظم اختياره ﷺ وأدق تمثيله من البيئة التي

(١) البخاري : الرقاق : باب من هم بحسنة أو بسئنة : ٢٣٨٠/٥ ، رقم ٦١٢٦ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الزهد ، رقم ٢٤٩٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٢٨٠/٢ ، رقم ١٩٣٥ .

يعرفها أصحابه .

والأعمال من غير إخلاص لا يقبلها الله ولا يكافئ عليها ، قال ﷺ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ؛ نَادَى مُنَادٍ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ » (١) .

لذا فإنَّ تصحيح النية قبل الإقدام على العمل وقَسْرُ النَّفْسِ على إرادة وجه الله حبًّا وإجلالاً ورجاءً في رضوانه ﷻ أمرٌ متعيّن .

ولا بُدَّ من تطهير القلب وإصلاحه لتقبُّل العلم وترجمته إلى عمل ، وخلوه من الرياء والحسد والغِلِّ والحقد والكبر والعُجْبِ وغمط النَّاسِ وازدراءهم .

إنَّ إدخال العلم على قلب مريض ، مملوء بهذه الأدواء لا يزكو أبدًا طالما بقيت هذه الأمراض ، ذلك لعدم قابلية المحلِّ . وقد يُفلح العلم في استئصال كثير منها ، لكن الغالب بقاء المستعصي منها ، فلا يذهب إلَّا بالمجاهدة .

وما ذاك إلَّا كمن يضع الروائح الزكيّة على عفنٍ مستحکم ، فإنَّ الحصىلة ستكون مولودًا نشازًا . فتطهير القلب وتخليته من الأمراض أمرٌ لازم قبل تحليته بالعلم والإيمان المفصل .

(١) سنن الترمذي ، أبواب تفسير القرآن - ١٩ ، سورة الكهف ، رقم الحديث ٣٣٧٤ ، وانظر : صحيح الترمذي : ٧٤/٣ ، رقم ٢٥٢١ .

ذلك أن وجود الإيمان والعلم مع بقايا الجاهلية ، كالجسم لا يندمل جرحه على قبيح ، إذ لو اندمل لانفجر يوماً من الدهر .

مثال تطبيقي في الإخلاص :

لقد كان من منهج المصطفى ﷺ تربية أصحابه وتعليمهم بالقصة ، وهذه قصة في الإخلاص .

قال ﷺ : « خَرَجَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ يَمْتَشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ ، فَأَنْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ ، قَالَ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ ... » . هذا حديث طويل أورده بالمعنى واجتزئ محلّ الشاهد .

فقد دعا الأوّل متوسلاً ببرّه لأبويه ، والآخر بعفاهه عن الزنا ، والثالث بحفظه للأمانة ، وقد كان ثلاثتهم يدعون بهذه الدعوة : « اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا » (١) ، فهنا توسّل كلّ منهم بأخلص عمل قدّمه لله . فكانت تُفرج عنهم الصخرة بعد كلّ دعوة شيئاً قليلاً ، حتّى فرجت عنهم تماماً ، والسبب هو الإخلاص .

فالإخلاص مطلبٌ عزيز ، وشأنه عظيم ، وعاقبته محمودة .

(١) البخاريّ : البيوع : باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي :

٧٧١/٢ ، رقم ٢١٠٢ .

ولقد ربّى ﷺ بهذا المنهج رجالاً صدقوا ما عاهدوا عليه  
الله ، فأخرج جيلاً فريداً مقتفياً لأثره ، ومتأسياً بهديه ﷺ ،  
فكانوا أشدّ ما يكون عليه من الحرص على تطبيق هديه في  
حياتهم ، والتواصي به .

فهذا ابن أمّ عبد ﷺ يُذكّرُ بهدي المصطفى ﷺ ، ويقول :  
( ( كيف أنتم إذا ألْبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم  
الكبير ، وتُتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس ، فإذا غُير  
منها شيء قيل : قد غُيّرت السنة . قيل : متى ذلك يا أبا  
عبدالرحمن ؟ قال : إذا كثر فُرّاؤكم ، وقلّ فقهاؤكم ، وكثر  
أمراؤكم ، وقلّ أمناؤكم . والنمست الدنيا بعمل الآخرة ،  
وئفقه لغير الدين )) (١) . والشاهد : الجملتان الأخيرتان .

وقد أفاض السلف في حديثهم عن النية والإخلاص  
إفاضة تدلّ على اغتمامهم واهتمامهم بشأنها وخطرهما  
وأثرهما في صلاح الأعمال وقبولها .

قال سفيان الثوري : (( ما عالجتُ شيئاً أشدّ عليّ من نيّتي  
(٢) . ))

وقيل لسهل : (( أي شيء أشدّ على النفس ؟ قال :  
الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب )) (٣) .

(١) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٢٨ ، رقم ٧٥٠ ، وهو صحيح .

(٢) تذكرة السامع : ص ١١٢ .

(٣) مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٦٦ .

قال أبو سليمان : « طوبى لمن صحّت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى » (١) .

وقال ابن قدامة : « واعلم أنّ الشوائب المكدرّة للإخلاص متفاوتة ، بعضها جلي ، وبعضها خفي ، ومن الرياء ما هو أخفى من دبيب النمل » (٢) .

وقال : ومن علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعاً ، وكراهة إطلاع الخلق على ذلك . والصدق يكون في النية والإرادة ، ويُسمّى هنا الإخلاص ، والصدق في القول ، والعزم والوفاء به ، والصدق في الأعمال وهو أن تستوي سريرته وعلانيته ، والصدق من أعمال القلوب » (٣) .

وعن يزيد بن قoder قال : « يوشك أن ترى رجلاً يطلبون العلم ، فيتغايرون عليه ، كما يتغايرون الفسّاق على المرأة السوء ، هو حظهم منه » (٤) .

وقال الإمام الأوزاعي : « ويلٌ للمتفقهين لغير العبادة ، والمستحلّين الحرّمات بالشبهات » (٥) .

وعن عائذ الله قال : « من يبتغ العلم أو قال الأحاديث لا

(١) المرجع السابق : ص ٣٦٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٦٦ .

(٣) المرجع السابق : ص ٣٦٩ .

(٤) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٢٨ ، رقم ٧٤٩ .

(٥) الفقيه والمتفقه : ١٧٥/٢ ، رقم ٨١٢ ، وقال : إسناده صحيح .

- يبتغيها إلا ليُحدِّث بها ، لم يجد ريح الجنة )) (١) .
- وقال إبراهيم : (( من تعلم علماً يريد به وجه الله والدار الآخرة آتاه الله من العلم ما يحتاج إليه )) (٢) .
- وقال أبو عبدالله الروذباري : (( من خرج إلى العلم يُريد العلم ( أي بدون العمل ) لم ينفعه العلم ، ومن خرج إلى العلم يُريد العمل بالعلم نفعه قليل العلم )) (٣) .
- وقال مالك بن دينار : (( إنَّ العبد إذا طلب العلم للعمل كسره علمه ، وإذا طلبه لغير ذلك ازداد به فجوراً أو فخراً )) (٤) .
- وعن الحسن قال : (( همّة العلماء الرعاية ، وهمّة السفهاء الرواية )) (٥) .
- وقال يوسف بن الحسين : (( في الدنيا طغيانان ، طغيان العلم ، وطغيان المال ، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة

---

(١) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٢٧ ، رقم ٧٤٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٥٢ ، رقم ٨٥٧ .

(٣) اقتضاء العلم : ص ٣١ ، رقم ٢٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٢ ، رقم ٣١ .

(٥) الفقيه والمتفقه : ص ٣٥ ، رقم ٣٩ . قال في اللسان : ٣٢٩/١٤ : الرعاية الحفظ . اهـ . أي الحفاظ على العمل به وتطبيقه على النفس لا لروايته للناس .



، والأذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه )) (١) .

وقال زياد بن أبي سفيان : (( إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الأذان )) (٢)

وكان سوّار يقول : (( كلام القلب يقرع القلب ، وكلام اللسان يمرُّ على القلب صفحاً )) (٣) .

وقال الإمام بدر الدين بن جماعة في تطهير القلب وإصلاح النية لطالب العلم : (( أن يطهر قلبه من كلّ غشٍّ ودنس ، وغلٍّ وحسد ، وسوء عقيدة وخلق ؛ ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه ، والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه ، فإنّ العلم كما قال بعضهم : صلاة السرّ ، وعبادة القلب ، وقربة الباطن ، وكما لا تصحّ الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلاّ بطهارة الظاهر من الحدث والخبث ؛ فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلاّ بطهارته عن خبث الصفات ، وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها .

وإذا طيّب القلب للعلم ؛ ظهرت بركته ونما ؛ كالأرض إذا طيّبت للزرع ؛ نما زرعها وزكا . قال سهيل : (( حرام

(١) اقتضاء العلم : ص ٣٠ ، رقم ٢٦ .

(٢) صحيح جامع بيان العلم : ص ٢٥٠ ، رقم ٨٤١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٥٠ ، رقم ٨٤٠ .

على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله ﷻ .  
 والثاني حسن النية في طلب العلم بأن يقصد وجه الله تعالى ،  
 والعمل به ، وإحياء الشريعة ، وتنوير القلب وتحلية باطنه ،  
 والقرب من الله تعالى يوم القيامة ، والتعرض لما أعدّ  
 لأهله من رضوانه وعظيم فضله ، ولا يقصد به الأغراض  
 الدنيوية ؛ من تحصيل الرياسة ، والجاه ، والمال ، ومباهاة  
 الأقران ، وتعظيم الناس له ، وتصديره في المجالس ونحو  
 ذلك ، فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وإن قصد به  
 غير وجه الله تعالى ؛ حبط وضاع وخسرت صفتة ، وربما  
 تفوته تلك المقاصد ، ولا ينالها ، فيخيب قصده ويضيع سعيه  
 ((<sup>(١)</sup> ا.هـ . مختصراً .

وقال ابن قدامة : (( قال بعضهم : (( رَوَّحُوا الْقُلُوبَ تَعِي  
 الذِّكْرَ )) ، فسلك طريق الله تعالى كله حرباً مع الشيطان  
 ومعالجة للقلب ))<sup>(٢)</sup> .

وقال - رحمه الله - في مضاعفة الثواب بكثرة النيات  
 الحسنة : (( وأما تضاعف الفضل ، فبكثرة النيات الحسنة ،  
 فإنَّ الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة ،  
 فيكون له بكلَّ نيةٍ ثواب ، إذ كلُّ واحدةٍ منها حسنة ، ثمَّ  
 تضاعف كلَّ حسنة عشر أمثالها .

والناس في النيات على أقسام : منهم من يكون عمله

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم : ص ١١١ - ١١٤ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٦٢ - ٣٦٤ ، باختصار .

للطاعة ، إجابة لباعث الخوف ، ومنهم من يكون عمله إجابة لباعث الرجاء ، وثمة مقام أرفع من هذين ، وهو أن يعمل الطاعة على نية جلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية . وهي أعزّ النيات وأعلاها ، وقليلٌ من يفهمها ، فضلاً عن أن يتعاطاها ، وصاحب هذا المقام لا يجاوز ذكر الله تعالى والفكر في جلاله حباً له .

ومن حضرت له نية في المباح ، ولم تحضر له فضيلة ، فالمباح أولى ، وانتقلت الفضيلة إليه ، مثال ذلك : أن تحضره نية في الأكل والنوم ليتقوى بذلك على العبادة ، ويريح بدنه ، ولم تنبعث نيته في الحال إلى الصلاة والصوم ، فالأكل والنوم أفضل ، بل لو ملّ العبادة لكثرة مواظبته عليها ، وعلم أنّه لو ترقه ساعة بمباح عاد نشاطه ، فذلك أفضل من التعبد حينئذٍ . ( مع عدم الإخلال بالفرائض ) ، قال عليٌّ عليه السلام : روّحوا القلوب واطلبوا لها طرف الحكمة ، فإنها تملّ كما تملّ الأبدان )) <sup>(١)</sup> .



(١) مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٦٢ .

## المطلب الثَّاني : الحلم قبل العلم .

### العلم لغة :

« خلاف الطيش »<sup>(١)</sup> ، وهو ترك العجلة ، وقال الجوهري : « الحِلم ( بالكسر ) الأناة ، وقيل : هو الأناة والعقل »<sup>(٢)</sup> .

وقال الزجاجي : « حِلمَ فلانٌ إذا لم يُقابله على إساءته ، ولم يجازه عليها »<sup>(٣)</sup> .

### وفي الاصطلاح :

قال الراغب : « الحِلمُ : ضبطُ النَّفسِ والطَّبعِ عند هيجان الغضب »<sup>(٤)</sup> .

وقال الجاحظ : « الحلم : تركُ الانتقامِ عند شدَّةِ الغضبِ مع القدرة على ذلك »<sup>(٥)</sup> .

لقد كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ أصحابه الأخلاقَ الفاضلةَ ويؤكِّدُ على ذلك بصفةٍ مستمرةً ، ويرغبهم في الأخلاقِ الحسنةِ ، ومما كان يقول ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٩٣/٢ .

(٢) الصحاح للجوهري : ١٩٠٣/٥ .

(٣) اشتقاق أسماء الله ؛ للزجاجي : ص ٩٦ .

(٤) المفردات : ص ١٢٩ .

(٥) تهذيب الأخلاق : ص ٢٣ .

« (١) . والحلم سيّد الأخلاق .

وكان يقرن ﷺ تعليم العلم والإيمان بالله ورسوله ﷺ وشرائع الدين بالحث على الحلم والأناة والترغيب فيهما .  
 ففي حديث وفد عبدالقيس ؛ بعد أن علمهم النبي ﷺ الإيمان وشرائع الدين ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال لأشج عبدالقيس : « إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ » (٢) . ويقول ﷺ : « الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » (٣) .

وكان ﷺ يعدُّ حُسْنَ الخلق من الإيمان ، فقد قال ﷺ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا » (٤) .

وسئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : « أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَتْ : فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ » (٥) .

(١) المستدرك للحاكم : ٦١٣/٢ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) مسلم : الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين : ٤٩/١ ، رقم ١٨ .

(٣) البخاري ، انظر : الفتح : ٩/١ .

(٤) سنن الترمذي ، رقم ١١٦٢ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم بلفظ قريب منه ، وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٥) صحيح مسلم ، رقم ٧٤٦ .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ » (١) .

وقال رضي الله عنه : « التَّائِي مِنَ الله ، والعجلة من الشيطان ، وما أهدأ أكثر معاذير من الله ، وما شيء أحب إلى الله من الحلم » (٢) .

ومن الأمثلة التطبيقية لحلم النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أُعْرَابِيٌّ فَجَبَدَهُ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَأَلْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ » (٣) .

ولقد كان لهذا المنهج آثاره وثمراته على من ربّاهم صلى الله عليه وسلم ، وعلى من بعدهم ممّن اتّبعهم بإحسان ، فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : « إِنَّمَا العِلْمُ بالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ ، وَمَنْ يَتَحَرَّمُ

(١) سنن الترمذي : ج٤ ، رقم ٢٠٠٣ ، وحسن إسناده محقق جامع الأصول ، انظر : ٦/٤ .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ، وقال : رواه أبو يعلى ورواه رواية الصحيح : ١١٨/٣ . وانظر مجمع الزوائد : ١٩/٨ ، وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، وله شاهد من حديث سهل بن سعد عند الترمذي ، رقم ٢٠١٢ .

(٣) صحيح البخاري : انظر : الفتح : ج١٠ ، رقم ٥٨٠٩ .

- الخير يُعْطه ، ومن يتوقَّ الشرَّ يوقه )) (١) .
- وقال عمر رضي الله عنه : (( تعلّموا العلم وتعلّموا للعلم السكينة والحلم )) (٢) .
- وقال عليُّ رضي الله عنه : (( ليس الخيرُ أن يكثرَ مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثرَ علمك ويعظم حلمك ، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى )) (٣) .
- وقال عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - لرجلٍ سبّه : (( يا عكرمة هل للرجل حاجة فتقضيها ؟ فنكس الرجلُ رأسه واستحى مما رأى من حلمه عليه )) (٤) .
- وقال الأحنف بن قيس - رحمه الله - : (( لستُ بحليم ، ولكنني أتحمم )) (٥) .
- وقال الحسن البصري - رحمه الله - : (( اطلبوا العلم ،

(١) جامع بيان العلم وفضله : ١/٥٤٥ ، رقم ٩٠٣ .

قال الألباني : إسناده صحيح موقوف ؛ انظر : كتاب العلم لأبي خيثمة : ص ٢٨ ، الحاشية . أي أنه صحيح الإسناد إلى أبي الدرداء . فهو أثر صحيح موقوف على أبي الدرداء .

(٢) الإحياء : ١٧٩/٣ .

(٣) المرجع السابق : ١٧٨/٣ .

(٤) الإحياء : ١٧٨/٣ .

(٥) المرجع السابق : ١٧٩/٣ .

وزينوه بالوقار والحلم» (١)

وعن عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - قال : « ما أوى شيءٌ إلى شيءٍ أزينُ من حلمٍ إلى علمٍ » (٢)

وقال عامر الشعبي : « زينُ العِلْمِ حلمُ أهله » (٣)

وروى الخطيب بسندٍ ضعيفٍ جداً عن الليث بن سعد أنه كان يقول لأصحابه : « تعلموا الحلمَ قبل العلمِ » (٤)

وقال ابن قدامة المقدسيّ : « أما المتعلمُ فينبغي له تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات ، إذ العلم عبادة القلب » (٥)

ولقد كان السلف - رحمهم الله - يتواصون بصاحب العلم والحلم ، ويدلون طلاب العلم عليه ، ويتمثلون به في أشعارهم .

أنشد ابن المبارك - رحمه الله - يقول (٦) :

أيا الطالبُ علماً      إئت حماد بن زيد

- 
- (١) المرجع السابق : ١٧٨/٣ .  
 (٢) سنن الدارمي : ١٥٢/١ ، رقم ٥٧٦ .  
 (٣) المصدر السابق : ١٥٢/١ ، رقم ٥٧٧ .  
 (٤) جامع بيان العلم وفضله : ٥٠٨/١ ، رقم ٨١٦ ، وقال محققه : « سنده ضعيف جداً » .  
 (٥) مختصر منهاج القاصدين : ص ٢١ .  
 (٦) جامع بيان العلم وفضله : ٥٠٩/١ ، رقم ٨١٨ .



فاقتبس حلماً وعلماً ❁ ثم قيده بقيد

وقال ابن جماعة في آداب طالب العلم في نفسه : (( أنَّ يُطَهَّرَ قلبه من كلِّ غشٍّ وِدنسٍ وِغَلٍّ وِحسدٍ ، وسوءِ عقيدةٍ وِخُلُقٍ ، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه )) (١) .

والمقصود أنَّ طالب العلم ينبغي له التأسى بالمصطفى ﷺ في أخلاقه وسيرته وحلمه كما كان الصَّحابة رضي الله عنهم يتعلمون العلم والأدب والعمل معاً ، فلا خير في علم بلا أدب ، ولا خير في علم لم يؤثِّر في صاحبه ويكسره ، فيتواضع للمؤمنين شريفهم ووضيعهم ، غنيهم وفقيرهم ، ولا في علم لم تظهر آثاره على حامله فتضفي عليه السكينة والوقار وحُسْن السمات والتؤدة .

والعالم الرباني يُربي طلابه بسمته وخُلُقهِ وأدبه وتواضعه وعلمه ، فالتربية بغير علم وحلم تُفسد أكثر مما تُصلح ، فالتربية والتعليم قرينان لا ينفصلان ، إذ الانفصال والانعزال بينهما يُحدِث انفصاماً وازدواجية وعزلة شعورية لدى المتعلم ليصل إلى درجة أن أخذه للعلم هو المقصود وليس العمل به ، فينتهي عند هذا الحدِّ لا يتعداه إلى التطبيق ، فيخرج امرأً نشازاً لا يلوي على شيء .

(١) تذكرة السامع : ص ١١١ .



### المطلب الثالث : الجِدُّ والمجاهدةُ في طلب العلم .

**الجِدُّ :** (( نقيض الهزل ، والجِدُّ الاجتهادُ في الأمور ، وفي الحديث : كان رسولُ الله ﷺ إذا جدَّ في السَّير جمع بين الصلاتين ، أي اهتمَّ به وأسرع فيه .

وقولهم : في هذا خطرٌ جدُّ عظيم ، أي عظيمٌ جدًّا ، وجدَّ به الأمر : اشتدَّ ، ويُقال : جدَّ فلان في أمره ، إذا كان ذا حقيقة ومضاءٍ )) (١) .

**والمجاهدة :** مصدر جاهد يُجاهدُ جهادًا ومجاهدةً ، مأخوذ من مادة ( ج ه د ) التي تدل على المشقة ، (( والجَهْدُ والجُهْدُ : الطاقة والمشقة وبذل الوسع ، مصدرٌ من جهد .

والمجاهدة : مصدر جاهد .

والمجاهدة : فطام النَّفس عن الشهوات ، ونزع القلب عن الأماني والشهوات )) (٢) .

(( والمجاهدة : محاربة النَّفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشقُّ عليها بما هو مطلوبٌ في الشرع )) (٣) .

(( وقال القشيريُّ : أصلُ مُجاهدة النَّفس فطمُّها عن

---

(١) لسان العرب : ١١٢/٣ - ١١٣ ، مادة ( جدد ) .

(٢) لسان العرب : ١٣٣/٢ - ١٣٥ ، والصاح : ٤٦٠/١ .

(٣) كتاب التعريفات : ص ٢٠٤ .

المألوفات ، وحملها على غير هواها . وجهادُ النفس أربع مراتب : حملها على تعلم أمور الدين ، ثم حملها على العمل بذلك ، ثم حملها على تعليم من لا يعلم ، ثم الدعاء إلى توحيد الله ، وقتال من خالف دينه ، وتمام المجاهدة أن يكون متيقظاً لنفسه في جميع أحواله ، فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات ، وبالله التوفيق )) (١)

وقال الراغب : (( والذي يُطهِّر النفس : العلم والعبادات الموظفة التي هي سبب الحياة الأخروية ، كما أن الذي يطهِّرُ به البدن هو الماء الذي هو سبب الحياة الدنيوية ، ولذلك سماها : الحياة . وسُمِّي ما أنزل الله تعالى في كتابه : الماء فقال : { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } . فسمي العلم والعبادة حياة من حيث إنَّ النفس متى فقدتهما هلكت هلاك الأبدان )) (٢)

وعن فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : (( ... والمجاهد من جاهد نفسه )) (٣)

وقال ﷺ : (( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز . وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلتُ كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما

(١) فتح الباري : ٣٤٥/١١ - ٣٤٦ ، مختصراً .

(٢) الذريعة في مكارم الشريعة ، للراغب : ص ٩٩ .

(٣) سنن الترمذي : رقم ١٦٢١ ، وقال : حديث حسن صحيح .

شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » (١) . فقد أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بالحرص على ما ينفع ؛ ومن أفضل ما ينفع : العلم النافع ، ثم أمر بالاستعانة بالله على ذلك الفعل وترك العجز والإحالة على القدر .

وقال الله تعالى : { خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ } (٢) . قال قتادة : { الْقُوَّةُ : الْجِدُّ } (٣) . وقال تعالى : { يَايْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ } (٤) . قال ابن كثير : { أي بجِدٍّ وحرصٍ واجتهادٍ } (٥) .

وقال تعالى : { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٦) . وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . وقال تعالى : { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } (٧) . كل هذه الآيات تدل على الجِدِّ والاجتهاد وأخذ الكتاب بقوة وحزمٍ وجدية ، وترك الضعف في ذلك والتراخي ، والتواني ، وهذا الأمر يحتاج إلى عزيمة وقوة وإرادة ومجاهدة في الله ﷻ . قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا

(١) صحيح مسلم : القدر : باب الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة

بالله ، وتفويض المقادير لله : ٢٠٥٢/٤ ، رقم ٢٦٦٤ .

(٢) البقرة : الآية ( ٦٣ ) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ١٠٩/١ .

(٤) مريم : الآية ( ١٢ ) .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ١١٩/٣ .

(٦) الزخرف : الآية ( ٤٣ ) .

(٧) الأعراف : الآية ( ١٧٠ ) .

فِينَا لِنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا } (١) . فقد أكد الله لمن جاهد فيه أن يهديه سبله ، بثلاثة مؤكّدات ، مما يدلّ على تحقّقه لا محالة ، ومن أعظم الجهاد في الله سبحانه ، المجاهدة في تعلّم العلم وتعليمه من لا يعلمه . قال ﷺ : « مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا ، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لَخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٢) .

وذكر مسجده ﷺ هنا من باب التمثيل لا الحصر ، فكلّ مسجدٍ يقصده طالب العلم للتعلّم أو التّعليم فهو بمنزلة المجاهد .

وقال أبو الدرداء ﷺ : « من رأى الغدوّ والرواح إلى العلم ليس بجهادٍ فقد نقص عقله ورأيه » (٣) . فهذا فهم الصّحابة ﷺ في طلب العلم وتعليمه ...

وقد روى الإمام مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ : « سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةٍ الْجِسْمِ » . وقال النووي في شرح كلام القاضي في ذلك : « طريقه أنّ يُكثِرَ اشتغاله وإتعبه جسمه في الاعتناء بتحصيل العلم » (٤) .

(١) العنكبوت : الآية ( ٦٩ ) .

(٢) سنن ابن ماجه : باب فضل العلماء ، والحث على طلب العلم ، رقم ٢٢٧ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم ١٨٦ .

(٣) صحيح جامع بيان العلم : ص ٣٥ ، رقم ٥٦ .

(٤) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب أوقات الصلاة : ٤٢٨/١ ، رقم ١٧٥ . وكلام النووي في الحاشية .

لذا ينبغي لطالب العلم أن يُشمرَّ ويجدَّ ويجتهد في طلب العلم قاصداً بذلك وجه الله والدار الآخرة ، وإنقاذ نفسه من ظلمات الجهل ودركاته ؛ وأن يُبادره منذُ صغره ، ويغتنم شبابه في تحصيله ، ولا يعترُّ بخدع التسوييف ، فإنَّ سوف من جنود إبليس ، والأنفاس معدودة إذا ذهب نفسٌ لا يعود . فيجدر به الصبر والمصابرة ، وقطع العلائق الشاغلة ، وتخطي العوائق المانعة ، وتجاوز العقبات المخدلة ، والمغريات المنبِّطة ، والصبر على التعب .

ويستعين طالب العلم في ذلك بالله ﷻ ، ثم بالصبر والصلاة ؛ فقد قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ }<sup>(٢)</sup> . والصبر حبس النفس على الشيء ، ومن الصبر الصوم ، فإنه يصفى الذهن ويقضي على الخواطر السيئة ، ويقوي الهمة ، وقد أمر الله عباده بالصبر في أكثر من مائة موضع في كتابه الكريم ، فالصبر واجب على المؤمن في أمور الدين وكذلك الدنيا ، لأن من لم يصبر على طلب الرزق في تجارته أو وظيفته أو صناعته أو مهنته فلن يستقيم له أمر معاشه ، فيعيش كسير النفس ذليلها ، يعيش مخذولاً ، يتكفف الناس ويتسكع في الطرقات ينتظر من يُحسن إليه .

(١) البقرة : الآية ( ١٥٣ ) .

(٢) النحل : الآية ( ١٢٧ ) .

وعليه الاستعانة بالصلاة المكتوبة والنوافل ، وأفضلها صلاة الليل ، قال الله تعالى : { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً }<sup>(١)</sup> .

فقيام الليل يفتح الله به آفاقاً واسعة على طالب العلم ، ويُضفي عليه الهيبة والوقار ، ويشحذ همته ويقوي عزيمته وإرادته .

فهذه العبادات هي زاد المؤمن ، ولا بُدَّ من التوازن في ذلك والاعتدال ، وانتهاج سنة المصطفى ﷺ ، حيث أنكر على الثلاثة الذين أرادوا التشديد على أنفسهم .

فالتوازن في طلب العلم والعمل والدعوة ، وطلب الرزق والقيام بالواجبات مطلوب .

فيقدم الأهم فالمهم يقدم الواجب على السنة ؛ يُقدّم ما قدّمه الله ، قال تعالى : { فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ }<sup>(٢)</sup> . فقدم العلم وأوله التوحيد ثم العمل .

فلا عمل إلا بعلم ، ولا دعوة إلا بعلم ، قال الله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ }<sup>(٣)</sup> . والحكمة هي العلم .

(١) المزمّل : الآية ( ٦ ) .

(٢) محمد : الآية ( ١٩ ) .

(٣) النحل : الآية ( ١٢٥ ) .



فالترتيب الصحيح هو العلم ، ثمَّ العمل ، ثمَّ الدعوة إلى الله تعالى فيما علم . والاستدامة على ذلك هي سنة المصطفى ﷺ حيث يقول : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » (١) . فالدوام والثبات على العمل من مقاصد الشريعة

والثبات على المنهج النبوي في طلب العلم في غاية الأهمية ، والصبر عليه ، قال الزهري : « من طلب العلم جملة فاته جملة ، وإنما يُدرك العلم حديثاً وحديثان » (٢) .

وقال ابن جماعة : « وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب ؟ فإنه علامة الضجر وعدم الإفلاح » (٣) . ويحذر من التنقل من شيخ إلى شيخ أيضاً من غير موجب . وكما قيل :

يومٌ مجزوى ويومٌ بالعذيب ❁ ويومٌ بالخليصاء

وينبغي لطالب العلم أن لا يُسرف في الأكل والشرب فإنه يضرُّ به ويؤثر على صفاء ذهنه ، وقد قال الله تعالى : { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } (٤) . قال بعض العلماء : « جمع

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره : ٥٤١/١ ، رقم ٧٨٣ .

(٢) الجامع لأخلاق الرأوي ، للخطيب : ٣٥٦/١ ، رقم ٤٥٢ .

(٣) تذكرة السامع : ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٤) الأعراف : الآية ( ٣٠ ) .

الله بهذه الكلمات الطيب كُله» (١) . وقال ﷺ : « مَا مَلَأَ أَدْمِيُّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صَلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ : فَتَلَّتْ لِطْعَامِهِ ، وَتَلَّتْ لِشْرَابِهِ ، وَتَلَّتْ لِنَفْسِهِ » (٢) ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تُفْسِدُ الْقَلْبَ وَتَسَبِّبُ النَّوْمَ ...

ويحتاج طالب العلم في طلبه إلى تخوُّلٍ بالعلم والموعظة

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ ، كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا » (٣) . وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ بِقَوْلِهِ : ( بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفِرُوا ) .

فالتَّالِبُ يَحْتَاجُ إِلَى تَخَوُّلٍ بِالْعِلْمِ وَالْمَوْعِظَةِ ، تَخَوُّلٍ بِالْعِلْمِ فَلَا يُرْهِقُ نَفْسَهُ ، وَيَأْخُذُهَا مَعَ الْأَيَّامِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَرِهَ السَّامَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَالْمَلَلَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَقَالَ : « عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيفُونَ ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا » (٤) .

- 
- (١) تذكرة السامع ، لابن جماعة : ص ١٢١ .  
 (٢) سنن الترمذي : أبواب الزهد : باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، رقم ٢٤٩٩ .  
 وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٢٨/٢ ، رقم ١٩٣٩ .  
 (٣) البخاري : العلم : باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا : ٣٨/١ ، رقم ٦٨ .  
 (٤) البخاري : ٢ - الإيمان ٣١ - باب أحب الدين إلى الله أدومه : ٢٤/١ ،

والعلم عبادة فينبغي الترقُّق فيه والتخوُّل بالموعظة في الأيام واستعمال الرقائق والدُّكر حتَّى يلين القلب وتذهب عنه السَّامة ويتجدَّد نشاطه .

**قال** عليه السلام : « **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَيِّينٌ فَأَوْعِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ ، وَلَا تُبِعِّضْ عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ الْمَنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى** » (١) ، وهذا أصل عظيم جديرٌ بالتنبُّه .

وقد كان لمنهجه عليه السلام آثارٌ وأصداءٌ واسعة في صحابته رضي الله عنهم وتابعيهم وفي العلماء من بعدهم ، ففي التراويح :

**قال علي بن أبي طالب** عليه السلام : **رَوَّحُوا الْقُلُوبَ وَابْتَغُوا لَهَا طَرْفَ الْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ** » (٢) . وقال

رقم ٤٣ .

(١) معرفة علوم الحديث ( ٩٥ ، ٩٦ ) . والبزَّار ( ٧٤ ) .  
قال الألباني - رحمه الله - في معرض تضعيفه للحديث من طريق أبي صالح عند البيهقي : ١٩/٣ ، وفي الشعب ٣٨٦٦ .  
قال : وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً به دون قوله : « فاعمل .. » أي إلى الجزء المذكور أعلاه . انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة : ٥٠١/٥ ، رقم ٢٤٨٠ .

وقد حسَّن الحديث من رواية أنس الوارد في مسند أحمد : ٣٩٦/٤ ، طبعة دار الفكر ، والحديث بلفظ : « **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَيِّينٌ فَأَوْعِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ** » ولم ترد العبارات الأخرى . انظر تحسينه له في صحيح الجامع : ٢٥٥/٢ .

(٢) الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السامع للخطيب : ١٨٣/١ ، رقم ١٤٢٨ ، ولم أقف على من حكم عليه .

قسامة بن زهير : « رَوَّحُوا الْقُلُوبَ تَعِي الدُّكْرَ » (١) ، وقال ابن شهاب : « رَوَّحُوا الْقُلُوبَ ، سَاعَةَ وَسَاعَةَ » (٢) .  
وعن أبي خالد الوالبي قال : « كُنَّا نَجَالِسُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ ، وَيَتَذَكَّرُونَ أَيَامَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ » (٣) .

وكان الزُّهْرِيُّ يحدِّثُ ثُمَّ يَقُولُ : « هَاتُوا مِنْ أَشْعَارِكُمْ ، هَاتُوا مِنْ أَحَادِيثِكُمْ فَإِنَّ الْأُذُنَ مَجَّاجَةٌ ، وَالنَّفْسُ حَمِضَةٌ » (٤) . فالنفس تحتاج إلى مُلْحِ الْعِلْمِ ، وفوائده ، والقصص المفيد والمغازي والسَّيْرِ ، والأشعار الهادفة الصادقة .

وفي الحثِّ على طلب العلم والصبر والمصابرة والمجاهدة والمثابرة وعلوِّ الهمة استفاضت كتبهم وآثارهم بحِكْمِهِمْ ونصائِحِهِمْ ووعظهم منظومةً ومنثورةً . فمن ذلك : يقول الشَّافِعِيُّ - رحمه الله - : « لَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى الضَّرِّ » (٥) . وقال : « وَالنَّاسُ طَبَقَاتٌ فِي الْعِلْمِ ، مَوْقِعُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِقَدْرِ دَرَجَاتِهِمْ فِيهِ ، فَحَقُّ عَلَى طَلِبَةِ الْعِلْمِ بَلُوغُ غَايَةِ جُهْدِهِمْ فِي الْاِسْتِكْثَارِ مِنْ عِلْمِهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى

(١) المصدر السابق : ١٨٤/٢ ، رقم ١٤٢٩ .

(٢) جامع بيان العلم : ٤٣٤/١ ، رقم ٦٦٣ ، وصحَّحَ المحققُ إسناده .

(٣) المصدر السابق : ٤٣٥/١ ، رقم ٦٦٤ ، وحسَّنَ المحققُ إسناده .

(٤) المصدر السابق : ٤٣٢/١ ، رقم ٦٥٥ ، وصحَّحَ المحققُ إسناده .

(٥) الفقيه والمتفقه : ١٨٦/٢ ، وصحَّحَ إسناده المحقق .

كلّ عارضٍ دون طلبه ، وإخلاص النية لله في إدراك علمه نصّاً واستنباطاً ، والرغبة إلى الله في العون عليه ، فإنّه لا يُدركُ خيرٌ إلّا بعونه» (١) .

وقال أبو هلال العسكري (٢) : « قال الجاحظ : العلم عزيز الجانب ، لا يُعطيك بعضه حتّى تُعطيه كلّك ، وأنت إذا أعطيته كلّك ، كنت من إعطائه إياك البعض على خطر

- (١) الفقيه والمتفقه : ٢٠٤/٢ ، رقم ٨٦٣ ، وصحّح المحقق إسناده .  
 (٢) الحثّ على طلب العلم ، له : ص ٤٧ . وأبو هلال العسكري هو : الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران ، أبو هلال اللغوي العسكري ، في مولده ووفاته اختلاف وغموض ، غير أنّه كان حيّاً قطعاً سنة ٣٩٥ .  
 انظر في ترجمته : معجم الأدباء للحموي : ٩١٨/٢ ، رقم الترجمة ٣٢٣ ، ومن أشهر كتبه : الصناعتين ، وجمهرة الأمثال ، وديوان المعاني ، ومن شعره :

فد تماطاك شبابٌ      \*      وتغشاك مشيبٌ

فأتى ما ليس يمضي      \*      ومضى ما لا يؤوبُ

فتأهب لسقام      \*      ليس يشفيه طبيبٌ

لا توهمه بعيداً      \*      إنّما الآتي قريبٌ

وقال في موضع آخر :

ولا خير في قوم تذلُّ كرامهم      \*      ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُّ

والجاحظ هو : أبو عثمان : عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني من أهل البصرة ، انظر : معجم الأدباء : ٢١٠١/٥ ، رقم الترجمة ٨٧٢ .

، وقال أبو هلال تعليقا على هذا : وقد صدق ، فكم من راغب مجتهد في طلب لا يحلّ منه بطائل على تعبه ومواصلة دأبه ونصبه ، وذلك إذا نقص ذكاؤه ، وكلّ ذهنه ونَبَت قريحته )) اهـ .

وقد يُحرّمه الذكيُّ بذنبِ أصابه ، أو قد سبق في علم الله أنّه لا يصلح له ، إذ قد يُطغّيه أو يتكبرُ به أو لا يعمل به ، فالله أعلم حيث يجعل ميراث أنبيائه .

قال الشافعيّ : شروط تحصيل العلم بعد توفيق الله ﷻ للمراء :

أخي لن تنال العلم إلا بسنة \* سأنبيك عن تفصيلها بيان  
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة \* وصحبة أستاذ وطول زمان (١)

وقال أبو هلال العسكري (٢) :

غنّاي غنى نفسى ومالي قناعتي \* وكزى آوابى وزبى عفافيا  
ألا لا يذمُّ الدهر من كان عاجزا \* ولا يعذل الأقدار من كان وائيا  
فمن لم تبلغه المعالي نفسه \* فغير جدير أن ينال المعاليا

وقال الشافعيّ (٣) : العلم جهلٌ عند أهل الجهل ، كما أنّ

(١) ديوان الشافعيّ : ص ٤٣ ، تحقيق محمد عبدالرحمن ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤ م .

(٢) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري : ص ٤٦ ، وانظر البيت الأوّل في الحاشية ، ص ٤٧ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ١٥٠/٢ .

الجهل جهلٌ عند أهل العلم ، وأنشد فيه :

ومنزلةُ السفيه من الفقيه      \* كمنزلةُ الفقيه من السفيه  
فهذا زاهدٌ في قُرب هذا      \* وهذا فيه أزهْدُ منه فيه

وقال عبدالله بن المعتز<sup>(١)</sup> : العالم يعرف الجاهل ، لأنَّه قد كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لأنَّه لم يكن عالمًا .  
وقال الخطيب<sup>(٢)</sup> : وقد قيل : المرء عدو ما جهل ، أو من جهل شيئاً عاداه .

وقال : ونُظم هذا الكلام في أبيات تُعزى إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فالله أعلم بصحة ذلك ، وهي :

الناس من جهة التمثيل أكناء      \* أبوهم آدمُ والأم حواءُ  
فإن يكن لهم من بعد ذا نسبٌ      \* يفاخرون به ، فالطين والماء  
ما الفخرُ إلا لأهل العلم إنهمُ      \* على الهدى لمن استهدى أدلاءُ  
وقدرُ كل امرئٍ ما كان يُحسِنُهُ      \* والجاهلون لأهل العلم أعداء  
فِعش بعلم ، ولا تبغى به بدلاً      \* فالناس موتى ، وأهل العلم أحياءُ

ثمَّ قال : وهذا المعنى مأخوذ من قول الله سبحانه : { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ }<sup>(٣)</sup> .

(١) الفقيه والمتفقه : ١٥٠/٢ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٥٠/٢ .

(٣) يونس : الآية ( ٣٩ ) .

وقال الزرنوجي <sup>(١)</sup> : « وقد قيل : من طلب شيئاً وجدَّ ؛  
 وجدَّ ، ومن قرع الباب ولجَّ ؛ ولجَّ ، وقيل : بقدر ما تتعنى  
 تنال ما تتمنى » ، ثم قال : أنشدني الشيخ الأستاذ سديد الدين  
 الشيرازي - رحمة الله عليه - للإمام الشافعي :

الجدُّ يَدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِمٍ      \*      والجدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مَغْلَقٍ

ثمَّ قال : ولا بُدَّ للطالب من سهر الليالي ، كما قال  
 الشاعر :

|                                       |  |
|---------------------------------------|--|
| يَقْدِرُ الكَدَّ تُكْتَسِبُ المعالي   | *      ومن طلب العُلا سهر الليالي              |
| تُرْوَمُ العَزْزُ ثُمَّ تَنَامُ ليلاً | *      يَغْوِصُ البَحْرَ مِنْ طَلَبِ اللَّائِي |
| عَلُوُّ الكَعْبِ بِالهِمَمِ العوالي   | *      وَعِزُّ المَرءِ فِي سَهْرِ اللَّيالي    |
| ومن رام العُلا من غير كد              | *      أَضَاعَ العُمُرَ فِي طَلَبِ المُحَالِ   |
| تركتُ النومَ ربي في الليالي           | *      لِأَجْلِ رِضَاكَ يَا مَوْلَى المَوالي   |
| فوقفتُ إلى تحصيل علم                  | *      وَبَلَغَنِي إِلَى أَقْصَى المعالي       |

ثمَّ قال : فيغتنم أيام الحداثة وِعُنُقُوانَ الشَّبابِ كما قيل :

|                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| يَقْدِرُ الكَدَّ تُعْطَى ما تُرْوَمُ | *      فمن رام المُنَى ليلاً يَقُومُ    |
| وأيام الحداثة فاغتنمها               | *      أَلَا إِنَّ الحِداثةَ لا تَدُومُ |

ولا بُدَّ لطالب العلم من الهمة العالية ، فإنَّ المرء يطيرُ  
 بهمَّه وعزمه وقصده كالطير بجناحيه ، قال أبو الطيب  
 المتنبي :

(١) تعليم المتعلم ، للزرنوجي : ص ٢٦ - ٣٠ .



على قدر أهل العزم تأتي العزائم ❁ وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها ❁ وتصغر في عين العظيم العظائم

ثم قال : والرأس في تحصيل الأشياء الجدُّ والهمة العالية  
. ا. ه .

وقال أبو محمد : طاهر بن الحسين المخزومي البصري في  
الجدِّ والمثابرة<sup>(١)</sup>:

صل السعى فيما تبغيه مثابراً ❁ لعل الذي استبعدت منه قريب  
وعاوده إن أكدي بك السعى مرة ❁ فبين السهام المخطيات مصيب

ونقل ابن جماعة في تذكرة السامع ، في المجاهدة ونيل  
المعالي ، وفي تربية النفس<sup>(٢)</sup> :

تريدن إدراك المعالي رخيصة ❁ ولا بدّ دون الشهد من إبر التحل

وقال ابن جماعة : « أن يأخذ نفسه بالورع في جميع  
شأنه ، ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه  
وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله »<sup>(٣)</sup> .

وروى الخطيب بسنده إلى الأصمعي ، قال : « وعظ  
أعرابي أخاً له فقال : يا أخي إنك طالبٌ ومطلوبٌ ، فبادر  
الموت ، واحذر الفوت ، وخذ من الدنيا ما يكفيك ، ودع  
منها ما يطغيك ، وإياك والبطنة ، فإنها تُعمي عن الفطنة »

(١) الفقيه والمتفقه : ١٦٦/٢ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم : ص ٥٩ .

(٣) تذكرة السامع : ص ١٢١ .

(١)

وقال الشافعيّ : (( العلم بطيء اللزام ، بعيد المرام ، لا يُدرك بالسَّهَم ، ولا يُرى في المنام ، ولا يورث عن الآباء والأعمام ، إنّما هو شجرة ، لا تصلحُ إلاّ بالغرس ، ولا تُغرسُ إلاّ في النَّفس ، ولا تُسقى إلاّ بالدرس ، ولا يحصلُ إلاّ لمن أنفق العينين ، وجثا على الركبتين . ولا يحصلُ إلاّ بالاستناد إلى الحجر ، وافتراش المدر ، وقلة النوم ، وصلة الليل باليوم ، انظر إلى من شغله نهاره بالجمع ، وليله بالجماع ، أخرج من ذلك فقيهاً ، كلا والله !! حتّى يعتضد الدفاتر ، ويستحصل المحابر ، ويقطع القفار ، ولا يفصل في طلبه بين الليل والنهار )) (٢) .

قال ابن جماعة : (( ولم يُر أحدٌ من الأولياء ، والأئمة العلماء ، يصف أو يوصف بكثرة الأكل . والذهن الصحيح أشرف من تبديده وتعطيله بالقدر الحقيق من طعام يؤول أمره إلى ما قد عُلم ، ومن رام العلم مع كثرة الأكل والشرب والنوم ، فقد رام مستحيلاً في العادة )) (٣) .



(١) الفقيه والمتفقه : ٢٠٩/٢ ، رقم ٨٧٠ .

(٢) طلب العلم ، وفضل العلماء : ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) تذكرة السامع : ص ١٢٠ باختصار .



### المطلب الرابع : ( حفظُ العُمُرِ والشبابِ خاصّة ) .

قال ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمَلَ فِيْمَا عَلِمَ » (١) .

فذكر ﷺ أَنَّ العبدَ سَيُسْأَلُ عن عمره فيما أفناه ، فليُعدِّ لذلك السؤال . فينبغي للعاقل أن لا يُضَيِّعَ لحظة . وخاصة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ » (٢) . فالدنيا مزرعة الآخرة ، وطلبُ العلمِ وتعليمه ونشره من أفضل العبادات والقربات .

ثمَّ اختصَّ مرحلة الشباب بسؤال : « وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ » . وهذا دليلٌ صحيحٌ صريحٌ عن أهمية مرحلة الشباب وأثمه ينبغي استغلالها وعدم إضاعتها ، فالمعول في العمر عليها . وطالب العلم ينبغي أن يُفَرِّغَ نفسه للعلم إلا من الواجبات التي لا بُدَّ منها كالمعاش وصلة الأرحام وغيرها .

وقد روى صخر بن وداعة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » (٣) ، وفي رواية له : « بُورِكَ لِأُمَّتِي »

---

(١) سنن الترمذي : ٦٧/٢ ، وقال الألباني : صحيح لشواهده ، انظر : المشكاة : ١٤٣٥/٣ ، رقم ٥١٩٧ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب الدعوات : باب ٦١ ، رقم ٣٧١١ ، وصححه الألباني ، انظر صحيح سنن الترمذي : ١٦٠/٣ ، رقم ٢٧٥٧ .

(٣) رواه الترمذي ، انظر : مشكاة المصابيح : ج ٢ ، رقم ٣٩٠٨ . قال الألباني : وإسناده جيد ، وتامه : « وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَأَثَرَى وَكَثُرَ مَالُهُ » . ورواه

في بُكُورِهَا» . لذا ينبغي لطالب العلم أن يغتتم وقت البركة وهو الإبكار فيجعله لما يريد حفظه ، أو فهمه من المسائل الدقيقة . ولا يفوته هذا الوقت بنوم أو غيره .

وكان صحابة رسول الله ﷺ يحرصون أشدَّ الحرص على طلب العلم وحضور مجالس النبي ﷺ روى الإمام البخاري - رحمه الله - عن أبي هريرة ؓ قوله : (( ... وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَيْعِ بَطْنِهِ ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ )) (١) .

وكان عمر بن الخطاب ؓ يتناوب هو وصاحبه على ملازمة النبي ﷺ ، فكان ينزل من العوالي يوماً ، وصاحبه يوماً حتى لا يفوته العلم ، وأخبار النبي ﷺ .

وقد أمر النبي ﷺ باغتنام العمر والشباب والصحة قبل السقم فإنَّ الإنسان لا يدري ما يعرض له . قال ﷺ : (( اغتتم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك )) (٢) ، وقال ﷺ : (( نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ

ابن ماجه : ٢٢٣٦ ، وصححه الألباني ، انظر صحيحه برقم ١٨١٨ ، باب ما يرجى من البركة في البكور .

(١) البخاري : العلم : باب حفظ العلم : ٥٥/١ ، رقم ١١٨ .

(٢) اقتضاء العلم العمل : رقم ١٧٠ ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ، ورواه أحمد في المسند ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الجامع برقم ١٠٨٨ .

« مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ »<sup>(١)</sup> . فقد يشغل الإنسان ، أو يمرض ، بل قد يفجأه الأجل وهو لا يعلم ، فالمبادرة بالأعمال المطلوبة ، ومنها العلم ، وقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةَ وَإِقْبَالَ ، فَاغْتَنَمُوهَا عِنْدَ شَهْوَتِهَا ، وَدَعُوهَا عِنْدَ فِتْرَتِهَا وَإِدْبَارِهَا »<sup>(٢)</sup> .

وقد روي عن السلف - رحمهم الله - اهتمامهم الشديد بالوقت . فقد قال صدقة بن يسار : « كَانَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ يُجْزِيءُ اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ : ثَلَاثًا يَنَامُ ، وَثَلَاثًا يَصْلِي ، وَثَلَاثًا يَذْكَرُ فِيهِ الْحَدِيثَ »<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن الجوزي : « يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ الْحِفْظَ أَنْ يَتَشَاغَلَ بِهِ فِي وَقْتِ جَمْعِ الْهَمِّ ، وَمَتَى رَأَى نَفْسَهُ مَشْغُولَ الْقَلْبِ تَرَكَ التَّحْفُظَ ، وَقَدْ مُدِحَ الْحِفْظَ فِي السَّحْرِ لِمَوْضِعِ جَمْعِ الْهَمِّ ، وَفِي الْبَكْرِ ، وَعِنْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَرِيحَ نَفْسَهُ مِنَ الْحِفْظِ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالْبِنَاءِ الَّذِي يُرَاحُ لِيَسْتَقِرَّ »<sup>(٤)</sup> .

« وَقِيلَ لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ : مَا أَعُونُ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْحِفْظِ ؟ »

- 
- (١) البخاريّ : ٢٣٥٧/٥ ، رقم ٦٠٤٩ .
  - (٢) الجامع في الحثّ على حفظ العلم : ص ١٧٨ .
  - (٣) المرجع السابق : ص ١٧٥ ، رقم ١٨٠٦ ، وقال : إسناده صحيح عن عمّرو بن دينار ، وضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه .
  - (٤) الحثّ على حفظ العلم ، لابن الجوزي : ص ٢٢ .

قال : قلة الغمّ» (١) .

وقال ابن الجوزي : « فلا يضيّع منه لحظة في غير  
قربة ، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل » (٢) .

وقال إسماعيل بن أبي أويس : « إذا هممت أن تحفظ شيئاً  
فقم ، وقم عند السحر ، فأسرج وانظر فيه فإنك لا تنساه بعد  
إن شاء الله » (٣) .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : « تأملت حالة تدخل  
على طلاب العلم توجب الغفلة عن المقصود ، وهو  
حرصهم على الكتابة ، خصوصاً المحدثين ، فيستغرق ذلك  
زمانهم عن أن يحفظوا ، أو يفهموا ، فيذهب العمر وقد  
عُرُوا عن العلم إلا اليسير . فمن وُقِّع جعل معظم الزمان  
مصروفًا في الإعادة والحفظ ، وجعل وقت التعب من  
التكرار للنسخ فيحصل له المراد .

ولما كانت القوى تملّ ، فيحتاج إلى تجديد ، وكان النسخ  
والمطالعة والتصنيف لا بُدّ منه مع أنّ المهمّ الحفظ ، وجب  
تقسيم الزمان على الأمرين .

فيكون الحفظ في طرفي النهار وطرفي الليل ، ويُوزّع  
الباقي بين عمل النسخ والمطالعة ، وبين راحة البدن وأخذ

(١) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ١٧٦ ، رقم ١٨٠٩ .

(٢) صيد الخاطر : ص ٤٨٠ .

(٣) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ١٧٧ ، رقم ١٨١٠ .

## لحظة .

ولا ينبغي أن يقع الغبن بين الشركاء . والنفس تهرب إلى النسخ والمطالعة والتصنيف عن الإعادة والتكرار لأن ذلك أسهل وأخفّ عليها .

وسيندم من لم يحفظ وقت الحاجة إلى النظر والفتوى ،  
وينبغي أن يُحكم الحفظ ويُكثر التكرار لِيُثَبَّتْ قاعدة الحفظ «  
اهـ .





المبحث الثاني : ( ما يؤخذ من العلم وعن يؤخذ ) .

## المطلب الأول : أخذ المهم ، وتقديم الأهم والتدرج فيه .

### المسلك الأول : أخذ المهم من كل علم ، ثم التخصص .

قال الله تعالى : { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } <sup>(١)</sup> ، وقال : { كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ } <sup>(٢)</sup> . قال مجاهد : (( ربانيين فقهاء )) <sup>(٣)</sup> ، وقال سعيد بن جبير وأبو رزين وقتادة : (( علماء حلماء )) <sup>(٤)</sup> . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - (( أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً . قال : مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأَخْبَرَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ فَفَهِّهُ فِي الدِّينِ )) وفي لفظ قال : (( ضَمَّنِي وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ )) <sup>(٥)</sup> . ومن حديث عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ )) <sup>(٦)</sup> . أي : أفضلكم وأحسنكم من تعلم القرآن وعمل به وعلمه ، وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - قال : (( حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ : رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ : حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَدْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ

(١) الجمعة : الآية ( ٢ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ٧٩ ) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله : انظر صحيحه : ص ٤٥٤ ، رقم ١٥٩٨ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : انظر صحيحه : ص ٤٥٤ ، رقم ١٥٩٩ .

(٥) صحيح البخاري : انظر : الفتح : ١/١٤٣ ، والجزء الأخير في ص ٧٥ .

(٦) صحيح البخاري : انظر : الفتح : ٩/٥٠٢٧ .

عَلِّمُوا مِنَ السُّنَّةِ ... الحديث)) (١) .

والأمانة هي كما قال صاحب التحرير : قال : (( الأمانة المذكورة في الحديث هي الأمانة المذكورة في الآية ، وهي عين الإيمان ، فإذا استمكنت في القلب قام بأداء ما أمر به واجتنب ما نهى عنه ، وقال ابن العربي : المراد بالأمانة في حديث حذيفة : الإيمان )) (٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ : (( يا أيها الناس إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ... الحديث )) (٣) .

ولا يكون الاعتصام بهما إلا بعد العلم والمعرفة بهما ، فهما أسّ العصمة من الضلالة ، والنجاة من الهلكة ، والعلم بهما وتطبيقهما أصل الدين وأساسه .

وعن العرياض ، قال : قال ﷺ : (( ... فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ ... الحديث )) (٤) . فهذا أمرٌ منه

(١) المصدر السابق : انظر : الفتح : ٧٠٨٦/١٣ .

(٢) فتح الباري : كتاب الفتن : باب إذا بقي في حُثالة من الناس : ٤٣/١٣ .

(٣) المستدرك للحاكم : كتاب العلم : ١٧١/١ ، رقم ٣١٨ . وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح في تعليقه على حديث مالك بن أنس المرسل الذي رواه بنحو هذا الحديث ، قال : (( لكن له شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه الحاكم )) ، وهو هذا الحديث .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : انظر : صحيح جامع بيان العلم :

ﷺ بالتمسُّك بما عُرِف من سنَّته ﷺ وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعده ، وعن عبدالله بن مسعود أنَّه كان يقوم الخميس قائماً فيقول : (( إِنَّمَا هُمَا اثْنَانِ : الْهَدْيُ وَالْكَلامُ ... الْأَثَرُ )) (١) . فهذا ابن أمَّ عبد يُذَكِّر الصَّحَابَةَ كُلَّ خَمِيسٍ ، ويحصر الهداية والدين بالكتاب والسنة ، ويخصَّهما به ، وقال ﷺ : (( اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، واهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ )) (٢) .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : (( كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ )) (٣) . فهذا المنهج : تعلُّم عشر آيات مع تفسيرها وفهمها والعمل بها .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : (( ... وَتَنْزَلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا ، وَمَا يَنْبَغِي

---

برقم ١٦٦٧ ، وقال : حديث صحيح أخرجه أبو داود ( ٤٦٠٧ ) ،  
والترمذي ( ٢٦٧٦ ) ، وابن ماجه ( ٤٣ ، ٤٤ ) ... الخ . انظر  
تخريجه كاملاً : ص ( ٤٧٣ ) من صحيح جامع بيان العلم .

(١) صحيح جامع بيان العلم : رقم ١٦٦٥ ، وقال : حديث صحيح ،  
وانظر تخريجه مفصلاً : ص ٤٧٢ من صحيح جامع بيان العلم .

(٢) المصدر السابق : رقم ١٦٦٩ ، وقال : حديث صحيح ، وانظر  
تخريجه : ص ٤٧٤ .

(٣) جامع البيان للطبري : ١/٨٠ ، رقم ٨١ ، وقال شاکر : (( هذا إسناد  
صحيح موقوف )) .

أن يوقف عنده فيها ... الأثر)) (١) . فمعرفة الحلال والحرام إنما تكون بعد الإيمان . فإذا نزلت السورة تعلموا ما فيها من حلال وحرام وأحكام وواجبات وسنن وغيرها .

فالطلب والعلم والمعرفة والفهم والتفسير كله منصبٌ على كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ ، والفقهاء فيهما ، ثم العمل والتطبيق .

مثال تطبيقي في طلب الصحابة تفسير القرآن :

في تفسير قول الله تعالى : { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } (٢) . روى الإمام البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! ما { الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ } ؟ أهما الخيطان ؟ قال : إنك لعريض الفقا إن أبصرت الخيطين ، ثم قال : لا ، بل هو سواد الليل ، وبياض النهار )) (٣) .

والأمثلة كثيرة على ذلك ، تراجع في كتب التفسير ، وفي كتب التفسير من الصحيحين ، والمسانيد ، وغيرها . ثم تأتي مرحلة التخصص في العلم ، ويشير إلى ذلك

(١) المستدرك : ٩١/١ ، رقم ١٠١ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط

الشيخين ، قال في التلخيص : على شرطهما ولا علة له .

(٢) البقرة : الآية ( ١٨٧ ) .

(٣) البخاري : التفسير : باب : { وكلوا واشربوا ... } : ١٦٤٠/٤ ،

رقم ٤٢٤٠ .

أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عن المتخصصين المهرة به ،  
حيث قال : « خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ ،  
وَمُعَاذٍ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ » (١) .

ولقد تمسك الصحابة - رضوان الله عليهم - بهذا المنهج  
وطبقوه في واقع حياتهم ، فكانوا خير نموذج لخير معلم ،  
وهكذا جيلُ التابعين في عمومه - رحمهم الله - .

ثمَّ لما بعدُ العهدُ ، وبدأت العُجْمَةُ تنخر في العرب ،  
أحتيج إلى النحو ، وهكذا لمَّا بدأ الكذب على رسول الله ﷺ  
أحتيج إلى علومٍ إضافية لم تكن لها حاجة في عهد النبوة .

فاجتهد العلماء - رحمهم الله - في تحقيق المنهج الصحيح  
والوصاية به ...

ولقد أدرك ابن عباس - رضي الله عنهما - في آخر عهده  
شيئاً من هذا التحول ، يقول - رضي الله عنهما - : « العلم  
أكثر من أن يُحصى ، فخذوا من كلِّ شيءٍ أحسنه » (٢) .

وقال ابن الجوزي : « رأيت أن أخذ المهمّ من كل علم هو  
المهمّ » (٣) .

(١) البخاري : فضائل القرآن : باب الثراء من أصحاب رسول الله ﷺ :  
١٩١٢/٤ ، رقم ٤٧١٣ .

(٢) جامع بيان العلم : انظر : صحيحه : ص ١٢١ ، رقم ٣٩٤ .

(٣)

وقال منصور الفقيه :

قالوا : خُذ العَيْنَ مِنْ كُلِّ قَلْتٍ لَهُمْ ❁ فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ وَلَكِنْ نَظَرَ الْعَيْنَ  
حِرْفَانٌ فِي أَلْفِ طُومَارٍ مَسْوَدَةٍ ❁ وَرَبَّمَا لَمْ تَجِدْ فِي الْأَلْفِ حَرْفَيْنِ

وقال الناظم :

إِنَّمَا الْعِلْمُ كَبْحَرٍ زَاخِرٍ ❁ فَخُذْ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ أَحْسَنَهُ

والحكمة تقول : (( خُذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَخُذْ مِنْ  
شَيْءٍ كُلَّ شَيْءٍ )) . وهي تعني الشمول ثم التخصص .

فإنَّ العلمَ غزير ، والعمرَ عزيز ، فمن رام العلمَ كلَّه فقد  
طلب المستحيل ، وأضاع عمره فيه ، ونسي أنَّ العلمَ آلة  
العمل . فينبغي للطالب أن يختار من كلِّ علمٍ أحسنه ،  
ويكون له فيه أصل يرجع إليه . ثمَّ يتخصَّص في العلم الذي  
تميل إليه نفسه .

أما الانفراد بعلمٍ واحدٍ من أوَّل الطلب مع ترك العلوم  
الأخرى لا يتعلَّمها ولا يتأسس فيها فهذا خلل منهجيٌّ عظيم  
، إذ العلم الشرعي مترابط لا ينفكُّ بعضُه عن بعض .  
فالإغراق في علمٍ واحدٍ قبل التأسيس مزلق خطير قد يؤدي  
بصاحبه إلى التعالم والغرور والشذوذ في بعض مسائل العلم .

ولكن التوسع في علمٍ أو علمين واستفراغ الجهد فيه لا  
يكون إلا بعد التأسيس .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : (( ما ناظرني رجلٌ قطُّ  
وكان مفننًا في العلوم إلا غلبته ، ولا ناظرني رجلٌ ذو فنٍّ

واحد إلا غلبنني في علمه ذلك» (١).

وأثر عن الشافعي قوله: «من تعلم علماً فليُدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم» (٢).

وأثر عن الشعبي أيضاً قوله: «ما ناظرتُ صاحب فنٍّ إلا غلبنني ، ولا ناظرتُ صاحب فنونٍ إلا غلبته» . لأن صاحب الفن الواحد يكون محرراً له أكثر من صاحب الفنون . فكلام السخاويّ مقدّم على السيوطي ، لأنّه صاحب فنٍّ واحد .

فالتخصص في العلوم مهمّ لحفظ العلم من الدروس ومن عبث العابثين ، وهم مهمّ لنهضة الأمة .



---

(١) جامع بيان العلم وفضله : ١٥٨/١ .

(٢) مناقب الشافعيّ ، للبيهقي : ١٤٢/٢ .

## المسلك الثاني : تقديم الأهم .

أمر النبي ﷺ بالترتيب في دعوة الناس وتعليمهم وتقديم ما حقه التقديم ، وتأخير ما حقه التأخير . فقد أمر معاذًا ، حينما أرسله إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه ، التوحيد والإيمان بالله ﷻ ومعرفة الله ، ومعرفة نبيه ﷺ ، فإذا أطاعوه انتقل في دعوتهم وتعليمهم إلى تعليم الصلاة ، ثم الزكاة ، وهكذا ... فقد قال ﷺ لمعاذ :

« فليكن أول ما ندعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى .

فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في يومهم وليلتهم .

فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترضَ عليهم زكاةً في أموالهم يُؤخذُ من غنيهم فنردُّ على فقيرهم .

فإذا أقرؤا بذلك فخذ منهم وتوقَّ كرائمَ أموال الناس » (١) .

فدل ذلك على لزوم الترتيب . فالصلاة مهمة ، ولكن التوحيد والإيمان أهم منها ، ولا تصلح ولا تُقبل إلا به ، وكذلك الزكاة مهمة لكن الصلاة أهم ، وهكذا في تعليم الناس وتعلمهم .

فعلم أن طلب العلم مراتب ودرجات لا ينبغي تجاوزها

---

(١) البخاري : كتاب التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .



وإغفالها والقفز عليها . ففي حديث جندب بن عبدالله البجلي قال : « فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً . وإيكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان » (١) ، وفي حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - يقول : « لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أهدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ ، فيتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها ، كما تعلمون أنتم القرآن ، ثم قال : لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدري ما أمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ، ينثره نثر الدقل » (٢) .

فدل ذلك على أن الإيمان في المقدمّة ، ثمّ تعلم عشر آيات من القرآن كما دلّ عليه حديث عبدالله بن مسعود ، إذ يقول : « كان الرجلُ ميّاً إذا تعلم عشر آياتٍ لم يجاوزهنّ حتّى يعرف معانيهنّ ، والعمل بهنّ » (٣) . لا يُجاوزها حتّى يعلم الأحكام التي فيها ، حلالها وحرامها ، وأوامرها وزواجرها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، ثمّ يعمل بها ، ومن ثمّ ينتقل إلى غيرها .

إدّا الأولى بالتقديم هو الإيمان بالله ﷻ ، ومعرفة الله ﷻ

(١) شعب الإيمان للبيهقي : ٧٥/١ ، رقم ٥١ . وسبق تخريجه .

(٢) المستدرک : ٩١/١ ، رقم ١٠١ . وسبق تخريجه .

(٣) تفسير الطبري : ٨٠/١ ، رقم ٨١ ، وقد سبق الكلام عليه .

، ثُمَّ تَعَلَّمَ الصَّلَاةَ ، وَيَلْزِمُ لِذَلِكَ تَعَلُّمَ الطَّهَارَةِ لَهَا ، ثُمَّ تَعَلَّمَ  
الزَّكَاةَ وَمَا يَلْزِمُ لَهَا ، وَهَكَذَا الصِّيَامَ ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ...  
وَذَلِكَ بِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعَلُّمِ تَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ بِالسُّنَّةِ الْمَطْهُرَةِ ،  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ }  
(١) .

فَتَعَلَّمَ السُّنَّةَ مَعَ الْقُرْآنِ ، وَلَكِنِ الْقُرْآنَ مُقَدِّمًا عَلَيْهَا فِي  
التَّعَلُّمِ وَالْفَهْمِ وَالْحِفْظِ .

فَعَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : « حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ... أَنَّ الْأَمَانَةَ  
نَزَلَتْ فِي جَدْرِ قُلُوبِ الرَّجَالِ ، ثُمَّ عُلِّمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ عُلِّمُوا مِنَ السُّنَّةِ ...  
الْحَدِيثُ » (٢) .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « كَذَا فِي هَذِهِ  
الرِّوَايَةِ بِإِعَادَةِ ثُمَّ ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ  
الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا السُّنَنَ . وَالْمُرَادُ بِالسُّنَنِ مَا يَتَلَقَّوْنَهُ عَنِ  
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَاجِبًا كَانَ أَوْ مَنْدُوبًا » (٣) .

وَلَقَدْ فَهَمَ الْعُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - هَذَا التَّرْتِيبَ وَطَبَّقُوهُ  
وَدَعَاوُا إِلَيْهِ . اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَتَأْسِيًا بِهَدْيِهِ ، فَهَذَا  
الْإِمَامُ ابْنُ رَجَبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ : « الْعِلْمُ النَّافِعُ يَدُلُّ عَلَى  
أَمْرَيْنِ :

(١) النحل : الآية ( ٤٤ ) .

(٢) صحيح البخاري : انظر الفتح : ٧٠٨٦/١٣ .

(٣) الفتح : كتاب الفتن : باب إذا بقي في حثالة من الناس : ٤٣/١٣ .

**أحدهما** : معرفة الله ، وما يستحقّه من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الباهرة ، وذلك يستلزم إجلاله ، وإعظامه ، وخشيته ، ومهابته ، ومحبته ، ورجائه ، والتوكل عليه ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه .

**والأمر الثاني** : المعرفة بما يُحبُّه ويرضاه ، وما يكرهه ويُسخطُّه من الاعتقادات ، والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال ((<sup>(١)</sup>).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : (( أول ما ينبغي تقديمه : مقدّمة في الاعتقاد ، تشتمل على الدليل على معرفة الله سبحانه ، ويذكر فيها ما لا بُدّ منه ، ثمّ يعرف الواجبات ، ثمّ حفظ القرآن ، ثمّ استماع الحديث ، ولابدّ من حفظ مقدّمة في النحو يقوم بها اللسان ، والفقهاء عمدة العلوم .

إلّا أنّ أقواماً أذهبوا الأعمار في حفظ النحو واللغة ، وإنّما يُعرف بها غريب القرآن والحديث ، وما يفضل من ذلك ليس بمذموم غير أنّ غيره أهمّ منه .

ولعمري أنّ ذلك حسن إلّا أنّ تقديم غير ذلك أهمّ .

وإذا أردت أن تعرف شرف الفقه ، فانظر إلى مرتبة الأصمعي في اللغة ، وسيبويه في النحو ، وابن معين في معرفة الرجال ، كم بين ذلك ومرتبة أحمد والشافعي في

(١) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب : ص ١٥١ .

الفقه ، ولو اتسع العمر لأمرئك باستقصاء كل علم ، إذ الكل ممدوح .

فلما قصرُ العمرُ وجب تقديم المهمِّ والأفضلِ )) (١) .

وقال ابن جماعة :

(( ١ - أنْ يبتدئُ أولاً بكتابِ الله العزيز ، فيتقنه حفظاً ، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه ، فإنَّه أصل العلوم وأمَّها وأهمها .

٢ - ثمَّ يحفظ من كلِّ فنٍّ مختصراً ، يجمع فيه بين طرفيه ، من الحديث وعلومه ، والأصولين ، والنحو ، والتصريف . ولا يشتغل بذلك عن دراسة القرآن وتعهّده ، وملازمة ورده منه في كل يوم أو أيام أو جمعة ، وليحذر من نسيانه بعد حفظه .

٣ - ويشتغل بشرح تلك المحفوظات على المشايخ ، وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب أبداً ، بل يعتمد في كلِّ فنٍّ من هو أحسن تعليماً له وأكثر تحقيقاً فيه وتحصيلاً منه ، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه ، وذلك بعد مراعاة الصفات المقدّمة من الدين والصلاح والشفقة ... وغيرها .

فإذا كانت طريقة شيخه نقل المذاهب والاختلاف ، ولم

(١) الحث على حفظ العلم : لابن الجوزي : باب في الإعلام بما ينبغي

تقديمه من المحفوظات : ص ٢٣ - ٢٤ مختصراً .

يكن له رأي واحد ، قال الغزالي : فليحذر منه ، فإنَّ ضرره أكثر من النفع به ))<sup>(١)</sup> ، ثمَّ قال - رحمه الله - : (( ويعتني من كل علمٍ بالأهم فالأهم ، ولا يغفلن عن العمل الذي هو المقصود بالعلم ، وأن يبكر بسماع الحديث ، ولا يهمل الاشتغال به وبعلمومه ، والنظر في إسناده ومعانيه وأحكامه وفوائده ، ولغته وتواريخه ))<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن عبدالبرّ - رحمه الله - : (( طلب العلم درجات ، ومناقل ، ورُتب لا ينبغي تعديها ، ومن تعدّاها جملة ، فقد تعدى سبيل السلف - رحمهم الله - ، ومن تعدّى سبيلهم عامداً ضلّ ، ومن تعدّاها مجتهداً زلّ . فأول العلم حفظ كتاب الله ﷻ وتفهمه ، وكلّ ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه ، ولا أقول إنّ حفظه كله فرض ، ولكني أقول : إنّ ذلك شرط لازم على من أحبّ أن يكون عالماً فقيهاً ناصباً بنفسه للعلم ليس من باب الفرض .

ثمَّ قال : القرآن أصل العلم ، فمن حفظه قبل بلوغه ثمَّ فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان ذلك له عوناً كبيراً على مراده منه ، ومن سنن رسول الله ﷺ ، ثمَّ ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه ، ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم في ذلك ، وهو أمر قريب على من

(١) تذكرة السامع : ص ١٦٧ - ١٧٠ باختصار مع إضافة الترقيم .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

قربه الله ﷺ عليه ، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله ﷺ في كتابه ، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً .

وفي سير رسول الله ﷺ تنبيه على كثير من الناسخ والمنسوخ في السنن ، ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الأئمة الثقات الحفاظ .

ومما يُستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله ﷺ ، وهو العلم بلسان العرب ، ومواقع كلامها ، وسعة لغتها ، وأشعارها ، ومجازها ، وعموم لفظ مخاطبتها وخصوصه ، وسائر مذاهبها لمن قدر فهو شيء لا يُستغنى عنه ، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يكتب إلى الآفاق أن يتعلموا السنن والفرائض واللحن - يعني النحو - كما يتعلم القرآن .

ويلزم صاحب الحديث أن يعرف الصحابة المؤدبين للدين عن نبيهم ﷺ ، ويُعنى بسيرهم وفضائلهم ، ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم حتى يقف على العدول منهم وغير العدول ، وهو أمرٌ قريب كله على من اجتهد .

فمن اقتصر على إمام واحد وحفظ ما كان عنده من السنن ووقف على غرضه ومقصده من الفتوى حصل على نصيب من العلم وافر ، فمن قنع بهذا اكتفى والكفاية غير الغنى .

ومن طلب الإمامة في الدين ، وأحب أن يسلك سبيل الذين جاز لهم الفتيا ، نظر في أقاويل الصحابة والتابعين والأئمة

في الفقه ، إن قدر على ذلك ، نأمره بذلك كما أمرناه بالنظر في أقاويلهم في تفسير القرآن .

فمن أحبّ الاقتصار على أقاويل علماء الحجاز اكتفى إن شاء الله واهتدى ، وإن أحبّ الإشراف على مذاهب الفقهاء متقدمهم ومتأخرهم بالحجاز والعراق ، وأحبّ الوقوف على ما أخذوا وتركوا من السنن ، وما اختلفوا في تثبيته وتأويله من الكتاب والسنة ، كان ذلك له مباحاً ووجهاً محموداً إن فهم وضبط ما علم ، أو سلم من التخليط ، نال درجة رفيعة ، وبهذا يحصل الرسوخ لمن وفقه الله وصبر .

ثمّ قال - رحمه الله - : واعلم يا أخي أنّ المفرط في حفظ المولدات لا يؤمن عليه الجهل بكثير من السنن إذا لم يكن تقدّم علمه بها ، وأنّ المفرط في حفظ طرق الآثار دون الوقوف على معانيها وما قال الفقهاء فيها لصغر من العلم ، وكلاهما قانع بالشتم من الطعام .

واعلم أنّ الفروع لا حدّ لها تنتهي إليه أبداً ، ولعلّه أن ينسى أوّل ذلك بآخره لكثرتة فيحتاج إلى أن يرجع إلى الاستنباط الذي كان يفرع منه ويجبن عنه تورّعاً بزعمه أن غيره كان أدري بطريق الاستنباط منه ، فلذلك عوّ على حفظ قوله ، ثمّ إنّ الأيام تضطره إلى الاستنباط مع جهله بالأصول ؛ فجعل الرأي أصلاً واستنبط عليه .

فعليك بحفظ الأصول والعناية بها ، واعلم أنّ من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن ، ونظر في

أقاول الفقهاء فجعله عونًا له على اجتهاده ومفتاحًا لطرائق النظر ، وتفسير الجُمْل المحتملة للمعاني ، ولم يقلد أحدًا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال دون نظر .

ولم يُرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها واقتدائهم في البحث والتفهم والنظر ، فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح ، وهو المتبع سنة نبيه ﷺ ، وهدى صحابته ﷺ وعمن اتباع بإحسان آثارهم .

ومن أَعفى نفسه من النظر ، وأضرب عما ذكرنا ، وعارض السنن برأيه ، ورام أن يردّها إلى مبلغ نظره فهو ضال مضل ، ومن جهل ذلك كله أيضًا وتقمم في الفتوى بلا علم فهو أشدُّ عمى ، وأضل سبيلا . واعلم يا أخي أن السنن والقرآن هما أصل الرأي ، والعيار عليه .

وليس الرأي بالعيار على السنة . بل السنة عيار عليه ، ومن جهل الأصل لم يصب الفرع أبدًا )) (١) .

وقد انتقد - رحمه الله - على طلاب زمانه انقسامهم إلى فريقين ، فريق يروي الحديث ويجمعه ولا يفهمه ، وقنع بالجهل فيما حمل ، فهم يجمعون الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، ويدينون بالشيء وضده ، شغلوا أنفسهم

(١) جامع بيان العلم وفضله : انظر : صحيح جامع بيان العلم : ص ٤٥٤



بالاستكثار عن التدبر والاعتبار ، وفريق آخر لم يُعنى بالقرآن ولا بالسنة ، قد اطرحوا علم السنن والآثار ، وزهدوا فيها ، وأضربوا عنها ، وعوّلوا على حفظ الرأي والاستحسان الذي كان عند العلماء آخر العلم والبيان ، وقد كان الأئمة يكون على ما سلف وسبق لهم من الفتوى فيه ، ويودّون أن حظهم السلامة منه .

فهم يقيسون في النوازل على آراء الأئمة التي حفظوها ، ويستدلون منها ، ويتركون طريق الاستدلال من حيث استدلال الأئمة وعلماء الأمة ، فحصلوا ما يحتاج أن يُستدل عليه دليلاً على غيره ، ولو علموا أصول الدين وطرق الأحكام وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم .

وشبّه الطائفة الأولى بالصيدلانية . وقال في الأخرى : )) وهؤلاء في جهل معاني ما حملوه مثلهم إلا أنهم كالمعالجين بأيديهم لعل لا يقفون على حقيقة الداء المولد لها ولا حقيقة طبيعة الدواء المعالج بها .

فأولئك أقرب إلى السلامة في العاجل والآجل ، وهؤلاء أكثر فائدة في العاجل وأكبر عذراً في الآجل (( (١) .



(١) جامع بيان العلم وفضله : انظر : صحيحه : ص ٤٥٧ - ٤٥٨ ملخصاً بالمعنى .



### المسلك الثالث : التدرُّج في التعلُّم .

قال الله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا } (١) . روى الطبري عن ابن عباس قال : « كان الله ينزل عليه الآية ، فإذا علمها نبيُّ الله نزلت آية أخرى ، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ، ويثبت به فؤاده » (٢) .

قال الله تعالى : { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } (٣) . قال الحافظ ابن كثير : « أي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم على مهل { وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } . أي شيئاً بعد شيء » (٤) .

وكذلك المتعلم ينبغي أن يأخذه على مهل ويتدرج في تعلُّمه وحفظه وفهمه حتى يثبت . عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : « حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرُنُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ » (٥) .

(١) الفرقان : الآية ( ٣٢ ) .

(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ج٩ الجزء ١٨ ، ص ١٠ .

(٣) الإسراء : الآية ( ١٠٦ ) .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٧٢/٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤١٠/٥ ، والطبري : ٨٠/١ ، رقم ٨٢ ، واللفظ

فهذا هو منهج الصحابة رضي الله عنهم في أخذ القرآن من النبي ﷺ عشر آيات لا يزيدون عليها حتى يعلموا ما فيها من الأحكام والعمل فيحملون بها ثم ينتقلون إلى التي بعدها هذا هو التدرج والمكث . وذلك ليثبت في القلب حفظاً وفهماً وعملاً

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - (( أن النبي ﷺ بعث مُعَادًا إلى اليمن ، فقال : إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَنُزِدُ فِي فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ )) (١) .

فهذا الحديث العظيم فيه الأمر بالبدء بالأهم فالأهم والتدرج في ذلك ، لقوله ﷺ : (( فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ )) ، أي لا تعلمهم باللاحق إلا بعد استجابتهم للسابق وهكذا . إذ المطالبة بجميع شرائع الدين قد توجب لهم النفرة .

روى البخاري عن ابن عباس في قول الله تعالى : { كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ } (٢) . قال : (( حلماة

للإمام أحمد . قال شاكر : هذا إسناد صحيح متصل .

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام : ٥٠/١ ، رقم ١٩ .

(٢) آل عمران : الآية ( ٧٩ ) .

فقهاء ، ويقال : الرباني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره )) (١)

وقال الحافظ : (( المراد بصغار العلم ما وضح من مسائله ، وبكباره ما دقّ منها )) (٢)

أي يبدأ بالسهل من مختصرات العلوم وبداياتها ومقدماتها وأصولها التي تُعطي المتعلم نبذة شاملة عن ذلك العلم دون الدخول إلى تفصيلاته ومسائله الدقيقة .  
ثمَّ يتدرج به نحو التوسُّع .

وعلى هذا درج الصحابة رضي الله عنهم ثمَّ التابعون ومن تبعهم من علماء السلف ، قال الإمام ابن شهاب الزهري : (( من طلب العلم جملة فاته جملة ، وإنما يُدرك العلم حديثاً وحديثان )) (٣)

وقال - رحمه الله - : (( إنَّ هذا العلم إذا أخذته بالمكابرة له غلبك ، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رقيقًا تظفر به )) (٤)

وقال شعبة : (( كنت آتي قتادة ، فأسأله عن حديثين ، فيحدثني ، ثمَّ يقول : أزيدك ؟ فأقول : لا . حتَّى أحفظهما

(١) البخاريّ تعليقا : كتاب العلم : باب العلم قبل القول والعمل : ٣٧/١ .

(٢) فتح الباري : كتاب العلم : ١٦٢/١ .

(٣) الجامع لأخلاق الرّأوي ، للخطيب : ٣٥٦/١ ، رقم ٤٥٢ .

(٤) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ١٨٧ ، وصحّح إسناده .

وَأَتَقْنَهُمَا» (١) .

وروي عن حمّاد بن أبي سليمان أنّه قال لتلميذ له : « تعلم كلّ يوم ثلاث مسائل ، ولا تزد عليها شيئاً » (٢) .

وهذه قاعدة عظيمة في أخذ العلم شيئاً فشيئاً مع الليلي والأيام وعدم الاستعجال فيه ، والصبر عليه .

ففي القرآن عشر آيات كما ورد في استقراء الصّحابة القرآن من النّبي ﷺ ، والحديث أخذ حديثين وحفظهما وفهما والعمل بهما . وفي الفقه ثلاث مسائل . وكما قيل :

اليوم شيءٌ وغداً مثله      من درر العلم التي تلتقط  
يُحَصِّلُ المرءُ بها حكمةً      وإنما السيل اجتماع النقط

وقيل : حُسْنُ البداية يقودُ إلى حُسْنِ النهاية . وقيل أيضاً : من ضيّع الأصول حُرِمَ الوصول .

وإنما العلم كالزّرع ، يُغرس أصله في الأرض وتتعمق جذوره فيثبت ساقه ويحتمل الرّيح ، وتنبت فرعه وأوراقه فيثمر ، وهو يحتاج مع ذلك إلى سقاية ورعاية وعناية . أما إذا غرس الفرع بلا أصل فإنه لا يكاد يذبل حتّى يموت . أو هو كالبناء يُبنى على قاعدة وأساس ، وفي هذا يقول أبو سليمان الخطابي : « وكلُّ بناءٍ لم يوضع على قاعدة وأساس

(١) المرجع السابق : ص ١٨٧ ، وصحح إسناده .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٠٠/٢ .

فهو منهار»<sup>(١)</sup> . ولكن شيئاً فشيئاً ، رويداً رويداً كيما يثبت في القلب .

وقال الخطيب : « واعلم أنّ القلب جارحة من الجوارح ، تحتمل أشياء وتعجز عن أشياء كالجسم الذي يحتمل بعض الناس أن يحمل مائتي رطل ، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلاً . فكذلك القلب ، من الناس من يحفظ عشر ورقات في ساعة ، ومنهم من لا يحفظ نصف صفحة في أيام ، فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبهاً بغيره لحقه الملل وأدركه الضجر ، ونسي ما حفظ ، ولم ينتفع بما سمع ، فليقتصر كلُّ امرئٍ من نفسه على مقدار يبقى فيه لا يستفرغ كلَّ نشاطه .

لأنّه إذا تعلم الكثير الذي لا طاقة له به وظنّ أنّه يحفظه ، فإنّه إذا عاد من غدٍ ، وتعلم نسي ما كان تعلمه أولاً . وثقلت عليه إعادته .

فينبغي أن يشفق على نفسه من تحميلها فوق طاقتها ، وينبغي أن يجعل لنفسه مقداراً كلّما بلغه وقف وقفته أيّاماً لا يزيد تعلماً ، فإنّ ذلك بمنزلة البنيان : ألا ترى أنّ من أراد أن يستجيد البناء ، بنى أذرعاً يسيرة ، ثمّ ترك حتّى يستقرّ ، ثمّ يبني فوقه .

فكذلك المتعلم ينبغي أن يجعل لنفسه حدّاً ، كلّما انتهى

(١) معالم السنن للخطابي : المقدمة : ص ٤ .

إليه وقف عنده حتى يستقرّ ما في قلبه ، ويريح بتلك الوقفة نفسه .

فإذا انتهى التعلّم بنشاط عاد إليه ، وإن اشتهاه بغير نشاطٍ لم يعرض له ، فإنّه لا يثبت ما يتعلّمه في قلبه )) (١) .



---

(١) الفقيه والمتفقه : ١٠٠/٢ - ١٠١ ، ١٠٧ - ١٠٨ مختصراً .



**المطلب الثاني : ( أخذ العلم عن أهله ، وعن كلِّ شيخٍ ما يُحسِن ) .**

**قال** عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَفْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ . حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا ، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » <sup>(١)</sup> ، **وقال** عليه السلام : « وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ » <sup>(٢)</sup> .

ومن هذين الحديثين يُعلم خوف النبي عليه السلام على أمته من الأئمة المضلين واتخاذ الرؤوس الجهال ، وهذا فيه تحذيرٌ وتنبيه لأُمَّته عليه السلام من هؤلاء الجهال المضلين المتلبسين لبوس العلم . وقد ذكر عليه السلام صنفين منهم ؛ رؤوساً جهالاً ، وأئمة مضلين ؛ كعلماء السوء والبدعة والضلالة فيتسببون في ضلال الناس وإهلاكهم . فلزم انتقاء العلماء الذين يأخذ عنهم المتعلم .

قال الحافظ في الفتح ، في شرح الحديث الأوَّل : « وفي حديث أبي أمامة من الفائدة الزائدة : أن بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يُغني من ليس بعالم شيئاً ، فإنَّ في

---

(١) صحيح البخاريّ : كتاب العلم : باب كيف يُقبض العلم : ٥٠/١ ، رقم ١٠٠ . ومسلم في العلم ، باب رفع العلم وقبضه : ٢٠٥٨/٤ ، رقم ٢٦٧٣ ، وقد جاء لفظ العباد بدلاً عن الناس ، وكذلك يُترك بدلاً عن يُبقي .

(٢) سنن أبي داود : انظر : صحيح سنن أبي داود للألباني : ٨٠١/٣ ، رقم ٣٥٧٧ .

بقيته : (( فسأله أعرابي فقال : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ مِنَّا وَبَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَصَاحِفُ ؟ وَقَدْ تَعَلَّمْنَا مَا فِيهَا وَعَلَّمْنَاهَا أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَخَدَمَنَا ؟ فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ وَهُوَ مَغْضَبٌ فَقَالَ : وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمَصَاحِفُ ، لَمْ يَتَعَلَّفُوا مِنْهَا بِحَرْفٍ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ )) ولهذه الزيادة شواهد ، وهي عند الترمذي ، والطبراني ، والدارمي ، والبزار بألفاظ مختلفة ، وفي جميعها هذا المعنى ((<sup>(١)</sup>).

قال الشاطبي - رحمه الله - : (( وقد قالوا : إِنَّ الْعِلْمَ كَانَ فِي صَدُورِ الرِّجَالِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكُتُبِ ، وَصَارَتْ مَفَاتِحَهُ بِأَيْدِي الرِّجَالِ . وَهَذَا الْكَلَامُ يَقْضِي بَأْنَ لَا بُدَّ فِي تَحْصِيلِهِ مِنَ الرِّجَالِ . فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا ؛ فَلَا يُؤْخَذُ إِلَّا مِمَّنْ تَحَقَّقَ بِهِ ))<sup>(٢)</sup>.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتواصلون بطلب العلم وأخذه من أصحابه قبل موتهم ؛ فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول : (( عليكم بالعلم ، قبل أن يُقبض ، وقبضه : أن يُذهب بأصحابه ، عليكم بالعلم ، فإنَّ أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه ، أو يُفتقر إلى ما عنده . وإنكم ستجدون أقوامًا يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم . عليكم بالعلم ، وإياكم والتبذُّع ، وإياكم والتنطُّع ، وإياكم والتعمُّق ، وعلَيْكُمْ بالعنِيق

(١) فتح الباري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب ما يُذكر من ذمِّ الرأي وتكُلُّفِ القياس : ٢٩٩/١٣ - ٣٠٠ ، رقم ٧٣٠٧ .

(٢) الموافقات : ١٤٠/١ - ١٤١ مختصراً .

((<sup>(١)</sup> .

وقد أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن الكريم ممن يُحسِنونه حفظًا وتلاوة وتجويدًا وتعليمًا . وقد اشتهروا بذلك .

قال ﷺ : « خُدُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ ، وَمَعَاذٍ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ »<sup>(٢)</sup> .

وقد بَوَّبَ الإمام البخاريُّ عليه بقوله : « بابُ : الْقُرَّاءُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » . قال الحافظ في الفتح : « أي الَّذِينَ اشتهروا بحفظ القرآن والتصدي لتعليمه . وهذا اللفظ كان في عُرْفِ السَّلَفِ أيضًا لِمَنْ تَفَقَّهَ فِي الْقُرْآنِ »<sup>(٣)</sup> .

وهذا أمر من النبي ﷺ بأخذ القرآن عن المتخصصين الَّذِينَ اشتهروا بإتقانه والتمرس فيه حتَّى أصبحوا مهرة به . وهذا يندرج على سائر العلوم . بأخذ العلم عن أهله

(١) الفقيه والمتفقه : ١٦٧/١ ، وقال المحقق : إسناده صحيح .

والعتيق هو القديم .

والتعمُّق : هو المبالغ في الأمر ، المتشدد فيه الَّذِي يطلب غاية . انظر : اللسان : ٢٧١/١٠ .

والتنطُّع : هو التعمُّق ، والمنتطِّعون هم المتعمِّقون المغالون في الكلام ، وقد اسْتَعْمِلَ فِي كُلِّ تَعَمُّقٍ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَالنُّطْعُ : الْمُتَشَدِّقُونَ فِي كَلَامِهِمْ . وَتَنْطَعُ فِي الْكَلَامِ إِذَا تَأَنَّقَ فِيهِ وَتَعَمَّقَ . ( اللسان : ٣٥٦/٨ - ٣٥٧ ) .

(٢) البخاري : فضائل القرآن : باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ :

١٩١٢/٤ ، رقم ٤٧١٣ .

(٣) فتح الباري : كتاب فضائل القرآن : ٦٦٤/٨ .

المشتهرين به المتصدين لتعليمه .

روى الإمام مسلم في مقدمته عن محمد بن سيرين قال :  
 (( إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ )) (١) . وقال  
 مالك بن أنس : (( إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ  
 دِينَكُمْ ؛ لَقَدْ أُدْرِكْتُ سَبْعِينَ مَمَّنْ يَقُولُ : قَالَ فَلَانُ ؛ قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الْأَسَاطِينِ ، وَأَشَارَ إِلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ،  
 فَمَا أَخَذَتْ عَنْهُمْ شَيْئًا ، وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَوْ أُؤْتِمِنَ عَلَى مَالٍ لَكَانَ  
 بِهِ أَمِينًا ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ ، وَيَقْدُمُ عَلَيْنَا  
 مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهَابٍ فَيُزِدُنِي عَلَى  
 بَابِهِ )) (٢) .

وقال مالك بن أنس : (( إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ هُوَ لِحْمُكَ وَدَمُكَ ،  
 وَعَنْهُ تُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَانظُرْ عَمَّنْ تَأْخُذُهُ )) (٣) .

وقال سعد بن إبراهيم : (( لَا يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا  
 النَّقَاتُ )) (٤) .

وكان السلف يقولون : (( إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْحَدِيثِ  
 وَالْأَعْجَمِيِّ أَنْ يُوفَّقَهُمَا اللَّهُ لِعَالَمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ . وَيَقُولُونَ :

(١) مسلم : المقدمة : ١٤/١ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٩٤/٢ ، رقم ٨٥١ .

(٣) المحدث الفاصل : ص ٤١٦ ، رقم ٤٤٤ ، والخطيب في الكفاية :  
 ص ١٢١ نحوه بسنده عن ابن عمر مرفوعاً .

(٤) مسلم : المقدمة : ١٥/١ .

إنَّ من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يؤاخي صاحب سنَّة  
يحمّله عليها ((<sup>(١)</sup> . ومن هذه النصوص والآثار تتضح  
أهميّة اختيار من يتلقّى عنهم العلم .



---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي : ٣٠/١ ، ٣١ .

## المطلب الثالث : اتباع السنة وتعظيمها وترك التقليد .

### الاتباع لغة :

مصدر اتَّبَعَ ، المأخوذ من مادة (( ت ، ب ، ع )) ، وتدلُّ على التُّلُوِّ والقُفُوِّ ، واتبَعَ القرآن : اتَّمتَّ به وعَمِلَ بما فيه )) (١)

والاتباع في الأصل : اقتفاء أثر الماشي ، ثمَّ اسْتَعْمِلَ في العمل بمثل عمل الغير ، كما في قوله : { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ } ، ثمَّ اسْتَعْمِلَ في امتثال الأمر ، والعمل بما يأمرُ به المتبوع فهو الإِتِّمَارُ )) (٢) .

### وفي الاصطلاح :

(( قال الإمام أحمد : هو أن يتَّبِعَ الرَّجُلُ ما جاء عن النَّبِيِّ ﷺ وعن أصحابه ، ثمَّ هو من بعدُ في التابعين مُخَيَّرٌ .

وقال ابنُ عبد البرِّ : الاتباع ما ثبت عليه الحُجَّةُ ، وهو اتباع كُلِّ من أوجب عليك الدليل اتباع قوله . فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى في اتباع ما أمر به )) (٣) .

فالاتباعُ إذن هو اتباع النَّبِيِّ ﷺ وما جاء به ، أي اتباع نصوص الوحيين . قال الشاطبي - رحمه الله - :

---

(١) لسان العرب : ٤١٦/١ ، ٤١٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ٤٢٣/٧ .

(٣) أضواء البيان : ٥٤٨/٧ .

(( إِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا مَقْتَدِينَ بِنَبِيِّهِمْ ﷺ ، مهتدين بهديه ، وقد جاء مدحهم في القرآن الكريم ، وأثنى على متبوعهم محمد ﷺ ، وإنما كان خلفه القرآن ، فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة ، وجاءت السنة مبيّنة له ، فالمتبوع للسنة متبوع للقرآن ، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك ، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله ، وهو معنى قوله ﷺ : « ما أنا عليه وأصحابي » ، فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم ، وما سواهما من الإجماع وغيره فنأشئ عنهما )) (١) .

وقد أمر الله نبيه ﷺ باتباع نصوص الوحي فقال : { اتَّبِعْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } (٢) .  
وقال : { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } (٣) .

وقال سبحانه : { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (٤) .

وأمر ﷺ باتباع كتابه الكريم فقال : { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم

(١) الاعتصام ، للشاطبي : ٢٥٢/٢ .

(٢) الأنعام : الآية ( ١٠٦ ) .

(٣) يونس : الآية ( ١٠٩ ) .

(٤) الأحزاب : الآية ( ٢ ) .

مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } <sup>(١)</sup> ، وقال سبحانه : { إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ } <sup>(٢)</sup> .

وعندما أمر الله باتِّباع وحيه ، بكت من يتبع التقليد الأعمى وذمه وحث منه فقال : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } <sup>(٣)</sup> .

وأمر الله باتِّباع نبيِّه الكريم فقال : { ... فَأَمِئُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } <sup>(٤)</sup> . وأمر بطاعته فقال : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ... } <sup>(٥)</sup> .

وأمر النبي ﷺ بطاعته واتِّباع أمره واجتناب نهيه والاهتداء بهديه وسنته . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سَأَلَهُمْ وَاخْتَلَفَهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ

(١) الأعراف : الآية ( ٣ ) .

(٢) يس : الآية ( ١١ ) .

(٣) لقمان : الآية ( ٢١ ) .

(٤) الأعراف : الآية ( ١٥٨ ) .

(٥) المائدة : الآية ( ٩٢ ) ، التغابن : الآية ( ١٢ ) .



فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (١) .

ومن حديث العرباض بن سارية قال : قال ﷺ : « ... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » (٢) .

فاتباع السنّة واجب لا محيد عنه لأهل الإيمان ، وتعظيم النصوص الشرعية أمر لازم ، وهو دليل الإيمان ومن تقوى القلوب . ولقد عظم أصحاب رسول الله ﷺ سنته وأمره ونهيه ، وكانوا يذّبون عنها ويأمرون بعضهم بعضاً باتباعها ، وترك الاجتهاد معها ، وينكر بعضهم على بعض في عدم التمسك بها . فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا . قَالَ : فَقَالَ يَلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : وَاللَّهِ لَمَنْعُهُنَّ . قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا ، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِنْهُ قَطُّ . وَقَالَ : أَخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُ وَاللَّهِ لَمَنْعُهُنَّ ! » (٣) .

لذا فإنّ الامتثال للنصّ الشرعي هو الأصل في المؤمن ، واتباعه دون تردد أو تلوؤ أمرٌ واجب مع تعظيمه وتوقيره

(١) صحيح البخاريّ : انظر الفتح : ١٣ ، رقم ٧٢٨٨ .

(٢) سنن أبي داود : رقم ٤٦٠٧ ، وقال الألباني : صحيح ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ج-٣/٨٧١ .

(٣) البخاريّ : انظر الفتح : ٣ رقم ١٥٧٣ ، ومسلم : برقم ١٢٥٩ .

ومحبّته واعتقاد أنّ الله أراد به الخير لعباده ، فموقفه الإيمان واليقين والتسليم ، ثمّ الامتثال والتطبيق ، والسمع والطاعة ، والعمل بالحال والمقال .

فإنّ نصوص الوحيين هي العلم الذي جعله الله سبباً في هداية الناس ، ولا هداية في غيره ، ولا يمكن لأحد أن يملك الهداية بعيداً عنه .

فالواجب أن يمتلئ قلب المؤمن بتعظيمه وتوقيره وتقديسه والاجتماع عليه ، وعدم التفرّق ، واعتباره مصدر الهداية ، وهذا هو معنى أهل السنّة والجماعة : أهل سنّة عرفوها وحرّروها ونقّوها من الدخيل وفهموها وعملوا بها ، ثمّ اجتمعوا عليها .

ولا يتم ذلك إلا بتوحيد الفهوم على فهم المصطفى ﷺ وصحابته الذين عايشوا التنزيل ، وعرفوا مقاصد الشريعة وفهموا مقاصد العرب في خطابها .

فلو ذهب كلُّ أحدٍ يفسّر القرآن والسنّة برأيه بعيداً عن النموذج التطبيقي الأوّل الذي جعله الله تفسيراً عملياً واقعيّاً ونموذجاً تطبيقياً لوحيه كما يحبّ سبحانه ويرضى فستكون ثقافته حينئذٍ هي الأساس وعاداته وعادات بلده وأعرافهم وعوائدهم ، فيفهمه فهماً مستقلاً عن النموذج الأوّل ، فيبدأ الاختلاف بين طلبة العلم وتبعّد عليهم الشقّة فلا يلتئموا أبداً .

ولقد جاء هذا الدين ليجمع شمل الأمّة ويوحّد الناس على

عقيدة واحدة وشريعة واحدة ومنهج واحد . ولم يأت ليُفرِّق القلوب ويباعد بينها ، فإنَّ اجتماع القلوب قبل اجتماع الجهود . ولا يمكن لها أن تجتمع إلا على السنة وبفهم واحد مع الانخلاع عن الأهواء والتقاليد والأعراف والعوائد الباطلة والأحزاب المتناحرة والرواسب الجاهلية ، والانبهار بالحضارات المادية .

ولقد جاءت الرُّسُل لمحاربة التقليد الأعمى بلا دليل ولا تعليل ، إذ كان سبباً في انحراف الأمم من قبل . وما كان حجَّتْهم إلا أن قالوا جميعاً وبلسان واحدٍ واعتذار واحدٍ : { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ }<sup>(١)</sup> .

فالواجب المتعین اتباع الدليل ، وترك التقليد ، وفهم الدليل بفهم الصحابة رضي الله عنهم .



(١) الزخرف : الآية ( ٢٣ ) .

المبحث الثالث : ( حفظ العلم وفهمه واستنكاره ) .

### المطلب الأول : الجمع بين الحفظ والفهم .

#### المسلك الأول : ( الحفظ أصل في المنهج النبوي ) .

حدثنا النبي ﷺ صحابته وحرصهم على حفظ العلم وتبليغه ، فقال ﷺ لو فد عبدالقيس بعد تعليمهم شرائع الدين : « احفظوه ، وأخبروه مَنْ وراءكم » (١) ، فحرص على حفظه والإخبار به من وراءهم ، وحث على استنكاره فقال : « استذكروا القرآن ، فلهو أشدُّ تفصيًّا من صدور الرجال من النعم بعقلها » (٢)

وقوله ﷺ : « ينس ما لأحدِهِم أن يقول : نسيت آية كُتبت وكُتبت ، بل نسي ، واستذكروا القرآن ، فإنه أشدُّ تفصيًّا من صدور الرجال من النعم » (٣)

وعن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال : « تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفسي بيده لهُوَ أشدُّ تفصيًّا من الإبل في عقلها » (٤) . وتفصيًّا أي

(١) البخاري : العلم : باب تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن

يحفظوا الإيمان والعلم ، ويخبروا من وراءهم : ٤٥/١ ، رقم ٨٧ .

(٢) مسلم : صلاة المسافرين : فضائل القرآن : ٥٤٤/١ ، رقم ٧٩٠ .

(٣) البخاري : فضائل القرآن : باب استنكار القرآن وتعاهده : ١٩٢١/٤ ،

رقم ٤٧٤٤ .

(٤) البخاري : فضائل القرآن : باب استنكار القرآن وتعاهده : ١٩٢١/٤ ،

رقم ٤٧٤٦ .

تفلئًا ، جاء ذلك في رواية الإمام مسلم : « لهو أشدّ تفلئًا » (١) .  
فكلّ هذه الأحاديث جاءت في الحثّ والتحريض على حفظ القرآن الكريم واستذكاره وتعاهده . وقال قال الله تعالى :  
{ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } (٢) .

روى البخاريّ عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قال :  
{ « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ -  
وَوَصَفَ سُفْيَانُ - يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : { لا تُحَرِّكْ بِهِ  
لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } » (٣) .

وعن ابن عبّاس أيضًا في قوله تعالى : { لا تُحَرِّكْ بِهِ  
لِسَانَكَ } ، يخشى أن ينفلت منه ، { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } ،  
أنّ نجمعه في صدرك ، { وَقُرْآنَهُ } ، أن تقرأه » (٤) .

وقد رغب في حفظه ، وبشّر من يحفظه أنّه مع الملائكة  
السفرة الكرام البررة ، فقال ﷺ : « مَثَلُ الَّذِي يقرأ الْقُرْآنَ وَهُوَ  
حَافِظٌ لَهُ ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يقرأ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ ، وَهُوَ  
عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ » (٥) ، ومعنى حافظ له أي للقرآن عن ظهر

(١) مسلم : المسافرين : فضائل القرآن : ٥٤٥/١ ، رقم ٧٩١ .

(٢) القيامة : الآية (١٦) .

(٣) البخاريّ : التفسير : تفسير سورة القيامة : ١٨٧٦/٤ ، رقم ٤٦٤٣ ،  
٤٦٤٤ .

(٤) البخاريّ : التفسير : تفسير سورة القيامة : ١٨٧٦/٤ ، رقم ٤٦٤٣ ،  
٤٦٤٤ .

(٥) البخاريّ ، التفسير : تفسير سورة عبس : ١٨٨٢/٤ ، رقم ٤٦٥٣ .

## قلب .

وقد أشهر النبي ﷺ فضائل أهل القرآن فقال : « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » (١) . وأهل القرآن هم حُقَاطُهُ ؛ المتفقهين فيه ؛ العاملين به .

ومن فضائل حفظ كتاب الله : الأحيوية في الاستخلاف ، « فَعَنْ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ ؛ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ يُعَسِّفَانِ ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ : مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي ؟ فَقَالَ : ابْنُ أَبِزَى ، قَالَ : وَمَنْ ابْنُ أَبِزَى ؟ قَالَ : مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا ، قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ ، قَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ » (٢) . والقاريء عند السلف هو الحافظ للقرآن ؛ الفقيه في أحكامه .

ومنها تقديمه في الإمامة ، قال ﷺ : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ » (٣) . أي أحفظهم ، كما فسرتة رواية : « مَنْ يَوْمُنَا ؟ قَالَ

(١) سنن ابن ماجه : باب فضل من تعلم القرآن وعلمه : رقم ٢١٥ ، انظر

: صحيح سنن ابن ماجه : ٤٢/١ ، رقم ١٧٨ .

(٢) مسلم : صلاة المسافرين : باب فضل من يقوم بالقرآن : ٥٥٩/١ ،

رقم ٨١٧ .

(٣) سنن أبي داود : باب من أحق بالإمامة ، انظر : صحيح سنن أبي

داود : ١١٦/١ ، رقم ٥٤٢ .

: أَكْثَرُكُمْ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ أَوْ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ» (١) ، ويفسرها كذلك رواية عمرو بن سلمة قال : « ... وَكُنْتُ غُلَامًا حَافِظًا ، فَحَفِظْتُ مِنْ ذَلِكَ قُرْآنًا كَثِيرًا ، فَأَنْطَلَقَ أَبِي وَإِدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ . فَعَلَّمَهُمُ الصَّلَاةَ ، فَقَالَ : يَوْمُكُمْ أَفْرُؤُكُمْ - وَكُنْتُ أَفْرَاهُمْ لِمَا كُنْتُ أَحْفَظُ - فَقَدَّمُونِي ... الْحَدِيثُ » (٢) .

ومن الأدلة والشواهد أيضًا على أن الحفظ أصل مهم في طلب العلم ، ما جاء عن النبي ﷺ في فضائل حفظ القرآن والترغيب فيه ، وبشارة صاحب القرآن بصعود درجات الجنة بما يقرأه من كتاب الله الكريم ، وأن تلك القراءة من حفظه ، فقد روى ابن ماجه في سننه عن النبي ﷺ أنه قال : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ : أَفْرَأُ وَأَصْعَدُ ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ ، بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةٌ ، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ » (٣) . والأدلة على أن القراءة تكون من حفظه كثيرة . منها : ما ثبت في صحيح مسلم في توضيح معنى صاحب القرآن ، قال ﷺ : « إِمَّا مِثْلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمِثْلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ » (٤)

(١) سنن أبي داود : باب من أحق بالإمامة ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ١١٧/١ ، رقم ٥٤٨ .

(٢) سنن أبي داود : باب من أحق بالإمامة ، انظر : صحيح سنن أبي داود : ١١٦/١ ، رقم ٥٤٦ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : باب ثواب القرآن : ٣١٤/٢ ، رقم ٣٠٤٧ .

(٤) مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضائل القرآن : ٥٤٣/١ ، رقم الحديث ٧٨٩/٢٢٦ .

مثل صاحب القرآن في محافظته على الآيات المحفوظة في صدره بصاحب الإبل المربطة بالعقل يتعاهدا من أن لآخر يخاف عليها التفلت من القيود .

وجاء معنى كلمة « مَعَهُ » الواردة في الحديث مفسراً في حديث الجارية التي وهبت نفسها للرسول ﷺ ، إذ جاء في آخره « مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : مَعِيَ سُورَةٌ كَذَا ، وَسُورَةٌ كَذَا ، وَسُورَةٌ كَذَا ، عَدَدَهَا ، قَالَ : أَنْقَرُوهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : اذْهَبْ فَقَدْ مَلَكْتُهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ » (١) ، فقال : « بِمَا مَعَكَ » دل ذلك على أن معنى معه أي الآيات المحفوظة التي يقرأها عن ظهر قلبه ، وقد بوب له البخاري بما يؤكد هذا المفهوم فقال : « بابُ : القراءة عن ظهر قلب » . ويدل له توجيه النبي ﷺ لصاحب القرآن كي يذكره ولا ينساه بقوله : « إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَفْعَمْ بِهِ نَسِيَهُ » (٢) ، وكذلك رواية الإمام البخاري السابقة : « مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ » ، وكذلك في تقديم النبي ﷺ لقتلى أحد ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِقَتْلَى أَحَدٍ : أَيُّ هَؤُلَاءِ أَكْثَرَ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ

(١) البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب القراءة عن ظهر قلب : ١٩٢٠/٤ ، رقم الحديث ٤٧٤٢ .

(٢) مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الأمر بتعاهد القرآن : ٥٤٤/١ ، رقم ٢٢٧ .



إلى رَجُلٍ قَدَّمَ فِي اللِّحْدِ قَبْلَ صَاحِبِهِ ... الْحَدِيثُ ((<sup>(١)</sup>) ، وقد جاءت كلمة «أَخَذًا» مفسرة ، وهي نص في هذا الباب ، في النَّسَائِي وَالتِّرْمِذِي : (( أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي التُّوبِ الْوَاحِدِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللِّحْدِ ، وَقَالَ : أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُعَسَّلُوا )) (<sup>(٢)</sup>) .

وما كان هذا التفضيل والاستفصال منه ﷺ في هذا المقام ، وهو في ذروة حزنه وحرقة على عمه وأصحابه إلا لزيادة فضل للحفاظ ، ولتنبيه باقي الصحابة ومن يأتي بعدهم على فضيلة حفظه وجمعه في الصدور قبل السطور .

ولو لم يكن للحفظ عن ظهر قلب مزية وزيادة فضل لما كان لقوله ﷺ : (( حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ )) ، وقوله : (( أَتَقْرَأُونَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكُمْ ؟ )) فائدة وزيادة معنى .

فإن الأكثر من المسلمين يقرأ القرآن من المصاحف . فما هي إذا المزية والفضيلة التي اختص بها صاحب القرآن عن باقي المسلمين الذين يقرؤونه من المصحف !! .

قال ابن الجوزي في حديث (( صعود القارئ بقراءته في

(١) البخاري : كتاب الجنائز : باب من يُقدَّم في اللحد : ٤٥٢/١ ، رقم ١٢٨٣ .

(٢) صحيح سنن الترمذي : باب ترك الصلاة على الشهيد : ٣٠٣/١ ، رقم ١٠٤٧/٨٢٨ ، وهي في صحيح سنن النسائي : ١٩٠٠/٢ .

منازل الجنة)) : (( وليس من حفظ نصف القرآن كمن حفظ الكلّ ، ولا من حفظ مائة حديث كمن حفظ ألفاً ، وعلى هذا فليس العلم إلا ما حُصِّل بالحفظ )) (١) .

وقد أصبحت كلمتا ( صاحب القرآن ، وقارئ القرآن ) علماً على حافظ القرآن القائم بحقوقه ، وذلك في النصوص الشرعية ، وفي فهم الصحابة رضي الله عنهم واستعمالهم اللغوي ، لذا كان حفاظ القرآن والفقهاء فيه يُعرفون بالقرّاء .

ولما لكتاب الله وحفظه ، والعناية به وفهمه والتفقه فيه من عظيم الفضل والأهميّة إذ هو المصدر الأساس في حياة الأمة عقيدة وشريعة ومنهجاً ، فقد أوصى به صلى الله عليه وسلم ، وحثّ المسلمين على حفظه والعناية به . ومن ذلك ما روى البخاريّ عن طلحة قال : سألتُ عبدَالله بنَ أبي أوفى : أوصى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقالَ : لا ، فقلتُ : كيفَ كتَبَ على النَّاسِ الوصِيَّةَ ، أمروا بها ولم يُوصَ ؟ قالَ أوصَى بِكِتَابِ اللَّهِ )) (٢) .

ولذا فقد حثّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الشباب والكبار على حفظه ، وشجّعهم على ذلك فقال : فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه : (( من قرأ القرآن في شببته اختلط القرآن بلحمه ودمه ، ومن تعلمه في كبره

(١) الحث على حفظ العلم ، لابن الجوزي : ص ١٣ .

(٢) البخاريّ : فضائل القرآن : باب الوصية بكتاب الله : ١٩١٨/٤ ، رقم ٤٧٧٤ .

فهو يتفقت منه ولا يتركه فله أجره مرتين» (١) . قال علقمة : (( ما حفظت وأنا شاب كأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة )) (٢)

وقد دعا النبي ﷺ لمن حفظ العلم وبلغه كما سمعه ولو لم يفهمه أو يتفقه فيه ، فقال : « نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَنَّا حَدِيثًا فَحَفَظَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَهُ غَيْرَهُ ، قَرِيبًا حَامِلٌ فَفَهِّهُ لَيْسَ بِفَقِيهِ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَفَهِّهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » (٣) ، وفي رواية « قَرِيبًا حَامِلٌ فَفَهِّهُ لَا فَفَهِّهُ لَهُ » (٤) ، وفي أخرى : « سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها وَحَفَظَهَا وَبَلَّغَهَا » (٥) ، وفي رابعة : « فَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَهَا » . ولا يمكن أدائها كما سمعها إلا بحفظها . فقد دعا النبي ﷺ في هذا الحديث بالنضارة لمن حفظ حديثًا وبلغه كما سمعه منه ﷺ ، ولم يشترط ﷺ الفقه عند السامع . ولقد كان لهذا المنهج النبوي آثاره العظيمة وثمراته الدانية في صحابته ﷺ وتابعيهم ومن سار على نهجهم من علماء السنة - رحمهم الله - .

- (١) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ١٥٩ ، رقم ٦٧٥ ، وقال : حديث أبي هريرة من شرط الحسن ، بلفظ : « من قرأ القرآن في شببته » . أما لفظ « وحفظ الرجل بعدما يكبر كالكتاب على الماء » قال : « منكر » .
- (٢) المرجع السابق : ص ١٦٧ ، رقم ٦٧٦ ، وقال صحيح الإسناد .
- (٣) جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر : انظر : صحيح جامع بيان العلم : ص ٤١ ، رقم ٦٧ .
- (٤) المرجع السابق : ص ٤٢ ، رقم ٧٣ .
- (٥) المرجع السابق : ص ٤٢ ، رقم ٦٨ .

فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يتحدث عن ملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ، وحفظه لحديثه ، واجتهاده في ذلك ، حتى أنه كان يُصرع من شدة الجوع فيراه الرائي فيقول إنه مجنون وما به من جنون ، ولكنّه الجوع بسبب حُبّه لحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كان لهذه المحبة والملازمة فوائد عظيمة ، فقد حفظ صلى الله عليه وسلم على الأمة ( ٥٣٧٤ ) حديثاً .

يقول صلى الله عليه وسلم : (( إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَلَوْ لَا آيَاتُنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ، ثُمَّ يَثْلُو : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى } إِلَى قَوْلِهِ : { الرَّحِيمُ } ، إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشَبَعِ بَطْنِهِ ، وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ )) (١) .

وهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول : (( قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَقَامًا . مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ . حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ . قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَوْلَاءَ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيَهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكَرُهُ ، كَمَا يَذْكَرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَأَهُ عَرَفَهُ )) (٢) .

(١) صحيح البخاريّ : كتاب العلم : باب حفظ العلم : ٥٥/١ ، رقم ١١٨ .

(٢) مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة :

وروى أبو زيد ، هو عمرو بن أخطب قال : « صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُرُ ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ ، فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا » (١) .

فأخبر ﷺ أن أعلمهم هو الذي كان أشد قوة في الحفظ .

قال عثمان بن مسلم الصقار : « وجدتُ أحضر العلم منفعة ما وعينه بقلبي ، ولكنه بلساني » (٢) .



---

٢٢١٧/٤ ، رقم ٢٣/٢٨٩١ .

(١) المصدر السابق : وفي الكتاب والباب برقم ٢٨٩٢ .

(٢) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ٥٧ ، رقم ١٧٥٥ ، وصح إسناده .

## المسلك الثاني: ( الفهم أصل في المنهج النبوي ) .

قال ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » (١) ، وقال : « تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا » (٢) ، وسئل النبي ﷺ : مَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : « أَفْقَهُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَوْصَلَهُمْ لِرَحِمِهِ » (٣) ، وقال ﷺ : « نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَنًا حَدِيثًا فَحَفَظَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ » (٤) . وهذا الحديث فيه دعاء لمن حفظ العلم وبلغه غيره فهمه أم لم يفهمه ، وفيه بيان لمراتب الفقهاء .

ودعا النبي ﷺ لحبر الأمة ثلاث دعوات : الأولى خاصة بالفقه فقال : « اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ » (٥) ، أي فهمه . والثانية بالحفظ والفقه معًا حيث قال : « ضَمَّنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ » وقال : اللهم علمه الكتاب (٦) ، قال البخاري : أي حفظه ألفاظه ،

- 
- (١) صحيح البخاري : انظر : الفتح : ٧١/١ .
  - (٢) صحيح مسلم : رقم ٢٥٢٦ .
  - (٣) المسند : ٦٨/٦ ، والهيتمي في مجمع الزوائد : ٢٥٨/٩ ، وقال : رجاله ثقات ، واللفظ له .
  - (٤) الترمذي : رقم ٢٦٥٦ ، وأبو داود ( ٣٦٦٠ ) ، وقال الألباني : صحيح : ٦٩٧/٢ .
  - (٥) صحيح البخاري : الوضوء : وضع الماء عند الخلاء : ٦٦/١ ، رقم ١٤٣ .
  - (٦) البخاري ، كتاب العلم : باب قول النبي ﷺ : اللهم علمه الكتاب :

وفهمه معانيه وأحكامه . والثالثة : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (( ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ )) (١) ، قال البخاري : والحكمة : الإصابة في غير النبوة .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (( إِنَّ الْفَقِيهَ حَقَّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُرَخَّصْ لَهُمْ فِي مَعْاصِي اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا ، وَلَا عِلْمَ لَا فَهْمَ فِيهِ ، وَلَا قِرَاءَةَ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا )) (٢) .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (( كُونُوا رَبَّانِيْنَ { حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ } )) (٣) .

قال ابن عبدالبر : (( أما طالبُ الحديثِ على ما يطلبه كثيرٌ من أهل عصرنا اليوم دون تفقُّهٍ فيه ولا تدبُّرٍ لمعانيه فمكروه عند جماعة أهل العلم )) (٤) .

وقال الترمذي : (( سمعت أبا عبدالله يقول : )) إذا كان

٤١/١ ، رقم ٧٥ .

(١) البخاري : فضائل الصحابة : باب ذكر ابن عباس - رضي الله عنهما - .

: ١٣٧١/٣ ، رقم ٣٥٤٦ .

(٢) الدارمي في المقدمة : ١٠١/١ ، رقم ٢٩٧ .

(٣) فتح الباري : ١٩٢/١ ، مقدّمة باب العلم قبل القول والعمل .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : ١٠٢٠/٢ .

يعرف الحديث ، ويكون معه فقه أحب إليّ من حفظ الحديث لا يكون معه فقه )) ، وقال سفيان بن عيينة : (( يا أصحاب الحديث تعلّموا معاني الحديث ، فإنّي تعلّمتُ معاني الحديث ثلاثين سنة )) .

وقال ابن الجوزي : (( فإن اتسع الزمان للتزويد من العلم فليكن من الفقه فإنّه الأنفع )) (١) .

فهذه هي منزلة الفهم والفقه في الإسلام . إذ الفقه هو الثمرة ، والنتيجة ، والمحصلة الأخيرة فإنّ النصوص تُحفظ لفهم وتستنبت منها الأحكام ليُتعبّد بها .

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول : (( وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ! مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أَنْزَلْتُ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ )) (٢) .

فهذه ثمرة المنهج النبوي في التعليم الذي كان متوازنًا حفظًا وفهمًا . فهذا ابن أم عبد يقسم أمام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنّ ما من آية إلا يعلم فيما أنزلت ، ولو يعلم أحدًا أعلم منه بكتاب الله لذهب إليه ، والعلم هو الحفظ والفهم .

قال الزرنوجي : (( وينبغي أن يجتهد في الفهم عن

(١) صيد الخاطر : ص ٢٠٢ .

(٢) مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل عبدالله بن مسعود وأمه :

١٩١٣/٤ ، رقم ٢٤٦٣ .



الأستاذ ، أو بالتأمل والتفكير ، وكثرة التكرار ، فإنه إذا قلَّ السَّبْقُ وكثُر التكرار والتأمل يُدرك ويُفهم ، فقد قيل : حفظ حرفين خيراً من سماع وقرين ، وفهم حرفين خيراً من حفظ وقرين - ومذاكرة بين اثنين خيراً من هذين - وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرّة أو مرتين ، يعتاد ذلك ، فلا يفهم الكلام اليسير ، فينبغي ألا يتهاون في الفهم ، بل يجتهد ، ويدعو الله تعالى ويتضرّع إليه ، فإنه يجيب من دعاه ولا يُخيب من رجاه» (١) .

ولقد أوصى ﷺ بالعناية بالقرآن في حجة الوداع وحثّ من الكذب والافتراء عليه ما لم يقله .

قال مالك بن عتاهية ، وعقبة بن عامر يحدث : « إنَّ صاحبكم غافل أو هالك ، إنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا في حجة الوداع ، فقال : « عليكم بالقرآن ، فإنكم ستؤخرون إلى قوم يشتهون الحديث عني ، فمن عقل شيئاً فليحدث به ، ومن أفتري عليّ فليتبوأ مقعده أو بيتاً من جهنم» (٢) . لا أدري أيهما قال . ومالك بن عتاهية تجيبي ، وليس بغافقي ، وله صحبة .

قال أبو خالد الأحمر : « يأتي على الناس زمانٌ تُعطل فيه المصاحف ، لا يُقرأ فيها ، يطلبون الحديث والرأي . ثمَّ قال : إياكم وذلك ، فإنه يصفق الوجه ويكثر الكلام ، ويشغل

(١) تعليم المتعلم : ص ٣٩ - ٤٠ ، وما بين الفاصلتين إضافة .

(٢) الجامع لأخلاق الرأوي وآداب السامع : ٦٧١/١ ، رقم ١٠٥٠ . وقال المحقق : صحيح .

القلب)) (١)

وامتد منهجه ﷺ في العلم وحفظه وفهمه إلى التابعين ومن تبعهم من علماء السلف - رحمهم الله جميعاً - فهم الحملة والشهود من بعد الصحابة ﷺ الذين حملوا العلم وعملوا به ونقلوه إلينا .

فقد نُقل الكثير والكثير من أخبارهم في الحفظ والفهم والعناية بالقرآن والسنة . قال أبو زُرعة : (( كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث . فقيل له : وما يُدريك ؟ قال : ذاكرته وأخذتُ عليه الأبواب )) (٢) .

وقال الإمام أحمد في حقه : (( ما جاوز الجسر أحفظ من أبي زُرعة ، فقد حفظ ستمائة ألف )) (٣) . وقال أبو زُرعة عن نفسه : (( أحفظ مائتي ألف حديث ، كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد ، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث )) (٤) .

وقال أبو بكر الجعابي : (( هو محمد بن سالم : قاضي الموصل ( ت ٣٥٥ ) ببغداد )) ، قال : أحفظ أربعمائة ألف حديث ، وأذاكر بستمائة ألف حديث )) (٥) .

وقال محمد بن يحيى : (( ما رأيتُ عند عبدالرحمن بن

(١) جامع بيان العلم : ١٠٢١/٢ ، رقم ١٩٧٤ ، وقال المحقق : إسناده لا بأس به .

(٢) الحث على حفظ العلم لابن الجوزي : ص ٢٦ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤٤ .

(٤) المرجع السابق : ص ٤٥ .

(٥) المرجع السابق : ص ٦٢ .

مهدي كتاباً قط ، وكلُّ ما سمعته منه سمعته حفظاً ، وكان عبدالرحمن يختم القرآن في كلِّ ليلتين ، وقال عنه عبيدالله القواريري : أملى عليّ عبدالرحمن ابن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً )) (١) .

أما القرآن وحُفَاطُه فقد يسّره الله ﷻ كما جاء في محكم التنزيل ، وقد رُوي في هذا التيسير ما يثير الدهشة والعجب . فهذا الدّهبيّ - رحمه الله - يقول : « ومن حفظ الزهري أنّه حفظ القرآن في ثمانين ليلة » (٢) .

« وعلي بن هبة الله الجميزي ( ت ٦٤٩ هـ ) حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين » (٣) .

« وزيد بن الحسن ، تاج الدين الكندي ( ت ٦١٣ هـ ) قرأ القرآن تلقياً وله نحو من سبع سنين ، وهذا نادر - كما قال الدّهبيّ - وأندر منه أنّه قرأ بالروايات العشر وهو ابن عشر حجج » (٤) .

« وخلف بن هشام بن ثعلب الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام ( ت ٢٢٩ هـ ) خرج من بغداد وعمره ١٩ عاماً لم يخلف فيها أقرأ منه » (٥) .

(١) المرجع السابق : ص ٤٦ .

(٢) تذكرة الحُفَاط : ١٠٤/١ - ١٠٦ .

(٣) معرفة القراء الكبار : ٦٥١/٢ .

(٤) معرفة القراء الكبار : ٥٨٦/٢ - ٥٨٧ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ٥٨٠/١٠ .

« ومكي بن أبي طالب العلامة المقرئ ، ولد سنة ( ٣٥٥ هـ ) وقرأ بالقراءات على ابن غلبون سنة ( ٣٧٦ هـ ) »<sup>(١)</sup> ، أي أن عمره كان ٢١ سنة .

وكان لمنهجه عليه السلام في توجيه مسيرة التعلّم ، آثارًا كبيرة وأصدقاء واسعة جعلت العلماء يحثّون طلابهم على حفظ العلم وفهمه وكتابته وتقبيده ، فلقد زخرت كتب العلم بكثير من المنثور والمنظوم في ذلك ، ومنه ما يُنسب لعلي عليه السلام قول : « قيمة كل امرئٍ ما يُحسن »<sup>(٢)</sup> . وقيل : إنّه لم يُسبق في ذلك . وقالوا : ليس كلمة أحضّ على طلب العلم منها ، وقالوا : ولا كلمة أضرّ بالعلماء والمتعلمين من قول القائل : « ما ترك الأوّل للآخر شيئًا »<sup>(٣)</sup> ، والأولى أن يُقال : « كم ترك الأوّل للآخر » .

وقيل : من حفظ المتون حاز الفنون ، ومن حفظ الأصول بلغ الوصول ، ومن ضيّع الأصول حُرّم الوصول .

وقال الأصمعي : « كل علم لا يدخل معي الحمام فليس بعلم »<sup>(٤)</sup> . أي أنّه يجب أن يكون محفوظًا في الصدر .

(١) معرفة القراء الكبار : ٣٩٥/١ .

(٢) تذكرة السامع : انظر : ص ٨٧ الهامش .

(٣) تذكرة السامع : انظر : ص ٨٧ الهامش .

(٤) الجامع في الحث على حفظ العلم : ص ٥٨ ، وقال المحقق : صحيح

وينسب إلى الحسن قول : (( الحفظ في الصَّعْر كالتَّقَش في الحجر )) (١) .

ويذكر عن الشَّافعيِّ أَنَّهُ قال : (( ليس العلم ما حُفِظَ ، إِنَّمَا العلم ما نَفَعَ )) (٢) .

قال الحافظ ابن عبدالبرِّ (٣) :

يا من يرى العلم جمع المال والكتب ❁ خُدِعت والله ، ليس الجدُّ كاللِّب  
العلم ويحك ما في الصدر تجمعه ❁ حفظاً وفهماً وإتقاناً فذاك أبي

وقال هبةُ الله بن عبدالواحد البغدادي (٤) :

علمي معي حيثما يَمُتُّ أحملة ❁ بطني وعاءٌ له لا بطن صندوق  
إن كنتُ في البيتِ كان العلمُ فيه معي ❁ أو كنتُ في السُّوقِ كان العلمُ في السُّوقِ

وقال الخليل بن أحمد (٥) :

ليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ (٦) ❁ ما العلمُ إلا ما حواه الصَّدْرُ

عن الأصمعي .

- (١) الفقيه والمتفقه : ١٨١/٢ ، حسن إسناده المحقق .
- (٢) الحلية : ١٢٣/٩ .
- (٣) جامع بيان العلم : ٣٨٦/١ .
- (٤) الجامع في الحث على حفظ العلم ، ص ٥٩ ، ونسبه ابن عبدالبر إلى منصور الفقيه ، انظر : جامع بيان العلم وفضله : ٢٩٥/١ ، رقم ٣٨١ .
- (٥) جامع بيان العلم : ٢٩٣/١ ، رقم ٣٧٥ .
- (٦) القِمَطْرُ : هو ما يُصان فيه الكتب ، انظر : مختار الصحاح : ص ٥٥١ .

وقال الرَّحبي (١) :

والثلثان وهما التمام \* فاحفظ فكلُّ حافظٍ إمامٌ

وقال محمَّد بن هبة المكيّ :

ومنهما تنقسم الأجسام \* فاحفظ فكلُّ حافظٍ إمامٌ

وأورد الخطيب بسنده إلى بعض البصريين (٢) :

رَبِّ إنسان ملا أسفاطه كُتِبَ الـ \* علم وهو بعدُ يخطُ  
فإذا فتشته عن علمه \* قال علمي يا خليلي في السَّفَطِ  
بكراريس جياذٍ أُحْرزت \* ويخطُ أي خطَّ أي خط  
فإذا قلت له : هاتِ ، أرنا \* حكَّ لِحْيَيْهِ جميعًا ، وامسخط

وأورد هذه الأبيات في أهميَّة الحفظ لمحمد بن بشير (٣) :

أما لو أعي كلَّ ما أسمُّ \* وأحفظ من ذاك ما أجمُ  
ولم أستقد غير ما قد جمعتُ \* لقليل هو العالمُ المقنُّمُ  
ولكنَّ نفسي إلى كلِّ شيءٍ \* من العلم تسمعه تُنزِعُ  
فلا أنا أحفظ ما قد جمعتُ \* ولا أنا من جمعه أشبعُ  
إذا لم تكن واعيًا حافظًا \* فجمعك للكُتُب لا ينفعُ  
أشاهدُ بالعيِّ في مجلس \* وعلمي في البيت مستودعُ  
ومن يكن في علمه هكذا \* يكنُ دهره القهقري يرجمُ

(١) الرحبية بشرح سبط المارديني : ص ٤٦ ، طبعة دار القلم .

(٢) الجامع في الحثِّ على حفظ العلم : ص ٦١ ، رقم ١٧٦١ .

(٣) الجامع في الحثِّ على حفظ العلم : ص ٦١ ، رقم ١٧٦١ .

وقال ابن أبي الحديد في نظمه لإصلاح المنطق لابن  
السكيت :

فالعلم إذا لم ينضبط بالحفظ      لم ينفع ومن ماري غلط  
وأيسر المحفوظ نظم الشعر      لأنه أحضر عند الذكر

وقيل :

عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب      فإن للكذب أفات تفرقها  
الماء يفرقها واللص يسرقها      والنار تحرقها والفأر يخرقها

وقيل في ذم الحفظ مجرداً عن الفهم :

زوامل للأخبار لا علم عندهم      بمثلها إلا أكلم الأباغر  
لعمرك ما يدري البعير إذا غدى      بأوساطه أوراخ ما في الغرائر

ويعترض عليه دعاء النبي ﷺ لمن حفظ العلم وبلغه  
بالنضارة ، مع أنه لا فقه له .

ومن فاته العلم في الصغر فلا يأنف من التعلم في كبر  
سيئه ، وليبادر ويتدارك ما بقي من عمره قبل أن يفجأه  
الأجل فيندم على ما فاته من الخير ، ولات حين ساعة مندم

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - : « وَقَالَ عُمَرُ :  
تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا » (١) ، « وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَبَعْدَ أَنْ

(١) البخاري : العلم : الاغتباط في العلم والحكمة : ٣٩/١ (تعليقاً) .

نُسَوِّدُوا . وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرٍ سِنَّهُمْ )) (١) ، وقد أنزل على النبي ﷺ وهو في الأربعين .

وقال عكرمة مولى ابن عباس : « طلبت العلم أربعين سنة ، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن )) (٢) ، وقال أحمد : « كان جريج من أوعية العلم ، وقال الذهبي : ولم يطلب العلم إلا في الكهولة ، ولو سمع في عنفوان شبابه لحمل عن غير واحد من الصحابة . فإنه قال : كنت أتبع الأشعار والعربية والأنساب حتى قيل لي : لو لزم عطاء ، فلزمته ثمانية عشر عاماً ؛ قال ابن المديني : لم يكن في الأرض أعلم بعطاء بن أبي رباح من ابن جريج )) (٣) .

قال الشافعي : « ما رأيت شيخاً له جدة لا يطلب العلم إلا رحمته كائناً من كان )) (٤) .

(١) فتح الباري : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة ، ( وهو من كلام البخاري ، أورده بعد الترجمة ) .

(٢) تذكرة الحفاظ : ٩٦/١ ، ترجمة ( ٨٧ ) ، والكبل : هو القيد الضخم ، اللسان : ٥٨٠/١١ .

(٣) العبر في خبر من غير ، للذهبي : ١٦٣/١ ، وفيه أن ابن جريج هو ( أبو الوليد ، عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج ) .

( والكهل من الرجال : من زاد على ثلاثين سنة إلى أربعين ، وقيل : هو من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين ) . نقله ابن منظور عن ابن الأثير : اللسان : ٦٠٠/١١ ، مادة ( كهل ) .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١٦٧/٢ ، رقم ٧٩٩ ، وصحح المحقق إسناده .



- وقال الأوزاعي : (( إني لأحبُّ الشَّيخَ يطلبُ العلمَ )) (١) .
- وقال حماد بن زيد : (( كان أيُّوبُ يطلبُ العلمَ حتَّى مات )) (٢) .
- وقال المأمون لمنصور بن المهدي : (( والله لأن تموت طالبًا للعلم خيرٌ من أن تعيش قانعًا بالجهل ، قال : وإلى متى يحسنُ ؟ قال : ما حسُنْتَ بك الحياة )) (٣) .
- وقيل لابن المبارك : إلى متى تطلب العلم ؟ فقال : (( حتَّى الممات إن شاء الله )) (٤) .
- وقيل له مرّة أخرى ، فقال : (( لعلّ الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد )) (٥) .
- وقيل للإمام أحمد في ذلك ، فقال : (( مع المحبرة إلى المقبرة )) .
- وسئل سفيان بن عيينة : من أحوج النَّاسِ إلى طلب العلم

---

(١) المصدر السابق : ص ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٦٨ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ١٦٧/٢ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، انظر : صحيح جامع بيان العلم ، ص ١٠٩ ، رقم ٣٢٧ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ، انظر : صحيح جامع بيان العلم ، ص ١٠٩ ، رقم ٣٢٨ .

؟ قال : أعلمهم ؛ إِنَّ الخَطَأَ منه أَقْبَحُ ((<sup>(١)</sup>).

وقال ابن أبي غسَّان : (( لا تزال عالماً ما كنت متعلماً ،  
فإذا استغنيت كنت جاهلاً )) (<sup>(٢)</sup>).

وقال أبو بكر بن دريد : (( نظر سقراط إلى رجلٍ يُحِبُّ  
النظر في الفلسفة ، ويستحي ، فقال له : يا هذا تستحي أن  
تصير في آخر عُمرِكَ أفضل مما كنت في أوله )) (<sup>(٣)</sup>).

وقيل قيل في صعوبة التعلُّم في الكِبَرِ وشِدَّتِه :

قال الخطيب (<sup>(٤)</sup>) : (( وإذا أهمل العلم إلى حالة الكبر كان  
كما قال الشاعر :

إذا أنت أعياءك التعلُّم ناشئاً      فمطلبه شيخاً عليك شديدٌ

وأنشد أبو عبدالله نبطويه لنفسه (<sup>(٥)</sup>) .

أراني أنس ما تعلِّمتُ في الكِبَرِ      ولستُ بناسٍ ما تعلِّمتُ في الصِّغَرِ  
وما العلم إلا بالتعلم في الصِّبى      وما الجِلْمُ إلا بالتحلُّم في الكِبَرِ  
وما العلم بعد الشيب إلا تعسِّفُ      إذا كلَّ قلب المرء والسمع والبصر

وقال الإمام الشافعيّ - رحمه الله - (<sup>(١)</sup>) :

(١) جامع بيان العلم وفضله ، انظر : صحيح جامع بيان العلم ، ص ١١٠ ،  
رقم ٣٣٠ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، انظر : صحيح جامع بيان العلم ، ص ١١٠ ،  
رقم ٣٣٢ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ص ١٦٨ .

(٤) المرجع السابق : ١٧٩/٢ ، ١٨٠ .

(٥) جامع بيان العلم : ٣٦٣/١ ، ٣٦٤ .

اصبر على مرّ الجفا من معلّم  
ومن لم يذُق مرّ التعلّم ساعةٍ  
ومن فاته التعلّم وقت شبابه  
وذاتُ الغنى واللهُ بالعلم والتقى

❁ فإنّ رسوب العلم في نقراته  
❁ تجرّع ذلّ الجهل طول حياته  
❁ فكبر عليه أربعاً لوفاته  
❁ إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته



### المسلك الثالث : الحاجة إلى الجمع بين الحفظ والفهم .

بعد استعراض النصوص السابقة في الحفظ والفهم ، يتضح أنهما من أهم أصول طلب العلم في المنهج النبوي ، وأن الحفظ له مكانته وفضله وأهميته ، وأنه لا يمكن الاستغناء عنه . وأن الطالب إذا لم يحفظ الآية والحديث والقاعدة ، يعمل بها ويطبّقها ويستشهد بها ، ويستنبط منها ، ويعظ بها ويذكر ، والله ﷻ يقول : { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدِ }<sup>(١)</sup> ، ويقول : { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا }<sup>(٢)</sup> . فبم يذكر ؟ وبم يجاهد ، وبم يعظ ويُرشد ، أو يبشّر ويُنذر ، إن كان لا يحفظ من القرآن والحديث شيئاً .

إنّه بالتأكيد سيُخطئ في نصوص الآيات ، والأحاديث سينقلها مع احتمال الخطأ ، أو أنّه سيُضطرّ إلى القول بالرأي والنظر والفكر ، فيذهب بعيداً عن المقاصد الشرعية ، فلا يؤمن عليه حينئذٍ الزلل . وحفظ القرآن والسنة وإن كان ممّن لا فقه له كما ورد في النصوص السابقة فصاحبه مأجور إذا نقلها إلى من هو أفقه منه ، وقد دعا له النبي ﷺ بالنضارة ، أمّا الذي يتفقه في النصوص ويدرسها ، ويُحلّل ويقارن فهو على خيرٍ إن شاء الله وأجرٍ كبير ، ولذا دعا النبي ﷺ لحبر الأمة بالفقه في الدين .

---

(١) ق : الآية ( ٤٥ ) .

(٢) الفرقان : الآية ( ٥٢ ) .

وربما أعترض على تقرير أهميّة الحفظ وأنّه أصل في طلب العلم بأن الطالب قد يفهم ويحلّل ويستشهد ويستنبط وهو ليس بحافظ ، وهذا صحيح ، ولكن بشرط وجود الكتب ، وسيكون فهمه واستنباطه محدودًا بما وقع له من كتب في وقته ذاك ، أو هو بحاجة إلى حافظ للعلم يسرد عليه أصول المسائل التي يريد الاستنباط منها ، أو التفقه فيها أو الاستشهاد بها .

فأصحاب هذه الطائفة بحاجة دائمة إلى مكتبة يلزمها ؛ كلّمًا أراد أن يُحدّث النَّاسَ أو يعظهم أو يذكّرهم .

ويحتاج في كلّ مرّة إلى تحضيرٍ وبحثٍ وقراءةٍ وتدوين . ومثل هذا لا يُعدُّ طالبُ علمٍ على التّحقيق فضلًا أن يكون عالمًا . وإنّما قد يصدق عليه أنّه باحث . ولكن الحديث بصدد منهجٍ نبويٍّ يُعدُّ طالبًا مؤصلاً ، ويؤهله ليكون عالمًا حافظًا ضابطًا فاهمًا متفهمًا ، معتمدًا على النصوص الشرعية . إذ إنّ العالمَ علمه محفوظٌ في صدره حيثما توجه ، فهو معه . فإنّ احتاج المقام إلى الوعظ والإرشاد وعظ وذكّر ، وإنّ احتاج إلى الخطبة خطب ، أو إلى الفتوى أفتى . علمه مضبوطٌ بالحفظ ، ومُصانٌّ بالفهم والفقّه . في الحوادث والنوازل ، يستعرض النصوص والقواعد الشرعية كأنها رأي العين ، فيتأمل وينظر ، ويستنبط ويقارن ويوازن ، يعرف منازع الأدلة ومآخذها ، ويعرف الصحيح من الضعيف ، والناسخ من المنسوخ ، والمتقدّم والمتأخر ،

والخاص والعام ، والمطلق والمقيّد . والمصلحة والمفسدة .  
 ولا يُعكّر على ذلك حاجته للكتب والمطالعة والاستذكار  
 والمراجعة والمتابعة والاستزادة من العلم ، عارف بفقهِ  
 الحال ، والحوادث ، والملل والنحل ، والبدع المخترعة من  
 أهل عصره ، والدخيل من الثقافات والعلوم الوافدة على  
 الأمة ، فقد أنكر النبي ﷺ على عمر رضي الله عنه عندما رأى في يده  
 ورقة من التوراة ، وقال لعدي بن حاتم : «أنا أعلم بدينك منك -  
 مرتين أو ثلاثاً - ألسنت ترأس قومك؟ قال : فقلت : بلى ، قال :  
 ألسنت تأكل المرباع؟ قال : فقلت : بلى قال : فإن ذلك لا يحل لك في  
 دينك» (١) . وعند أحمد : «قال : نعم ، ألسنت من الركوسية؟ وأنت  
 تأكل مرباع قومك؟» (٢) .

دلّ ذلك على معرفة النبي ﷺ بفقهِ الحال ، واطّلاعه  
 على أحوال الناس وأديانهم وملهم ونحلهم .  
 وإنّ من الآفات الدخيلة التي انتشرت في الأمة وانطبعت

(١) صحيح ابن حبان : كتاب التاريخ : باب إخباره ﷺ عمّا يكون في  
 أمته من الفتن والحوادث : ٧١/١٥ - ٧٢ ، وقال المحقق شعيب  
 الأرنؤوط : إسناده قوي .  
 والمرباع : هو ربع الغنيمة .

(٢) المسند : مسند الكوفيين ، حديث عدي بن حاتم : ١٢٢٨٨/٦ ، وقال  
 شيخ الإسلام ابن تيمية في حديث عدي بن حاتم : « وهو حديث حسن  
 طويل ، رواه أحمد والترمذي وغيرهما » ا.هـ. انظر : كتاب الإيمان  
 له : ص ٦٤ .

في أذهان كثير من الناس : أنّ الحفظ رمزٌ للغباء والبلادة وعدم الفهم والتخلف ، وأنّه وصمة في جبين صاحبه .

وأن الفهم والنظر والفكر يرمز للذكاء والتفوق والعلو .  
وأنّه لا يمكن الجمع بينهما .

وقد تزامن هذا المفهوم الدخيل مع مفهوم آخر لا يقلُّ عنه خطرًا . ( مفهوم العلمي والأدبي ) فقد ارتبط مفهوم العلمي بالفهم والذكاء والتقدم والحضارة ، وأصبح رمزًا لهذه الصفات .

أما الأدبي فأصبح رمزًا للغباء والتخلف والتأخر والانحطاط ، وعُدَّت علوم الشريعة واللغة العربية غير علمية ، وأنها تابعة للأدبي . هكذا انطبع هذان المفهومان في أذهان كثير من الناس فأثرت في أعمالهم واختياراتهم وتصرفاتهم .

ومثل ذلك ترك حفظ القرآن تأثمًا بسبب الحديث الضعيف الذي رُوي في ذلك ، فهذا من أكبر المفاهيم الخاطئة الدخيلة على الأمة . قال الإمام الخطابي في ترك حفظ القرآن تأثمًا بسبب الحديث الضعيف : « إشكالٌ أُحيل به على إبهام » ، ومثله المقولة التي استشرى خطرُها أيضًا فيمن حفظ صحيح البخاريّ وهي قولهم : « زاد نسخة في البلد » .

فلقد أضرتّ هذه المفاهيم الدخيلة بالعلم أيّما ضرر .

وهنا يمكن السؤال عن المانع من الجمع بين الحفظ والفهم !! خاصة وأن الحفظ والإسناد مما اختص الله به هذه الأمة . وفي هذا يقول ابن الجوزي - رحمه الله - : (( فإنَّ اللهَ رَجَّلَ خصَّ أُمَّتَنَا بحفظ القرآن والعلم ، وقد كان من قبلنا يقرؤون كتبهم من الصحف ، ولا يقدرّون على الحفظ ، فلما جاء عزير فقد التوراة من حفظه ، فقالوا : هذا ابن الله ؟! ) .

فكيف نقوم بشكر من خولنا أن ابن سبع سنين ممّا يقرأ القرآن عن ظهر قلب ، ثمّ ليس في الأمم ممن ينقل عن نبيه أقواله وأفعاله على وجه يحصل به الثقة إلا نحن ، فإنّه يروي الحديث ممّا خالف عن سالف ، وينظرون في ثقة الراوي إلى أن يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ ، وسائر الأمم يروون ما ينكرونه عن صحيفة لا يدري من كتبها ، ولا يعرف من نقلها .

وهذه المنحة العظيمة تفتقر إلى حفظها ، وحفظها بدوام الدراسة ، ليبقى المحفوظ .

فأل الأمر إلى أقوامٍ يفرّون من الإعادة ميلاً إلى الكسل ، فإذا احتاج أحدهم إلى محفوظ لم يقدر عليه ، ولقد تأملت على المتفهمّة أنهم يعيدون الدرس مرتين أو ثلاثاً ، فإذا مرّ على أحدهم يومان نسي ذلك ، وإذا افتقر إلى شيء من تلك المسألة في المناظرة لم يقدر على ذلك ، فذهب زمان الأوّل نايغاً<sup>(١)</sup> ، ويحتاج أن يبتدئ الحفظ لما تعب فيه أولاً ،

(١) نايغاً : أي ضائعاً .



والسبب أنه لم يحكمه» (١) ، وهذه الخاصية لهذه الأمة خاصة حفظ القرآن والعلم ، فقد أخبر الله على لسان رسوله ﷺ من حديث طويل لعياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته : « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا ... وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ . وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ » (٢) ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ ... » (٣) .

فالأصل إذاً هو حفظه في الصدور ، وإنّ دعاء النبي ﷺ لمن حفظ حديثه وبلغه كما سمعه لهو من أكبر الشواهد على أهمية الحفاظ ، ودعاؤه ﷺ لحبر الأمة بالفقه في الدين ، وقوله : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » (٤) ، فحصر من يرد الله به الخير في تفقيهه في دين الله . وهذا من أكبر الأدلة على أهمية الفقه .

لذا ينبغي لطالب العلم المتأسّي بنبيّه ﷺ أن ينال هذين الشرفين : شرف الحفاظ والفقه ، يجمع بينهما ، ثمّ يعمل بعلمه ويعلمه لغيره ، فهذا هو الربّاني .

وهذا الاختلاف الحادث ، هو أشبه بالخلاف الذي حصل في عهد الإمام الخطابي - رحمه الله - بين أصحاب الحديث والأثر

(١) الحث على حفظ العلم ، لابن الجوزي : ص ١١ - ١٢ .

(٢) لا يغسله الماء : معناه محفوظ في الصدور قبل السطور .

(٣) صحيح مسلم : رقم ٢٨٦٥ .

(٤) صحيح البخاري ، رقم ٧١ . ومسلم ، رقم ١٠٣٧ .

## وأهل الفقه والنظر .

وقد كتب - رحمه الله - في تصوير هذا الاختلاف ، وتقنيده ، والرّد عليه ، وكيفية الجمع بين وجهات نظر الفريقين في مقدّمته الشهيرة لمعالم السنن . يتم إيرادها لأهميتها باختصار .

قال الإمام الخطابي - رحمه الله - : « ورأيتُ أهل العلم في زماننا قد حصلوا حزبين ، وانقسموا إلى فرقتين : أصحاب حديث وأثر ، وأهل فقه ونظر ، وكل واحدٍ منهما لا تميّز عن أختها في الحاجة ، ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه من البُغية والإرادة ، لأن الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل ، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له كالفرع ، وكلُّ بناءٍ لم يوضع على قاعدة وأساس فهو منهار ، وكلُّ أساسٍ خلا عن بناءٍ وعمارة فهو قَفْرٌ وخراب :

ووجدت هذين الفريقين على ما بينهم من التداني في المحليين ، والتقارب في المنزلتين وعموم الحاجة من بعضهم إلى بعض ، إخواناً متهاجرين ، وعلى سبيل الحق بلزوم التناصر والتعاون غير متظاهرين .

فأمّا هذه الطبقة الذين هم أهل الأثر والحديث ، فإنّ الأكثرين منهم إنّما وكدهم الروايات وجمع الطرق وطلب الغريب والشاذ من الحديث الذي أكثره موضوع أو مقلوب ، لا يراعون المتون ، ولا يتفهّمون المعاني ، ولا يستنبطون سيرها ولا يستخرجون ركازها وفقهاها ، وربما عابوا الفقهاء

، وتناولوهم بالطعن ، وادعوا عليهم مخالفة السنن ، ولا يعلمون ،  
أَنَّهُم عن مبلغ ما أوتوه من العلم قاصرون ، وبسوء القول فيهم  
أثمون .

وأما الطبقة الأخرى ، وهم أهل الفقه والنظر ، فإنَّ  
أكثرهم لا يعرِّجون من الحديث إلَّا على أقله ، ولا يكادون  
يميّزون صحيحه من سقيمه ، ولا يعبئون بما بلغهم منه أن  
يحتجوا به على خصومهم إذا وافق مذاهبهم .

وقد اصطَلحوا على مواضعة بينهم في قبول الخبر  
الضعيف ، والحديث المنقطع إذا كان ذلك قد اشتهر عندهم .

وهؤلاء وَقَّنا الله وإيَّاهم لو حُكي لهم عن واحد من  
رؤساء مذاهبهم وزعماء نحلهم قول يقوله باجتهاد من قبل  
نفسه طلبوا فيه الثقة واستبرؤوا له العهدة .

فكيف يجوز لهم أن يتساهلوا في الأمر الأهم وأن  
يتواكلوا الرواية عن إمام الأئمة ورسول ربِّ العزَّة .

ولكن أقوامًا عساهم استوعروا طريق الحق ، واستطالوا  
المدة في درك الحظ ، وأحبُّوا عجاله النيل ، فاقتصروا  
طريق العلم ، واقتصروا على نتف وحروف منتزعة عن  
معاني أصول الفقه سمَّوها عللاً ، وجعلوها شعارًا لأنفسهم ،  
في الترسُّم برسم العلم ، واتخذوها جُبَّة عند لقاء خصومهم ،  
ونصبوها دريئة للخوض والجدال ، يتناظرون بها ،  
ويتلاطمون عليها ، وعند التصادُّر عنها قد حُكِّم للغالب

بالحذق والتبريز ، فهو الفقيه المذكور في عصره ، والرئيس المعظم في بلده ومصره .

هذا وقد دسّ لهم الشيطان حيلة لطيفة ، وبلغ منهم مكيدة بليغة ، فقال لهم : هذا الذي في أيديكم علمٌ قصير ، وبضاعة مزجاة ، فاستعينوا عليه بالكلام ، واستظهروا بأصول المتكلمين ، يتسع لكم مذهب الخوض ، ومجال النظر ، فصدّق عليه ظنّه ، وأطاعه كثيرٌ منهم ، واتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين .

فيا للرجال والعقول أتى يُذهب بهم ، وأتى يخذعهم الشيطان عن حظهم وموضع رشدهم ، والله المستعان )) (١) .

وهنا رسالة ردّ من الإمام مالك بيّين فيها - رحمه الله - التكامل الذي جعله الله بين الناس ، وأنّ بعضهم يكمل بعضاً ، وأنّ الله قسم أعمالهم وقرباتهم إليه كما قسم أرزاقهم .

أخرج الدّهبيّ عن الحافظ ابن عبد البرّ قال : (( إنّ عبد الله العمريّ العابد ، كتب إلى مالك يحضّه على الانفراد والعمل ، فكتب إليه مالك : (( إنّ الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فربّ رجلٍ فُتح له في الصلاة ، ولم يُفتح له في الصّوم ، وآخر فُتح له في الصّدقة ولم يُفتح له في الصوم ، وآخر فُتح له في الجهاد .

(١) معالم السنن ، للخطابي : المقدّمة : ص ٣ - ٥ باختصار .

فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيتُ بما فُتح لي فيه ، وما أظنُّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبرٍّ (١) .

وهذا من فقهه - رحمه الله - ، ونظرته العميقة الشمولية لهذا الدين ، وحُسن رده وتعليمه ، وأدبه الجم مع من نصحه بأمر يخالفُ فقهه - رحمه الله - ، ومن فقه هذا الأثر أيضاً :

**أولاً :** جدير بالمؤمن أن يعلم أن الله قسم أعمال البر ووجوه الخير بين عباده ، كما قسم أرزاقهم ، فإذا آمن بهذا وتيقنه أورثه الله الرضا بما قسم له وفتح عليه فيه ، فلا يمدن عينيه إلى ما عندهم إلا غبطة لهم ، وهو أجدر أن لا يزدري نعمة الله عليه ، أو يزدري إخوانه أو يتنقصهم أو يحسدهم أو يؤذيهم أو يغتابهم ، ويدعهم إلا من خير .

**ثانياً :** ترسيخ مفهوم التكامل والتعاون بين المؤمنين ، وأن كلُّ على ثغر من ثغور الإسلام يسدُّه ، ولولاه لفتح عليه ولما استطاع المُضي فيما هو فيه ، وأن فروض الكفايات تتوزع في الأمة ، فإذا أهملت القيام بشيء منها أثمت ، وأثم هو معها . فالفقهاء على ثغر ، والمفسرون على ثغر ن والمحدثون على ثغر ، وهكذا الخطباء ، والوعاظ ، وأهل الحسبة ، والمفتون ، والمربون ، والمعلمون ، والمصنّفون ، والمجاهدون ، ومن يقوم بإغاثة الملهوفين ، وبناء المساجد ، ومتابعة الإنجازات العلمية ، والمخترعات الطبية ، لحفظ

(١) سير أعلام النبلاء : ١١٤/٨ .

صحة المسلمين ، والمخترعات العسكرية ، وتطوير قدرات الأمة الجهادية لحفظ أمنهم وجهاد أعدائهم ودعوتهم إلى هذا الدين . إذ الواجب أن تكون الأمة الإسلامية رائدة في شتى المجالات ، وقائدة لجميع الأمم في الخير لتتم لها الشهادة عليهم .

ثالثاً : اختيار الإمام مالك - رحمه الله - تعليم العلم ونشره ، وترك العزلة يدلُّ على فقهه - رحمه الله - ، ذلك أن عمله هذا يتعدى نفعه إلى غيره ، ومعلوم أن العمل الذي يتعدى نفعه خيرٌ من العمل الذي يقتصر نفعه على صاحبه .

رابعاً : أن ما يقدمه هو لبنة في الصرح تسدُّ مكانها ولا تُغني عن أخواتها . فعليه أن يدعو لإخوانه ويرجو لهم الخير ، فإنَّ في ذلك تأليف لقلوبهم وتحقيق لولاية المؤمنين بعضهم لبعض . قال تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ }<sup>(١)</sup> . وإن استطاع أن يضرب معهم بسهم في شتى مجالات البر فهذا خيرٌ عظيم ، وتحقيق لقوله تعالى : { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }<sup>(٢)</sup> .



(١) التوبة : الآية ( ٧١ ) .

(٢) المائدة : الآية ( ٢ ) .



## المطلب الثاني : استذكار العلم وتعاهده .

من أهم أصول طلب العلم في المنهج النبوي ؛ استذكار العلم وتعاهده ، فالعلم إذا ترك تفلت ونُسي ، لذا أمر النبي ﷺ أصحابه باستذكاره فقال : « استذكروا القرآن ، فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم بعقلها » (١) .

وقال ﷺ : « تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها » (٢) .

فهذا قسم منه ﷺ بأن تفلت القرآن من الصدور أشد من تفلت الإبل المعقلة من عقلها .

وقال ﷺ : « إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين » (٣) .

قال السنخاوي : « واحفظه - أي الحديث - بالتدرج قليلاً قليلاً مع الأيام والليالي ، ثم ذاكر به الطلبة ونحوهم ، فإن لم تجد من تذاكره فذاكر مع نفسك وكرره على قلبك ، فالذاكرة تعينك على ثبوت المحفوظ ، وهي من أقوى

---

(١) مسلم : صلاة المسافرين : فضائل القرآن : ١/٥٤٤ ، رقم ٧٩٠ .

(٢) البخاري : فضائل القرآن : باب استذكار القرآن وتعاهده : ٤/١٩٢١ ، رقم ٤٧٤٦ .

(٣) البخاري : المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام : ٣/١٣٢٧ ، رقم ٣٤٢٦ .



أسباب الانتفاع به . والأصل فيها معارضة جبريل مع النبي ﷺ القرآن في كل رمضان» (١) .

وقال ﷺ : « إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَفْعَمْ بِهِ نَسِيَهُ » (٢) . فمن أكبر العوامل المساعدة على تثبيت الحفظ القيام بالقرآن .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتذكرون العلم فيما بينهم ، فعن أنس بن مالك ﷺ قال : « كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ ، فَإِذَا قَمْنَا تَذَاكُرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ » (٣) .

وكانوا يحثون بعضهم بعضاً على مذاكرة الحديث ، فعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : « تَزَاوَرُوا ، وَتَدَارَسُوا الْحَدِيثَ ، وَلَا تَتْرَكُوهُ يَدْرُسُ » (٤) .

(١) فتح المغيث ، للسخاوي : آداب طالب العلم : ٣١٥/٣ - ٣١٦ ، مختصراً .

(٢) مسلم : المسافرين : باب الأمر بتعاهد القرآن : ٥٤٤/١ ، رقم ٢٢٧ .

(٣) الجامع لأخلاق الرأوي للخطيب : ٣٦٣/١ ، رقم ٤٦٦ . « وقال في المجمع : ١٦١/١ : وفيه يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف ، ولكن له شواهد من المرفوعات والموقوفات ، يرتقي بها إلى درجة الحسن » عن فتح المغيث ، انظر : ٣١٦/٣ الحاشية .

(٤) المحدث الفاصل : رقم ٧٢١ ، وجامع البيان : ١٠١/١ ، والجامع لأخلاق الرأوي ، للخطيب : ٣٦٤/١ ، رقم ٤٦٧ ، والجامع في الحث على حفظ العلم ، برقم ٤٦٥ ، وصحح إسناده .

وعن ابن عباس قال : (( إذا سمعتم مئي حديثاً فتذاكروه بينكم )) (١) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : (( تحدثوا ، وتذاكروا ، فإنَّ الحديث يذكر بعضه بعضاً )) (٢) .

وقال عبدالله بن مسعود : (( تذاكروا الحديث ، فإنَّه يهيج بعضه بعضاً )) (٣) .

وعن إبراهيم الأصبهاني قال : (( كلُّ من حفظ حديثاً فلم يذاكر به تفلت منه )) (٤) .

وقال الخطيب : (( وليس يثبتُ الحفظُ إلَّا دوام المذاكرة بالمحفوظ )) (٥) .

وقال علقمة : (( تذاكروا الحديث ، فإنَّ حياته مذاكرته ))

---

(١) المحدث الفاصل : رقم ٧٢٨ ، والجامع ، للخطيب : ٣٦٤/١ ، رقم ٤٦٩ .

(٢) الجامع لأخلاق الرأوي ، للخطيب : ٣٦٥/١ ، رقم ٤٧٠ ، وأخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل : رقم ٧٢٢ ، وجامع بيان العلم : ١٠١/١ ، ١١١ ، والطبراني في المعجم الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، انظر : مجمع الزوائد : ١٦١/١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله : ٤٢٤/١ ، رقم ٦٢٨ ، وصحَّه المحقق .

(٤) الجامع في الحثِّ على حفظ العلم : ص ١٩٦ ، رقم ٤٧٢ ، وحسن إسناده ، وقال إبراهيم : هو ابن أرومة الحافظ ، قال أبو نُعيم الأصبهاني : (( فاق أهل عصره في المعرفة والحفظ )) .

(٥) الفقيه والمتفقه : ٢٦٥/٢ .

(١)

وقال عبدالله بن المعتز : « من أكثر مذاكرة العلماء ، لم يئسَ ما علم ، واستفاد ما لم يعلم » (٢) .

وعن الزهري قال : « إِنَّمَا يُذْهَبَ الْعِلْمَ النِّسيانَ وتترك المذاكرة » (٣) .

وعن محمد بن فضيل ، عن أبيه ، قال : « كان ابن شبرمة ، والمغيرة ، والحارث العكلي ، والقعقاع بن يزيد ، وغيرهم يسمرون في الفقه ، فربّما لم يقوموا حتّى يسمعوا النداء بالفجر » (٤) .

وقال الخطيب : « وأفضل المذاكرة : مذاكرة الليل ، وكان جماعة من السلف يبدؤون في المذاكرة من العشاء ، فربّما لم يقوموا حتّى يسمعوا أذان الصبح » (٥) .

وقال ابن جماعة : « فإن لم يجد الطالب من يذاكره ؛ ذاكر نفسه بنفسه ، وكرّر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه ليعلق

(١) العلم لأبي خيثمة ، ص ١٩ ، رقم ٧١ ، وإسناده صحيح : « انظر :

صحيح جامع بيان العلم : ٤٢٤/١ ، رقم ٦٢٧ » .

(٢) الجامع في الحثّ على حفظ العلم : ص ١٩٦ ، رقم ١٨٤١ ، وصحح إسناده

(٣) صحيح جامع بيان العلم : ص ١٢٥ ، رقم ٤٠٧ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ٢٦٨/٢ ، رقم ٩٥٦ ، وصحّ إسناده المحقق .

(٥) تذكرة السامع : ص ٢٠١ .

ذلك على خاطره» (١) .

وقال الزرنوجي : « وإياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع فإنَّ الطبيعة متسرّية ، والأخلاق متعدّية ، والمجاورة مؤثّرة» (٢) .

قال حمّاد بن إبراهيم بن إسماعيل الصقّار (٣) :

ذاكر الناس بالعلوم تحيا ❁ لا تكن من أولي التهي بعيد

وروي عن بعض الفلاسفة : أنّه كان لا يُعلّم أحدًا يتعلّق بشيء من الدنيا ، ويقول : « العلم أجلُّ من أن يُشتغل عنه بغيره» (٤) .

قال الناظم :

شروطُ درس العلم أربعة ❁ فأولها التفرّغ له  
ودرسٌ ثمّ فهمٌ ثمّ حفظ ❁ ثمّ حملكته مع الحملة  
شروطٌ من لم تكن فيه ❁ وإلا لم ينل أمله

وقال إبراهيم : « إذا سمعت حديثًا فحدّث به حين تسمعه ، ولو أنْ تحدّث به من لا يشتهيّه ، فإنّه يكون كالكتاب في

(١) المرجع السابق : ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) تعليم المتعلّم : ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق : ص ٤١ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١٨٤/٢ .

صدرك)) (١) .

وعن إسماعيل بن رجاء : « أنه كان يجمع صبيان  
الكتاب فيحدثهم لئلا ينس حديثه )) (٢) .

ونذكر ابن الجوزي - رحمه الله - : « أن أبا الحسين عليّ  
بن محمّد إلكيا الهَرَاسي كان يُعيد الدرس سبعين مرّة ، وأن  
أبا إسحاق الشيرازي كان يعيده مائة مرّة ، وذكر أن الحسن  
بن أبي بكر النيسابوري الفقيه قال له : لا يحصل الحفظ  
حتى يُعاد خمسين مرّة )) (٣) .

وكان أبو إسحاق الشيرازي يكرّر مسائل المنطق ألف  
مرّة .

فتحصّل بهذا ما يثبت به العلم :

١ - تقوى الله والإخلاص في طلبه .

٢ - الحفظ والإتقان .

٣ - الفهم والفقّه فيه .

٤ - الاستذكار والتكرار الشديد .

(١) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ١١٧ ، رقم ٣٦٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ١١٧ ، رقم ٣٧٠ .

(٣) الحث على حفظ العلم ، لابن الجوزي : ص ٢١ .

- ٥ - المعارضة والمذاكرة به مع غيره .
- ٦ - القيام بالقرآن .
- ٧ - العمل بالعلم وتطبيقه في نفسه .
- ٨ - التحديث به ابتغاء وجه الله .





### المطلب الثالث : كتابة العلم وتقييده .

تقرّر عند أهل العلم أنّ منع الكتابة كان في بادئ الأمر ، خشية اختلاط السنّة بالقرآن ، والاعتماد على الكتابة وترك الحفظ . فلما أمن هذا الجانب سُمِحَ بالكتابة وتقييد العلم ، بل أمر به ، فقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال : « قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ »<sup>(١)</sup> ، وقال أبو شاه ( رجل من اليمن ) : يا رسول الله اكتبوا لي . فقال رسول الله ﷺ : « اكتبوا لأبي شاه »<sup>(٢)</sup> ، يعني خطبة الفتح .

وعن عبدالله بن عمرو قال : « كنت أكتب كلّ شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كلّ شيء تسمعه ! رسول الله ﷺ يتكلم في الرضا والغضب ؟ . فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حق »<sup>(٣)</sup> .

ولقد درج الصّحابة من بعد ذلك والتابعون ومن تبعهم

---

(١) جامع بيان العلم وفضله : ٣٠٦/١ ، رقم ٣٩٥ .

وقال المحقق : إسناده ضعيف ، والحديث حسن ، وقد أطل في الكلام على إسناده وشواهد فراجع هناك ، ص ٣٠٦ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٨/١ ، رقم ٣٨٦ ، وصحح إسناده المحقق .

(٣) المصدر السابق : ٣٠٠/١ ، رقم ٣٨٩ ، وصحح إسناده المحقق .



من علماء الأمة على ذلك .

قال خالد بن خدّاش البغدادي : « ودّعتُ مالك بن أنس ، فقلتُ : يا أبا عبدالله ! أوصني . فقال : عليك بتقوى الله في السرّ والعلانية ، والتّصحّ لكلّ مسلم ، وكتابة العلم من عند أهله » (١) .

وكان أنس يقول لبنيه : « يا بنيّ قيّدوا العلم بالكتاب » (٢)

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - ، ويحيى بن معين : « كلّ من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط » (٣) .

وقال عليّ بن المديني : « ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبدالله أحمد بن حنبل ، وبلغني أنّه لا يحدث إلاّ من كتاب ، ولنا فيه أسوة » (٤) .

وقال : « قال لي سيّدي أحمد بن حنبل : لا تُحدّثنّ إلاّ من

- 
- (١) المصدر السابق : ٣٢٢/١ ، رقم ٤١٨ ، وحسن إسناده المحقق .
- (٢) العلم لأبي خيثمة : ص ٢٩ . قال الألباني : وقفت على طرق كثيرة للحديث مرفوعاً ، دلّ مجموعها على أنّه صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٢٦ .
- (٣) جامع بيان العلم وفضله : ٣٣٠/١ ، رقم ٤٣٣ ، وقال المحقق : إسناده صحيح .
- (٤) الجامع لأخلاق الرّأوي ، للخطيب : ٦٦٥/١ ، رقم ١٠٣٧ . وقال فيه صاحب الجامع في الحث على حفظ العلم : « صحيح » ، انظر : ص ٢٦٢ منه .

كتاب)) (١).

وقال صالح بن كيسان : (( اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم ، فقلنا نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال : نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ، وقلت أنا : ليس بسنة فلا نكتبه ، وكتب ، ولم أكتب ، فأنجح ، وضيعت )) (٢).

وقال الشعبي : لا تدع شيئاً من العلم إلا كتبه ، وقال : (( إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط )) (٣).

وقال معاوية بن قرة : (( من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالماً )) (٤).

وعن أبي المليح قال : تعيينون علينا الكتاب ، وقد قال الله تعالى : { عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ } [ طه/٥٢ ] .

وقال الخليل بن أحمد : (( اجعل ما تكتب بيت مال ، وما في صدرك للنفقة )) (٥) . وقال : (( ما سمعت شيئاً إلا كتبه ، ولا كتبه إلا حفظه ، ولا حفظه إلا نفعني )) (٦) .

(١) المصدر السابق : ص ٦٦٦ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله : ٣٣٣/١ ، رقم ٤٤٢ ، وصحح المحقق إسناده .

(٣) العلم ، لأبي خيثمة : ص ٣٤ ، وقال الألباني : السند إلى الشعبي صحيح .

(٤) جامع بيان العلم وفضله : ٣٢١/١ ، رقم ٤١٧ .

(٥) المصدر السابق : ٣١٤/١ ، رقم ٤٠٧ .

(٦) المصدر السابق : ٣٢٦/١ ، رقم ٤٢٦ .

وقال الناظم :

العلم صيدٌ والكتابة قيده      ❁ قيد صيودك بالجمال الوائقة  
فمن حماقة أن تصيد غزالة      ❁ وتركها بين الخلاق طالقة

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « مع المحبرة إلى المقبرة »<sup>(١)</sup> ، وقالوا : « الحبرُ عطرُ الحبرِ » .

وينبغي لطالب العلم أن يراجع ما يكتب ، ويحفظ أحسن ما يكتب ، ليحدث بأحسن ما يحفظ ، وإلا فالكتابة دون حفظ لا تكفي .

وينبغي لطالب العلم تقييد اللطائف ، والفوائد ، والشوارد ، والإضافات ، والتحقيقات ، والشروحات ، ويكون لها تبويبا معلوماً عنده ، ليتمكن من الاستفادة منها دون عناء .



(١) المصدر السابق : ٣٣٥/١ ، رقم ٤٤٧ .

المبحث الرابع : ( تطبيق عملي ) ، ( دليل طالب العلم ) .

### **المطلب الأول : أوصاف علماء السنة الذين يؤخذ عنهم العلم .**

ينبغي لطالب العلم أن يجتهد في البحث عمّن يأخذ عنه دينه ، ذلك أنّ الكتب لا تغني عن العالم الربّاني شيئاً ، وأن علماء البدعة والأهواء يُفسدون ولا يُصلحون ، فينبغي للمتعلّم أن لا يألُو جهداً في البحث عمّن تنطبق عليه هذه الأوصاف أو أغلبها ، فإن لم يجد فليبحث عن الذي أدنى منه منزلة وهكذا يتدرّج تنزلاً ، في البحث والتحري عن أفضل الموجود :

#### **١ . أقرب الناس سمناً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ :**

روى البخاريُّ عن عبد الرحمن بن يزيد قال : « سألنا حديفة عن رجلٍ قريب السمت والهدى من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه ، فقال : ما أعرف أحداً أقرب سمناً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أمّ عبدٍ » (١) . وفي رواية قال حديفة : « إنّ أشبه الناس دلاً وسمناً وهدياً برسول الله ﷺ لابن أمّ عبدٍ من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه ، لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا » (٢) .

(١) البخاريّ : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب عبدالله بن مسعود :

١٣٧٣/٥ ، رقم ٣٥٥١ .

(٢) البخاريّ : كتاب الأدب : باب في الهدى الصالح : ٢٢٦٢/٥ ،

رقم ٥٧٤٦ .

=

ومن هذا يتضح اهتمام السلف بمن يأخذون عنه العلم ،  
وأن يكون أقرب الناس سيرة وهيئة وحديثاً وعبادة برسول  
الله ﷺ .

فقد روى الخطيب عن إبراهيم قال : « كانوا إذا أتوا  
الرجل ليأخذوا عنه ، نظروا إلى سمته وإلى صلاته ، وإلى  
حاله ، ثم يأخذوا عنه » (١) .

**والسمت : القصد والسكينة والوقار وحسن الهيئة والمنظر في الدين ،  
وهيئة أهل الخير ، وتأتي بمعنى الطريق ، أي طريقة أهل الإسلام ،  
وبمعنى اتباع الحق والهدى .**

**والهدي : السيرة ، والطريقة ، والهيئة ، انظر : النهاية في غريب  
الحديث : ٢٥٣/٦ ، قال : واهدوا هدي عمّار ، أي سيروا بسيرته ،  
وتهيأوا بهيئته ، وفي مختار الصحاح : ص ٢٨٩ : ما أحسن هديته أي  
سيرته ، ويُقال : هدى هدى فلان أي سيرته ، وقال ابن فارس : التقدّم  
للإرشاد : ٤٢/٦ .**

**والدّل : حسن الحديث ، والمزح عند الأهل . انظر : اللسان : ٤٦/٢**

والكلمات الثلاث تكاد تحمل معنى واحداً ، قال صاحب النهاية في  
غريب الحديث : « وقد تكرّر ذكر الدّل في الحديث ، وهو والهدى  
والسمت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة  
والوقار ، وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة » :  
١٣١/٢ .

لذلك بدأت كلّ كلمة بأبرز معنى تتميز به عن رفيقاتها ، وذلك من  
مجموع ما اطلعت عليه من كتب اللغة والغريب .

(١) الجامع لأخلاق الرّأوي : ١٩٣/١ ، رقم ١٣٦ .

فحريٌّ بالمتعلِّم أن يسلك مسلكهم .

### ٢. سلامة العقيدة واستقامة الطريقة :

أن يكون سُنِّيًّا ، سلفيًّا : معتقدًا ومنهجًا وطريقة ، سالمًا من البدعة . وفي هذا يقول الخطيب - رحمه الله - : (( هذا كُله بعد استقامة الطريقة ، وثبوت العدالة ، والسلامة من البدعة ، فأما من لم يكن على هذه الصفة ، فيجب العدول عنه ، واجتناب السماع منه )) (١) .

وقال - رحمه الله - : (( وما شيءٌ أضعف من عالمٍ ترك النَّاسُ عِلْمَهُ لفسادِ طريقته ، وجاهلٍ أخذ النَّاسُ بجهله لنظرهم إلى عبادته )) (٢) .

### ٣. ثبوت العدالة والضبط :

قال طاووس : (( إِنْ كَانَ صَاحِبُكَ مَلِيًّا فَخُذْ عَنْهُ )) (٣) . قال النووي : (( يعني : ثقةً ، ضابطًا ، متقنًا ، يوثق بدينه ومعرفته ، ويُعتمد عليه ، كما يُعتمد على معاملة الملي بالمال ثقة بزمته )) (٤) .

### ٤. ربانيًّا :

عن أبي رزين في قوله تعالى : { كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } [ آل

(١) الجامع لأخلاق الرّأوي وآداب السّامع : ١٩٢/١ ، رقم ١٣٣ .

(٢) اقتضاء العلم العمل : ص ١٤ .

(٣) صحيح مسلم : المقدّمة : ص ١٥ . قال في الشرح : انفرد به مسلم ، تحفة الأشراف : رقم ١٨٨٢٦ ، انظر : النووي على مسلم : ٤٤/١ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ٤٤/١ .

عمران/٧٩] ، قال : فقهاء ، علماء . وسئل ابن الأعرابي عن ( رباني ) فقال : إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً ، قيل هذا رباني ، فإن خرم عن خصلةٍ منها لم يُقلْ له رباني ) (١)

وروى البخاري عن ابن عباس : { كُونُوا رَبَّانِيْنَ } : (علماء فقهاء ، ويقال : الرباني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كبارها) (٢)

ومن أهم صفات الرباني : أن يكون عاملاً بعلمه ، قال ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : وَذَكَرَ مِنْهَا : وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمَلَ فِيهِ » (٣)

وقال ﷺ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَنَنْدِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ . فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْتُهُ » (٤)

وفي البخاري : « يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ ، فَيُطْحَنُ فِيهَا كَطْحَنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : أَيُّ فُلَانُ ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : إِيَّيْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا

(١) الفقيه والمتفقه : ١٨٥/١ .

(٢) البخاري تعليقا : كتاب العلم : باب العلم قيل القول والعمل : ٣٧/١ .

(٣) صحيح سنن الترمذي : ٢٩٠/٢ ، رقم ٢٥٤٥/١٩٧٠ .

(٤) مسلم : الزهد والرقائق : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله : ٢٢٩٠/٤ ، رقم ٢٩٨٩ .

أفعله ، وأنهى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ» (١) .

ومن صفات العالم الربّاني : خشية الله ، قال تعالى : {  
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (٢) .

قال الشعبي : (( إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ )) (٣) .

وقال مسروق : بحسب المرء من العلم أن يخشى الله ،  
وبحسبه جهلاً أن يُعجب بعلمه )) (٤) .

ومن صفاته : إحسان العمل ، عن أبي العالية قال : (( كُنَّا  
إِذَا أَتَيْنَا الرَّجُلَ لِنَأْخُذَ عَنْهُ نَظَرْنَا إِلَى صَلَاتِهِ ، فَإِذَا أَحْسَنَ  
الصَّلَاةَ أَخَذْنَا عَنْهُ ، وَإِنْ أَسَاءَ الصَّلَاةَ لَمْ نَأْخُذْ عَنْهُ )) (٥) .

مشتهراً بديانته . قال الخطيب : (( يَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ  
يَقْصِدَ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ اشتهر بالديانة ، وعُرف بالستر

(١) البخاريّ : الفتن : باب الفتنة التي تموج كموج البحر : ٢٦٠٠/٦ ،  
رقم ٦٦٨٥ .

اندلقت أقتاب بطنه : إذا خرجت أمعاؤه . وناقاة دُلُق : شديدة الدُّفعة :  
معجم مقاييس اللغة : مادة دلق : ٢٩٧/٢ .

(٢) فاطر : الآية ( ٢٨ ) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله : ص ٥٣٨ .

(٤) العلم لأبي خيثمة : قال الألباني : إسناده صحيح عن مسروق ، وهو  
ابن الأجدع تابعي فقيه عابد ، مات سنة ( ٦٢ ) ، ص ١٤ ، رقم ٤٦ .

(٥) المحدثّ الفاصل : ص ٤٠٩ ، رقم ٤٣٠ ، والخطيب في الكفاية :  
ص ١٥٧ .



والصيانة» (١) .

وقال محمد بن المنكدر : « إِنَّ الْعَالِمَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ،  
فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ » (٢) .

**٥. أن يكون مهذباً رباه العلماء وأخذ عنهم مع طول صحبة وملازمة لهم :**

عن سليمان بن موسى القرشي الأموي قال : « لا تقرأوا  
القرآن على المصحفيين ، ولا تأخذوا العلم من الصُّحفيين »  
(٣) .

وقال الخطيب : « ويكون قد أخذ فقهه من أفواه العلماء  
لا من الصُّحف » (٤) .

وقال ابن جماعة : « وله من يوثق به من مشايخ عصره  
كثرة بحث وطول اجتماع لا ممّن أخذ عن بطون الأوراق  
ولم يُعرف بصحبة المشايخ الحُذّاق » (٥) .

وقال الشاطبي : « وقد قالوا : إنّ العلم كان في صدور  
الرجال ، ثمّ انتقل إلى الكتب ، وصارت مفاتحه بأيدي  
الرجال ، وهذا الكلام يقضي بأن لا بد في تحصيله من  
الرجال ؛ فإذا تقرّر هذا ؛ فلا يؤخذ إلاّ ممّن تحقق به ،

(١) الفقيه والمتفقه : ١٩١/٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٨٨/٢ ، وصحّ إسناده المحقق .

(٣) الفقيه والمتفقه : ١٩٣/٢ ، رقم ٨٤٨ ، وصحّ المحقق إسناده .

(٤) المصدر السابق : ١٩٣/٢ .

(٥) تذكرة السامع : ص ١٣٥ .

وللعالم المتحقق بالعلم أمارات وعلامات ثلاث : إحداها العمل بما علم ، فإن كان مخالفاً له ؛ فليس بأهل أن يؤخذ عنه ، ولا أن يُقتدى به في علم .

والثانية : أن يكون ممن ربّاه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم ، فهو الجدير بأن يتّصف بما اتصفوا به من ذلك ، وهكذا كان شأن السلف الصالح .

والثالثة : الإقتداء بمن أخذ عنه ، والتأدب بأدبه ، كما علمت من إقتداء الصحابة بالنبي ﷺ وإقتداء التابعين بالصحابة وهكذا في كل قرن . فلما ترك هذا الوصف ؛ رفعت البدع رؤوسها لأن ترك الإقتداء دليلٌ على أمر حدث عند التارك ؛ أصله اتباع الهوى ))<sup>(١)</sup> .

#### ٦. اتباع الكتاب والسنة وإجماع الأمة :

قال أبو محمد ؛ الحسن بن عليّ البربهاري ( ت ٣٢٩ هـ ) : « واعلم رحمك الله أنّ العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ، وإنّما العالم من اتبع العلم والسنن ، وإن كان قليل العلم والكتب ، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب ))<sup>(٢)</sup> .

وروى اللالكائي عن أبي بكر بن عيّاش : قال له رجلٌ :

(١) الموافقات : ١٤٠/١ - ١٤٥ باختصار ؛ فليراجع من أراد التوسع ، و

كذلك في باب الاجتهاد : الموافقات : ٢٦٢/٥ .

(٢) شرح السنة للبربهاري : ص ١٠٤ ، رقم ١٠٣ .

من السنِّي ؟ قال : الذي إذا دُكرتْ الأهواء لم يتعصَّب لشيء منها ((<sup>(١)</sup> . وقال : (( علامة أهل البدع ؛ الوقعة في أهل الأثر ))<sup>(٢)</sup> .

وقال البربهاري : (( وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح ؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله ))<sup>(٣)</sup> .

وقال الطحاوي : (( ولا ندعو عليهم ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ))<sup>(٤)</sup> .

وعن عمرو بن سفيان البكالي قال : قال رسول الله ﷺ : (( إذا كانت عليكم أمراء يأمرونكم بالصلاة والزكاة ، حُت لكم الصلاة خلفهم ، وحرُم عليكم سبهم ))<sup>(٥)</sup> .

وقال عمر رضي الله عنه : (( إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنن ، أعينهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا

- 
- (١) شرح أصول إعتقاد أهل السنة للالكائي : ٥٣/١ .
  - (٢) المصدر السابق : ١٧٩/١ .
  - (٣) شرح السنة للبربهاري : ص ١٣٦ .
  - (٤) الطحاوية ، بتعليق الألباني : ص ٤٧ ، ٤٨ ، وقال : ذلك خاص بالمسلمين منهم .
  - (٥) معرفة الصحابة ، لأبي نُعيم : ٢٠٢٧/٤ ، رقم ٥٠٩٣ .

وأضلُّوا)) (١) .

وقال أبو بكر بن أبي داود : (( أهل الرأي هم أهل البدع  
 )) (٢) ، وقال سفيان بن عيينة : (( العالم : الذي يُعطي كلَّ  
 حديثٍ حقّه )) (٣) ، أي في شرحه متناً وسنناً ، وبيان جودته  
 وحُسْنه من ضعفه مع بيان علله ، فقد كان غسان الرازي  
 الطيالسي - ( لقبه زُنيج ) - (( إذا مرَّ بالحديث في إسناده  
 شيء ، قال هذا فيه عهدة )) (٤) .

وقال أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي : (( علُّمنا  
 مضبوطٌ بالكتاب والسنة ، ومن لم يحفظ الكتاب والسنة  
 ويكتب الحديث ولم يتفقه ؛ لا يُقتدى به )) (٥) .

ومما يميّز علماء السنة عن غيرهم كون الغالب على  
 حديثهم الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وأعمالهم ، وأن  
 يكون كلامه بقدر ما يوضِّح للناس معاني النصوص  
 ويفهمهم إيّاها ويستنبط منها ويستدل بها .

(١) جامع بيان العلم وفضله : ١٠٤٢/٢ ، رقم ٢٠٠٤ ، وصححه المحقق

(٢) المصدر السابق : ١٠٤٢/٢ ، ملحق برقم ٢٠٠٥ .

(٣) صحيح جامع بيان العلم : ص ٣٠٠ ، رقم ١٠٤٧ .

(٤) الجامع لأخلاق الرواي : ١٩٢/١ ، رقم ١٣٤ .

(٥) تاريخ بغداد : ٢٤١/٧ - ٢٤٩ .

**٧. التواضع والرفق بالمتعلم :**

قال الخطيب : « ويكون قد وسم نفسه بآداب العلم من استعمال الصبر والحلم والتواضع للطالبين ، والرفق بالمتعلمين ، ولين الجانب ومداراة الصاحب ، وقول الحقّ والنصيحة للخلق وغير ذلك من الأوصاف الحميدة والنعوت الجميلة » (١) .

وقال ابن جماعة : « إذا كان للشيخ من التقوى نصيبٌ وافر وعلى شفقتة ونصحه للطلبة دليل ظاهر ، وكذلك المصنّفات ، وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى الأزهد أوفر ، والفلاح بالاشتغال به أكثر » (٢) .

والعالم أحقّ بالتواضع من غيره .

وعن الزهري قال : « كان عروة يتألف الناس على حديثه » (٣) .

وعن الأعمش عن إبراهيم قال : « كانوا يكرهون أن يُظهر الرَّجُلُ ما عنده » (٤) .

روى أبو خيثمة قال : « كان النَّبِيُّ ﷺ يكره أن يوطأ

(١) الفقيه والمتفقه : ١٩٢/٢ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم : ص ١٣٥ .

(٣) العلم لأبي خيثمة : ص ١٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣ .

عقبه ، ولكن عن يمين وشمال» (١) .

وعند ابن ماجه : « مَا رُئِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ مُتَكِنًا قَطُّ ، وَلَا يَطَأُ عَقْبِيهِ رَجُلَانِ » (٢) . وعنده أيضاً : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَشَى مَشَى أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلَائِكَةِ » (٣) .

وعن الهيثم ، عن عاصم بن ضمرة : « أَنَّهُ رَأَى أَنَسًا يَتَّبِعُونَ سَعِيدَ بْنِ جَبْرِ فَنَهَاهُمْ وَقَالَ : « إِنَّ صَنِيْعَكُمْ هَذَا مَذَلَّةٌ لِلتَّابِعِ ، وَفِتْنَةٌ لِلْمَتَّبِعِ » (٤) .

#### ٨. أن يكون من الأكابر :

قال ﷺ : « البركة مع أكابركم » (٥) .

- (١) العلم لأبي خيثمة : ص ٢٥ ، رقم ١٠١ ، وقال الألباني : حديث صحيح ، وإسناده مرسل ، لكن وصله الحاكم من طريق أمية بن خالد : ٢٧٩/٤ ، ٢٨٠ .
- (٢) سنن ابن ماجه : انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني : باب من كره أن يوطأ عقباه : ٤٧/١ ، رقم ١٩٩ ، ٢٠٠ .
- (٣) سنن ابن ماجه : انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني : باب من كره أن يوطأ عقباه : ٤٧/١ ، رقم ١٩٩ ، ٢٠٠ .
- (٤) العلم لأبي خيثمة : ص ٣٠ ، رقم ١٢٣ ، قال الألباني : هو الهيثم بن حبيب : أبي الهيثم الصيرفي ، وهو ثقة ، وكذلك سائر الرواة .
- (٥) جامع بيان العلم وفضله : ٦١٣/١ ، رقم ١٠٥٣ ، وصححه المحقق ، وقال : أخرجه ابن حبان ( ٩٥٥ ) ، والحاكم : ٦٢/١ ، وقال الحاكم : على شرط البخاري ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، ثم قال : وهو كما قالوا .

وعن ابن مسعود قال : « لا يزال الناس صالحين ، متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم ، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا » (١) .

وعن أبي أمية الجمحي ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أشرط الساعة ثلاثاً : إحداهن أن يلتبس العلم عند الأصاغر . قال نعيم : قيل لابن المبارك : من الأصاغر ؟ قال : الذين يقولون برأيهم ، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير » (٢) . وذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر « عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع ، ولا يذهب إلى السنن ، قال أبو عبيد : وهذا وجه ، وقال : والذي أراه أنا في الأصاغر : أن يؤخذ العلم ممن كان بعد أصحاب رسول الله ﷺ ، فذاك أخذ العلم عن الأصاغر » (٣) .

وقال عبدالله : « إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم ، فإذا كان العلم في صغاركم سقه الصغير الكبير » (٤) .

قال ابن عبدالبرّ : « واستشهد بعضهم بأن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - كان يُستفتى وهو صغير ، وأنّ

(١) الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله موثوقون ، انظر : مجمع الزوائد : ١٣٥/١ .

(٢) جامع بيان العلم : ٦١٢/١ ، رقم ١٠٥٢ ، حسنه المحقق ، وقد علق عليه هناك ، وأورد له شواهد .

(٣) جامع بيان العلم : ٦١٢/١ ، تابع لرقم ١٠٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦١٦ ، رقم ١٠٥٩ .

معاذ بن جبل وعتّاب بن أسيد كانا يفتيان وهما صغيرا السن ، وولاهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر أسنانهما ، ومثل هذا في العلماء كثير )) (١) .

وعن الزهري قال : (( كان مجلس عمر مغتصاً من القراء شباباً وكهولاً ، فربما استشارهم ، ويقول : لا يمنع أحدكم حداثة سنّه أن يشير برأيه ، فإنّ العلم ليس على حداثة السنّ وقدمه ، ولكن الله يضعه حيث يشاء )) (٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (( قد علمتُ متى صلاح النَّاسِ ومتى فسادهم : إذا جاء الفقه من قِبَلِ الصغير استعصى عليه الكبير ، وإذا جاء الفقه من قِبَلِ الكبير تابعه الصغير فاهتديا )) (٣) .

أي أنّ الكبير يأنف من الأخذ عن الصغير .

وروى الخطيب بسنده إلى عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، قال : (( سألتُ عن قوله : لا يزال النَّاسُ بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم : يريد : لا يزال النَّاسُ بخير ما كان علماءهم المشايخ ، ولم يكن علماءهم الأحداث ، لأنّ الشَّيْخَ قد زالت عنه مِيعَةُ الشَّبابِ ، وحِدَّتُهُ ، وعجلتُهُ ، وسفهتُهُ ، واستصحب التجربة والخبرة فلا يدخلُ عليه في

(١) المصدر السابق : ص ٦١٨ ، رقم ١٠٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦١٩ ، رقم ١٠٧٠ . وصحّ إسناده المحقق .

(٣) المصدر السابق : ص ٦١٥ ، رقم ١٠٥٥ .



علمه الشبه ، ولا يغلب عليه الهوى ، ولا يميل به الطمع ، ولا يستزله الشيطانُ استزلالَ الحَدَثِ . ومع السنِّ الوقارُ ، والجلالة والهيبةُ ، والحدث قد يدخل عليه هذه الأمور التي أمّنت على الشَّيْخِ ، فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك )) (١)

والعلم في الكبار غالبًا . ذلك أنّ الكبير قد حفظ العلم في العادة صغيرًا ، واستزاد منه وفهمه شبابًا ، وذاكره وذاكر به ، مع طول صُحْبَةِ وملازمة وثني للركب عند العلماء ، فقد قضى حياته في العلم والتعليم ، فأصبح ذا خبرة وممارسة وذوقٍ علمي وملكة ورسوخ قدم في العلم ، وطول عهدٍ بالمسائل وتحريرها ومعرفة منازعها ومآخذها .

واكتسب قوّة في النظر والاستدلال وممارسة الفتوى .

قال الحافظ أبي الفداء ابن كثير عند تفسير قول الله تعالى : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً } (٢) . قال : (( قوي وشبّ وارتجل ، { وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً } . أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ، ويقال : إنّه لا يتغيّر غالبًا عمّا يكون عليه ابن الأربعين )) (٣) ، حتّى إذا كملت خبراته وتراكت تجاربه ، جُلس إليه ، ولهذه القاعدة استثناءات من النُّجَبَاءِ النَّوَادِرِ

(١) الفقيه والمتفقه : ١٥٦/٢ ، رقم ٧٧٧ .

(٢) الأحقاف : الآية ( ١٥ ) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء بن كثير : ١٦٩/٤ - ١٧٠ .

الذين رزقهم الله ذكاءً خارقاً ، وفهماً ثاقباً ، وتوجيهاً صحيحاً ، وتوفيقاً لتحصيل العلم النافع من قريب ، من أمثال عبدالله ابن عباس ، ومعاذ بن جبل ، وغيرهم كثير من علماء الأمة الذين حفظ الله بهم الدين .

### ٩. الأعلام والأورع ، والأتقن والأحفظ ، مع الشمرة وعلو الإسناد :

قال الزرنوجي : « فينبغي أن يختار الأعلام ، والأورع ، والأسنن »<sup>(١)</sup> .

وقال ابن جماعة : « ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل »<sup>(٢)</sup> .

وقال يحيى بن معين : « آلة الحديث : الصدق ، والشهرة ، والطلب ، وترك البدع ، واجتناب الكبائر »<sup>(٣)</sup> .

وقال الخطيب : « ممن علا إسناده ، المشهور بطلب الحديث ، المشار إليه بالإتقان له ، والمعرفة به ، والأحفظ »<sup>(٤)</sup> .

وعن ابن أبي الزناد عن أبيه : قال : « أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ، ما يؤخذ عنهم الحديث ، يقال : ليس من

(١) تعليم المتعلم : ص ١٤ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم : ص ١٣٣ .

(٣) المحدث الفاصل : ص ٤٠٦ ، ٤٢٤ ، والخطيب في الكفاية ، ص ١٠١ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : ١٨٩/١ .

أهله ((<sup>(١)</sup> .

#### ١٠. متدرجاً في تعليمه :

والأصل في التدرج وتقديم الأهم هو حديث معاذ إلى اليمن ، وكذلك التدرج في التشريع ، قال الشاطبي - رحمه الله - في وجوب التدرج بالمتعلم : (( فلا يصح للعالم في التربية العلمية ، إلا المحافظة على هذه المعاني ، وإلا لم يكن مربياً ، واحتاج هو إلى عالم في التربية ))<sup>(٢)</sup> .

وقال - رحمه الله - : (( أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها على ضد التربية المشروعة . فمثل هذا يوقع في مصائب ))<sup>(٣)</sup> .

#### ١١. العالم الذي ينتقي الحديث انتقاءً ، ولا يحدث بكل ما سمع ، ولا يحدث بالشاذ ، ولا يتتبع الغرائب :

قال ﷺ : (( كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ))<sup>(٤)</sup> .

وعن عبدالله بن عباس قال : (( إنما كنا نحفظ الحديث ، والحديث يحفظ عن رسول الله ﷺ . فأما إذ ركبتم كلَّ

(١) تذكرة السامع والمتكلم ، لابن جماعة : ص ١٣٣ .

(٢) الموافقات : ١/١٢٤ .

(٣) الموافقات : ١/١٢٣ .

(٤) مقدّمة مسلم : ١/١٠ ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع : رقم ٥/٥

صَعْبٍ وَذُلُولٍ فَهَيْهَاتَ» (١) . أي بعد أن نثق بحديثكم .

وقال مالك : « اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلُمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا ، وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » (٢) .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يُمَسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ » (٣) . بل كان بعض السلف ينبه الناس ويحذّرهم من الأخذ عمّن به خاتم ، ويُعلن ذلك إعلانًا على رؤوس الأشهاد .

فقد روى الإمام مسلم في المقدمة أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ قَالَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ : دَعُوا حَدِيثَ عَمْرٍو بْنِ نَابِتٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسُبُّ السَّلْفَ » (٤) .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : « لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ أَخَذَ بِالشَّاذِّ مِنَ الْعِلْمِ ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ رَوَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ رَوَى كُلَّ مَا سَمِعَ » (٥) .

وقال ابن عبدالبرّ : « وَكَانَ يُقَالُ : الْعَالَمُ النَّبِيلُ الَّذِي يَكْتُبُ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُ ، وَيَحْفَظُ أَحْسَنَ مَا يَكْتُبُ ، وَيَحَدِّثُ

(١) مقدّمة مسلم : ١٣/١ ، رقم ٥/٧/٧ .

(٢) مقدّمة مسلم : ١١/١ ، رقم ٤/٥/٥ .

(٣) مقدّمة مسلم : ١١/١ ، رقم ٦/٥/٥ .

(٤) مقدّمة مسلم : ١٦/١ .

(٥) جامع بيان العلم : ٨٢٠/٢ ، رقم ١٥٣٩ ، وصحّح إسناده المحقق ، وانظر كذلك : ١٥٣٠ - ١٥٣٢ .

بأحسن ما يحفظ» (١) .

### ١٣. إفتاؤه للعلم في المساجد وغيرها علانية إلا لعارض :

فقد روى الإمام البخاري تعليقا أن عمر بن عبد العزيز « كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ : انظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلْتَفُشُوا الْعِلْمَ ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعْلَمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا » (٢) .

وعن الحسن قال : « جاء أعرابي إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! علمني الدين ، فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وعليك بالعلانية ، وإياك والسرّ وكل ما يستحي منه ... » (٣) .

وقال ﷺ : « لا يزال طائفة من أمّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » (٤) . وقد بوب البخاري على ذلك بقوله : « بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ يقاتلون . وهم أهل العلم » .

- (١) صحيح جامع بيان العلم : ص ١٢٢ ، رقم ٣٩٨ .
- (٢) البخاري تعليقا : كتاب العلم : باب كيف يقبض العلم : ٤٩/١ .
- (٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٢٠٣/١ ، رقم ٣٣٤ .
- (٤) البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ » : ٢٦٦٧/٦ ، رقم ٦٨٨١ .

فذكر أنّهم أهل العلم ، وقال الحافظ في شرحه لهذه الكلمة : « أي على من خالفهم ، أي غالبون ، أو المراد بالظهور أنّهم غير مستترين ، بل مشهورون ، والأول أولى » (١) .

والمعنى عام في الظهور بمعنى : البروز والشهرة والغلبة على الأعداء ، وذلك حتى تتمّ الشهادة على الناس ، وتقوم الحجة عليهم ، قال الله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (٢) .

وقال السفاريني فيما ينبغي للعالم : « وترك الحجاب ؛ بل يكون بابه للشريف والوضيع ، ولذا قيل : إذا مُنِعَ العلمُ عن العامة لم تنتفع به الخاصة » (٣) .

وكتب عمر بن عبدالعزيز فقال : « أمّا بعد ، فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ، فإنّ السنّة كانت قد أميّت » (٤) .

---

(١) فتح الباري ، للحافظ ابن حجر : ٣٠٧/١٣ عند شرح قوله : « وهم ظاهرون » .

(٢) البقرة : الآية ( ١٤٣ ) .

(٣) غذاء الألباب ، شرح منظومة الآداب : ٤٨/١ في مطلب : يراد للعالم عشرة أشياء .

(٤) المحدث الفاصل : في عقد المجالس في المساجد : ص ٦٠٣ ، رقم ٨٧٣ ، وقال : أخرج البخاريّ نحوه تعليقا ، انظر : فتح الباري : ٢٠٤/١ .

## أوصاف من تؤخذ عنه الفتوى :

للعالم المُفتي أوصاف زائدة على ما سبق من أوصاف علماء السُّنة الذين يُعلمون العلم : قال الإمام الشَّافعيّ : (( لا يحلُّ لأحدٍ يُفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله : بناسخه ومنسوخه ، وبمحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيّه ومدنيّه ، وما أُريد به ، وفيما أنزل ، ثمَّ يكونُ بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ ، وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرفُ من الحديث مثل ما عَرَفَ من القرآن ، ويكون بصيراً باللُّغة ، بصيراً بالشَّعر ، وما يحتاجُ إليه للعلم والقرآن ، ويستعملُ مع هذا الإنصاف ، وقلة الكلام ، ويكونُ بعد هذا مُشرقاً على اختلاف أهل الأمصار ، ويكون له قريحةٌ بعد هذا .

فإذا كان هذا هكذا ، فلهُ أن يتكلَّم ويُفتي في الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلَّم في العلم ولا يُفتي ))<sup>(١)</sup>

وقال الإمام أحمد : (( ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفُتيا أن يكون عالماً بالسنن ، عالماً بوجوه القرآن ، عالماً بالأسانيد الصحيحة ، وإيما جاء خلاف من خالف لقلَّة معرفتهم بما جاء عن النَّبي ﷺ في السُّنة ، وقلة معرفتهم

(١) الفقيه والمتفقه ، للخطيب : ٣٣١/٢ - ٣٣٢ ، رقم ١٠٤٨ .

بصحيحها من سقيمها)) (١) .

وسئل ابن المبارك : متى يُفتي الرجلُ ؟ قال : إذا كان عالمًا بالأثر ، بصيرًا بالرأي)) (٢) .

وقال ابن الماجشون : (( كانوا يقولون : لا يكون فقيهاً في الحادث من لم يكن عالمًا بالماضي )) (٣) .

وقال عبدالله بن المبارك - في وجوب اعتماد المفتي على الكتاب والسنة ، وآثار السلف - : (( ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يُفسر لك الحديث )) (٤) .

قال الحسن : (( الفقيه : الورع الزاهد الذي لا يسخر بمن أسفل منه ، ولا يهمز من فوقه ، ولا يأخذ على علم علمه الله طعاماً )) (٥) .

وعن عليّ بن أبي طالب أنه قال : (( ألا أنبئكم بالفقيه حقّ الفقيه ؟ من لم يقطّ الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن إلى غيره ، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه ، ولا خير في فقه ليس فيه تفهم ، ولا خير في قراءة ليس

(١) المصدر السابق : ٣٣٢/٢ ، رقم ١٠٤٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٢/٢ ، رقم ١٠٥٠ .

(٣) صحيح جامع بيان العلم وفضله : ص ٣٠٠ ، رقم ١٠٥٠ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ٣٤٦/٢ ، رقم ١٠٧٣ .

(٥) الفقيه والمتفقه : ٣٤١/٢ ، رقم ١٠٦٧ .



فيها تدبُّر)) (١) .

وقد أورد الخطيب جملة من الأوصاف في باب ذكر شروط من يصلح للفتوى ، قال :

(( أن يكون بالغًا عاقلًا عدلاً ، إذ لم يختلف علماء المسلمين في رد فتوى الفاسق وإن كان بصيرًا بها ، ثقة ضابطًا عالمًا بالأحكام الشرعية وأصولها الأربعة : الأول : العلم بالكتاب ، على الوجه الذي تصحّ به معرفة ما تضمنته من الأحكام ، محكمًا ومتشابهًا ، وعمومًا وخصوصًا ، ومجملاً ومفسرًا ، وناسخًا ومنسوخًا ، والثاني : العلم بالسنة دراية ورواية ، والثالث : العلم بأقوال السلف فيما أجمعوا عليه ، واختلفوا فيه ، ليتبع الإجماع في فتواه ، ويجتهد برأيه فيما اختلفوا فيه ، والرابع : العلم بالقياس الموجب لردّ الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمُجمَع عليها ، حتّى يجد المفتي طريقًا إلى العلم بأحكام النوازل ، وتمييز الحق من الباطل .

فهذا لا يجوز للمفتي الإخلال بشيءٍ منه .

ثمّ قال - ما ملخصه - : (( وينبغي أن يكون قويّ الاستنباط والملاحظة والفهم ، رصين الفكر ، صحيح الاعتبار ، صاحب أناة وتؤدة وتنبّت ، بصيرًا بما فيه المصلحة ، مستوفقًا بالمشاورة ، حافظًا لدينه ، مشفقًا على

(١) الفقيه والمتفقه : ٣٣٩/٢ ، رقم ١٠٦١ .

أهل ملته . مواظبًا على مروءته ، مستطيبًا لمأكله ، متورعًا عن الشبهات وفساد التأويلات ، صليبيًا في الحق ، دائم الاشتغال بمعادن الفتوى وطرق الاجتهاد ، لم تغلب عليه الغفلة أو يعتوره السهر ، أو يُعرف بالاختلال ، يجيب بما لا يسنح له ، ويُفتي بما يخفى عليه .

واعلم أنّ العلوم كلّها أباير الفقه ، وليس دون الفقه علمٌ إلاّ وصاحبُه يحتاجُ إلى دون ما يحتاج إليه الفقيه ، لأنّ الفقيه يحتاج لمعرفة طرف من كلّ شيء من أمور الدنيا والآخرة ، وإلى معرفة الجدّ والهزل ، والخلاف والضدّ ، والنفع والضرّ ، وأمور الناس الجارية بينهم ، والعادات المعروفة منهم .

ولن يُدرك ذلك إلاّ بملاقة الرجال ، والاجتماع مع أهل النحل والمقالات المختلفة ومساءلتهم ، وكثرة المذاكرة لهم ، وجمع الكتب ودرسها ، ودوام مطالعتها .

والدليل على ذلك أنّ الله لما أراد إعلام النّاس أن ما أتى به النّبي ﷺ من قصص وأخبار وسير هو معجز لهم أخبرهم أنّه لا يُعرف ﷺ بقاء الرجال ، ودراسة الكتب ، وخطّه بيمينه ، ليصدّق قوله إنّه إخبارٌ له من الله . وأن وجوده خلاف ذلك خرقٌ للعادة ((<sup>(١)</sup> . إيه ملخصًا .

ثمّ أورد - رحمه الله - بسنده إلى سفيان بن عيينة قوله : ))

(١) الفقيه والمتفقه : ج ٢ ، ملخص من ص ٣٣٠ - ٣٣٤ .

ليس أحدٌ أحوَجَ إلى طلب العلم من العالم لأنَّه ليس الجهلُ بأحدٍ أقْبَحُ به من العالم» (١) .

وينبغي للمفتي أن يكون على قدر كبيرٍ من الورع والتقوى ، والزهد والتقلُّل من الدنيا ، والخوف من الله ﷻ . وأن تكون فتواه مطَّردة ومتمزنة ، لا اضطراب فيها ولا تردد ، فلا يكون له اليوم فتوى في أمرٍ ما ، وغداً له فتوى ، وبعد غدٍ أخرى .

ولا يمنعه ذلك من الرجوع إلى الحقِّ إذا استبان له . ويقع الاضطراب في الغالب من وجهين :

الأوَّل : ترك استقصاء الأدلَّة وجمعها في المسألة الواحدة ، والتأكُّد من صحتِّها ، ومن ثمَّ موازنتها ومعرفة إن كان قد دخل النسخ على أحدها ، أو وجد المانع ، أو إن كان في المسألة إجماع ، ثمَّ النَّظر والتأمُّل ، وترك الاستعجال والتسرُّع .

الثَّاني : فهم الحال ، وتحقيق المناط ، وتنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والنوازل ، والتأكُّد من مدى مطابقتها الحكم على النازلة .

وليس عليه حرج أن يقول لما لا يعلم : لا أعلم .

(١) المصدر السابق : ٣٣٦/٢ ، رقم ١٠٥٥ .

قال الشعبي : (( لا أدري ، نصف العلم )) (١) .

وقال ابن عجلان : (( إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت  
مقاتلته )) (٢) .

وأخبر عقبة بن مسلم ، أن ابن عمر سُئِلَ عن شيءٍ فقال : لا أدري ، ثمَّ أتبعها فقال : أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسوراً في جهنم ؛ أن تقولوا أفتانا ابن عمر بهذا )) (٣) .

وقد يجملُ بالمفتي تأخير الجواب ، للتأمل والنظر ومراجعة الكتب ، وعليه أن يشاور غيره فيما استشكل عليه ، فهذا الأمر مما تدخل فيه الشورى ، وهي سنة المصطفى ﷺ : قال الله تعالى : { وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } (٤) .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : (( ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ )) (٥) .

وقال الخطيب : (( ثمَّ يذكر المسألة لمن بحضرته ممن يصلح لذلك من أهل العلم ، ويشاورهم في الجواب ، ويسأل كلَّ واحدٍ منهم عما عنده ، فإنَّ في ذلك بركة ، واقتداء بالسلف الصالح ، وقد قال الله تعالى : { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ }

(١) الفقيه والمتفقه : ٣٦٩/٢ ، رقم ١١١٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٦/٢ ، رقم ١١١٣ .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٥/٢ ، رقم ١١٠٩ .

(٤) الشورى : الآية ( ٣٨ ) .

(٥) الفقيه والمتفقه : ٣٩١/٢ ، رقم ١١٥٣ .

[ آل عمران/١٥٩ ] ، وشاور النبي ﷺ في مواضع وأشياء ، وأمر بالمشاورة ، وكانت الصحابة تشاور في الفتوى والأحكام» (١) .

بل من الورع أن يحيل الفتوى ويدفعها إلى من هو أفضل منه فإن عُدِمَ فالإلى مثله .

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى : « أدركتُ عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ - قال الراوي : أراه قال في المسجد - فما كان منهم مُحدِّثٌ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث ، ولا مفتي إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا» (٢) .

وقال البراء : « لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ؛ ما منهم من أحدٍ إلا وهو يُحبُّ أن يكفيه صاحبه الفتوى» (٣) .

- ولا يُحبُّ أن يُسأل ، قال بشر بن الحارث : « من أحبَّ أن يُسأل فليس بأهلٍ أن يُسأل» (٤) .

- ولا يكون نهماً وشرهاً في الفتوى ، ولا يجيب على كلِّ سؤال ، بل ينبغي أن يكون لديه حكمة وبصيرة وفراسة في السائل ، فإنَّ بعض الأسئلة تُرادُ لغيرها : كالفتنة ، أو الوقيعة ، أو إظهار ما عند السائل من علم ، أو المراء ، أو

(١) المصدر السابق : ٣٩٠/٢ ، رقم ١١٥٢ .

(٢) جامع بيان العلم : ١١٢٠/٢ ، رقم ٢١٩٩ .

(٣) الفقيه والمتفقه : ٣٤٩/٢ ، رقم ١٠٧٦ .

(٤) المصدر السابق : ٣٥٣/٢ ، رقم ١٠٨٤ .

المجادلة ، فلا يليق بالعالم أن يكون مطيِّة أو أداة لغيره .

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : (( من أفتى الناس في كلِّ ما يسألونه فهو مجنون )) <sup>(١)</sup> .

- وأن يُكثِر الصمت ويُقلِّ الكلام ، فقد قال رضي الله عنه : (( من صمت نجا )) <sup>(٢)</sup> .

وقال أحدُ الحكماء الأوائل : (( من اتخذ العلم لجامًا ، اتخذهُ النَّاسُ إمامًا ، ومن عُرف بالحكمة لاحظَّته العيون بالوقار )) <sup>(٣)</sup> ، غير أنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

ويلزم السائل أن يتحرَّى في سؤاله الصدق والإحاطة بجميع جوانب المسألة ، وأن لا يُخفي منها ما يؤثر على الفتوى ، وأن يسأل من اشتهر من العلماء بالعلم والدين ، والتقوى والورع ، فقد كُثِر في هذا الزمان الخطباء ، والوعاظ ، والمشايخ ، وقلَّ العلماء .

وكثيرٌ من النَّاس يخلط بين هذا وذاك ، وعليه أن يتنبَّه أنَّه ليس كلُّ من خطب أو ألقى موعظةً أو درسًا أو محاضرةً أو تكلم في أمور الدين وكان فصيح اللسان بليغًا ، يقوى على الفتوى .

(١) جامع بيان العلم : ١١٢٤/٢ ، رقم ٢٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق : ٥٤٧/١ ، رقم ٩٠٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢٤٦/١ ، رقم ٢٨١ .

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : (( إنكم في زمانٍ كثيرٍ علماءه ، قليلٌ خطباؤه ، وإن بعدكم زماناً كثيرٌ خطباؤه ، والعلماء فيه قليل )) (١) . ولا أراه إلا زماننا هذا .

وعن أبي عبدالرحمن : أن علياً رضي الله عنه مرّ بقاصٍّ ، فقال : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال : لا ، قال : هلكت وأهلكت )) (٢) .

وقد حثّ السلف على أخذ الفتوى من مشاهير العلماء ، فقد قال سفيان الثوري : (( خذ الحلال والحرام من المشهورين في العلم ، وما سوى ذلك فمن المشيخة )) (٣) .  
على أنه ما من عالمٍ إلا وفيه نقص ، ويصيب ويخطئ ، فالعصمة للأنبياء .

روى مالك بن أنس عن سعيد بن المسيّب : (( ليس من عالمٍ ولا شريف ، ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيب ، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ، ذهب نقصه لفضله ، كما أن من

(١) كتاب العلم ، لأبي خيثمة : ص ٢٧ ، رقم ١٠٩ ، قال الألباني : (( هذا

موقوف صحيح الإسناد ، ورجاله رجال الصحيحين ، غير عبدالله بن يزيد الصهباني ، وهو ثقة ، وله ترجمة في الجرح والتعديل )) .

(٢) المصدر السابق : ص ٣١ ، رقم ١٣٠ ، قال الألباني : (( إسناده صحيح على

شرط الشيخين ، وأبو عبدالرحمن : هو عبدالله بن حبيب السلمي : تابعي ، مقرب ، ثقة ثبت )) .

(٣) المحدث الفاصل : ص ٤٠٦ ، رقم ٤٢٣ ، والخطيب في الكفاية ،

ص ١٣٣ - ١٣٤ .

غلب عليه نقصانه ذهب فضله ((<sup>(١)</sup> .

وقال غيره : (( لا يسلم العالم من الخطأ ، فمن أخطأ قليلاً  
وأصاب كثيراً فهو عالمٌ ، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً  
فهو جاهل ))<sup>(٢)</sup> .

---

(١) صحيح جامع بيان العلم : ص ٣٠٢ ، رقم ١٠٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٠٢ ، رقم ١٠٦١ .



### تفقّد أحوال المفتين وغيرهم من أهل العلم :

إنَّ وجود طائفة من العلماء المشهود لهم بالعلم والتقوى والورع والنصح للأمة تقوم بتفقّد أحوال المفتين والعلماء الذين يُعلِّمون النَّاس ويربِّونهم ، والوعاظ وأهل الحسبة وغيرهم ، أمرٌ في غاية الأهميَّة ، لأنَّه قد دخل في هذا الشأن من ليس من أهله .

تقوم هذه الطائفة بوضع الضوابط المناسبة لكل فئة من هذه الفئات ، وفي ضوء ذلك تتم إجازة كلِّ من يستحق الإجازة لممارسة العمل ، ولها دور الرقابة والمتابعة في هذا الشأن ، وكذلك متابعة المصنِّفات الجديدة في العلم الشرعي ، والمجلات والجرائد والدوريات ، وجميع ما يُكتب أو يُسمع أو يُشاهد مما له علاقة بالدين .

قال الخطيب : « ينبغي لإمام المسلمين أن يتصقَّح أحوال المُفتِّين ، فمن كان يصلح للفتوى أقرّه عليها ، ومن لم يكن من أهلها منعه منها ، وتقدّم إليه بأن لا يتعرّض لها ، وأوعده بالعقوبة إن لم ينته عنها . وقد كان الخلفاء من بني أميَّة ينصبون للفتوى بمكّة في أيام الموسم قوماً يُعيَّنونهم ، ويأمرون بأن لا يُستفتى غيرهم .

والطريق للإمام إلى معرفة حال من يُريدُ نصبه للفتوى أن يسأل عنه أهل العلم في وقته ، والمشهورين من فقهاء

عصره ، ويعول على ما يخبرونه من أمره )) (١) .

وروى بسنده إلى عبدالله بن إبراهيم بن عمر بن أبي يزيد الصنعاني عن أبيه قال : (( كان يصيح الصائح في الحاج ، لا يُفتي الناس إلاّ عطاء بن أبي رباح ، فإن لم يكن فعبداً لله بن أبي نجيح )) (٢) .

ذلك لعظم شأن الفتوى ، فإنها دين ، لذا كان السلف - رضوان الله عليهم - يتورعون فيها أشدّ الورع ، ولا يقدمون عليها حتى يشهد لهم الثقات .

قال الإمام مالك : (( ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أئياً أهلاً لذلك )) (٣) .

وقال أيضاً : (( ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني : هل يراني موضعاً لذلك ؟ سألت ربيعة ، وسألت يحيى بن سعيد ، فأمراني بذلك ، فقلت له : يا أبا عبدالله ! لو نهوك ، قال : كنت أنتهي ، لا ينبغي لرجل أن يرى لنفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه )) (٤) .



(١) الفقيه والمتفقه : ٣٢٤/٢ - ٣٢٥ ، تابع لرقم ١٠٣٩ ، ورقم ١٠٤٠ من قول الخطيب نفسه .

(٢) المصدر السابق : ٣٢٥/٢ ، رقم ١٠٤٠ .

(٣) المصدر السابق : ٣٢٥/٢ ، رقم ١٠٤١ .

(٤) المصدر السابق : ٣٢٥/٢ ، رقم ١٠٤٢ .



## المطلب الثاني : ( خوارم المنهج ومعوقاته ) .

ومن الأمور التي تتسبب في عدم ثبات المتعلم على المنهج ، وانقطاعه ، بل تُعدُّ من عوائقه أو خوارمه :

١ - حبُّ الشهرة والتصدُّر للتعليم قبل أوانه ، وظنُّه أنَّ هذا الطريق طويلٌ جدًّا ، ومملٌّ ، في حين أنَّه لو أنعم النظر فيه لوجده أقصر الطرق ، فقد كان المصطفى ﷺ يلقن أصحابه آيات ذوات عدد ، يبينها لهم حتَّى يفهمونها ، ويفهمون ما فيها من أحكام شرعية فيعملون بها ، فيكسبون العلم والعمل معًا .

٢ - ومن أسباب عدم الثبات على المنهج عدم معرفة المتعلم به ، وعدم تذكير المعلم به ، وبطبيعته المتدرجة . والتذكير دائمًا بذلك مهمٌّ في استمرار المتعلم وثباته وعدم فتور عزيمته أو انقطاعه .

فقد يعتبر المنهج طويلًا ومتنبِّطًا له ، وأنَّه يستطيع الوصول إلى العلم في زمن أقصر وبجهدٍ أقلِّ ، إذ يسمع بعض قرنائه يتباهون بقراءة المطوِّلات والوصول إلى تفصيلات وجزئيات دقيقة . ولو دقق النظر لعلم أنَّ بضاعتهم مزجاة ، وأنهم قد عرفوا بضع مسائل ولكنهم خلُّوا من باقي العلوم .

٣ - المراء والجدال بالباطل والخصومات في الدين ، والشحناء ، والمشاجرات ، والمهاترات ، وقالة السوء ، والغيبة والنميمة ، والحسد والكبرياء والعجب ، والتعالي

على الناس وازدراءهم ، والغرور ، والردود التي تُعدُّ انتصاراً للنفس ، وليست الردود العلمية الموضوعية التي تُقرُّ حقاً أو تدفع باطلاً .

وكذا الطمع في الدنيا ، والتكثُر من الأموال وتكديسها دون إنفاقها في وجوه الخير ، كل ذلك من غوائل العلم .

٤ - القول على الله بغير علم ، فقد قرنه الله بالشرك ، فقال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِلْتِمَ وَالْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }<sup>(١)</sup> .

لذا يتعيّن على طالب العلم القول والعمل بما علم ، وما لا يعلمه يكله إلى أهله .

٥ - إفناء العُمُر في علوم الآلة ، وهي وسيلة لفهم الكتاب والسنة ، أو إفناء العمر في العلم دون العمل به ، وهذا مخالف لمقاصد العلم والشريعة ، فالعلم هو آلة العمل .

أو التسويف وإضاعة العمر في التردد بين الأمور في طلب العلم ، كالتردد في اختيار متن من المتون أو حفظه أو اختيار أحد الشروح وهكذا ، أو الاستخارة والاستشارة في ذلك التي قد تمتد عدة سنين ، وبالمقابل فإنَّ ترك الاستخارة والاستشارة هو ترك لسنة المصطفى ﷺ ، فلا ينبغي ذلك .

(١) الأعراف : الآية ( ٣٣ ) .

٦ - الاشتغال بعلوم كثيرة من بداية طلب العلم ، فقد يُصاب باليأس ، أو الفوضى ، والانسياق وراء فروع المسائل فإنها لا تنتهي ، وقد أُلّف في بعض فروع المسائل مجلدات ... وإنما يكون الاشتغال بعلم واحدٍ أو علمين أو ثلاثة ، ولا يزيد ، فمن طلب العلم جملة فاته جملة .

والأصل علم واحد كما فعل النبي ﷺ بأصحابه ، فقد كان يقرئهم القرآن ، ويفسّره لهم . قال أبو حيان : (( أمّا صاحب تنائيف ، وينظرُ في علوم كثيرة فهذا لا يمكن أن يبلغ الإمامة في شيءٍ منها ، وقد قال العقلاء : ازدحام العلوم مضلة للفهوم )) .

وأما التوسّع قليلاً في علم أو علمين فإنّ هذا من باب التوزيع للتخفيف على النفس ، قال الماوردي : (( إنّ النفوس لترتاح إلى الفنون المختلفة )) .

والأذي بلغ الإمامة في الدين من الأئمة السابقين لا يكاد يُنسب إلّا إلى علم واحد ، ولا يُنسب إلى غيره ؛ فيقال : فلان النحوي ، فلان المحدث ، فلان الفقيه ، ومن النادر أن يُنسب إلى عدّة فنون .

٧ - وكذلك تتبّع الغرائب وشواذ المسائل والآثار ، أو التخصص من بداية الطلب في علم واحد ، وخاصة علوم الآلة ، أو اختيار المتون المعقدة والروايات ، قال علي بن الحسن : (( العلم ما تواطئت عليه الألسن )) أي ما اشتهر بين العلماء . والدافع لذلك غالباً طلب الشهرة ، وكما قيل : تحصرم قبل أن يتزبب .

٨ - ومن خوارم المنهج : الخوض في كتب الفلسفة والكلام والمنطق في بداية الطلب ، إذ لا يكون هذا إلا بعد التمكن ، وبقصد معرفة طرقهم وأساليبهم للرد عليها ، ويلحق بها الكتب الفكرية التي لا تعتمد الدليل الشرعي .

٩ - الضجر والملل والتنقل بين الفنون والمتون ، فلا يكاد يبدأ في حفظ متن أو فهم شرح إلا وينتقل إلى غيره دون مبرر ، أو من شيخ إلى غيره ، فهذا نهايته الشتات والضياع والانقطاع عن العلم .

كما قال القائل :

يومٌ بالخليءاء

ويومٌ بالعذيب

يومٌ مجزوى

ومن أسباب الانقطاع كذلك : الشعور بالكمال والاكتفاء والتوقف عن الطلب ، فهذا فيه غرور وعُجب وجهل ؛ فينبغي له التواضع واعتقاد أن هناك من هو أفضل منه وأكثر علمًا .

فالعلم ليس له وقت محدود ، والتوقف فيه بداية الجهل ، وكما قال الإمام أحمد - رحمه الله - : « مع المحبرة إلى المقبرة » .

١٠ - تسويغ ترك الحفظ بكبر السن أو الاشتغال بالأهل والأولاد ، فإنه يمكن الجمع بين ذلك ، قال الإمام البخاري - رحمه الله - : « وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ » .

(١)

أو الاشتغال بالكتابة عن الحفظ والفهم والتكرار والمراجعة والمدارسة وفقه النصوص .

أو الاشتغال بالحفظ دون الفهم ، أو بالفهم دون الحفظ .

أو أخذ الأحكام الشرعية من كتب النصوص المجردة دون شرح من شيخ أو كتاب ، وذلك من بداية الطلب ، إذ قد يكون النصُّ مقيدًا ، أو مخصوصًا ، أو مفسرًا ، أو منسوخًا ، فهذا يسبب الشذوذ في كثيرٍ من المسائل .

أو أخذ العلم عن متعالمٍ أو مبتدعٍ أو شيخٍ ليس له منهج صحيح ، فقد يتعمق في شرح جزئية بطريقة موسعة جدًا ، ويغوص في مسائلها وشعبها ، والتعمق فيها في مرحلة مبتدئة من الطلب هذا بخلاف المنهج الصحيح .

ومن العوائق والمثبطات أن يتوقف الطالب عند جزئية من الجزئيات تستغل عليه فلا يتجاوزها فتكون سببًا في انقطاعه . فينبغي إذا استغل عليه شيء في حفظه أو فهمه أن يؤجله إلى وقت يكون فيه أكثر استعدادًا وتهيؤًا فإنَّ الإصرار على شيء مع استغلاقه مضيعة للعمر ، وهو أيضًا يورث الملل ، ويؤدي إلى التوقف والانقطاع .

(١) البخاريّ : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة ، انظر : فتح الباري في الكتاب والباب نفسه .



ويُحكى عن الأصمعي أنّه اجتمع بالخليل بن أحمد  
وحرص على فهم علم العروض من الخليل ، فأعياه ذلك ،  
فقال له الخليل يوماً : قطع لي هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه      ❁      وجاوزه إلى ما تستطيع

وكان مقصود الخليل المعنى الذي انطوى عليه البيت .



### **المطلب الثالث : ( مراحل سَلَمِ التَّعَلُّمِ ) .**

سلك العلماء في تعليمهم طلابهم العلم طريقتين :

#### **الطريقة الأولى : ( طريقة المغاربة ) .**

وفيها تُدرّس العلوم فنًّا فنًّا ، ولا يزيد المتعلِّم على حفظ آيات ذوات عدد ، أو تفسيرها . أو حديثٍ واحد ، أو بيتٍ واحد ، لا يتجاوز ذلك أبدًا .

ويمثّلون من يريد أن يُنهي فنّين معًا بمن يُريد إخراج التوائم في آن واحد . ولا بُدَّ أن يخرج أحدهما قبل الآخر .

#### **الطريقة الثانية : ( طريقة المشارقة ) .**

يُجمع فيها أكثر من علمٍ في آن واحد . ويُذكر عن النووي - رحمه الله - أنّه كان يقرأ تسعة علوم معًا ، أو اثنتي عشر درسًا في علومٍ عدّة في اليوم الواحد .

والأولى أثبت وأكد مع الزمن ، وهي موافقة للمنهج النبوي ، فقد كان الصّحابة رضي الله عنهم ؛ يستقرّون عشر آيات لا يتجاوزونها حتّى يعرفوا معانيها وأحكامها وحدودها ، وأمرها وزاجرها . فيفهمونها ويطبّقونها ، وهذه هي السُّنّة والطريقة .

أمّا الثانية فهي أسرع ، ولكن نتائجها غير منضبطة ، وهي مخالفة لمنهج النبي صلى الله عليه وآله .

والتمكُّن من إنهاء عِدَّة فنون مجتمعة تختلف باختلاف الهمة ، والقدرات ، والمواهب ، والأحوال . لكن التدرُّج والترُّق هو الصحيح الذي سار عليه الصَّحابة والسلف - رحمهم الله - .

وقد اجتهدوا - رحمهم الله - في تقرير الطريقة الصحيحة لتعلُّم العلوم الشرعية بعدما كثرت ، ودخلت العُجْمَة على اللغة ، والكذب على النبي ﷺ ، وغير ذلك مما اكتنف علوم الوسائل خاصة ، فنقرَّر أنَّ أخذ العلم يتمُّ غالبًا على ثلاث مراحل ، لكلِّ مرحلة مناهجها ، ومقاصدها ، ووسائلها ، وخصائصها ، وضوابطها .

ولو تجاوز المتعلِّم مرحلة إلى التي تليها حصل له الخلل ، وقد سمّاها العلماء : « سلّم التعلُّم » .

### أولاً : مرحلة النَّاسِيس :

وتُسمَّى مرحلة المختصرات ، أو البدايات ، أو المقدمات . قال العلماء : من المختصرات ، إلى المتوسطات ، ثمَّ المطولات . وقد صنَّف لها كتب تُسمَّى المختصرات ، أو المتون ، أو الكتب المبتدئة ، صنِّفت عن علم وتجربة وممارسة ، لتكون أساسات العلوم ، وقالوا : « المختصرات مفاتيح العلوم » ، ولكلِّ مرحلة مقاصد ، ووسائل ، وخصائص ، وضوابط .

مقاصد هذه المرحلة :

الإحاطة بأصول الفنّ ومسائله الأصلية ، واجتماع معالمه ، وترابط أولها بآخرها . وذلك بحفظ أصل راجح في كلّ مسألة .

الوسائل :

حفظ متن مختصر بدليله ، بعد ضبطه على شيخ .  
ويكون سهلاً خالياً من التعقيد ، مستوعباً لأصول ذلك الفن .  
ويختار له شرحٌ مجمل ، يقرأه على شيخ . ويحوي المسألة بدليلها الراجح ، أو أنّ الشّيخ يبيّن الراجح دون تفصيل .  
ويحتفظ بالمتن مع شرحه ، بالإضافة إلى تعليقات شيخه .

الخصائص والضوابط :

الحفظ المتقن للمختصرات ، وتكرارها حتّى يثبت الحفظ ، والمراجعة الدائمة ، وضابط هذه المرحلة ترك الالتفات إلى غير المتن المختار ، أو الانتقال عنه دون موجب ، أو الدخول في التفصيلات .

### ثانياً : مرحلة التوسُّط :

وتُسمّى مرحلة المتوسّطات : وتُسمّى كتبها (( الكتب المتوسّطة )) ، أو كتب المتوسّطين . ولا ينتقل من المختصرات إلى المتوسّطات إلّا بعد استكمال تلك المرحلة ، ولو في الجملة . ليصبح لديه قاعدة وأساس في كلّ فن ، ( المسألة بدليلها ) ، وقد تكون لديه فكرة إجمالية وإمامة سريعة بالفنون المختلفة ، فأصبح مهيباً لمرحلة التوسُّط )

مرحلة فهم العلم وتحصيل مسائله ( ، فهنا يستوفي الشرح والبيان بشيءٍ من التفصيل ، ويُذكر له أوجه الخلاف ذكرًا إلى أن يتمّه مرّةً أخرى بنوعٍ من التفصيل .

مقاصدها :

تكوين إمامة مفصّلة نوعًا بالفن ، مع معرفة أوجه الخلاف ، والخروج عن الإجمال باستيفاء الشرح والبيان دون التفصيلات الدقيقة والتفريعات الكثيرة .

الوسائل :

بحفظ متنٍ متوسطٍ مع شرحه ، فيحفظ إن كان في الحديث عمدة الأحكام بعد النووية وإتمام الخمسين لابن رجب . وإن كان في الفقه فبعرض شرح متوسطٍ على المتن الذي حفظه .

الخصائص والضوابط :

حفظ الأصول المتوسطة ، ومعرفة أوجه الخلاف ، وضابطها أن لا يجعل المسائل التفصيلية ، والفوائد والشوارد هدفًا ومطلبًا أساسيًا ، وإنما تأتي تبعًا لا أصالة .

### ثالثًا : مرحلة التوسُّع والمطوّلات :

أصبح المتعلِّم ملماً إمامًا إجمالياً بالعلوم ، متوازنٌ فيها ، لم يطع فنٌّ على فنٍّ ، ذو قدرة نحوية ولغوية وأصولية وفهم عام بالشريعة . إذ هو طالب مؤسسٌ مؤصلٌ .

فيعود إلى الفنّ مرّةً ثالثة وقد اشتدّ عوده ؛ فلا يترك

عويصاً ولا مغلقاً إلا فتح مغلقه ، ولا شاردة ولا واردة ولا فائدة إلا حفظها وكتبتها ، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته وأحاط به .

مقاصد هذه المرحلة :

حفظ أصوله ، وفهم مسأله التفصيلية ، وتكوين ملكة تمكنه من معرفة المسائل الخلافية ، وعزو الأقوال إلى أصحابها وأدلتهم ، وما اعترض به عليهم ، والردود ، مع مقارنة الأدلة والقدرة على الترجيح .

الوسائل :

حفظ أصل موسّع في الفن ، كبلوغ المرام ، أو المنتقى في الحديث ، مع عرض شرحه على شيخ .

أو قراءة شرح موسّع للمختصر الذي سبق حفظه في المرحلة الأولى ، وتوسّع فيه في المرحلة المتوسطة .

خصائص هذه المرحلة :

- كثرة قراءة الموسّعات ، مع استدامة استذكار محفوظاته في الفن .

- تحقيق بعض المسائل المشكّلة ، جمعاً ، وموازنة ، وترجيحاً .

- معرفة الأقوال المخالفة وأدلة أصحابها .

- إفادة الأمة بالأحكام الشرعية في الحوادث والنوازل .
- تنقية العلم من الدخيل .

هذه مراحل الطلب الثلاث المعتادة في سلّم التعلّم عند أهل العلم ، ولا يوجد بينها فواصل دقيقة ، وإنّما هي أمور صناعية تقديرية ، تُدرك في الجملة . وصفها أهل العلم للتيسير على المتعلّمين . ومن العلماء من يضيف لها مرحلة رابعة ، ويسمّيها : « مرحلة التخصص » .

#### رابعاً : مرحلة التخصص :

هي مرحلة طبيعية تلقائية ؛ إذ يميل الطالب فيها إلى أحد العلوم ، فيُحِبُّه أكثر من العلوم الأخرى ، ويبرز فيه ، كما وقع لكثير من الأئمة الذين برزوا في بعض الفنون ، مع إمام بئاقبها .

قال ابن حزم الأندلسي : « من مال بطبعه إلى علم ما - وإن كان أدنى من غيره - فلا يشغلها بسواه ، فيكون كغارس النارجيل بالأندلس ، وكغارس الزيتون بالهند ، وكل ذلك لا ينجب »<sup>(١)</sup> .

وهذه المرحلة لا تنتهي إلا بالموت ، وإذا ظنّ العالم أنّه

(١) رسالة مداواة النفوس : ص ٦٥ - ٦٦ .

قد انتهى من طلب العلم فإنّ هذا أوّل النقص يدخل عليه ،  
فلا بُدّ له أن يطلب العلم حتّى يلقي ربّه ، بل إنّ بعض  
العلماء يتعلّم بعض المسائل وهو في مرض موته .

أما القراءة في المطوّلات وجردها ، كجامع الأصول ،  
والبداية والنهاية ، ودرء التعارض ، وزاد المعاد ، وغذاء  
الألباب ، والآداب الشرعية ، وسير أعلام النبلاء ، فلا  
يصحّ في بداية الطلب لأنّه يُشغّل عن التأسيس والتأصيل .

وقراءة مثل هذه الكتب على شيخ ليست من الطريقة  
المنهجية ، إذ لا يتسنى له الشرح والتعليق والتحقيق .

ولم يكن العلماء يضعونها في الأوقات الأساسية ، وإنّما  
في الأوقات الفرعية .





**المطلب الرابع : ( مفردات منهج طلب العلم في ضوء سلم التعلُّم ) .**

### **أولاً : حفظ القرآن الكريم :**

من أراد منزلة عليّة في الدنيا والآخرة ، فعليه بحفظ كتاب الله الكريم وتعلّمه واتباعه ، ومن لم يتمكّن من حفظه كاملاً فعليه ببذل الوسع فيه ، وقد سبق الحديث عن فضل حفظه ، فمقلٌّ ومستكثر ، مع المداومة على الورد اليومي ، والمختار التسبيح ، وختمه كلّ جمعة ، فإنّه عمل عامّة الصحابة رضي الله عنهم .

طريقة الحفظ :

١ - العرض على شيخ ماهر بالقرآن متلقٍ عن مثله ، له سند متّصل .. يعرض عليه خمس<sup>(١)</sup> أو عشر آيات<sup>(٢)</sup> يومياً ،

---

(١) قال أبو العالية ( التابعي الثقة رحمه الله ) : « تعلّموا القرآن خمس آيات ، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً . رواه ابن أبي شيبة : ٤٦١/١٠ ، وغيره ، وقال صاحب الجامع في الحثّ على حفظ العلم : « سنده صحيح مرسل » . انظر : ص ١٨٤ . وقال عليّ بن بكار الزاهد : قال بعض أهل العلم : من تعلّم خمساً خمساً لم ينسه . انظر : الجامع في الحثّ على حفظ العلم ، ص ١٨٤ .

(٢) قال أبو عبدالرحمن السلمي : التابعي الإمام : حدّثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّهم كانوا يقرئون من رسول الله صلى الله عليه وآله - عشر آيات - فلا يأخذون في العشر الأخرى حتّى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل ، قالوا : فعلمنا العلم والعمل . رواه أحمد : ٤١٠/٥ ، وغيره . انظر : المصدر السابق : ص ١٨٤ ، وقال : « سنده صحيح » .

لا يتجاوزها حتى يعرف معانيها من خلال تفسير مختصر ،  
والمختار : الجلالين ، ويعمل بها .

ويمكن حفظ وجه واحد ، أو الحفظ على المقاطع والمعاني ،  
ويُسمى الحفظ التصويري .

٢ - تخصيص وقت ثابت يوميًا للحفظ ، ومراجعة  
المحفوظ ، والمختار الإيكار .

٣ - تعاهد القرآن يوميًا ، والمشهور عن الصحابة كما  
ذكر تحزيبه على سبع ليالٍ .

٤ - الإكثار من القراءة في المصحف ، فإنها تُصور  
الآيات وترسمها في الذهن ، وكذلك كثرة السماع تسهل  
الحفظ ، وتثبت المحفوظ .

وينبغي مراجعة المتشابهات اللفظية .

تجويد القرآن :

يُلحق بتلاوة القرآن وحفظه ، لأنه لا يُقصد لذاته ، ولكن  
ليُعرف به النطق الصحيح بالقرآن وتقويم الألفاظ كما كان  
يتلوه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ، والأصل في هذا قول الله  
تعالى : { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } <sup>(١)</sup> ، وقد ورد عن عليّ ﷺ  
قوله : (( هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف )) <sup>(٢)</sup> ، وقول

(١) المزمّل : الآية ( ٤ ) .

(٢) التمهيد في علم التجويد ، لابن الجزري ، ص ٤٨ .

الله تعالى : { يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } (١) .

وقعد له العلماء قواعد ، استنبطوها من أداء القرآن وتلاوته ، وتطبيقه العملي ، فالأصل فيه التلقي ، قال الله تعالى : { وَإِنَّكَ لَلتَّلْقَى الْفُرَّانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } (٢) . فهو لا يكون إلا بالتلقي والتطبيق العملي عن المشايخ المتقنين المهرة ، مشافهة كما تلقوه عن مثلهم كابر عن كابر بالسند المتصل إلى النبي ﷺ .

هذه القواعد والضوابط سُميت « علم التجويد » ، وقد ألفت فيه التآليف المنثورة والمنظومة .

ويُفضّل للمبتدئ حفظ متن يحوي أصول هذا الفن ، والمختار « تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن » للشيخ سليمان الجمزوري ، تُحفظ على شيخ متخصص .

ولها شروح :

- فتح الأقفال بشرح متن تحفة الأطفال ، للناظم نفسه .
- فتح الملك المتعال ، لمحمد الميهي .
- وقد شرحها الشيخ محمد الضبّاع - رحمه الله - .
- ثمّ المقدّمة الجزريّة ؛ ولها شروح ، منها: شرح الشيخ عبدالعزيز القاري .

(١) البقرة : الآية ( ١٢١ ) .

(٢) النمل : الآية ( ٦ ) .

ومن قصرت همّته عنها . فليجمع بين التحفة ، وأبيات الصفات والمخارج من الجزرية .

### ثانياً : تفسير القرآن الكريم .

المرحلة الأولى :

تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي الذي هو الأصل فيه ، ومكّمه : جلال الدين السيوطي .

والأفضل أن يُبدأ بالمفصّل ، ويسير مع الحفظ ، يحفظ الطالب خمس آيات أو عشر ، حسب الطاقة ، ويقرأ التفسير على شيخه ، فيشرحه له ، ويبسره ، وينبّه على ما فيه من تأويل .

يعيده الطالب ويكرّره حتّى تثبت المعلومات ، ويذاكر به زملاءه أو يذاكر مع نفسه إن لم يجد له صاحب فيُغلق الكتاب ويفسّر عن ظهر قلب .

المرحلة الثانية :

تفسير البيضاوي . ويُعني باللغة والإعراب ، وأسباب النزول . مع متانة الأسلوب ، ودقة العبارة .

المرحلة الثالثة :

تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء ؛ إسماعيل بن كثير -رحمه الله- . ويمتاز بسلامة الفكرة ، وصحة المعنى ، والاعتماد على الأثر . وقد لاقى قبولاً كبيراً لدى علماء الأمة وطلابها وعامّتها . فلا تكاد تجد بيتاً من بيوت المسلمين إلّا وهو فيه .

وفيه إسرائيليات وروايات حديثة تحتاج إلى تحقيق .  
 ثم يتوسّع الطالب بعد ذلك ما شاء في المطوّلات ، ففي  
 التفسير المأثور : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ؛ لجلال  
 الدين السيوطي .  
 ومن أهم التفاسير المشتركة : تفسير الطبري .  
 ومن تفاسير آيات الأحكام : تفسير آيات الأحكام لابن  
 العربي .  
 ومن تفاسير القرآن بالقرآن : أضواء البيان ، للشنقيطي .  
 ومن التفاسير الجيدة أيضاً تفسير السعدي - رحمه الله - .  
 وينبغي الاهتمام بالآثار المنقولة عن الصحابة رضي الله عنهم ،  
 ومعرفة أسباب النزول . والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك  
 من علوم القرآن .

### ثالثاً : حفظ السنّة .

المرحلة الأولى :

حفظ الأربعين النووية . تُضبط على شيخ ، ويُحفظ  
 تدريجياً ، حديثٌ وحديثان . مع الإعادة والتكرار . فإذا  
 حُفِظت حُتِمَت كلّ جمعة .

فإذا استقرت في القلب . فُرئ أحدُ شروحاتها على الشَّيخ  
 ، وليبدأ بأسهلها لمؤلفها النووي . ثمَّ شرح ابن دقيق العيد .  
 ثمَّ ينتقل إلى أوسع شروحاتها مع إضافة عشرة أحاديث .

خمسون حديثاً لابن رجب ، المسمّى (( جامع العلوم والحكم )) . فيقرأه على شيخه حتى يتقنه ويفهمه ، ويكرّره حتى يكون أشبه بالحافظ له ، ويذاكر به أقرانه ، فإن لم يجد فمع نفسه . يُغلق الكتاب ويشرح الحديث شرحاً قريباً من الحفظ .

وهذه الخمسون حديثاً ينفع الله بها الطالب خاصة إذا أضيف لها تفسير قصار السور ، فتعطي الطالب قدرة على الوعظ والإرشاد ، وخطبة الجمعة ، وغيرها .

المرحلة الثانية :

عمدة الأحكام : للحافظ عبدالغني بن عبدالواحد الجمّاعيلي المقدسيّ توفي - رحمه الله - ( ٦٠٠ ) على الطالب حفظها وإتقانها على التدرّج .

مع قراءة : إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد على شيخه .

المرحلة الثالثة :

بلوغ المرام من أدلة الأحكام : للحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) . يأتي الطالب على ما زاد من أحاديث على عمدة الأحكام فيؤثّر عليها ، ويحفظها ، ويتقن حفظها .

ويقرأ شرحها : (( سبيل السلام شرح بلوغ المرام )) على شيخ . وهو شرح خالٍ عن التعقيد كما قال مؤلفه الصنعاني ، قال : (( فهذا شرحٌ لطيف على بلوغ المرام ؛ اختصرته ،

عن شرح القاضي شرف الدين المغربي ، مقتصرًا على حلّ ألفاظه ، وبيان معانيه ، مُعرضًا عن ذكر الخلافات والأقوال ، إلا أن يدعو إليه ما يرتبط به الدليل ، مجتنبًا للإيجاز المُخلّ ، والإطناب المملّ ، وقد ضمنتُ إليه زيادات جمّة على ما في الأصل من الفوائد )) ا.هـ .

المرحلة الرابعة :

منتقى الأخبار : للمجد ابن تَيْمِيَّة أبي البركات : مجد الدّين عبدالسّلام ابن عبدالله بن أبي القاسم الحرّاني ، المعروف بابن تَيْمِيَّة ( ت ٦٢١ هـ ) .

ويصنع به مع بلوغ المرام ما صنع بهذا الأخير مع عمدة الأحكام . ثمّ يحفظه .

ويقرأ شرحه (( نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار )) للإمام محمّد بن عليّ الشوكاني على شيخ مبرّز خبير بفقهِ الموازنات ، ذلك أنّه قال في مقدّمته : (( وقد قمت والله الحمد في هذه المقامات مقامًا لا يعرفه إلا المتأهلون . ولا يقف على مقدار كنهه من حملة العلم إلا المبرّزون .. شرحًا يشرح الصدور ، ويمشي على سنن الدليل وإن خالف الجمهور .. ))<sup>(١)</sup>

فإذا أتمّ الطالب هذه المرحلة أصبح متمكّنًا في أحاديث الأحكام حفظًا وفقهًا .. وفي هذا الكفاية .

(١) ج ١، ص ٣ .

أما من أراد التوسُّع في حفظ السُّنَّة فعليه خوض غِمار  
مرحلة التوسُّع .

المرحلة الخامسة : التوسُّع في حفظ السُّنَّة :

إذا استكمل صاحبُ الهمةِ العاليةِ والعزيمةِ الساميةِ  
المراحل السابقة ورام التوسُّع في حفظ سنة المصطفى ﷺ ،  
فإنَّ هناك ثلاث طرق لاختيار الكتب المقررة ، مرتبة حسب  
الأفضلية :

الطريقة الأولى :

يبدأ بحفظ أصول الصحيحين : البخاريّ ومسلم ،  
ولتيسير ذلك يحفظ مختصريهما : مختصر البخاريّ للزبيدي  
، ومختصر مسلم للمنذري .

فلو بُدئ بمختصر مسلم للمنذري الذي قال مؤلفه :  
ضمّنته جُلَّ الأصل ، وهو قرابة ( ١٨٠٠ ) حديث من  
صحيح مسلم ، ثمَّ عُرِضَ على أصل صحيح مسلم عليه ،  
وأثبتت الزيادات ، ثمَّ يُعْرَضُ أصل البخاريّ على هذا  
المختصر وما استُدرك عليه من أصل مسلم فإنَّه يجتمع  
الجمع بين الصحيحين .

فإذا حُفِظَ الصحيحان بدون المكرر فإنَّه بعَرَضِ سنن أبي  
داود على الصحيحين ثمَّ زيادات الترمذيّ على الثلاثة ، ثمَّ  
زيادات النسائي على الأربعة ، ثمَّ زيادات ابن ماجه على  
الخمس . فيجتمع أكثر من خمسة آلاف حديث تقريباً .



ثمّ مجمع الزوائد للهيثمي <sup>(١)</sup> ، ثمّ المطالب العالية لابن حجر <sup>(٢)</sup> .

الطريقة الثانية :

وهي حفظ كتاب جامع لعدّة أصول ، مثل جامع الأصول لابن الأثير ، فقد جمع الكتب السنّة سوى ابن ماجه ، استبدله بالموطأ .

وقد رتبّه على جزئيات الأبواب ، مثل المعجم المفهرس ، وشرح الأحاديث ، وجاء على شيء من فقها .

ثمّ يضيف إليه مجمع الزوائد للهيثمي ، فيصبح جامع الأصول ومجمع الزوائد اثنا عشر كتابًا .

فلو أضيف إليهما المطالب العالية ، فكأنه أتى على عشرين أصلاً من كتب السنّة

(١) ذلك أنّ الهيثمي - رحمه الله - أخذ زيادات مسند أبي يعلى ، ومسند البزّار ، ومسند الإمام أحمد ، والمعاجم الثلاثة للطبراني ، وذلك على الكتب السنّة ، وجعلها في كتابه هذا .

(٢) لأن الحافظ جمع زيادات المسانيد الثمانية على الكتب السنّة ، وهي مسند الطيالسي ، وأبي عمر العدني ، والحميدي ، ومسدد ، وابن منيع ، ومسند أبي بكر ابن أبي شيبة ، ومسند عبد بن حميد ، ومسند الحارث بن أبي أسامة . وذكر ما فات الهيثمي من مسند أبي يعلى ، ووقع له شطرٌ من مسند إسحاق بن راهويه .

## الطريقة الثالثة :

فمن لم يستطع الطريقتين الأوليين فعليه بجمع الفوائد من جامع الأصول ، ومجمع الزوائد ، لمحمد بن سليمان الروذاني الفاسي المغربي ( ت ١٠٩٤ ) .

فقد جمع بين جامع الأصول ومجمع الزوائد ، وحذف الزيادات ، وجعلها في كتاب واحد أسماه « جمع الفوائد » . فمن حفظه فكأنه حفظ الكتب السنّة سوى ابن ماجه ، وكذلك المسانيد السنّة التي في مجمع الزوائد . فإن اكتفى به فنعماً هو ، وإن أراد الاستزادة أضاف المطالب العالية .

فمن حفظ جمع الفوائد والمطالب العالية فقد أتى على معظم السنة .

## طريقة حفظ الحديث :

١ - يحفظ الطالب يومياً دون انقطاع حديثين أو ثلاثة من متن مضبوطٍ ، أو يضبطه على شيخ ، ولا يزد عليها ، فإنّ القصد مطلوب ، قال ﷺ : « القصد ، القصد ، تبلغوا » ، وقال : « أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ » . فإذا عود نفسه على الحفظ يسهل عليه يوماً بعد يوم .

وطريقة الحفظ : أن يقرأ الحديث بتدبر ، ويكرّره حتّى يحفظه ، يسرده بصوتٍ عالٍ إن كان قصيراً ، أي أقلّ من خمسة سطور ، ويجزئه إن كان طويلاً إلى سطرين سطرين ، فيحفظهما ، ثمّ يضيف إليهما ما بعدهما وهكذا .

وبعد إتقان الحفظ يكرّره مراتٍ كثيرة ، ويعود إليه من وقتٍ إلى آخر في اليوم نفسه ، ومن الغد ، وهكذا ، حتّى يرسخ الحفظ ، وسيجد نفسه بعد فترة أنّه قد تریض وسهّل عليه الحفظ .

ومن المهم أن يعرف ترتيب الأحاديث ، فيقول مثلاً : حديث أبي جمرة ، بعده حديث أبي هريرة ، ثمّ حديث سعيد بن المسيّب عن أبيه وهكذا .

٢ - يكون العرض على شيخ حافظٍ متقن ، فإنّ عدم فعلی شيخ له معرفة باللغة والحديث وعلومه ، ولا يُشترط أن يكون حافظاً .

٣ - اتخاذ صحبة جادة للمذاكرة بالمحفوظ ، فإنّ الحديث يهيج بعضه بعضاً . فقد أثير : (( تذاكروا هذا الحديث ، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس )) .

كيفية المذاكرة بالحديث :

أن يقول الشَّيخ أو الصاحب مثلاً : حديث ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً ؟ فيقول : حديثُ العباس ، رواه مسلم . ويقول : حديث أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، فيقول : حديث عبدالله ابن عمر ، ويقول : من خرّجه ، فتقول : البخاريّ ومسلم . ويقول : حديثٌ ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً ، فتقول : حديث عبدالله بن عمرو ، وحديث

جرير ، والحديث متفق عليه ... وهكذا ...<sup>(١)</sup> .  
 أو يقول : ماذا تذكر في الباب الفلاني؟! أو المسألة  
 الفلانية؟ .

نصائح في حفظ الحديث :

١ - حفظ متون الأحاديث يكون بعد ضبطها ، وحذف  
 المكرر منها ، مع حفظ السند ، فإن قصرت همته حفظ أصل  
 السند ، وهو الصحابي .

هذا إذا كان الحديث في الصحيحين ، أما غيرهما فلا بُدَّ  
 من معرفة السند ، وتمييز الصحيح من السقيم ، والثقة من  
 الضعيف ، فإنَّ ذلك في غاية الأهميَّة ، وخاصة عندما يكون  
 الأمر متعلقًا بالأحكام والحلال والحرام . إذ لا يجوز بناء  
 حكم شرعي إلا على حديثٍ يُحتجُّ به .

٢ - جمع شرح الحديث وفقهه إلى الحفظ ، ولكن بعد إتمام  
 حفظ جزء لا بأس به من الأحاديث ، كالأربعين النووية مثلاً  
 ، يُستكمل حفظها حتَّى إذا أتقنت شرع في فهم معانيها وفقه  
 أحكامها .

٣ - قال أبو شامة المقدسيّ : علوم الحديث ثلاثة :

(١) منهج حفظ الحديث ، مستفاد من مجموعة من المحاضرات ، على  
 رأسها محاضرة في حفظ السنّة للشيخ اليعقبي ، والتأصيل العلمي  
 للشيخ أحمد القرني .

**أشرفها : حفظ متونه ، ومعرفة غريبها وفقهها .**

**والثاني : حفظ أسانيدہ ، ومعرفة رجاله ، وتمييز صحيحه من ضعيفه .**

**والثالث : كتابته ، وجمعه ، وسماعه .**

**٤ - وقال الخطيب <sup>(١)</sup> : حفظ الحديث على ضربين :**

**أحدهما : حفظ ألفاظه ، وعدّ حروفه .**

**والآخر : حفظ معانيه دون اعتبار لفظه .**

والمستحب للراوي : أن يورد الأحاديث بألفاظها التي سمعها ، فإنّ ذلك أسلم له ، مع الاتفاق على جوازه وصحّته ، وكان الحسن يذهب إلى جواز الرواية على المعنى ، ويستحبّ الأداء كما سمع ، فأما من شدّد في الحروف ورأى أنّ تغيير اللفظ غير جائز فجماعة من أعيان السلف وكبار المتقدّمين ، منهم : القاسم بن محمّد ، ورجاء بن حيوة ، ومحمّد بن سيرين ، وخالد بن الحارث ، وعبدالرحمن بن مهدي ، ووكيعة (( اهـ .

#### **رابعاً : فقه الإيمان :**

**ويُسمّى : علم الاعتقاد ، أو التوحيد ، أو العقيدة ، وينقسم إلى قسمين :**

(١) الجامع في الحثّ على حفظ العلم : ص ٥٦ .

## ١ - توحيد العبادة .

٢ - العقيدة العامة لأهل السنّة والجماعة ، وكلاهما يُدرس على المشايخ.

المرحلة الأولى :

( توحيد العبادة ) ، وجميع المتون للإمام المجدّد شيخ الإسلام محمّد ابن عبدالوهاب .

١ - حفظ الأصول الثلاثة . وقراءة شرحها : حاشية الأصول الثلاثة ، وفهمه فهماً جيّداً .

٢ - قراءة : كشف الشبهات ، وفهمه فهماً جيّداً .

٣ - قراءة : مسائل الجاهلية ، وفهمه فهماً جيّداً .

٤ - حفظ كتاب التوحيد حفظاً متقناً ، وفهمه بقراءة أحد شروحاته وفهمها فهماً جيّداً . وشروحه كثيرة جداً : منها فتح المجيد ، تيسير العزيز الحميد ، قرّة عيون الموحّدين ، القول المفيد .

وفي حال الأطفال : يُقدّم ( تعليم الصبيان التوحيد قبل تعليمهم القرآن ) .

المرحلة الثانية :

١ - حفظ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لأبي محمّد موقّق الدين عبدالله بن قدامة المقدسيّ : ( ٥٤١ - ٦٢٠ هـ ) ، وقراءة شرحها وفهمه فهماً جيّداً .

٢ - حفظ العقيدة الواسطية ، لشيخ الإسلام ، وقد حوت مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وفهم شرحها للهراس ، يُحفظ المتن ويذاكر به ، ويُفهم الشرح ويذاكر به .

٣ - قراءة الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ، وفهمها فهماً جيّداً .

٤ - قراءة الرسالة التدمرية له ، وتحتوي مجمل اعتقاد السلف في التوحيد والصفات ، والشرع والقدر ، مع شرحها المسمّى بتقريب التدمرية ، وفهمه جيّداً .

المرحلة الثالثة :

حفظ متن العقيدة الطحاوية حفظاً متقناً لأبي جعفر أحمد بن سلامة الأزدي المعري الحنفي الطحاوي . وقراءة شرح ابن أبي العزّ لها وفهمه على شيخ فهماً جيّداً .

المرحلة الرابعة :

قراءة كتاب الأسماء والصفات للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ( ت ٤٥٨ هـ ) قراءته على شيخ ، وفهمه فهماً جيّداً .

مرحلة التوسّع :

ثمّ من أراد التوسّع : فليقرأ : أبواب الإيمان ، والتوحيد ، والاعتصام بالكتاب والسنة من الكتب التسعة ، ثمّ كتب السنّة ، مثل السنّة للإمام أحمد ، والسنة لعبدالله بن أحمد ، والسنة لابن أبي عاصم ، والسنة للالكائي ، والسنة للخلال ،

وكتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ لابن خزيمة ، وكتاب التوحيد لابن منده ، والإبانة لابن بطه العكبري ، والحجة في بيان المحجّة لإسماعيل الأصبهاني ، ومدارج السالكين لابن القيم ، وإغاثة اللهفان ، وشفاء العليل ، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام .. (( ولم يكن المتقدمون يحبّون المنظومات في علوم المقاصد ، بخلاف الوسائل ))<sup>(١)</sup> .

ولكن من أراد حفظ منظومة في الاعتقاد : فالنونية وشروحاتها وهي لابن القيم ، والدرر المضيّة للسفاريني ، وسلم الوصول للحكّمي<sup>(٢)</sup> .

ثمّ كتب الملل والنحل : مثل الملل والنحل للشهرستاني ، والبدع لابن وضّاح ، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، والصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة .

ملحظ :

الكتب في المراحل الأربع وضعت جميعها للأخذ بها ، وليست للاختيار ، ولكن من عجز عن جميعها فليأخذ :

١ - كتاب التوحيد وشرحه .

٢ - العقيدة الواسطية وشرحها .

(١) التّأصيل العلمي : الشّيخ أحمد القرني .

(٢) التّأصيل العلمي للقرني .



٣ - العقيدة الطحاوية وشرحها .

٤ - فهم كتاب الأسماء والصفات للبيهقي .

#### خامساً : اللغة (١) :

( النحو ) واللغة ليست من علوم المقاصد ( العلوم الأصلية ) وإنما هي من العلوم المساعدة ، وتُسمى : علوم الآلة : أو علوم صناعية ..

فيلزم طالب العلم ؛ مقدّمة في النحو يقوم بها لسانه ، ويعرف بها النطق الصحيح بالكتاب والسنة وعلوم الشريعة ، وإلا فإنه لا يؤتمن على فهم الكتاب والسنة .

قال ابن الوردي : جمل المنطق بالنحو ، فمن يُحرم الإعراب بالنطق اختبل .

وقد اعتاد المتفقهون البداية في النحو بالآجرُمية .

المرحلة الأولى : المقدّمة الآجرُمية .

يعرضها على شيخ ، يضبطها ، ويشرحها له حتى يفهمها . ويحفظها . وقد نظمها الشرف العمريطي في منظومة سماها (( الدُرّة البهيّة )) في مائتين وخمسين بيتاً . عشرون منها مقدّمة .

فإذا أتمّ فهم الآجرُمية فهماً جيّداً ، انتقل إلى المرحلة التي تليها .

(١) مستفاد من التأصيل العلمي ، ومنهج عملي للقاريء .

المرحلة الثانية : مُلحة الإعراب ، للحريري .

حفظًا وفهمًا ، حتَّى إذا أتمَّها انتقل إلى ما بعدها .

المرحلة الثالثة : ألفية ابن مالك ، وتُسمَّى الخلاصة .

يعرضها على شيخ ، ويضبطها ، ويشرحها ، ويتقن حفظها ، وهذا يحتاج إلى جهد ، لأنَّ أبياتها يكاد كل واحدٍ يستقلُّ بمعنى ، وكثيرٌ منها لا يرتبط بما يليه .

ولها شروح : أفضلها وأشهرها : شرح ابن عقيل ( ت ٧٦٩ ) ، وشرح ابن هشام ( ت ٧٦١ ) ، المسمَّى « أوضح المسالك » .

مرحلة التوسُّع :

فمن أراد التوسُّع ، فليحفظ : « الكافية الشافية » لابن مالك ويفهمها .

وفي العروض : ميزان الذهب .

والبلاغة : الجوان والجواهر المكنون .

والمنطق : السُّلم المنمرق . قال فيه ابن القيم : شرٌّ لا بُدَّ منه . وهو علم آلة ، وليس تنقد المنطق الذي نقد فيه القياس وغيره .

### سادسًا : الفقه :

وهو فقه الأحكام الشرعية ، أو فقه الشريعة ، ويقابل فقه الإيمان ، وهو خلاصة علوم الشريعة ممَّا سوى العقيدة ، وهو النتيجة والمحصلة ، وهو أنفع العلوم بعد التوحيد

وأكثر ما يحتاجه الناس ، وقد قيل في فضله الشيء الكثير ،  
من ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ  
خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » (١) .

وعن مجاهد قال : « الربانيون : الفقهاء ، وهم فوق  
الأخبار » (٢) ، وقال الزهري : « ما عبد الله بمثل الفقه » (٣)  
. وقال أبو الدرداء في الفقهاء : « وما نحن لولا كلمات  
الفقهاء » (٤) . وعن عطاء في قوله تعالى : { أَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } [ النساء/٥٩] ، قال : طاعة الله ورسوله ،  
اتباع الكتاب والسنة ، { وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } . قال : « أولو  
العلم والفقه » (٥) .

وعن مجاهد ، قال : « لا بأس بالسمر في الفقه » (٦) ،  
وذلك يدل على أهمية الفقه ، وقال علقمة لأصحابه : «

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخاري ، كتاب العلم : باب من يريد الله به خيراً  
يفقه في الدين : ٣٩/١ ، رقم ٧١ .

(٢) الفقيه والمتفقه : ١٨٤/١ ، رقم ١٧٧ ، وقال المحقق : إسناده صحيح

(٣) الفقيه والمتفقه : ١١٩/١ ، رقم ٨١ .

(٤) الفقيه والمتفقه : ١٥٢/١ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله : ٧٦٧/١ ، رقم ١٤١٧ .

(٦) العلم لأبي خيثمة : ص ٢٧ ، رقم ١١٠ .

امشوا بنا نزداد إيماناً - يعني تفقهاً - )) (١) .  
 وعن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : (( إنَّ من الصدقة ،  
 أن تسمع بالفقه فنُحَدِّثَ به )) (٢) .  
 وكان الأعمش يسأل أبا حنيفة ، ثمَّ يقول : (( يا معشر  
 الفقهاء ، أنتم الأطباء ، ونحن الصيادلة )) (٣) .  
 وقال عمر رضي الله عنه - : (( وَقَالَ عُمَرُ : تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا ))  
 (٤) ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيُّ : وَبَعْدَ أَنْ تُسَوِّدُوا .  
 وعن يحيى بن كثير أنه قال : (( تعليم الفقه صلاة ،  
 ودراسة القرآن صلاة )) (٥) .  
 وقال رجلٌ لأبي مجلز ، وهم يتذاكرون الفقه والسُّنَّةَ : ((  
 لو قرأت علينا سورة من القرآن )) فقال : (( ما أنا بالذي  
 أزعمُ أنَّ قراءة القرآن أفضل مما نحن فيه )) (٦) .  
 وقال سهل بن عبدالله التستري : (( من أراد أن ينظر إلى  
 مجالس الأنبياء ، فليُنظر إلى مجالس العلماء ، يجيء الرَّجُلُ  
 ، فيقول : يا فلان أيش تقول في رجلٍ حلف على امرأته بكذا

(١) الفقيه والمتفقه : ١٥٢/١ .

(٢) المصدر السابق : ١٥٣/١ .

(٣) المصدر السابق : ١٦٣/٢ ، ١٦٤ ، رقم ٧٩٣ .

(٤) المصدر السابق : ١٥٤/٢ .

(٥) المصدر السابق : ١٠٣/١ ، رقم ٥٧ .

(٦) المصدر السابق : ١٠٣/١ ، رقم ٥٦ .

وكذا؟ فيقول: طُلِّقت امرأته، ويجيء آخر فيقول: ما تقول في رجلٍ حلف على امرأته بكذا وكذا؟ فيقول: ليس يحنث بهذا القول، وليس هذا إلا لنبيٍّ أو لعالم، فاعرفوا لهم ذلك ((<sup>(١)</sup>).

وعن محمد بن الحسن: قال: «ولكن من وُقِّق لهذا العلم، الذي فيه الحلال والحرام، والفرائض، والحدود، والأحكام، ومعالم الدين كلها، فطلبه في شبيبته، قبل تراكب الأشغال عليه، فأدرك منه حظًا، فإن أراد به الآخرة وُقِّق فيه للخير والصدق، أدرك به الدنيا والآخرة» ((<sup>(٢)</sup>).

ومنزلة الفقه بين العلوم بمنزلة الحاكم، فهو النتيجة والثمرة، وذلك لنفعه الناس، وتعليمهم أحكام دينهم.

كتب الفقه:

كتب الفقه هي حصيلة جهودٍ عظيمة، وعلمٍ واسع، وأعمار طويلة، وأزمان مديدة بذلها الأئمة الأعلام ورثة الأنبياء، حفظًا، وفهمًا، ودراسة، ومذاكرة، وذكاءً، وتوفيقًا، وفهمًا عميقًا بنصوص الكتاب والسنة، والإجماع والقياس، فهمًا بأدلة الأحكام، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، ومقاصد الشريعة، والناسخ والمنسوخ، والمقدّم والمؤخّر، والشاذ، والمنكر، والمطلق والمقيّد، والعام

(١) الفقيه والمتفقه: ١٤٩/١.

(٢) الفقيه والمتفقه: ١٥٦/١.

والخاص ، ومعرفة بالقرآن وعلومه ، ومحكمه ومتشابهه ، وأسباب نزوله ، ومعرفة بلغة العرب وشواهدا ، وفهم الصحابة رضي الله عنهم ولغة الخطاب بينهم ، ومعرفة تامة بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، صحيحها وسقيمها ، ومعرفة بحملتها جرحاً وتعديلاً ، ومعرفة بلغة الفقه والفقهاء ، وكلماتهم المعدودة المحدودة ، وطرق الاستنباط والاستدلال والتعليل ، وتأصيل المسائل ، وردّ الفروع إلى الأصول ، وطرق الموازنة والمقارنة بين الأدلة وترجيح بعضها على بعض .

وهي نتيجة معايشة طويلة للناس ، وخالصة جهود كبيرة ، وعلم غزير ، ونظر ثاقب .

فإذا ضرب المتعلم المبتدئ صفحاً عن كل تلك الجهود ، واستغنى برأيه من أوّل الطريق ، فقد نصّب نفسه في مقام أولئك الأفاذ ، وهو لا يملك من العلم قطميراً ، فيخسرهما كلها ، ولا يستفيد منها لجهله واستكباره وإعراضه ، واستغناؤه برأيه وفهمه القاصر ، ويأنف من الاستفادة من هذه الثروة العظيمة التي تلقنتها الأمة بالقبول ؛ والله عز وجل يقول : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } <sup>(١)</sup> ، والرجوع إلى كتب أهل العلم هو في معنى سؤال أهل الذّكر .

كلّ ذلك بحجة عدم التمهّد ، فيقول : هم رجال ونحن رجال ، ونأخذ ممّا أخذوا . فهذا لا يحصل من العلم على طائل ، ويغلب عليه التنقل بين كتب الحديث يأخذ منها

(١) النحل : الآية ( ٤٢ ) .

أحكامًا ، وبعضها معارضٌ بأحاديثٍ أخر أقوى منها صحّة أو دلالة ، بل قد يكون بعضها منسوخًا أو ضعيفًا لا يُحتجّ به وهو لا يعلم ، وكُنُبُ الحديث تغلبُ عليها الصناعة الحديثية .

فتمرُّ عليه السنون الطويلة لا يخرج بشيء ، ويغلب عليه الضياع والشتات .

وفريقٌ آخر يدرس الفقه من غير نصوص ، متون فقهية مجردة عن الدليل في الغالب ، يحفظها وكأنها نصوص نبوية ، فأورثته قبول أقوال الأئمة دون بحثٍ عن مأخذهم وأدلتهم .

وقد حُجِّبوا عن الدليل وعُزلوا عن الأصول ، قد نصبوا أقوال العلماء وآرائهم بديلاً عن الوحي ، فيستشهدون بها وينسون أنّ أصول الشريعة عند أهل السنة هي الكتاب والسنة والإجماع ، فهم على طرف نقيض مع الفريق السابق .

إمّا فقه بدون استدلال ، أو حديث بدون فقه . وكلا طرفي الخلاف نميمٌ ، والصحيح التوسُّط والجمع بينهما كما سيأتي .

التربية على اتباع الدليل والانتفاع بجهود العلماء دون تمذُّب :

ترك أئمة العلم ثروة ضخمة في شتى صنوف العلم والمعرفة ، ومن أبرزها وأهمّها كتب الفقه ، وموسعاته

## العظيمة .

فإن ذهب المتعلم لدراسة الفقه استقلالاً دون الاستفادة منها لعدم التمذهب . فاته خير كثير . وإن خاض غمارها دون توجيه صحيح ، أشرب في قلبه المذهب ، وسرى في دمه ، وصعب عليه التخلص منه .

فكيف يمكنه الاستفادة من هذه الجهود ، دون الانخراط في المذهب؟!!

ينبغي للطالب أن يبحث عن فقيه ربّاني متحرّر من قيود المذهب ، خارج من ربقتها ، متبع للدليل ، تاركٍ للتقليد ، خبير بفقه الموازنات ، بصيرٌ بالخلاف .

ويُعرف بأنه إذا دُكرت المذاهب عنده لم يتعصب لها ، يستفيد منها دون أن تُفَيِّده ، يتبع الدليل الصحيح فيها أو في غيرها أئى وجده .

فإذا شرع هذا الرباني في التعليم . فلا بُدّ من مقدّمة بين يدي درس كُتب المذاهب تُمهّد للطالب ، وتبيّن جهود العلماء الجهابذة ، وتشرح أسباب الخلاف ، فإنّه أجدر أن لا يزدري جهودهم أو يقلل من شأنهم .

وتربيته على تقديرهم واحترامهم ، وإن خالفت اجتهاداتهم الدليل ، ذلك أنهم لم يخالفوه قصداً وِعنوة ، فهم في إحدى منزلتيّ المجتهد من الأجر .

فيدرس الطالب متنًا فقهيًا ، يُيسّره له ، ويُسهله عليه



ويفك إشكالاته وإبهاماته ويشرح مسائله ويضرب لها الأمثال ، ويصورها له حتى يفهمها ، وتكون صورتها ماثلة في ذهنه ، بتقسيماتها وتفريعاتها ، لا تشتبه مع رفيقاتها ومثيلاتها . فيعرف صورة كل قسم منها بحكمه ودليله وتعليقه .

يربط الطالب بالدليل ، فإن كانت المسألة في الكتاب راجحة اكتفى ، وإن كانت مرجوحة ، نبّه عليها ، وذكر الراجح بدليله ، وبين خطأ المصنّف في الاستدلال أو ضعف دليله أو غير ذلك .

وبتربيته على اتباع الدليل وعدم التقليد ، يستفيد علماً من هذه الثروة ويعرف لغة الفقه والفقهاء ، وطرق الاستنباط ، والاستدلال ، والإيراد ، والردود ، ومقارنة الأدلة ، والترجيح وطرقه .. وكذلك يستفيد استقلالاً في الشخصية وقوة في التمسك بالنصوص ، دون أن يتمذهب .

فإن لم يُربط بنصوص الشريعة مباشرة وإجماع الأمة ، فإنه سيضع أقوال الفقهاء وآرائهم في مقام الدليل ، ويستشهد بها عند الحاجة . لفصله عن الدليل وحجبه عنه ؛ واعتماده على أقوال العلماء وآرائهم مجردة عن النصوص في الغالب .

وهذا هو التقليد المذموم ، والتعصّب الأعمى . ومن دخل المذهب بهذه الروح لم يكذُ يخرج منه .

فهذا فرقٌ دقيقٌ في كيفية دراسة الكتب الفقهية يجب التنبيه له .

ومن حُرِّم المعلم الذي يحقق هذا المنهج ؛ فعليه الجمع بين متنٍ فقهي ، و متنٍ حديثي . أي الجمع بين الحكم والدليل ، وتحريُّ الكتب التي تعتمد الدليل بقدر الإمكان وتحريُّ الصِّحة في الدليل . أما اختيار المتون الفقهية فله ضوابط كلما تحققت فيها كانت أولى بالدراسة :

- ١ - أن يكون المتن سهل العبارة خالي من التعقيد .
- ٢ - أن تكون أكثر مسائله راجحة .
- ٣ - الأكثر ذكرًا للدليل والتعليل .
- ٤ - الأكثر استيعابًا .

**أولاً : مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله .:**

المرحلة الأولى : أحد المختصرات التالية :

- ١ - البداية : ( بداية المبتدئ ) .
- ٢ - نور الإيضاح . للشرنبلاني .
- ٣ - كنز الدقائق . لأبي بركات عبدالله بن أحمد النسفي ( ت (٧١٠) .

- ٤ - المختار للفتوى ، للموصلي .
- ٥ - مختصر الطحاوي ، للطحاوي .
- ٦ - مختصر القدوري ، المسمّى ( الكتاب ) .

## ٧ - تنوير الأبصار ، للتمرتاشي .

المرحلة الثانية : أحد كتب المتوسطات .

- ١ - الوقاية : وهو مختصر الهداية ، محمود المحبوبي .
- ٢ - الهداية : وهي شرح البداية ، لأبي الحسن عليّ بن أبي بكر المرغيناني الرشداني ، ( ت ٥٩٣ هـ ) .
- ٣ - مراقي الفلاح : للشرنبلاني . وهو شرح ( نور الإيضاح ) له .

## ٤ - شرح الكنز ، للعيني .

## ٥ - الاختيار لتعليل المختار ، للموصلي .

## ٦ - تحفة الفقهاء ، للسمرقندي .

## ٧ - اللباب ، شرح الكتاب ، للميداني .

## ٨ - الدر المختار . ( شرح تنوير الأبصار ) ، مختصر للحصكفي .

المرحلة الثالثة :

- ١ - البناية : في شرح الهداية . بدر الدين محمود بن أحمد العيني ( ت ٨٥٥ ) .
- ٢ - ( فتح القدير للعاجز الفقير ) ، الكمال بن الهمام : ( محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد السيواسي ، ثمّ السكندري .
- ٣ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، علاء الدين الكاساني .

٤ - المبسوط في الفروع ، محمد بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم البزدوي . أبو اليسر الحنفي ( ت ٤٩٣ هـ ) .

٥ - تبين الحقائق : شرح كنز الدقائق للزيلعي .

٦ - حاشية ابن عابدين : وهي ردّ المختار على الدر المختار .

يُختار كتاب من كل مرحلة حسب المتوفر ، وحسب اختيار شيخه أيضاً ، ويُفضّل أن تكون كتب المراحل المتقدمة شروح لنفس المتن المختار .

### ثانياً : مدرسة الإمام مالك بن أنس - رحمه الله :-

المرحلة الأولى :

١ - مختصر خليل ، هو خليل بن إسحاق الجندي المالكي - رحمه الله - ( ت ٧٦٧ هـ ) .

٢ - الرسالة ، لعبدالله بن عبدالرحمن بن أبي زيد القيرواني - رحمه الله - ( ت ٣٨٦ هـ ) .

٣ - أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ( مختصر من مختصر خليل ) . لأحمد بن أحمد العدوي المالكي .

المرحلة الثانية :

١ - شرح مختصر خليل ، عبدالباقي بن يوسف الزرقاني . ( ت ١٠٩٩ هـ ) .

٢ - شرح الرسالة ، عليّ بن محمد أبو الحسن المالكي ( ت

٩٣٩ هـ) .

٣ - الشرح الصغير على أقرب المسالك ، أبو البركات ،  
أحمد بن محمد الدردير ( ت ١٢٠١ هـ ) .

المرحلة الثالثة :

١ - الشرح الكبير على مختصر خليل ، أحمد الدرديري .  
٢ - البيان والتحصيل لما في المدونة من المعاني  
والتوجيه والتعليل ، لابن رشد الجدّ .

**ثالثاً : مدرسة الإمام الشافعي - رحمه الله :-**

المرحلة الأولى :

١ - المهذب : لأبي إسحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسف  
الشيرازي ( ت ٤٧٦ هـ ) ، وهو المتن الذي شرح النووي في  
المجموع .

٢ - منهاج الطالبين : لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي  
( ت ٦٧٦ ) .

٣ - منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، ( وهو مختصر  
لمنهاج الطالبين ) .

٤ - الوجيز للغزالي .

المرحلة الثانية :

١ - شرح المنهاج : المسمّى ( كنز الراغبين في شرح  
منهاج الطالبين ) . محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن

أحمد المحلي ، جلال الدين المصري الفقيه الشافعيّ ( ت ٨٦٤ ) .

٢ - الوسيط للغزالي .

المرحلة الثالثة :

١ - المجموع شرح المهذب ، للنووي .

٢ - فتح العزيز شرح الوجيز ، للرافعي الكبير .

٣ - البسيط ، للغزالي .

**رابعاً : مدرسة الإمام أحمد - رحمه الله .:**

المرحلة الأولى : يُختار أحد الكتب التالية :

١ - عمدة الفقه ، لابن قدامة الجماعيلي ( ت ٦٢٠ ) ،  
والمتن الحديثي عمدة الأحكام ، في غياب الشَّيْخ .

٢ - منار السبيل لابن ضويان ( ت ١٣٥٣ ) ، وهو شرح  
متن الدليل لمرعي بن يوسف ( ت ١٠٣٣ ) .

٣ - زاد المستقنع ، وهو اختصار المقنع ، والزاد  
للحجاوي ( ت ٩٦٠ ) ، والمتن الحديثي المناسب له بلوغ  
المرام . والمختار الزاد لاستيعابه ، ورجاحته ، وكثرة  
شروحاته ، وعلى الأخص الممتع ، فهو في الغالب على  
الرأي الراجح بدليله .

المرحلة الثانية : أحد الكتب التالية :

١ - المقنع : لابن قدامة ، وهو المختار لكون الزاد

مختصراً منه .

٢ - الكافي : له أيضاً .

٣ - الشرح الممتع على زاد المستقنع .

وفي هذه المرحلة يكفي بلوغ المرام كمتن حديثي .

المرحلة الثالثة :

١ - المغني ، لابن قدامة - رحمه الله - ، وهو شرح مختصر الخرقى - رحمه الله - ، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ .

هذه المرحلة تعطي المتفقه ملكة في جميع الأقوال في المسألة وأدلة كل قول وما اعترض عليه والردود ، وتحرير محل النزاع ، والموازنة والترجيح بالدليل . أما المتن الحديثي : فالمنتقى للمجد ابن تيمية - رحمه الله - .

وقد رتب الإمام ابن قدامة - رحمه الله - كتبه الفقهية على النحو التالي :

١ - عمدة الفقه ، قول واحد بدليله ولو نادراً ، ويصلح للمبتدئين .

٢ - ثم المقنع ، قولان ، ويصلح للمتوسطين .

٣ - ثم الكافي ، وهو أكثر تفصيلاً ، ويصلح كذلك للمتوسطين .

٤ - المغني ، موسعة فقهية ، وهو فقه موازنات ، أو ما يسمّى بالفقه المقارن .

المرحلة الرابعة : مرحلة التوسُّع في الفقه .

ويتوسَّع في هذه المرحلة ما شاء في فقه الموازنات ، فيقرأ في المغني ، والمجموع ، وبدائع الصنائع ، ومواهب الجليل ، والإنصاف للمرداوي ، والمحلى لابن حزم ، والحاوي للماوردي ، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأعلام الموقعين ، لابن القيم ، وفتاوى العلماء عموماً .

مع الاهتمام بكتب أدلة الأحكام وشروحها . فيهتم بعمدة الأحكام وشرحه إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر ، وشرحه سبل السلام للأمير الصنعاني ، ومنتقى الأخبار للمجد ابن تيمية وشرحه نيل الأوطار .

والسيل الجرار للشوكاني ، وتمام المنة للألباني وإرواء الغليل ، مع الاهتمام بكتب شروح الحديث عموماً مثل فتح الباري للحافظ ابن حجر ، وفتح الباري لابن رجب ( شرح قطعة من صحيح البخاري ) وكذلك النووي على مسلم ، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ..

والاهتمام بتفسير آيات الأحكام مثل أحكام القرآن للقرطبي .

### سابعاً : مصطلح الحديث :

المرحلة الأولى :

ـ النخبة .



نخبة الفكر في مصطلح علم الأثر للحافظ ابن حجر ، تُفهم جيّدًا ، وتُحفظ .

- قصب السكر نظم نخبة الفكر للصنعاني .

المرحلة الثانية :

١ - علوم الحديث للحافظ ابن كثير - رحمه الله - .

٢ - مقدّمة ابن الصلاح .

المرحلة الثالثة :

١ - ألفية العراقي ، تُحفظ جيّدًا ، (( ومن حفظها فكأنه حفظ مقدّمة ابن الصلاح وزاد عليها ، وهي أشهر من ألفية السيوطي ، وبها مباحث فاقت السيوطي جمعًا وكثرة ، ودار حولها أغلب الشروح ، والعراقي يذكر الخلاف ثمّ الراجح ))<sup>(١)</sup> .

٢ - فتح المغيث ، للسخاوي . وهو شرح موسّع لألفية العراقي ، وفي غاية الأهمية .

المرحلة الرابعة :

ولمن أراد التوسّع أكثر والتخصص ، فعليه بما يلي :

١ - ألفية السيوطي . حفظ ، وهي أشمل من ألفية العراقي<sup>(٢)</sup> ، وقد شرحها السيوطي نفسه - رحمه الله - في شرح سمّاه

(١) التّأصيل العلمي .

(٢) التّأصيل العلمي للشيخ أحمد القرني ، قال : (( وفي دراسة وُجد أنّ

- (( البحر الذي زخر )) ، وشرحها أيضاً الترمسي .
- ٢ - تدريب الرّأوي ، للسيوطي - رحمه الله - .
- ٣ - توضيح الأفكار ، للصنعاني - رحمه الله - .
- ٤ - النكت على كتاب ابن الصلاح ، للحافظ ابن حجر - رحمه الله - .
- ٥ - منظومة عبدالحفيظ في ألفين بيت ، وهو من سلاطين المغرب .
- ٦ - منظومة حافظ الحكمي .

### ثامناً : أصول الفقه :

المرحلة الأولى :

- ١ - متن الورقات لإمام الحرمين الجويني ، وهو الأصل المعتمد لدى المتقدمين ، ( وقد نظمه الشرف العمريني في منظومة (( نظم الورقات )) )<sup>(١)</sup> ، ينبغي على الطالب حفظه وفهمه ، وعليه شرح الورقات في أصول الفقه لعبدالله الفوزان .

الإضافات العلمية لألفية السيوطي على العراقي تبلغ ( ٢٧٠ ) إضافة ، وإضافات الأشعار والكلمات بلغت ( ٤٨٠ ) . ولكن تبقى ألفية العراقي الأشهر ، وهي التي دارت حولها أغلب الشروح ! .

(١) التاصيل العلمي .

المرحلة الثانية :

١ - روضة الناظر ، لابن قدامة مع شرحها نزهة خاطر العاطر .

المرحلة الثالثة :

١ - جمع الجوامع ، تاج الدين السبكي ، عبدالوهاب بن عليّ ، (( وهو الأصل المعتمد عند المتأخرين ، وقد لخصه من مائة مصنّف ، الكوكب الساطع )) منظومة لجمع الجوامع )) تقع في ( ١٤٥٠ ) بيتاً . تحفظ .

٢ - شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين المحليّ .

٣ - وحاشية البناني ، لشمس الدين محمّد بن أحمد ، وهي على شرح المحليّ ((<sup>(١)</sup>) .

٤ - الموافقات ، للشاطبيّ .

٥ - القواعد الفقهيّة ، لابن رجب .

**ناسخاً : سيرة النبي ﷺ ، ونقهما :**

المرحلة الأولى :

١ - مختصر سيرة الرسول ﷺ للإمام المجدّد : محمّد بن عبدالوهاب .

(١) التّأصيل العلميّ .

المرحلة الثانية :

١ - الرحيق المختوم ، للمباركفوري .

المرحلة الثالثة :

١ - السيرة النبويّة ، لابن هشام .

٢ - وشرحها : الروض الأثف ، للسهيلى .

٣ - وفقه السيرة : زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن

القيّم .

### عاشراً : الفرائض :

المرحلة الأولى :

١ - متن الرحبية ، للرحبى .

٢ - شرح الشنشورى على الرحبية .

٣ - حاشية الباجورى على الشرح .

وأخيراً : فإنّ هناك علوماً تلزم الفقيه كما تلزم المحدث ، من ذلك : علم التخريج ، وعلم الإسناد والرواية ، وعلم الرجال ، والجرح والتعديل ، وعلم علل الحديث .

« وينبغي الاهتمام كذلك بكتب شروح الحديث ، وكتب التاريخ ، وكتب دراسة مراحل تطوّر العلم ، وذلك للجمع بين تأصيل العلم وتاريخ الفنّ ، وهي الكتب الوصفية التي تصف العلوم ؛ نشأتها وتطوّرها ومسائلها ، وهي من أصعب المصنّفات لأنها تحتاج إلى استقراء طويل ، ومن أمثلتها : تاريخ بحوث السنة المشرّفة لأكرم ضياء العمري ، وكذلك يُرجع لكتب الموارد والمناهج لمعرفة أصول المؤلفات في

علم ما ، ومدى أهميتها ، وأي الكتب هي الأصل ؟ ومن ذلك في التفسير مثلاً ، منهج الشوكاني ، منهج القرطبي ، وفي التاريخ منهج الذهبي في تاريخ الإسلام لبشار معروف ، وفي الحديث منهج وموارد الخطيب للشيخ أكرم ضياء العمري .

ولمعرفة القضايا الكبرى في علم ما يُرجع إلى الدراسات التي تناولت أبرز الشخصيات في ذلك العلم ، ولمعرفة مدى التأثير والتأثير في علم ما يُرجع إلى دراسات الموازنة ، أو المقارنة التي أجريت حول هذا العلم . وعلى سبيل المثال : ما استفاده الباحثون في المصطلح من قواعد النحو واللغة والتاريخ . فمثلاً اللغة والنحو لغازي حمادي تكلم عن الحديث وأثره في اللغة ، وأسد رستم في مصطلح التاريخ تكلم عن الحديث وأثره في التاريخ ، وهكذا لا تكون الفوائد جامدة على العلم نفسه دون غيره ، وينبغي الاهتمام كذلك بالكتب التي تؤصل العلم وتوثق موارده ، وتدفع عنه الشكوك والشبهات ، وهي مما يُرسخ الجانب التاريخي بمسائل العلم<sup>(١)</sup> .

ونظراً لكثرة المعارف ، ولسهولة طباعتها ونشرها وتعدد وسائل الحصول عليها فإنه يوجد كمّاً هائلاً من الكتب والثقافات والمعارف .

لذا فإنه ينبغي إعمال العقل في الانتقاء ، وعدم إضاعة العُمُر إلاّ فيما يفيد . مع التركيز على الأصول في كلِّ علم

(١) التأسيس العلمي : للشيخ أحمد القرني ، بتصرف واختصار .

وحفظه ، ويسهل حفظ المنظوم منه أكثر من المنثور .

ومن فوائد حفظ المنظومات :

- ١ - ضبط القواعد العلمية بطريقة منسقة يسهل حفظها ،  
ومن ثم استحضارها عند الحاجة إليها .
- ٢ - تجمع الأصول المتناثرة في مكان واحد ، وإن كانت  
لا تجمع كل المسائل .
- ٣ - حفظ المنظوم أسهل من حفظ المنثور ، وكذا مراجعته

ضوابط في اختيار المنظومات :

- ١ - يُختار الأسهل والمتأخر والأرجح لأنه أشمل ويزيد  
على المتقدم في الغالب .
- ٢ - استشارة الشيخ المتخصص والاستخارة ، عند وجود  
متنين في فن واحد أيهما يحفظ .
- ٣ - تُحفظ المنظومات في الغالب في العلوم المساعدة  
وهي ما يُسمى بعلوم الآلة أو علوم الأدوات ، ولا يُحبذ  
المنظومات في علوم المقاصد .

طريقة حفظ المنظومات (١) :

- ١ - ضبط المتن على شيخ وقراءته عليه وفهمه .
- ٢ - حفظ المتن الطويل ، يمكن إدخال عدّة متون قصيرة معه .
- ٣ - في حال صعوبة المتن ، يُحفظ كل بيتٍ منفردًا ، إذ قد يستقل كل بيتٍ بمعنى خاص ، ثمّ يضاف إلى الذي بعده ، مع تقليل المحفوظ كلما كان المتن صعبًا .
- ٤ - ربط البيت السابق باللاحق في الباب الواحد ، إمّا بترابط المعنى ، أو بما يُسمى التضمين ، وهو تعلق قافية البيت السابق باللاحق ، مما يجعل كل بيتٍ يستدعي الذي يليه .
- ٥ - لمراعاة النواحي النفسية ، فإنّه يُكتب بيتين أو ثلاثة في كرتٍ مستقلٍ يحمله الحافظ معه ويكرره طوال اليوم ، فإنّ ذلك يخفف نفسيًا من طول المنظومة . بحيث يحفظ في الأسبوع حوالي عشرين بيتًا لا يزيد عليها .
- ٦ - التكرار الكثير بعد الحفظ ، لرسوخ المحفوظ .
- ٧ - المراجعة المنظمة المستمرة .

(١) هذه الفوائد والضوابط والطريقة في حفظ المعلومات مستفادة من :  
التأصيل العلمي ، للشيخ أحمد القرني ، وقد ذكرها بدون التصنيف إلى هذه الفئات الثلاث والعناوين . وقد أعيدت بعض الصياغات مع الاختصار وبعض الإضافات .

محاذير في حفظ المتن (١) :

١ - عدم حفظ متنين في علم واحد ، في وقت واحد ، خشية التداخل .

٢ - عدم الجمع بين حفظ المتن وشرحه في آن واحد ، إذا كان الحفظ متتاليًا .

لأن الطالب قد ينسى كلمة من المتن فيتذكر معناها في الشرح فيختلط به . فيكون حفظًا معنويًا ؟ أي بالمعنى لا باللفظ . بالإضافة إلى عدم ترابط المتن ، وخاصة في علوم الآلة .



---

(١) التأصيل العلمي .



# القسم الثاني

## دعوة غير المسلمين ( الكفار )

### الباب الأوّل : ( دعوة المشركين عامّة ) .

الفصل الأوّل : ( دعوتهم إلى التوحيد )

الفصل الثاني : ( الأساليب النبوية في دعوة المشركين )

المبحث الأوّل : ( دعوتهم بالحكمة ) .

المبحث الثاني : ( دعوتهم بالموعظة المسنة ) .

المبحث الثالث : ( مجادلتهم ومماورتهم ) .

الفصل الثالث : ( وسائله ﷺ في الدعوة )

### الباب الثاني : ( منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب ) .

الفصل الأوّل : دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض .

الفصل الثاني : بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا .

الفصل الثالث : إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية .

الفصل الرابع : مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم .

الفصل الخامس : دعوتهم إلى المباهلة حال الرفض .

الفصل السادس : هديه ﷺ في التعامل معهم .

الفصل السابع : جهادهم .

## **الباب الثالث : (منهجه ﷺ وهدية في المنافقين ) .**

- تمهيد : في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه .
- الفصل الأول : قبول علانيتهم ، وإيصال سرانهم إلى الله .
- الفصل الثاني : الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم .
- الفصل الثالث : عدم توقييرهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم .
- الفصل الرابع : جهادهم والإغلاظ عليهم .
- الفصل الخامس : محاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم .
- الفصل السادس : كشف خططهم ومؤامراتهم وإبطالها .
- الفصل السابع : منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين .
- الفصل الثامن : إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم .

# الباب الأوّل ( دعوة المشركين عامّة )

- الفصل الأوّل : ( دعوتهم إلى التوحيد ) .  
الفصل الثاني : ( الأساليب النبوية في دعوة  
المشركين ) .  
الفصل الثالث : ( وسائله ﷺ في الدعوة ) .

## الفصل الأول

### دعوتهم إلى التوحيد

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في ترتيب سياق هدي النبي ﷺ مع الكفار من حين بُعث إلى حين لقي الله ﷻ : (( أول ما أوحى إليه ربّه تبارك وتعالى : أن يقرأ باسم ربّه الذي خلق ، وذلك أول نبوّته ، فأمره أن يقرأ في نفسه ، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ .

ثمّ أنزل عليه { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } . فنبأه بقوله : { اقرأ } ، وأرسله ب { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } . ثمّ أمره أن يُنذر عشيرته الأقربين . ثمّ أنذر قومه ، ثمّ أنذر من حوله من العرب . ثمّ أنذر العرب قاطبة . ثمّ أنذر العالمين .

فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوّته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكفّ والصبر والصفح ، ثمّ أذن له في الهجرة ، وأذن له في القتال .

ثمّ أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكفّ عمّن اعتزله ولم يقاتله .

ثمّ أمره بقتال المشركين حتّى يكون الدين كلّهُ لله .

ثمّ كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام ؛ أهل صلح وهُدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمّة .

فأمر بأن يتمّ لأهل العهد والصلح عهدهم ؛ فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتّى يعلمهم بنقض العهد . وأمر أن يقاتل من نقض عهده .

ولما نزلت ( سورة براءة ) <sup>(١)</sup> نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها ، فأمره فيها أن يقاتل عدوّه من أهل الكتاب والمنافقين والغلظة عليهم فجهاد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجّة واللسان .

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ، ونبذ عهودهم إليهم ، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام : قسمًا أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له ، فحاربهم وظهر عليهم . وقسمًا لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ، ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتمّ لهم عهدهم إلى مدّتهم .

وقسمًا لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق فأمر أن يؤجّلهم أربعة أشهر ، فإذا انسلخت قاتلهم .

فاستقرّ أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام ؛ محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمّة ، ثمّ آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام ، فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمّة ، والمحاربون له خائفون منه . فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالمة له

(١) فيه سقط ، والمعنى يصحّ بما أثبتته .

آمن ، وخائف محارب )) (١) .

فأول ما بُدئ بالنبى ﷺ من الوحي أن أمر أن يقرأ في نفسه ، ولم يؤمر بتبليغ ، ولكنه أخبر خديجة - رضي الله عنها - بما حصل له من الملك ، وبما قال له .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : (( فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ - رضي الله عنها - فَقَالَ : زَمَّلُونِي زَمَّلُونِي ، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَتَّصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فَانْطَلَقَتْ بِهِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةً ... فَقَالَ لَهُ وَرَقَةٌ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ... لِيَتَّيَّنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْمُخْرِجِي هُمْ؟ قَالَ نَعَمْ ... )) (٢) .

ثم فتر الوحي فترة من الزمن وعاد بنبوة النبي ﷺ ، عن جابر رضي الله عنه قال : (( سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ

(١) زاد المعاد : ١٥٨/٣ - ١٦٠ ، مختصرًا .

(٢) البخاري : ١ - بدء الوحي ١ - باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ : ٤/١ - ٥ ، رقم ٣ ، مختصرًا .

، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ ، جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُعبًا ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمَلُونِي زَمَلُونِي ،  
فَدَثَرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ { إِلَى { وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ  
{ - قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ - وَهِيَ الْاَوْتَانُ } (١) .

قال ابن إسحاق : (( ثُمَّ تَنَامَ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وهو مؤمن بالله مُصَدِّقٌ بما جاءه منه قد قَبِلَهُ بقبوله . وآمنت  
به خديجة ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره  
، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدقت بما جاء منه .  
فخفف الله بذلك عن نبيِّه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه إلا  
فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تنبته وتخفف عليه ، وتصدقه  
، وتهون عليه أمر الناس )) (٢) .

وقد أسلم عليّ بن أبي طالب ﷺ بعد خديجة إذ كان في  
حَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ قبل الإسلام معونة من رسول الله ﷺ لأبي  
طالب وردًّا لجميله ، فقد كان قليل المال كثير العيال . قال  
ابن عباس : وكان عليّ أول من أسلم من الناس بعد خديجة -

(١) البخاريّ : ٦٨ - التفسير : ٤٠٤ - باب : وثيابك فطهر : ١٨٧٥/٤ ،  
رقم ٤٦٤١ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشنّي : ٣٠٤/١ - ٣٠٥ ،  
مختصرًا . ذكره ابن هشام بدون إسناد .

قال العُمريّ في السيرة النبوية الصحيحة : (( ومصنّف ابن أبي شيبة :  
٧٤/١٤ من مرسل الزهري ، ومستدرک الحاكم ١٨٤/٣ بسندٍ ضعيف من  
حديث حذيفة بن اليمان .

رضي الله عنها - )) (١) .

وكان أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،  
قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ ، فَقُلْتُمْ : كَذَّبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :  
صَدَقَ ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي ؟ مَرَّتَيْنِ ،  
فَمَا أُودِي بَعْدَهَا » (٢) .

قال ابن كثير عن هذا الحديث : « وهذا كالتصّ على أنّه  
أول من أسلم ﷺ » (٣) ، « وقد أسلم أهل بيت أبي بكرٍ  
بإسلامه » (٤) قالت عائشة - رضي الله عنها - : « لَمْ أَعْقِلْ  
أَبَوِي إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ » (٥) .

وقال ابن إسحاق : « فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه  
ودعا إلى الله وإلى رسوله . وكان رجلاً مألُفاً لقومه ، محبباً  
سهلاً . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته  
وحسُن مجالسته .

- 
- (١) من حديثٍ طويلٍ أخرجه الحاكم ، ٣١ - كتاب معرفة الصّحابة :  
١٤٣/٣ ، رقم ٤٦٥٢ / ٢٥٠ ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد  
ولم يخرجاه بهذه السياقة ، قال في التلخيص : صحيح .
- (٢) البخاريّ : فتح الباري ٦٢ - كتاب فضائل الصّحابة ٤ - باب فضل  
أبي بكر : ٢٢/٧ ، رقم ٣٦٦١ .
- (٣) السيرة النبوية لابن كثير : ٤٣٤/٤ .
- (٤) السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري : ١٣٥/١ .
- (٥) صحيح البخاريّ : فتح الباري : ٤٧٥/٤ .



فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ،  
ممن يغشاه ويجلس إليه . فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن  
عقّان ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن  
أبي وقاص ، وطلحة بن عبيدالله .

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له ، فأسلموا  
وصلوا .

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ،  
فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله )) (١) .

وقال ابن كثير : « والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة  
أول من أسلم من النساء - وظاهر السياقات - وقبل الرجال  
أيضاً .

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وأول من  
أسلم من الغلمان عليّ بن أبي طالب ، وهؤلاء الأربعة كانوا  
إذ ذاك أهل البيت . وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو  
بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدّم ذكرهم  
، إذ كان صدرًا معظماً ، ورئيسًا في قریش مكرّمًا ،  
وصاحب مال ، وداعية إلى الإسلام ، وكان محببًا متألّفًا  
ببذل المال في طاعة الله ورسوله )) (٢) .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، مع شرح أبي ذرّ الخشنى : ٣١٧/١ ،

٣١٨ . وقد أوردها عن ابن إسحاق دون إسناد .

(٢) السيرة النبوية ، لابن كثير : ٤٣٢/١ .

وقال - رحمه الله - : « وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم ابن أبي النجود عن زرّ عن ابن مسعود قال : « أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمّار ، وأمّه سمّيّة ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد » (١) .

وهكذا يتضح من النقول السابقة أن النبي ﷺ بدأ بأهل بيته وأقرب الناس إليه ، وأحبّ أصدقائه إليه .

وقال ابن إسحاق : « ثمّ دخل النَّاسُ في الإسلامُ أرسالاً من الرجال والنساء ، حتّى فشا ذكرُ الإسلامِ بمكّة وتحدّث به .

ثمّ إن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادي النَّاسَ بأمره ، وأن يدعو إليه .

وكان بين ما أخفى رسولُ الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه ؛ ثمّ قال تعالى له : { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } . وقال تعالى : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ = ٢١٤ } وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } . { وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ } .

(١) المصدر السابق : ٤٣٦/١ .

وقال صاحب تهذيب سيرة ابن كثير في تخريجه لها : رواه أحمد في فضائل الصحابة ( ١٩١ ) بسند حسن ، ( ٢٨٢ ) عن مجاهد بسند صحيح . انظر : تهذيب سيرة ابن كثير ، ص ١١١ .

قال ابن هشام : اصدع : أفرق بين الحقّ والباطل . قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم .

فلما بادی رسولُ الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ولم يرتدوا عليه - فيما بلغني - حتّى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلّا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ((<sup>(١)</sup>).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قَالَ (( لَمَّا نَزَلَتْ } وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ { صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فَهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ، لِبَطُونِ قُرَيْشٍ ، حَتَّى اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي ، تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا ، قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، إِلَهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ فَنَزَلَتْ : } تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ { ))<sup>(٢)</sup> .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشني : ٣٢٥/١ - ٣٢٦ ، باختصار .

(٢) البخاريّ : ٦٨ - التفسير / الشعراء : ٢٦٠ - باب وأنذر عشيرتك الأقربين : ١٧٨٧/٤ ، رقم ٤٤٩٢ .

وفي حديث أبي هريرة قال : (( قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله { وأنذر عشيرتك الأقرين } قال : يا معشر قريش ، أو كلمة نحوها ، استنروا أنفسكم ، لا أعني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبدمناف لا أعني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبدالمطلب لا أعني عنك من الله شيئاً ، ويا صفيئة عمة رسول الله لا أعني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سأليني ما شئت من مالي ، لا أعني عنك من الله شيئاً )) (١)

وفي إحدى روايات ابن عباس قال : (( خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه )) (٢) الحديث ...

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم ؛ قال : (( لما أنزلت هذه الآية { وأنذر عشيرتك الأقرين } دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمم وخص فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سألها ببلالها )) (٣)

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٤٤٩٣ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه : ٤٦٦ - باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب : ١٩٠٢/٤ ، رقم ٤٦٨٧ .

(٣) مسلم : ١ - كتاب الإيمان ٨٩ - باب في قوله تعالى : { وأنذر عشيرتك

ومن شِدَّةِ حرصه ﷺ على تنفيذ أمر ربّه وضع أصبعيه في أذنيه وصعد الجبل وهتف ، فعن قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَشْعَرِيُّ <sup>(١)</sup> قَالَ : « لَمَّا نَزَلَ { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْبَعَيْهِ فِي أذْنَيْهِ فَرَفَعَ مِنْ صَوْتِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا صَبَاحَاهُ » <sup>(٢)</sup> .

قال ابن إسحاق : « ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه ، ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكراً رسول الله ﷺ بينها فتذا مروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه » <sup>(٣)</sup> .

ولقد كانت دعوة النبي ﷺ إلى الخلق كافة .

فعن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسِيتٌ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنَصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِي

الأقربين { : ١٩٢/١ ، رقم ٢٠٤ .

(١) الأشعري : هو أبو موسى الأشعري ، عبدالله بن قيس بن سليم بن

حضار ، الصحابي المشهور . معرفة الصحابة لأبي نعيم : ١٧٤٩/٤ .

(٢) سنن الترمذي : أبواب تفسير القرآن : ٢٧ - سورة الشعراء ،

رقم ٣٤١٥ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ٨٦/٣ ،

رقم ٢٥٤٧ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشني : ٣٢٨/١ - ٣٢٩ .

النَّبِيُّونَ» (١) .

وفي حديث جابر : « كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ » (٢) .

وكانت دعوته ﷺ تشمل الثقيلين الجنّ والإنس ، فعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال في ليلة الجنّ : « أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . قَالَ : فَأَنْطَلِقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ ، وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ ، فَقَالَ : لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ قَرَّ مَا يَكُونُ لَحْمًا ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفَ لِذَوَابِكُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا ، فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ » (٣) .

وفي رواية أنه أخبرته بهم شجرة ، فعن معن قال : « سَمِعْتُ أَبِي قَالَ : سَأَلْتُ مَسْرُوقًا : مَنْ آذَنَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ ؟ فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبُوكَ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ - أَنَّهُ آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ » (٤) .

وكان النبي ﷺ يدعو إلى التوحيد مجردًا ، ويدعو أحيانًا إلى التوحيد ومعه بعض شرائع الدين .

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا

(١) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة : ٣٧١/١ ، رقم ٥٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، رقم ٥٢١ .

(٣) مسلم : ٤ - كتاب الصلاة ٣٣ - باب الجهر بالقراءة في الصبح : ٣٣٢/١ ، رقم ٤٥٠ ، مختصرًا .

(٤) المصدر السابق ، الموضع السابق ، رواية للحديث ٤٥٠ .

حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ» (١).

وعن ابن عباس قال: (( لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ )) (٢).

وأحياناً يأمر مع التوحيد بأمر، وينهى عن أمور، كما في حديث وفد عبد القيس حينما قالوا له: (( فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ إِذَا نَحْنُ أَخَذْنَا بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَائُكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ. اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَأَتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا رَمَضَانَ، وَأَعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْعَنَائِمِ. وَأَنْهَائُكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الدُّبَاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُرْقَاتِ، وَالنَّقِيرِ... )) (٣).

(١) البخاري: ١٠٠ - كتاب التوحيد ١ - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ

أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى: ٢٦٨٥/٦، رقم ٦٩٣٨.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه، رقم ٦٩٣٧.

(٣) مسلم: ١ - كتاب الإيمان (٦) باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله

وشرائع الدين، والدعاء إليه: ٤٨/١، ٤٩، رقم ١٨.

وكان ﷺ يبائع على ترك الإِشْرَاقِ بالله ، وعلى بعض الأحكام الشرعية ، فعن عبادة بن الصّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (( بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ ، فَقَالَ : أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِفُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ . فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَحْذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَطَهُورٌ ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ : إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ )) (١) .

وكان ﷺ يحذر من شرك العمل ، ويقول : (( قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكَّهُ وَشْرَكَهُ )) (٢) .

ويبين ﷺ أن الإنسان يولد على الفِطْرَةِ الحنيفية ، وهي التوحيد ، فعن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (( كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجْسِكَانِهِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَمَنْ هَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ بِهِ )) (٣) .

(١) البخاريّ : ٨٩ - الحدود ١٤ - باب توبة السارق : ٢٤٩٤/٦ ، رقم ٦٤١٦ .

(٢) مسلم : ٥٣ - كتاب الزُّهْدِ والرقائق ( ٥ ) باب من أشرك في عمله غير الله : ٢٢٨٩/٤ ، رقم ٢٩٨٥ .

(٣) سنن الترمذيّ : أبواب القدر : ٥ ت باب ما جاء في كلّ مولود يُولد على الفطرة ، حديث رقم ٢٢٣٧ ، وصحّحه الألباني : انظر سنن



وقد كان النبي ﷺ يبين الدين لأصحابه ، ويقول أحياناً : سلوني ، فيهابونه ، وربما نزل جبريل عليه السلام يسأله ليبين للناس دينهم .

كما جاء في حديث أبي هريرة ؛ قَالَ : (( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : سَلُونِي ، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا الْإِسْلَامُ ؟ ... فَذَكَرَ حَدِيثَ جَبْرِيلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : رُدُّوهُ عَلَيَّ . فَالْتَمِسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا جَبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعْلَمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا )) (١) .

والحديث رواه عبدالله بن عمر عن أبيه قال : (( حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ النَّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ (٢) وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

الترمذي : ٢٢٥/٢ ، رقم ١٧٣٧ . وهو في الصحيحين من المتفق عليه بصيغ متقاربة .

(١) مسلم : ١ - كتاب الإيمان ( ١ ) باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ٤٠/١ ، رقم ٧ - ( ١٠ ) .

(٢) أي الرجل الداخل هو الذي وضع كفيه على فخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم . هامش صحيح مسلم : ٣٦/١ .

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأُمَمَةُ رَبَّتَهَا <sup>(١)</sup> ، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَنْطَاوِلُونَ فِي الْبُنْيَانِ .

قَالَ : ثُمَّ انْطَلِقَ . فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ ! أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ ؟ فُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ جِيرِيلُ أُنَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ )) <sup>(٢)</sup> .

وفي رواية النَّسَائِيِّ : قَالَ عُمَرُ : (( فَلَبِثْتُ ثَلَاثًا )) <sup>(٣)</sup> .

(١) رَبَّتَهَا : فِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى : رَبَّهَا ، عَلَى التَّنْكِيرِ ، وَفِي الْآخَرَى : بَعَلَهَا . وَمَعْنَى رَبَّهَا وَرَبَّتَهَا ؛ سَيِّدَهَا وَمَالِكَهَا ، وَسَيِّدَتَهَا وَمَالِكَتَهَا . هَامِشٌ صَحِيحٌ مُسْلِمٌ : ٣٦/١ .

(٢) مُسْلِمٌ : ( ١ ) كِتَابُ الْإِيمَانِ : ( ١ ) بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ : ٣٦/١ ، رَقْمٌ ١ - ( ٨ ) .

(٣) سَنَنُ النَّسَائِيِّ : ٤٧ - كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشُرَائِعِهِ ( ٥ ) بَابُ نَعْتِ الْإِسْلَامِ .

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ : انْظُرْ صَحِيحَ سَنَنِ النَّسَائِيِّ : ١٠٢٥/٣ ، رَقْمٌ ٤٦١٧ .

وكان بيّين لهم ﷺ مع التوحيد أركان الإسلام ودعائمه العظام ؛ وبيّين لهم الإيمان وشعبه . قال عبدالله : قال رسول الله ﷺ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَحَجَّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ » (١) .

وعن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً . فَأَفْضَلُهَا : قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » (٢) .

وفي حرمة هذه الكلمة العظيمة وحقها روى جندب بن عبدالله البجلي قال : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعَثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَإِنَّهُمْ التَّقَوُّوا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ . وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ . قَالَ : وَكُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ . فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَتَلَهُ .

فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ . حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ . فَدَعَاهُ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ

(١) مسلم : ١ - كتاب الإيمان . ( ٥ ) باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام : ٤٥/١ ، رقم ١٦ .

(٢) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : ( ١٢ ) باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، ص ٦٣ ، رقم ٣٥ .

: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُوْجِعَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا .  
وَسَمَّى لَهُ نَفْرًا .

وَأَنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَقْتَلْتُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا  
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ لِي .  
قَالَ : وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : فَجَعَلَ  
لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : كَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ؟ )) (١) .

ومضى ﷺ في تبليغ أمر الله ﷻ ، لا يشغله عن ذلك  
شاغل ولا يصرفه صارف ، ولا يصدّه صاد ، رغم ما كان  
يلقاه .

قال ابن إسحاق : (( ثُمَّ إِنَّ قَرِيْشًا اشْتَدَّ أَمْرُهُمُ لِلشَّقَاءِ الَّذِي  
أَصَابَهُمْ فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْهُمْ ،  
فَأَغْرَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفَهَاءَهُمْ ، فَكَذَّبُوهُ وَأَدَّوهُ ، وَرَمَوْهُ  
بِالشَّعْرِ وَالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجَنُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُظْهَرٌ  
لَأَمْرِ اللَّهِ لَا يَسْتَخْفِي بِهِ ، مُبَادٍ لَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَ مِنْ عَيْبِ  
دِينِهِمْ ، وَاعْتِزَالِ أَوْثَانِهِمْ ، وَفِرَاقِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ )) (٢) .

ومن أشد ما لاقى ﷺ من صور العنت من قريش ما

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : ( ٤١ ) تحريم قتل الكافر بعد أن قال :

لا إله إلا الله : ٩٧/١ - ٩٨ ، رقم ٩٧ .

(٢) السيرة النبوية ، بشرح الخشني : ٣٥٧/١ - ٣٥٨ .

أخرجه ابن إسحاق قال : (( فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال :

قُلْتُ لَهُ : مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ فُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ مِنْ عَدَاوَتِهِ ؟ قَالَ : حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحَجْرِ ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ ، سَقَّه أَحْلَامَنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَسَبَّ آلِهَتَنَا ، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، أَوْ كَمَا قَالُوا . فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ ؛ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّخْنَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا الْقَوْلِ . قَالَ : فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قال : ثُمَّ مَضَى ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِيَةَ فَعَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا . فَوَقَفْتُ ثُمَّ قَالَ :

أَنْسَمِعُونَ يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ . فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَقَعُ . حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاءَةً قَبْلَ ذَلِكَ لِيرَفْوَهُ بِأَحْسَنَ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ : انصَرَفَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا . قَالَ : فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعُوا فِي الْحَجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ ؛ فَقَالَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ ، حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ! فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَتَّبُوا إِلَيْهِ وَتَبَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا ؟ لِمَا كَانَ يَقُولُ مِنْ عَيْبِ آلِهِمْ وَدِينِهِمْ ؛ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ .  
قَالَ :

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ . قَالَ : فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ دُونَهُ ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ : أَنْتَقُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ! ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ فُرَيْشًا نَالُوا مِنْهُ قَطُّ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر أنها قالت : لقد رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبدوه بلحيته ، وكان رجلاً كثير الشعر (١) .

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذر الخشني : ٣٥٨/١ - ٣٥٩ .

والحديث رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة : باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة : ١٤٠٠/٣ ، رقم ٣٦٤٣ مختصراً ، وأخرجه في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة المؤمن . وقال مخرجاً السيرة : ورواه أحمد في مسنده . انظر : الفتح الرباني : ٢١٩/٢٠ . قال الهيثمي : وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ١٥/٦ - ١٦ ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف : ٢٩٧/١٤ .

ولقد كان النبي ﷺ يطيف بمنازل القبائل من العرب وبأسواقهم ومواسمهم يدعوهم إلى الله ، ويبين لهم ما جاء به ، ويعرض نفسه عليهم .

فمن طارق المحاربي قال : (( رأيت رسول الله ﷺ مرتين بسوق ذي المجاز <sup>(١)</sup> وعليه جبة حمراء وهو ينادي بأعلى صوته :

يا أيها الناس فولوا : لا إله إلا الله فقلحوا . ورجلٌ يتبعه بالحجارة قد أدمى كعبيه وهو يقول : يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب .

قلت : من هذا ؟ قالوا : غلام من بني عبدالمطلب . قلت : من هذا الذي معه ؟ يتبعه يرميه ؟

قالوا : هذا عمّه عبدالعزّي - وهو أبو لهب - <sup>(٢)</sup> .  
وعن جابر بن عبد الله (( أن رسول الله ﷺ لبث - في حديث خلف ؛ مكث - عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في

(١) ذو المجاز : سوق خلف عرفة كانت تقوم فيه الجاهلية ثمانية أيام من كل عام ، معجم البلدان : ٥٥/٥ . وقال في اللسان : كانوا يقيمون شهراً : ٤٤/٧ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي : ٧٦/٤ ، رقم ١٤١٣ ، وقال محققه : سنده حسن . ورواه الحاكم بسندٍ آخر عن يزيد به ، وصحّحه ، ووافقه الذهبي : ٦١١/٢ - ٦١٢ .

الموسم بمجئة<sup>(١)</sup> وعكاظ<sup>(٢)</sup> ومنازلهم بمنى :

من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة ((<sup>(٣)</sup>).

وعنه ﷺ قَالَ : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرُضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ . فَقَالَ : أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ ؟ فَإِنْ فُرِئْنَا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي ))<sup>(٤)</sup> .

وكان الله ﷻ يأمر نبيه ﷺ بتبليغ رسالته ، ويخبره أن أمر الهداية إليه ، وأن على نبيه البلاغ ليس إلا .

قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

(١) مجئة : من أسواق الجاهلية ، أسفل مكة ؛ ممر الظهر ؛ معجم البلدان : ٥٨/٥ .

(٢) عكاظ : سوق للعرب ، وموسم من مواسم الجاهلية . كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون بها شهراً ؛ يتبايعون ويتفاخرون ، ويتناشدون ، فلما جاء الإسلام هدم ذلك . اللسان : ٤٤٨/٧ ، ومعجم البلدان : ١٤٢/٤ .

(٣) شرح السنة للالكائي : ٧٦٤/٤ ، رقم ١٤٢١ من حديث طويل لجابر ﷺ . وقال المحقق : سنده حسن من كلا الطريقين ما عدا أحمد بن عبيد شيخ المؤلف لم أجده ، وقال : رواه الحاكم بطريق آخر عن ابن خثيم ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي : ٦٢٤/٢ - ٦٢٥ .

(٤) سنن أبي داود : كتاب السنة ( ٢٢ ) باب في القرآن . رقم الحديث ٤٧٣٤ .

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٨٩٧/٣ ، رقم ٣٩٦٠ .



وَأِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (١) .

عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : (( مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ { الْآيَةَ )) (٢) .

وَأَنَّهُ مَعَ هَذَا الْبَلَاغِ فَإِنَّ الْهَدَايَةَ وَالْحُكْمَ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَهَدَايَةَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هِيَ هَدَايَةُ بَيَانٍ وَدَلَالَةٍ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } (٣) . أَي لَيْسَ لَكَ مِنَ الْحُكْمِ شَيْءٌ فِي عِبَادِي إِلَّا مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِيهِمْ ، أَوْ أَتُوبَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِي ، فَإِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ ، أَوْ أَعَذِّبَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَبِحَقِّي )) (٤) .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ . وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ . فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى

(١) المائدة : الآية ( ٦٧ ) .

(٢) البخاري ٦٨ - كتاب التفسير ١١٤ - باب { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } : ٤/١٦٨٦ ، رقم ٤٣٣٦ .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٢٨ ) .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام : ١٥٨/٣ .

اللَّهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَنكَ: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } ((<sup>(١)</sup>).

وقال الله تعالى: { لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }<sup>(٢)</sup>، وقال: { فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ }<sup>(٣)</sup>، وقال: { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ }<sup>(٤)</sup>، وقال: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: { أَنْتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ }<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى: { أَقَلَمَ يَبْيَسُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا }<sup>(٧)</sup>.

وقال تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا }<sup>(٨)</sup>. يقول جل ثناؤه: « ولو شئت لجمعتهم على الهدى »<sup>(٩)</sup>. وهي بمعنى قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمُ

(١) مسلم ٣٢ - الجهاد والسير ، ٣٧ غزوة أحد : ١٤١٧/٣ ، رقم ١٧٩١

(٢) البقرة : الآية ( ٢٧٢ ) .

(٣) آل عمران : الآية ( ٢٠ ) .

(٤) الرعد : الآية ( ٤٠ ) .

(٥) القصص : الآية ( ٥٦ ) .

(٦) النساء : الآية ( ٨٨ ) .

(٧) الرعد : الآية ( ٣١ ) .

(٨) الأنعام : الآية ( ١٠٧ ) .

(٩) شرح أصول أهل السنة : ٥٥٠/٣ ، للالكائي ، ورواه الطبري في

على الهدى { (١) .

وقال تعالى : { وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } (٢) .

والهداية نورٌ من الله ألقاه على عباده يوم خلقهم ، من لم يُصبه منهم من نوره فلا يمكن هدايته .  
 فعن عبد الله بن عمرو قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :  
 « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظِلْمَةٍ ، فَأَلْفَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ : جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ » (٣) .

التفسير : ٧٨/٨ .

(١) الأنعام : الآية ( ٣٥ ) .

(٢) المائدة : الآية ( ٤١ ) .

(٣) سنن الترمذي : أبواب الإيمان ١٨ - باب افتراق الأمة . رقم الحديث ٢٧٩٣ .

وصححه الألباني : انظر : صحيح سنن الترمذي : ٣٣٤/٢ ، رقم ٢١٣٠ .

وأخرجه الحاكم : ٨٤/١ ، رقم ٨٣/٨٣ من حديث طويل ، وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة ، وقد احتجاً بجميع روايته ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة . قال في التلخيص : على شرطهما ولا علة له .  
 وأخرجه الأجرى في الشريعة ، ص ١٧٥ .

وأخرجه ابن أبي عاصم ، برقم ٢٤١ - ٢٤٤ . ٤٣ - باب ذكر قول النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظِلْمَةٍ » : ١٠٧/١ - ١٠٩ ، وصحح إسناده

ومع أن الهداية بيد الله إلا أن المصطفى ﷺ كان يأمر أصحابه بإبلاغ هذا الدين .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُنْعِمًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (١) .

وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه رسالة ربه وأدى ونصح أمته أفضل أداء وأجمله . وقد سأل أصحابه عن ذلك واستشهدهم ، وسأل الله أن يشهد على قولهم .

ففي حديث حجة النبي ﷺ الطويل الذي يرويه جابر بن عبدالله ، قال في آخر خطبته يوم عرفة مخاطبًا أصحابه ، قال : « ... وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (٢) .

وأخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة : ٤٢٤/٢ ، رقم ٩٣٢ .  
 (١) البخاري : ٦٤ - الأنبياء ٥١ - باب : ما ذكر عن بني إسرائيل :  
 ١٢٧٥/٣ ، رقم ٣٢٧٤ .  
 (٢) مسلم : ١٥ - كتاب الحج ١٩ - باب حجة النبي ﷺ : ٨٨٦/٢ ،  
 رقم ١٢١٨ .



## الفصل الثاني

### الأساليب النبوية في دعوة المشركين

المبحث الأول : دعوتهم بالحكمة .

#### ١. تبليغ ما جاء به وبيانه ، وجهادهم به :

ودعوة النبي ﷺ كلها حكمة ، وأساليبه حكمة ، والقرآن كله حكمة ، والسنة والهدي كله حكمة . وقد مرّ في المبحث السابق كثيرٌ من تبليغ النبي ﷺ رسالة ربّه وبيانه وجهاده في ذلك .

قال الله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } (١) .

وقال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي } (٢) ،  
وقال : { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } (٣) ، وقال تعالى : { فَذَكِّرْ  
بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيد } (٤) .

وقال تعالى : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ }

---

(١) الأنبياء : الآية ( ٤٥ ) .

(٢) الأعراف : الآية ( ٢٠٣ ) .

(٣) الفرقان : الآية ( ٥٢ ) .

(٤) ق : الآية ( ٤٥ ) .

(١) . وقال تعالى : { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } (٢) .

قال ابن كثير : « ثم امتنّ عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال ، وعصمته له ، وما أنزل عليه من الكتاب ، وهو القرآن . والحكمة وهي السنّة » (٣) .

ومن الأمثلة التطبيقية :

ما رواه ابن إسحاق عن محمود بن ليبيد قال : « لما قدم أبو الحيسر مكة ومعه فثية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتئمسون الحلف من فريش على قومهم من الخزرج . سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثني إلى العباد أذعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل عليّ الكتاب ، قال : ثم ذكر الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ - وكان غلاما حدثا - : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا . وقام رسول الله ﷺ عنهم ، وأنصرفوا إلى المدينة .

(١) النحل : الآية ( ٤٤ ) .

(٢) النساء : الآية ( ١١٣ ) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٠١٦/٣ .

قَالَ : ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ . فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا ، لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا سَمِعَ ((<sup>(١)</sup>).

وكان يبيِّن ﷺ مع التوحيد بعض مكارم الأخلاق وآداب الإسلام كصلة الأرحام ؛ وهي أمرٌ ينطبق تمامًا مع الفطرة ، ويؤيِّده العقل السليم ، فيذكره ترغيبًا وتحبيبًا لمن يدعوهُ في الإسلام :

فَعَنْ عَمْرُو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ : (( أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا بُعِثَ وَهُوَ بِمَكَّةَ ؛ وَهُوَ حِينئِذٍ مُسْتَضْعَفٌ ، فَقُلْتُ : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ، قُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ، قُلْتُ : بِمَا أُرْسِلُكَ ؟ قَالَ : بَأَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ وَيُكْسِرَ الْأَوْثَانَ ، وَتُوصَلَ الْأَرْحَامَ ؛ بِالْبُرِّ

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشني : ٨٠/٢ - ٨١ ، مختصرًا .

قال المحققان : قصة إسلام إياس من معاذ صرَّح ابن إسحاق بالسماع ، وسنده صحيح ، ورواها أحمد والطبراني من طريق ابن إسحاق ، ورجاله ثقات .

انظر : مجمع الزوائد : ٣٦/٦ ، وانظر الفتح الرباني : ٢٦٦/٢ ، ورواها البيهقي في دلائل النبوة : ٤٢٠/٢ - ٤٢١ . قال ابن حجر في الإصابة : رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا ، وهو صحيح من حديثه . انظر : الإصابة : ١٠٢/١ ، قالوا : فيكون الخبر صحيحًا . انظر : الحاشية ، مختصرًا .



والصلة)) (١).

وعن ابن عباس : (( أن ضِمَادًا قَدِيمَ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شُؤْءَةَ ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيْحِ ، فَسَمِعَ سُقَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ ، فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ ، قَالَ : فَلَقِيَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي أُرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيْحِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءَ ، فَهَلْ لَكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَا بَعْدُ ، قَالَ : فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَوُلاءَ ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَوُلاءَ ، وَلَقَدْ بَلَعْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ ، قَالَ : فَقَالَ : هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ : فَبَايَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَعَلَى قَوْمِكَ ، قَالَ : وَعَلَى قَوْمِي ، قَالَ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً ، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ : هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَوُلاءَ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً ، فَقَالَ : رُدُّوهَا ، فَإِنَّ هَوُلاءَ قَوْمٌ ضِمَادٍ )) (٢).

(١) المستدرک : کتاب البرِّ والصلَّة : ١٦٥/٤ ، رقم ٧٢٤٠ ، قال الحاكم : حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البخاريِّ ومسلم .

(٢) مسلم : كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة : ٥٩٣/٢ ، ٥٩٤ ،

٢. الصبر على أذاهم ، والكفّ والحلم ، والعفو عنهم :

الصبر والعفو هو الأصل والقاعدة العريضة في منهجه ﷺ ، وقد أمر الله بالصبر بعد الأمر بالدعوة إليه .

فقال تعالى : { وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ = ١٢٦  
وَأصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ } (١) .

وأمر ﷺ بالصبر والكفّ بمكة قبل الإذن بالقتال في المدينة :

فعن ابن عباس : « أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ ، أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَدِلَّةً ؟ فَقَالَ : إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ ، فَلَا تُقَاتِلُوا .

فَلَمَّا حَوَّلْنَا اللَّهُ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ أَمَرْنَا بِالْقِتَالِ ، فَكُفُّوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ } (٢)

وقد لاقى ﷺ العنت من قومه والأذى ، ولكنه صبر ﷺ .  
قالت عائشة - رضي الله عنها - لِلنَّبِيِّ ﷺ : « هَلْ أَتَى عَلَيْكَ

رقم ٨٦٨ .

(١) النحل : جزء من الآية ( ١٢٦ - ١٢٧ ) .

(٢) سنن النسائي : ٢٥ ت كتاب الجهاد ١ - باب وجوب الجهاد .

وصحّ إسناده الألباني . انظر : صحيح سنن النسائي : ٦٤٦/٢ ،

رقم ٢٨٩١ .

يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقَيْتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقَيْتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِيَالِيلَ بْنِ عَبْدِكَلالِ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بَقْرُنَ النَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْريلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبَّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ((<sup>(١)</sup>)).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسَرَتْ رَبَاعِيَّتَهُ يَوْمَ أَحَدٍ. وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ. فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } ((<sup>(٢)</sup>)).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (( كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ )) ((<sup>(٣)</sup>)).

(١) البخاري: ٦٣ - بدء الخلق، ٧ - باب إذا قال أحدكم: آمين،

والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفور له ما تقدم من ذنبه  
: ١١٨٠/٣، رقم ٣٠٥٩.

(٢) مسلم ٣٢ - الجهاد والسير، (٣٧) باب غزوة أحد: ١٤١٧/٣،  
رقم ١٧٩١.

(٣) مسلم ٣٢ - الجهاد والسير، (٣٧) باب غزوة أحد: ١٤١٧/٣،

وعن أسامة بن زيد: (( أن النبي ﷺ مرَّ بمَجْلِسٍ فِيهِ  
 أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ .  
 فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي . فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَّاجَةُ الدَّابَّةِ  
 حَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ . ثُمَّ قَالَ : لَا تُعْبِرُوا عَلَيْنَا . فَسَلَّمَ  
 عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَقَرَأَ  
 عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي : أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ  
 هَذَا ، إِنْ كَانَ مَا نَقُولُ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا ، وَارْجِعْ إِلَى  
 رَحْلِكَ ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ ... فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ  
 وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاتَبُوا ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ  
 ﷺ يُحَقِّضُهُمْ .

ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ : أَيُّ  
 سَعْدُ ! أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ؟ - يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي - قَالَ :  
 كَذَا وَكَذَا . قَالَ : اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ ، فَوَاللَّهِ !  
 لَقَدْ أُعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أُعْطَاكَ ، وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ  
 الْبُحَيْرَةِ أَنْ يُتَوَجَّوهُ . فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أُعْطَاكَهُ  
 شَرِقَ بِذَلِكَ . فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ (( (١) .

رقم ١٧٩٢ .

(١) المصدر السابق ، والكتاب نفسه ( ٤٠ ) باب في دعاء النبي ﷺ  
 وصبره على أذى المنافقين : ١٤٢٢/٣ - ١٤٢٣ ، رقم ١٧٩٨ ،  
 مختصراً .

وابن أبي لم يكن أظهر الإسلام وأخفى الكفر بعد ، وإنما هو كافر  
 مجاهر بكفره .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ أُوزِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤَدِّي أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ دُو كَيْدٍ ، إِلَّا مَا وَارَى إِبْطَ بِلَالٍ » (١) .

وفي صلح الحديبية صبر عليهم النبي ﷺ في شروطهم الْمُجْحِفَةِ ، وفي كتابة الصلح أيضاً ، فعن أنس : « أَنْ فُرِيَسَا صَالِحُوا النَّبِيَّ ﷺ ، فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ : اكْتُبْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَالَ سُهَيْلٌ : أَمَا بِاسْمِ اللَّهِ ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ .

فَقَالَ : اكْتُبْ ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالُوا : لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَاتَّبَعْنَاكَ . وَلَكِنْ اكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اكْتُبْ : مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَاسْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ : أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْنَاهُ عَلَيْنَا . فَقَالُوا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنْكُتُبُ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ ، فَأُبْعِدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا » (٢) .

(١) سنن ابن ماجه : ( ١١ ) باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، رقم ١٥١ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ٣٠/١ - ٣١ ، رقم ١٢٣ .

(٢) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ( ٣٤ ) باب صلح الحديبية في

وقد يدعو النبي ﷺ على المشركين إذا بالغوا في أذاهم واستهزأهم .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : « بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، وَجَمَعَ فُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي ؟ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ ، فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْتِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا ، فَيَجِيءُ بِهِ ، ثُمَّ يُمَهِّلُهُ ، حَتَّى إِذَا سَجَدَ ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ؟ فَأَنْبَعَتْ أَشْقَاهُمْ ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، وَتَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا ، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ ، فَأَنْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَهِيَ جُوَيْرِيَّةُ - فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى ، وَتَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا ، حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُؤُهُمْ .

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِفُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِفُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِفُرَيْشٍ . ثُمَّ سَمَى : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرُو بْنِ هِشَامٍ ، وَعَنْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَتَسْنِينَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُنْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَعُفْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَخَى يَوْمَ بَدْرٍ ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ ، قَلِيبِ بَدْرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأَتْبَعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً ((<sup>١</sup>) .

الحديبية : ١٤١١/٣ ، رقم ١٧٨٤ .

(١) البخاري : ١٢ - سترة المصلي ١٩ - باب : المرأة تطرح عن المصلي

شيئاً من الأذى : ١٩٤/١ ، رقم ٤٩٨ .

٣. الدعوة بالتألف بالدعاء بالهدى لهم :

قال أبو هريرة رضي الله عنه : (( قَدِمَ طَفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوسِيُّ وَأَصْحَابُهُ ، عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا . فَقِيلَ : هَلَكْتَ دَوْسُ . قَالَ : ))  
اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ )) (١) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : (( اللهم اعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة )) (٢) .

وعن أبي هريرة قال : (( كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ - وَهِيَ مُشْرِكَةٌ - فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا ، فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ . فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ .

فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ ، فَسَمِعْتُ أُمَّي خَشْفَ قَدَمَيَّ . فَقَالَتْ : مَكَانَكَ ! يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! وَسَمِعْتُ

(١) البخاري : ٦٠ - الجهاد ٩٩ - باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم : ١٠٧٣/٣ ، رقم ٢٧٧٩ .

(٢) المستدرک : کتاب معرفة الصحابة . مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ٨٩/٣ ، رقم ٤٤٨٥ .

خَضَخَصَةَ الْمَاءِ . قَالَ : فَأَغْتَسَلْتُ ، وَلَيْسَتْ دِرْعَهَا ، وَعَجِلْتُ عَنْ خِمَارِهَا . فَفَتَحَتِ الْبَابَ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ . قَالَ فُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَبَشِّرُ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ خَيْرًا )) (١)

#### ٤. تَأَلَّفَهُم بِالْعَطَايَا وَالهِدَايَا :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إِنِّي أُعْطِي فُرَيْنَسًا أَتَأَلَّفُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ حَدِيثٌ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ » (٢) .

وعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال : « أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ ، فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلْعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ ، وَأَكُلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْغِنَى ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ .

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ : مَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ » (٣) .

(١) مسلم : ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ( ٣٥ ) باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه : ١٩٣٨/٤ ، رقم ٢٤٩١ .

(٢) البخاري : ٦١ - الخمس ١٩ - باب : ما كان النبي ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْخَمْسِ وَنَحْوِهِ : ١١٤٧/٣ ، رقم ٢٩٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم ٢٩٧٦ .



وعن عبدالله رضي الله عنه قال : « لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آتَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْسًا فِي الْقِسْمَةِ ، فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِيلِ ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى أَنْسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، فَأَتَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ ، قَالَ رَجُلٌ :

وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ )) (١) .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : « مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، قَالَ : فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ . فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ ! اسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ )) (٢) .

وَقَالَ أَنَسٌ : « إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُسَلِّمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا . فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا )) (٣) .

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : « غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ

(١) المصدر السابق ، الموضوع نفسه : رقم ٢٩٨١ .

(٢) مسلم : ٤٣ - كتاب الفضائل . ( ١٤ ) باب ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لا ، وكثرة عطائه : ١٨٠٦/٤ ، رقم ٢٣١٢ .

(٣) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، بعد رواية أخرى للحديث ، . ٥٨/٢٣١٢ .

، فَتَحَ مَكَّةَ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .  
فَاقْتَنَلُوا بِحُنَيْنٍ . فَفَصَّرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةَ مِنْ  
النَّعَمِ ، ثُمَّ مِائَةَ ، ثُمَّ مِائَةَ .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ؛ أَنَّ صَفْوَانَ  
قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ  
لَأُبْعِضُ النَّاسَ إِلَيَّ . فَمَا بَرَحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لِأَحَبُّ النَّاسِ  
إِلَيَّ )) (١) .

وهذا الحديث يبيِّن ما يفعله المال في النفس البشرية ،  
وأَنَّهُ يَقْلِبُهَا رَأْسًا عَلَى عَقْبٍ .

وعن مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : (( لَمَّا قَدِمَ وَفَدَ هُوَازِنَ ،  
قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا فَعَلَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ؟ قَالُوا : هُوَ  
بِالطَّائِفِ مَعَ تَقْيِيفٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَخْبَرُوا مَالِكًا إِنَّهُ إِنْ  
أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ .

فَأَنْبِئْ مَالِكَ بِذَلِكَ . فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَدْرَكَهُ  
بِالْجِعْرَانَةِ أَوْ بِمَكَّةَ ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ مِنَ  
الْإِبِلِ ، فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ . وَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى  
مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ )) (٢) .

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه : رقم الحديث ٢٣١٣ .

(٢) معرفة الصحابة ، لأبي نُعَيْمِ الْأَصْبَهَانِيِّ : ٢٤٧٣/٥ ، ترجمة

## ٥. التآلف بما يُحب المدعو :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ حِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ خَرَجَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ .

وبعد أن شهد أبو سفيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ . قال العباس : فقلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ يُحِبُّ الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا . قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ... )) (١) الحديث .

## ٦. الإعراض عن أخطائهم ، والعفو عنهم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ ، فَأَدْرَكَهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرٍ الْعِضَاءِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاءِ يَسْتَنْظِلُونَ بِالشَّجَرِ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمْرَةٍ ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ . قَالَ جَابِرٌ : فَبَيْنَمَا نَوْمَةٌ ، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا فَجِئْنَا ، فَإِذَا عِنْدَهُ أُعْرَابِيٌّ جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا ، فَقَالَ لِي : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ، فَهَا

رقم ٢٦١٧ ، حديث رقم ٦٠٢٣ ، مختصراً ، قال الهيثمي : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ١٨٩/٦ .

(١) المطالب العالية ، لابن حجر : كتاب السيرة والمغازي - باب غزوة الفتح : ٤/٢٤٤ - ٢٤٨ ، رقم الحديث ٤٣٦٢ ، مختصراً .

قال الحافظ ابن حجر : هذا حديث صحيح .

هُوَ دَا جَالِسٌ . ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١) .  
والأساليب النبوية في دعوة المشركين كثيرة .



---

(١) البخاريّ : ٦٧ - المغازي ٢٩ - باب غزوة ذات الرقاع : ١٥١٥/٤ ،  
رقم ٣٩٠٥ .

المبحث الثاني : دعوتهم بالموعظة الحسنة .

وهي كلّ ما يثير الوجدان ، ويلهب العاطفة ، ويحمل الإنسان على تقوى الله وخشيته وخوفه ورجائه بالترغيب والترهيب ، والتبشير والإنذار ، والتذكير بأيام الله ونعمه ، ومصارع الأمم الغابرة ، والتذكير بعظمة الله ﷻ والتخويف منه ، وما أعدّه لمن عصاه ، وما أعدّه لمن أطاعه .

والكتاب والسنة مليئان بالمواعظ الحسنة ، التي تحمل على تقوى الله وخشيته ، ومن ذلك :

**قول الله تعالى :** { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرَبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأَنْبَارُهُمْ وَاذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ = ٥٠ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ } (١) .

**وقوله تعالى :** { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ = ١٠٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ = ١٠٣ وَمَا نُوحِرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ = ١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقِيٌُّّ وَسَعِيدٌ = ١٠٥ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ = ١٠٦ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ = ١٠٧ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ

---

(١) الأنفال : الآيتان ( ٥٠ ، ٥١ ) .

عطاءً غيرَ مجدودٍ { (١) .

**وقال تعالى :** { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ  
أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ =  
١٣ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ  
وَعِيدِ = ١٤ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ = ١٥ مِنْ  
وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ = ١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ  
يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ  
غَلِيظٌ = ١٧ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ  
الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ  
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ { (٢) .

**وقال عيسى :** { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا  
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ = ٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي  
رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً = ٤٣ وَأَنْذِرِ النَّاسَ  
يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ  
نُحِبِّ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ  
زَوَالٍ = ٤٤ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ  
كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ = ٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ  
وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ = ٤٦ فَلَا  
تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعَدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ = ٤٧ يَوْمَ

(١) هود : الآيات ( ١٠٢ - ١٠٨ ) .

(٢) إبراهيم : الآيات ( ١٣ - ١٨ ) .

تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ =  
 ٤٨ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ = ٤٩ سَرَّابِلُهُمْ  
 مِنْ قَطْرَانَ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمُ النَّارُ = ٥٠ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ  
 مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ = ٥١ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا  
 بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ { (١) .

**وقال تعالى :** { يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ  
 زُرْقًا = ١٠٢ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا = ١٠٣ نَحْنُ  
 أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا = ١٠٤  
 وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا = ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا  
 صَفْصَفًا = ١٠٦ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا = ١٠٧ يَوْمَئِذٍ  
 يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا  
 هَمْسًا { (٢) .

**وقال :** { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا  
 قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ = ١٩  
 يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ = ٢٠ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ  
 = ٢١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَدُوفُوا  
 عَذَابَ الْحَرِيقِ { (٣) .

**وقال تعالى :** { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ

(١) إبراهيم : الآيات ( ٤٢ - ٥٢ ) .

(٢) طه : الآيات ( ١٠٢ - ١٠٨ ) .

(٣) الحج : الآيات ( ١٩ - ٢٢ ) .

فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ = ٣٦  
وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا  
نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا  
لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ = ٣٧ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { (١) .

**وقال تعالى :** { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ  
صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ = ١٤ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ  
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا  
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ = ١٤ فَأَمَّا عَادًا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ  
مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ = ١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا  
صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ = ١٦ وَأَمَّا تَمُودُ  
فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ = ١٧ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ = ١٨  
وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ = ١٩ حَتَّى إِذَا مَا  
جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
= ٢٠ وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ  
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ = ٢١ وَمَا كُنْتُمْ  
تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ

(١) فاطر : الآيات ( ٣٦ - ٣٨ ) .



ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ = ٢٢ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي  
ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ = ٢٣ فَإِنْ يَصْبِرُوا  
فَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ { (١) .

والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة ، منها : ما رواه ابن  
عبّاس - رضي الله عنهما - قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ : { وَأَنْذِرْ  
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ، خَرَجَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّخَا ، فَهَتَفَ : يَا صَبَا حَاهُ . فَقَالُوا : مَنْ  
هَذَا ؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ  
سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا ، قَالَ  
:

فَأَنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . قَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ ، مَا  
جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ؟ ثُمَّ قَامَ . فَنَزَلَتْ : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }  
وَقَدْ تَبَّ ، هَكَذَا قَرَأَهَا الْأَعْمَشُ يَوْمَئِذٍ (( (٢) .

ففي هذا الحديث بعد أن جمعهم النبي ﷺ تفرّجهم على  
تصديقه ، فأصبحت قلوبهم وعقولهم مهياًة لسماع حديثه .  
أخبرهم أنّه نذيرٌ لهم ، فهذه من المواعظ المختصرة التي  
تنير الخوف في القلوب ، وتحمل من سمعها على الاستجابة

(١) فُصِّلَتْ : الآيات ( ١٣ - ٢٤ ) .

(٢) البخاريّ : ٦٨ - التفسير ٤٦٦ - باب تفسير سورة ( تبت يدا أبي لهب

( : ١٩٠٢/٤ ، رقم ٤٦٨٧ .

وفي حديث أبي هريرة قال : (( قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله { وأنذر عشيرتك الأقرنين } قال : يا معشر قريش ، أو كلمة نحوها ، اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبدمناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا صفية عممة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سأليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئا )) (١)

فهذا التخصيص بعد التعميم تحذير من النبي ﷺ لأقرب الناس إليه ؛ ابنته فاطمة ، وعمته صفية ، وعمه العباس . أنه لن ينفع عند الله إلا من أتاه بقلب سليم ، فلا وسائط ولا قريب ولا بعيد ، إنما هو التوحيد والعمل الصالح الذي يكون سبباً في رحمة الله ﷻ .

ومن ذلك أيضاً ما رواه سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال :

(( لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل ، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال : أي عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيدانه بتلك المقالة ،

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه ، ٢٦٠ - باب : { وأنذر عشيرتك الأقرنين } : ١٧٨٧/٢ ، رقم ٤٤٩٣ .

حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : عَلَى مِثْلَةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،  
وَأَبَى أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ } ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي  
طَالِبٍ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ  
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } (١) .

قال الحافظ : « ووقع في رواية معمر عن الزهري بهذا  
الإسناد في الجنائز « أشهد » ، بدل « أحاج » . وفي رواية  
مجاهد عند الطبري « أجادل عنك بها » . زاد الطبري من  
طريق سفيان بن حسين عن الزهري قال : « أي عم ، إنك أعظم  
الناس عليَّ حقًا ، وأحسنهم عندي يدًا ، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة فيك  
يوم القيامة » (٢) .

هذا النداء اللطيف منه ﷺ ، يدعو عمه إلى الاستجابة ،  
وفي طلبه ﷺ إحياء إلى عمه بوجوب اتِّقاء غضب الله ﷻ  
وبأسه ، كما أن كلامه ﷺ الوارد في الروايات الأخرى  
وعرفانه ﷺ بالجميل وبحقِّ عمه عليه ، فيه تمهيد وترقيق  
لقلبه كي يلين في يديه ، ولكن الهداية الحقيقية بيد الله ، وله  
الأمر من قبل ومن بعد .

(١) البخاري : ٦٨ - التفسير ٢٦٣ - باب : { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ  
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } : ١٧٨٨/٤ ، رقم ٤٤٩٤ .

(٢) الفتح : ٦٥ - كتاب التفسير ٢٨ - سورة القصص ١ - باب : { إِنَّكَ لَا  
تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } : ٣٦٦/٨ ، رقم الحديث ٤٧٧٢ .



المبحث الثالث : مجادلتهم ، ومحاورتهم .

وما أكثر ما ورد في القرآن الكريم من إقناعات ومحاورات ، وضرب للأمثلة والأقيسة ، ودعوة للتفكير والتأمل والنظر في الكون والحياة ومخلوقات الله ، ولفت الانتباه إلى النفس البشرية والتبصّر فيها كل ذلك لدعوتهم إلى الإيمان بالله وتوحيده .

ومن ذلك ما يلي :

**أولاً : . الاستشهاد بما يقرونه على ما ينكرونه .**

ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم الاستشهاد عليهم بتوحيدهم للربوبية على وجوب توحيد الألوهية ، وإلزامهم بتوحيد العبادة له سبحانه ، وإفراده بها .

**قال الله تعالى :** { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } .

**وقال سبحانه :** { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } <sup>(١)</sup> .

**وقال تعالى :** { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } <sup>(٢)</sup> .

---

(١) العنكبوت : الآيتان ( ٦١ ، ٦٣ ) .

(٢) الزخرف : الآية ( ٨٧ ) .

**وقال تعالى :** { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ = ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ = ٨٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ = ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ = ٨٧ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَيُمِيتُهُمْ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ = ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ = ٨٩ بَلْ أَنْبَأْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ = ٩٠ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ = ٩١ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (١) .

**وقال تعالى :** { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (٢) ، **وقال تعالى :** { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَٰ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ = ٢٢ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنعُونَ فِي الْأَرْضِ بَغِيرَ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَثْنَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (٣) .

(١) المؤمنون : الآيات ( ٨٤ - ٩٢ ) .

(٢) يونس : الآية ( ٣ ) .

(٣) يونس : الآيتان ( ٢٢ ، ٢٣ ) .

فعندما يُحاط بهذا الإنسان ويظنُّ أنه هالك لا محالة يزول الرّان عن الفطرة وتتجلى في أحسن صورها ، حينئذٍ يتمّ تحقيق التوحيد باللجأ إلى الله بالدُّعاء - وهو مخّ العبادة - فيستجيب الله ﷻ فيُنجّيه ، ولكنه لا يلبث أن يعود الرّان فيطمس على الفِطرة ، فيعود إلى الشُّرك .

**ثانياً : . الصبر على سماع عروضهم ، والرّد عليهم في حلمٍ ورفق .**

قال ابن إسحاق : « فقام عُتْبَةُ حتّى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا ابن أخي إنك منّا حيثُ قد علمت ، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعنك تقبل منها بعضها . قال : يا ابن أخي إن كنتَ إنّما تُريدُ بما جنّت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطبَّ .

حتّى إذا فرغ عُتْبَةُ ، ورسولُ الله ﷺ يستمع منه قال : أقدر فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال فاسمع منّي ، قال : أفعل ؛

**فقال : بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { حم = ١ تَنْزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ = ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ = ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةِ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ ... } . ثُمَّ مَضَى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه ، فلمّا سمعها منه عتبه أنصت**

لها ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك )) (١) .

### ثالثاً : . مجادلتهم وإفحامهم .

قال ابن إسحاق : (( وجلس رسول الله ﷺ - فيما بلغني - مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض على النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه .

ثم تلا عليه وعليهم : { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ = ٩٨ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ = ٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ } .

ثم قام رسول الله ﷺ ، وأقبل عبدالله بن الزبير السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبدالله بن الزبير ؛ والله ما قام النضر ابن الحارث لابن عبدالمطلب

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذر الخشنى : ٣٦٢/١ ، ٣٦٣ ، مختصراً .

قال الألباني في تعليقه على أحاديث فقه السيرة ، ص ١١٣ :

هذه القصة أخرجها ابن إسحاق في المغازي بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي مرسل ، ووصله عبد بن حميد ، وأبو يعلى البغوي من طريق أخرى من حديث جابر رضي الله تعالى عنه كما في تفسير ابن كثير : ٩٠/٤ - ٩١ . وسنده حسن إن شاء الله .



أنفًا وما قعد ، وقد زعم محمدٌ أنا وما نعبُدُ من آلهتنا هذه حصَبُ جهنم ، فقال عبدالله بن الزبيري : أو والله لو وجدته لخصمته .

فسلوا محمدًا : أكلُ ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبُدُ الملائكة ، واليهودُ تعبدُ عزيزًا ، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم ( عليهما السلام ) .

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبيري ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم ، فذكر ذلك لرسول ﷺ .

فقال : إن كلَّ من أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنَّما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته .

فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ = ١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ } ، أي عيسى ابن مريم ، وعزيرًا ، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله )) (١) .

(١) السيرة النبوية ، بشرح أبي ذرّ الخشني : ٤٤٠/١ - ٤٤٢ ، مختصرًا

قال العُمريّ : (( والرواية في مسند أحمد : ٣١٧/١ - ٣١٨ ، والمعجم الكبير للطبراني : ١٥٣/١٢ - ١٥٤ ، كلاهما من حديث ابن عباس ، وإسنادهما حسن )) . انظر : السيرة النبوية الصحيحة : ١٦٣/١ .

والرواية في مسند أحمد ، قال : (( فأُنزل الله ﷻ : { ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ } )) (١) .  
وسمى الله احتجاج قريش بالجدل ، فقال : { ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلًا } ، وهو المراء الباطل ، فقد كانوا عربًا فصحاء بلغاء يفهمون لغة الخطاب .

**رابعاً : . استجابة النبي ﷺ لسؤال المشركين أن يريهم آية .**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ : (( أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمْ انشِقَاقَ الْقَمَرِ )) (٢) .  
وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : (( انشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَفِرْقَةً دُونَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اسْتَهْدُوا )) (٣) .  
وفي الصحيح أيضاً: (( فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شِقَتَيْنِ ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا )) (٤) .

وسأله أعرابي آية تدل على نبوته :

فَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : (( جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

- 
- (١) عن السيرة النبوية الصحيحة للعمري : ١٦٣/١ .  
(٢) البخاري : ٦٥ - المناقب ٢٤ - باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . فأراهم انشقاق القمر : ١٣٣١/٣ ، رقم ٣٤٣٨ .  
(٣) المصدر السابق : ٦٨ - التفسير ٣٤٥ - باب : { وَانشَقَّ الْقَمَرُ } = ١ وإن يروا آية يُعرضوا { : ١٨٤٣/٤ ، رقم ٤٥٨٣ .  
(٤) السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري : ١٦١/١ ، وقال : صحيح البخاري : فتح الباري : ١٨٢/٧ ، ٦١٧/٨ .

فَقَالَ : بِمَ أَعْرَفُ أُنْكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : إِنَّ دَعَوْتَ هَذَا الْعِدْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : ارْجِعْ . فَعَادَ ، فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ (( ١) .

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : (( كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه ، قال له رسول الله ﷺ : أين تريد ؟ قال : إلى أهلي ، قال : هل لك إلى خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ، قال : هل من شاهدٍ على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة ، فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي . فأقبلت تخذُّ الأرض خدًّا ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا ؛ فشهدت أنه كما قال ، ثمَّ إنَّها رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال : إن يتبعون آتيك بهم ، وإلا رجعتُ إليك وكنتُ معك )) (٢) .

(١) سنن الترمذي : أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ، باب ٩/٢٨ ، رقم الحديث ٣٨٨٩ ، وصحَّحه الألباني . انظر : سنن الترمذي : ١٩٣/٣ ، رقم ٢٨٦٨ .

(٢) حياة الصحابة - باب الدعوة إلى الله ورسوله ، عرضه ﷺ الدعوة في السفر : ٨٤/١ ، وقال : وهذا إسناد جيِّد ولم يخرجوه ، ولا رواه الإمام أحمد كذا في البداية : ٥٠٥/٦ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ، رواه أبو يعلى والبزار . انظر : مجمع الزوائد ، كتاب علامات النبوة - باب شهادة الشجر بنبوته ﷺ :

### خامساً . دعوتهم إلى التّفكّر .

قال الله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } (١) .

قال السعدي : (( أي قلّ لهؤلاء المكذّبين المعاندين { إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ } أي بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في سلوكها ، وهي طريقٌ نصف ، لست أدعوكم بها ، إلى اتباع قولي ، ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك .

وهي : أن تنهضوا بهمةً ونشاط ، وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله ، مجتمعين ، ومتباحثين في ذلك ، ومتناظرين ، وفرادى كلُّ واحد يخاطب نفسه بذلك .

فإذا قمتم لله ، مثني وفرادى ، استعملتم فكركم وأجلتموه ، وتدبّرتم أحوال رسولكم : هل هو مجنون ، فيه صفات المجانين من كلامه وهيئته وصفته ؟

أم هو نبيٌّ صادق ، منذرٌ لكم ما يضرُّكم ، ممّا أمامكم من العذاب الشديد ؟ فلو قبلوا هذه الموعظة ، لتبيّن لهم أن رسول الله ﷺ ليس بمجنون ، لأنّ هيئته ليست كهيئة المجانين في خنقهم واختلاجهم ونظرهم .

بل هيئته أحسن الهيئات ، وهو أكمل الخلق أدبًا ، وسكينة وتواضعًا ووقارًا ، ثم تأملوا كلامه الفصيح ، ولفظه المليح ، وكلماته التي تملأ القلوب ، أمنًا ، وإيمانًا ، وتزكي النفوس ، وتطهر القلوب ، وتبعث على مكارم الأخلاق ، وتحت على محاسن الشيم ، وتزجر عن مساوئ الأخلاق ووزائلها . إذا تكلم رمقته العيون ، هيبة وإجلالًا ، وتعظيمًا ((<sup>(١)</sup>

#### سادسًا. التحدي والإعجاز حال الرفض .

قال الله تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ = ٣٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ }<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : { فَلْ لِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا }<sup>(٣)</sup> .

وتنزل معهم في تحديهم وإعجازهم إلى عشر آيات ، فقال تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فَلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }<sup>(٤)</sup> .

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ١٩٨/٤ - ١٩٩ ، باختصار .

(٢) الطور : الآيتان ( ٣٣ ، ٣٤ ) .

(٣) الإسراء : الآية ( ٨٨ ) .

(٤) هود : الآية ( ١٣ ) .

وتنزل إلى سورة واحدة :

**فقال تعالى :** { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (١)

**وقال تعالى :** { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٢)

**سابعاً - تخييرهم في الإسلام أو دفع الجزية أو جهادهم .**

عن عبدالله بن عمر ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » (٣) .

قال المغيرة - مخاطباً ترجمان عامل كسرى - : « فَأَمَرْنَا نَبِيَّنَا رَسُولَ رَبِّنَا ﷺ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحَدَّهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ ، وَأَخْبَرْنَا نَبِيَّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا : أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ . وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلِكٌ رِقَابِكُمْ » (٤) .

(١) البقرة : الآية ( ٢٣ ) .

(٢) يونس : الآية ( ٣٨ ) .

(٣) مسلم : ١ - كتاب الإيمان ( ٨ ) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ... الخ : ٥٣/١ ، رقم ٢٢ .

(٤) البخاري : ٦٣ - الجزية والموادعة : ١ - باب الجزية والموادعة مع



## الفصل الثالث

### وسائله ﷺ في الدعوة

قال شيخ الإسلام في الفتاوى : (( وسائله ﷺ في دعوته : العلم والجهاد )) ، أو كما قال - رحمه الله - .  
وقد أفرد العلم في بابٍ مستقلٍّ ، وقد مضى ..

الجهاد :

كانوا يؤمرون في مكة حال الضعف والقلة وقلة المنعة بالصبر والكف ، والعفو والصفح ، فلما خرج النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وقويت شوكتهم وأصبح لهم منعة أذن لهم في القتال .

أخرج الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : (( لما أخرج أهل مكة النبي ﷺ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخرجوا نبيهم ، ليهلكن . قال : فنزلت : { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير } ، وكان ابن عباس يقرأها أذن ، قال أبو بكر الصديق : فعلمت أنها قتال . قال ابن عباس : وهي أول آية نزلت في القتال )) (١) .

---

(١) المستدرک : ٢٠ - كتاب الجهاد : ٧٦/٢ ، رقم ١/٢٣٧٦ .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .



« فهذا إذن لهم حينئذٍ في القتال ، ولم يفرضه عليهم ، ثم فرضَ عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، فقال : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرماً ، ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم القتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عينٍ على أحد القولين ، أو فرض كفاية على المشهور .

والتحقيق أن جنس الجهاد فرضُ عينٍ إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد ، فعل كلِّ مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع .

أما الجهاد بالنفس ، ففرض كفاية ، وأما الجهاد بالمال ، ففي وجوبه قولان ، والصحيح وجوبه ، لأنَّ الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء ((<sup>(١)</sup>) .

وقد أمر الله بالجهاد فقال : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ } (<sup>(٢)</sup>) .

وقال : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ

---

قال في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

(١) زاد المعاد : ٧٠/٣ - ٧٢ ، مختصراً .

(٢) التوبة : الآية (٧٣) .

انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ { (١) .

**وقال :** { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (٢) .

**ومن منهج النبي ﷺ في الجهاد :**

ما كتبه عبدالله بن أبي أوفى إلى عمر بن عبيدالله - حين سار إلى الحرورية يُخبرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَنْمَتُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ . فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ .

**ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ :** اللَّهُمَّ ! مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، اهْزِمْهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ (( (٣) .

**ومن منهجه ﷺ عدم قتل النساء والصبيان :**

**فَعَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ :** (( وَجِدْتِ امْرَأَةً مَقْتُولَةً

(١) الأنفال : الآية ( ٣٩ ) .

(٢) التوبة : الآية ( ١١١ ) .

(٣) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير . ( ٦ ) باب كراهة تمني لقاء العدو : ١٣٦٢/٣ ، رقم ١٧٤٢ .

في بَعْضِ تِلْكَ الْمَغَارِي . فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ  
النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ((<sup>(١)</sup> .

وجوازه من غير تعمُد . فعن الصَّعْبِ بْنِ جَنَامَةَ قَالَ : ((  
سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ؟ يُبَيِّنُونَ  
فَيُصَيَّبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَدَرَارِيِّهِمْ . فَقَالَ : هُمْ مِنْهُمْ ))<sup>(٢)</sup> .

ومن منهجه ﷺ في الجهاد ؛ وصية أمير الجيش قبل  
خروجه :

فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : (( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ  
بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ :

اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَاتُّلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغزُوا وَلَا تَعْلُوا ،  
وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تَمْتَلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا . وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ ( أَوْ خِلَالٍ ) فَأَيُّنَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ  
وَكَفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ  
ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا  
ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : ( ٨ ) باب تحريم قتل النساء  
والصبيان في الحرب : ١٣٦٤/٣ ، رقم الحديث ١٧٤٤ .

(٢) المصدر السابق : الكتاب نفسه : ( ٩ ) باب جواز قتل النساء  
والصبيان في البيات من غير تعمُد : ١٣٦٤/٣ ، رقم ١٧٤٥ .

مِنْهَا فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلَّهُمُ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا )) (١) .

ومن منهجه ﷺ : ما رواه النُّعْمَانُ قَالَ : (( وَلَكِنِّي شَهِدْتُ الْقِتَالَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ ؛ انْتَهَرَ حَتَّى تَهْبَّ الْأَرْوَاحُ وَتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ )) (٢) .

وعن أنس ﷺ قَالَ : (( وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغْرُ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَإِنْ سَمِعَ أَدَانًا أَمْسَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَدَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ ، فَنَزَلْنَا خَيْبَرَ لَيْلًا )) (٣) .

(١) مسلم : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ( ٢ ) باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها : ١٣٥٦/٣ - ١٣٥٨ ، رقم ١٧٣١ .

(٢) البخاري : ٦٢ - الجزية ١ - باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب : ١١٥٢/٣ ، رقم ٢٩٨٩ . جزء من آخر حديث طويل .

(٣) البخاري : ٦٠ - الجهاد ( ١٠١ ) ، دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام : ١٠٧٧/٣ ، رقم ٢٧٨٤ .

ومن منهجه ﷺ : الدعاء قبل الغزو ، قال ﷺ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَأَنْتَ نَصِيرِي وَبِكَ أَقَاتِلُ » (١) .

وفي منزلة المجاهد في سبيل الله ، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلَةً ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : رَجُلٌ أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ . أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَلِيهِ ؛ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ ؛ يُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ أَيْمَانًا ؟ قَالَ : الَّذِي يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ . وَرَجُلٌ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي شِعْبٍ مِّنَ الشَّعْبِ فَقَدِ كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ » (٣) .

وفي البخاري قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ . قَالُوا : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : مُؤْمِنٌ فِي

(١) سنن الترمذي : أحاديث شتى من أبواب الدعوات ٨ - باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله : رقم ٣٨٣٦ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٨٣/٣ ، رقم ٢٨٣٦ .

(٢) المستدرک ، للحاكم : ٢٠ - كتاب الجهاد : ٧٧/٢ ، رقم ٤/٢٣٧٩ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

(٣) المصدر السابق ، الموضع نفسه . رقم ١٥/٢٣٩٠ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . قال في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ ، يَتَّقِي اللَّهَ ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ )) (١) .

**وللمجاهدين في سبيل الله درجات في الجنة .**

**فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُنْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَقَلَّ نُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » (٢) .**

**وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ . قَالَ فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ قَالَ : أَعَدَّهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٣) .**

(١) البخاريّ: ٦٠ - الجهاد (٢) باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه

وماله في سبيل الله: ١٠٢٦/٣ ، رقم ٢٦٣٤ .

(٢) البخاريّ: ٦٠ - الجهاد ٤ - باب: درجات المجاهدين في سبيل الله:

١٠٢٨/٣ ، رقم ٢٦٣٧ .

(٣) سنن النسائي ٢٥ - كتاب الجهاد ١٨ - باب درجة المجاهد في سبيل

الله ﷻ .

وصححه الألباني: انظر صحيح سنن النسائي: ٦٥٦/٢ ،

وعن فضالة بن عبيد قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ :  
 « أنا زعيمٌ - والزعيمُ : الحميلُ - لمن آمنَ بي وأسلمَ وهاجرَ ببيتِ في  
 ربضِ الجنةِ ، وببيتِ في وسطِ الجنةِ . وأنا زعيمٌ لمن آمنَ بي ، وأسلمَ وجاهدَ  
 في سبيلِ اللهِ ، وببيتِ في ربضِ الجنةِ ، وببيتِ في وسطِ الجنةِ ، وببيتِ في  
 أعلى عُرفِ الجنةِ ، من فعلَ ذلكَ فلمَ يدعُ للخيرِ مطلبًا ولا من الشرِّ مهربًا ،  
 يموتُ حيثُ شاءَ أن يموتَ » (١) .

ومن فضائل الشهداء :

ما رواه المقدم بن معدي كرب قال : قال رسولُ الله ﷺ :  
 « للشَّهيدِ عندَ اللهِ ستُ خصالٍ : يُعْفَرُ لَهُ في أوَّلِ دَفْعَةٍ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ  
 الْجَنَّةِ ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى  
 رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ؛ الْيَافُوتُهُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيَزَوِّجُ اثْنَتَيْنِ  
 وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيَسْقَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِيهِ » (٢) .

وقال عثمان بن عفان وهو على المنبر : « إني كتمتكم  
 حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني ، ثم بدأ  
 لي أن أحدثكموه ليختارَ امرؤٌ لنفسه ما بدأ له ، سمعتُ  
 رسولَ الله ﷺ يقولُ : رباطُ يومٍ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من ألفِ يومٍ فيما  
 سواه من المنازلِ » (٣) .

رقم ٢٩٣٤ .

- (١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، وصححه الألباني برقم ٢٩٣٦ .  
 (٢) سنن الترمذي : أبواب فضائل الجهاد : ٢٤ - باب ما جاء أيُّ الناس  
 أفضل ، رقم ١٧٢٨ . وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي :  
 ١٣٢/٢ ، رقم ١٣٥٨ .  
 (٣) المصدر السابق : الموضع نفسه ، وحسنه الألباني ، برقم ١٣٦١ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ » (١) .

وَعنه ﷺ قَالَ : « مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٍ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا ، فَقَالَ : لَوْ اعْتَرَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ ؟ اغْرُؤْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » (٢) .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » (٣) .

وَعنه ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهَّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ ، أَصَابَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »

(١) المصدر السابق : الموضع نفسه ، وصححه الألباني ، برقم ١٣٦٢ .

(٢) المصدر السابق : أبواب فضائل الجهاد : ١٧ - باب الغدو والرواح في سبيل الله ﷻ ، رقم ١٧١٨ . وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٢٩/٢ ، رقم ١٣٤٨ .

(٣) المصدر السابق والكتاب نفسه ٣ - باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله . رقم ١٦٩٠ .

وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٢٤/٢ ، رقم ١٣٢٥ .



« (١) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » (٢) .

وعن فضالة بن عبيد : أن رسول الله ﷺ قال : « كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَوْمَئِذٍ مِنْ قَتَانِ الْقَبْرِ » (٣) .

وعن أنس أن النبي ﷺ قال : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَسِنَّتِكُمْ » (٤) .

وعن أبي أمامة : أن رجلاً قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) سنن ابن ماجه : ٢٤ - كتاب الجهاد ( ٥ ) باب التغليظ في ترك الجهاد : رقم ٢٧٦٢ .

وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن ابن ماجه : ١٢٣/٢ ، رقم ٢٢٣١ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد ( ١٨ ) باب كراهية ترك الغزو : رقم ٢٥٠٢ .

وصححه الألباني برقم ٢١٨٤ ، وهو في مسلم .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الجهاد ١٣ - باب فضل الرباط : رقم ٢٥٠٠ .  
وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن أبي داود : ٤٧٤/٢ ، رقم ٢١٨٢ .

(٤) المصدر السابق : الموضوع نفسه ، برقم ٢٥٠٤ ، وصححه الألباني في الموضوع نفسه رقم ٢١٨٦ .

تعالى» (١) .

وقد غزا النبي ﷺ تسع عشرة غزوة .

فَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : ( ( سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ﷺ : كَمْ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : سَبْعَ عَشْرَةَ ، قُلْتُ : كَمْ غَزَا النَّبِيُّ ﷺ ؟ قَالَ : تِسْعَ عَشْرَةَ ) ) (٢) .



(١) المصدر السابق : الموضع نفسه ، برقم ٢٤٨٦ ، وحسنه الألباني في الموضع نفسه رقم ٢١٧٢ .

(٢) البخاري : ٦٧ - المغازي ٨٢ - باب : كم غزا النبي ﷺ ؟ : ١٦٢١/٤ ، رقم ٤٢٠١ .

# الباب الثاني

## ( منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب )

الفصل الأوّل : ( دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض )

الفصل الثاني : ( بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا ) .

الفصل الثالث : ( إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية ) .

الفصل الرابع : ( مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم ) .

الفصل الخامس : ( دعوتهم إلى المباهلة حال الرفض ) .

الفصل السادس : ( هديه ﷺ في التعامل معهم ) .

الفصل السابع : ( جهادهم ) .

## الفصل الأول

### دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض ، وإخبار رسوله أنه يأتي قوماً أهل كتاب

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ ابْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، قَالَ لَهُ : « إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَيَّ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيَّ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقِيرِهِمْ ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ » (١) .

وفي هذا الحديث يُعَلِّمُ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا أَنَّهُ يَقْدُمُ عَلَى قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : « وَإِنَّمَا نَبَّهَ عَلَى هَذَا لِتَنْهِيهِمْ لِمَنَاظِرَتِهِمْ ، وَيَعُدُّ الْأَدْلَةَ لِإِفْحَامِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ عِلْمٍ سَابِقٍ ، بِخِلَافِ الْمُشْرِكِينَ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ » (٢) .

وهذا مما اختصَّ النَّبِيُّ ﷺ به رسوله إلى أهل الكتاب .

- (١) البخاريّ : ١٠٠ - كتاب التوحيد : ١ - باب ما جاء في دعاء النَّبِيِّ ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى : ٢٦٨٥/٦ ، رقم ٦٩٣٧ .
- (٢) المُفْهَمُ لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : ( ١ ) كتاب الإيمان : ٦ - أوّل ما يجب على المكلفين : ١٨١/١ ، شرح الحديث نفسه ، وهو برقم ١٦ في المفهم .

وفي الحديث دليلٌ على التدرج في التعليم ، فإنه فصل بين إخبارهم بأن الله افترض عليهم زكاةً في أموالهم ، وبين إخبارهم بفريضة الصلاة بفعل الصلاة نفسها ، فقال : « فَإِذَا صَلُّوا » . وقد أمره ﷺ هو وصاحبه أبا موسى بالتيسير وعدم التعسير ، والتبشير وعدم التنفير ، والتطوع وعدم الاختلاف . فعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ ، قَالَ : « يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا ، وَبَشِّرًا وَلَا تُنْفِرًا ، وَتَطَوَّعًا وَلَا تَخْتَلِفَا » (١) .

وفي رواية ، قَالَ أَبُو مُوسَى : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا بِأَرْضٍ يُصْنَعُ فِيهَا شَرَابٌ مِنَ الْعَسَلِ ، يُقَالُ لَهُ الْبَيْعُ ، وَشَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ : يُقَالُ لَهُ الْمَزْرُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » (٢) .

وفي سؤال أبي موسى تطبيق عملي لتنبية النبي ﷺ لمعاذ أنه يأتي قومًا أهل كتاب . حيث بدأ بالتفقه لما قد يعترضه من الأسئلة .

ومن أساليبه ﷺ في الدعوة إلى التوحيد والإسلام : ما كان يحدث في المناسبات . فقد عاد غلامًا يهوديًا مريضًا كان يخدمه

(١) البخاريّ : ٦٠ - الجهاد : ١٦١ - باب ما يُكره من التنازع والاختلاف في الحرب : ١١٠٤/٣ ، رقم ٢٨٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ٨١ - الأدب : ٨٠ - قول النبي ﷺ : « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » : ٥٧٧٣ ، رقم ٢٢٦٩/٥ .

، فدعاه إلى الإسلام .

فعن أنس رضي الله عنه قال : (( كَانَ عَلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَمَرَضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ ؛ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْلِمَ ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَطِيعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ )) (١) .

وفي هذا الحديث : دليل على حرص النبي ﷺ على إنقاذ الناس من النار إلى آخر لحظات أعمارهم ، وفيه أيضاً : عدم اليأس حتى مع هذا الصبي وإن كان في حضرة أبيه ، وفيه : حرص الوالد على ولده وحب الخير له .

ومن أساليبه رضي الله عنه معرفة معتقدات من يدعوهم ، وفهمه العميق لنفسياتهم ومشاعرهم وميولهم ، ومن ثم نقض ما هم عليه من ضلال ، وبناء القناعات والاتجاهات الصحيحة في قلوبهم . ومن ذلك ما كان من أمر عدي بن حاتم :

فعن أبي عبيدة بن حذيفة قال : كُنْتُ أَسْأَلُ عَنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي لَا آتِيهِ فَأَسْأَلُهُ . فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ بُعِثَ فَكَرِهْتَهُ أَشَدَّ مَا كَرِهْتُ شَيْئاً قَطُّ ، فَاَنْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ مِمَّا بَلِي

(١) البخاريّ : ٢٩ - الجنائز ٧٨ - باب : إذا أسلم الصبيّ فمات ، هل يُصلى عليه ، وهل يُعْرَضُ على الصبي الإسلام : ٤٥٥/١ ، رقم ١٢٩٠ .

الرُّومَ . ففُلتُ : لو أتيتُ هَذَا الرَّجُلَ ؛ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا اتَّبَعْتَهُ ، فَأَقْبَلْتُ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ اسْتَشْرَفَ لِي النَّاسُ ، وَقَالُوا : جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِي : « يَا عَدِيُّ ابْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْتَ تَسْلَمُ . قَالَ : فُلتُ : إِنْ لِي دِينًا ، قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ . - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . - أَلَسْتَ تَرَأْسُ قَوْمِكَ ؟ قَالَ : فُلتُ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُلُ لَكَ فِي دِينِكَ . قَالَ : فَتَضَعُضْتُ لَذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ : يَا عَدِيُّ ابْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْتَ تَسْلَمُ فَإِنِّي قَدْ أَظُنُّ . أَوْ قَدْ أَرَى أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . - أَنَّهُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُسَلِمَ خِصَاصَةً تَرَاهَا مِمَّنْ حَوْلِي ، وَتَوْشِكُ الظَّعِينَةَ أَنْ تَرْحَلَ مِنْ الْحَيْرَةِ بِغَيْرِ جَوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَلْتَفْتَحَنَّ عَلَيْنَا كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ، وَلِيْفِيضَنَّ الْمَالَ . - أَوْ لِيْفِيضَ . - حَتَّى يَهَمَّ الرَّجُلُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ مَالَهُ صَدَقَةً . قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ : فَقَدْ رَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْحَلَ مِنْ الْحَيْرَةِ بِغَيْرِ جَوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَكُنْتُ فِي أَوَّلِ خَيْلٍ أَغَارَتْ عَلَى الْمَدَائِنِ عَلَى كُنُوزِ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ . وَأَحْلَفَ بِاللَّهِ لَتَجِيئَنَّ النَّالِيَّةُ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِي » (١) .

ومن دعوة الصحابة ﷺ الذين علمهم النبي ﷺ ورباهم ما جاء في حديث أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ ، وهو حديث طويل :

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - كتاب التاريخ - باب ذكر الأخبار عن فتح الله جلّ وعلا على المسلمين كثرة الأموال : ٧١/١٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، رقم الحديث ٦٦٧٩ . قال المحقق : شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي .

أن جعفر بن أبي طالب قال : أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ  
جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ،  
وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا  
الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ؛  
نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَصِدْقَهُ ، وَأَمَانَتَهُ ، وَعَقَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ  
عَبْدًا لِلْوَحْدَةِ وَنَعْبُدُهُ ، وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ  
، مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ  
الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ  
الْمَحَارِمِ وَالِدِمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ ،  
وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَا  
نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ...

وقد قال له النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ  
شَيْءٍ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ، قَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : فَأَقْرَأْهُ ، فَقَرَأَ  
عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ { كهيعص } ((<sup>(١)</sup>).

فهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ ثمرة تربية النبي صلى الله عليه وسلم  
وتعليمه ، آتاه الله الحكمة في الحديث وحسن التصرف مع  
هذا الملك . واستغلال المناسبة مع الملك النصراني ، فقد  
أطلعته على ما كانوا عليه من عبادة الأوثان والأصنام ،

(١) قال الهيثمي : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح عن ابن إسحاق ،  
وقد صرح بالسماع . انظر : مجمع الزوائد : كتابا لمغازي والسير -  
باب الهجرة إلى الحبشة : ٢٤/٦ - ٢٧ .



وسبى الأخلق من قطع الأرحام ، وإساءة الجوار ، وهو ما تمقته الفطر السليمة والأديان السماوية . ثم أخبره بما يدعو إليه من توحيد الله ومكارم الأخلق ، وصلة الأرحام ، وهو ما تشترك فيه جميع الأديان ، وقرأ عليه صدرًا من سورة مريم ، وفيه نشأة عيسى عليه السلام وخلقه ، والقول الفصل فيه ، وما حصل لأمه مع قومها وما كانت عليه من طهر وعفاف .

وكذا ما تكلم به عيسى وهو في المهد صبياً ، وأنه عبدا لله آتاه الكتاب وجعله نبياً ، وهذا ما جعل النجاشي يتأثر أشد التأثر ويبكي ، ويقول : إنه من مشكاة واحدة . فقد أحسن صلى الله عليه وسلم الاختيار .



## الفصل الثاني

**بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا ،  
وعدم اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله**

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه أخبره :  
أنه أخبره أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعوهُ إلى  
الإسلام ، وبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ...

قَالَ (١) : قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : ثُمَّ دَعَا - أَي هِرَقْل - (٢) بِكِتَابِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَرَأَى ، فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،  
مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلَامٌ  
عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ  
: أَسْلِمْ نَسْلِمٌ ، وَأَسْلِمِ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ  
إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ وَ { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ  
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ  
دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (٣) .

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) البخاري : ٦٠ - الجهاد ١٠١ - باب دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ  
وَالنَّبُوَّةِ ، وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى  
: { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَتَنَمَّتْهَا : { الْكِتَابِ وَالْحُكْمِ  
وَالنَّبُوَّةِ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ

وبشارتهم بالأجر مرتين حال استجابتهم ، هو ممّا  
 اختصّهم به النبي ﷺ عند دعوته لهم ، وقد فسّر لها النبي ﷺ  
 بقوله : « ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَمَنَ بِمُحَمَّدٍ  
 ﷺ ... » (١) الحديث . وكذا تذكيرهم بعدم اتخاذ الأرباب من  
 دون الله ، وكذلك اتخاذ ختم لختم الكتب المرسلّة إليهم . قال  
 أنس رضي الله عنه : « لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ قِيلَ لَهُ :  
 إِنَّهُمْ لَا يَفْرُؤُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا ، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ  
 فِضَّةٍ ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ ، وَنَفْسَ فِيهِ : مُحَمَّدٌ  
 رَسُولُ اللَّهِ » (٢) .



تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَّا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ } : ١٠٧٤/٣ ، رقم ٢٧٨٢ .

(١) المصدر السابق : الكتاب : ١٠٠ - باب : دعوة اليهود والنصارى ... :

١٠٧٤/٣ ، رقم ٢٧٨٠ .

(٢) البخاريّ : ٣ - العلم ٣١ - باب تعليم الرجل أمته وأهله : ٤٨/١ ،

رقم ٩٧ .

## الفصل الثالث

### إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية

كان اليهود يسألون النبي ﷺ أسئلة تعجيزية يريدون بها التحدي والإعجاز للنبي ﷺ إلا ما ندر منها كما في حال عبدالله بن سلام فإنه يريد التأكد من نبوة محمد ﷺ ليسلم .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : « بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرْبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَسْأَلُوهُ ، لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِنَسْأَلْتَهُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ! مَا الرُّوحُ ؟ فَسَكَتَ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَقُمْتُ ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ ، قَالَ : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } وَمَا أوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا . قَالَ الْأَعْمَشُ : هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا » (١)

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ : « كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ! فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا . فَقَالَ

---

(١) البخاري: ٣ - العلم ٤٧ - باب قول الله تعالى : { وَمَا أوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } : ٥٨/١ ، رقم ١٢٥ .

: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فقلتُ : أَلَا تَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ :  
 : إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
 : إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : حِينَتُ أَسْأَلُكَ .  
 : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ : أَسْمَعُ  
 : بِأُدْنِيِّ . فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ . فَقَالَ : سَلْ . فَقَالَ  
 : الْيَهُودِيُّ : أَيَنْ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ  
 : وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ .  
 : قَالَ : فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةٌ؟ قَالَ : فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ . قَالَ  
 : الْيَهُودِيُّ : فَمَا تُحَفِّنُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ : زِيَادَةُ كَبِدِ  
 : الثُّونِ . قَالَ : فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ : يُنْحَرُ لَهُمْ تَوْرُ الْجَنَّةِ  
 : الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا . قَالَ : فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ : مِنْ  
 : عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : وَحِينَتُ أَسْأَلُكَ عَنْ  
 : شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ  
 : رَجُلَانِ ، قَالَ : يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ : أَسْمَعُ بِأُدْنِيِّ . قَالَ :  
 : حِينَتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَالِدِ؟ قَالَ : مَاءُ الرَّجُلِ أبيضٌ ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ  
 : ، فَإِذَا اجْتَمَعَا ، فَعَلَا مَنِي الرَّجُلِ مَنِي الْمَرْأَةِ أَذْكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِذَا عَلَا مَنِي  
 : الْمَرْأَةِ مَنِي الرَّجُلِ أَتْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ . قَالَ الْيَهُودِيُّ : لَقَدْ صَدَقْتَ ، وَإِنَّكَ  
 : لَنَبِيٌّ ، ثُمَّ انصَرَفَ فَذَهَبَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ  
 : وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ (١) .

(١) مسلم : ٣ - كتاب الحيض ( ٨ ) باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ،

وهذا الحديث فيه دلالة على أن هذا الحبر اليهودي لم يسأل للانتفاع ، وإنما كان للتحدي والإعجاز والعنت ، بدلالة قوله في آخر الحديث : ( ثم انصرف فذهب ) أي ولم تنفعه أسئلته لأنها لم تُلقَى للاستفادة .

ومن أمثلة من يريد الانتفاع : ما رواه أنس ﷺ قال : « سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ يَفُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ - فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي سَأَيْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ : فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ وَمَا يَنْزَعُ الْوَالِدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ ؟ قَالَ : أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جَبْرِيلُ أَنْفًا . قَالَ : جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِحَبِيبِي فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } ، أَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : فَتَارٌ تَحْسُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامِ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : فزِيَادَةُ كَيْدِ حُوتٍ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَالِدُ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ .

قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتُّ ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِبَهْتُونِي ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ فَقَالُوا : أَعَادَهُ اللَّهُ

مِنْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالُوا : شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَانْتَقَصُوهُ ، قَالَ : فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ )) (١) .

فكان عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - مثالا صادقا لمن أراد الانتفاع بالسؤال .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال : )) حَضَرَتْ عِصَابَةُ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُمْ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ ، قَالَ : سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ ، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ ﷺ عَلَى بَنِيهِ : لَئِنْ حَدَّثْتُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ لِنَتَابِعُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَالُوا : فَذَلِكَ لَكَ ، قَالَ : فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعٍ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُمْ : أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ ؟ كَيْفَ يَكُونُ الذَّكَرُ مِنْهُ ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ ؟ وَمَنْ وَليُّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؟ قَالَ : فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لِنَتَابِعُنِي ؟ قَالَ : فَأَعْطُوهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ .

قَالَ : فَأَنْسُدْكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ﷺ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ ﷺ مَرَضَ مَرَضًا شَدِيدًا وَطَالَ سَقَمُهُ ، فَندَرَ لِلَّهِ نَدْرًا لَئِنْ

(١) البخاري : ٦٨ - التفسير / البقرة . ٨ - باب : قوله { مَنْ كَانَ عَدُوًّا

لجبريل } : ٤ / ١٦٢٨ ، رقم ٤٢١٠ .

شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ لِيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لِحَمَانُ الْإِبِلِ ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ الْبَائِثُهَا ؟ **قَالُوا :** **اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ :** اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلِيَهُمْ ، فَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ ، فَأَيُّهُمَا عَلَا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، إِنَّ عَلَا مَاءَ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ ؟ **قَالُوا :** **اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ :** اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلِيَهُمْ .

فَأَنْشُدْكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامَ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ؟ **قَالُوا :** **اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ :** اللَّهُمَّ اشْهَدْ .

**قَالُوا :** وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا مَنْ وَلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ ، قَالَ : فَإِنَّ وَلِيَّيَ حَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّهُ . **قَالُوا :** فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ ، لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ !! قَالَ : فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ ؟ **قَالُوا :** إِنَّهُ عَدُوْنَا ! قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ **عَجَلًا** : { فُلٌ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِحَبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ } **إِلَى قَوْلِهِ عَجَلًا** : { كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } **فَعِنْدَ ذَلِكَ** { بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ { الْآيَةُ )) (١) .

(١) المسند للإمام أحمد : - مسند ابن عباس : ١٧٦/٤ ، رقم الحديث ٢٥١٤ . قال أحمد شاكر : إسناده صحيح وهو مطول ٢٤٧١ ، ونقله ابن كثير : ١٨٦/٢ - ١٨٧ ، وعند تعليقه على الحديث رقم ٢٤٧١ ، وهو مختصر هذا ، قال : إسناده صحيح ، وقد وثق عبد الحميد بن



وفي رواية أخرى لهذا الحديث عن ابن عباس قال : ))  
 أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ  
 عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ ،  
 فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا : { اللَّهُ عَلَى مَا  
 نَقُولُ وَكَيْلٌ } قَالَ : هَاتُوا ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ ؟  
 قَالَ : تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤْتِي الْمَرْأَةَ  
 وَكَيْفَ تُذَكِّرُ ؟ قَالَ : يَلْتَقِي الْمَاءُ ان ، فَإِذَا عَلَا مَاءَ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ  
 أَذْكَرَتْ ، وَإِذَا عَلَا مَاءَ الْمَرْأَةِ آتَتْ ، قَالُوا : أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ  
 إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ؟ قَالَ : كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا  
 يُلَاقِيهِ إِلَّا الْبَانَ كَذَا وَكَذَا ، [ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ ] : قَالَ أَبِي :  
 قَالَ بَعْضُهُمْ : يَعْنِي الْإِبِلَ ، قَالَ : فَحَرَّمَ لِحُومَهَا . قَالُوا :  
 صَدَقْتَ .

قَالُوا : أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ ؟ قَالَ : مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ ﷻ  
 مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ ، بِيَدِهِ أَوْ فِي يَدِهِ مَخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوفُهُ  
 حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ ، قَالُوا : فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ ؟ قَالَ :  
 صَوْتُهُ ، قَالُوا : صَدَقْتَ ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي  
 تُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ  
 بِالْخَبَرِ ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ ؟

قَالَ : جِبْرِيلُ ﷺ ، قَالُوا : جِبْرِيلُ ، ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ

بهرام الذي تكلم فيه بعضهم من أجل روايته عن شهر بن حوشب .  
 انظر : المسند المحقق : ١٥٦/٤ ، رقم ٢٤٧١ .

بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوًّا !! لَوْ قُلْتَ : مِيكَائِيلَ الَّذِي  
يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ لَكَانَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : { مَنْ  
كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ { إِلَى آخِرِ الْآيَةِ » (١) .

لقد كان اليهود يسألونه ﷺ ويصدقونه ، فهم يعلمون  
الحق ، وإنما كان اعتذارهم بجبريل ﷻ من باب التخلُّص  
من الموقف ؛ وإلا فهم مُصرُّون على ما هم عليه .



---

(١) مسند الإمام أحمد - مسند ابن عباس - : ١٦١/٤ - ١٦٢ ، رقم ٢٤٨٣  
قال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

## الفصل الرابع

### مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم

قال الله تعالى : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (١) . قال ابن كثير : « قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة ، وقال آخرون : بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين ، فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه ، كما قال تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (٢) . وهذا القول اختاره ابن جرير ، وحكاه عن ابن زيد ، وقوله : { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } ، أي حادوا عن وجه الحق ، وعموا عن واضح المحجّة ، وعاندوا وكابروا ، فحينئذٍ يُنْتَقَلُ مِنَ الْجِدَالِ إِلَى الْجِلَادِ » (٣) .

وقال السعدي : « ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب إذا كانت عن غير بصيرة من المجادل ، أو بغير قاعدة مرضية ،

(١) العنكبوت : الآية ( ٤٦ ) .

(٢) النحل : الآية ( ١٢٥ ) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢٧٠٠/٦ .

وأن لا يجادلوا إلى بالتي هي أحسن ، بحُسن خلق ، ولطف ، ولين كلام ، ودعوة إلى الحقّ وتحسينه ، وردّ الباطل وتهجينه ، بأقرب طريق ، وأن لا يكون القصد منها مجردّ المجادلة والمغالبة وحبّ العلوّ ، بل يكون القصد بيان الحقّ وهداية الخلق .

{ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا } من أهل الكتاب ، بأن ظهر من قصد المجادل أنّه لا إرادة له في الحقّ ، وإثما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة ، فهذا لا فائدة في جداله ، لأنّ المقصود منها ضائع .

{ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ } أي : ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم ، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم ، وعلى أن الإله واحد ، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية ، أو بأحد من الرسل ، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم ، يقده بجميع ما معهم ، من حقّ وباطل ، فهذا ظلم ، وخروج عن الواجب ، وآداب النظر . فإنّ الواجب : أن يُردّ ما مع الخصم من الباطل ، ويُقبل ما معه من الحقّ . ولا يرد الحقّ لأجل قوله ، ولو كان كافراً .

وأيضاً فإنّ بناء مناظرة أهل الكتاب على هذا الطريق فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن ، وبالرسول الذي جاء به . فإنّه إذا تكلم في الأصول الدينية ، والتي اتفقت عليها الأنبياء والكتب وتقرّرت عند المتناظرين ، وثبتت حقائقها عندهما ،

وكانت الكتب السابقة ، والمرسلون ، مع القرآن ومحمد ﷺ ، قد بينتها ، ودلت وأخبرت بها ، فإنه يلزم التصديق بالكتب والرسل كلهم ، وهذا من خصائص الإسلام .

فأمّا أن يقال : نؤمن بما دلّ عليه الكتاب الفلاني ، دون الكتاب الفلاني ، وهو الحقّ الذي صدّق ما قبله ، فهذا ظلم وهوى ، وهو يرجع إلى قومه بالتكذيب ، لأنّه إذا كذب القرآن الدالّ عليهما ، المصدّق لما بين يديه ، فإنه مكذب لما زعم أنّه به مؤمن )) (١) .

فالمجادلة بالتي هي أحسن هي التي يتبع أصحابها الأصول الشرعية في مجادلتهم ؛ من القول اللين ، والحجج الواضحة البيّنة التي تقع من القلوب موقعها ، ويكون هدف المجادلة الوصول إلى الحقّ . أمّا تلك التي تؤدي بأصحابها إلى الجدل العقيم المذموم فهذا المنهي عنه .

ومن مجادلات النّبي ﷺ لأهل الكتاب وحواراته معهم وإقامة الحجّة عليهم : ما أخرجه الإمام البخاريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (( بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : انْطَلِفُوا إِلَى يَهُودَ ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمُدْرَاسِ ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ! اسْلِمُوا نَسْلِمُوا . فَقَالُوا : قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ذَلِكَ أُرِيدُ ، اسْلِمُوا نَسْلِمُوا ، فَقَالُوا : قَدْ بَلَغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ

(١) تيسير الكريم الرّحمن : ٦٤/٤ - ٦٥ ، باختصار طفيف .

، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ذَلِكَ أُرِيدُ ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ :  
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِبِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ،  
فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِغْهُ ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ))  
(١)

فهذه مجادلة النبي ﷺ يهود ، فيها الجزالة ، والنداء اللطيف ، والخطاب اللين ، والأدب الجمّ ، «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ !!!» ، وفيها التبشير بالسلامة حال إسلامهم ، فإنّ في الإسلام السّلامة في الدنيا والآخرة .

فلما شهدوا له بالبلاغ المشعر بعدم الاستجابة ؛ أعاده عليهم ثلاث ، ليقيم الحجّة عليهم .

ومن مجادلاته ﷺ ما كان في قصّة إسلام عبدالله بن سلام ﷺ ، يقول أنس بن مالك ﷺ : (( فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ؛ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ . وَقَدْ عَلِمْتَ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ .

فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ

(١) البخاريّ : ٩٩ - الاعتصام بالكتاب والسنة ١٨ - باب قوله تعالى : { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } ، وقوله تعالى : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } : ٢٦٧٤/٦ ، رقم ٦٩١٦ .

اللَّهِ ﷻ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيَلَكُمْ اتَّفُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ ، فَاسْلِمُوا . قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ . قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ . قَالَ : فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ؟ قَالُوا : ذَلِكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، وَأَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا .

قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ .

قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ .

قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ؟ قَالُوا : حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ .

قَالَ : يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ . فَخَرَجَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، اتَّفُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ . فَقَالُوا : كَذَبْتَ . فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ )) (١) .

وفي رواية عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : (( انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ عِيدِهِمْ ، وَكَرَّهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ .

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ! أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَسْتَهْذُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، يُحْبِطُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْعُضْبَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَاسْكُتُوا وَمَا

(١) فتح الباري : ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٤٥ - باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة : ٢٩٣/٧ ، رقم الحديث ٣٩١١ .

أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ .

فَقَالَ : أَبَيْتُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ ، وَأَنَا الْمُقَيِّ ، وَأَمَنْتُمْ أَوْ كَذَبْتُمْ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَنَا أَنْ يَخْرُجَ ، فَإِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا يَقُولُ : كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونِي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ؟ قَالُوا : مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِيْنَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ وَلَا مِنْ أَبِيكَ مِنْ قَبْلِكَ وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ .

قَالَ : فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللَّهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَةِ ، قَالُوا : كَذَبْتَ ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ شَرًّا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَذَبْتُمْ ، لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ ، أَمَا إِنِّي فَتْنُونُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَنْتَيْتُمْ ، وَأَمَا إِذَا آمَنَ كَذَبْتُمُوهُ ، وَقَلْتُمْ مَا قُلْتُمْ ، فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ .

قَالَ : فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَا ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ } (١) .

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : ٦١ - كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، ذكر عبدالله بن سلام : ١١٨/١٦ ، رقم ٧١٦٢ .  
وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه للكتاب : (( إسناده صحيح ، وأخرجه أحمد : ٢٥/٦ ، والطبري في جامع البيان : ١١/٢٦ ، والطبراني : ٨٣/١٨ )) اهـ .

وقد أخرجه الحاكم عن عوف أيضاً ، دو ذكر ( يوم عيدهم وكرهوا



ومن أساليبه ﷺ في مجادلة أهل الكتاب : أمره لهم باختيار حكم بينه وبينهم .

قال الحافظ في الفتح : (( وروى أبو سعيد في ( شرف المصطفى ) من طريق سعيد بن جبير : جاء ميمون بن يامين - وكان رأس اليهود - إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! ابعث إليهم فاجعني حكماً ، فإنهم يرجعون إليّ ، فأدخله داخلاً ، ثم أرسل إليهم فأتوه ، فخاطبوه ، فقال : اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم ، قالوا قد رضينا ميمون بن يامن . فقال : اخرج إليهم ، فقال : أشهد أنّه رسول الله ، فأبوا أن يصدّقوه )) (١) .

ولقد حاورهم النبي ﷺ بالقرآن .

وللقرآن معهم أساليب كثيرة ، نذكر بعضها للدلالة عليها وعلى غيرها .

دخولنا عليهم ) ، ويحطُّ بدل يحبط .

وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال في التلخيص : على شرط البخاريّ ومسلم ، وإنما اتفقا على حديث حميد عن أنس .

(١) فتح الباري : ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٥٢ - باب اتيان اليهود النبي ﷺ ، ذكره الحافظ في شرحه لترجمة الباب : ٣٢٢/٧ ، ولم أقف على درجته .

## ١. النداءات القرآنية التي تخاطب العقل من خلال الوجدان :

قال الله تعالى : { فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ = ٦٤  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ = ٦٥ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ = ٦٦ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١) .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ = ٧٠  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢) .

{ فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ = ٩٨  
فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (٣) .  
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا

(١) آل عمران : الآيات ( ٦٤ - ٦٧ ) .

(٢) آل عمران : الآيتان ( ٧٠ ، ٧١ ) .

(٣) آل عمران : الآيتان ( ٩٨ ، ٩٩ ) .

أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا { (١) .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ  
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ  
وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا  
اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا { (٢) .

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ  
تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ  
مُبِينٌ = ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {  
(٣)

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ  
أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { (٤) .

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ  
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ  
مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ { (٥) .

(١) النساء : الآية ( ٤٧ ) .

(٢) النساء : الآية ( ١٧١ ) .

(٣) المائدة : الآيتان ( ١٥ ، ١٦ ) .

(٤) المائدة : الآية ( ١٩ ) .

(٥) المائدة : الآية ( ٦٨ ) .

## ٢. الوعظ والتذكير بالنعمة والنقم :

وهذا كثيرٌ جدًّا في القرآن الكريم ؛ ومنه :

قوله تعالى : { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ = ٤٧ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ = ٤٨ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ = ٤٩ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } (١) .

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ = ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ = ٥٦ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ = ٥٧ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ = ٥٨ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (٢) .

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ = ٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ = ٦٤ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ

(١) البقرة : الآيات ( ٤٧ - ٥٠ ) .

(٢) البقرة : الآيات ( ٥٥ - ٥٩ ) .

الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ = ٦٥  
فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } (١) .

### ٣. تحديهم في إثبات دعاواهم :

**قال الله تعالى :** { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ = ٩٤ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (٢) .

**وقال تعالى :** { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْوِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } (٣) .

**وقال الله تعالى :** { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ = ٨٠ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٤) .

(١) البقرة : الآيات ( ٦٣ - ٦٦ ) .

(٢) البقرة : الآيتان ( ٩٤ ، ٩٥ ) .

(٣) المائدة : الآية ( ١٨ ) .

(٤) البقرة : الآيتان ( ٨٠ ، ٨١ ) .

## ٤. توضيح بطلان عقيدتهم في أنبيائهم وأخبارهم ورهبانهم ، وتعليمهم

## الاعتقاد الصحيح :

**قال الله تعالى:** { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ = ٣٠ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ = ٣١ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (١) .

**وقال تعالى:** { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ = ٧٢ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ = ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََّهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ = ٧٤ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ = ٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٢) .

(١) التوبة: الآيات (٣٠ - ٣٢) .

(٢) المائدة: الآيات (٧٢ - ٧٦) .

وقال تعالى : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١) .

وقال تعالى : { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ = ١٣٥ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (٢) .

{ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ = ١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (٣) .



(١) المائدة : الآية (١٧) .

(٢) البقرة : الآيتان (١٣٥ ، ١٣٦) .

(٣) المائدة : الآيتان (١١٦ ، ١١٧) .

## الفصل الخامس

### دعوتهم إلى المباشرة حال الرفض

قال ابن إسحاق : « وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ؛ سئون راكبًا ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب ؛ أمير القوم ، والسيد ؛ ثمالمهم (١) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ؛ أسقفهم (٢) وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدراسهم .

لما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم ؛ فصلوا إلى المشرق .

فلما كلمه الحبران ، قال لهما رسول الله ﷺ : أسلما ، قالا : قد أسلمنا ؛ قال : إنكما لم تُسلما فأسلما ؛ قالا : بلى قد أسلمنا قبلك ؛ قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير ؛ قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما

---

(١) السيد ثمالمهم : اللجأ والغياث . النهاية : ٢٢٢/١ .

(٢) أسقفهم: الأسقف هو عظيم النصارى . السيرة النبوية لابن هشام بشرح الخشني: ٢٢٢/٢ .



رسول الله ﷺ فلم يجبهما . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها )) (١) .

وبعد أن ذكر ابن إسحاق الآيات من أول السورة وتفسيرها قال : « حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : { ذَلِكَ نَثْوُهُ عَلَيْكَ } يَا مُحَمَّدٌ { مِنْ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ } الْقَاطِعِ الْفَاصِلِ الْحَقِّ ، فَلَا تَقْبَلَنَّ غَيْرَهُ . { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ { فَاسْتَمِعْ } كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } { الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ } أَي مَا جَاءَكَ مِنَ الْخَبْرِ عَنْ عِيسَى { فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } أَي فَلَا تَمْتَرِينَ فِيهِ .

{ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } أَي مِنْ بَعْدِ مَا قِصَصْتُ عَلَيْكَ مِنْ خَبْرِهِ ، وَكَيْفَ كَانَ أَمْرَهُ . { فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } .

فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر من ملاعتهم إن ردُّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا . ثم خلوا بالعاقب فقالوا : ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبىُّ مُرسل ،

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشنى : ٢٥٤/٢ - ٢٥٨ ، مختصراً .

ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لآعن قومٌ نبياً قط فبقي كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا ألف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم .

فأتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعت معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإتكم عندنا رضا .

قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ : انتوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين ، قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قط حُبِّي إياها يومئذٍ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحنتُ إلى الظهر مهجراً ، فلما صلى بنا رسولُ الله ﷺ الظهرَ سلم ، ثمَّ نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلتُ أتطاول له ليراني ، فلم يزلْ يلتمس ببصره حتّى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة )) (١) .

وأخرجه البخاريّ بعدّة روايات ، منها : عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ : (( جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ ، صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخسني : ٢٥٨/٢ - ٢٦٦ ، مختصراً .

يُرِيدَان أَنْ يُلَاعِنَاهُ ، قَالَ : فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لَا تَفْعَلْ ،  
فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنًا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبْنَا مِنْ بَعْدِنَا .  
قَالَا : إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا ، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا ، وَلَا  
تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا . فَقَالَ : لِأُبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقًّا أَمِينًا .  
فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : فَمَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ  
الْجَرَّاحِ . فَلَمَّا قَامَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ (( ١ )

وعن جابر : أن وفد نجران أتوا النبي ﷺ فقالوا : ما  
تقول في عيسى ابن مريم ؟ فقال : هو روح الله ، وكلمته ، وعبد الله  
، ورسوله ، قالوا له : هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك ؟ قال :  
وذاك أحب إليكم ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا شئتم . فجاء النبي ﷺ  
وجمع ولده والحسن والحسين ، فقال رئيسهم : لا تلاعنوا  
هذا الرجل ، فوالله لئن لاعنتموه ليخسفن أحد الفريقين .  
فجاءوا . فقالوا : يا أبا القاسم إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا ،  
وإننا نحب أن تعفينا ، قال : قد أعفيتكم ، ثم قال : إن العذاب قد  
أظلم نجران (( ٢ ) .

(١) وقد أخرج خير السيد والعاقب وبعث أبي عبيدة : البخاري في ٦٧ -  
المغازي ٦٨ - باب قصة أهل نجران : ١٥٩٢/٤ ، رقم ٤١١٩ ،  
ورقم ٤١٢٠ ، وكذا في فضائل الصحابة برقم ٣٥٣٥ . مختصراً ،  
وبألفاظ مقاربة ، وفيه بعض الزيادات . ورواه مسلم في فضائل  
الصحابة ، ص ١٨٨٢ ، رقم ٢٤٢٠ .

(٢) المستدرک ، للحاكم : ٢٨ - كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ  
الآيَةَ { تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ } الْآيَةَ دَعَا  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ  
أَهْلِي » (١) .

نعم ، فقد كان النبي ﷺ عازماً على المباهلة عند رفضهم  
الإسلام وعنادهم ، وقد امتثل أمر الله ﷻ ، ودعا أهله ،  
ولكن القوم تراجعوا ومنعهم عقلاؤهم من المباهلة ،  
وأوضحوا لهم ما في مباهلة النبي ﷺ من الخطر عليهم  
وعلى ذرياتهم ، وقبلوا بدفع الجزية ، وأرسل معهم  
النبي ﷺ أمين هذه الأمة .

قال ابن القيم - رحمه الله - في فقه هذه القصة ، وما فيها  
من فوائد :

« ومنها : جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل  
استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام

---

والمرسلين . باب ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله  
وسلامه عليهما : ٦٤٩/٢ ، رقم ١٦٧/٤١٥٧ ، طبعة دار الكتب  
العلمية ، بيروت ، تحقيق : مصطفى عطا . قال الحاكم : هذا حديث  
صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، قال الحافظ في التلخيص : على  
شرط مسلم .

(١) سنن الترمذي : أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ : ٤ - ومن  
سورة آل عمران ، رقم ٣١٩٨ ، وصحح إسناده الألباني : انظر  
صحيح سنن الترمذي : ٣٢/٣ ، رقم ٢٣٩٧ .

من يُرجى إسلامه منهم وإقامة الحجّة عليهم ، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجّة ، فليولّ ذلك إلى أهله .

والمقصود : أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي ، وكذلك أصحابه من بعده ، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السورة المكيّة والمدنية ، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجّة إلى المباهلة ، وبهذا قام الدين ، وإثما جعل السيفُ ناصراً للحجّة .

ومنها : أن السنّة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجّة الله ولم يرجعوا ، بل أصرّوا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة ، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ، ولم يقل : إن ذلك ليس لأمتك من بعدك ، ودعا إليه ابن عمّه عبدالله بن عبّاس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع ، ولم ينكر عليه الصّحابة ، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين ، ولم ينكر عليه ذلك . وهذا من تمام الحجّة (١) .



(١) زاد المعاد : ٦٣٩/٣ - ٦٤٣ ، مختصراً .

## الفصل السادس

### هدية ﷺ في التعامل معهم

من هديه ﷺ في ذلك :

هدية ﷺ في ردّ السلام على اليهود ، وعلى أهل الكتاب  
عامّة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (( مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : السَّامُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَعَلَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : السَّامُ عَلَيْكَ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقُلُّهُ ؟ قَالَ : لَا ، إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ )) (١) .

ومن هديه ﷺ أن نهى المسلمين عن سؤالهم عن شيء ،  
وعدم تصديقهم أو تكذيبهم . فقد بَوَّبَ الإمام البخاري في ذلك  
بقوله : بابٌ : قول النبي ﷺ : ( لا تسألوا أهل الكتاب عن  
شيء ) .

وأخرج عن أبي هريرة قال : (( كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ  
النُّورَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ

---

(١) البخاري : ٩٢ - استتابة المرتدين والمعاندين ٤ - باب إذا عرض  
الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح ، نحو قوله : السام عليكم :  
٢٥٣٨/٦ ، رقم ٦٥٢٧ .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا : { آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ } (الآيَةَ) (١) .

ومن هديه ﷺ في دعوتهم ، الاهتمام بأخبارهم وعليتهم .  
كما روى مسلم عن أبي هريرة قال : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ تَابَعَنِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَمْ يَبْقَ عَلَيَّ ظَهْرُهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ » (٢) ، وفي رواية : « لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ » (٣) .

ومن هديه ﷺ إقامة الحدود على الذميين وتذكيرهم بالله بصيغة معينة عند الحلف .

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : « جَاءَتِ الْيَهُودُ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْهُمْ زَنِيًّا ، فَقَالَ : ائْتُونِي بِأَعْلَمَ رَجُلَيْنِ مِنْكُمْ ، فَأَتَوْهُ بِابْنَيْ صُورِيَا . فَنَشَدَهُمَا كَيْفَ تَجِدَانِ أَمْرَ هَدَيْنِ فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَا : نَجِدُ فِي التَّوْرَةِ إِذَا شَهِدَ أَرْبَعَةٌ : أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحَلَةِ رُجْمًا ، قَالَ : فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَرْجُمُوهُمَا ؟ قَالَا : دَهَبَ سُلْطَانُنَا ، فَكْرَهْنَا الْقَتْلَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالشُّهُودِ ، فَجَاءُوا بِأَرْبَعَةٍ فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا ذَكَرَهُ فِي فَرْجِهَا

(١) المصدر السابق : ٩٩ - الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٥ - باب قول

النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » : ٢٦٧٩/٦ ، رقم ٦٩٢٨ .

(٢) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ( ٣ ) باب نُزِّلَ أَهْلُ

الجنة : ٢١٥١/٤ ، رقم ٢٧٩٣ .

(٣) البخاري : ٦٦ فضائل الصحابة ٨٠ - باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين

قدم المدينة : ١٤٣٤/٣ ، رقم ٣٧٢٥ .

مِثْلَ الْمِيلِ فِي الْمُكْحَلَةِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجْمِهِمَا )) (١)

وفي كيفية الحلف ، ما رواه عكرمة أن النبي ﷺ قَالَ لَهُ -  
يَعْنِي لِابْنِ صُورِيَا - : أَذْكَرُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي نَجَّأَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ،  
وَأَفْطَعَكُمْ الْبَحْرَ ، وَظَلَّلَ عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ، وَأَنْزَلَ  
عَلَيْكُمُ التَّورَةَ عَلَى مُوسَى ، أَنْتَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمُ الرَّجْمَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتَنِي  
بِعَظِيمٍ ، وَلَا يَسْعُنِي أَنْ أَكْذِبَكَ . - وَسَاقَ الْحَدِيثَ - )) (٢)

ومن هديه ﷺ موادعة اليهود حال قلة المسلمين  
وضعفهم :

قال البلاذريُّ : (( قالوا : وكان رسول الله ﷺ عند قدومه  
المدينة وادع يهودها ، وكتب بينه وبينهم كتابًا ، واشترط  
عليهم أن لا يمالئوا عدوّه ، وأن ينصروه على من دهمه ،  
وأن لا يُقاتل عن أهل الدِّمَّة ، فلم يحارب أحدًا ، ولم يهجه ،  
ولم يبعث سرية حتّى أنزل الله ﷻ عليه : { أُنزِلَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ

(١) سنن أبي داود : كتاب الحدود ( ٢٦ ) باب في رجم اليهوديين ،

رقم ٤٤٥٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود : ٨٤٣/٣ ،  
رقم ٣٧٤٠ .

وقد روى مسلم قريبًا منه عن ابن عمر وعن البراء بن عازب ،  
برقم ١٧٠٠ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الأفضية : ( ٢٧ ) باب كيف يحلف الدميّ ؟ ،

حديث رقم ٣٦٢٦ . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود :  
٦٩١/٢ ، رقم ٣٠٨٥ .



بأنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ { فكان أول لواء عقده لواء حمزة بن عبدالمطلب )) (١) .

ومن هديه ﷺ إخراجهم من جزيرة العرب . فعن أبي هريرة قال : (( بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : انْطَلِفُوا إِلَى يَهُودَ . فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ ، فَقَالَ : اسْلِمُوا تَسْلِمُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِبَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ ، وَإِلَّا فَاغْلِبُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ )) (٢) .



(١) أنساب الأشراف : ٢٨٦/١ ، للبلاذري عن السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري : ٢٧٧/١ .

(٢) البخاري : ٦٢ الجزية ٦ - باب إخراج اليهود من جزيرة العرب : ١١٥٥/٣ ، رقم ٢٩٩٦ .

## الفصل السابع

### جهادهم

أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين من أهل الكتاب وغيرهم ، وحثّ عليه ، فقال :

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } (١) .

**وقال تعالى :** { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ } (٢) .

**وقال تعالى :** { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (٣) .

**وقال تعالى :** { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (٤) .

---

(١) التوبة : الآية ( ٢٩ ) .

(٢) التوبة : الآية ( ٧٣ ) .

(٣) التوبة : الآية ( ١٢٣ ) .

(٤) التوبة : الآية ( ١١١ ) .

**وقال تعالى :** { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْحِيكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ = ١٠ نُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ = ١١ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (١) .

**وعن أنس ، عن النبي ﷺ قال :** « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ » (٢) .

**وقد رغب النبي ﷺ في الجهاد ، فعن المقدام بن معدي كَرَبَ قَالَ :** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَافُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيَسْقَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ » (٣) .

(١) الصف : الآيات ( ١٠ - ١٢ ) .

(٢) سنن النسائي ٢٥ - كتاب الجهاد ١ - باب وجوب الجهاد ، رقم ٢٩٠٠ .

وصححه الألباني : انظر صحيح سنن النسائي : ٦٤٩/٢ ، رقم ٢٩٠٠ ، وعند أبي داود : أنفسكم بدل أيديكم ، وهو في صحيح سنن أبي داود ، برقم ٢١٨٦ .

(٣) سنن الترمذي : أبواب فضائل الجهاد ٢٥ - باب ... رقم ١٧٢٨ .

وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي : ١٣٢/٢ ، رقم ١٣٥٨ .

وكان ينهى ﷺ أصحابه عن قتل النساء والصبيان في جهادهم .

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قَالَ : « وَجِدْتِ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ » (١) .

وكان ﷺ يدعو على المشركين المحاربين بالهزيمة والزلزلة ، كما دعا يوم الأحزاب .

فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ : « دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ » (٢) .

وقد جاهد النبي ﷺ أهل الكتاب والمشركين ، ومن ذلك ما كان من غزوة خيبر وما بها من يهود :

فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ بَعْلَسَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ { فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَدْرِينِ } ، فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السُّكَّكِ ، فَقَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الدَّرِيَّةَ ،

(١) البخاري : ٦٠ - الجهاد ١٤٦ - باب قتل النساء في الحرب : ١٠٩٨/٣ ، رقم ٢٨٥٢ .

(٢) المصدر السابق : الكتاب نفسه ٩٧ - باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة : ١٠٧٢/٣ ، رقم ٢٧٧٥ .

وَكَانَ فِي السَّبْيِ صَفِيَّةً ، فَصَارَتْ إِلَى دَحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَعَلَ عِثْقَهَا صِدَاقَهَا )) (١) .

وعنه ﷺ : (( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا ، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا يَلِيلٍ لَمْ يُغْرُ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ { فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ } )) (٢) .

وعن ابن سَعْدٍ ، قَالَ : (( قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ : لِأَعْطِينَ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ . فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ : أَيُّهُمْ يُعْطَى ، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ ، فَقَالَ : أَيْنَ عَلِيٌّ؟ فَقِيلَ : بِسِتْكَ عَيْنِيهِ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِيهِ وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ ، فَقَالَ : أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ فَقَالَ : انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ )) (٣) .

(١) البخاريّ: ٦٧ - المغازي ٣٦ - غزوة خيبر : ١٥٣٩/٤ ، رقم ٣٩٦٤

(٢) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، ص ١٥٣٨ ، رقم ٣٩٦١ .

(٣) البخاريّ: ٦٠ - الجهاد ، باب ١٤١ - باب فضل من أسلم على يديه رجل : ١٠٩٦/٣ .



## الباب الثالث

### ( منهجه ﷺ وهديه في المنافقين )

- تمهيد : ( في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه ) .
- الفصل الأوّل : ( قبول علانيتهم ، وإيكال سرائرهم إلى الله ) .
- الفصل الثاني : ( الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم ) .
- الفصل الثالث : ( عدم توقييرهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم ) .
- الفصل الرابع : ( جهادهم والإغلاظ عليهم ) .
- الفصل الخامس : ( محاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم ) .
- الفصل السادس : ( كشف خططهم ومؤامراتهم وإبطالها ) .
- الفصل السابع : ( منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين ) .
- الفصل الثامن : ( إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم ) .

## تمهيد

### في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه

قال ابن فارس : (( النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه .

فالأوّل : نفقت الدابة نفوقًا : ماتت ، والأصل الآخر : النَّفَق : سَرَبٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان . والنَّفَق : المسلك النافذ الذي يُمكن الخروج منه )) (١) .

وقال الإمام محمد بن يوسف الصالحى : النفاق : اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو فعل المنافق الذي يسئُرُ كُفْرَه ويُظهرُ إيمانه . كما يتسئُرُ الرَّجُلُ بالنَّفَق الذي هو السَّرَب ، فقيل هو اشتقاقه من هذا . وقيل : من قولهم : نافع اليربوع إذا دخل في قاصعائه وخرج من نافقائه ، وبالعكس . وذلك أن اليربوع له حِجْرَةٌ أربعة : النافقاء ، والقاصعاء ، والراهِطَاء ، والدِّاقَاء ، فهو يُرَقِّقُ أقصى النافقاء ويكتمها ويُظهرُ غيرها . فإذا قصد من غيرها من الحُجْرِ ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها أي خرج . وقيل : إنّها نافذة بعضها إلى بعض ، فمن أيّها قصد

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : ٤٥٤/٥ ، ٤٥٥ .



خرج من الأخرى . فكذلك المنافق يدخل في الإيمان من جهة ويخرج من جهة أخرى ، فاشتقاقه من فعل اليربوع . وقيل : اشتقاقه من صورة النافقاء لا من فعل اليربوع ، وذلك أن النافقاء ظاهره مدخل وباطنه مخرج ومهرب ، فكذا المنافق ظاهره إيمان ، وباطنه كُفر ، ومحلّ النفاق القلب )) (١) .

وقال ابن منظور : والنُّفَقَةُ مثال الهمزة : النَّافِقَاءُ ، تقول منه : نَفَّقَ اليربوع تنفيقا ، ونافق أي دخل في نفاقه ، ومنه اشتقاق المنافق في الدين ، والنَّفَاق : الدخول في الإسلام من وجه ، والخروج عنه من آخر ، مشتقٌّ من نفاق اليربوع ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به . وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق .

والنافقاء : إحدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها ، وهو موضع يرققه ، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج ، والجمع التوافق )) (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : (( والنفاق لغة : مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاق العمل ، ويدخل في الفعل والترك ، وتتفاوت

---

(١) سُبُلُ الْهُدَى وَالرِّشَادِ فِي سِيْرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ ، تحقيق : عادل

عبدالموجود ، وعلي معوض . ط. دار الكتب العلمية : ٤١٦/٣ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور : ٣٥٩/١٠ .

مراتبه )) (١) .

وقال الحافظ ابن رجب :

« والذي فسّره به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير ، وإبطان خلافه .

وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : النفاق الأكبر : وهو أن يُظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويُبطن ما يُناقض ذلك كلّهُ أو بعضه ، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ ، ونزل القرآن بدمّ أهله وتكفيرهم ، وأخبر أن أهله في الدركِ الأسفل من النار .

والثاني : النفاق الأصغر ، وهو نفاق العمل ، وهو أن يُظهر الإنسان علانيةً صالحاً ، ويُبطن ما يخالف ذلك )) (٢)

فأمّا حكم الأوّل أي النفاق العقدي فهو كُفْرٌ مغلّظ ؛ قال الله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

(١) فتح الباري : ( ٢ ) كتاب الإيمان : ٢٤ - باب علامة النفاق : ١١١/١ .

(٢) جامع العلوم والحكم : ط. مؤسسة الرسالة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وإبراهيم باجس : ٤٨١/٢ .

يَفْقَهُونَ { (١) ، وقال : { يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ  
الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ } (٢) .

وأما أنه مغلظ فلأنهم أشدُّ خطراً وضرراً على المسلمين ،  
لأنهم بينهم ويعرفون أسرارهم ومداخلهم ومخارجهم ،  
ويتربصون بهم الدوائر . لذلك كانت دركاتهم في النار في  
أسفل سافلين ، قال الله تعالى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ  
مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا = ١٤٥ إلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا  
وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ  
يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } (٣) ، وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ  
جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } (٤) .

أما النوع الثاني من النفاق ، وهو النفاق في العمل ،  
فحكمه حكم الرياء ، والرياء من الكبائر ، وقد أورد الأدلة  
على ذلك الإمام الذهبي (٥) ، وهو شرك أصغر يحبط العمل  
الذي خالطه .

### نجوم النفاق :

كان الناس في مكة على عهد رسول الله ﷺ مؤمنين أو

(١) المنافقون : الآية (٣) .

(٢) التوبة : الآية (٧٣) .

(٣) النساء : الآيتان (١٤٥ - ١٤٦) .

(٤) النساء : الآية (١٤٠) .

(٥) الكبائر ، للإمام الذهبي ، تحقيق : عبدالرحمن فاخوري . ط. دار

السلام ، ص ١٧٨ - ١٨١ ، عند ذكره للكبيرة السابعة والثلاثين .

كافر ، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وظهر على الناس وقويت شوكة الإسلام ، بدأ النفاق .

يقول ابن إسحاق : « وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس » (١) . « فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلا صفر من السنة الداخلة ، حتى بُني له فيها مسجده مساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من حظمة وواقف ووائل وأمّية ، وتلك أوس الله ، وهم حي من الأوس ، فإتّهم أقاموا على شركهم » (٢) ، « وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم » (٣) ، « فلما اطمأنت برسول الله ﷺ داره ، وأظهر الله بها دينه ، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صيرمة بن أبي أنس ، أخو بني عدي بن النجار وكان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذ مسجداً وقال : أعبُد رب إبراهيم ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، يقول أشعاراً

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، مع شرح أبي ذرّ الخثني : ١٦٤/٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٦٥/٢ - ١٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ١٦٧/٢ .

حَسَانًا - وهو الذي يقول :

فلما أتانا أظهر الله دينه ❁ فأصبح مسرورًا بطيبة راضيًا  
فأصبح لا يخش من الناس واحدًا ❁ قريبًا ولا يخشى من الناس نائيًا  
نُعادي الذي عادي من الناس كلهم ❁ جميعًا وإن كان الحبيب المصافيًا (١)

ونصبت عند ذلك أحبارُ يهود لرسول العداوة ، بغيًا وحسدًا وضغنا ، لما خصَّ الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم رجالٌ من الأوس والخزرج ، ممن كان عسى (٢) على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام واتخذوه جنةً من القتل ، وناقفوا في السرِّ ، وكان هواهم مع يهود ، لتكذيبهم النبي ﷺ وجحودهم الإسلام (٣) .

ثمَّ قال ابن إسحاق : « وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ، ويأتون باللبس ، ليلبسوا الحقَّ بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلًا من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها .

(١) المصدر السابق : ١٧٩/٢ - ١٨٢ ، مختصرًا .

(٢) قوله ( ممن كان عسى على جاهليته ) أي بقي واشتد عوده على الجاهلية شبَّ وشاب عليها .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

فهؤلاء أحبار اليهود ، وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه وأصحاب المسألة ، والنَّصَبُ لأمر الإسلام الشرورَ ليطفئوه . إلا ما كان من عبدالله بن سلام ومُخَيَّرِيق ((<sup>(١)</sup> .

وكان ممن انضاف إلى يهود ، ممن سمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج والله أعلم ))<sup>(٢)</sup> ، وسمى عددًا منهم ثم ذكر من أسلم من أحبار يهود نفاقًا ، فقال : (( وكان ممن تعوَّذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، من أحبار يهود ))<sup>(٣)</sup> ، فذكر عددًا منهم وقال : (( وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون ويستهزئون بدينهم ))<sup>(٤)</sup> .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كلامٌ جيّدٌ في ذلك ، إذ يقول : (( وذلك أن الله تعالى منذ بعث محمدًا ﷺ وأعزّه بالهجرة والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام :

قسمًا مؤمنين : وهم الذين آمنوا به ظاهرًا وباطنًا .

وقسمًا كفارًا : وهم الذين أظهروا الكفر به .

وقسمًا منافقين : وهم الذين آمنوا ظاهرًا ، لا باطنًا .

ولهذا افتتح ( سورة البقرة ) بأربع آيات في صفة

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٦ ، مختصرًا .

(٢) المصدر السابق ، ١٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، ١٩٩ - ٢٠٠ .

المؤمنين ، وأيتين في صفة الكافرين ، وثلاث عشرة آية في صفة المنافقين )) (١) .

(( وأما قبل الهجرة فلم يكن الناس إلا مؤمن أو كافر ، لم يكن هنا منافق ، فإنَّ المسلمين كانوا مستضعفين ، فكان من آمن باطنًا وظاهرًا ، ومن لم يؤمن فهو كافر ، فلمَّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وصار للمؤمنين بها عزٌّ وأنصار ، ودخل جمهور أهلها في الإسلام طوعًا واختيارًا ، كان بينهم من أقاربهم ومن غير أقاربهم من أظهر الإسلام موافقة ، رهبةً أو رغبةً وهو في الباطن كافر . وكان رأس هؤلاء عبدالله بن أبي بن سلول ، وقد نزل فيه وفي أمثاله من المنافقين آيات ، والقرآن يذكر المؤمنين والمنافقين في غير موضع ، كما ذكرهم في سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، وسورة العنكبوت ، والأحزاب ، وكان هؤلاء في أهل المدينة والبادية ، وكان في المنافقين من هو في الأصل من المشركين ، وفيهم من هو في الأصل من أهل الكتاب .

وسورة الفتح ، والقتال ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمنافقين ، بل عامَّة السور المدنية ، يذكر فيها المنافقين )) (٢) .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٣٣/٢٨ .

(٢) المرجع السابق : ٤٦٣/٧ .

ثم ذكر - رحمه الله - آيات في المنافقين من سورة آل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والعنكبوت ، والأحزاب ، والفتح ، والمجادلة ، وقال : (( وأما سورة ( براءة ) فأكثرها في وصف المنافقين وضمهم ، ولهذا سُميت الفاضحة ، والمبعثرة ، وهي نزلت عام تبوك ، وكانت تبوك سنة تسع من الهجرة ، وكانت غزوة تبوك آخر مغازي النبي ﷺ التي غزاها بنفسه ، وتميّز فيها من المنافقين من تميّز ، فذكر الله من صفاتهم ما ذكره في هذه السورة )) (١) . ثم قال :

(( وقال تعالى في سورة القتال : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ = ٢٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ } والمقصود بيان كثرة ما في القرآن من ذكر المنافقين وأوصافهم ، والمنافقون هم في الظاهر مسلمون ، وقد كان المنافقون على عهد النبي ﷺ يلتزمون أحكام الإسلام الظاهرة لاسيما في آخر الأمر ما لم يلتزمه كثير من المنافقين الذين من بعدهم ؛ لعزّ الإسلام وظهوره إذ ذاك بالحجة والسيف تحقيقاً لقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } .

ولهذا قال حذيفة بن اليمان وكان من أعلم الصحابة بصفات المنافقين وأعيانهم ، وكان النبي ﷺ قد أسرّ إليه عام

(١) المرجع السابق : ٤٦٦/٧ .



تبوك أسماء جماعة من المنافقين بأعيانهم ، فلهذا كان يقال : هو صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره ، ويُروى أن عمر بن الخطاب لم يكن يصلي على أحد حتّى يصلي عليه حذيفة ؛ لئلا يكون من المنافقين الذين تُهي عن الصلاة عليهم . قال حذيفة رضي الله عنه : النفاق اليوم أكثر منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية : كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يسرونه ، واليوم يظهرونه .

وذكر البخاريّ في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال : أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلُّهم يخاف النفاق على نفسه ، وقد أخبر الله عن المنافقين أنّهم يصلون ويزكّون وأنّه لا يقبل منهم .

وقد كانوا يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم مغازيه ، كما شهد عبدالله بن أبي بن سلول وغيره من المنافقين ( الغزوة ) التي قال فيها عبدالله بن أبي : ( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل ) (١) .

وقال : (( وكما أنّه صلى الله عليه وسلم كان يعلم بعض المنافقين ، ولا يعلم بعضهم ، كما بيّنه قوله : { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ } كذلك خلفاؤه بعده ، وورثته ؛ قد يعلمون بعض المنافقين ، ولا يعلمون بعضهم ، وفي المنتسبين إلى الإسلام من عامّة

(١) مجموع الفتاوى : ٤٦٥/٧ - ٥٧١ ، مختصراً .

الطوائف منافقون كثيرون ، في الخاصة والعامة ، ويُسمّون الزنادقة <sup>(١)</sup> ، وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر ، لكون ذلك لا يُعلم ، إذ هم دائماً يظهرّون الإسلام <sup>(٢)</sup> .

وقال : (( فمن النفاق ما هو أكبر ، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ؛ كنفاق عبدالله بن أبي وغيره ؛ بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به ، أو بعضه ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، أو المسرّة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك ؛ ممّا لا يكون صاحبه إلّا عدوّاً لله ورسوله ، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ ، وما زال بعده ؛ بل هو بعده أكثر منه على عهده ؛ لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى . فإذا كانت مع قوتها وكان النفاق معها موجوداً ؛ فوجوده فيما دون ذلك أولى .

فهذا حزب النفاق الأكبر .

وأما النفاق الأصغر ؛ فهو النفاق في الأعمال ونحوها ، مثل أن يكذب إذا حدّث ، ويخلف إذا وعد ، ويخون إذا

(١) كان من يظهر الإسلام ويخفي الكفر يُسمّى على عهد رسول الله ﷺ منافق ، ثمّ سُمّوا الزنادقة ، ثمّ في هذا العصر يُسمّون العلمانيون تلبّساً بالعلم وزخرفة للاسم وهي ترجمة خبيثة وخادعة وغير صحيحة لكلمة ( Secularism ) التي تعني اللادينيّة أي لا علاقة لمن ينتمي إليها بالدين ، وتعني إقصاء الدين وفصله عن الحياة .

(٢) المرجع السابق : ٤٣٤/٢٨ - ٤٣٥ .

انتمن ، أو يفجر إذا خاصم . ومن هذا الباب : الإعراض عن الجهاد . فإنه من خصال المنافقين . قال النبي ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » . رواه مسلم ، وقد أنزل الله سورة براءة التي تُسمى الفاضحة ؛ لأنها فضحت المنافقين . أخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس ، قال : هي الفاضحة ، ما زالت تنزل { ومنهم } ، { ومنهم } حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها . وعن المقداد بن الأسود قال : هي ( سورة البحوث ) لأنها بحثت عن سرائر المنافقين . وعن قتادة قال : هي المثيرة ؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين . وعن ابن عباس قال : هي المبعثرة . والبعثرة والإثارة متقاربان . وعن ابن عمر : أنها المقشقة . لأنها تبريء من مرض النفاق . يُقال : تقشش المريض إذا برأ . وقال الأصمعي : وكان يقال لسورتي الإخلاص : المقشقتان ؛ لأنهما يبرئان من النفاق » (١) .

ثم قال - رحمه الله - في التفريق بين المنافق والمؤمن المخطئ الجاهل الضال : « والمقصود : أن الزنديق في عرف هؤلاء الفقهاء ؛ هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره . سواء أبطن ديناً من الأديان : كدين اليهود والنصارى أو غيرهم أو كان معطلاً جاحداً للصانع والمعاد والأعمال الصالحة . ومن الناس من يقول : ( الزنديق ) هو الجاحد المعطل ،

(١) مجموع الفتاوى : ٤٣٤/٢٨ - ٤٣٦ ، مختصراً .

وهذا يُسمى الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامّة ، ونقله كلام الناس ، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه : هو الأوّل : لأنّ مقصودهم هو التمييز بين الكافر وغير الكافر ، والمرتد وغير المرتد ، ومن أظهر ذلك أو أسره . وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار والمرتدين ، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والرّدة . فإنّ الله أخبر بزيادة الكفر كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله : { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ } .

(( فهذا ) أصل ) ينبغي معرفته فإنّه مهمّ في هذا الباب . فإنّ كثيراً ممّن تكلم في ( مسائل الإيمان والكفر ) - لتكفير أهل الأهواء - لم يلحظوا هذا الباب . ولم يميّزوا بين الحكم الظاهر والباطن . مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة ، والإجماع المعلوم ؛ بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام .

ومن تدبّر هذا :

علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع : قد يكون مؤمناً مخطئاً جاهلاً ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ ؛ وقد يكون منافقاً زنديقاً يظهر خلاف ما يبطن <sup>(١)</sup> .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٧١/٧ - ٤٧٢ .

## الفصل الأول

### قبول علانيتهم ، وإيكال سرائرهم إلى الله

قال العلامة ابن القيم : (( وأما سيرته في المنافقين ، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمر أن يُعرض عنهم ، ويُغْلِظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم .

ونهاه أن يصلي عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه إن استغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم )) (١) .

فأما قبول علانيتهم وإيكال سرائرهم إلى الله وترك ما في القلوب لخالقها فقد ثبت كل ذلك عنه ﷺ ، فمن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري في المغازي عن كعب بن مالك في حديث المخلفين قال :

(( ... فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنْنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ ...

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ

---

(١) زاد المعاد : ١٦١/٣ . ط . مؤسسة الرسالة .

ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخْلَفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بَضْعَةً وَتَمَانِينَ رَجُلًا . فَقِيلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ... (١) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ (( أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ . وَفَرَحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ . وَحَلَفُوا ، وَأَحْبَبُوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا . فَانزَلتْ : { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ } (٢) .

وقال الله تعالى : { عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ = ٤٣ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ = ٤٤ إِنْ مَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (٣) .

وفي هذه الآيات دلالة على أن النبي ﷺ قبل أعدارهم فإذن لهم .

(١) البخاري : ( ٦٧ ) - المغازي ٧٥ - باب حديث كعب : ١٦٠٣/٤ ، قطعة من حديث كعب الطويل ، رقم ٤١٥٦ .

(٢) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٢/٤ ، رقم ٢٧٧٧ .

(٣) التوبة : الآيات ( ٤٣ - ٤٥ ) .

قال ابن كثير : « وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس قالوا : استأذِنُوا رسول الله ، فَإِنَّ أذنَ لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

ولهذا قال تعالى : { حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا } أي في إبداء الأعداء ، { وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ } يقول : هلا تركتهم لما استأذِنوك ، فلم تأذن لأحدٍ منهم في القعود ، لتعلم الصادقين منهم في إظهار طاعتك من الكاذب . فإنهم قد كانوا مصرِّين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه . ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله » (١) .

وعن أبي الطفيل قال : « كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ وَبَيْنَ حُدَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : أُنشِدُكَ بِاللَّهِ ! كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ . قَالَ : كُنَّا نُخْبِرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ . وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرَبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَفُومُ الْأَشْهَادُ ، وَعَدَرَ ثَلَاثَةَ . قَالُوا : مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ ، وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ : إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ ، فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَفُوهُ فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ » (٢) .

(١) تفسير القرآن العظيم : ١٦٦٤/٤ .

(٢) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٤/٤ ،

ومن الدلائل على هدي النبي ﷺ في تعامله بالظاهر وترك ما في القلوب لخالقها ، ما رواه أبو سعيد الخدري قال : « ... فَقَامَ رَجُلٌ .. فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ ، قَالَ : وَيَلَيْكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ؟ ... فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ قَالَ : لَا ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي . فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي لَمْ أُوْمَرْ أَنْ أَنْفَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَا أَنْثِقَ بُطُونَهُمْ » (١) .

رقم ١١/٢٧٧٩ .

(١) البخاري : ٦٧ - المغازي ٥٨ - باب بعث عليّ وخالد إلى اليمن : ١٥٨١/٤ - ١٥٨٢ ، رقم ٤٠٩٤ ، مختصراً .



## الفصل الثاني

### الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم

أمر الله نبيّه ﷺ في مقابلة أذى المنافقين وما يثيرونه من فتن بالإعراض عنهم وترك مقابلة أذاهم بالعقوبة ، وأمره بوعظهم وأن يقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ..

قال الله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } (١) .

قال الطبري : { أُولَئِكَ } هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم . { يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ } في احتكامهم إلى الطاغوت ، وتركهم الاحتكام إليك ، وصدودهم عنك من النفاق والزيغ وإن حلفوا بالله : ما أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . { فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ } . يقول : فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم ، ولكن عظمم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحلّ بهم ، وعقوبته أن تنزل بدارهم ، وحرّهم من مكروه ما هم عليه من الشكّ في أمر الله وأمر رسوله ، { وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } يقول : مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده ) (٢) .

---

(١) النساء : الآية ( ٦٣ ) .

(٢) تفسير الطبري : تحقيق : شاکر : ٥١٥/٨ .

قال ابن عطية { فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ } يعني عن معاقبتهم وعن شغل البال بهم وعن قبول أيمانهم الكاذبة في قوله يحلفون ، وليس بالإعراض الذي هو القطيعة والهجر ، فإن قوله : { وَعَظُّهُمْ } يمنع من ذلك ، وعظهم معناه بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ .

والقول البليغ اختلف فيه ، فقيل : هو الزجر والردع والكفّ بالبلاغة من القول ، وقيل : هو التوعّد بالقتل إن استداموا حالة النفاق ؛ قاله الحسن ، وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم ؛ والبلاغة : مأخوذة من بلوغ المراد بالقول (١) .

قال القرطبي في قول الله { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ } قال الزجاج : قد علم الله أنّهم منافقون . والفائدة لنا اعلّموا أنّهم منافقون { فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ } قيل : عن عقابهم ، وقيل : عن اعتذارهم { وَعَظُّهُمْ } أي خوفهم ، قيل : في الملاءمة . { وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } أي ازجرهم بأبلغ الزجر في السرّ والخلاء ، الحسن : قل لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتكم (٢) .

(١) المحرّر الوجير في تفسير الكتاب العزيز : للقاضي أبي محمّد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ( ت ٥٤٦ ) ، طبعة مديرية الشؤون الإسلامية المغربية ، وتحقيق المجلس العلمي بفاس : ١٦٤/٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٥/٥ .

أما الزمخشري فيقول في قوله : { فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ } لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ، ولا تزد على كقهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه . { وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } بالغ في وعظهم بالتحذير والإنذار . ( فإن قلت ) : بم تعلق قوله : { فِي أَنْفُسِهِمْ } . ( قلت ) : بقوله : { بَلِيغًا } أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً ، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً ؛ وهو التوعّد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق واطلع قرنه ، وأخبرهم أنّ ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين . وما هذه المكافاة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراكم الكفر وإضماره ؛ فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف .

أو يتعلق بقوله : { وَقُلْ لَهُمْ } في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه ، فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرّاً من ذلك وأغلظ .

أو قل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة لأنها في السرّ أنجع وفي الإمحاض أدخل .

قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم)) (١) .

قال العلامة المرزوقي في حاشيته على الكشاف :

(( قال أحمد : ولكلّ من هذه التأويلات شاهد على الصحة

:

أما الأوّل : فلأنّ حاصله الأمر بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم ، وسياق التهديد في قوله : { فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ } يشهد له فإنّه أخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد .

وأما الثاني فيلائمه من السياق قوله : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ } يعني ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ، ثمّ أمره بوعظهم والإعراض عن جرائمهم حتّى لا تكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم ؛ ثمّ جاء قوله { وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } كالشرح للوعظ ولذكر أهم ما يعظهم فيه ، وتلك نفوسهم التي علم الله ما انطوت عليه من المذام ؛ وعلى هذا يكون المراد : الوعظ وما يتعلّق به .

وأما الثالث : فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام في كتم عناد المنافقين ، والتجافي عن إفصاحهم ، والستر عليهم حتّى عدّ حذيفة رضي الله عنه صاحب سرّه عليه الصلاة والسلام

(١) الكشاف ، للزمخشري : ٢٧٦/١ - ٢٧٧ .

لتخصيصه إياه بالاطلاع على أعيانهم وتسميتهم له بأسمائهم . وأخباره في هذا المعنى كثيرة ((<sup>(١)</sup>).

أمّا القاضي أبو السعود فله بعض الإضافات واللفظات ، يقول : (( فأعرض عن قبول معذرتهم ، وقيل : عن عقابهم ، ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ، ولا تهتك سترهم حتّى يبقوا على وجلٍ وحذرٍ { وَعَظُهُمْ } أي ازجرهم عن النفاق والكيد .

ولئن أظهروا الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من نفق النفاق ليمسّتهم العذاب إن الله شديد العقاب { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } كلام مبتدأ جيء به تمهيداً لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جنائيتهم بالاعتذار بالأباطيل وعدم تلافيتها بالتوبة ((<sup>(٢)</sup>).

والعلامة السعدي يقول في قوله تعالى { وَعَظُهُمْ } أي : بين لهم حكم الله تعالى مع الترغيب في الانقياد لله ، والترهيب من تركه { وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } أي انصحهم سرّاً بينك وبينهم ، فإنّه أنجح لحصول المقصود ، وبالغ في زجرهم وقمعهم عما كانوا عليه ، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه ، فإنّه يُنصح

(١) المرجع السابق : الحاشية في الصفحات نفسها .

(٢) تفسير أبي السعود : ط . دار إحياء التراث ، بيروت : ١-١٩٦/٢ ، مختصراً .

سراً ، ويبالغ في وعظه ، بما يظنّ حصول المقصود به ))  
(١)

وقد أمر الله بالإعراض عنهم وترك تأنيبهم احتقاراً لهم .

فقال تعالى : { سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِئَعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٢)

قال أبو جعفر : سيحلف ، أيها المؤمنون بالله ، لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله إذا انصرفتم إليهم من غزوكم { لِئَعْرَضُوا عَنْهُمْ } فلا تؤنبوهم { فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ } فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق ، إنهم نجس ومصيرهم إلى جهنم )) (٣)

وقال ابن كثير في قوله { فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ } احتقاراً لهم { إِنَّهُمْ رَجَسٌ } أي خُبثاء ، نجس بواطنهم واعتقاداتهم )) (٤)

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ } (٥) . وقال : { وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } (٦) . قال ابن كثير : ))

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٦٣/١ - ٣٦٤ .

(٢) التوبة : الآية ( ٩٥ ) .

(٣) تفسير الطبري : تحقيق : شاکر : ٤٢٥/٢٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : د. محمد البنا : ١٦٩٨/٤ .

(٥) الأحزاب : الآية ( ١ ) .

(٦) الأحزاب : الآية ( ٤٨ ) .

أي تسمع منهم ولا تستشيرهم { وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ }  
 أي من قرآن وسنة ((<sup>(١)</sup> . وقال : (( لا تطعمهم وتسمع منهم  
 في الذي يقولونه { وَدَعَّ أَذَاهُمْ } أي اصفح وتجاوز عنهم  
 وكل أمرهم إلى الله فإن فيه كفاية لهم ، ولهذا قال : { وَتَوَكَّلْ  
 عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا } ((<sup>(٢)</sup> .

وقال الطبري في قوله { وَدَعَّ أَذَاهُمْ } يقول : وأعرض  
 عن أذاهم لك ، واصبر عليه ، ولا يمنعك ذلك عن القيام  
 بأمر الله في عباده والنفوذ كما كلفك ((<sup>(٣)</sup> .

وقال القرطبي : (( أي دع أن تؤذيتهم مجازاةً على إذيتهم  
 إياك ، فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن  
 زلهم ، وفيه معنى ثان : أي أعرض عن أقوالهم وما  
 يؤذونك ولا تشتغل به ((<sup>(٤)</sup> .

وقال السعدي : (( ولما كان ثم طائفة من الناس مستعدة  
 للقيام بصدّ الداعين إلى الله من الرُّسُل وأتباعهم ، وهم  
 المنافقون ، نهى الله رسوله عن طاعتهم ، وحدّره ذلك ،  
 ولكن لا يقتضي هذا أذاهم ، بل لا تطعمهم { وَدَعَّ أَذَاهُمْ } فإن  
 ذلك جالب لهم ، وداع إلى قبول الإسلام وإلى كفّ كثير من  
 أذيتهم له ولأهله ((<sup>(٥)</sup> .

- 
- (١) تفسير القرآن العظيم : ٢٧٧٩/٦ - ٢٧٨٠ .  
 (٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٨٢٨/٦ .  
 (٣) تفسير الطبري ، ط. البابي الحلبي : ١٨/٢٢ .  
 (٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٢٠٢/١٤ .  
 (٥) تيسير الكريم الرحمن : ١٦٠/٤ .

ولقد صبر ﷺ على أذاهم وخداعهم وكيدهم ومرأوغاتهم ، وسيرته تشهد بهذا .

فمن ذلك ما كان من رأس النفاق والمنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول حينما توعد الرسول ﷺ وأصحابه بالإخراج من المدينة :

فقد روى جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قَالَ : (( كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً : فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْبِتَةٌ . فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَقَالَ : فَعَلَوْهَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأُدْلَّ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أُضْرَبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : دَعُهُ ، لَا يَتَّحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ . وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ )) (١) .

وفي حديث زيد بن أرقم قال : (( خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لِأَصْحَابِهِ

(١) البخاري : ٦٨ - التفسير - ٣٨٠ - باب قوله { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ }

... الآية : ٤/١٨٦١ ، رقم ٤٦٢٢ .



: لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ ،  
 وَقَالَ : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ .  
 فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَسَّالَةَ  
 ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ ، قَالُوا : كَذَبَ زَيْدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،  
 فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوا شِدَّةً ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ تَصْدِيقِي  
 فِي : { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ } فَدَعَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ  
 فَلَوْوَا رُءُوسَهُمْ . وَقَوْلُهُ : { حُشْبُ مُسَدَّةٍ } قَالَ : كَانُوا رَجَالًا  
 أَجْمَلَ شَيْءٍ )) (١) .

ثبت بهذه النصوص وغيرها أن النبي ﷺ كان ينتبث من  
 الأخبار ، ويتأكد من القائل نفسه ، يتقرر به ؛ حتى وإن كان  
 المخبر من أصحابه ؛ والمخبر عنه منافقًا معلوم النفاق .

وثبت أيضًا أنه كان يقبل منهم أعدارهم وإيمانهم ،  
 ويُعرض عنهم ويدع أذاهم ، بل ويدعوهم ليستغفر لهم .

فكان من أهم أسباب الصبر عليهم تألف قلوب من يُرجى  
 إيمانه منهم أو ممن هو على شاكلتهم ، وتطبيب خواطر  
 قراباتهم من المؤمنين .

ومن أهم أسباب الصبر عليهم وتحمل أذاهم فسح المجال  
 لقراباتهم وأقوامهم للتعرف على نفاقهم واكتشافه بأنفسهم ،  
 لكي تتكون القناعات في قلوبهم بنفاق هؤلاء واستحقاقهم

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه ، ٣٧٨ - باب { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ

أَجْسَامُهُمْ } ... : ١٨٦٠/٤ ، رقم ٤٦٢٠ .

للعقاب ، وتطمئن برؤية صبر النبي ﷺ عليهم وعفوه وسماحته وكرمه ، حتى يكونوا هم أول من يقوم في وجوههم ويأخذ على أيديهم . ويشهد لهذا ما نقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم (( أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة أرسل إلى عمرَ فدعاه ، فقال له رسولُ الله : أي عمرُ ، أكنت قاتله لو أمرتُك بقتله ؟ قال عمرُ : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : والله لو قتلته يومئذٍ لأرغمتُ أنوف رجالٍ لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه ، فيتحدث الناسُ أنني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبرًا )) (١) .

ويشهد له أيضًا طلب عبدالله بن عبدالله بن أبيٍ فقد روي أنه (( جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبه له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه لآتيك به ، فإني أكره أن أرى قاتل أبي )) (لحميدي) (٢) .

فهذا الهدى النبوي والسياسة الحكيمة منه ﷺ كان لها أعظم الأثر في تبصير الصحابة بنفاق بعض قراباتهم ومشاهدته بأنفسهم ، لكيلا يقع في أنفسهم شيئاً فيما لو

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٣٥/٨ . قال ابن كثير : (( وهذا سياقٌ غريب ، وفيه أشياء لا توجد إلا فيه )) ا.هـ . ولم أقف على تصحيح له ولا تضعيف .

(٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر : ٣٨٨/٣ - ٣٨٩ ، رقم الحديث ٣٧٨٠ ، وقال المحقق : سكت عليه البوصيري .

## عاقبهم النَّبِيُّ ﷺ .

وكان المنافقون يشهدون الخير بين ظهرائي المسلمين ؛ عند رسول الله ﷺ ، ولكنهم محرومون منه بسبب ما انطوت عليه قلوبهم من الخُبث والمكر والخداع والغیظ والحسد ، فلقد كانوا يستمعون القرآن ؛ تنتزِلُ فيه الأوامر والزواجر والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، والتبشير والإنذار ، والتحذير والتذكير ، ما لو نُزِلَ على جبل لرأيته خاشعًا متصدِّعًا من خشية الله .

ولو أنَّهم طهَّروا قلوبهم من أرجاسها وأحقادها وأضغانها ، وأحسنوا نياتهم ومقاصدهم في ابتغاء الحقِّ لهُدُوا إلى صراطٍ مستقيم ، ولكنهم أبوا إلاَّ العناد والاستكبار واتباع الهوى . وقد أخبر الله نبيَّه بأحوالهم ، فقال تعالى : { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } (١) .

**وقال تعالى :** { وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنُوا الَّذِينَ فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَنْبِشُونَ = ١٢٤ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ } (٢) . { وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ

(١) سورة محمد : الآية (١٦) .

(٢) التوبة : الآيتان (١٢٤ ، ١٢٥) .

إلى بعض هل يراكم من أحدٍ ثم انصرفوا صرفَ الله قلوبهم بأنهم قومٌ لا يفقهون } (١) .

وقد تنزل القرآن في المنافقين في نحو ست وستين آية من سورة التوبة ، وسبع وعشرين آية من سورة النساء ، وأربع عشرة آية من الأحزاب ، وثلاث عشرة من البقرة ، وعشر من المجادلة ، وست من الفتح ، وبضع آيات من آل عمران ، والمائدة ، والحديد ، وعامة سورة القتال ، والحشر ، والمنافقون ، وجاء ذكر المنافقين في عامة السور المدنية .

ومما جاء من المواعظ فيهم ؛ قول الله تعالى : { الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٢) .

{ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا = ٣٨ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا } (٣) .

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا = ٦١ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ

(١) التوبة : الآية ( ١٢٧ ) .

(٢) آل عمران : الآية ( ١٦٨ ) .

(٣) النساء : الآيتان ( ٣٨ ، ٣٩ ) .

بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا  
{ (١) .

**وقوله تعالى :** { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ  
اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا  
يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا = ٦٦ وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ مِنْ  
لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا = ٦٧ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } (٢) .

**وقوله تعالى :** { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ  
النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ  
لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ  
اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا = ٧٧ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ  
كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ  
تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ  
الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا = ٧٨ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ  
اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى  
بِاللَّهِ شَهِيدًا = ٧٩ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا  
أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا = ٨٠ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ  
عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ  
فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا = ٨١ أَفَلَا

(١) النساء : الآيتان ( ٦١ ، ٦٢ ) .

(٢) النساء : الآيات ( ٦٦ - ٦٨ ) .

يَتَذَبَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا  
كَثِيرًا { (١) .

**وقوله تعالى :** { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا = ١٣٨  
الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَّتُهُمْ عِنْدَهُمُ  
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } (٢) .

**وقوله تعالى :** { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ  
تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا = ١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ  
وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ  
أَجْرًا عَظِيمًا = ١٤٦ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ  
وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا } (٣) .

**وقوله تعالى :** { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي  
الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } (٤) .

**وقوله تعالى :** { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا  
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٥) .

**وقوله تعالى :** { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ

(١) النساء : الآيات ( ٧٧ - ٨٢ ) .

(٢) النساء : الآيتان ( ١٣٨ ، ١٣٩ ) .

(٣) النساء : الآيات ( ١٤٥ - ١٤٧ ) .

(٤) التوبة : الآية ( ٤٩ ) .

(٥) التوبة : الآية ( ٥١ ) .

رَاغِبُونَ { (١) .

**وقوله تعالى :** { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ } (٢) .

**وقوله تعالى :** { وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ } (٣) .  
**وأمر الله نبيه ﷺ أن يعلمهم التوحيد والإيمان ، والقضاء والقدر ، فقال :** { قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا = ١٦ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (٤) . **وقوله تعالى :** { قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (٥) .

**وقوله تعالى :** { لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا = ٦٠ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتُّلُوا نَفْتِيلًا = ٦١

(١) التوبة : الآية ( ٥٩ ) .

(٢) التوبة : الآية ( ٦٤ ) .

(٣) التوبة : الآية ( ٦٨ ) .

(٤) الأحزاب : الآيتان ( ١٦ ، ١٧ ) .

(٥) الفتح : الآية ( ١١ ) .

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } (١) .

**وقوله تعالى :** { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا } (٢) .

**وقوله ﷺ :** { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ = ٢٨ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ = ٢٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قَلْعَ قَتْنِهِمْ بِسَيِّمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ } (٣) .

**وقوله تعالى - واعظًا لهم بمصيرهم الذي ينتظرهم يوم القيامة - :** { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ = ١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ = ١٤ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (٤) .

**أما في السنة النبوية :**

**فمن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قالوا يا**

(١) الأحزاب : الآيات ( ٦٠ - ٦٢ ) .

(٢) محمد : الآية ( ٢٤ ) .

(٣) محمد : الآيات ( ٢٧ - ٣٠ ) .

(٤) الحديد : الآيات ( ١٣ - ١٥ ) .



رَسُولَ اللَّهِ ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّهَيْرَةِ ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَأَوَّلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا .

قَالَ فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ : أَيُّ فُلٍ ! أَلَمْ أَكْرَمَكَ ، وَأَسَوَّدَكَ ، وَأَزَوَّجَكَ ، وَأَسَحَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ ، وَأَدْرَكَ نَرَأْسُ وَتَرَبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى . قَالَ فَيَقُولُ : أَفَطَنَنْتَ أَلَّا تَكُ مَلَأِي ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أُنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي ...

ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ! أَمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ ، وَصَلَّيْتُ وَصَمَّمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ، وَيَبْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ . فَيَقُولُ : هَاهُنَا إِذَا . قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نُبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُحْتَمُّ عَلَى فِيهِ . وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلِحْمِهِ وَعَظَامِهِ : انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ فَخِذَهُ وَلِحْمَهُ وَعَظَامَهُ بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ (١) مِنْ نَفْسِهِ . وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ (( ٢) .

قال القرطبي : (( وقوله للثالث : ( هاهنا إذا ؟ ) يعني :

(١) ( ليعذر ) من الإعذار ، والمعنى ليزيل الله عذره من قبيل نفسه بشهادة أعضائه عليه فلا يبقى له عذر أو حجة يتمسك بها . وأما الذي ليس بمُحَقِّ فهو المعدر على جهة المفعَل ، لأنه الممرض والمقصر يعتذر بغير عذر . وقال الرّازي : إن ابن عباس كان عنده أن المعدر بالتشديد هو المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة ، والمُعذر بالتخفيف الذي له عذر . مختار الصحاح ، ص ١٧٧ .

(٢) مسلم : ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق : ٢٢٧٩/٤ - ٢٢٨٠ ، رقم ٢٩٦٨ ، مختصراً .

أهاهنا تكذب ، وتقول غير الحق؟!!

وذلك أنّ هذا المنافق أنجاه كذبه ونفاقه في الدنيا من سفك دمه ، واستباحة ماله ، فاستصحب الكذب إلى الآخرة ، حتّى كذب بين يدي الله تعالى )) (١) .

وفي هذا الحديث وعظ منه ﷺ بالإخبار بالمصير الذي سيصيرُ إليه المنافق إذا مات على نفاقه ولم يتب .

وعن ابن عمرَ ، عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ (٢) بَيْنَ الْعَنَمَيْنِ ؛ نَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً » (٣) .  
وفي رواية : « تَكْرُفُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً » (٤) .

وفي هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ تصويرٌ دقيق لحال المنافق في الحيرة والتردد بين المؤمنين والكافرين إلى أيهما ينحاز ، وفيه وعظٌ وتنبيه لهم أن يربأوا بأنفسهم عن ذلك ، ويخرجوا ممّا هم فيه .

وعن عبدالله بن كعب عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ ، نُفَيْئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً ، وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً . وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ

(١) المُفْهَم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : ط. دار ابن كثير . والكلم الطيّب ( ٤٠ ) كتاب ذكر الموت وما بعده - ( ١٩ ) باب : شهادة أركان الكافر عليه يوم القيامة : ١٩٨/٧ .

(٢) العائرة : المترددة الحائرة : لا تدري أيهما تتبع .

(٣) مسلم : ٥٠ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٦/٤ ، رقم ٢٧٨٤ .

(٤) المصدر السابق : رواية بعد الحديث السابق مباشرة .

كالأرزة ، لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة» (١) .

قال المباركفوري : « فكذاك المنافق يقلُّ بلاؤه في الدنيا  
لئلا يخفَّ عذابه في العقبى » (٢) .

وقال الحافظ : « قال المهلب : حتى إذا أراد الله هلاكه  
قصمه ، فيكون موته أشدَّ عذاباً عليه ، وأكثر ألمًا في خروج  
نفسه » (٣) .

وفي هذا المثل منه ﷺ تحذيرٌ للمنافق أن لا يغترَّ بصحته  
وقوته ، وإنذاراً له لكيلا يبقى على نفاقه ، فإنَّ الله سيأخذه  
دفعة واحدة كانجعاف الأرزة .

(١) البخاريّ : ٧٨ - كتاب المرضى ١ - باب ما جاء في كفارة المرض :  
٢١٣٧/٥ ، رقم ٥٣١٩ .

والخامة : الغضّ الرطب من النبات . مختار الصحاح ، ص ٨١ ،  
والأرزة : بسكون الراء : شجر الصنوبر . مختار الصحاح ، ص ٦ .  
انجعافها : انقلاعها . النهاية : ٢٧٦/١ .

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذيّ : ١٦٦/٨ ، شرح حديث  
رقم ٣٠٢٦ .

(٣) الفتح : ١١١/١٠ ، شرح الحديث رقم ٥٦٤٣ .

## الفصل الثالث

### عدم توقييرهم أو الاستنخاف لهم أو الصلاة عليهم والقيام على قبورهم

كان النَّبِيُّ ﷺ يُعرض عن المنافقين ، ويعظهم ، ويدع أذاهم ، ويصبر عليهم ، إلاَّ أَنَّهُ كان ينهى عن توقييرهم وتعظيمهم وتسويدهم ، والرَّفْع من مكانتهم وشأنهم ؛ فعن بُريدة بن الحصيبي قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ : سَيِّدٌ . فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أُسْخِطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ » (١) .

وكان ﷺ يستغفر لهم ويُصَلِّي عليهم حتَّى نهاه رَبُّهُ ﷻ ؛ فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : « لَمَّا تُوقِيَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ أَبِي ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكْفِنُ فِيهِ أَبَاهُ ، فَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِتَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تُصَلِّي عَلَيْهِ ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ مَا خَيْرَنِي اللَّهُ فَقَالَ : { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً } وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ ، قَالَ : إِنَّهُ مُنَافِقٌ . قَالَ :

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : ( ٨٣ ) - باب لا يقول المملوك ( ربي ) و ( ربي ) ، رقم الحديث ٤٩٧٧ ، وصححه الألباني ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٣٧٠ .

فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } (١) . زاد مسلم في رواية له : { قَالَ فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ } (٢) .

وفي حديث ابن عمر عند البخاري ، قال : { ... فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ : تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ؟ ... قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ : { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تَوْا وَهُمْ فَاسِقُونَ } (٣) .

وفي حديث عمر ، قال : { ... فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَنَبَّتْ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أُنْصَلِّي عَلَى ابْنِ أَبِي وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا وَكَذَا ؟ قَالَ : أُعِدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : أَخْرَجْتَنِي يَا عُمَرُ . فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ : إِنِّي خَيْرْتُ فَأَخْتَرْتُ ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُعْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَلَمْ يَمُكُثْ إِلَّا يَسِيرًا (٤) ، حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَاتَانِ مِنْ بَرَاءَةِ : { وَلَا

(١) البخاري : ٦٨ - التفسير ، التوبة ١٦٠ - باب { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... } : ١٧١٥/٤ ، رقم ٤٣٩٣ .

(٢) مسلم : ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤١/٤ ، رقم ٢٧٧٤ .

(٣) البخاري : الموضوع السابق عند البخاري ، برقم ٤٣٩٥ .

(٤) عُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلِ النَّهْيُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ عُلِمَ نِفَاقُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ

تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا { إِلَى قَوْلِهِ : { وَهُمْ فَاسِقُونَ } .  
 قَالَ : فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَاللَّهِ  
 وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ » (١) .

قال الحافظ : « وكان النَّبِيُّ ﷺ في أوَّل الأمر يصبر على  
 أذى المشركين ويعفو ويصفح ، ثُمَّ أمر بقتال المشركين ،  
 فاستمرَّ صفحُه وعفوه عمَّن يظهر الإسلام ولو كان باطنه  
 على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير عنه ،  
 ولذلك قال : « لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » . فلما حصل  
 الفتح ودخل المشركون في الإسلام ، وقلَّ أهل الكفر وذلُّوا ؛  
 أمر بمجاهرة المنافقين ، وحملهم على حكم مرِّ الحقِّ ، ولا  
 سيِّما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة  
 على المنافقين ، وغير ذلك ممَّا أمر فيه بمجاهرتهم . قال  
 الخطابي : ( إِنَّمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَاعِلٍ  
 لِكَمَالِ شَفَقَتِهِ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ بِطَرْفٍ مِنَ الدِّينِ ، وَلِتَطْيِيبِ قَلْبِ  
 وَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وَلِتَأْتِيفِ قَوْمِهِ مِنَ الْخَزْرَجِ  
 لِرِيَاسَتِهِ فِيهِمْ ، فَلَوْ لَمْ يَجِبْ سَوْأَلُ ابْنِهِ وَتَرْكُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ  
 قَبْلَ وَرُودِ النَّهْيِ الصَّرِيحِ لَكَانَ سَبِّةً عَلَى ابْنِهِ وَعَارًا عَلَى  
 قَوْمِهِ ، فَاسْتَعْمَلَ أَحْسَنَ الْأَمْرَيْنِ فِي السِّيَاسَةِ إِلَى أَنْ نُهِيَ ؛  
 فَانْتَهَى ) . وقد أخرج الطبري من طريق سعيد ، عن قتادة

صلى النَّبِيُّ ﷺ على ابن أبي .

(١) البخاري : الموضوع السابق : برقم ٤٣٩٤ .

في هذه القصة قال : فذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال : « وما يغني عنه قميصي من الله ، وإنني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه » (١) (( ٢)

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير : ٤٠٩/١٤ ، رقم ١٧٠٥٨ ، وقد حسنه د. الحميدي في رسالته « المنافقون في القرآن الكريم » ، ص ٤٣٦ ، وسكت عنه شاكر .

(٢) فتح الباري : ٦٥ - كتاب التفسير ١٢ - باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم : ١٨٥/٨ ، شرح حديث رقم ٤٦٧٠ في الفتح .

## الفصل الرابع

### جهادهم والإغلاظ عليهم

قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ  
وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ } (١) ، وقال  
مهذّباً ومتوعداً المنافقين : { لئن لم ينته المنافقون والذين في  
قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة لئنغرينك بهم ثم لا يجاورونك  
فيها إلا قليلاً = ٦٠ ملعونين أينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً =  
٦١ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً }  
(٢) .

قال ابن منظور : « والجهد : المبالغة واستفراغ الوسع  
في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء » (٣) .

وقال ابن القيم : « فالجهاد أربع مراتب : جهاد النفس ،  
وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين .

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب : بالقلب ، واللسان  
، والمال ، والنفس ، وجهاد الكفار أخص باليد ، وجهاد

---

(١) التوبة : الآية ( ٧٣ ) ، وكذلك هي في سورة التحريم : الآية ( ٩ ) .

(٢) الأحزاب : الآيات ( ٦٠ - ٦٢ ) .

(٣) لسان العرب : مادة جهد : ١٣٥/٣ .



### المنافقين أخصُّ باللسان .

وقد اختلفت عبارات السلف في حقّ الجهاد ، فقال ابن عباس : هو استقراغ الطاقة فيه ، وألا يخاف في الله لومة لائم ، وقال عبدالله بن المبارك : هو مجاهدة النفس والهوى .

وكان رسول الله ﷺ في الدروة العليا منه ، واستولى على أنواعه كلّها ، فجاهد في الله حقّ جهاده ؛ بالقلب والجنان ، والدعوة والبيان ، والسيف والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، بقلبه ولسانه ويده ، ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً .

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه ؛ وقال : { وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا = ٥١ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } (١) .

فهذه سورة مكيّة أمر فيها بجهاد الكفار بالحجّة والبيان ، وتبليغ القرآن ، وكذلك جهاد المنافقين : إنّما هو بتبليغ الحجّة ، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ } .

فجهادُ المنافقين : أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهادُ خواصّ الأمة ، وورثة الرُّسل ، القائمون به أفراد في العالم ،

(١) الفرقان : الآية (٥٢) .

والمشاركون فيه ، والمعاونون عليه ، وإن كانوا هم الأقلين عدداً ، فهم الأعظمون عند الله قدراً )) (١) .

وأما الغِلظ فقال القرطبي : نقيض الرأفة ، وهي شدة القلب على إحلال الأمر بصاحبه ، وليس ذلك في اللسان ، فإنَّ النبي ﷺ قال : إِذَا زَنَّتْ أُمَّهُ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُتْرَبْ (٢) عَلَيْهَا ، ومنه قوله تعالى : { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } ، ومنه قول النسوة لعمر : أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ .

ومعنى الغِلظ : خشونة الجانب . وهذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصلح والصفح )) (٣) .

فالفظ هو الجافي ، والغليظ القلب : القاسي القلب غير ذي رحمة ولا رأفة )) (٤) .

أما قوله تعالى : { لئن لم يننّه المنافقونَ } فقال القرطبي أيضاً : (( أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد )) (٥) .

أما الإرجاف فهو إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به ،

- 
- (١) زاد المعاد : ٩/٣ ، ١١ ، ٨ ، ٥ على التوالي ، مع الاختصار .
  - (٢) أي لا يوبخها ، ولا يقرعها بالزنى بعد الضرب . النهاية : ٢٠٩/١ .
  - (٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٢٠٥/٨ .
  - (٤) تفسير الطبري : ٣٤١/٧ ، تحقيق : شاکر .
  - (٥) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٥/٨ .

وقيل : تحريك القلوب ، والرّجفان : الاضطراب الشديد ((  
(١)

وقوله تعالى : { لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ } (( أي لنسلطنك عليهم  
فتستأصلهم بالقتل )) (٢) .

أمّا في صفة جهاد الكفّار والإغلاظ عليهم فلا إشكال ،  
لكن الاختلاف في كيفية جهاد المنافقين ، فقد نقل الطبري  
قول بعضهم : (( أمره بجهادهم باليد واللسان وبكلّ ما أطاق  
جهادهم به . ( عن ابن مسعود : { جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ } ،  
قال : بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلمه ،  
فإن لم يستطع فليكفره في وجهه )) (٣) .

وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان : عن ابن  
عبّاس : ( فأمره الله بجهاد الكفّار بالسيف ، والمنافقين  
باللسان وأذهب الرّفق عنهم ) .

وقوله : { وَاعْظُ عَلَيْهِمْ } واشدد عليهم بالجهاد والقتال  
والإرهاب (٤) .

وممن ذهب إلى استمرار الترفّق بهم والصبر على أذاهم

(١) المرجع السابق : ٢٤٦/١٤ .

(٢) المرجع السابق : ٢٤٦/١٤ .

(٣) تفسير الطبري : تحقيق : شاكر : ٢٥٨/١٤ ، وقد استعرض شاكر  
سند الأثر موثقاً رجاله .

(٤) المصدر السابق : ٢٥٨/١٤ - ٢٦٠ .

واحتمال جفاءهم الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب (( المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم )) حيث يقول في هذه المسألة : (( قوله ﷺ لعمرَ حين قال : « دعني أضرب عنق هذا المنافق : « لا يَنحَدُّ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » دليلٌ على أن المنافقين الذين علم نفاقهم في عهد رسول الله ﷺ كانوا مستحقين للقتل ، لكن امتنع النبي ﷺ من ذلك لئلا يكون قتلهم منقراً لغيرهم عن الدخول في الإسلام ؛ لأنَّ العرب كانوا أهل أنفةٍ وكبرٍ بحيث لو قتل النبي ﷺ هؤلاء المنافقين لنفر من بعد عنهم ، فيمتنع من الدخول في الدين ، وقالوا : هو يقتل أصحابه ، ولغضب من قُرب من هؤلاء المنافقين ، فتهيج الحروب ، وتكثرُ الفتن ، ويمتنع من الدخول في الدين ، وهو نقيض المقصود ، فعفا النبي ﷺ عنهم ، ورفق بهم ، وصبرَ على جفائهم وأذاهم ، وأحسن إليهم حتَّى انشرح صدر من أراد الله هدايته ، فرسخ في قلبه الإيمان ، وتبين له الحقُّ اليقين ، وهلك عن بيئة من أراد الله هلاكه ، وكان من الخاسرين ، ثمَّ أقام النبي ﷺ مستصحباً لذلك إلى أن توفاه الله تعالى ، فذهب النفاق وحكمه لأَنَّهُ ارتفع مسمّاه واسمه .

وقد ذهب غيرُ واحدٍ من أئمتنا إلى أنّ المنافقين يُعفى عنهم ما لم يُظهروا نفاقهم ، فإنَّ أظهره قُتلوا ، وهذا أيضاً يُخالف ما جرى على عهد النبي ﷺ ، فإنَّ منهم من أظهر نفاقه ، واشتهر عنه حتَّى عُرِف به ، والله أعلم بنفاقه ، ومع

ذلك لم يُقتلوا لما ذكرناه .

وقد وضح من هذا الحديث إبطال قول من قال إن النبي ﷺ لم يقتل المنافقين لأنه لم تقم بينة معتبرة بنفاقهم ؛ إذ قد نصّ فيه على المانع من ذلك ، وهو غير ما قالوه .

وفيه ما يدلُّ على أنّ أهون الشرِّين يجوز العملُ على مقتضاه إذا اندفع به الشرُّ الأعظم .

وفيه القول بصحة الذرائع ، وعلى تعليل نفي الأحكام في بعض الصور بمناسب لذلك النفي) (١) .

(١) المفهم : ( ٣٤ ) كتاب البر والصلة ( ١٥ ) باب النهي عن دعوى الجاهلية : ٥٦١/٦ - ٥٦٣ ، مختصراً من شرح حديث رقم ٢٤٩٢ .

**مسألة جليلة : ( تعلق الأحكام في الدنيا بالإيمان الظاهر دون الباطن وإجرائها على المنافقين ما لم يظهروا كفراً بواحاً وقيموا عليه ) .**

وهذه المسألة ذات صلة وطيدة وارتباط وثيق بالنفق وأحكامه ، وفهمها من المهمّات ، إذ يُبنى عليه التعامل مع المنافقين ، والالتباس في فهمها يؤدي إلى الاضطراب في التعامل معهم .

فالأحكام في الدنيا تترتب على الإسلام أي الإيمان الظاهر ولا تتعلق بالإيمان الباطن لأنّه لا يعلمه إلا الله ، ولم نؤمر بالتنقيب عن قلوب النّاس .

قال شيخ الإسلام : « فيجب أن يُفرّق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها النّاس في الدنيا وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب ، فالمؤمن المستحقّ للجنة لا بدّ أن يكون مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة » (١) .

ولا ينبغي الربط بين الإيمان الظاهر والإيمان الباطن عند إجراء الأحكام .

قال - رحمه الله - : « لأنّ الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة ، فإنّ المنافقين الذين قالوا : { ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } هم

(١) الإيمان ، لشيخ الإسلام ، ص ٢٠٣ .

في الظاهر مؤمنون ، يصلُّون مع النَّاسِ ، ويصومون ، ويحجُّون ، ويغزون ، والمسلمون يناحكونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ .

ولم يحكم النَّبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر ، لا في مناححتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك ، بل لما مات عبدالله بن أبي بن سلول - وهو من أشهر النَّاسِ بالنفاق - ورثه ابنه عبدالله وهو من خيار المؤمنين ، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون ، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين ، وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته ، هل يرث ويورث ؟

على قولين ، والصحيح أنَّه يرث ويورث وإن علم في الباطن أنَّه منافق ، كما كان الصحابة على عهد النَّبي ﷺ لأنَّ الميراث معناه على الموالاة الظاهرة ، لا على المحبة التي في القلوب ، فإنَّه لو عُلق بذلك لم تمكن معرفته ، والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة عُلق الحكم بمظنتها وهو ما أظهره من موالاة المسلمين ، فقول النَّبي ﷺ : « لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم » لم يدخل فيه المنافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار ، بل كانوا يورثون ويرثون ، وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين ، وقد أخبر الله عنهم أنَّهم يصلُّون ويزكُّون ، ومع هذا لم يقبل ذلك منهم ، فقال : { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا

يُفْفُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارَهُونَ } (١) .

وقال : (( وكذلك المنافقون الذين لم يظهرُوا نفاقهم يصلُّو عليهم إذا ماتوا ، ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النَّبِيِّ ﷺ ، والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياته خلفائه وأصحابه يدفن فيها كلُّ من أظهر الإيمان وإن كان منافقاً في الباطن ، ولم يكن للمنافقين مقبرة يتميِّزون بها عن المسلمين في شيءٍ من ديار الإسلام ، كما تكون لليهود والنصارى مقبرة يتميِّزون بها ، ومن دُفن في مقابر المسلمين صلَّى عليه المسلمون ، والصلاة لا تجوز على من علِّم نفاقه بنصِّ القرآن ، فعُلم أن ذلك بناءً على الإيمان الظاهر ، والله يتولَّى السرائر ، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ يصلِّي عليهم ويستغفر لهم حتَّى تُهي عن ذلك ، وعلل ذلك بالكفر ، فكان ذلك دليلاً على أن كل من لم يعلم أنه كافر بالباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له وإن كانت فيه بدعة وإن كان له ذنوب )) (٢) .

**تعامل النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه مع المنافقين بعد تنزُّل الفاضحة وآيات التهديد**

**من سورة الأحزاب :**

أمر الله نبيّه ﷺ في هذه السورة بجهاد المنافقين والإغلاظ عليهم وهددهم في الأحزاب بالتقتيل والتشريد ،

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .



فحينما سمعوها كُبتوا ، وكنتموا نفاقهم بعد أن كانوا يظهرونه قبلُ .

قال شيخ الإسلام : « ولهذا تنازع الفقهاء في استنابة الزنديق - (والزنديق هو المنافق) - فقيل : يستتاب ، واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل أمرهم إلى الله ، فيقال له : هذا كان في أول الأمر ، وبعد هذا فأنزل الله : { مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا } فعلموا أنهم إن أظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا ، فكنتموه .

والزنديق هو المنافق ، وإنما يقتله من يقتله إذا ظهر منه أنه يكتم النفاق ، قالوا : ولا تُعلم توبته ، لأن غاية ما عنده أنه يظهر ما كان يظهر ، وقد كان يظهر الإيمان وهو منافق ، ولو قبلت توبة الزنادقة لم يكن سبيلٌ إلى تقتيلهم ، والقرآن قد توعدّهم بالتقتيل )) (١) .

وقال : « لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله : ( ومنهم ، ومنهم ) صار يعرف نفاق ناس منهم لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك ، فإن الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم ، وما كان الناس يجزمون بأنها مستلزمة لنفاقهم ، وإن كان بعضهم يظن ذلك ، وبعضهم يعلمه ، فلم يكن نفاقهم معلوماً عند الجماعة ، بخلاف حالهم لما نزل القرآن ، ولهذا لما

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

نزلت سورة براءة كتموا النفاق ، وما بقي يمكنهم من إظهاره أحياناً ما كان يمكنهم قبل ذلك .

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : { لئن لم يِنَّه المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا = ٦٠ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا = ٦١ سِنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا } فَلَمَّا تُوعِدُوا بِالْقَتْلِ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ ، كَتَمُوهُ (١) .

وقال في معاملة النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه لهم أيضاً :

« وكان النَّبِيُّ ﷺ أولاً يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهاه الله عن ذلك ، فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم .

ولكن دماؤهم وأموالهم معصومة لا يستحلّ منهم ما يستحلّه من الكفار الذين لا يظهرون أنّهم مؤمنون ، بل يظهرون الكفر دون الإيمان ، فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ : « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللهِ » . وَقَالَ : « إِنِّي لَمْ أُمَرَ أَنْ أَتَقَبَّ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ » . فكان حكمه في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحلّ منها شيئاً إلاّ بأمر ظاهر ، مع أنّه كان يعلم نفاق كثير منهم ، وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه ، وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون الذين لا يعلمون أنّه منافق ، ومن علم أنّه منافق لم

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

يصلّ عليه .

وكان عمر إذا مات ميّت لم يصلّ عليه حتّى يصلي عليه حذيفة ، لأنّ حذيفة كان قد علم أعيانهم ، والله تعالى لما أمره في الكفّارة بعثت رقبة مؤمنة ، لم يكن على الناس أن لا يعتقدوا إلاّ من يعلموا أن الإيمان في قلبه ، فإنّ هذا كما لو قيل لهم : اقتلوا إلاّ من علمتم أن الإيمان في قلبه ، وهم لم يؤمروا أن ينقبوا عن قلوب الناس ولا يشقّوا بطونهم ، فإذا رأوا رجلاً يظهر الإيمان جاز لهم عتقه .

وصاحب الجارية لما سأل النبي ﷺ هل هي مؤمنة ؟ إنّما أراد الإيمان الظاهر الذي يفرّق به بين المسلم والكافر . وكذلك من عليه نذر لم يلزمه أن يعتقد إلاّ من علم أن الإيمان في قلبه ، فإنّه لا يعلم ذلك مطلقاً ، بل ولا أحد من الخلق يعلم ذلك مطلقاً .

وهذا رسول الله ﷺ أعلم الخلق ، والله يقول له : { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ } .

فأولئك إنّما كان النبي ﷺ يحكم فيهم كحكمه في سائر المؤمنين ، ولو حضرت جنازة أحدهم صلى عليها ، ولم يكن منهيّاً عن الصلاة إلاّ على من علم نفاقه ، وإلاّ لزم أن ينقب عن قلوب الناس ويعلم سرائرهم وهذا لا يقدر عليه بشر .

وبهذا يظهر الجواب عن شبهات كثيرة تورّد في هذا المقام ، فإنّ كثيراً من المتأخّرين ما بقي في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق ، وأعرضوا عن حكم المنافقين .

والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة )) (١) .

- وممن ذهب إلى تغير الحكم في المنافقين بعد قوّة المسلمين : الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إذ يقول : « وكان النَّبِيُّ ﷺ في أوّل الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح ، ثمّ أمر بقتال المشركين ، فاستمرّ صفحه وعفوه عمّن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفير ، ولذلك قال : « لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » ، فلما حصل الفتح ودخل المشركون في الإسلام ، وقلّ أهل الكفر ، وذلّوا ، أمر بمجاهرة المنافقين وحملهم على حكم مرّ الحقّ ، ولا سيّما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة على المنافقين ، وغير ذلك ممّا أمر فيه بمجاهرتهم )) (٢) .

- ومنهم أيضاً الإمام أبو جعفر الطبري ، فقد اعتبره أولى الأقوال عنده بالصواب . قال : « وأولى الأقوال في

(١) الإيمان ، لشيخ الإسلام ابن تيميّة : ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، على الترتيب ، وباختصار في بعض المواضع .

(٢) فتح الباري : ٦٥ - كتاب التفسير ١٢ - باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم : ١٨٥/٨ ، شرح حديث رقم ٤٦٧٠ .

تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود : أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين .

فإن قال قائل : فكيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك .

وأما من إذا أُطِع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها ؛ أنكرها ورجع عنها وقال : ( إني مسلم ) فإنَّ حُكْمَ اللَّهِ في كلِّ من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقن بذلك له دمه وماله ؛ وإن كان معتقداً غير ذلك .

وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر . فلذلك كان النبي ﷺ مع علمه بهم وإطلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم ، كان يُقرهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبته الحرب على الشرك بالله ؛ لأنَّ أحدهم كان إذا أُطِع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكر ، وأظهر الإسلام بلسانه .

فلم يكن ﷺ يأخذه إلا بما أظهر له من قوله عند حضوره وعزمه على إمضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ؛ ودون اعتقاد ضميره الذي لم يُبِح الله لأحدٍ الأخذ به في الحكم ، وتولى الأخذ به هو دون خلقه ((

(١)

## الخلاصة :

كان النبي ﷺ يصبر على أذى المنافقين ، ولا يقابل أذاهم بالعقاب ، إنما يعفو ويصفح ويتألفهم ، ويقبل ظواهرهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، ويستغفر لهم ، ويصلي على أمواتهم ، ويقوم على قبورهم ، ويجري عليهم أحكام الإسلام كاملة كالإرث ، والعنق ، والكفارات ، وغيرها . وهم يصلون ويزكّون ويحجّون ويجاهدون مع النبي ﷺ سوى من نكص في بعض الغزوات ، وكانوا إذا تخلّفوا عن غزوة جاءوه فاعتذروا إليه ، فقبل أذارهم وعفا عنهم .

وإذا أظهروا نفاقاً وأخذوا به حلفوا للرسول ﷺ ما قالوه ، فيقبل أيمانهم ويعفو عنهم ، فلما نزلت سورة الفاضحة ( براءة ) وأمر فيها بجهادهم والإغلاظ عليهم ، كُتبتوا ، وكنتموا نفاقهم ، ولم يعودوا يجرؤا على إظهاره .

وكفّ عن الاستغفار لهم والصلاة عليهم والقيام على قبورهم ، ومع ذلك فإنّ إظهارهم للإسلام لم يزل يعصم دماءهم وأموالهم وأعراضهم .

فلم يكن يأخذهم ﷺ عند إمضاء الحكم فيهم إلاّ بما ظهر له من أقوالهم ، وأقرّوا به عنده ، وأقاموا عليه . دون ما سلف منهم ، ودون ما يبطنونه .

(١) تفسير الطبري : ٣٦٠/١٤ ، تحقيق : شاکر .

عملاً بمنهجه ﷺ : « فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » ، وقوله ﷺ : « لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » .

فإن قيل : لم يقتل الذين اشتهروا بالنفاق وعُرف عنهم ؟ قيل : قد أخذ ﷺ بأقل الشرين ، واندفع بمقتضاه أعظم الشرين ، وتحقق بموجبه مصلحة عظيمة ، وهي انشراح صدور كثير من المنافقين للإيمان فرسخ في قلوبهم وتبيين لهم الحق المبين .

وإن قيل لم يقتل الذين أطلعهم الله على نفاقهم وتأكد لديه أنهم كفار في الباطن ، قيل : قد نُهي عن قتلهم .

كما جاء في حديث العقبة التي بين المدينة وتبوك ، وهو حديث طويل ، وقد جاء النبي ﷺ من العقبة ، وأراد المنافقون الفتك برسول الله ﷺ ، فحينما سأل أسيد بن حضير عن سبب سلوكه العقبة ، وترك الوادي ، وأخبره بما هم به المنافقون ، كان ممّا قال : وإن أحببت - والأذي بعثك بالحق - فنبئني بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم . قال : « يا أسيد إنني أكره أن يقول الناس : إن محمدًا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم » .

وفي رواية : « إنني أكره أن يقول الناس : إن محمدًا لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه » . فقال : يا رسول الله ، فهؤلاء ليسوا بأصحاب ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى [ ولا شهادة

لهم [ قال : « أليس يُظهرون أنّي رسول الله ؟ » ] . قال : بلى ولا شهادة لهم ، قال : « فقد نُهيت عن قتل أولئك » (١) .

وقال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن تعليق الأحكام بالإيمان الظاهر : « ... كان النبي ﷺ يمتنع من عقوبة المنافقين ، فإنّ فيهم من لم يكن يعرفهم كما أخبر الله بذلك ؛ والذين كان يعرفهم لو عاقب بعضهم لغضب له قومُه ؛ ولقال الناس : إن محمداً يقتل أصحابه ؛ فكان يحصل بسبب ذلك نفور عن الإسلام ؛ إذ لم يكن الذنب ظاهراً ، يشترك الناس في معرفته .

ولما همّ بعقوبة من يتخلف عن الصلاة ، منعه من في

(١) سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَاد : ٤٦٦/٥ - ٤٦٧ ، وقال محققوه : « أخرج البيهقي في الدلائل : ٢٥٧/٥ ، وانظر المغازي للواقدي : ١٠٤٣/٣ ، ١٠٤٤ ، والدُرُّ الْمُنْتَوِر : ٢٥٩/٣ ، وابن كثير في البداية والنهاية : ١٩/٥ » .

قال في مجمع الزوائد : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح : ١٩٥/٦ .

وقال العُمَرِيُّ : « مسند أحمد : ٣٩٠/٥ - ٣٩١ ، بإسناد حسن » . انظر : السيرة النبوية الصحيحة : ٥٣٦/٢ في الهامش .

وقال صاحب السيرة في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٦٣٠ : بإسناد حسن ، ويشهد للقصة بالصحة ما رواه مسلم : ٢١٤٤/٤ ح ٢٧٧٩ .



البيوت من النساء والدُّرِيَّةُ)) (١) .

فَعُلِمَ من حديث النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قد نُهِيَ عن كلِّ من أظهر الشهادتين (إِلَّا بحَقِّها) . هذا والنبي ﷺ قد أطلع الله على ما تكُنُّه قلوب هؤلاء ، فكيف بغيره ؟

وَعُلِمَ أيضًا أن كلَّ من ظهر منه نفاقًا وأخذ به ، وجيء به إلى النَّبِيِّ ﷺ فأنكر ولاذ بالشهادتين - سواءً من المنافقين أو من المشركين (( كما قال خالد : إنَّما قالها تعوُّدًا ، قال : أشققت عن بطنه ؟ )) - لم يؤاخذ به ، وقُبِلَ ظاهره .

أما من أظهر نفاقًا وأخذ به ، ثمَّ أقام عليه ولم يُنكر بل أصرَّ على ما أبطنه فإنَّه يأخذ حكمًا آخر ، ويخرج من الإسلام ويدخلُ في الرِّدَّةِ وبهذا يصبحُ الجُرْمُ واضحًا يشترك النَّاسُ في معرفته ، ويكون أمرًا بيِّنًا لا لبس فيه ولا غموض ، وبهذا يُطبَّقُ عليه قوله ﷺ : (( مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ )) (٢) .

ولم أقف فيما اطلعتُ عليه أن النَّبِيَّ ﷺ قتل منافقًا .

(١) مجموع الفتاوى : ٤٢٢/٧ - ٤٢٣ .

(٢) البخاريّ : ٦٠ - الجهاد ١٤٧ - باب لا يُعدَّبُ بعذاب الله : ١٠٩٨/٣ ، رقم ٢٨٥٤ .

## الفصل الخامس

### محاصرتهم والتضييق عليهم وتهديدهم

لقد كان من أهم آثار السياسة الحكيمة التي انتهجها النبي ﷺ مع المنافقين ، والتي كان أهمها الصبر عليهم وترك معاقبتهم أن فسح المجال للناس ليطلعوا على نفاقهم عن كثب ، حتى إذا فاضت قلوبهم بكراهية النفاق وأهله كانوا هم الذين يأخذون على أيدي مظهري النفاق عتاباً ، وتعنيفاً ، وطرداً ، وإبعاداً . وفي مقدمتهم قومهم وأهلهم وقراباتهم .

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق في السيرة قال :

« فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، وكان عبدُالله بن أبي بن سلول ، كما حدّثني ابن شهاب الزُّهري ، له مقامٌ يقومه كلَّ جمعة لا يُكْرَهُ ، شرقاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريكاً ،

إذا جلس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخُطب الناس ، قام فقال : أيُّها الناس ، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه (١) واسمعوا له وأطيعوا ، ثمّ يجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع .

---

(١) عزّروه : التعزير : الإعانة والتوقير والنصر مرّة بعد مرّة . النهاية : ٢٢٨/٣ .

ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أي عدوّ الله ، لستَ لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأئما قلتُ بُجراً<sup>(١)</sup> أن قمتُ أشدد أمره .

**فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد فقال : مالك ؟**  
**ويملك ! قال : قمتُ أشدد أمره ، فوثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويُعنّفونني ، لكأئما قلتُ بجرّاً أن قمتُ أشدد أمره . قال : ويملك ! ارجع يستغفر لك رسولُ الله ﷺ ؛ قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .**

**قال ابن إسحاق : كان يوم أحد يوم بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحق به المنافقين ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخفٍ بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته** ((<sup>(٢)</sup> .

**فهذا من الردع والكبت لرأس النفاق ، وقد جاء من**

(١) بُجراً : أي عظيماً ، والبُجر هو الأمر العظيم الداهي . ومن رواه هُجراً بالهاء المضمومة فهو الكلام القبيح . السيرة النبوية لابن هشام مع شرح الخشني : ١٥٣/٣ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي ذرّ الخشني : ١٥٣/٣ ، وهذا مستفيض في السيرة ، فقد نقله الذهبيّ عن البكائي عن ابن إسحاق ، سير أعلام النبلاء ، السيرة النبوية : ٤٤٠/١ ، وكذا صاحب سُبُل الهدى والرشاد : ٢٣١/٤ ، كلهم عن ابن إسحاق ، ولم أقف على من درسه حديثاً .

الصَّحَابَةَ ﷺ ، وفيه من الدُّلِّ والإهانة ما فيه لعدوِّ الله ، وهذا مما يُقَلِّل من شأنه ويردعه عن التَّمادي والإيغال في النِّفاق .  
ومن محاصرتهم وتضييق الخناق عليهم ما أمر الله به نبيِّه ﷺ بشأن مسجد الضرار ، وما ذُكر من هدمه وتحريقه .

وفي هذا يقول الله تعالى : { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } ١٠٧ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ... } <sup>(١)</sup> ... الآية .

روى الإمام الطبري في سبب نزولها عن ابن عباس قوله : { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا } وهم أناس من الأنصار ابنتوا مسجدًا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوَّةٍ ومن سلاح ، فإني ذاهبٌ إلى قيصر ملك الروم ، فأتي بجندٍ من الروم ، فأخرج محمدًا وأصحابه ! فلما فرغوا من مسجدهم ، أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنُحِبُّ أَنْ تَصَلِّيَ فِيهِ ، وتدعو لنا بالبركة ! فأنزل الله فيه : { لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا } ... إلى قوله : { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } <sup>(٢)</sup> .

(١) التوبة : الآيتان ( ١٠٧ ، ١٠٨ ) .

(٢) تفسير الطبري : ٤٧٠/١٤ ، تحقيق شاکر ، رقم ١٧١٨٧ ، لم يعلّق

قال الشيخ أكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة : « وامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار الذي بنوه وأحرقه » (١) .

« ووصلت بهم الجرأة على الله ورسوله أن بينوا مسجداً قبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه ويديروا حلقات تأمرهم على المسلمين ، ويأملوا في مجيء أبي عامر الفاسق من عند الروم بجيش يغزو المدينة .

لكن الله فضح حقيقة نواياهم ، فامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة فيه ثم أحرقه عندما عاد من تبوك » (٢) .

قال السعدي - رحمه الله - : « فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويحرقه ، فهُدم وحُرق وصار بعد ذلك مزبلة » (٣) .

ومن محاصرة النبي ﷺ لهم ما ورد في السيرة أنه : « بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة

---

عليه - رحمه الله - ، لكن صاحب السيرة في ضوء المصادر الأصلية يقول في تخريجه له : « بإسناد صحّحه الدكتور السندي : الذهب المسبوك ، ص ٣١٦ ، وقال : وقد احتجّ به أهل التفسير ورجاله ثقات ما عدا المثنى وعبدالله بن صالح ، وانظر الروايات في هذا عند السندي : الذهب المسبوك ، ص ٣١٤ - ٣١٩ .

انظر هذا في السيرة في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٦٢٠ .

(١) السيرة النبوية الصحيحة : ٥٢٧/٢ .

(٢) السيرة في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ ، مختصراً .

(٣) تيسير الكريم الرحمن : ٢٨٦/٢ .

تبوك ، فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبيدالله في نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجليه ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا )) (١) .

وفي السيرة أيضاً ، قال ابن إسحاق :

« وكان ممن تعوّد بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود : وذكرهم ، ثم قال : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناسٌ ، فرآهم رسولُ الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسولُ الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ... » (٢)

وقد ذكرهم وذكر من أخرجهم .

وأما تهديدهم فقد أنزل الله ﷻ جملة من ذلك .

منها : قول الله تعالى : { لئن لم ينته المنافقون والذين في

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام بشرح أبي ذرّ الخشني : ٢١٧/٤ ، ٢١٨ ، باختصار ، وفي سند ابن هشام انقطاع ، لأنّ فيه تعديلٌ على الإبهام ، فالحديث ضعيف .

(٢) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ٢٠٠ ، وهو مستفيض في السيرة ، ولم أقف على من حكم عليه حديثياً .

فَلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا = ٦٠ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا نَفْتِيلًا { (١)

**وقول الله تعالى :** { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهْزَؤُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ } (٢) .

**وقوله تعالى :** { ... فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (٣) .

**ومنها قوله تعالى :** { فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٤) .

**وقال تعالى :** { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ } (٥) .

(١) الأحزاب : الآيتان ( ٦٠ ، ٦١ ) .

(٢) التوبة : الآية ( ٦٤ ) .

(٣) التوبة : جزء من الآية ( ٧٤ ) .

(٤) التوبة : الآية ( ٨٢ ) .

(٥) التوبة : الآية ( ٧٣ ) .

## الفصل السادس

### كشف خطتهم ومؤامراتهم وإبطالها

للمنافقين بالتعاون مع اليهود أو المشركين أو منفردين مخططات كثيرة وكبيرة لإفشال الدعوة الإسلامية وذلك في أشخاص معتنقيها ، تارة بالتشكيك في الدين ، وتارة بالتفريق بين المسلمين ، وتارة بالإرجاف ، وتارة بالتحزين ، وأخرى بإحكام المؤامرات لاغتيال الرأس ؛ رأس الدعوة إلى الله وقائد الدعوة إلى الله المصطفى ﷺ .

وفي هذه المرّة كان مخطّطهم تحزين المسلمين على قتلاهم وتشكيكهم في دينهم ، وتفريقهم عن النبي ﷺ .

ومن أسوأ أساليبهم إظهار الفرح والشماتة بالمسلمين ، لما أصابهم . قال ابن كثير في البداية والنهاية : ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء . قال موسى بن عُقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين ؛ في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ ، وتحزين المسلمين ، وظهر غشّ اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فور المرّجل ، وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أُصيب منه ما أُصيب ، ولكنه طالب مُلك ؛ تكون له الدّولة وعليه .

وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم



أطعمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم ، فأنزل الله في  
طاعة من أطاع ، ونفاق

من نفاق ، وتعزية للمسلمين يعني فيمن قُتل منهم ، فقال : { وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } ((١)) (٢) .

(( وهكذا حاول اليهود والمنافقون أن يفقدوا المؤمنين ثقتهم بدينهم ونبيهم وأن يشوهوا عقيدتهم الصافية نحو قضاء الله وقدره وحكمته .

ولما كان هذا المخطط الخبيث الذي قاموا به ربما يؤثر على بعض المؤمنين أنزل الله تعالى الآيات القرآنية تجلي الحقائق ، وتكشف الشبهات ، وتزيل عن نفوس المؤمنين ما قد يعلق بها من الوسوس ((٣) .

وهي أيضا تعزيهم وتواسيهم وتطمئن قلوبهم وتذهب الحزن عنهم وتمنحهم الاستعلاء بالإيمان .

ومما نزل في ذلك ، قول الله تعالى : { وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ = ١٣٩ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ

(١) آل عمران : الآية (١٢١) .

(٢) البداية والنهاية : ٤/٤٢٥ ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، قال د. عبدالعزيز الحميدي : وموسى بن عقبة هو ابن أبي عيَّاش الأسدي مولى آل الزبير ، وهو ثقة فقيه ، إمام في المغازي ، من الطبقة الخامسة ، ولم يصح أن ابن معين لئنه . مات سنة إحدى وأربعين ومائة ، وقيل بعد ذلك . انظر : ((المنافقون)) له ، ص ١٣٠ بالهامش .

(٣) المنافقون في القرآن الكريم ، للدكتور عبدالعزيز الحميدي ، ص ١٣٠ .

فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ = ١٤٠  
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ <sup>(١)</sup> . قال ابن  
إسحاق في قول الله تعالى : { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ }  
أي نُصَرِّفُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ وَالتَّمْحِصِ ، { وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا ... } أي لِيُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالمُنَافِقِينَ ، { وَاللَّهُ لَا  
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } أي المُنَافِقِينَ الَّذِينَ يظهرون بِالسُّنَنِهِم الطَّاعَةَ  
، وَقُلُوبُهُمْ مَصِيرَةٌ عَلَى المَعْصِيَةِ <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا  
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ } <sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : { ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى  
طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ  
الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ  
يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ  
مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى  
مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } <sup>(٤)</sup> .

(١) آل عمران : الآيات ( ١٣٩ - ١٤١ ) .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام : ١٦٠/٣ .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٤٩ ) .

(٤) آل عمران : الآية ( ١٥٤ ) .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (١) .

{ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ = ١٦٦ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ = ١٦٧ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَن أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٢) .

{ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (٣) .

{ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ... } (٤) .

قال ابن إسحاق : (( فأنزل الله النُّعاس أمانة منه على أهل اليقين به فهم نيامٌ لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم

(١) آل عمران : الآية ( ١٥٦ ) .

(٢) آل عمران : الآيات ( ١٦٦ - ١٦٨ ) .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٧٦ ) .

(٤) آل عمران : الآية ( ١٧٩ ) .

يظنون بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله ﷻ تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم . ثمّ قال الله لنبيّه : { فُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ } لم تحضروا هذا الموطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم لأخرج الذين كُتِبَ عليهم القتل إلى مضاجعهم ، إلى موطن غيره يُصرعون فيه حتّى يبتلّي به ما في صدورهم .

ثمّ قال : { لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ... } أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله .

ويقولون إذا ماتوا أو قُتِلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتِلوا (١) .

وفي قوله تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْفِي الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ } قال : ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليعلم الذين نافقوا منكم ، أي ليظهر ما فيهم .

{ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاتَّبِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا } يعني عبدالله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ حين سار إلى عدوّه من المشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكننا لا نظنّ أنّه يكون قتال ، فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم . وهم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان ، { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذرّ الخشنّي : ١٦٦/٣ .

في قلوبهم { أي يُظهرون لك الإيمان ، وليس في قلوبهم }  
 الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ { الَّذِينَ أُصِيبُوا مَعَكُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ  
 وَقَوْمِهِمْ : } لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلُوبًا فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ { أي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ  
 تَدْفَعُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلُوا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَافَقُوا وَتَرَكَوا  
 الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حِرْصًا عَلَى الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا ، وَفِرَارًا مِنَ  
 الْمَوْتِ } (١) .

(( { وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ } أي المنافقون .  
 { حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ } أي المنافقين )) (٢) .

أما في هذه المرّة فكان مخطّط المنافقين ؛ اغتيال  
 النَّبِيِّ ﷺ والفتك به غيلة بليّة لا يعلمهم أحد ، قال صاحب  
 سُبُلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ :

روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل ، والبيهقي عن حذيفة ،  
 وابن سعد عن جبير بن مطعم ﷺ ، وابن أبي حاتم وأبو  
 الشيخ عن الضحاك ، والبيهقي عن عروة ، والبيهقي عن  
 ابن إسحاق ، ومحمّد بن عمر عن شيوخه  
 -رحمهم الله تعالى - أن رسول الله ﷺ لما كان ببعض  
 الطريق مكر به ناسٌ من المنافقين وائتمروا بينهم أن  
 يطرحوه من عَقَبَةٍ فِي الطَّرِيقِ . وفي رواية كانوا قد أجمعوا

(١) المصدر السابق ، الموضع نفسه ، ص ١٦٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٧٣/٣ - ١٧٤ ، مختصراً .

أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، فجعلوا يلتمسون غرته ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه ، وقالوا : إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي ، فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم ، فلما بلغ رسول الله ﷺ تلك العقبة نادى مناديه للناس : إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، واسلكوا بطن الوادي ، فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادي إلا النفر الذين مكروا برسول الله ﷺ لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا ، وسلك رسول الله ﷺ العقبة ، وأمر عمّار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة ويقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه ، فبينما رسول الله ﷺ يسير من العقبة إذ سمع حسّ القوم قد عَشَوْه ، فنقروا ناقة رسول الله ﷺ حتى سقط بعض متاعه ، وكان حمزة بن عمرو الأسلمي لحق برسول الله ﷺ بالعقبة ، وكانت ليلة مظلمة ، قال حمزة : فنور لي في أصابعي الخمس ، فأضاءت حتى جمعت ما سقط من السوط والحبل وأشباههما ، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم ، فرجع حذيفة إليهم ، وقد رأى غضب رسول الله ﷺ ومعه محجن ، فجعل يضرب وجوه رواحلهم ، وقال : إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى ، فعلم القوم أن رسول الله ﷺ قد اطّلع على مكرهم ، فانحطوا من العقبة مُسرعين حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله ﷺ ، فقال : اضرب الراحلة يا حذيفة ، وامش أنت يا عمّار ، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها ، وخرج رسول الله ﷺ من العقبة ينتظر الناس ،

وقال لحذيفة : هل عرفت أحدًا من الركب الذين رددتهم ؟ قال : يا رسول الله قد عرفت رواحلهم ، وكان القوم متلثمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل . قال : هل علمتم ما كان من شأنهم وما أرادوا ؟ قالوا : لا والله يا رسول الله . قال : فإيهم مكروا ليسيروا معي فإذا طلعت العقبة زحْمُونِي فَطَرَحُونِي منها - إن شاء الله تعالى - قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وسأخبركم بهم إن شاء الله تعالى ، قالوا : أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تُضْرَب أعناقهم ؟ قال : أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إنَّ مُحَمَّدًا قد وضع يده في أصحابه ، فسماهم لهما ، ثمَّ قال : اكتماهم ، فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لي .

فلما أصبح رسولُ الله ﷺ قال له أُسَيْدُ ابنُ الحُضَيْرِ : يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي ؟ فقد كان أسهل من العقبة ؟ فقال : أتدري يا أبا يحيى أتدري ما أراد بي المنافقون وما هموا به ؟ قالوا : نتبعه من العقبة ، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي ، فقال أُسَيْدُ : يا رسول الله ، قد اجتمع الناس ونزلوا ، فمُرُّ كُلَّ بطن أن يقتل الرَّجُلَ الَّذِي هَمَّ بهذا ، فيكون الرَّجُلُ من عشيرته هو الَّذِي يقتله ، وإن أحببت - والَّذي بعثك بالحق - فنبنني بأسمائهم فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم . قال : « يا أُسَيْدُ إنِّي أكره أن يقول النَّاسُ : إنَّ مُحَمَّدًا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم »

وفي رواية : « إنِّي أكره أن يقول النَّاسُ : إنَّ مُحَمَّدًا لما أنقضت



الحربُ بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه» . فقال : يا رسول الله ، فهؤلاء ليسوا بأصحاب ، فقال رسول الله ﷺ : « أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بلى [ ولا شهادة لهم ] قال : « أليس يُظهرون أنني رسول الله ؟ » . قال : بلى ولا شهادة لهم ، قال : « فقد نُهيت عن قتل أولئك » (١) .

وهكذا كان مخطط هؤلاء المنافقين القضاء على رسول الله ﷺ ، ولم يعلموا أن الله على كل شيء شهيد ، وأنه غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . فقد أحبط الله مخططهم على يدي نبيّه محمّد ﷺ وردّهم على أعقابهم خاسرين .

فقد ورد عند البيهقي عن حذيفة بن اليمان قال : كنت أخذًا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقودُ به ، وعمّار يسوقه ، أو أنا أسوقه وعمّار يقودُه ، حتّى إذا كُنّا بالعقبة فإذا أنا بאתني عشر راكبًا ، قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهتُ رسول الله ﷺ بهم ، فصرخ بهم ، فولّوا مدبرين ... » (٢) . الحديث .

وقد ذكرت الروايات عن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قد دعا عليهم ، قال : « اللهم ارمهم بالدُّبيلة ، قلنا : يا رسول الله ! وما الدُّبيلة ؟ قال : شهابٌ من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » (٣) .

(١) سبق تخريجه في خلاصة المبحث الرابع .

(٢) دلائل النبوة ، للبيهقي : ٢٦٠/٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦٠/٥ .

وقد أمره ﷺ بجمعهم فقال : « فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم » (١) .  
 (( فجمعهم رسول الله ﷺ وهم اثنا عشر رجلاً الذين  
 حاربوا الله ورسوله وأرادوا قتله ، فأخبرهم رسول الله ﷺ  
 بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلانيتهم ، وأطلع الله ﷻ نبيه  
 على ذلك بعلمه ، ومات الاثنا عشر منافقين محاربين لله  
 تعالى ورسوله . وذلك قول الله ﷻ : { وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا } )) (٢)

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال : قال النبي ﷺ : « في  
 أصحابي اثنا عشر مُنَافِقًا ، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في  
 سم الخياط . ثمانية منهم تكفيكهم الدنيا ، وأربعة ... لم أحفظ ما قال  
 شُعْبَةُ فِيهِمْ » (٣) .

(١) المصدر السابق : ٢٥٨/٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٩/٥ .

(٣) صحيح مسلم : ٥٠ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢١٤٣/٤ ،  
 رقم ٢٧٧٩ .

## الفصل السابع

### منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين

للنبي ﷺ في التعامل مع فتن المنافقين وما ينجم عنها من  
مواقف أحوال عدّة :

أولاً : إذا كان النفاق الصادر عنهم ترك طاعة .

مثل الجهاد ، فمنهجه ﷺ : الإعراض عنهم وتركهم  
والمُضيّ فيما هو بصدده .

ثمّ التنبيه فيما بعد وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وإزالة ما  
قد يعلق بالقلوب من آثار الفتنة .

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق قال : « حتّى إذا كانوا  
بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبدُالله بن أبيّ ابن  
سلول بثُلث النَّاس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري  
علامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيُّها النَّاس ! فرجع بمن اتّبعه من  
قومه من أهل النفاق والرّيب ، واتبعهم عبدُالله بن عمرو بن  
حرام ، أخو بني سلمة يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألاّ تخذلوا  
قومكم ونبيّكم عندما حضر من عدوّهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنّكم  
تُقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنّه يكون قتالٌ . قال :  
فلما استعصوا عليه وأبوا إلاّ الانصراف عنهم قال : أبعدكم

الله أعداءَ الله ، فسُيُعْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ . قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْحَاقَ : وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى سَلَكَ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ ((<sup>(١)</sup>)

قال الحافظ : (( نزل فخرج بهم وهم ألف رجل ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، حتى نزل بأحد ، ورجع عنه عبدالله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فبقي في سبعمائة ، فلما رجع عبدالله سَقَطَ في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة ، وصف المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالسبحة وتعَبُّوا للقتال )) (<sup>(٢)</sup>) .

وقد أرادوا بهذا المخطط الخبيث الغادر إحداث فتنة للمسلمين في دينهم واختلاف بينهم في وقتٍ حرجٍ لا يحتمل الاختلاف ؛ فقد ساروا معهم إلى قُرب وصولهم ميدان المعركة ليتأكدوا أن القتال كائن لا محالة ، ثم يشقون عصا الطاعة ويخرجون عن جماعة المسلمين وينكصون بثلاث الجيش على مرأى ومسمع من الصحابة ليفتوا في عضد النبي ﷺ وأصحابه ويثيروا الفتنة بينهم ، ويحدثوا الاضطراب والبلبلة والدُّعْر ، والحُزْنَ والانكسار في قلوب المؤمنين إذا رأوا العدو وكثرته وقوته في حين ينهزم ثلث

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، مع شرح أبي ذرّ الخشني : ٩٣/٤ . وقد

أخرجه - رحمه الله - بغير إسناد .

(٢) فتح الباري : ٦٤ - كتاب المغازي ١٧ - باب غزوة أحد : ٤٠١/٧ .

الجيش وينكصون على أعقابهم .

فقد كان لنكوصهم من مشارف أرض المعركة وبحضرة العدو ، أعمق الأثر في إحداث ما يُخطّطون له . وهو أبلغ مما لو تخلفوا كعادتهم واعتذروا وحلفوا .

إذ هو مدعاة لنكوص طوائف أخرى ، وفتح الطريق أمامها ، وتجربتها على النبي ﷺ وأصحابه ، وقد أحدثوا بصنيعهم هذا موقفاً إعلامياً قوياً شاهده الصحابة بأعينهم ، ولا يخفى على المشركين ، ولا يبعد أن تقوى به معنوياتهم . وقد كاد يحصل لهم بعض ما أرادوا لولا أن ثبت الله المؤمنين ؛ مصداق ذلك في قول الله تعالى : { إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (١) . وهما بنو حارثة وبنو سلمة كما مرّ آنفاً .

وقد كانت معالجة النبي ﷺ لهذا الموقف بالإعراض عنه وعدم الالتفات إليه ، إذ ورد في رواية ابن إسحاق قوله : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة . أي أنه أعرض عنهم ﷺ واشتغل بإيصال جيشه إلى أرض المعركة والإعداد والتخطيط له .

أمّا ما كان من عبدالله بن عمرو بن حرام ، فإذا ثبتت هذه الرواية وهي رواية مرسلّة لابن إسحاق عن شيوخه (٢) ، فهو اجتهاد منه ﷺ لم أقف على رواية تنصّ على أنّ

(١) آل عمران : الآية ( ١٢٢ ) .

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري : ٣٨٢/٢ .

النَّبِيِّ ﷺ أمره بذلك ، ولم أقف أيضاً على إقراره ﷺ لها .  
 لكن القرآن أثبت دعوتهم واعتذارهم بعُدْرٍ واهٍ . قال الله  
 تعالى : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ  
 لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ }  
 (١)

وإعراض النَّبِيِّ ﷺ عنهم في هذه المواقف هو منهجه ،  
 وقد تأكد فيما بعد في غزوة تبوك كما قال ابن إسحاق : ثُمَّ  
 مضى رسول الله ﷺ سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرَّجُلُ  
 فيقولون : يا رسول الله ! تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن  
 يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد  
 أراحكم الله منه (( ٢) .

ثُمَّ بعد هذا الحدث وانقضاء المعركة عقب الله بأكثر من  
 ستين آية من سورة آل عمران ، منها جملة آيات في  
 المنافقين .

من ذلك ؛ قول الله تعالى : { الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا  
 لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا فُلٌ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
 } (٣) .

(١) آل عمران : الآية ( ١٦٧ ) .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام : ٢٢٧/٤ ، ولم أقف على من صحَّها .

(٣) آل عمران : الآية ( ١٦٨ ) .

قال ابن كثير : (( قال مجاهد ، عن جابر بن عبدالله :  
نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي بن سلول )) (١) .

وفي هذه الآية تصحيح لاعتقادهم الباطل في القضاء  
والقدر ، وأنه لا تلازم بين الخروج والقتل ، ولا بين القعود  
في البيوت والسلامة من الموت ، بل إن قدر الله آتٍ لا  
محالة في ميدان المعركة أو في البيوت أو في أي مكان .

أما في غزوة الأحزاب ( الخندق ) فقد أخذ المخطئ  
شكلاً آخر ، يتمثل في الإرجاف والتخذيل عن الجهاد وعدم  
الوقوف مع النبي ﷺ في حفر الخندق وفي وجوه الأعداء  
بعد حفر الخندق .

وكان منهجه ﷺ هو نفسه : الإعراض عنهم ؛ والإذن  
لمن كان يستأذن في الذهاب إلى البيت ، وترك النبي ﷺ  
والصحابه يعملون في الخندق .

وقد نزلت الآيات تقصُّ ما كان يقوله المنافقون ،  
وأَسباب استئذانهم النبي ﷺ وتُصحِّح اعتقادهم في أسباب  
الموت ، وتصف حالة الهلع التي كانوا يعيشونها ، وهي  
تُشعر بأنها نزلت بعد انقضاء أحداث الغزوة .

ونختار منها ثلاث آيات :

قال الله تعالى : { فُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ

(١) تفسير القرآن العظيم : ٨٠٥/٢ .

أَوْ الْقَتْلَ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (١) .

قال شيخ الإسلام : « فأخبر الله أن الفرار لا ينفع من الموت ولا من القتل . والفرار من القتل كالفرار من الجهاد . وحرف ( لن ) ينفي الفعل في الزمن المستقبل . والفعل نكرة . والنكرة في سياق النفي تعم جميع أفرادها . فافتضى ذلك : أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبدًا . وهذا خبرُ الله الصادق . فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله في خبره » (٢) .

وقوله تعالى : { قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (٣) .

قال شيخ الإسلام : « ونظيره : قوله في سياق آيات الجهاد : { أَيْتِمًا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ } .

فمضمون الأمر : أن المنايا محتومة . فكم ممّن حضر الصفوف فسلم ، وكم ممّن فرّ من المنية فصادفته ، كما قال خالد بن الوليد - لما احتضر - لقد حضرت كذا وكذا صقًا . وإنّ ببديني بضعا وثمانين ، ما بين ضربة بسيف وطعنة

(١) الأحزاب : الآية (١٦) .

(٢) الفتاوى : ٤٥٣/٢٨ .

(٣) الأحزاب : الآية (١٧) .



برمح ، ورمية بسهم . وهأنذا أموتُ على فراشي كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء )) (١) .

وقال تعالى : { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا } (٢) .

قال شيخ الإسلام : (( قال العلماء : كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة ، فإذا جاءهم أحد قالوا له : ويحك ! اجلس . فلا تخرج ، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر : أن اتنونا بالمدينة ، فإننا ننتظركم . يثبطونهم عن القتال . وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بُدًّا . فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم . فإذا عُفِل عنهم عادوا إلى المدينة . فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ ، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيد . فقال : أنت هاهنا ، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف ؟ قال : هلم إليّ ، فقد أحيط بك وبصاحبك )) (٣) .

فهذا طرف من الآيات التي فضحتهم ووصفت حالتهم النفسية المضطربة ، وحالة الهلع والخوف التي يعيشونها بسبب نفاق قلوبهم ، فإنَّ النفاق ومرض القلوب يوجب

(١) الفتاوى : ٤٥٤/٢٨ ، ٤٥٥ .

(٢) الأحزاب : الآية ( ١٨ ) .

(٣) الفتاوى : ٤٥٥/٢٨ .

الرَّيْبِ فِي الْأَنْبَاءِ الصَّادِقَةِ الَّتِي تَوْجِبُ أَمْنَ الْإِنْسَانِ» (١) .  
وهكذا في غزوة تبوك أيضاً ، فإنَّ أكثر ما ينجم النفاق  
في حال القتال وخوف المنافقين من الموت .

ثانياً : إذا نجم النفاق في هيئة فعلٍ يفعلونه وأطلعهم الله عليه قبل وقوعه :

عُلم ما خَطَطَ له المنافقون لاغتيال النَّبِيِّ ﷺ في العقبة  
بين تبوك والمدينة ، وكان أوَّل ما فعله النَّبِيُّ ﷺ أن أمر  
النَّاسَ أن يسلكوا الوادي ؛ وسلك هو العقبة ، وعندما اقترب  
منه المنافقون صاح بهم وأمر حذيفة أن يردَّهم ، وأخذ  
حذيفة يضرب وجوه رواحلهم .

ثمَّ أمره بضرب راحلته ، وأمر عمَّاراً أن يمشي - أي  
يجدَّ في السير - حتَّى استتوا بأعلاها .

ومن هديه ﷺ أمرهما بكتمانهم حيثُ قال : « اكنمهم » .  
وقد طلب إليه الأمر بقتلهم وأبى ، وقال : « إني أكره أن يتحدَّث  
النَّاسُ ويقولون : إنَّ محمَّداً قد وضع يده في أصحابه » (٢) .

ومن حكيمته ﷺ عدم التشهير بهم .

ومن هديه ﷺ معهم أن أمر بجمعهم بعد الحادثة ،  
فأخبرهم ﷺ بقولهم ومنطقهم وسرَّهم وعلانياتهم . وفي  
بعض الروايات أخذ يؤنبهم على صنيعهم ، ويقول بعضهم

(١) كما قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : انظر الفتاوى : ٤٥٠/٢٨ .

(٢) سبق تخريجه .

لبعض : ( ويحك ما حملك على أن تقول الذي قلت ؟ ) .  
 ومن هديه ﷺ الدعاء عليهم ، كما قال حذيفة : كما رواه  
 البيهقي : ودعا عليهم رسول الله ﷺ فقال : « اللهم ارمهم  
 بالدُّبَيْلَةِ » (١) .

وبهذا أبطل النَّبِيُّ ﷺ مخطئهم وأخمدَ فتنهم بعده ،  
 وصبر ﷺ على أذاهم ، ومضى الأمر وكأنَّ شيئاً لم يكن بين  
 الجيش

ثالثاً : إذا أظهروا نفاقاً في غيبته ولم يطلعه الله عليه .

ومن الأمثلة التطبيقية عليه ما حدث من المنافقين في  
 غزوة المريسيع .

قال صاحب السيرة النبوية الصحيحة :

« وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي  
 يضمرونه للإسلام والمسلمين ، فكُلِّمًا كسب الإسلام نصرًا  
 جديدًا ازدادوا غيظًا على غيظهم ، فلما انتصر المسلمون  
 في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين  
 المهاجرين والأنصار .

فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول ﷺ في نفسه  
 وأهل بيته ، فشئوا حربًا نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك

(١) سبق تخريجه .

التي اختلقوها)) (١) .

عن جابرٍ رضي الله عنه قال : (( غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ تَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا . وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا ، فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟ ثُمَّ قَالَ : مَا سَأَلْتُمْ ؟ فَأُخْبِرَ بِكُسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْتِ سَلُولٍ أَقْدَ : تَدَاعَوْا عَلَيْنَا ؟ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ .

فَقَالَ عُمَرُ : أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ )) (٢) .

وفي لفظ : (( فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ ، وَفِيهِ أَيْضًا : أَوْقَدَ فَعَلُوا )) (٣) .

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري : ٤٠٨/٢ . ( اختلقوها ) . الأولى

استعمال اصطنعوها ، لأنَّ الخلق لله وحده .

(٢) البخاري : ٦٥ - المناقب ٩ - باب ما يُنهى من دعوى الجاهلية : ١٢٩٦/٣ ، رقم ٣٣٣٠ .

(٣) المصدر السابق ٦٨ - التفسير ٣٨٢ - باب قوله : { يُقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا

إِلَى الْمَدِينَةِ } الآية : ١٨٦٣/٤ ، رقم ٤٦٢٤ .

فسمّعها الله رسوله : أي مقولة الجاهلية .

وفي مُرْسَلٍ لابن أبي حاتم ذكر القصة وقال : فتداعوا إلى أن حُجِرَ بينهم . فانكفأ كلُّ منافقٍ إلى عبدالله بن أبيّ فقالوا : كنتَ تُرجى وتدفع ، فصرت لا تضرّ ولا تنفع ، فقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلّ ... ((<sup>(١)</sup> .

وهذه القصة تدلُّ على أن هذه المشكلة بين الأنصاري والمهاجري قد انتهت ، لقوله : (( إلى أن حُجِرَ بينهم )) ، لكن المنافقين انتهزوا هذه المناسبة ليشعلوا نار الفتنة بين المسلمين من باب إثارة العصبية ، وأن هذه الأرض هي أرض الأنصار ، وأن المهاجرين قد ضايقوهم في أرضهم كما تذكر الروايات . فبدأ هذه الفتنة بقوله : أو قد فعلوا ؟

قال ابن إسحاق : فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ . فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُرُّ به عبّاد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدّث النَّاسُ أن محمّداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل النَّاسُ . ثمّ مشى رسول الله ﷺ بالنَّاسِ يومهم ذلك حتّى أمسى ، وليلتهم حتّى أصبح ، وصدّر يومهم ذلك حتّى آذنتهم الشَّمْسُ ، ثمّ نزل بالنَّاسِ ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّاً

(١) فتح الباري ٦٥ كتاب التفسير ٥ - باب قوله : { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ } : ٥١٦/٨ ، وقال : وهو مرسل جيّد .

الأرض فوقعوا نياماً .

وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبيي<sup>(١)</sup> .

فكان علاج النبي ﷺ لهذه الفتنة على ثلاث مراحل :

الأولى : علاجه للموقف الأول بقوله : « مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ » ، وقوله : « دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَهَةٌ » ، « دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ » . في إحدى الروايات .

الثانية : تثبته من زيد بن أرقم نفسه عن مقولة عبدالله بن أبيي ، رغم أن عمه أو عمر هو الذي أخبر النبي ﷺ . فلم يكتف حتى دعاه هو بنفسه ليتأكد من الخبر ممن سمعه بأذنه . بل لم يكتف بذلك حتى دعا المنافق وأصحابه فحلفوا ما قالوا . وهذا فيه عبرة عظيمة للدعاة والعلماء ومن ولي أمراً من أمور المسلمين بوجوب التثبت في مثل هذه الأمور . فقد قال زيد : « فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي ، فَذَكَرَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَدَعَانِي فَحَدَّثَنِي ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ ،

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الخشنى : ٤٠٣/٣ - ٤٠٤ ، مختصراً .

ونقل بعضه العمري ، وقال سيرة ابن هشام من طريق ابن إسحاق عن ثلاثة من شيوخه الثقات مرسلأ ويؤيده مرسل جيد من مراسيل عروة بن الزبير ، فتح الباري : ٦٤٩/٨ . وأصله في الصحيحين . انظر السيرة النبوية الصحيحة : ٤١٠/٢ الهامش .

فَحَلَفُوا مَا قَالُوا ، وَكَذَّبَنِي النَّبِيُّ ﷺ ، وَصَدَقَهُمْ )) (١) ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ صَدَّقَهُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ .

الثالثة : سياسته الحكيمة ﷺ حينما أمر النَّاسَ بِالرَّحِيلِ ، وسار بهم يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس . كلُّ ذلك ليشغلهم عن فتنة المنافقين ، وقد نجح ﷺ في إخماد الفتنة .

الرابعة : إزالة آثار الفتنة وما قد يعلق بالقلوب منها ، وذكر بعض أوصاف المنافقين والتحذير منهم . كلُّ ذلك بتنزُّل سورة المنافقين .

وما إن خرج النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه من هذه الفتنة حتى دخلوا في فتنة أشدَّ من هذه وأعظم ، فسبحان الله ما أكثر الفتن في هذه الغزوة !! وكلها من صنْع المنافقين ؛ فإنَّ حقدهم على النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه ، والإسلام والمسلمين لا ينضب ، وهذه الفتنة الأخيرة ؛ هي كذلك انتهاز مناسبة أيضاً كتلك التي مضت .

ولندع أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تروي الحادثة من حين رجوع الجيش منتصراً من هذه الغزوة وقُربه من المدينة ، قالت : (( فَفُئِمْتُ حِينَ أَدْنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى

(١) البخاريّ : ٦٨ - التفسير ٣٧٩ - باب قوله : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ

لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ } : ٤/١٨٦١ ، رقم ٤٦٢١ .

رَحَلِي ، فَإِذَا عَقِدْتُ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ ، فَالْتَمَسْتُ  
عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرَحُلُونَ  
لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي ، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ  
رَكِبْتُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَلِكَ خِفَافًا ...  
فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ الْهَوْدَجِ ... فَبِعَتُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا .  
فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ ، فَحَبِطْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ  
بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ ، وَظَنَنْتُ  
أَنَّهُمْ سَيَقْدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَنِي عَيْنِي  
فَنِمْتُ . وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَرَأَى  
سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي ، وَكَانَ رَأَانِي قَبْلَ  
الْحِجَابِ ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي ، فَخَمَرْتُ  
وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً  
غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ . حَتَّى أَنَاخَ رَاِحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكَبْتُهَا  
، فَأَنْطَلَقَ يَفُودُ بِي الرَّاحِلَةَ ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا  
مُوغَرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى  
الإِفْكَ : عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولَ ، فَفَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاسْتَكَيْتُ  
شَهْرًا ، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ لَا أَشْعُرُ  
بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ... ) (١) .

وفي رواية لها : (( وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ ،  
وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ... )) (٢) أي عبدالله بن أبي .

(١) البخاريّ : ٦٨ - التفسير / النور ٢٤٤ - باب قوله : { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ  
... } : ١٧٧٤/٤ - ١٧٧٥ ، رقم ٤٤٧٣ ، مختصرًا .

(٢) المصدر السابق والكتاب نفسه ٢٥٠ - باب قوله : { إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ  
...



وقد استغلّ المنافقون هذه المناسبة ، ونسجوا فيها هالة من الكذب والافتراء على أمّ المؤمنين - رضي الله عنها - ، وقد سمّاه الله إفْكَاً .

والذي يهمنّا هنا ما فعله النّبي ﷺ لمعالجة هذه الفتنة وما نجم عنها من مواقف في فتنٍ أخرى نشأت بسببها . وكان علاجه ﷺ على خمس مراحل :

الأولى : وهي ما عبّرت عنه عائشة - رضي الله عنها - بقولها : (( وَهُوَ يَرِيْبُنِي فِي وَجَعِي - أَي قَوْل أَصْحَابِ الْإِفْكِ - أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ : كَيْفَ تَيْكُمُ ؟ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ )) (١) .

فقد ترك النّبي ﷺ التلطف بها جرّاء قول أصحاب الإفك ، فهو بشر يصيبه ما يصيب البشر ، ويعتريه ما يعتريهم ، وقد انقطع الوحي عنه ﷺ شهراً ، فلم يُطلعه الله على حقيقة الأمر بعد .

الثانية : استشارته ﷺ بعض أصحابه في فراق زوجه :

قالت عائشة - رضي الله عنها - : (( قَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -

تَشِيْعُ الْفَاحِشَةُ ... } ، رقم ٤٤٧٩ .

(١) البخاريّ : ٦٨ - التفسير / النور ٢٤٤ - باب قوله : { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ

{ ... : ١٧٧٥/٤ ، رقم ٤٤٧٣ .

حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ، قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَ ، وَمَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ ، قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ : أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا أَعْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنُّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاحِنُ تَأْكُلُهُ» (١) .

وفي رواية لها : (( وَلَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي فَسَأَلَ عَنِّي خَادِمَتِي فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْبًا ، وَأَنْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى أَسْقُطُوا لَهَا بِهِ (٢) ، فَقَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تَبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ ، وَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي قِيلَ لَهُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ كَنْفَ أَنْتَى قَطُّ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فُقِّيلَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ )) (٣) .

(١) المصدر السابق ، الحديث نفسه ، ص ١٧٧٦ .

(٢) صرّحوا لها بالأمر .

(٣) البخاريّ : ٦٨ التفسير / النور ٢٥٠ - باب قوله : { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ... } : ٤/١٧٨١ ، رقم ٤٤٧٩ .

الثالثة : استعذار النبي ﷺ من المنافق عبدالله بن أبي من على منبر المسجد ، وطلبه إلى أصحابه أن يشيروا عليه فيمن اتهموا أم المؤمنين .

قالت عائشة - رضي الله عنها - : (( فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْدَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولَ ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ يَعْذِرُنِي (١) مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي آدَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي .

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ ، قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَلَكِنْ احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ .

فَقَالَ لِسَعْدٍ : كَذَبْتَ لِعَمْرُ اللَّهِ ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ . فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ : كَذَبْتَ لِعَمْرُ اللَّهِ لِنَقْتُلَنَّه ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ نُجَادِلُ

(١) يعذرني : قال ابن منظور : العذير : النصير ، وقال : يقال أعذرتني من هذا أي أنصفتني منه ، وقال في معنى الحديث : أي من يقوم بعذرتي إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني ؟ انظر : مادة عذرتني ، لسان العرب : ٥٤٨/٤ .

عَنِ الْمُنَافِقِينَ .

فَنَتَّوَرَّ الْحَيَّانَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَفْتَنُوا ،  
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ ۖ (١) .

وفي رواية أخرى لها : ثُمَّ قَالَ « أَمَا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسِ  
أَبْنَاؤِ (٢) أَهْلِي ، وَإِنَّمِ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ ، وَأَبْنَاؤُهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ  
مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ ، وَلَا يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ ، وَلَا غَيْبْتُ  
فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِي ۖ » (٣) .

ففي هذه المرحلة من علاج النبي ﷺ لهذه الفتن استعذر  
من المنافق وأشهد أصحابه على صنيعه الآثم ، وأعلن الثقة  
في أهله بعد استقصائه من أقرب الناس التصاقاً بها ،  
خادمتها بريرة ، واستشارة ابن حبه أسامة وصهره وابن  
عمه ؛ علي . وأعلن الثقة أيضاً في الرجل .

وعندما نتاور الحيان ، فبحكمته ﷺ وحِكْمَتِهِ خَفَّضَهُمْ  
وَهَدَّاهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَهَدَّعُوا ، وَسَكَتَ هُوَ ﷺ وَلَمْ يَسْتَمِرَّ فِي  
الْخُطْبَةِ .

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه : ٢٤٤ - باب قوله : { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ  
... } : ١٧٧٦/٤ ، رقم ٤٤٧٣ .

(٢) أبناؤا : اتهموا بفعلة السوء . البخاري ، تفسير سورة النور :  
١٧٨٠/٤ .

(٣) المصدر السابق ، والكتاب نفسه ، رقم الحديث ٤٤٧٩ .

إذ لو استمرّ لاستمرّت الفتنة ولاقتضى إنفاذ استعداره ومعاقبة المنافق لكن سكوته ، وإنهاء الخطبة من حكمته ﷺ .

#### الرابعة : وعظ النبي ﷺ لأهله .

قالت عائشة : (( وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي ، فَلَمْ يَزَالَا حَتَّى دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ صَلَّى الْعَصْرَ ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَدْ اِكْتَنَفَنِي أَبَوَايَ عَن يَمِينِي وَعَن شِمَالِي ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ إِنَّ كُنْتَ قَارَفْتِ سُوءًا ، أَوْ ظَلَمْتِ ، فَتُوبِي إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ . قَالَتْ : وَقَدْ جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَهِيَ جَالِسَةٌ بِالْبَابِ ، فَقُلْتُ : أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَذْكَرَ شَيْئًا . فَوَعظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَالْتَفَتْتُ إِلَى أَبِي ، فَقُلْتُ لَهُ أَجِبْهُ ، قَالَ : فَمَاذَا أَقُولُ ؟ فَالْتَفَتْتُ إِلَى أُمِّي ، فَقُلْتُ : أَجِيبِيهِ ، فَقَالَتْ : أَقُولُ مَاذَا ؟ فَلَمَّا لَمْ يُجِيبَاهُ ؛

تَشَهَّدَتْ فَحَمِدَتْ اللَّهَ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ، وَاللَّهُ ﷻ يَشْهَدُ إِنِّي لَصَادِقَةٌ ، مَا ذَاكَ بِنَافِعِي عِنْدَكُمْ ، لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِهِ وَأَشْرَبْتُهُ فُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ قُلْتُ : إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ ، لَتَقُولَنَّ قَدْ بَاعَتْ بِهِ عَلَى نَفْسِهَا ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا ، وَالْتَمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } وَأُنزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَسَكَّنَا ، فَرُفِعَ عَنْهُ

، وَإِنِّي لَأَتَّبِعُنُ السُّرُورَ فِي وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَمْسَحُ جَبِينَهُ وَيَقُولُ : **أُبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكَ** ((<sup>(١)</sup>).

فهذه فتن المنافقين في هذه الغزوة قد نجّا الله رسوله وأصحابه منها وبراً أهله في قرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة .

المرحلة الخامسة : إزالة آثار الفتنة وما قد يعلق بالقلوب منها ، وبيان المنهج الصحيح في تلقي الشائعات وبعض آداب المجتمع الإسلامي .

فقد أنزل الله تعالى على نبيه بياناً شافياً لهذه الفتنة وإنها خيرٌ للمسلمين وبلاءٌ عظيم على المنافقين ، وتحذيرٌ للمؤمنين أن يشاركوا المنافقين في فتنهم أو يُجرّوا إليها أو يتكلموا في أعراض المؤمنين ، فإنّ الكلام فيهم هو كلامٌ في أنفسهم . قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ }<sup>(٢)</sup> الآيات بعدها .

(١) البخاريّ : ٦٨ التفسير / النور ٢٥٠ - باب قوله : { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ

تَشِيْعَ الْفَاحِشَةَ... } : ٤/١٧٨٢ ، رقم ٤٤٧٩ .

(٢) النور : الآية ( ١١ ) .

## الفصل الثامن

### إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم

تولى الله في كتابه الكريم كشف صفات المنافقين وعلاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، وضرب لهم الأمثلة حتى يكون المؤمنون ، منهم على بينة ، ويأخذون منهم الحيلة والحذر ، فهم العدو الداخلي ، كالسرطان ينخر في جسم الأمة . وهم أشدَّ خطرًا على المسلمين من عدوهم الخارجي من اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم من ملل الكفر ؛ لأنهم يرون من أمة الإسلام ما لا يرى غيرهم من خارجهم فهم يرون الثغرات وينفذون منها ، ويتتبعون العورات ويتربصون الدوائر بالمسلمين .

ولهذا فقد جلاهم الله لنبيه وللمؤمنين ، وكانهم يرونهم رأي العين ، قال الله تعالى : { وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ } (١) . وقد أطلع الله نبيه ﷺ على بعضهم ، ومنهم من لا يعرفهم ، قال الله تعالى : { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ } (٢) .

---

(١) محمد : الآية ( ٣٠ ) .

(٢) التوبة : الآية ( ١٠١ ) .

وكان النَّبِيُّ ﷺ يبيِّن علاماتهم ، ويضرب لهم الأمثال ، دون ذكر أسمائهم ، وربما أمر بعض أصحابه ممن عرف بعضهم بكتمانهم ، ومما يدل لذلك أنَّه لما أخبر حذيفة وعمَّار بما أَرَادَهُ المنافقون به ليلة العقبة ، مرجعه من تبوك ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ أَمْرَهُمَا بَكْتَمَانِهِمْ . فقد جاء في حديث طويل (( ... فسماهم لهما ، ثُمَّ قَالَ : اَكْتَمَاهُمْ ))<sup>(١)</sup> ، وحينما قام ﷺ خطيباً في مسجده ؛ يستعذر من عبدالله بن أبيّ لم يصرِّح باسمه رغم أنَّه قد اشتهر بالنفاق .

قال ﷺ : (( يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ يَعْزُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ؟ ))<sup>(٢)</sup> .

وقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ حذيفة ببعضهم ، وقد كان يُدعى صاحب السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ ، قال علقمة لأبي الدرداء : (( أَوْلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ ؟ ))<sup>(٣)</sup> ، وفي رواية قال البخاريّ : (( يَعْنِي حُذَيْفَةَ ))<sup>(٤)</sup> . وعند مسلم : (( قَالَ عَمَّارُ : وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أَخْبَرَنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (( فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا ، فِيهِمْ

(١) سيق تخريجه في المبحث الرابع ص ١١٢٤ .

(٢) سيق تخريجه في المبحث السابق ص ١١٥٥ .

(٣) البخاريّ : ٦٦ - فضائل الصَّحَابَةِ - ٢٠ باب مناقب عمَّار وحذيفة : ١٣٦٨/٣ ، رقم ٣٥٣٢ ، ٣٥٣٣ .

(٤) البخاريّ : ٦٦ - فضائل الصَّحَابَةِ - ٢٠ باب مناقب عمَّار وحذيفة : ١٣٦٨/٣ ، رقم ٣٥٣٢ ، ٣٥٣٣ .



تَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ . تَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمْ  
الدُّبَيْلَةَ ، وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ » (١) .

وفي مصنف عبد الرزاق عن الزهري قال : فبينما  
النبي ﷺ سائر إلى تبوك ، نزل عن راحلته ليوحى إليه ،  
وأناخها النبي ﷺ ، فنهضت الناقة تجرُ زمامها مطلقاً ،  
فتلقاها حذيفة فأخذ بزمامها يقودها حتى أناخها وقعد عندها .  
ثم إن النبي ﷺ قام فأقبل يريد ناقته ، فقال : من هذا ؟ فقال :  
حذيفة بن اليمان ، فقال النبي ﷺ : فإني أسرُّ إليك سرّاً لا  
تُحدِّث به أحداً أبداً . إني نُهيْتُ أن أصلي على فلان وفلان ،  
رَهط ذوي عدد من المنافقين .

قال : فلما توفي رسول الله ﷺ واستخلف عمر ، فكان إذا  
مات الرجل من أصحاب النبي ﷺ ممن يظنُّ عمر أنه من  
أولئك الرهط أخذ بيد حذيفة فقادته ، فإن مشى معه صلى  
عليه ، وإن انتزع منه لم يصلِّ عليه ، وأمر من يصلي عليه  
(( (٢) .

كلُّ ذلك يدلُّ على أنه لم يكن من منهج النبي ﷺ إشاعة  
أسمائهم ، بل الواجب كتم من عُرف منهم .

(١) مسلم : ٥٠ كتاب صفات المنافقين : ٢١٤٣/٤ ، رقم ٢٧٧٩ .

(٢) المنافقون في القرآن الكريم للحميدي ، ص ٤٥٩ ، وقال : ورجاله  
ثقات ، إلا أن الزهري لم يُسنده إلى أحد من الصحابة . عن مصنف  
عبد الرزاق : ٢٣٨/١١ .

وعلى النقيض من ذلك ، أعمالهم وأقوالهم وصفاتهم وعلاماتهم ، ينبغي تعليمها للأمة لأخذ الحيطة والحذر من الدسّ لهم .

ومن ذلك ما قاله النبي ﷺ في آية المنافق : عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « أربَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » (١) .  
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » (٢) .

قال الحافظ : « قال النووي : والذي قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال النفاق ، وصاحبها شبيهه بالمنافقين في هذه الخصال ، ومتخلق بأخلاقهم ؛ قلت : ومحصل هذا الجواب ؛ الحمل في التسمية على المجاز ، أي صاحب هذه الخصال كالمنافق . وهو بناء على أن المراد بالنفاق نفاق الكفر ، وقد قيل : إن المراد بالنفاق نفاق العمل » (٣) .

وعلى أي حال فإن هذه العلامات الخمس ؛ وهي خيانة الأمانة ، والكذب في الحديث ، والغدر في المعاهدة ،

(١) البخاري : شرح فتح الباري : ٢ - كتاب الإيمان ٢٤ - باب علامة المنافق : ١١١/١ ، رقم ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ، الموضوع نفسه ، رقم ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١٢ - ١١٣ ، مختصراً .

والفجور في الخصومة ، وخُلف الوعد نُعدُّ من علامات النفاق الأكبر من باب الأولى ؛ أي أن المنافق يتَّصف بها على التمام والكمال وله النصيب الأكبر منها . إلا أن المؤمن قد يتَّصف بها أو ببعضها في العمل لا في الاعتقاد .

ومن علامات المنافقين أيضاً : التخلف عن الصلاة والتكاسل في القيام إليها ، ومراعاة الناس فيها .

قال الله تعالى : { وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى } (١) .

وقال سبحانه : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ } (٢) .

وعن عبدالله قال : « لَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ أَوْ مَرِيضٌ » (٣) ، وفي الرواية الأخرى : « وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومٌ النَّفَاقِ » (٤) .

ولقد أخبر ﷺ أن أثقل الصلوات على المنافقين : صلاة العشاء والفجر ، فقال : « إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ : صَلَاةُ الْعِشَاءِ ،

(١) التوبة : الآية ( ٥٤ ) .

(٢) النساء : الآية ( ١٤٢ ) .

(٣) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة : ٤٤ - باب صلاة الجماعة من سنن الهدى : ٤٥٣/١ ، رقم ٦٥٤ / ٢٥٦ .

(٤) مسلم : ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة : ٤٤ - باب صلاة الجماعة من سنن الهدى : ٤٥٣/١ ، رقم ٦٥٧ / ٢٥٧ .

وَصَلَاةُ الْفَجْرِ» (١) .

ومنها : قلة ذكر الله ، قال تعالى : { وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } (٢) .

ومنها : البخل والجبن ، والتهرّب من الجهاد والاعتذار عنه . قال الله تعالى : { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ = ٧٥ قَلَمًا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ = ٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (٣) .

وقال تعالى : { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (٤) .

وقال ﷺ : « شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ : شَحٌّ هَالِعٌ ، وَجَبْنٌ خَالِعٌ » (٥) .

قال شيخ الإسلام : وهذه السورة - براءة - نزلت في آخر

(١) المصدر السابق ، الكتاب نفسه ٤٢ - باب صلاة الجماعة ، وبيان

التشديد في التخلف عنها : ٤٥١/١ ، رقم ٦٥١/٢٥٢ .

(٢) النساء : الآية (١٤٢) .

(٣) التوبة : الآيات (٧٥ - ٧٧) .

(٤) آل عمران : الآية (١٨٠) .

(٥) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : ٢٢ - باب في الجرأة والجبن ،

رقم ٢٥١١ ، وصححه الألباني . انظر صحيح سنن أبي داود : ٢٧٧/٢ ،

رقم ٢١٩٢ .

مغازي النبي ﷺ ، فكشف الله فيها أحوال المنافقين ، ووصفهم بالجبن ، وترك الجهاد . ووصفهم بالبخل عن النفقة في سبيل الله ، والشح على المال ، وهذان داءان عظيمان : الجبن والبخل )) (١) .

وأما في الجبن والخوف والفرق والهلع ، فقد قال الله تعالى في المنافقين : { وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ = ٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ } (٢) .

وقال فيهم : { وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } (٣) .

وقال : { أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا = ١٩ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا } (٤) .

(١) الفتاوى : ٤٣٧/٢٨ ، مختصراً .

(٢) التوبة : الآيتان ( ٥٦ ، ٥٧ ) .

(٣) الأحزاب : الآية ( ١٣ ) .

(٤) الأحزاب : الآيتان ( ١٩ ، ٢٠ ) .

قال شيخ الإسلام : « وأما وصفهم بالجبن والفرع ، فأخبر سبحانه أنهم وإن حلفوا أنهم من المؤمنين فما هم منهم ، ولكن يفرعون من العدو . ف { لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً } يلجأون إليه من المعادل والحصون التي يفرُّ إليها من يترك الجهاد ، أو { مَغَارَاتٍ } وهي جمع مغارة . ومغارات سميت بذلك لأنَّ الداخل يغور فيها ، أي يستتر ؛ كما يغور الماء . { أَوْ مُدْخَلًا } وهو الذي يتكلف الدخول إليه ، إمَّا لضيق بابه أو لغير ذلك { لَوْكُوا } عن الجهاد { إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ } أي يسرعون إسراعًا لا يردُّهم شيء ، كالفرس الجموح الذي إذا حمل لا يردُّه اللجام» (١) .

وكان النبي ﷺ يحذر من ترك الجهاد ويقول : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » (٢) . قال العلماء : « والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف ؛ فإنَّ ترك الجهاد أحد شعب النفاق » (٣) .

وقال الله تعالى : في المنافقين : { لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ }

(١) الفتاوى : ٢٨ / ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٢) مسلم : ٢٣ - كتاب الإمارة ، ٤٧ - باب من مات ولم يغز ولم يحدث

نفسه بالجزو : ٣ / ١٥١٧ ، رقم ١٩١٠ .

(٣) بهامش الحديث السابق .

٤٤ = إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ  
 قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ = ٤٥ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا  
 لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتَهُمْ فَتَبَطَّحَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ =  
 ٤٦ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ  
 يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ { (١) .

قال شيخ الإسلام : (( فهذا إخبارٌ من الله بأنَّ المؤمن لا  
 يستأذن الرسول في ترك الجهاد ، وإنما يستأذنه الذي لا  
 يؤمن ، فكيف بالتارك من غير استئذان؟! وقال في وصفهم  
 بالشحِّ : { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ  
 وَيُرْسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ  
 كَارَهُونَ } (( (٢) .

### فائدة في قول الله تعالى : { وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ } :

قال شيخ الإسلام : (( وبعض الناس يظنُّ أنَّ المعنى :  
 سمَّاعون لأجلهم ، بمنزلة الجاسوس ، أي يسمعون ما يقول  
 وينقلونه إليهم ، حتَّى قيل لبعضهم : أين في القرآن :  
 الحيطان لها آذان؟ قال : في قوله : { وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ } ،  
 وكذلك قوله : { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ } أي ليكذبوا : أن اللام لام  
 التعديّة ، لا لام التبعيّة ؛ وليس هذا معنى الآيتين ؛ وإنما  
 المعنى : فيكم من يسمع لهم أي يستجيب لهم ويتبعهم .

(١) التوبة : الآيات ( ٤٤ - ٤٧ ) .

(٢) الفتاوى : ٤٣٨/٢٨ - ٤٣٩ ، مختصرًا .

كما في قوله : ( سمع الله لمن حمده ) : استجاب الله لمن حمده ، أي قبل منه .

يقال : فلان يسمع لفلان ، أي يستجيب له ويطيعه . أي يطيعه في أمره أو يصدقه في خبره . وفلان لا يسمع ما يقال له : أي لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر . { وَلَاوَضُّعُوا خَلَالَكُمْ يَبْعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ } أي لأسرعوا بينكم يطلبون الفتنة بينكم ؛ ثم قال : وفيكم مستجيبون لهم إذا أوضعوا خلالكم ؛ ولو كان المعنى : وفيكم من تجسس لهم : لم يكن مناسباً ؛ وإنما المقصود : أنهم إذا أوضعوا بينكم يطلبون الفتنة ، وفيكم من يسمع منهم : حصل الشر . وأما الجسّ فلم يكونوا يحتاجون إليه ، فإنهم بين المؤمنين ، وهم يوضعون خلالهم ) (١) .

والمعنى أن قوله تعالى : { وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ } أي وفيكم مطيعون لهم مستجيبون لأمرهم ونهيهم ، مصدقون لأخبارهم . وليس المقصود وفيكم من يتجسس لهم .

#### ومن أهمّ علاماتهم :

السعي في الأرض بالإفساد ، والأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف مع دعوى الإصلاح .

قال الله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا

(١) الفتاوى : ١٩٤/٢٨ - ١٩٦ ، مختصراً .



إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ = ١١      أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ { (١) .

**وقال تعالى :** { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ = ٢٠٤      وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ = ٢٠٥      وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } (٢) .

**وقال تعالى :** { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (٣) .

دللت الآيات على وجود منافقات أيضاً كالمنافقين ، وأنهم يسعون في الأرض بالفساد ، ويهلكون الحرث والنسل ، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ومع هذا كله فإنهم يدعون أنهم مصلحون .

يقول السَّعدي في قوله تعالى : { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ } : (( لأنهم اشتركوا في النفاق ، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً ، وفي هذا قطعٌ للمؤمنين من ولايتهم .

(١) البقرة : الآيتان ( ١١ ، ١٢ ) .

(٢) البقرة : الآيات ( ٢٠٤ - ٢٠٦ ) .

(٣) التوبة : الآية ( ٦٧ ) .

ثمَّ ذكر وصف المنافقين العام : الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير فقال :

{ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ } : وهو الكفر والفسوق والعصيان .

{ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ } : وهو الإيمان والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والآداب الحسنة .

{ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ } : عن الصدقة ، وطرق الإحسان ، فوصفهم : البخل .

{ نَسُوا اللَّهَ } : فلا يذكرون الله إلا قليلاً .

{ فَنَسِيَهُمْ } : من رحمته ، فلا يوققهم لخير ، ولا يُدخلهم الجنة ، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار ، خالدين فيها مخلدين .

{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } : حصر الفسق فيهم ، لأنَّ فسقهم أعظم من فسق غيرهم ، بدليل أن عذابهم أشدَّ من عذاب غيرهم ، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم ، إذ كانوا بين أظهرهم ، والاحتراز منهم شديد )) (١) .

ومن أهمَّ علاماتهم أيضاً : كثرة الحلف والأعدار والاسئذانات الكاذبة .

قال الله تعالى : { وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن : ٢٦٢/٢ - ٢٦٣ .

يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } <sup>(١)</sup> ، { وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ } <sup>(٢)</sup> . { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ } <sup>(٣)</sup> ، { يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ } <sup>(٤)</sup> ، { سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ } <sup>(٥)</sup> ، { يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } <sup>(٦)</sup> ، { وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } <sup>(٧)</sup> .

وأما اعتذاراتهم الكاذبة فكثيرة أيضاً ، منها ما جاء في قوله تعالى : { وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذِنَ لَهُمْ... } <sup>(٨)</sup> .

{ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ } <sup>(٩)</sup> .

- 
- (١) التوبة : الآية ( ٤٢ ) .
  - (٢) التوبة : الآية ( ٥٦ ) .
  - (٣) التوبة : الآية ( ٦٢ ) .
  - (٤) التوبة : الآية ( ٧٤ ) .
  - (٥) التوبة : الآية ( ٩٥ ) .
  - (٦) التوبة : الآية ( ٩٦ ) .
  - (٧) التوبة : الآية ( ١٠٧ ) .
  - (٨) التوبة : الآية ( ٩٠ ) .
  - (٩) التوبة : الآية ( ٩٥ ) .

{ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } (١) .

ومن استنذاناتهم الكاذبة التي ذكرها الله في كتابه :  
 وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ = ٤٢ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَ لَكَ  
 الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ = ٤٣ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ =  
 ٤٤ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ  
 قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (٢) .

وقوله تعالى : { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَقْنَبِي أَلَا فِي  
 الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } (٣) .

وقوله : { فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ  
 فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا } (٤) .

ومن علاماتهم : الاستهزاء واللمز والسخرية من  
 المؤمنين .

قال الله تعالى : { يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ نُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً  
 تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ = ٦٤  
 وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ

(١) التوبة : الآية ( ٦٦ ) .

(٢) التوبة : الآيات ( ٤٢ - ٤٥ ) .

(٣) التوبة : الآية ( ٤٩ ) .

(٤) التوبة : الآية ( ٨٣ ) .

وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } (١) .

وفي اللمز والسخرية يقول تعالى فيهم : { وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْنَخُون } (٢) ، وقوله تعالى : { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (٣) .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة : عن أبي مسعود ، قال : « أَمَرْنَا بِالصَّدَقَةِ . قَالَ : كُنَّا نُحَامِلُ . قَالَ : فَتَصَدَّقَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ . قَالَ : وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْهُ . فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا ، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِيَاءً . فَانزَلَتْ : { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ } » (٤) .

وهكذا المنافقون لا يعجبهم شيء يفعلهُ المؤمنون أبداً .

(١) التوبة : الآيتان ( ٦٤ ، ٦٥ ) .

(٢) التوبة : الآية ( ٥٨ ) .

(٣) التوبة : الآية ( ٧٩ ) .

(٤) مسلم : ١٢ - كتاب الزكاة . ٢١ - باب الحمل أجره يتصدق بها ، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل : ٧٠٦/٢ ، رقم ١٠١٨ .

ومعنى كنا نحامل : أي نحمل على ظهورنا بالأجرة ، ونتصدق من تلك الأجرة .

لذا تجد دينهم الاستهزاء واللمز والسخرية من المؤمنين

وفي أوصافهم يقول الله تعالى : { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ  
أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ  
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يُوَفِّكُونَ } (١) .



---

(١) المنافقون : الآية (٤) .

الخاتمة

## الخاتمة

كثيرة جدًا هي النتائج التي توصلّ لها هذا البحث ، وفيها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - ترك التزام المنهج النبويّ في الدعوة خروجٌ عن سبيل المؤمنين .

٢ - العلم والحلم أهمّ ما يميّز دعوته ﷺ .

٣ - اتباع الدليل أهمّ خصائص العلم الشرعي ، والمصدر هو الكتاب والسنة ، وإجماع المسلمين .

والعلم بمفهومه الواسع ( تعلّمه ، وتعليمه ، ونشره ) هو من اختصاص طائفة من المؤمنين ، وليس مطلوبًا من جميعهم ، بخلاف التزكية ، فإنّها واجبة على الجميع كما قرّر ذلك شيخ الإسلام .

وينبغي أخذ العلم عن أهله المشتهرين به ، مع تقديم الأهم ، والتدرُّج فيه ، وعدم فصل العلم عن التربية ، بل يجب إعطاءهما معًا . وإشعار المتعلّم أنّه يتعلّم ليطبّق .

٤ - رضاء الله ﷻ مقصود التربية الأعظم ، وهدفها . ووسيلتها إلى ذلك : تحقيق التوحيد ، والاهتمام بأعمال القلوب ، وأنها محلّ نظر الربّ تبارك وتعالى ، مع الاجتهاد في عمل الجوارح .

٥ - ولقد حافظ النبي ﷺ طوال دعوته على مجموعة من



المقاصد ، وهي الروابط الداخلية بين عناصر المنهج ، وتمثل الروح التي تسري فيه .

منها : تعظيم الله ﷻ وأمره ونهيه ، والتحبيب فيه ، وتعظيم قدر التوحيد ، وحماية جنابه وحماه ، وتجريده من الشرك ، وتعظيم قدر الصلاة وجعلها عمود الدين ، وكذلك حافظ ﷺ على الأخوة الإيمانية والترابط بين أفراد المجتمع ؛ المبني على الحب في الله ، وبناء المحبة بينهم والائتلاف ، ونبذ بوادر الشحناء والفرقة والاختلاف .

هذه المحبة أصلها توحيد المحاب كآله الله ﷻ ، وينشأ عنها : محبة النبي ﷺ ، ومحبة المؤمنين ، مع احترام الفرد وحقوقه ، وعدم ذوبانها في حقوق الجماعة ، مع تنشئته تنشئة اجتماعية ، وتهيئته للعيش في جماعة . ولقد كانت ثمرة هذه التربية نشوء المجتمع الإسلامي المترابط المتكافل ، وبذلك تم تحقيق هدف التربية الثاني ؛ تكوين أمة الوسط ، لتكون شاهدة على الأمم ، داعية لها إلى الحق ، والرسول ﷺ شاهد عليها ..

٦ - ولقد مضى النبي ﷺ في دعوته وتربيته وتعليمه معرضاً عن الجاهلين ، مبيناً للناس دينهم في رفق ولين وحلم ، مع ترك تنفير الناس عن دين الله ، والإغلاظ عليهم .

٧ - وكان أهم ما يميّز دعوته ﷺ للمشركين وأهل الكتاب : الرفق والحلم ، والصبر عليهم ، ودعوتهم بالحجة والبيان . ثم إذا لم تحصل الاستجابة خيّرهم بين السيف والسنان أو دفع

## الجزية .

أما أهم ما يميّز منهجه ﷺ في التعامل مع المنافقين : فكان في كشف مخططاتهم وأعمالهم ، وإحباطها قبل وقوعها دون فضح أسمائهم .



# الفهارس

ويشتمل على :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

# فهرس الآيات

# فهرس الآيات الكريمة

- ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ..... ١١١٦
- ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ..... ١٠٧٠
- ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ..... ٧١٥، ٧١٣
- ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ..... ٣٢٥
- الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ..... ٧٧١
- الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ..... ٧٧٠
- أُوَلِّقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ..... ٤١٧
- أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ..... ٥٥٧
- اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ..... ٨٦٢
- اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ..... ٨٦٢
- أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ ..... ٢٨٦
- اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ..... ١٠٦٣، ٢٧٤، ١٨٠
- أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ..... ١٠٠٠
- أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ..... ٩٩٦، ٥٧٧
- اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ..... ٤٠٧
- اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ..... ٢٥٧
- أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ..... ٣٥٦، ٣٥٥، ٦٥
- ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ..... ٦٨٤
- ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ..... ١٠٥٤، ٨٢٤، ٥١٣، ٤٢٥، ٥٨، ٤٩، ٤٧

- أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ..... ٤٤، ٤٦
- إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ..... ٥٣٣، ١١٤٣
- إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ..... ١٠٩٩
- أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ..... ١٠٣٠، ١٠٧٢
- اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..... ٨٢٠
- اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ..... ١١٠٨، ١١٠٩
- أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ..... ١١٦٤
- أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ..... ٣٧٢
- أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ..... ١٣، ٦٥، ٩٥٩
- اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ..... ١٤٧، ٣٥٥
- اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ..... ٣٠٧، ٦١٩، ٦٢٠
- اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ..... ٦٧٠
- أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ..... ٦٣٩
- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا ..... ٣٠٠، ١١٠٤
- أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ..... ٢٢٢، ٣٠٠، ١١٠٣
- أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ..... ٢٢٢، ٣٠٠
- أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ..... ٣٤٧
- أَفَلَمْ يَبْسُ الْذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ..... ١٠٠٠
- أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ..... ٦٢٣
- أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..... ٣٠٦

- أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ..... ١٠١، ٦٧٠
- أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَانِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ..... ٣٤٥
- إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..... ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ٤١٩، ٤٢٠
- إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..... ٤٢١
- إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ..... ١٠٥٤، ١٠٥٥
- إِنَّا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ..... ٣٦٠، ٤٧٩
- أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ..... ٧٦
- أَلَا نُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ..... ٥١
- أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ..... ٥٠١، ٦٣٩
- إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ..... ١٤١
- أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ..... ٥١٥
- الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ..... ٧٤
- اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ..... ٣٤٦
- اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ..... ٣٢١، ٣٣٥
- اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ..... ١٠٥٢
- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ..... ٣٢٤، ٧٨٧
- اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ..... ٧٥
- الم = ١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ..... ٣٢٤
- الم = ١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ..... ٣٣٣
- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ..... ١١٩
- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ..... ١٠٠٦، ١١٠٢

- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ..... ١٢٨، ١٢٥، ١٢٣
- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ..... ٣٤٨
- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..... ٣٢٥
- أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ..... ٧٧١
- أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..... ٣٩٣
- أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ..... ١٢٧، ١١٤
- أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ..... ٣٢٢
- أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ..... ٧٧٠
- أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ..... ١٨٢
- أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ..... ١١٠٤، ١٠٨٥
- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ..... ١٠٢٩
- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ ..... ١٠٢٨
- أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ..... ١٠٢٨
- أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ..... ٣٤٩
- أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ..... ٣٤٩، ١٧٥
- أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ..... ٦٢، ٣٢، ١٣
- إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ..... ٥
- إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ..... ٤٠١
- إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ..... ١٤١
- إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ..... ٣٣٣، ١٩٥، ١٤١
- إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ..... ٢٣٨



- ٧٥ ..... إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ
- ١١٥٨ ..... إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ
- ١٠٢٥ ..... إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ
- ٧٧٦ ..... إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
- ٣٨٤ ..... إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ
- ٥١ ..... إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا
- ٨٦ ..... إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
- ٦٧٠ ..... إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ
- ٨٧٣ ..... إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ
- ١٠٧٣، ١٠٣١ ..... إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ
- ١٠٨٠ ..... إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا
- ٧١٤ ..... إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
- ٣٥٥، ٢٤٠ ..... إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
- ٣٢٠، ٣١٩ ..... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
- ٦٨٤، ١٤١ ..... إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
- ٣٤٧ ..... إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا
- ٤١٩، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٧ ..... إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
- ٤٣٦ ..... إِنَّ نَعْدْبَهُمْ فَأَنْتَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
- ١٠٢٢ ..... إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
- ٢٢٨، ١٤٨ ..... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
- ٨٦٧، ٩٥ ..... إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ

- ٦٠٨، ٥٦٢، ٣٣٩، ٢٢٤..... إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
- ٣٣٣..... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
- ٣٣٣..... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
- ١٠١٥، ٣٣٤..... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
- ٣٩٧، ١٣٠..... إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
- ١٠٦٦..... إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ
- ١١٠٣، ١٠٨٠..... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
- ١١٦٩، ١١٦٨..... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
- ٨٢٣..... إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً
- ٦١٤، ٣٠١، ٧٦..... إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
- ١١٣٣، ٥٣٣..... إِنَّ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ
- ١٧١..... إِنَّ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ
- ٣٤٥..... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالَ لوطٍ نجيناهم بسحرٍ
- ٣٤٥..... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ
- ٥٩٥..... إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
- ٣٥٠..... إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
- ٨٦٥، ٣٦..... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
- ١٠٢٠، ١٠٠٠..... إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
- ١٠٢٤..... إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
- ١٠٢٧..... إِنَّمَا أَعْظَمَكُمْ بِوَاحِدَةٍ
- ٧٣..... إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا

- ٧٥١ ..... إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ
- ٣٣٤ ..... إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَن يَخْشَاهَا
- ٦٨٤ ..... إِنَّمَا نُجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
- ٨٦٢ ..... إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ
- ١٠٥، ١٠٤ ..... إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
- ١٥٩ ..... إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
- ٣٥٩، ٣ ..... إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
- ٢٢٢ ..... إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ
- ١٠٨٨ ..... إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ
- ٣٥٩، ١٣٣، ٣ ..... إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
- ٤٠٥، ٤٠٠ ..... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
- ٩٠٩، ٦٧٩، ٢٨٧، ٢٨٣ ..... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
- ٤١٥ ..... إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ
- ٣٨٧، ٣٢٦ ..... إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي
- ٦١٨ ..... إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي
- ١١٦٩، ١٠٩٦ ..... إِنَّهُمْ رَجَسٌ
- ٦٢٤ ..... إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
- ٢٨٦ ..... إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
- ٣٤ ..... اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
- ٢٥٩ ..... أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ
- ٥٥٠ ..... أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهْدَاهُمْ اِقْتَدَوْا

- أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ..... ٤٠٢
- أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ..... ١٠٩٥، ١٠٩٣، ١٠٩٢
- أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ..... ٦٧٩
- أَوْلَمْ نُؤْمِنْ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ..... ٧٧٠
- أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ..... ٣٤٦
- أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ..... ٣٤٨
- أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ..... ٣٤٨
- أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا ..... ٢١٣
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ ..... ١٥٩، ١٦٠، ١٨٥، ١٨٦، ٢١٦
- أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُحْلِفُونَ ..... ١٨٠
- أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ..... ١١٠٢، ١١٤٦
- بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ..... ١٠٥٢
- الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ..... ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥
- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..... ٩٦، ٤١٤، ١٠٢٣
- بَشَرٌ الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا ..... ١١٠٣
- بَلْ أَنبَيْنَاهُم بِالْحَقِّ ..... ١٦٩، ١٧٠، ١٠٢٢
- بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ..... ١٢٣، ١٢٥، ١٢٨
- بَلِ السَّاعَةَ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ ..... ٣٤٥، ٣٤٦، ٥١٣
- بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ..... ٢٢٢، ٨٣٠
- بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ..... ٦٨٠
- بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ..... ٤٢١

- بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ..... ٣٢٢
- تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ..... ١٧٩
- تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ..... ١٠١٨، ٩٨٧، ٥٧٥، ٨٢
- تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ..... ٦٣٠
- تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ..... ٥١٥
- تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ..... ٧٧١
- تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ..... ٣٤٧
- تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ..... ١٠٦٨، ١٠٦٦
- تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ..... ٢٣٠
- تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ..... ٣٤٥
- ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ ..... ٣١٥
- ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا ..... ١١٣٤
- ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ..... ١٩٤
- ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ..... ٤٢٠، ٤١٩، ١٤١، ١٣٩
- جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ..... ١١٣١، ١١١٣، ١١١٢، ١١١١، ١٠٧٣، ١٠٣١، ٥٧
- حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ..... ٩١٧
- الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ..... ١٠٦٦
- حم = ١    تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..... ١٠٢٣، ٧٩
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ..... ١٧٩
- الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..... ٣٢٦، ٩٦
- خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ..... ١٢٣، ١٢٠

- خُدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ..... ١٠٦٢، ٨٢١
- الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ..... ٨٤٠، ٧٩٨
- دَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ..... ٧٧
- ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ..... ٣٢٧
- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ..... ١٠٨٠
- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ ..... ١١٠٤
- ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ..... ٧٧٠
- ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ..... ٣٣٢، ١٣٣
- ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ..... ٦١٤، ٣٠١
- ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ..... ٦٧٩
- ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ..... ٤٩
- ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ..... ١٠٦٦
- ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ..... ١٢٢
- ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ..... ٣٢٥
- الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ..... ١٧٤
- الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَرَّ ..... ١٤١
- الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ..... ٢٦٠
- الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ..... ١٩٤
- الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ..... ١١٤٤، ١١٣٦، ١١٣٥، ١١٠١
- الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ..... ١١٧١
- رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ..... ٢١١

- رَبِّ إِنْهَنَّا أَضَلَّلْنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ..... ٤٣٦
- رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..... ٣٠٧
- رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ..... ١٥
- رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ..... ١٦
- رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ..... ١٥
- رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ..... ١٦، ٧٨٩
- رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ..... ١١٦
- رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ..... ١٦
- الرَّحْمَنُ = ١ عِلْمَ الْفُرَّانِ ..... ١٠١، ٤١٤
- الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ..... ٤٢، ٣٢٦
- سَأْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ..... ٣٣٦
- سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْبُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ..... ٣٣٦، ٣٥١
- سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ..... ١٧١، ١٠٢٢
- سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ..... ١١٦٦
- سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ..... ٢٢٤، ٣٢٩، ٣٥١، ٦٤٤
- سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُعْرَضُوا عَنْهُمْ ..... ١٠٩٦، ١١٦٩
- سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ..... ٣٢٩
- سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ..... ٣٤٥، ٣٤٦
- شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ..... ٦٢٣، ٦٧٩
- ضَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ..... ٧٧١
- طَبِّئْتُمْ فَأَدْخُلُواهَا خَالِدِينَ ..... ٢٦٠

- طه = ١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ..... ٣٣٤
- ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ..... ٧٧١
- عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ..... ٣٢٠
- عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ..... ١١٧٠، ١٠٩٠
- عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ..... ١٠٢
- عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ..... ٩٠٥
- عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ..... ٢٩٤
- غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ..... ٧٩٣
- فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ..... ٨٦٣
- فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ..... ٥٠١، ٦٣، ٣٤، ٣٣، ٣٢
- فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..... ٢١٧
- فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ..... ٧٦٧
- فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْ مَنَاسِكِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ..... ٣٨٨
- فَاذْكُرُوا ءَالَءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ..... ٣٩٥
- فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ..... ٣٨٧، ٢٢٠
- فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ..... ٣٨٧، ١١٩
- فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ..... ١٢٠
- فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..... ٩٦١، ٦٧٩
- فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ..... ٨٢١
- فَأَصْبَحْنَاهُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ..... ٤٧٨، ١٣٢، ٦١
- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ..... ٤١٦



- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ..... ٤٢٢
- فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ..... ٤١٦، ٤١٧
- فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ..... ٤١٧، ٥٥٠
- فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ..... ٩٨٧
- فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ..... ٦١٩
- فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ..... ١٧١، ٢١٦
- فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ..... ٣٢٢، ٧٧١
- فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ..... ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١١٠٣
- فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ..... ١٠٩٦، ١١٦٩
- فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ..... ١٣٩، ١٥٨، ٢٨٣، ٦١٦، ٨٢٤
- فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ..... ٨٧
- فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ..... ٥٤٦
- فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ..... ٧٧١
- فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ..... ١٠٠٠
- فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ ..... ١٠١٧
- فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ..... ٦٣٣
- فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ..... ٦٣٦
- فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ..... ١٣، ٦٥، ٤٨٩، ٦٧٩
- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ..... ٧٥٩
- فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ..... ٧٥٩
- فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا ... ١١٧٠

- فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ..... ١١٣١
- فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ..... ١٠٠٠
- فَأِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ..... ٣٢٦، ١٩٠، ١٨٩
- فَبِأَيِّ آءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ..... ٣٩٤
- فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ..... ٥٨٥، ١٣٢
- فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ..... ٣٢١
- فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ..... ٥٥
- فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدِ ..... ١٠٠٣، ٨٨٧، ٧٥١، ٥٥
- فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ..... ٥٣٤
- فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ..... ١٠٧٥
- فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ..... ١١٥٧
- فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ..... ٤١٢، ٤٧
- فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ ..... ١٠٦٦
- فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبِي ..... ١٣٤
- فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ..... ٣٣٩، ٢٢٤
- فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ..... ٣٥٠
- فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ ..... ٣٥٠
- فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا ..... ٣٩٤
- فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ..... ١١٠٢، ١٠٩٤
- فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ..... ٧٨٨، ١٠٠
- فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا ..... ١٧٩، ١٧٨

- فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا ..... ٤٠٥
- فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ..... ٢٧٨
- فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ..... ١٢٥
- فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ..... ١١١٢، ٥٦
- فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ..... ٧١٤، ٤٠٩
- فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ..... ١٠٦٦
- فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ..... ٥٨
- فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ..... ٣٤٢
- فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ..... ٧١٥
- فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ..... ٦٧٧، ١٣٤
- فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ..... ٧٨٧
- فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ..... ١١٣١، ٥٣٤
- فَلْيَنْظُرْ أَيْهَا أَرْكَى طَعَامًا ..... ١٢٢
- فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ..... ٣٣٥
- فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ..... ١٠٦٦
- فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ..... ١٣٠
- فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ..... ٤١٢
- فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ..... ٥٨
- فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ..... ٦١٦، ٢٦٢، ٢٦١
- فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ..... ٦٨٦، ٦٧٠
- فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ..... ٧٥٩

- فَوَرَّبُّكَ لِنَسْأَلَتِهِمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ..... ٧١٥
- فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ..... ٧٨٢
- فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ..... ٦٨٤
- فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ..... ٧١٥
- فَاتَّبَعُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ..... ١٠٧٣
- قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ..... ٤٠٦
- قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ..... ٣٢٦
- قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ ..... ٧٦٤
- قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ..... ٤١٦
- قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ..... ١٧٤
- قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ..... ١٣٥، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٠
- قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ..... ١٢٥، ١٢٤، ١٢٠
- قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ..... ٣٨٨
- قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ..... ١٠٦١، ٧٥
- قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ..... ٧٦٤
- قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ..... ٦٢٥
- قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ..... ١١٤٦
- فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ..... ٧٧٠
- قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..... ١٨٢
- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا ..... ٣٤٨
- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكْفُرْتُمْ بِهِ ..... ١٠٥٨

- فُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ..... ٣٨٤
- فُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ ..... ١٨٩
- فُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي ..... ٦١٣، ٣٠١
- فُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ..... ٣٥٦، ٣٥٥
- فُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ..... ١٠٦٢
- فُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ..... ٣٩٧، ١٣٠
- فُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ..... ١٧٤
- فُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..... ٣٤٧
- فُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ..... ١٠٠٣
- فُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ..... ١٠٢٧
- فُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ..... ١٠٠٣، ٧٢
- فُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ..... ٩٣٣
- فُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ..... ٤٠٦
- فُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ..... ١٦٠
- فُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ ..... ٧٧٧
- فُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ..... ٧٧٧
- فُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ ..... ٧٧٧
- فُلْ نَعَالُوا أُنلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ..... ٥٠١، ٢٤٠، ٣٢
- فُلْ قَاتَىٰ تُسْحَرُونَ ..... ١٠٢٢، ٣٢٧، ١٧٠، ١٦٩
- فُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ..... ١١٠٤
- فُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ..... ٧٧٠

- قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ  
 ١٠٢٨.....
- قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ..... ١٧٣
- قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ..... ١٢٢
- قُلْ لِمَنَ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ..... ١٠٢١، ١٦٩
- قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ..... ١١٠٣
- قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ ..... ١١٤٥، ١١٠٤
- قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ..... ١١٣٥، ١١٣٤
- قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ..... ١٠٢٢، ٣٢٧، ١٧٠، ١٦٩
- قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ ..... ١١٤٥، ١١٠٤
- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ..... ١٠٢١، ٣٢٧، ١٦٩
- قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ..... ١٠٥٢
- قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ..... ٣٢٦
- قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ..... ٥٤، ٤٤، ٣٨
- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ..... ٦٧٩
- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ..... ٧٣٩، ٣١٤
- قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ..... ٢٢٢، ٩٤، ٧٦
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ..... ١٠٦٠، ٦٢١
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ..... ١٠٦١
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ..... ١٠٦٠
- قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ..... ١٨٨

- فَلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ..... ٥٦، ٥
- كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ..... ٢٦٧
- كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ..... ٢٦٧
- كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ..... ٧٢
- كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ..... ٣٠٠، ٢٢٢، ٩٤
- كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ فُرْعَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ..... ١٠٢٣، ٧٩، ٧٤
- كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ..... ٧٧٠
- كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ..... ٤٠٦
- كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أُخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ..... ٣٤٥
- كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ..... ٧٢،

## ١٠٢

- كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ..... ٥٠
- كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ..... ٧٧١
- كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ..... ٧٧٠
- كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ..... ٤١٧
- كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ..... ٤٠٣
- كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ..... ٢٦٨
- كَلَّا نُمِدُّ هُوْلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ..... ١٧٢
- كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ..... ٧٧١
- كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ..... ٥٢٢
- كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ..... ١١٩، ١١٨، ٧٠

- كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ..... ١٣١، ٣
- كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ..... ١٠٤٦، ٨٥٣، ٨٣٧، ١١٢
- لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ..... ٦١٤
- لِيَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ ..... ١١٣١، ١١١٩، ١١١٣، ١١١١، ١١٠٤
- لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ..... ٤٩
- لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ..... ٨٦٧، ٩٥
- لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا ..... ١٠٩٠
- لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ..... ١١٧٠
- لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ..... ١١٢٩، ١١٢٨
- لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ..... ١١٣٥، ١١٣٤
- لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ..... ٣٦١
- لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ..... ١٧٠
- لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا ... ١١٧٠، ١١٦٥، ١٠٩٠
- لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ..... ٧٧١
- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ..... ٥٤
- لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ..... ١٤٧
- لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ... ٥٨٥، ٤٣٥
- لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ..... ٧٦٠، ٧٤٤، ٥٤٦
- لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ ..... ٥٥٣، ٥٥١، ٢٧٠، ٢٢٦
- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ..... ١٠٦٤، ١٠٦٣
- لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ٧٠، ١١٧، ١١٩، ١٣٢



- لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ..... ٣٧
- لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرًّا ..... ٧٧٠
- لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ..... ٢٣٠
- لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ..... ٧٨١
- لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ..... ٧٧١
- لِنَبِّلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ..... ٦٨٤
- لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ..... ٤٧٦
- لِنَبِّلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ..... ٦٩١، ٥٩
- لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ..... ١٠٠٠
- لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ..... ٣٢٧، ١٦٧
- لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ..... ١٠٠٧، ٩٩٩
- لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ..... ٧٧٠
- لِيُكْفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ ..... ٢١٥
- مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ..... ١٠٢٢، ١٧١
- مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ..... ١١٠٢، ٢١٣
- مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ..... ٦٩٦
- مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ..... ٧٧١
- مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدْرِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ..... ١١٣٥
- مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ..... ١٠٢٠
- مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ..... ١٧٠
- مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ..... ١٨١

- مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ ..... ٧٦٧
- مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ..... ٧٦٧
- مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ..... ٧٦٩
- مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ..... ١١٣١، ١١١٩، ١١١٨، ١١١١، ١١٠٤
- مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ..... ٩٦
- مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ..... ٣٢٤، ١٨٤، ١٨٣
- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ..... ٢١٣، ١٣١
- مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ..... ١٠٥٣، ١٠٥٢، ١٠٥٠
- مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ..... ٧٧٠
- مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ..... ٢٣٠
- مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً ..... ٤٦٩
- مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ..... ٧٧٠
- الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ..... ١١٦٨
- نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ..... ١١٦٨، ٣٣٥
- هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ..... ٣٥١، ٧٦
- هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ..... ٦١٤، ٣٠١
- هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ..... ١٠١٧
- هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ..... ٦٨٤
- هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ..... ٧٧١
- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ..... ١٠٨٥، ١٣٦، ٢
- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ..... ١٩٤

- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ..... ٧١٣
- هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ٥٥، ٥٨، ٧٠، ١٠٢، ١١٨، ١٢٤، ١٣٣، ٦٦٩
- هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ..... ١٠٢٢
- هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكُهُ ..... ٣٨٧
- هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ..... ٣٢٥
- هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ..... ٣٢٥
- هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ..... ٣٢٦
- وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا ..... ٣٤٨
- وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ..... ١٠٩٧، ٨٦٢
- وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ ..... ٨٦٢
- وَأْتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ..... ٤٠٥
- وَأْتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ..... ٦٤٧
- وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ..... ٢٢٨
- وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ..... ٥٨٥
- وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ..... ٥٨
- وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ..... ٦٨٦، ٦٧٠
- وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..... ٢٨٥
- وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ..... ١٠٦٢
- وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ..... ١١٣٣
- وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ ..... ١٠٦٤
- وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ..... ١١٦٤

- وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ..... ١٠٦٢
- وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ..... ٣٤٩
- وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ..... ١٩٤، ٢٢٢
- وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ ..... ٦٨٠
- وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ..... ٦٥
- وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ..... ١٠٩٩، ١١٧٢
- وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا ..... ١١٦٢
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا ..... ٨٦٣
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ..... ٦٥، ١١٠٢
- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ..... ١١٦٧
- وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ..... ٢٢٣، ١١٠١
- وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ..... ١١٠١
- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ..... ٣٤٩
- وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَ ..... ٣٤٩
- وَادْكُرْنَا مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ..... ٦٤٨
- وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ..... ٢١٩
- وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ ..... ٦١، ١٣٢، ٤٧٨
- وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ..... ٤٧، ٤١٢، ٨٢٣، ١٠٠٦
- وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ..... ٨٦٣
- وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ..... ٢٣٩
- وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ..... ١٣، ٦١، ١٣٢

- وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ..... ٦٤٤
- وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ..... ١٨٩
- وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ..... ٢٢٨
- وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ..... ٣٥٤، ١٧٨
- وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ..... ١٤١
- وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ..... ١١٢٩، ١١٢٨
- وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ..... ١٤٩
- وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ..... ٨٢١، ٣٣٦، ١٤٩
- وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ..... ٣٥١
- وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ..... ٧٦٧، ١٤٩
- وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ..... ١٠١٧
- وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ..... ٤٠٠
- وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ..... ٧٥٢
- وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ..... ٨٢١
- وَالَّذِينَ يُؤْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ .. ١١٠٢
- وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ..... ٩٨٣
- وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ..... ٣٣٥
- وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ..... ٢
- وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ..... ١١٣٤، ١١٣٣، ٥٣٣
- وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ..... ١١٢٩
- وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ..... ١١٦٩، ٦٥

- وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ..... ٣٧٢
- وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ..... ٣٧٢
- وَالِي عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ..... ١٤٧
- وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ..... ٤١٦
- وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ..... ٤١٥، ٥٤
- وَأْمُرْهُمْ سُورَى بَيْنَهُمْ ..... ٩٢٦
- وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ..... ٧٢
- وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ..... ٤٢١
- وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ..... ٣٩٣
- وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ..... ٤٠٦
- وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ..... ١٨٩
- وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ..... ٤٧٥
- وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ..... ٤١٢، ٤٧
- وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ..... ١٢٢
- وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ..... ١٠٢٨
- وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ..... ٥٠١، ٦٣، ٣٤، ٣٣، ٣٢
- وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ..... ٤٧٦
- وَإِنْ يَمْسَسَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ..... ٣٤٩، ١٧٤
- وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ..... ٧٢
- وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ..... ٨١، ٨٢، ١٨١، ٥٧٤، ٥٧٥، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ١٠١٨، ١٠١٩
- وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ..... ١٠٠٣

- وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. ٥٧، ٣٠٣، ٦٤٧، ٦٦٩، ٨٤٤، ١٠٠٣
- وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْفُرْعَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ..... ١٠٢، ٩٤٤
- وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ..... ٢٢٦، ٥٥٦
- وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ..... ٧٤، ٣٨٤
- وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْفُرْعَانَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ..... ٧٢
- وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ..... ٣٤٤
- وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ..... ١٣٢، ٨٩٦
- وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ..... ٧٦٩
- وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ..... ٧٦٩
- وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ..... ٥٣٣، ١١٣٣
- وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ..... ٥٣٢
- وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ..... ١٠٩٧، ١١٠٣
- وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ..... ٣٢٦
- وَتِيَابِكَ فَطَهَّرُ ..... ٢٥٨، ٤١٥
- وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤدِّنَ لَهُمْ ..... ١١٧٠
- وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ..... ٥٤٦، ٧٥١
- وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..... ٤٧، ٤٨، ٤٢٥، ٦٩٦، ٧٦٤، ١٠٥٤
- وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ..... ٧٣، ٨٨٧، ١٠٠٣
- وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصْبِرُونَ ..... ٤١٦
- وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ..... ٣٤٧
- وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ..... ١٩٥، ٤١٥، ٤٢١

- وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ..... ١٢١
- وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ..... ٧٦٧
- وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ..... ٤٠٥
- وَالدَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ..... ٤١
- وَدَكَّرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ..... ٧٥١ ، ٥٨ ، ٥٥
- وَدَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ..... ٧٥١
- وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ..... ٤١٥ ، ٣٠٢ ، ٢٥٨
- وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ..... ٩٤٤ ، ٩٤ ، ٨٨
- وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ..... ٨٥٢ ، ٩٥
- وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلَىٰ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ..... ٤٠
- وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ..... ٣٨٧
- وَسَنُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ ..... ١٨٩
- وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ..... ٣٤٧
- وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ..... ٣٤٧
- وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ..... ١١٧٠ ، ١١٦٩
- وَسَأَوْرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ..... ٩٢٧ ، ٥٨٥ ، ١٣٢
- وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ..... ٣٤١
- وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ..... ٤٥٥
- وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ..... ١٠١٦ ، ٧٦٩
- وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ..... ٢٢٨
- وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ..... ١٢٩



- وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ..... ١١٠٤
- وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ..... ٧٧٠
- وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ..... ١٣٧، ١٣٩
- وَعِظُهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ..... ٧٥١، ١٠٩٢
- وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ..... ٦٨٧
- وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ..... ١٠١
- وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا كَفُّوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ..... ٥٤٠
- وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ..... ٧١٤
- وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ..... ٣٣١، ٣٤٤
- وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ..... ٧٧٠، ١١٦٦، ١١٦٧
- وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ..... ١٠٣١
- وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ..... ١٠٣١
- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ..... ١٠١٦
- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ..... ٨٥٢
- وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ ..... ١٠٦٣
- وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ..... ١٠٦٢
- وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ..... ٤١٧
- وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ..... ١٠٦٤
- وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ..... ١٠١٨
- وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ..... ١٠٦٣
- وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ..... ١٤٩

- وَقَرَأْنَا قَرَفَنَاهُ لِنَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْتَبٍ ..... ٧٢، ٨٨، ٩٥، ٧٤٩، ٨٥٢
- وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ..... ٩٨٧
- وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ..... ٧١٦
- وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ..... ٣٢٩
- وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ..... ١١٤
- وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ..... ٧٥١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٥، ١٠٩٦
- وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ..... ٧٧١
- وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ..... ١٠٥٤، ١٠٥٥
- وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ..... ١١٣٤، ١١٣٦، ١١٤٣
- وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ..... ٦٩٦، ١٠٥٦
- وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرْقَى وَهِيَ طَالِمَةٌ ..... ٣١٨، ٤٠٦، ١٠١٥
- وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ..... ١٠١، ٣٠١، ٦١٣
- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ..... ٣، ١٣٢، ٩٢١
- وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ..... ٣٠٨
- وَكَلَّ إِنَّسَانَ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ..... ٦٨٦
- وَكَلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ..... ٥٤٦، ٧٦٠
- وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ..... ٨٤٠
- وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ..... ٨٢٥
- وَكَيفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ..... ٣٠١
- وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ..... ١٠٢١
- وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ..... ١٠٢١

- وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ..... ١٠٢١
- وَلَيْنُ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ..... ١٠٠٦، ٤١٢، ٤٧
- وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..... ١٠٥٦، ١٠٥٤
- وَلَا تُجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَنُفِّقَى فِي جَهَنَّمَ ..... ٤٩
- وَلَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ..... ٥٣٦
- وَلَا تُحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ..... ١٠١٦
- وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ..... ١٧٤
- وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ..... ١١٠٩
- وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ..... ١٠٩٧، ١٠٩٦
- وَلَا تُقْرَبُوا الزَّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ..... ٢٧٥
- وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..... ٥٠١، ٥١
- وَلَا تُكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ..... ٢٢٠، ٢١٩
- وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَآخَنَلُوا ..... ٦١، ١٣
- وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ..... ٢٣٠
- وَلَا تُنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ..... ١٣
- وَلَا تُهْلُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ..... ١١٣٣، ٥٣٣
- وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ..... ١٠١
- وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ..... ١١٦٦، ١١٦٢، ١١١٧
- وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ..... ١١٣٦، ١١٣٥
- وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ ..... ١١٦٣
- وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ..... ٧٧٠

- وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ..... ١١٦٣
- وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ..... ٧١٥
- وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ..... ١٨٤، ١٨٣
- وَلَا يُبْنِيكَ مِثْلُ خَيْرٍ ..... ٧٧١
- وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ..... ١١٦٧، ١١٦٦
- وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ..... ١٣٢، ٦١
- وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ..... ٦١٩
- وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ..... ٣٤٥
- وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ..... ٥٣٣
- وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ..... ٧٦٨
- وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا ..... ٤١٦
- وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقَفِيهِمْ أَعْمَالُهُمْ ..... ٦٨٤
- وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ..... ٧٧٤
- وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ..... ٢٤٢
- وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ..... ١٢٣، ١١٦
- وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ..... ١٠٤٦، ١١٣، ١١٢
- وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ ..... ٢٨٦
- وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ..... ٢٩٦، ٢٨٧، ٢٢٥، ١٦٢
- وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ..... ٦٣٤
- وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ..... ٧٤٠
- وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ..... ١٠٢٥

- وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ..... ٤٠٥
- وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ..... ٤١٦
- وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ..... ٧٦٧
- وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ..... ١١٠٢
- وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ..... ١١٠٣
- وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ..... ١١٠٢، ٢١٦
- وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ ..... ١٠١٥
- وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ..... ١١١٢، ٥٦
- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ..... ١٠٠٠، ٤٧٧
- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ..... ١٠٠٠
- وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ..... ١١١٢، ٥٨٥، ١٣٢
- وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ..... ١١٥٩، ١١٠٥، ١٠٨٥
- وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ..... ١١٦٩، ١١٢٨
- وَلِيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ..... ٥١
- وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاتَّبِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..... ١١٤٣، ١١٣٤
- وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ..... ١١٣٤، ١١٣٣، ٥٣٣
- وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ..... ٨٩٦، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣
- وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ..... ٧٥٦
- وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ..... ٦٧٩، ٤٨٩، ١٣
- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ..... ١٠٩٥
- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ..... ٨٠٢، ٦١٦، ١٤٧

- وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ..... ٥٨٥
- وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ..... ١٣٢، ٥
- وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ..... ٥٥٧
- وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ..... ٢١٣
- وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَقَى الْجَمْعَانَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ..... ١١٣٦، ١١٣٤
- وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ..... ٩
- وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ..... ٨٠٢، ٦١٩
- وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ..... ٣٤٩، ١٧٢
- وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ ..... ٣٢٦
- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ..... ٦١٩، ٣٠٩، ٣٠٦
- وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ..... ٧٥٩
- وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزَكِّي ..... ١٣٤، ١٢٨، ١٢١
- وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ..... ٣١٩، ٣١٨
- وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ..... ٦٢٩، ٢٢٨
- وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا ..... ٧٣
- وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ..... ١٣٤
- وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ..... ٦١٤
- وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ..... ١٠١٨، ٢٩٤
- وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ..... ٤١٥
- وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ ..... ١١٦٦، ١١١٧
- وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ..... ٧٧٠

- وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ..... ٧١٢
- وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ..... ١١٥٩، ١١٢٠، ١٠٨٦
- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ..... ٣٥٠
- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ ..... ٣٥٠
- وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ..... ٣٤٨
- وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ..... ٤١٥، ٥٨
- وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ..... ٢١٣
- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ .. ٣٥٤، ٣١٧، ١٧٨
- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..... ١١٦٧
- وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ..... ٦٤٧
- وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ..... ١٤٩
- وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ..... ١٠٠٠
- وَمَنْ يُسَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ..... ٦٥٠، ٤٠، ٣٨
- وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ..... ١٩٠
- وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ..... ٦٤
- وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ..... ٦٤
- وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ..... ٧٧٤، ٦٤
- وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ..... ٢٦٦
- وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ..... ١٤٩
- وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتَارُ مَوْعِدُهُ ..... ٥٦
- وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً ..... ٧٧٠

- وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ..... ١١٦٣
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا ..... ١١٠١
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْقِصْ ..... ١١٧٠، ١١٠٣
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ..... ١١٧١
- وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى ..... ٦٦٩
- وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ..... ٧٤٧، ٦٤٣، ٢٢٢، ٧٦
- وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ..... ٨٥٢، ٧٤٩، ٧٢
- وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ..... ٢٢٣، ٧٦
- وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ..... ٦٨٤
- وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ..... ٧٦
- وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ..... ٧٦
- وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ..... ٣٤٢
- وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ..... ١٣٤، ١٢٨، ١٢٣
- وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ..... ٥٢
- وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ..... ١١٦٩، ١١٦٤
- وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُسُوعًا ..... ٢٢٣، ٧٥
- وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ..... ٥٣٢
- وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ..... ٣٥١
- وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ..... ١٩٤
- وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ..... ١٠٤٨
- وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ..... ١٨٢



- وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ..... ٦٤٧
- وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ..... ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٧٠، ١٠٢، ١١٦، ١١٧، ١١٨،
- ٨٣٧، ٦٦٩، ٦٤٧، ١٣٥، ١٣٣، ١٣٢، ١٢٤ . . . . .
- وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ..... ١٨٢
- وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ..... ٥٣٤
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ..... ١٠٤٦
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ ..... ١٠٦١
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ..... ١٠٦٠
- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ..... ١٠٦٠
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ..... ٨٢٢
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ..... ١٣
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ..... ١١٣٤
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ ..... ٥١٦
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ..... ١٠٧٣
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ..... ٣٦١
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ..... ٣٦١
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ..... ٣٦١
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ..... ٥١٦
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ..... ١١٣٤
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ..... ٥٥٧
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ..... ١٣٣، ٣٧٢

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْحِيكُمْ ..... ١٠٧٤
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ..... ١٠٦٠
- يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ..... ٣٦
- يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ..... ٥٥، ٥٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٩٩٩
- يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ ..... ٢٥٨، ٣٠٢، ٤١٥، ٩٨١، ٩٨٣
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ..... ٣٩٤
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ..... ٦١٩
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ..... ٧٥١
- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ..... ١٠٩٦
- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ..... ٥٧، ١٠٣١، ١٠٧٣، ١١١١، ١١١٢، ١١٣١
- يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ..... ١٠٦١
- يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ..... ٤١٥
- يَا بَحِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ..... ٨٢١
- يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ..... ١١٠٤، ١١٣١، ١١٧١
- يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ..... ١١٦٩
- يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ..... ١٠٨٠، ١١٦٩
- يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ..... ١١٦٩
- يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ..... ٦٧٩
- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ..... ٥١٦
- يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ..... ٣٣٤
- يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ..... ١١٧٠

- يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ..... ٣٩٤
- يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ..... ١٨٩، ١٨٨
- يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ..... ١١٤٣، ١١٣٦، ١١٣٤
- الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ..... ١٥٧، ١٥٥، ٣
- يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ..... ٣٢٧
- يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا ..... ١١٠٥
- يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ..... ٣١٩
- يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ..... ١٠١٦



# فهرس الأحاديث الشريفة

# فهرس الأحاديث الشريفة

- آذِنُ مَنْ حَوْلَكَ ..... ٦٠٤
- آلَانَ قَدِمْتَ ؟ ..... ٦٠١
- أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ..... ٩٩١
- الآنَ يَا عُمَرُ ..... ٣٦٧
- آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ..... ١١٦٢
- أَنْتَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ فَأَخْبِرْهُمَا ..... ٤٦٢
- اثنوني أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعدي ..... ٥٠٢
- اثنوني بأعلم رجلين منكم ..... ١٠٧١
- اثنوني بأمر خالدٍ ..... ٦٠٧
- اثنوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين ..... ١٠٦٧
- أَبَايُكُمْ عَلَيَّ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ..... ٩٩١
- أَبْشُرُوا آلَ عَمَارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ ..... ٥٢٩
- أَبْشُرِي يَا عَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَأْءِكَ ..... ١١٥٧
- أَبِي وَأَخِي ..... ٦٠٨ ، ٦٠٧
- أَبْهَذَا أَمَرْتُمْ ؟ أَمْ بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ ..... ٦٩٨
- أَبُوكَ حُدَافَةُ ..... ٦٦٦ ، ٤٤٨
- أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى سَيِّبَةَ ..... ٤٤٨
- أَبِيئُكُمْ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ ..... ١٠٥٨
- أَتَانِي جَبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ..... ٦٢٥
- أَتَانِي دَاعِي الْجَنِّ ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ..... ٩٩٠

- أَتَّبِعُ جَمَلَكَ ؟ ..... ٦٠١
- أَتَّجِدُونَ فِي كِتَابِكُمُ الرَّجْمَ ؟ ..... ١٠٧٢
- أُحِبُّهُ لِأَمِّكَ ؟ ..... ٧٦٤ ، ٢٧٥
- أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ ..... ٣٤١
- أَتَذُرُونَ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : السَّامُ عَلَيْكَ ..... ١٠٧٠
- أَتَذْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ ( يعني الشمس ) ..... ٣٤١
- أَتَذْرِي مَا أَرَادَ بِي الْمَنَافِقُونَ وَمَا هُمَا بِهِ ؟ ..... ١١٣٨
- أَتَذْرِي يَا أَبَا يَحْيَى ..... ١١٣٨
- أَتَرَضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالنَّشَاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَذْهَبُونَ ..... ٤٧٩ ، ٤٣٠
- أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ ..... ٧٤٠
- أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ ؟ ..... ٩٩٦
- أَتَقَى اللَّهُ حَيًّا مِمَّا كُنْتَ ..... ٧٧٥
- أَتَقَى اللَّهَ وَأَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ..... ٧٤٨
- أَتَقْرَأُ هُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟ ..... ٨٧١ ، ٨٦٩
- اتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ..... ٢٢٦
- أَتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةَ ..... ٥٩٩
- أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ ..... ٦٩٣
- اجْتَمَعَنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ..... ٧٤٣
- أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ ..... ٤٠١
- أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ ..... ٩٥١ ، ٨٢٤ ، ٦٨٥ ، ٣٩١
- أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ ، فَاحْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ..... ٥٨٠
- أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ..... ٧٥٨
- أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى : أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ ..... ٤٦٠ ، ٣٧٩

- ٤٩٥ ..... احْتَلُّوا هَذَا اللَّيْلَ بَيْنَنَا
- ٤٥٧ ..... احْتُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَاحِينَ التُّرَابَ
- ٨٢٠ ، ٢١٦ ..... احْرُصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ
- ٧٣٩ ..... احْتَدُوا فَإِنِّي سَافِرٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ
- ٧٧٦ ، ٢٠٥ ، ١٧٢ ..... احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ
- ٨٦٦ ..... احْفَظُوهُ ، وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ
- ١٠٥٠ ..... أَخْبِرْنِي بِهِنَّ جِيرِيلُ أَنْفًا
- ١٠١٣ ..... أَخْبِرُوا مَالِكًا إِنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ
- ٣١٥ ..... أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ
- ١١٠٩ ..... أَحْزْ عَنِّي يَا عَمْرُ
- ١٠٦٧ ..... اخْرُجْ مَعَهُمْ ، فَاقْضْ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
- ٦٠٢ ..... اخْرُجْ مَنْ عِنْدَكَ
- ٥٠٢ ..... اخْرُجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ
- ٢٦٥ ..... إِخْوَانَكُمْ حَوْلَكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ
- ٥٠٦ ..... ادْعُ خَابِرَةَ فَلْتَنْخِزْ مَعِي
- ٤٦١ ..... ادْعُ غُرَمَاءَكَ فَأَوْفِهِمْ
- ٧٤٨ ، ١٤٢ ..... ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٧٦٤ ، ٢٧٥ ..... ادْنُهُ ... فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا
- ٧٩١ ..... إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ
- ٣٧٤ ..... إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمُهُ إِيَّاهُ
- ٣٧٠ ، ٣٦٩ ..... إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا عَسَلَهُ
- ٣٧٠ ..... إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ
- ٤٤١ ..... إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ

- ٤٩٧ ..... إذا اسْتَنْصَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْ لَهُ
- ٤٣٩ ..... إذا أَمَّ أَحَدُكُمْ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ
- ٧٧٤ ، ٧٠٢ ، ٣٩٨ ..... إذا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ
- ٧٥٨ ..... إذا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ
- ٧٩٣ ..... إذا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا
- ٤٦١ ..... إذا جَدَّدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ فِي الْمَرْبِدِ آذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
- ٨٠٦ ..... إذا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
- ١١١٢ ..... إذا زَنَتْ أُمَةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُتْرَبْ عَلَيْهَا
- ٢٠٥ ، ١٧٢ ..... إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ
- ١٠٧٠ ..... إذا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا
- ٧٨٩ ..... إذا شَكَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ ، فَلْيُتَحَرَّ الصَّوَابَ
- ٥٨٤ ..... إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ
- ٥٠٢ ..... إذا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ
- ٦٤٣ ..... إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفِئِلْ
- ٧٩٣ ..... إذا قَالَ الْإِمَامُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، فَقُولُوا
- ٧٩٣ ..... إذا قَالَ الْإِمَامُ : { غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ
- ٨٩٨ ، ٨٧٠ ، ٩٠ ..... إذا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ
- ٥٢١ ..... إذا قُتِلَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ
- ٩١٢ ..... إذا كانت عليكم أمراء يأمرونكم بالصلاة والزكاة
- ٤٢٩ ..... إذا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا
- ٤٠٩ ..... إذا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
- ٤٦٦ ..... إذا مَاتَتْ فَادْبُونِي
- ٣٤٤ ..... إذا مَرَّ بِالنُّطْقَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً



- إِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ..... ٣٩٨ ، ٧٠٢ ، ٨٦٣
- إِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ ..... ٧٥٨
- إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْقَرِيضَةِ ..... ٦٤٢
- أَذْكُرُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي نَجَّأَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ..... ١٠٧١
- أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَقُلَّ لَهُ : إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ..... ٤٦٥
- أَذْهَبِ النَّاسَ رَبَّ النَّاسِ ..... ٤٦٨
- أَذْهَبَ بِنَعْلِيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيَتْ ..... ١٦٢
- أَذْهَبُوا بِهِ ، فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ ..... ٤٧٣
- أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَّ اللَّهُ النَّمْرَةَ ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ ؟ ..... ٧٩٤
- أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّكَ دَيْنٌ قَاضِيَّتُهُ ؟ ..... ٧٦٦
- أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي ..... ٩٨٧ ، ٥٧٤ ، ٨٢
- أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ ..... ١٠١٨
- أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ ..... ١٠٥٠
- أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ ..... ٥٢٣
- أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُتَأَفِّقًا خَالِصًا ..... ١١٦١
- ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا : أَنْ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ..... ٥٨٢
- ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ..... ٥٢١
- ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ ، فَعَلِمُوهُمْ ..... ٥٨٥ ، ٤٣٨
- ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ ، وَعَلِمُوهُمْ ..... ٦٦٣
- ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ بِرَحْمَتِكَ مِنَ السَّمَاءِ ..... ١٦٨
- أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ..... ١٥٣
- ارْقُبِي ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ ..... ٤٤١
- ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحْيِكَ اللَّهُ ..... ٢٣١

- ٤٨٥ ..... أسَابِيَتْ فُلَانًا ؟
- ٨٦٦ ..... اسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ
- ٨٩٧ ، ٨٦٦ ..... اسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ ، فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا
- ٣٧٠ ..... اسْتَعَدَّ لِلْفَاقَةِ
- ٧٨٤ ..... اسْتَقْرَبُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ
- ٦٢٦ ، ١٨٤ ..... أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه
- ٩٩٣ ، ١٩٨ ..... الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ
- ٦٣٤ ..... الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا
- ١٠٧٢ ..... أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله
- ٢٥٠ ..... اسْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ
- ٢٥٢ ..... اسْتَدَّ النَّاسَ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ
- ٤٧٠ ..... اسْتَفْعُوا تُؤْجَرُوا
- ٤٦٩ ..... اسْتَفْعُوا فَلتُؤْجَرُوا ، وَلَيَفِضَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ
- ١١٢٥ ..... أسفقت عن بطنه ؟
- ٢٦١ ..... أسْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
- ٦٢٤ ..... أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص
- ٥٢٩ ..... اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة
- ١١٣٧ ..... اضرب الراحلة يا حذيفة ، وامش أنت يا عمار
- ٥٣١ ..... أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ ؟
- ٧٤٦ ..... أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ ؟
- ٤٠٩ ..... أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ
- ٥٨٧ ..... أعطوني ردائي
- ٥٧٩ ..... أعطوه شيئًا مثل سيئه

- ٥٧٩..... أعطوه ، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً
- ٣٧٤..... أعلمته ؟
- ١٠٥٦..... اعلموا أنما الأرض لله ورسوله
- ٦٩١..... أعني على نفسك بكثرة السجود
- ٨٣٤..... اغتتم خمساً قبل خمس
- ١٠٣٣..... اغزوا باسم الله في سبيل الله
- ١٠٣٣..... اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا
- ٤٨٧..... أفئان يا معاد
- ٧٦٤ ، ٢٧٥..... أفحبه لابنتك ؟
- ٨..... افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة
- ١٠٥٧..... أفرايتم إن أسلم ؟
- ٧٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٦٠..... أفشوا السلام بينكم
- ٣٨٨..... أفضل الدعاء : الحمد لله
- ٣٨٨..... أفضل الذكر : لا إله إلا الله
- ٥٦٦..... أفضل الصيام بعد رمضان : شهر الله المحرم
- ٢١٠..... أفضل المؤمنين : رجل سمح البيع سمح الشراء
- ٥٢٦..... أفلا أبسررك بما لقي الله به أباك ؟
- ٥٦٠..... أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟
- ٤٤١..... أفلا تتقي الله في هذه البهيمة
- ٦٠١..... أفلا جارية تلاع عبها وتلاع عنك ؟
- ٤٦٤..... أفلا كنتم أدنتموني ؟
- ٤٨٥..... أفيلت من أمه ؟
- ٧٨٩ ، ٦٦٧..... أفي القوم أبي بن كعب ؟

- ٨٣٩ ، ٦٥٠ ، ٦٤٩ ..... اقتنوا بالذنين من بعدي ؛ أبي بكر وعمر
- ٤٤٥ ..... أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟
- ٥٨٢ ..... أقد قضى ؟
- ٧٠٠ ..... اقرءوا القرآن ما انتلفت عليه فلو بكم
- ٧٨٨ ..... اقرأ علي
- ٨٧ ..... اقرأ القرآن في أربعين
- ٨٨ ، ٨٧ ..... اقرأ القرآن في شهر
- ١٨٨ ..... اقرأ { قل يا أيها الكافرون
- ٤٨٦ ..... اقرأ : وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ، وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَتَحَوَّهَا
- ٧٦٦ ..... اقضوا الله الذي له
- ٧٥٣ ..... أقيموا الصفوف ، وحادوا بين المناكب
- ١٠٠٩ ..... اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم
- ٩٠٣ ..... اكتب ، فالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق
- ١٠٠٩ ..... اكتب : من محمد بن عبد الله
- ١٠٠٩ ..... اكتب ، من محمد رسول الله
- ٩٠٣ ..... اكتبوا لأبي شاه
- ١١٣٨ ..... اكنماهم ، فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لي
- ٣٨٩ ..... أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون
- ٧٧٨ ، ٦٦٧ ..... الأكثرون أموالا ، إلا من قال هكذا ، وهكذا
- ١١٣٨ ..... أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمدا قد وضع يده في أصحابه
- ٨١٤ ، ٢٠٩ ..... أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا
- ٣٨٩ ..... ألا أخيرك بأحب الكلام إلى الله ؟
- ٦٣٠ ..... ألا أخيرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟

- ٦٣٠..... ألا أخيرُكَ بِمَلاكِ ذَلكَ كُلِّهِ ؟
- ٧٥١..... ألا أخيرُكُمْ بِأكْبَرِ الكِبابِ ؟
- ١٠٣٤..... ألا أخيرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنزِلَةً ؟
- ٢٧٩..... ألا أخيرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ ؟
- ١٨٧..... ألا أخيرُكُمْ بِما هو أخوفُ عليكم عِندي مِنَ المَسيحِ الدِجالِ ؟
- ٥٦٧..... ألا أخيرُكُمْ بِما يُذِهبُ وَحَرَ الصَّدرِ ؟
- ٦٦٤..... ألا أخيرُكُمْ عَنِ النَّقْرِ الثَّلاثَةِ ؟
- ٦٣٠..... ألا أدُلُّكَ عَلى أبوابِ الخَيرِ ؟
- ٧٥٠..... ألا أدُلُّكُمْ عَلى ما يَمْحوُ اللهُ بِهِ الخَطايا وَيَرَفَعُ بِهِ الدَّرَجاتِ ؟
- ٤٥٣، ٤٢٨..... ألا أَسْتحي مِنْ رَجُلٍ تَسْتحي مِنْهُ المَلائِكةُ
- ٨٩١..... ألا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمُكُمْ ما جَهِلْتُمْ
- ٢٤٢..... ألا إِنَّ النَّاسَ لَم يَوتُوا في الدَنيا شَيبًا خَيرًا مِنَ اليقينِ والعافيةِ
- ٣٨٨..... ألا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيرِ أَعمالِكُمْ ، وَأَرْضاها عِنْدَ مَليِكِكُمْ
- ٧٣٩..... ألا إِنَّها تُعَدِلُ ثَلثَ الفُرانِ
- ٦٤٩..... ألا إني أوتيتُ الكِتابَ ومِثلَهُ مَعَهُ
- ٤٧٤..... ألا أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعظَمُ حُرْمَةً ؟
- ٤٧٤..... ألا أَيُّ شَهرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعظَمُ حُرْمَةً ؟
- ١٧٥..... ألا تُبَايعُونَ رَسولَ اللهِ ؟
- ١٨٠..... ألا تَسَلِمُ فَأَعَلِمَكَ كَلماتِ ؟
- ٥٨٣..... ألا تُسَمِّعُونَ ؟ إِنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَينِ
- ٩٩٨..... ألا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إلى قَومِهِ ؟
- ٢٤٩..... ألا قَلا تَتَّخِذُوا القُبورَ مَساجِدَ
- ١٤٩، ١٣١..... ألا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُنْعَةً إذا صَلَّحتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ

- ٢٤٩ ..... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون
- ٦٤٩ ..... ألا يوشيك رجل شبعان على أريكته يقول
- ٥٣٨ ..... إلام يصنحك أحدكم مما يفعل ؟
- ١٠٣٥ ..... الذي يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ( أكمل المؤمنين إيماناً )
- ٨٨٩ ..... ألسنت تاكل المرباع ؟
- ١٠٤٣ ، ٨٨٩ ..... ألسنت ترأس قومك ؟
- ٢٢٦ ..... أليس لكم في أسوة ؟
- ٢٧٤ ، ١٨٠ ..... أليس بحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه
- ١١٣٩ ، ١١٢٤ ..... أليس يظهرن أني رسول الله ؟
- ١١٣٩ ، ١١٢٤ ..... أليس يظهرن شهادة أن لا إله إلا الله ؟
- ١٠٥٨ ..... أما أبقا فتئتون عليه من الخير ما أتئتم
- ٦٦٤ ..... أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله
- ٦٠٥ ..... أما إذا كنت عني راضية فأئك تقولين
- ٦٠١ ..... أما إنك قادم ، فإذا قدمت فالكيس الكيس
- ١٠٥٠ ..... أما أول أشراط الساعة : فتار تحشر الناس
- ١١٥٦ ..... أما بعد أشيروا علي في أناس أتوا
- ٥٨٠ ..... أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين
- ٢ ..... أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله
- ٤٣٢ ..... أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل وأدغ الرجل
- ١١٥٦ ..... أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءاً ، أو ظلمت ، فتوبي إلى الله
- ٤٣١ ..... أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم ؟
- ٥٥٥ ..... أما لكم في أسوة ؟
- ٣٤٣ ..... أما مررت بواد لك محلاً

- أما وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ ..... ٩٩٦
- أما وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ..... ٥٦٠ ، ٥٥٥
- أمرتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ..... ١١٢٠
- أمرتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ..... ١٠٢٩ ، ٦٣٣ ، ٦١٣
- أمرتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ..... ٦١٨
- إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلى اللَّهِ الأُلْدُ الخَصِيمُ ..... ٦٩٧ ، ٥٣
- إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ باللهِ أَنَا ..... ٢٨٤
- إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى المُنَافِقِينَ : صَلَاةُ العِشَاءِ ، وَصَلَاةُ الفَجْرِ ..... ١١٦٣
- إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلى اللَّهِ صِيَامُ داوُدَ ..... ٥٦٧ ، ٣٩١
- إِنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إِلى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ..... ٣٨٩
- إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ..... ٣٤٤
- إِنَّ أَخَوْفَ ما أَخافَ عليكم الشُّركَ الأصغر ..... ١٨٧
- إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّاني بِهِ أهلي ..... ١٠٤٨
- إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المَصُورُونَ ..... ٢٥٢
- إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ..... ٢٥٢
- إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ..... ٧٠٤ ، ٦٧٤
- إِنَّ اللَّهَ إِذا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ ..... ٣٧٠ ، ٣٦٩
- إِنَّ اللَّهَ إِذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ..... ٣٧١
- إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَكَ القُرْآنَ ..... ٧٨١
- إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ..... ٧٨١
- إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ ، ففَلْتُمْ : كَذَّبْتُمْ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ..... ٩٨٤
- إِنَّ اللَّهَ تعالى ليحيمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحميه ..... ٣٧٠
- إِنَّ اللَّهَ تعالى يصنع كلَّ صانع وصنعتَه ..... ٣٣٥

- ٤١٠..... إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةً رَحْمَةً
- ٤٣٩..... إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ
- ٦..... إِنَّ اللَّهَ زَوْى لى الأَرْضَ
- ١٠٠١..... إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فى ظِلْمَةٍ
- ٨٠٥..... إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ
- ٦٦٨..... إِنَّ اللَّهَ كرهَ لِحُمِّ ثَلَاثًا
- ٦٥٠..... إِنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّى أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ
- ٥٨٣..... إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ
- ٨٥٧..... إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ
- ٧٠٣ ، ٦٧٢..... إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنى مُعَنًّا وَلا مُتَعَنًّا
- ٣١٨..... إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ
- ٧٠٥ ، ٦٨٢..... إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فى جُحْرِهَا
- ٥٩٤ ، ٤٣٩..... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فى الأَمْرِ كُلِّهِ
- ٣٧٣..... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقَى ، الْعَنَى ، الْحَفَى
- ٨٦٨..... إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ
- ٣٧٥..... إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٢١٧..... إن الله يلوم على العجز
- ٨٤٥ ، ٨٣٧..... أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فى جَدْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ
- ٤٥٢..... إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَى فى مَالِهِ وَصَحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ
- ٦٨٠ ، ٦٧٤..... إِنَّ الأنبياءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا
- ٤٤٧..... إِنَّ الأَنْصَارَ كَرَشى وَعَيْبَتى
- ٤٠٨..... إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا
- ٧٦٢..... إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبِّدُ بِهِ فى يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ



- ٨٠٣ ..... إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ
- ٢٤٩ ..... إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، فَمَاتَ
- ٢٤٣ ..... إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبَ
- ٤٥٢ ..... إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا بَخِيلُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ
- ٨٠٥ ..... إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَايًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ
- ٢٥٢ ..... إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تُدْخِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
- ١٧٩ ..... أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدَاءً وَهُوَ خَلْقَكَ ( أَعْظَمَ الذَّنْبِ )
- ٩٩٣ ، ٦٣٤ ، ١٩٨ ، ١٩٠ ، ١٢٧ ..... أَنْ تُعْبِدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ( الْإِحْسَانُ )
- ٨٩٧ ، ٧٨٠ ، ٦٧١ ..... إِنَّ جِبْرِيْلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً
- ١٠٠٥ ..... إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ
- ٦٠١ ..... إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً
- ١٠٢٦ ..... إِنَّ دَعْوَتُ هَذَا الْعِدْقِ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟
- ٤٧٠ ..... إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي الشَّيْءَ فَأَمْنَعُهُ ، حَتَّى تَسْفَعُوا فِيهِ فَنُؤْجِرُوا
- ٤٦٤ ، ٣٧٥ ..... أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى
- ٤٨٠ ..... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ النَّجْشِ
- ٤٣٩ ..... إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ
- ١٠٣٨ ..... إِنَّ سِيَّاحَةَ أُمَّيِّ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى
- ٣٤٢ ..... إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ
- ٧٤٥ ، ٦٧٥ ..... إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحْفَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنَحَتِهَا
- ٧٤٣ ..... إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقِصَرَ حُطْبَتِهِ ، مِئْتَةٌ مِنْ فِئِهِ
- ٤٢٩ ..... إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيٌّ
- ١٠٦٨ ..... إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ أَظَلَّ نَجْرَانَ
- ١٠٣٥ ..... إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ

- ٥٨١ ..... إِنَّ فِيكَ خَصَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ
- ٨١٤ ، ٣٧٣ ..... إِنَّ فِيكَ لَخَصَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ
- ٤٣١ ..... إِنَّ فَرِيضًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ
- ٤٥٦ ..... إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيُؤَلِّ
- ٧٨٥ ..... إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيْنًا
- ٨٦٧ ..... إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ
- ٣٢٣ ، ٢٢٥ ..... إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةَ وَتِسْعِيْنَ اسْمًا
- ٧٧٣ ..... إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالثُّبْيَانِ
- ١٠٩١ ..... إِنَّ الْمَاءَ قَلِيْلًا ، فَلَا يَسِيْفُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ
- ٤٩٧ ..... إِنَّ مَثْلِي وَمَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
- ٣٧٩ ..... إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ
- ٤٣٧ ..... إِنَّ الْمَسِيْحَ الدَّجَالَ رَجُلٌ قَصِيْرٌ أَفْحَجٌ
- ٧٠٤ ..... إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
- ٤٢٩ ..... إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ
- ٧٠١ ، ٥٩٧ ..... إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٩١٥ ..... إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا : إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ
- ٣٧٧ ..... إِنَّ مِنَ الْإِيْمَانِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ رَجُلًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ
- ٧٧١ ..... إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا
- ٥٩٦ ..... إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا
- ٤٧٩ ..... إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ
- ٧٤٦ ..... إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ
- ٨٢٦ ..... إِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى
- ٤٠٧ ..... إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيْهِ

- ٥٦٨ ..... أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَجَّ ثَلَاثَ حَجَجٍ
- ٥٥٩ ..... إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَأَخْتَرَطُ سَيْفِي
- ١٠١٤ ..... إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ
- ٨٢٦ ..... إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْعِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ
- ٦٦٢ ..... إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
- ٤٦٤ ..... إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظِلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا
- ١٣١ ..... أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ
- ١٠٧٥ ..... إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ
- ٢٨٧ ، ٢٨٤ ..... أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً
- ١٠٤٣ ، ٨٨٩ ..... أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ
- ٣٦ ..... أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ
- ١٠٠٤ ..... أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ
- ٧٠٠ ..... أَنَا زَعِيمٌ بَيِّنٌ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا
- ١٠٣٦ ..... أَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بَيِّنٌ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ
- ٨٧٠ ..... أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٥٩٣ ..... إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا
- ٥٨٠ ..... إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَدْنَى مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ
- ٥٩٢ ..... إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ
- ٢٤٨ ..... أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ
- ١٤٨ ..... إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينَنَا وَاحِدٌ
- ٥٧٨ ، ٥٠٦ ..... أَنَا نَزَلْتُ
- ١٠٠٥ ، ١٥٣ ..... أَنَا نَبِيٌّ
- ٥٨٨ ..... أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

- الأُنبياءُ ثُمَّ الأَمْتَلُ فالأَمْتَلُ (أشد الناس بلاء) ..... ٤١٨
- أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَبْتَ ..... ٣٦٦
- أَنْتَ مَيِّ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ..... ٤٥٣
- أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ ..... ٧٩٠
- أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ ..... ٥٦٠ ، ٥٥٥
- الأَنْصَارُ شِعَارٌ ، وَالنَّاسُ دِيَارٌ ..... ٤٧٩ ، ٤٣٠
- انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ ..... ١٠٧٢ ، ١٠٥٦
- أَنْظَرْتُ إِلَيْهَا ؟ ..... ٤٩٦
- انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ..... ٣٩٦
- انْظُرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ..... ٥٤٢ ، ٣٨٢
- انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ..... ١٠٧٦
- إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ..... ٤٨٥ ، ٢٧٩ ، ٢٦٥
- إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ ..... ٢٨٤
- إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ..... ١٠٤١ ، ٩٩٠
- إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا ..... ١٥٣
- إِنَّكَ لَا بِنْتُهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٌّ ..... ٥٩٩
- إِنَّكَ لَسُنْتَ مِنْهُمْ ..... ٤٥٦
- إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَقَا إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ ..... ٨٤٠ ، ٧٩٨
- إِنَّكُمْ سَتَلْفُونَ بَعْدِي أُمَّةً ..... ٤٧٩ ، ٤٣٠
- إِنَّكُمْ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ..... ٢٥٧
- إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ خَرَجَ مِنْهُ ..... ٣٨٤
- إِنَّكُمْ لَمْ تُسَلِّمُوا فَاسْلَمُوا ..... ١٠٦٥
- إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ..... ٨٠١ ، ٧٧٦ ، ١٨٦

- إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى ..... ٨٠٢
- إِنَّمَا أَنَا شَفَعٌ ..... ٤٧١
- إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ..... ٧٩٠
- إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ أَعْلَمُكُمْ ..... ٦٧٢ ، ٧٠٨
- إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُؤْلَهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ..... ٣٩٨
- إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ ..... ١٣١ ، ٨١٣
- إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ ..... ٥٨٤
- إِنَّمَا خَيْرَ نَبِيٍّ اللَّهُ فَقَالَ ..... ١١٠٨
- إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ ..... ٧٧٧
- إِنَّمَا مِثْلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمِثْلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ ..... ٨٦٩
- إِنَّمَا هَلِكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ بَيْنَهُمْ ..... ١٠٣
- إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الْكَلَامُ وَالْهَدْيُ ..... ٧٣ ، ٣٠١
- إِنَّمَا هُوَ النَّسِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ ..... ٦٦٢
- إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ ..... ٥٨٢
- إِنَّهُ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ ..... ٧٦١
- إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ..... ٤٥٠
- إِنَّهُ لَا يُبْعِثُنِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ ..... ٤٤٠ ، ٥٨٦
- إِنَّهُ لَبَحْرٌ ..... ٥٠٨ ، ٥٨٨
- إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ ..... ٧٨٩
- إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبِهِ ، وَلَكِنهَا رَحْمَةُ النَّاسِ ..... ٢٠٩ ، ٥٨٥
- إِنَّهُ لَيْسَتْ تُغْفَرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ..... ٦٨٢
- إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ..... ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٥٦٩
- أَنَّهُ مَا يَمْتَنِعُكَ أَنْ تُسَلِمَ خَصَاصَةً تَرَاهَا مِمَّنْ حَوْلِي ..... ١٠٤٣

- ٣٥٢ ..... إِيَّاهَا حَبَبَةُ أَبِيكَ
- ٥٦٣ ..... إِيَّاهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ
- ٥٩٣ ..... إِيَّاهَا كَانَتْ ، وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ
- ٤٩٤ ..... إِيَّيْ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْسَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي
- ١٠١١ ..... إِيَّيْ أُعْطِيَ فَرِيْسًا أَتَأْفَهُمْ ، لِأَنَّهُمْ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ
- ١٠١٢ ..... إِيَّيْ أُعْطِيَ قَوْمًا أَخَافُ ظَلْعَهُمْ وَجَزَّعَهُمْ
- ١١٤٧ ..... إِيَّيْ أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ وَيَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ
- ١١٣٨ ، ١١٢٤ ..... إِيَّيْ أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ : إِنَّ مُحَمَّدًا لَمَّا انْقَضَتْ
- ١٠٠٦ ..... إِيَّيْ أَمَرْتُ بِالْعَفْوِ ، فَلَا تُقَاتِلُوا
- ١١٠٩ ..... إِيَّيْ خَيْرَتْ فَاخْتَرْتُ
- ٤٦٣ ..... إِيَّيْ قَدْ أَدْنَى لِي بِالْخُرُوجِ
- ٤٣٧ ..... إِيَّيْ قَدْ حَذَرْتُمْ الدَّجَالَ
- ٧٣٩ ..... إِيَّيْ فُلْتُ لَكُمْ : سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ
- ٥٧٢ ، ٥١٠ ..... إِيَّيْ لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا
- ٤٣٣ ..... إِيَّيْ لِأَجْبُكَ يَا مُعَاذُ
- ٤٤٠ ..... إِيَّيْ لِأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا
- ٢٦٨ ..... إِيَّيْ لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً
- ٥٦٩ ، ٢٧٠ ..... إِيَّيْ لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً
- ٤٣٧ ..... إِيَّيْ لِأُعْطِيَ الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ
- ٦٠٥ ..... إِيَّيْ لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَلَيَّ رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي
- ٥٣٧ ..... إِيَّيْ لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ
- ٥٨٣ ..... إِيَّيْ لِأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوَّلَ فِيهَا
- ٥٩١ ..... إِيَّيْ لِأَقْتَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ الثَّمَرَ

- إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُتَقَبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ ..... ١١٢٠، ١٠٩١، ٤٤٥
- إِنِّي وَمَعَادًا حَوْلَ هَاتَيْنِ ..... ٤٨٧
- أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهَرَ الرَّجُلِ ..... ٤٥٦
- أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ ..... ٣٩٢
- أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ : ... وَالْحَبِّ فِي اللَّهِ ، وَالْبِغْضِ فِي اللَّهِ ..... ٤
- أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ : الْمَوَالَاةَ فِي اللَّهِ ، وَالْحَبِّ فِي اللَّهِ ..... ٣٦١
- أَوْسَعُوا لِلشَّيْخِ ..... ١٥٢، ١٥٠
- أَوْصِيكَ يَا مَعَادُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ ..... ٧٦٣، ٣٧٥
- أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ..... ٧٥٢، ٣٩٨
- أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ : أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ..... ٥٠٢
- أَوْفَ بِنَدْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وِقَاءَ لِنَدْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ..... ٢٥٥
- أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِيحُ الْجَنَّةِ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ ..... ٤٠٩
- أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..... ٢٤٩
- أَوْ لَا أَذُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّبْتُمْ ؟ ..... ٧٧٩، ٣٧٨، ٣٦٠
- أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟ ..... ٥٩٤، ٢٢٩
- أَوْمُخْرَجِي هُمْ ؟ ..... ٩٨٣
- أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : (( خُلِقَ حَسَنٌ ..... ٢١٠
- أَيُّ بَرِيرَةٍ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ ؟ ..... ١١٥٤
- أَيُّ رَجُلٍ عِنْدَ اللَّهِ فِيكُمْ ؟ ..... ١٠٥٠
- أَيُّ سَعْدُ ! أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ؟ ..... ١٠٠٨
- أَيُّ عَمٍّ ، إِنَّكَ أَعْظَمُ النَّاسِ عَلَيَّ حَقًّا ..... ١٠٢٠
- أَيُّ عَمٍّ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةٌ أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ..... ١٠١٩
- أَيُّ عَمْرُ ، أَكُنْتُ قَاتِلَهُ لَوْ أَمْرُكَ بِقَتْلِهِ ؟ ..... ١٠٩٩

- ٣٨٩..... أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ
- ٨٧٠..... أَيُّ هَوْلَاءَ أَكْثَرَ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟
- ٤٥٦..... إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادِحَ فَإِنَّهُ الدَّبْحُ
- ٣٨١..... إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ
- ٧٨٤..... أَيُّكُمْ يَبْسُطُ نَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا
- ٧٢٠..... أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً
- ٦٣٧..... إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ (أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟)
- ٦٣٤..... الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَتُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ
- ٩٩٤، ٢٠٠..... الْإِيْمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً
- ٢٠٣..... الْإِيْمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا
- ١٠٢٦..... أَيْنَ تَرِيدُ؟
- ٥٧٢..... أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟
- ١٠٤٩..... أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟
- ٧٩٤..... أَيَنْفَعُ الرُّطْبُ إِذَا يَبَسَ؟
- ٦٣٤..... أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا
- ٢٤٠، ١٨٧..... أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشَّرْكَ
- ٨٧٠..... أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟
- ٨٦٦..... بَدَسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ
- ١٠٠٥..... بَأَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَتُكْسَرَ الْأَوْثَانُ (لِمَنْ سَأَلَهُ بِمَا أُرْسِلُ؟)
- ٣٨٢..... بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ
- ٦٦١..... بَخٌ بَخٌ لَقَدْ سَأَلْتَ بَعْظِيمَ
- ٦٥٧..... بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ
- ٢٠٩..... الْبِدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ؛ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ



- ٢١٠ ..... البذاذة من الإيمان
- ٩١٥ ..... البركة مع أكابركم
- ٧٤٦ ..... بَسُّرُوا وَلَا تُنْقَرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا
- ٧٧٤ ، ٧٧٣ ..... بُعِثَتْ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ
- ٧٤٤ ..... الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ
- ١٥١ ..... بكيت من صنع عمران
- ١٠٠٧ ، ٥٧٨ ..... بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا
- ٧٨٩ ، ٦٦٧ ..... بل نُسِيئُهَا
- ١٠٠١ ، ٧٠٣ ، ٥٢٠ ..... بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً
- ٩٩٤ ، ٦٣٠ ..... بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ
- ٦٣١ ..... بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ دَعَائِمِ
- ٨٣٣ ..... بُورِكَ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا
- ٦٣٢ ..... بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ
- ٦٣٢ ..... بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ أَوْ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ
- ٦٣١ ..... بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ
- ٦٣١ ..... بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ تَرْكُ الصَّلَاةِ
- ٧٨٤ ..... بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتَيْتُ بِهِ
- ٥٨١ ..... الثُّوَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ
- ٥٦٨ ..... تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ
- ٧٩٥ ..... تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا
- ٧٩٥ ..... تَأْخُذُ مَاءً فَتَطْهَرُ ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ
- ٨١٥ ، ٥٨١ ..... التَّانِي مِنَ اللَّهِ ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ
- ٨٧٥ ..... تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ

- ٤٥٥ ..... التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ
- ٦٤١ ..... التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ
- ٤٠٨ ..... تَخْرُجُ عُنُقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ يُبْصِرَانِ
- ٦٦٥ ..... تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِي لِمَ يَضَعُ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ
- ٣٤١ ..... تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟
- ٤٠٨ ..... تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟
- ٢٢٦ ..... تَرَكْتُمْ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تُضِلُّوا بَعْدِي
- ٢٤ ..... تَرَكَتُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا سِوَاهُ
- ٦٠١ ..... تَزَوَّجْتَ ؟
- ٨٩٧ ، ٨٦٦ ، ٩١ ..... تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ
- ٩١ ، ٩٠ ..... تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ
- ٢٤٤ ..... تُعْرَضُ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ
- ٢٥٤ ، ٢٣٩ ..... تُعِيسَ عَبْدُ الدِّيَّارِ
- ٥٤٢ ..... تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ
- ٣٨٢ ..... تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ
- ٧ ..... تُكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُكُونَ
- ٤٨٠ ..... تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . فَقَالُوا
- ٤٥٧ ..... تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ
- ١٠٥٢ ..... تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ
- ٤٨٤ ، ٤٨٠ ، ٣٧٨ ..... تَهَادُوا تَحَابُّوا
- ٧٩٦ ..... تَوْضِيئِي بِهَا
- ٦٣٠ ..... تَكَلِّتُكَ أُمَّكَ يَا مَعَادُ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَآخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ
- ٤٩٧ ..... ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغْلُ عَلَيْنَهُنَّ قَلْبٌ مُسْلِمٌ

- ١٢٦..... ثلاثٌ من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان
- ٥٦٦..... ثلاثٌ من كلِّ شهرٍ . ورَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ
- ٣٧٧ ، ٣٦٦..... ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَّ بهنَّ حلاوة الإيمان
- ٢٠٧..... ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَّ حلاوة الإيمان
- ٧٧٧..... ثلاثة أفسيم عليهنَّ وأحدتكنم حديثًا فاحفظوه
- ١٠٤٧..... ثلاثة لهم أجران
- ٥٥٣..... ثمَّ إنَّها تخلفُ من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون
- ٣٨ ، ٧..... ثمَّ تكونُ خلافةٌ على منهاج النبوة
- ٦٢٩..... ثمَّ عرجَ بي حتَّى ظهرتْ لمُسْتَوَى أسمعُ فيه صريفَ الأقدام
- ٣٤١..... ثمَّ فوق ذلك ثمانية أوعال
- ٦٢٦..... ثمَّ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله
- ١٠٣٨..... جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنِّيَّتُمْ
- ١٠٧٤..... جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَالسِّنِّيَّتُمْ
- ٩٧..... الجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ
- ٤٧٠..... جُدَّ لَهُ فَأَوْفَ لَهُ الَّذِي لَهُ
- ٤٥٥..... الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ
- ٣١٥..... حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ
- ٧٧٦..... الْحَرْبُ خِدْعَةٌ
- ٧٨٨ ، ١٠٠..... حَسْبُكَ الْآنَ
- ٢٠٦..... حَقَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ : أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
- ١٠٤٢ ، ٤٦٧..... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ
- ٧٧٦..... الْحَمُّ الْمَوْتُ
- ٧٧٦..... الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ

- الحياء من الإيمان ..... ٢٠٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢
- الحياء والعي شعبتان من الإيمان ..... ٢٠٣
- حُدِّ جَمَلَك ، وَلكَ تَمَنُّهُ ..... ٦٠١
- حُدُوا عَنِّي . حُدُوا عَنِّي ..... ٧٤٤
- حُدُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ ..... ٨٥٩ ، ٨٤٠ ، ٧٨٣ ، ٤٥٤
- حُدُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطَيِّفُونَ ..... ٧٥١
- حُدُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطَيِّفُونَ ..... ٥٦٥
- خَرَجَ ثَلَاثَةٌ نَقَرَ يَمْسُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ ..... ٨٠٧
- خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ ..... ٦٢٧
- خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ ..... ٢١٠
- خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا فَقَالَ ..... ٣٣
- خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ ..... ٨١٤ ، ٢٠٩
- خَيْرُ النَّاسِ أَعْذَرُهُمُ لِلنَّاسِ ..... ٤٤٧
- خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي ..... ٦٥٠
- خَيْرُكُمْ قُرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ..... ٤٥٢
- خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ..... ٨٣٧ ، ٧٠٤ ، ٦٧٤
- الْخَيْلُ مَعْفُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ..... ٧٥٤
- الْخَيْمَةُ دَرَّةٌ مَجُوقَةٌ ..... ٤٠٩
- دَعِهْ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ ..... ٢٠٢
- دَعَهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ..... ١٠٩٨ ، ٤٨١
- دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشِّرَى عَيْسَى ..... ١١٧
- دَعَا الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ لِأَخِيهِ بظَهْرِ الْعَيْبِ مُسْتَجَابٌ ..... ٣٨٠
- دَعُونِي فَأَلْذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ ..... ٥٠٢

- دَعُونِي مَا تَرَكَكُمْ ..... ٨٦٣، ٧٠٢، ٣٩٨
- دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ..... ٥٧٩
- دَعُوهُ ، وَأَهْرِيفُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ ..... ٥٨٤
- دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ ..... ١١٥١، ١١٤٩، ٤٨١، ٢٦٥
- دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ ..... ١١٥١، ١٠٩٨، ٤٨١، ٢٦٥
- دُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ ..... ٤٦٤
- الدِّينُ النَّصِيحَةُ ..... ٧٧٣، ٥٠٠، ٤٩٦
- ذَاقْ طَعْمَ الْإِيمَانِ مِنْ رِضِي بِاللهِ رَبًّا ... ..... ٩٥٢، ٢٠٨
- ذَانِكَ يَوْمَانَ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ..... ٥٦٧
- ذَلِكَ أُرِيدُ ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ..... ١٠٥٦
- رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ..... ٦٣٠
- رَأَيْتُ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا ..... ٧٩٢
- رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا ..... ٢٧١
- رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ..... ٤٣٣
- رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ ..... ٢٧١
- رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ..... ١٠٠٧، ٥٩٣
- رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ..... ٥٧٠
- رَبَّاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ ..... ١٠٣٧
- رَجِمَ اللهُ مُوسَى فَمَا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصِيرَ ..... ١٠١٢، ٤٣٠
- رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ ..... ٥٩٤، ٢٢٩
- رُفِعَتِ الْأَفْلامُ وَجَعَتِ الصُّحُفُ ..... ٢٠٥، ١٧٢
- زَمَلُونِي زَمَلُونِي ..... ٩٨٣
- زَيُّوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ..... ٩٨

- ٧٩٥..... سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا
- ٤٣١..... سَتَجِدُونَ أَثْرَةَ شَدِيدَةٍ فَاصْبِرُوا
- ٤٠١..... سَدَّدُوا وَقَارِبُوا ، وَعَلَّمُوا أَنْ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ
- ٤٠٠..... سَدَّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْتَدُوا وَرَوْحُوا ، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ
- ٦٦٠..... سَلَنِي عَمَّ شَيْئًا
- ٤٤٨..... سَلُونِي ، سَلُونِي
- ١٠٥١..... سَلُونِي عَمَّا شَيْئًا ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ
- ٣١٥..... سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟
- ٦٧٣..... سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ
- ٢٤٨..... السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
- ١١٦٤..... شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ : شُحُّ هَالِعٍ ، وَجُبْنُ خَالِعٍ
- ٩٠..... شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ
- ١٨٧..... الشَّرْكُ الْخَفِيُّ : أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّيُ فَيَزِيئُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ
- ٢١٠..... الصَّيْرُ وَالسَّمَاةُ . ( جَوَابًا لِمَنْ سَأَلَهُ : مَا الْإِيمَانُ ؟ )
- ٣٩١..... الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا ( أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ )
- ٥٦٣..... الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا ( أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ )
- ٦٥٦..... صَلُّوا فِي نَعَالِكُمْ ، خَالِفُوا الْيَهُودَ
- ٥٨٥ ، ٥٥٤ ، ٤٣٨..... صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي
- ٨٧..... صَمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةٌ
- ٦٣٠..... الصَّوْمُ جَنَّةٌ
- ٥٦٦..... صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ
- ٣٣..... ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا
- ٦٧٥..... طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

- الطيرة شرك ..... ٢٥٣، ٢٤٧
- الظُّلْمُ ظُلَمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ..... ٧٧٦
- العِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ..... ٣٢٨
- عِظْمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظْمِ النَّبَاءِ ..... ٣٧١
- عَلَمُوا وَيَسْرُوا ، وَلَا تَعْسَرُوا ..... ٧٠٣، ٦٧٣
- عَلَى رَسَلِكُمْ أُبَشِّرُوا ..... ٧٤٦
- عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ ، وَإِيَّاكَ وَالْعُفْفَ ..... ٥٩٤، ٢٢٩
- عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ..... ٣٩٢
- عليكم بالقرآن ، فإنكم ستؤخرون إلى قوم يشتهون الحديث عني ..... ٨٧٨
- عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيفُونَ ..... ٨٢٥، ٧٧٩
- عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً ..... ٥٦٩
- العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ..... ٦٣٢
- عَارَتْ أُمَّكُمْ ..... ٤٤٧
- فَأُبَشِّرُوا وَأْمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ..... ٧٤٧، ٥٣١، ٤٣٧
- فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً ..... ٥٨٤
- فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً ..... ٥٨٣
- فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ ..... ٥٨٤
- فَأَحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ..... ٥٦٧
- فَأَحْسِنُ الْكَلَامَ كَلَامُ اللَّهِ ..... ٧٣
- فَأخبرهم أن الله فرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في يومهم وليلتهم ..... ٥١٤، ٢٨٤
- فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ..... ٨٥٣، ٦١٦
- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ..... ٦٦٣
- فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ..... ٧١٣

- فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ : مَرْحَبًا مَرْحَبًا ..... ٦٧٣
- فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ ..... ١٠٣٥
- فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي ..... ١٥٣
- فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ..... ٢١٧
- فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ..... ١٠٢٩ ، ٦٣٣ ، ٦١٣
- فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ ، وَالْيَهُودِ ..... ٧٣
- فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ..... ١١٢٣ ، ١١٢٠
- فَادْهَبْ فَاظْطُرْ إِلَيْهَا ..... ٤٩٦
- فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ..... ٣٩٢
- فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ..... ٨٨ ، ٨٧
- فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! انْذِنْ لِي فِيْمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ..... ٦٢٦
- فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، ..... ٦٢٦
- فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ..... ٤٧٤
- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ..... ٤٧٢
- فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ..... ٧٥٨ ، ٧٥١ ، ٥٦٥
- فَإِنَّ الْجَوَازَ هُوَ خَيْرٌ ..... ٧٤٢ ، ٦٦٠ ، ٢٠
- فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ ..... ١٠٤٣ ، ٨٨٩
- فَإِنَّ عُمْرَةَ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً ..... ٥٦٩
- فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّوِيْمَ ..... ٥٨٤ ، ٤٣٩
- فَإِنَّ قَبْلَ مِنْهُ قَدَاكَ ..... ٤٩٧
- فَإِنْ قَبِلَهَا قَبْلَهَا ، وَإِنْ رَدَّهَا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ ..... ٤٩٨
- فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ..... ٢٢٧
- فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَلَيْتَهُ يَرَاكَ ..... ٩٩٣ ، ٦٣٤ ، ١٩٨ ، ١٩٠ ، ١٢٧



- فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ..... ٢١٧، ٨٢٠
- فَإِنَّ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلَمُهُمْ ..... ١٤٢، ٧٤٨
- فَإِنَّ وَلِيِّ جِبْرِيلَ عليه السلام ..... ١٠٥١
- فَأَنْشَدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ..... ١٠٥١
- فَانْطَلِقْ إِذَا أَصْبَحْتَ فَاجْمَعِهِمْ ..... ١١٣٩
- فَإِنَّمَا أَنَا مِنَ وَلَدِ آدَمَ أَغْضِبُ كَمَا يَغْضِبُونَ ..... ٧٢٠
- فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَنَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ..... ٩٩٣
- فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ..... ٧٩٣
- فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ..... ٧٩٣
- فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ..... ٣٩٨
- فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ ..... ٢٧٠
- فَإِنِّي إِذَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ..... ٧٩٠
- فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ ..... ٣٧٥، ٤٦٤
- فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ..... ٦٠٢
- فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ..... ٨٢، ٥٧٤، ٩٨٧، ١٠١٨
- فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ سَلَامٍ ؟ ..... ١٠٥٧
- فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدَهَا ؟ ..... ٦٦٧
- فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ..... ٩٨٣
- فَقَانٌ ، فَقَانٌ ، فَقَانٌ ..... ٤٨٦
- فَقَتَّلَاهُ بِرَحْمَتِهِ ..... ٣١٧
- فَتَلِكْ عِبَادَتِهِمْ ..... ١٨٠، ٢٧٤
- فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ..... ٥٢٣
- فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَعَّاهُ فِي دِينِ اللَّهِ ..... ٧٠٤

- ٧٥٠ ..... فَذَلِكُمُ الرَّبَّاطُ
- ٧٥٠ ..... فَذَلِكُمُ الرَّبَّاطُ . فَذَلِكُمُ الرَّبَّاطُ
- ٨٧٥ ..... فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ
- ٨٧٢ ..... فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَا فِقْهَ لَهُ
- ٧٣ ..... فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ
- ١٠٥١ ..... فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ
- ٦٨٢ ..... فَضَلُّ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ
- ٦٨٢ ..... فَضَلُّ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ
- ٩٨٩ ، ٧٧٣ ..... فَضَلَّتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَيْتٌ
- ٤٠٨ ..... فَضَلَّتْ عَلَيْهِنَّ بَيْتَسَعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا
- ٦٢٨ ..... فَطَاشَتِ السَّجَّالَاتُ وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ
- ٦٥٧ ..... فَطَوْبَى لِلْغُرَبَاءِ
- ٦٤٩ ، ٥٥٣ ، ٣٩٩ ..... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ
- ٨٣٨ ..... فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ
- ٦٢٩ ..... فَفَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً
- ١١٣٩ ، ١١٢٤ ..... فَقَدْ نُهِيتَ عَنْ قَتْلِ أَوْلَانِكَ
- ٣٤٣ ..... فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى
- ٩٩٥ ..... فَكَيْفَ تُصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟
- ١١٥٠ ..... فَكَيْفَ يَا عَمْرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ
- ٤٣٣ ..... فَلَا تَدَّخِرْ أَنْ تُقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ
- ٦٣٧ ..... فَلَا جِهَادَ وَلَا صَدَقَةَ ؟ فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذَا ؟
- ٥٨٢ ، ٤٢١ ..... فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ
- ٤٨٦ ..... فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ

- فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ ..... ١٣٠، ١٤٢، ٦١٦، ٦١٧، ٨٤٣، ٩٩١، ١٠٤١
- فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ ..... ١٤٧
- فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ..... ٢٨٤، ٢٩٣، ٥١٤
- فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَرْجُمُوهُمَا ؟ ..... ١٠٧١
- فَمُرُّ بِرَأْسِ التَّمْتَالِ الَّذِي فِي النَّبْتِ يُقَطَّعُ ..... ٢٥١
- فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بَسْتِي وَسِنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ..... ٧٥٢
- فَمَنْ تُعَدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ ..... ١٨٠
- فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ..... ٥٥٣
- فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ..... ٢٢٧، ٥٥٥، ٥٦٠
- فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصِمَ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ ..... ٦١٨
- فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ ..... ١٠١٢
- فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ..... ١٠١٤
- فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهَوَّ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا ..... ٩٠
- فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ ..... ١١٠٥
- فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَوَّ أَشَدُّ تَفَصُّبًا مِنَ الْإِبِلِ ..... ٩١، ٨٦٦، ٨٩٧
- فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ..... ٤٣٧، ٧٤٧
- فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا ..... ٨٢٥
- فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ..... ١٠٧٦
- فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ..... ٥٣١
- فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا ..... ١١٤٠، ١١٦٠
- فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ ، لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ ..... ٧٩٣
- فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ..... ٢٨٤
- فَيَخْرُجُونَ كَاللُّوْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْحَوَاتِمُ ..... ٦٢٧

- فَيُقَالُ لِي : انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأُخْرِجُهُ  
 مِنَ النَّارِ ..... ٦٢٦
- فَيَبْضُ قُبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرَجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ..... ٦٢٧
- فَيَبْتُونَ كَمَا يَبْتُ الْعَنَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّبِيلِ ..... ٦٢٨
- فِيهِ الْوُضُوءُ ( المذي ) ..... ٦٦٨
- فَاتُّوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ..... ١٠٣٣
- قَالَ اللَّهُ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ..... ٤٠٩
- قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ..... ٩٩٢ ، ١٨٦
- قَالَ اللَّهُ ﷻ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ..... ٨٠٢
- قال الله ﷻ : قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ..... ٣٧٣
- قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ..... ٧٦١
- قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } ..... ٨١
- قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ..... ٥٦١
- قَدْ أَحْبَبْتُكَ ..... ٥٠٤
- قَدْ أُوذِيَ مُوسَىٰ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ ..... ٥٧٣
- قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ ..... ٤٥ ، ٣٨
- قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ..... ٧٤٤
- قَدْ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ ..... ٤٤٣
- قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ..... ٧٦٠
- قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ ..... ٤٥٢
- القصد ، القصد ، تبلغوا ..... ٩٥١
- قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ ..... ٧٧٦
- قل : اللهم ألهمني رشدي ، وقلني شرّ نفسي ..... ١٨٠

- ٢٧٣ ، ١٥١ ..... قل : اللهم إني أستهديك لأرشد أمري
- ٢٧١ ..... قل : اللهم إني أعوذ بك من شرِّ سمعي
- ٦٤٣ ..... قل : اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا
- ٢٤٤ ..... قل : اللهم ! اهدني وسدّني
- ١٠٦٧ ..... فم يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ
- ٢٤٠ ، ١٨٨ ..... قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئًا نعلمه
- ٢٤٨ ..... قولوا بقولكم أو بعض قولكم
- ٩٩٧ ، ٨١ ..... قولوا لا إله إلا الله فليحوا
- ٤٢٨ ..... قوموا إلى سيّدكم
- ٥٥٤ ..... قوموا فأنحروا ، ثمّ احلّفوا
- ١٥١ ..... قوموا فشيعوه إلى منزله
- ٩٠٣ ..... قيّدوا العلم بالكتاب
- ٥٦٣ ..... كان إذا صلى الفجرَ جلسَ في مُصَلَّاهُ حَتَّى تُطْلِعَ الشَّمْسُ حَسَنًا
- ٣٣٥ ..... كان الله ولم يكن شيء قبله
- ٥٥٨ ، ٤١٧ ..... كان الرجلُ فيمن قبلكم يحفرُّ له في الأرض
- ٣١٦ ..... كان رجلٌ يسرفُ على نفسه ، فلما حضره الموتُ قالَ
- ٥٩٦ ..... كان رسولُ الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا
- ٥٩٠ ، ٢٣٣ ..... كان فرأش رسولُ الله ﷺ من آدم
- ٦٨٢ ..... كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتلَ تسعةَ وتسعينَ نفسًا
- ٩٨٩ ..... كان كلُّ نبيٍّ يُبعثُ إلى قومه خاصّة
- ٥٦٦ ..... كان النبيُّ ﷺ يتحرَّى صومَ الاثنينِ والخميسِ
- ٥٦٩ ..... كان النبيُّ ﷺ يذكرُ الله على كلِّ أحيانه
- ٥٦٨ ..... كان يعتكفُ العشرَ الأوخرَ من رمضانَ

- الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظْمَةُ إِزَارِي ..... ٣٢٨
- كِتَابُ اللَّهِ ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ..... ٦١
- كَذَبَ ، قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَثْقَاهُمْ لِلَّهِ وَأَدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ ..... ٥٧٦
- كَذِبْتُمْ ، لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ ..... ١٠٥٨
- كَذِبْتُمَا ، يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دَعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلِدًا ..... ١٠٦٥
- كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ..... ٦٣٠
- كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ..... ٩١٩
- كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ ..... ٧٨٩
- كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ..... ٣٩٨
- كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنْ ابْنِي ارْتَحَلَنِي ..... ٦٠٦
- كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ..... ٧٧٤
- كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ..... ١٠٤٢
- كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ..... ٣٨٢
- كُلُّ مُصَوَّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ ..... ٢٥٣
- كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْمَلِيَّةِ ..... ٩٩٢
- كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ ..... ١٠٣٨
- كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ ، وَلَا تَحْتَلِفُوا ..... ٦٩٩
- كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ..... ٥١٨
- كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ..... ٣٩٠
- كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي ..... ٥٠٦
- كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ..... ٢٣٢ ، ٧٦٨
- كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ ..... ٣٧٣
- كُنَّا نُهَيِّئُ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ ..... ٣٢١

- ٤٠٧ ..... كَيْفَ تَجِدُكَ ؟
- ٩٩٥ ..... كَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِذا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟
- ٤٨٧ ..... كَيْفَ تَصْنَعُ يَا ابْنَ أَخِي إِذا صَلَّيْتَ ؟
- ٨٧ ..... كيف تقوم ؟
- ١١٥٣ ..... كَيْفَ تَيْكُمُ ؟
- ٧٨٨ ..... كيف صنعتَ في استلامك الحجر ؟
- ٥٩٨ ..... لئن كنتَ أَعْضَيْتَهُمْ لَقَدْ أَعْضَيْتَ رَبِّيكَ
- ٧٢٣ ..... لا ، إني أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا
- ٨٤٠ ، ٧٩٨ ..... لا ، بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ
- ٤٥٢ ..... لا تُبْعَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ
- ٥٣٧ ..... لا تُبْكِيهِ - أَوْ مَا تُبْكِيهِ ؟
- ٢٥١ ..... لا تجعلوا بيوتكم قبوراً
- ٣٨٢ ..... لا تُحَاسِدُوا ، وَلا تُتَاجَسُوا
- ٥٥٩ ، ٣١٥ ..... لا تُحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا
- ٤٢٧ ..... لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً
- ٦٣٨ ..... لا تدخلوا الجنةَ حتَّى تؤمنوا
- ٧٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٦٠ ..... لا تُدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا
- ٩٢١ ، ١١ ..... لا تُزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ
- ١١ ..... لا تُزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مُنْصُورِينَ
- ١١ ..... لا تُزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ
- ٤٣٨ ..... لا تُزْرَمُوهُ
- ٨٣٣ ..... لا تُزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حتَّى يُسْأَلَ
- ٩٠٨ ، ٦٩٥ ، ٦٨٥ ..... لا تُزُولُ قَدَمًا عِنْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ

- ٤٧٣ ..... لا تُسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي
- ١٠٧٠ ..... لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَدِّبُوهُمْ
- ٢٥٠ ..... لا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ
- ٤٥٧ ..... لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم
- ٢٤٨ ..... لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح
- ٥٠٢ ..... لا تُغْضَبْ
- ١٠٣٧ ..... لا تُفْعَلْ ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا
- ٤٧٢ ..... لا تُقُلْ ذَلِكَ ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ؟
- ١١٠٨ ..... لا تُقُولُوا لِلْمُنَافِقِ : سَيِّدٌ
- ٢٤٧ ..... لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان
- ٣٤٣ ..... لا تُقَوْمُ السَّاعَةَ حَتَّى يُفْبِضَ الْعِلْمُ
- ٥٤٢ ..... لا تُكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ
- ٥٤٣ ، ٣٥٩ ..... لا تُلْعَنُوهُ قَوْلَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
- ٥١١ ..... لا تُتَمَارَ أَخَاكَ وَلَا تُمَارِضْهُ
- ٨٦٤ ..... لا تُتَمَنَّعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ
- ٤٤١ ، ٢٠٩ ..... لا تُنْزَعِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ
- ٣٨١ ..... لا تهجروا ، ولا تتناجشوا
- ٨٦ ..... لا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَيْنِ
- ٧٨٦ ، ٦٨١ ..... لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ
- ١٠٩١ ، ٤٤٥ ..... لا ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي
- ٤٥٥ ..... لا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ ، وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ
- ٣٦٧ ..... لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ
- ٧٧٨ ..... لا وَمَقَلَّبِ الْقُلُوبِ



- لا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ ..... ٣٦٧ ، ٣٥٨
- لا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ..... ٣٧٧ ، ٣٦٠
- لا يَا بِنْتَ الصَّدِّيقِ ..... ٤٠٠
- لا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَىٰ بَيْعِ أَخِيهِ ..... ٤٨٠
- لا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٌ وَلَا وَبَرٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ ..... ٦
- لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ..... ٤٨١ ، ١٠٩٨ ، ١١١٠ ، ١١١٤ ، ١١٢١ ، ١١٢٣
- لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ..... ١١٤٩
- لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ عَدِيٍّ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ .. ٤٠٧
- لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يَحِبَّ الْمَرْءَ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ..... ٢٠٧
- لا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ ..... ٥٤٢
- لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ ..... ٦٣٨
- لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ..... ٦٣٨
- لا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ ..... ١١١٧
- لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ ..... ٩٢١
- لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ..... ١١
- لا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ..... ١٩٣
- لا يَسْتَكْرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَسْتَكْرُ النَّاسَ ..... ٤٥٥
- لا يَعْلَمُ مَا تَغْيِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ ..... ٣٢٠
- لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ..... ٨٨ ، ٩٢
- لا يَقُلُ أَحَدُكُمْ : اسْقِ رَبِّكَ ..... ٢٥٣
- لا يَكُونُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثَةٍ ..... ٥٤١
- لَأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ ..... ٤٥٣ ، ٧٨٥
- لَأُبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ ..... ١٠٦٧

- لأَعْطِينَ الرَّأْيَةَ عَدَا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ ..... ١٠٧٦
- لأنَّ يَمْتَلِيْ جَوْفَ أَحَدِكُمْ فَيَحَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيْ شِعْرًا ..... ٢٦٢
- لأنَّ يَمْتَلِيْ جَوْفَ رَجُلٍ فَيَحَا يَرِيْهِ ..... ٢٦٢
- لأنَّ يَمْنَحَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَرْضَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ..... ٣٨٠
- لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ..... ٧٤٥ ، ٥٥٤
- لِتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبِيْرًا بِشَبِيْرٍ وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ ..... ٨
- لِلشَّهِيْدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ ..... ١٠٧٤ ، ١٠٣٦
- لِعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا ..... ٧٩٠
- لعن الله اليهود والنصارى ..... ٢٤٩
- لعنة الله على اليهود والنصارى ..... ٢٤٩
- لَعُدُّ أَوْ ذِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤَدِّي أَحَدٌ ..... ١٠٠٨
- لَعُدُّ حَجْرَتْ وَأَسْعَا ..... ٤٣٩
- لَعُدُّ حَشِيْبَتُ عَلَى نَفْسِي ..... ٩٨٣
- لَعُدُّ رَأَى هَذَا دُعْرًا ..... ٥٩٢
- لَعُدُّ رَأَيْتُ - أَوْ أَمْرْتُ - أَنْ أَتَجَوَّرَ فِي الْقَوْلِ ..... ٧٤٢ ، ٦٦٠ ، ٢٠
- لَعُدُّ رَأَيْتُ رَجُلًا يَنْقَلِبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ ..... ٧٥٤
- لَعُدُّ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيْمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ..... ٦٣٠
- لَعُدُّ لَقِيْتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيْتُ ..... ١٠٠٧ ، ٥٧٨
- لَعُدُّ وَجَدْتُهُ بَحْرًا ..... ٥٨٨ ، ٥٠٨
- لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيْنٌ ..... ٧٨٥ ، ٤٥٣
- لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيٌّ الزُّبَيْرُ ..... ٤٥٣
- لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ..... ٤٣٦
- لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ ..... ٩٩٠

- ٥٦٠ ، ٥٥٥ ..... لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ
- ٧٤٠ ..... لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا
- ٢٨٧ ، ٢٨٦ ..... إِلَيْهِ تَسَعُّهُ وَيَسْعُونَ اسْمًا
- ٩٩٥ ..... لِمَ قَتَلْتَهُ ؟
- ٥٨٥ ، ٢٠٩ ..... لَنْ تَوَدُّوا حَتَّى تَرْحَمُوا
- ٥٨٨ ، ٥٠٨ ..... لَنْ تُرَاعُوا ، لَنْ تُرَاعُوا
- ١١ ..... لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ
- ٤٠٠ ..... لَنْ يُجِيَّ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ
- ٦٢٦ ..... لَنْ يُؤَافِي عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ
- ٩٩٢ ..... اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ بِهِ
- ٢٥٧ ..... اللَّهُ أَكْبَرُ ، إِنَّهَا السَّنَنُ ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى
- ١٠٧٥ ..... اللَّهُ أَكْبَرُ حَرَبَتْ حَبِيرٌ
- ١٢٦ ..... اللَّهُمَّ أَتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا
- ٢٣٣ ..... اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا
- ٢٦١ ..... اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ النَّوَابِينِ
- ٣٨٣ ..... اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أَحِبُّهُمَا
- ٥٩٠ ..... اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مِسْكِينًا ، وَأَمِئْتِي مِسْكِينًا
- ٥٨٢ ..... اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا
- ١١٤٨ ، ١١٣٩ ..... اللَّهُمَّ ارْمِهِم بِالذُّبَيْلَةِ
- ٤٦٧ ..... اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا ، وَأَثِمَ لَهُ هِجْرَتُهُ
- ١٠٠٢ ..... اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ
- ١٠٥١ ..... اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ
- ١٠١٠ ..... اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً

- اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ..... ٣٧٥، ٢٦٣
- اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد ..... ٢٧١
- اللهم اغفر ذنبي، وطهر قلبي، وحسن فرجه ..... ٢٧٥، ٢٦٥
- اللهم ! اغفر لي وارحمني واهدني وعافني ..... ٢٤٣
- اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ..... ٢٤١
- اللهم أمي أمي ..... ٤٣٦
- اللهم إن نشأ لا نعبد بعد اليوم ..... ٣٤٦
- اللهم أنت عضدي وأنت نصيري وبك أقاتل ..... ١٠٣٤
- اللهم أنتم من أحب الناس إلي ..... ٣٧٤
- اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه ..... ٥٨٣
- اللهم إني أحبه فأحبه ..... ٣٨٣، ٦٠٧
- اللهم إني أسألك الهدى والتقى ..... ٢٤٣
- اللهم إني أستهديك لأرشد أمري ..... ١٥١، ٢٧٣
- اللهم إني أعود بك من البخل ..... ٦٤٢
- اللهم إني أعود بك من شر سمعي ..... ٢٧١
- اللهم إني أعود بك من شر فتنة المسيح الدجال ..... ٢٧١
- اللهم إني أعود بك من العجز والكسل ..... ١٢٦
- اللهم إني أعود بك من علم لا ينفع ..... ١٢٦
- اللهم إني أعود بك من فتنة النار وعذاب النار ..... ٢٧١
- اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ..... ٣٤٦
- اللهم اهد أم أبي هريرة ..... ١٠١١
- اللهم اهد دوساً وأت بهم ..... ٥٩٤، ١٠١٠
- اللهم بارك لأمتي في بكورها ..... ٨٣٣

- اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ..... ٢٤٢
- اللَّهُمَّ حَبِّبْ عِبْدَكَ هَذَا ..... ٣٨٣
- اللهم زيِّنا بزينة الإيمان ..... ٢٤٢
- اللَّهُمَّ عِلْمَهُ الْحِكْمَةَ ..... ٨٧٦ ، ٧٨٤ ، ٤٣٣
- اللهم علمه الكتاب ..... ٨٧٥ ، ٨٣٧ ، ٦٨١
- اللَّهُمَّ عَلِيكَ بَعْمَرُ بْنُ هِشَامٍ ، وَعُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ..... ١٠١٠
- اللَّهُمَّ عَلِيكَ بِفُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلِيكَ بِفُرَيْشٍ ، اللَّهُمَّ عَلِيكَ بِفُرَيْشٍ ..... ١٠١٠
- اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ..... ٨٧٥ ، ٨٣٧ ، ٧٨٤
- اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قُبْرِي وَتَنَا يُعْبَدُ ..... ٢٥٠
- اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ ..... ٥٠٦
- اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ..... ٢٤٣
- اللَّهُمَّ مَنْ وَليَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَسَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْفُقْ عَلَيْهِ ..... ٤٤١
- اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمُهُمْ وَزَلْزَلُهُمْ ..... ١٠٧٥
- اللَّهُمَّ ! مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، وَمُجْرِي السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، اهْزِمُهُمْ وَأَنْصِرْنَا عَلَيْهِمْ ..... ١٠٣٢
- اللَّهُمَّ نَزَّلْ نَصْرَكَ ..... ٥٨٩
- اللَّهُمَّ هُوَ لَاءَ أَهْلِي ..... ١٠٦٨
- لَوْ آمَنَ بِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَأَمَنَ بِي الْيَهُودُ ..... ١٠٧١
- لَوْ أَعْلَمَ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُعْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا ..... ١١٠٩
- لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلْنَا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا ..... ٢٣٢
- لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ فَطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ ..... ٤٠٧
- لَوْ تَابَعَنِي عَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ ..... ١٠٧١
- لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ..... ٤٤٩
- لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ ..... ٤٨٣

- ٤٧١ ..... لَوْ رَاجَعْتِهِ
- ٥٣٧ ..... لَوْ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ؛ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ
- ٤٣٣ ..... لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتِكَ هَكَذَا
- ٤٣٢ ..... لَوْ قَدْ جَاءَنَا مَالُ الْبَحْرَيْنِ لَقَدْ أَعْطَيْتِكَ هَكَذَا
- ٦٣٤ ..... لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ
- ٥٨٧ ..... لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ
- ٤٥٢ ..... لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا
- ٢١١ ..... لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طَوِيلًا لَبِثَ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ
- ٥٨٦ ..... لَوْ لَمْ أَحْتَضِيْنُهُ لَحَنَّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
- ٧٩٠ ..... لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ
- ٤١٠ ..... لَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ
- ٥٢٦ ..... لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النُّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ
- ٥٨١ ..... لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي
- ٤٤٠ ..... لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
- ٤٧٩ ، ٤٣٠ ..... لَوْ لَا الْهَجْرَةَ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ
- ٧٠٣ ..... لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ
- ٢١٠ ..... لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ ، وَلَا اللَّعَانِ
- ٣٢٠ ..... لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِفُهَا
- ٥٢٢ ..... لَيَقِيَنَّ أَحَدَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
- ٦٦٢ ..... لِيُنَوِّا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ ، وَلِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ
- ٤٦٦ ..... أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تُؤَدَّبُونِي بِهَا ؟
- ٥٧٣ ..... أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْمُذَلِّجِيُّ لِرَبِّهِ وَأَسَامَةَ
- ٥٠٩ ..... الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ ، أَكْبَرُ أَجْرًا

- المؤمنُ الذي يقرأ القرآنَ ويعملُ به كالأثرِجَّة ..... ٦٩٤
- المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمن الضعيفِ ..... ١٣١، ٢١٦، ٨٢٠
- المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يُشدُّ بعضُهُ بعضًا ..... ٤
- المؤمنُ مرآة المؤمن ..... ٤٩٩
- مؤمنٌ يجاهدُ في سبيلِ اللهِ بنفسِهِ ومَالِهِ ( أي الناس أفضل ) ..... ١٠٣٥
- المؤمنونَ كرجلٍ واحدٍ . إن اشتكى رأسُهُ نداعى له سائرُ الجسدِ ..... ٤
- مَا اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ ..... ٦٧٤، ٧٥٠
- مَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللهِ ..... ٣٢٠
- مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَادِيرَ مِنَ اللهِ ..... ٥٨١، ٨١٥
- مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ ..... ٣٤٢
- مَا أَدْنَى لِلَّهِ لِشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ ..... ٩٧
- مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ ..... ٣٦٦
- مَا أَمْرَتِكُمْ بِهِ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..... ٢٠٠
- مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ صَاغِ بُرٌّ ، وَلَا صَاغِ حَبٌّ ..... ٥٨٩
- مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي ..... ٣٩
- مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمِ وَأَصْحَابِي ..... ٦٥٥، ٦٤٩
- مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَآكِبٍ اسْتَنْظَلُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ..... ٢٣٤
- مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : الصبرُ والسماحة ..... ٢١٠
- مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَنْتَرَهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ !؟ ..... ٢٨٤، ٤٩٣
- مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟ ..... ٤٨١، ١١٤٩
- مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ ..... ٢٦٥، ٤٨١، ١٠٩٨، ١١٥١
- مَا بَالُ هَذِهِ التُّمْرِقَةِ ؟ ..... ٢٥٢
- مَا بَقِيَ شَيْءٍ يُتَرَّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعَدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ ..... ٦٤٤

- مَا تَضْحَكُونَ؟! لَرَجُلٌ عْبِدَ اللّٰهُ اَثْقَلُ فِي الْمِيْزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ اَحَدٍ ..... ٥٣٧
- مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ ..... ٤٨٩، ٤٨٨، ٤٨٧
- مَا ذُبْبَانِ جَابِعَانِ اُرْسِلَا فِي غَنَمٍ ..... ٨٠٥
- مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِاُجْحَتَيْهَا حَتَّى رُفِعَ ..... ٥٣٧
- مَا سَأَلْتُكَ؟ ..... ٦٠١، ٤٦٤
- مَا سَأَلْتُهُمْ؟ ..... ١١٤٩، ٤٨١
- مَا صَلَّى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ صَلَاةً لَوْ قَبِيْهَا الْاٰخِرُ مَرَّتَيْنِ حَتَّى قَبِيْضَهُ اللّٰهُ ..... ٥٦٤
- مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوْا عَلَيْهِ اِلَّا اُوْتُوْا الْجَدَلَ ..... ٦٩٦، ٥٢
- مَا ظَنَنْتُكَ بِاِثْنَيْنِ اللّٰهُ تَالِيَهُمَا؟ ..... ٥٣٠، ٣١٥
- مَا ظَنَنْتُكَ يَا اَبَا بَكْرٍ بِاِثْنَيْنِ اللّٰهُ تَالِيَهُمَا؟ ..... ٥٥٩
- مَا عَلَيْكُمْ اَنْ لَا تَفْعَلُوْا ، فَاِنَّ اللّٰهَ قَدْ كَتَبَ مِنْ هُوَ خَالِقٌ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ..... ٣٢٠
- مَا فَعَلَ خَصْمِي وَخَصْمُكَ؟ ..... ٤٨٨
- مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟ ..... ٤٧٥
- مَا فَعَلَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ؟ ..... ١٠١٣
- مَا كَلَّمَ اللّٰهُ اَحَدًا قَطُّ اِلَّا مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ ..... ٥٣٦
- مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا ..... ٢٣٤
- مَا مَلَأَ اَدَمِيُّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ..... ٨٢٥
- مَا مَلَأَ ابْنُ اَدَمٍ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ..... ٧٧٤
- مَا مِنْ الْاَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ اِلَّا اُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ اَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ..... ٧٤
- مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ..... ٦٧٣
- مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ اَكُنْ اُرِيْهُ اِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا ..... ٧٦١
- مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيْزَانِ اَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ..... ٨١٤
- مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُوْدُ مُسْلِمًا غَدُوَّةً ، اِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ اَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ ..... ٤٦٨



- ٥٥٣ ..... مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ
- ٥٢٢ ..... مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنَاجِ رَبِّهِ
- ٧٤٣ ..... مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةَ
- ٧٧٧ ..... مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ
- ١٠٣٧ ..... مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقُرْصَةِ
- ٤٣٠ ..... مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُحِبُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟
- ١٠٤٩ ..... مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ
- ٨٦٩ ..... مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟
- ٦٦٤ ..... مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِينَ ؟
- ٦٨١ ..... الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ
- ٩٨ ..... الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ
- ٨٧٠ ، ٨٦٧ ، ٦٨١ ..... مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ
- ٦٩٤ ..... مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسِي نَفْسَهُ
- ٧٧٢ ..... مَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ
- ٧٦٨ ..... مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَثْرُجَةِ
- ٧٧٢ ..... مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ
- ٧٧٢ ..... مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ
- ٤ ..... مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ
- ٥٢٦ ، ٥١٩ ..... مَثَلُ الْمُذْهِبِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا
- ١١٠٧ ، ٧٧٢ ..... مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ
- ١١٠٦ ، ٧٧٢ ..... مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ
- ٧٧٢ ..... مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ
- ٨٠٤ ..... مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَقَرٍ

- ٢٧٩..... الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ
- ٧٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٦٧ ..... الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ
- ٤٢٦..... مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ ، الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَائِيَا وَلَا نِدَامِي
- ٧٤٥ ..... مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ أَوْ الْقَوْمِ غَيْرِ خَزَائِيَا وَلَا نِدَامِي
- ٤٢٦..... مَرْحَبًا بِأَمِّ هَانئِ
- ٧٤٥ ، ٦٧٥ ..... مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ
- ٤٢٦..... مَرْحَبًا يَا بِنْتِي
- ٧٧٥..... الْمُسْتَسَارُ مُؤْتَمَنٌ
- ٤٦٠ ، ٣٨٢ ..... الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ
- ٧٧٦ ، ٤٧٤ ..... الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
- ٢٧٩..... الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
- ٧٧٥..... الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ
- ٥ ..... الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ : يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ
- ٤ ..... الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ . إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ
- ٣٢٠ ..... مَقَاتِيحُ الْعَيْبِ خَمْسٌ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ
- ١٠٣٥ ..... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ
- ٧٩٣..... مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ
- ٤٤٨ ..... مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ
- ٧٨٣ ..... مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ
- ٣٧٧ ، ٣٦٢ ..... مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ
- ٥٩ ..... مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ
- ٤٩٧ ..... مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً
- ١٧٢ ..... مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ

- ٣٩٨..... مَنُ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ
- ٢٠٤..... مَنُ أَعْطَى اللَّهُ ، وَمَنَعَ اللَّهُ ، وَأَحَبَّ اللَّهُ ، وَأَبْغَضَ اللَّهُ ، وَأَنْكَحَ اللَّهُ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ
- ٧٥٤..... مَنُ أَتَّقَى زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ
- ١١٢٦..... مَنُ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ
- ٦٠٧..... مَنُ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ ؟
- ١٢٨ ، ١١٥..... مَنُ تَصَدَّقَ بَعْدَلَ ثَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ
- ٢٤٧..... مَنُ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ
- ٨٠٢..... مَنُ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْنَعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ
- ٨٢١ ، ٦٧٣..... مَنُ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا ، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِيُخَيَّرَ بَيْنَ عِلْمِهِ
- ٥٨٦ ، ٤٤٠..... مَنُ حَرَّقَ هَذِهِ ؟
- ١٨٥..... مَنُ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ
- ٢٤٧..... مَنُ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ
- ٧٥٣..... مَنُ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ
- ٧٦٢..... مَنُ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَلُهُ لِأَهْلِيهِ
- ٥١٩..... مَنُ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ
- ٤٤١..... مَنُ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟
- ٤٧٤..... مَنُ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٧٠٥..... مَنُ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ
- ٨٠٥..... مَنُ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ
- ٤٦٠..... مَنُ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٣٨٠..... مَنُ سَرَّهُ أَنْ يُجِيبَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٦٧٤..... مَنُ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
- ١٨٧..... مَنُ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ

- مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ ..... ٨٠٣ ، ٨٠٤
- مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ..... ٧٩٤ ، ٧٥٣
- مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خُنْدَقًا ..... ١٠٣٧
- من صمت نجا ..... ٩٢٨
- مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ ..... ٢٥٣
- مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصَيِّهُ ..... ٨٠٤
- مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ..... ٨٠٣
- مَنْ عَادَ مَرِيضًا ، أَوْ زَارَ أَحَا لَهُ فِي اللَّهِ ؛ نَادَاهُ مُنَادٍ ..... ٤٦٣
- مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَّهُ بِالْحَرْبِ ..... ٣٦٩ ، ٣٩٠
- مَنْ عَمِلَ عَمَلًا فَلَهُ أَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهِ ..... ٧٥٠ ، ٧٠٤
- مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ ..... ٩٩٢ ، ١٨٦
- من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌ ..... ٣٩٧ ، ١٨٦ ، ٦٠
- مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا ؟ ..... ٥٨٦ ، ٤٤٠
- مَنْ فَرَّجَ عَنِ مُسْلِمٍ كَرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ..... ٤٦٠
- مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ..... ١٠٣٧
- مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَيَحْمَدُهُ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ..... ٨٣٣
- من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه ..... ٦١٧
- مَنْ قَامَ بَعَثَرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْعَافِينَ ..... ٨٧
- مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ ..... ٧٥٥
- مَنْ قَرَأَ : { أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } ، فَلْيَقُلْ : بَلَى ..... ٣٢٢
- مَنْ قَرَأَ بِالْأَيْتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ ..... ٨٧
- من قرأ القرآن في شببته اختلط القرآن بلحمه ودمه ..... ٨٧٢
- من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ..... ٦٣٩

- ٢٢٩..... مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ
- ٢٣١..... مَن كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ
- ١٠٠١، ٧٠٣، ٥٢٠..... مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَفْعَدَهُ مِنَ النَّارِ
- ٥٩٧..... مَن كَظَمَ عَيْظًا ، وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّه
- ١٦٨..... مَن لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ
- ٧٢٣..... مَن لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ
- ٤٥٥..... مَن لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ
- ٤٥٥..... مَن لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ
- ١٠٣٨..... مَن لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهَّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ
- ١١٦٥..... مَن مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ
- ١٠٨٧، ١٠٣٨..... مَن مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ
- ٣٥٤، ٣١٧..... مَن مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ
- ٧٩٢..... مَن الْمُتَكَلِّمُ ؟
- ٩٠..... مَن نَامَ عَن حَزْبِهِ ، أَوْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ
- ٣٨٠..... مَن نَفَسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا
- ٥٤٢..... مَن هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفَكَ دَمِيهِ
- ٥٤٢..... مَن هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثِ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ
- ٩٩٨..... مَن يُوَوِّبِي وَيُنْصِرُنِي حَتَّى أبلغَ رِسَالَاتِ رَبِّي فَلَهُ الْجَنَّةُ
- ٥٣٠..... مَن يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا ؟
- ٩٥٨ ، ٨٩١ ، ٨٧٥ ، ٦٨١..... مَن يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ
- ١٠٠٥..... مَن يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ
- ٧٧٩..... مَهْ ، عَلَيْنَا بِمَا تُطِيفُونَ
- ٢٧٩..... الْمُهَاجِرُ مَن هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ

- مهلا يا خالد . دع عنك أصحابي ..... ٤٧٣
- مَهْلًا يَا عَائِشَةَ ..... ٥٩٤ ، ٢٢٩
- نَارُكُمْ جُزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ..... ٤٠٨
- النَّاسَ مَعَادِنَ ..... ٨٧٥ ، ٧٧٥
- نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ ..... ٢١٢ ، ٢١١
- النَّدْمُ تَوْبَةٌ ..... ٧٧٣
- نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا ..... ٧٠٣
- نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفَظَهُ ..... ٨٧٥ ، ٨٧٢
- نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ ..... ٧٩٢
- نَعَمْ ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ ..... ٩٩٦
- نَعَمْ ، إِنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ مِنَّا إِلَيْهِمْ ، فَأُبْعِدُهُ اللَّهُ ..... ١٠٠٩
- نعم ، باسمك ونسبك في الملاء الأعلى ..... ٧٨٢
- نَعَمْ تَرَبَّيْتُ بِمِيتِكَ ..... ٦٦٧
- نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا ..... ٧٦٦
- نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَعْيَانَ فَهَوَّ آمِنٌ ..... ١٠١٤
- نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ..... ٨٣٤
- نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُورُواهَا ..... ٢٢١
- هَذَا آمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ..... ١٠٦٧ ، ٧٨٥
- هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا ..... ٩٩٢
- هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ..... ٤٠٨
- هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ..... ٣٣
- هَذَا مِمَّنْ فَضَى نَحْبَهُ ..... ٥٧٢
- هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبَّاقَةُ ..... ٦٠٥

- ٥٨٢..... هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ
- ٣٣..... هَذِهِ سُؤْلٌ ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ
- ٣١٩ ، ٢٨٥ ..... هَلْ بَيَّنَّكُمْ وَبَيَّنَّهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟
- ٣٤٣..... هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟
- ٢٠٦..... هَلْ تَذَرِي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ؟
- ٢٠٦..... هَلْ تَذَرِي مَا حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ؟
- ١١٠٥..... هَلْ لُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهْرِ ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ ؟
- ١٠٥١..... هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عليه السلام مَرَضًا شَدِيدًا
- ١١٣٨..... هل عرفت أحدًا من الركب الذين رددتهم ؟
- ١١٣٨..... هل علمتم ما كان من شأنهم وما أرادوا ؟
- ٧٦٦..... هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ ؟
- ٢٥٥..... هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟
- ٢٥٥..... هَلْ كَانَ فِيهَا وَتَنٌّ مِنْ أَوْتَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟
- ١٠٢٦..... هل لك إلى خير ؟
- ٧٦٦..... هَلْ لَكَ مِنْ إِبْلِ ؟
- ١٠٠٤..... هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟
- ٧٥٥ ، ٧٠١..... هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ
- ٧٧٨ ، ٦٦٧..... هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبَّ الكَعْبَةِ
- ٤٨٥..... هُمُ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ
- ١٠٤٩..... هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ
- ٤٧٩..... هُمُ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ
- ١٠٣٢..... هُمُ مِنْهُمْ ( نساء المشركين وذرائعهم )
- ٣٧٦..... هُمُ نَاسٌ مِنْ أَقْنَاءِ النَّاسِ ، وَتَوَازَعِ القَبَائِلِ

- ٦٠٧..... هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا
- ١٠٦٧ ..... هو روح الله ، وكلمته ، وعبدالله ، ورسوله
- ٤٨٣ ..... هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ
- ٨٥٣..... وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ
- ٧٤٣..... وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ
- ٧٣ ..... وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ
- ١٠٣٦..... وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ
- ٤٣٩ ..... وَإِذَا قَامَ وَحَدَّهُ فَلْيُطِلْ صَلَاتَهُ مَا شَاءَ
- ١٠٣٣..... وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ
- ٢٤٤ ..... واذكر بالهدى هدايتك الطريق
- ٢٤٣ ..... واسلل سخيمة صدري
- ١٠٣٢..... وَعَلِّمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ
- ٦ ..... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
- ٧٧٨ ..... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَكَيْتُمْ كَثِيرًا
- ٥٠٧ ..... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلُ
- ٥٠٧ ..... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
- ٦٣٧ ..... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهٌ وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ
- ٢٢٥ ..... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي
- ٣٦٠ ..... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُدْخِلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا
- ٤٤٨ ..... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عَرَضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ آيَةً
- ٧٥٤ ..... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِحَطْبٍ فَيُحَطَّبَ
- ٧٥٥ ..... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِيئًا
- ٦١٠ ..... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا



- وَأَذَى نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنَّ رَجَالَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي ..... ٦١٠
- وَأَذَى نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ ..... ٧٧٨
- وَاللَّهُ إِلَيَّ لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ..... ٥٦٩ ، ٢٧٠
- وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ..... ٣٨٠
- وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ..... ٧٧٨
- وَاللَّهُ لِأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكْ عَنكَ ..... ١٠٢٠
- وَاللَّهُ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَئِذٍ لَأَرْغَمْتَ أَنْوْفَ رَجَالٍ ..... ١١٠٠
- وَاللَّهُ لِيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ ، ..... ٧٦٠ ، ٥٥٨ ، ٤١٨
- وَاللَّهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ ..... ٧٨٧
- وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ ..... ٧٥١
- وَأَنَّ اللَّهَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ ..... ٢٨٦
- وَأَنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِائَةً ..... ٦٤٩
- وَأَنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مَلِكُهَا مَا زُرِي لِي مِنْهَا ..... ٦
- وَأَنَّ أَمِينَنَا أَيْتُهَا الْأُمَّةُ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ..... ٧٨٥
- وَأَنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ..... ٨١٤
- وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ ..... ١٠٠٢
- وَأِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ ..... ٨٥٧
- وَأِنَّهُ عَارِضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ..... ٨٩٧ ، ٧٨٠ ، ٦٧١
- وَأِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ ..... ٦٦١
- وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ..... ٨٦٣ ، ٧٥٢ ، ٦٤٩ ، ٣٩٩ ، ٢٢٧
- وَالْبِدَاءُ وَالْبَيَانُ شَعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ ..... ٢٠٣
- وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ..... ٥
- وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ ..... ١٠٤١ ، ٩٩١ ، ٨٤٣

- ٩٨٩ ، ٧٧٣ ..... وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَهْرًا وَمَسْجِدًا
- ٩٩٤ ، ٨١٤ ، ٢٠٠ ..... وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ
- ١١٠٦ ..... وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ
- ٨٧٥ ..... وَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ لَيْسَ بِقَبِيحٍ
- ٩٨ ..... وَزَيَّيُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ
- ١١٠٨ ..... وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ
- ٦٩٣ ، ٦٨٩ ، ٢٢٩ ..... وَالصَّدَقَةُ بِرَهَانَ
- ٥٦٦ ..... وَصِيَامُ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ
- ٦٩٣ ..... وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ
- ١٠٠٧ ، ٥٧٨ ..... وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ
- ٥ ..... وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً
- ٩٩٥ ..... وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟
- ٤٠٠ ..... وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَّنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ
- ٧٦٥ ، ٢٧٥ ..... وَلَا النَّاسُ يُجِيبُونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ
- ٢٢٢ ..... وَلَا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ
- ٤٦٠ ، ٣٧٩ ..... وَلَآنَ أَمْسِي مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ
- ٧٦٦ ..... وَلَعَلَّ هَذَا عَرَقٌ نَزَعَهُ
- ٣٤٢ ..... وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ
- ٢٢٥ ..... وَلَكِنْ يَا حَظَلَّةُ ! سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ
- ٤٠٠ ..... وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ
- ٥٣١ ..... وَلَكِنِّي أَخَشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا
- ١١ ..... وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ
- ٢٢٦ ..... وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبِكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذَّكَرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ

- ولو وجبت لم تقوموا بها ..... ٦٣٤
- وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ ..... ٥٥٣
- وَمَا ذَاكَ ؟ ..... ٧٨٩ ، ٣٨٨ ، ٢٣٥
- وَمَا يُنْكِيكَ ؟ ..... ٥٩٩
- وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ ..... ٤٥٠
- وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ..... ٣٩٠ ، ٣٨٤ ، ٣٦٩
- وما يغني عنه قميصي من الله ..... ١١١٠
- وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ ..... ٨٢٠
- وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ..... ٧٥٠ ، ٦٧٤
- وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ..... ٤٦٠
- ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنتهيا له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ..... ٤٦٠ ، ٣٧٩
- وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمَصَاحِفُ ، لَمْ يَتَعَلَّفُوا مِنْهَا بَحْرَفٍ ..... ٨٥٨
- وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَازِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السَّيِّئَاتِ ..... ٦٣٠
- وَهُوَ وَثَرٌ يُجِيبُ الْوَثَرَ ..... ٣٢٣ ، ٢٨٧
- وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِّبِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ..... ١٠١٩ ، ٩٨٨ ، ١٨١ ، ٨٢
- وَيَحْكُكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ..... ٤٥٦
- وَيَحْكُمُ ، أَوْ وَيَلْكُمُ لَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا ..... ٤٧٤
- ويلُّ للأعقاب من النار ..... ٧٥٩ ، ٧٥٤ ، ٦٦١
- وَيَلِّكَ أَوْ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنْ يَنْقِيَ اللَّهُ ..... ١٠٩١ ، ٤٤٥
- يُؤْتِي بَجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ ..... ٤٠٨
- يُؤْتِي بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقِي فِي النَّارِ ..... ٩٠٩ ، ٦٩٣ ، ٥٢٠ ، ٤٩٨
- يَوْمُكُمْ أَقْرَابُكُمْ ..... ٨٦٨
- يا أبا بكر قل : اللهم فاطر السموات والأرض ..... ١٨٨

- ٥٩٨ ..... يَا أَبَا بَكْرٍ ! لَعَلَّكَ أَعْضَبْتَهُمْ ؟
- ٥٩٣ ..... يَا أَبَا جَنْدَلٍ ! اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ
- ٢٦٥ ..... يَا أَبَا ذَرٍّ أَعْيَرْتَهُ بِأَمِّهِ ؟
- ١٠٣٦ ..... يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا
- ٦٠٦ ، ٥٠٩ ..... يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ ؟
- ٤٤٣ ..... يَا أَبَا الْمُسَوَّرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ
- ٧٨٧ ..... يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ! أَنْذِرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟
- ٧٨٨ ، ١٠١ ..... يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِرْمَارًا مِنْ مِرَامِيرِ آلِ دَاوُدَ
- ١٠٥٧ ..... يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ
- ٤٤٥ ..... يَا أَسَامَةَ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟
- ١١٣٨ ، ١١٢٤ ..... يَا أَسِيدُ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَاتِلُ بَقِوْمٍ
- ٦٠٧ ..... يَا أُمَّ خَالِدٍ ، هَذَا سَنَاءٌ
- ٥٧٥ ..... يَا أُمَّ فُلَانٍ ! انْظُرِي أَيَّ السَّكَّكِ شِئْتَ ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ
- ٦٠٦ ..... يَا أَنْجَشُ ، رُوَيْدَكَ سَوْفَكَ بِالْقَوَارِيرِ
- ٣٢٧ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
- ٣٧٦ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا
- ٤٩٢ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ مِنْكُمْ مَنَّقِرِينَ
- ٨٣٨ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تُضِلُّوا
- ٧٠١ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ
- ٥٦٩ ، ٢٧٠ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ
- ٧٥١ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ
- ٢٤٨ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ
- ٩٩٧ ، ٦١٦ ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا

- ١٠٣٢..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ
- ٩٨٩..... يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا صَبَاحَاهُ
- ٩٨٧، ٥٧٤، ٨٢..... يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ
- ٩٨٨..... يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ اتَّقُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ
- ٥٠٥..... يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا
- ٥٣٦..... يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا ؟
- ٤٥٠..... يَا حَاطِبُ مَا هَذَا ؟
- ٢٧٣، ١٥٠..... يَا حُصَيْنَ إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ
- ٢٧٣، ١٥٠..... يَا حُصَيْنَ كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ ؟
- ٦٠٠..... يَا حُمَيْرَاءُ أَتَحْبِبِينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ ؟
- ٤٦١..... يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ
- ١٠١٨، ٩٨٨..... يَا صَبَاحَاهُ
- ٦٠٤..... يَا عَائِشَ ! هَذَا جِبْرِيلُ يُبْرِئُكَ السَّلَامَ
- ٤٤١..... يَا عَائِشَةُ ارْفُفِي
- ٥٦١..... يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانُ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي
- ٧٣٠، ٧٢١..... يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ
- ٥٢٣..... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ
- ٤٧١..... يَا عَبَّاسُ ! أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ ، وَمِنْ بُعْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا ؟
- ١٠٤٣..... يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ أَسْلِمَ تَسْلَمُ
- ٩٩٣..... يَا عُمَرُ ! أَتُدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟
- ١٧٢..... يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَمْتُكَ كَلِمَاتٍ
- ٩٩٠..... يَا مُعَاذُ أَتُدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟
- ٤٨٧، ٤٨٦..... يَا مُعَاذُ ! أَفَتَأْنُ أَنْتَ ؟

- يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ..... ٢٠٦
- يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ ..... ٣٧٥، ٢٦٣
- يَا مَعْتَرُ الْأَنْصَارِ ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي ..... ٤٣٠، ٤٧٧
- يَا مَعْتَرُ فَرَيْسَ ، أَوْ كَلِمَةَ نَحْوَهَا ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ..... ٨١، ١٨١، ٩٨٨، ١٠١٩
- يَا مَعْتَرُ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ يَعْذِرُنِي ..... ١١٥٥، ١١٦٠
- يَا مَعْتَرُ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ..... ٧٥٥
- يَا مَعْتَرُ الْيَهُودِ ! أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ ..... ١٠٥٨
- يَا مَعْتَرُ يَهُودَ ! اسْلُمُوا تَسْلُمُوا ..... ١٠٥٦
- يَا مَعْتَرُ الْيَهُودِ وَيَلِكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ ..... ١٠٥٧
- يَا مَقْلَبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ..... ٢٤٣
- يَأَيُّ الْقُرْآنِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا ..... ٦٩٠
- يَنْتَزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ..... ٣٢٨
- يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطْحَنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ..... ٩٠٩
- يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ الْقُرْآنُ ..... ٨٦
- يَرْحَمُ اللَّهُ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ..... ٢١١
- يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبَرَ ..... ٥٧٧
- يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَيَسِّرًا وَلَا تُنْفِرَا ..... ١٠٤٢
- يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا ..... ٧٤٦
- يُصَاحُّ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ ..... ٦٢٧
- يُطَّلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ..... ٢٧٩، ٢٨٠
- يُعَذِّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا ..... ٦٢٨
- يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ : اقْرَأْ وَأَصْعَدْ ..... ٨٦٩
- يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ ..... ٣١٨

- ١٨٧ ..... يقول الله ﷻ - إذا جرى الناس بأعمالهم
- ٢١٩ ..... يقول الله ﷻ : أنا عند ظنِّ عبيدي بي
- ٣٧٨ ..... يقول الله ﷻ : قد حققت محبتي للذين يتحابون من أجلي
- ٣١٤ ..... يقول الله ﷻ : كذبني ابنُ آدمَ
- ٣١٩ ..... يكشفُ ربُّنا عن ساقه
- ١٠٦٥ ..... يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا
- ١٠٤٩ ..... يُحَرُّ لَهُمْ نَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا
- ١٠٤٩ ..... يَفْعَلُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ ؟



# فهرس المصادر والمراجع



# فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .  
حسب العدّ الكوفي ( ٦٢٣٦ ) آية .
- الآداب الشرعية والمرعية والمرعية ، محمد بن مفلح المقدسيّ .  
دار أهد .
- اتباع السنن واجتناب البدع ، محمد عبدالواحد المقدسيّ ، تحقيق : عليّ حسن عليّ عبدالحميد .  
دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي .  
دار المعرفة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٨ هـ .
- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، تحقيق : سيد إبراهيم .  
دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ، د. أحمد عبدالعزيز الحداد .  
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن عليّ بن محمد الماوردي ، تحقيق : مصطفى السقا .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ .
- الأدب المفرد ، البخاري .  
دار عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- الأنكار ، النووي ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط .  
دار الهدى ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعزّ الدين ابن الأثير عليّ بن محمد الجزري .

- مطبعة الشعب ، القاهرة .
- الأسلوب النبوي في الدعوة ، د. الشريف حمدان راجح الهجاري .  
دار الهدى للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
  - الأسماء والصفات ، الحافظ البيهقي ، تحقيق : عماد الدين حيدر .  
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
  - اشتقاق أسماء الله الحسنى ، للزجاجي ، تحقيق : عبدالمحسن المبارك .  
بيروت ١٩٨٦ م .
  - الإصابة في تمييز الصحابة ، الحافظ ابن حجر ، تحقيق : عادل  
عبدالموجود ، وعلي معوض .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
  - إصلاح القلوب ، عبدالمهادي وهيبي .  
مكتبة الدليل ، الجبيل ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
  - أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبدالرحمن النحلاوي .  
دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق . ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
  - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي .  
عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ .
  - الاعتصام ، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي ، تحقيق : سليم الهلالي .  
دار ابن عفا ، الخبر ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
  - إعجاز القرآن . والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق :  
عبدالله المنشاوي .  
مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
  - إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد  
حامد الفقي .  
مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
  - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن

- تَيْمِيَّة ، تحقيق : د. ناصر العقل .  
 شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
- اقتضاء العلم العمل ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .  
 المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٧ هـ .
  - إكمال المعلم بفوائد مسلم ، القاضي عياض ، تحقيق : د. يحيى إسماعيل .  
 دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
  - الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، فوزية رضا خياط .  
 مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، طباعة : دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
  - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام .  
 دار الجيل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٣٩٩ هـ .
  - الإيمان ، الحافظ أبي بكر عبدالله بن أبي شيبة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .  
 دار الأرقم ، الكويت ، طباعة دار النور ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
  - الإيمان ، شيخ الإسلام ابن تيمية .  
 المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ .
  - البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، عناية : عرفان حسونة .  
 طبعة صدقي محمد جميل ، المكتبة التجارية ، مصطفى الباز ، مكة .
  - بدائع الفوائد ، ابن القيم ، تحقيق : بشير محمد عيون .  
 دار البيان ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
  - البداية والنهاية ، ابن كثير ، عناية وتوثيق : عبدالرحمن اللازفي ، ومحمد بيضون .

- دار المعرفة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ .
- البدع والنهي عنها ، محمد بن وضاح القرطبي ، تحقيق : عمرو عبدالمنعم سليم .
- مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي . المكتبة العلمية ، بيروت .
- بيان فضل علم السلف على علم الخلف ، الحافظ ابن رجب ، تحقيق : محمد ناصر العجمي .
- دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
- تاريخ الثقات ، للإمام الحافظ أحمد بن عبدالله العجلي ، توثيق وتخريج : د. عبدالمعطي قلجعي .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي .
- دار الكتاب العربي ، بيروت .
- التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط .
- دار الرشاد ، ط ٢ ، جدة ، ١٤٠٨ هـ .
- التبيان في أقسام القرآن ، ابن قيم الجوزية ، تصحيح : محمد الفقي . دار المعرفة ، بيروت .
- تجريد التوحيد المفيد ، أحمد بن علي المقرئ ، تحقيق : علي العُمران .
- دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- تحفة الأحباب ( الرسالة التبوكية ) ، ابن القيم .
- طبع إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط ٢ ،

- ١٤٠٤ هـ .
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، محمد المباركفورى ، تصحيح ومراجعة عبدالوهاب عبداللطيف .  
دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ .
  - التحفة العراقية فى أعمال القلوب ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : سليمان مسلم الحرش .  
دار الهدى ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
  - التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، عبدالرحمن بن رجب ، تحقيق : بشير محمد عيون .  
مكتبة دار المؤيد ، الطائف ، ودار البيان ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ .
  - تذكرة الحفاظ ، للإمام الذهبى .  
دار إحياء التراث العربى ، عن مكتبة الحرم المكى ، مكة المكرمة ، ١٣٧٤ هـ .
  - تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ، ابن جماعة الكنانى ، تحقيق : السيد محمد هاشم الندوى .  
رمادى للنشر ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
  - التربية الروحية والاجتماعية فى الإسلام ، د. أكرم ضياء العمري .  
مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيليا ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
  - التربية المقارنة ، د. عبدالله عبدالرحمن الفائز .  
مطبعة سفير ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
  - تربية النبى ﷺ لأصحابه فى الكتاب والسنة ، خالد عبدالله القرشى .  
رسالة ماجستير لم تُطبع ، جامعة أم القرى ، ١٤١٣ هـ .
  - ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر أحمد الزاوى .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
  - الترغيب والترهيب ، الحافظ المنذرى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد .

- مطبعة السعادة بمصر ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ .
- تزكية النفس ، شيخ الإسلام ابن تيمية .
- دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- تزكية النفس ، سعد الطخيس .
- دار الصمعي للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
- تزكية النفوس وتربيتها كما يقره علماء السلف : ابن رجب ، وابن القيم ، وأبي حامد الغزالي ، جمع وترتيب : د. أحمد فريد ، تحقيق : ماجد بن أبي الليل .
- دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- التصفية والتربية وأثرهما في استئناف الحياة الإسلامية ، علي حسن عبدالحميد .
- دار التوحيد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .
- تعظيم قدر الصلاة ، الإمام محمد بن نصر المروزي ، تحقيق : د. عبدالرحمن الفريوائي .
- مكتبة الدار ، المدينة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- تعليم المتعلم طريق التعلم ، الإمام برهان الإسلام الزرنوجي .
- دار الفكر للطباعة والنشر ، الدار السودانية ، الخرطوم .
- تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز .
- تفسير أبي السعود ، أبي السعود محمد العمادي .
- دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٤ هـ .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنا .
- دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن ، ودار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٩ هـ .

- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير .  
دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .
- تفسير القرآن ، للإمام حجّة أهل السنّة والجماعة أبي المظفر السمعاني ، تحقيق : ياسر إبراهيم وغنيم عبّاس .  
دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين ، للراغب الأصبهاني ، تحقيق : د. عبدالحميد النجار .  
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق : محمّد عوّامة .  
دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، دار الرشيد ، حلب ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- التمهيد في علم التجويد ، محمّد بن محمّد الجزري ، تحقيق : د. عليّ حسين البواب .  
مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- التمهيد في الكلام على التوحيد ، يوسف بن حسن عبدالهادي الدمشق الحنبلي ، تحقيق : د. محمّد السّمهري .  
دار بلنسية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- تهذيب الأخلاق ، العلامة عبدالحق الحسيني .  
المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .
- تهذيب التهذيب ، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني .  
دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
- تهذيب سيرة ابن كثير ، مروان كجك ، تخريج : فتحي الجندي .  
دار طيبة ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ المزّي ، تحقيق : د. بشّار عواد معروف .  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٦ هـ .
- التوشيح شرح الجامع الصحيح ، للحافظ أبي الفضل عبدالرحمن

- السيوطي ، تحقيق : رضوان جامع رضوان .  
 شركة الرياض ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي .  
 مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١٤٠٦ هـ .
  - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .  
 المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٦ ، ١٤٠٥ هـ .
  - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم : محمد النجار ، وتصحيح محمد البسام .  
 دار الذخائر ، الدمام ، ١٤١٤ هـ .
  - الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي .  
 ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ .
  - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : د. محمد عجاج الخطيب .  
 مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
  - جامع بيان العلم وفضله ، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالبر ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري .  
 دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
  - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مراجعة وتخريج الأحاديث : أحمد محمد شاكر .  
 دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٤ هـ .
  - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .  
 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٣ ، ١٣٨٨ هـ .
  - جامع الرسائل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم



- دار المدني ، جدّة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- **الجامع الصحيح** ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري . عناية د. مصطفى ديب البغا .
- دار ابن كثير واليمامة ، دمشق ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** ، للإمام الحافظ ابن رجب ، تحقيق : شعيب الأرنؤان ، وإبراهيم باجس . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٣ هـ .
- **الجرح والتعديل** ، ابن أبي حاتم الرازي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- **جماع العلم** ، للإمام محمد بن إدريس الشافعيّ ، تعليق وتحقيق : أحمد محمد شاكر . مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ .
- **الجماعات الإسلامية بين العاطفة والعقل** ، سعود العنزي . دار البلد الأمين ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د. عليّ ابن حمد بن ناصر ، وزميلاه . دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- **الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد** ، محمد صالح العثيمين . دار طويق ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- **حاشية ثلاثة الأصول** ، عبدالرحمن بن قاسم النجدي . ط ٦ ، ١٤٠٨ هـ .
- **الحث على حفظ العلم** ، وذكر كبار الحفاظ ، الحافظ جمال الدين أبي الفرج ، عبدالرحمن بن الجوزي . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- **الحث على طلب العلم والاجتهاد فيه** ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : يوسف محمد فتحي ، ومراجعة : أ.د. كاظم الظواهري .

- دار الصّحابة للتراث ، بطنطا ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- حفظ القرآن الكريم ، محمّد عبدالله الدويش .
- دار الوطن للنشر ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- حكم الانتماء ، بكر أبو زيد .
- دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .
- الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد بن وهف القحطاني .
- مطبعة سفير ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- حلية الأولياء ، لأبي نُعيم الأصبهاني .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- الحوار ، يحيى زمزمي .
- دار التربية والتراث ، مكة المكرمة - رمادي للنشر ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- الحوار مع أهل الكتاب ، خالد القاسم .
- دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- حياة الصحابة ، محمّد يوسف الكاندهلوي .
- دار المعرفة ، بيروت .
- الداء والدواء ( الجواب الكافي ) ، ابن القيم .
- دار المدني ، جدة ، ١٤٠٣ هـ .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي .
- دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، عبدالحميد بن باديس ، ضبط وتعليق : عليّ حسن عبدالحميد .
- دار المنار ، الخرج ، ١٤١٢ هـ .
- الدرر في اختصار المغازي والسير ، ابن عبدالبر ، تحقيق : د. شوقي ضيف .
- دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- الدرر الكامنة ، الحافظ ابن حجر .

- دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- الدعوة إلى الله ، عليّ حسن عبدالحميد .
- مكتبة الصحابة ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- دعوة النَّبِيِّ ﷺ للأعراب ، حمود جابر الحارثي .
- دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- دلائل النبوة ، للحافظ أبي نُعيم الأصبهاني ، تحقيق وتخريج : عبدالبرّ عبّاس ومحمّد قلجعي .
- المكتبة العربية ، حلب ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ .
- دلائل النبوة ، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد البيهقي ، تحقيق : د. عبدالمعطي قلجعي .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- ديوان الشافعي ، تحقيق : محمّد عبدالرحمن .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٩٨٤ م .
- الذريعة إلى مكارم الشريعة ، لأبي القاسم الحسين بن محمّد الراغب الأصفهاني ، تحقيق : د. أبو اليزيد العجمي .
- دار الصحوة ، القاهرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- نَمّ الهوى ، ابن الجوزي ، تصحيح : أحمد عبدالسّلام عطا .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- الرحبية في علم الفرائض ، للإمام الرّحبي ، بشرح سبط ابن المارديني ، وحاشية العلامة البقري .
- طبعة دار إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، مؤسسة دار العلوم للطباعة ، ط ١٤٠٨ هـ .
- الرّحيق المختوم ، صفي الرّحمن المباركفوري .
- دار المؤيد ، الرياض ، ١٤١٨ هـ .
- رسالة الألفة بين المسلمين ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة .

مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، طباعة دار البشائر ، بيروت ، ط ١  
١٤١٧ هـ .

- الرسالة التبوكية ، ابن القيم ، تحقيق : طارق السعود .  
مكتبة المنار ، الزرقاء - الأردن ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ .
- الرسول المبلّغ ، د . صلاح الخالدي .  
دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، عبدالفتاح أبو غدة .  
مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، دار البشائر الإسلامية ،  
بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الروضُ الأثف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، للإمام المحدث  
عبدالرحمن السُّهيلي ، تحقيق : عبدالرحمننا لوكيل .  
مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه ، عبدالله بن أحمد بن  
قدامة .  
مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- رياض الصالحين ، النووي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .  
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ،  
وعبدالقادر الأرنؤوط .  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢٨ ، ١٤١٥ هـ .
- زبدة التفسير من فتح القدير ، د . محمد سليمان الأشقر .  
دار الفيحاء ، دمشق ، دار السلام ، الرياض ، ط ٥ ، ١٤١٤ هـ .
- الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، مراجعة وضبط : لجنة من العلماء  
بإشراف الناشر .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
- سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، الإمام محمد بن يوسف  
الصالح ، تحقيق : عادل عبدال موجود ، وعلي معوض .

- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- سبيل الدعوة الإسلامية ، د. محمد أمين المصري .
- دار الأرقم ، الكويت ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني .
- المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ .
- السنّة ، للحافظ أبي بكر عمّرو بن أبي عاصم الشيباني ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
- المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
- سنن الترمذي ، أبو عيسى الترمذي ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان .
- دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٤ م .
- سنن الدارمي ، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن ابن الفضل الدارمي ، عناية : محمد أحمد دهمان .
- دار إحياء السنّة النبوية - دار الكتب العلمية ، بيروت .
- سنن أبي داود ، أبو داود السجستاني ، إعداد عزّت عبيد دعاس ، وعادل السيد .
- دار الحديث ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ .
- السنن الكبرى ، الحافظ أبي بكر البيهقي .
- دار المعرفة ، بيروت .
- سنن ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي .
- دار إحياء التراث ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١٣٩٥ هـ .
- سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي .
- دار الفكر ، بيروت ، ط ١٩٨٧ م .
- سير أعلام النبلاء ، للإمام محمد بن أحمد الدّهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
- مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ .

- **سيرة الرسول ﷺ ، محمّد عزة دروزة .**  
المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، طبعة دار إحياء التراث الإسلامي  
بقطر، ١٤٠٠ هـ.
- **السيرة النبوية ، للحافظ الذهبي ، تحقيق : حسام الدين القدسي .**  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
- **السيرة النبوية ، ابن كثير ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد .**  
دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ .
- **السيرة لابن هشام ، مع شرح أبي ذرّ الخشنى ، تحقيق : د. همام سعيد  
ومحمّد عبدالله أبو صعيلىك .**  
مكتبة المنار ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، د. مهدي رزق الله أحمد .**  
عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ،  
١٤١٢ هـ.
- **السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمري .**  
مكتبة العلوم والحكم ، المدينة ، ط ٦ ، ١٤١٥ هـ .
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع  
الصّحابة والتابعين من بعدهم ، الإمام أبي القاسم هبة الله اللالكائي ،  
تحقيق : الأستاذ : د. أحمد سعد حمدان الغامدي .**  
دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .
- **شرح السنة ، للإمام البغوي ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب  
الأرناؤوط .**  
المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- **شرح السنة ، لأبي محمّد الحسن بن عليّ البربهاري ، تحقيق : أبي  
ياسر خالد بن قاسم الرادادي .**  
مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- **شرح السنة ، لأبي محمّد الحسن بن عليّ البربهاري ، تحقيق : د. محمّد  
سعيد القحطاني .**

- رمادى للنشر ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : جماعة من العلماء ، وتخرىج : محمد ناصر الدين الألبانى .
  - المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط ٨ ، ١٤٠٤ هـ .
  - الشريعة ، الإمام أبى بكر محمد بن الحسين الأجرى ، تحقيق : محمد حامد الفقى .
  - دار الكتب العلمىة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
  - شعب الإيمان ، الإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق : أبى هاجر / محمد السعید زغلول .
  - دار الكتب العلمىة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
  - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عىاض ، تحقيق : على البجاوى .
  - دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
  - الصّاح ، الجوهرى .
  - صحىح الأدب المفرد ، محمد ناصر الدين الألبانى .
  - دار الصدىق ، الجبىل ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
  - صحىح الترغىب والترهىب ، للحافظ المنذرى ، اختىار وتحقىق : محمد ناصر الدين الألبانى .
  - المكتب الإسلامى ، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .
  - صحىح جامع بىان العلم وفضله ، أبو الأشبال الزهبرى .
  - مكتبة ابن تىمىة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
  - صحىح الجامع الصغىر وزيادته ، محمد ناصر الدين .
  - المكتب الإسلامى ، بيروت ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ .
  - صحىح ابن حبّان بترتىب ابن بلبان ، الأمير علاء الدين بن بلبان ، تحقيق : شعىب الأرنأوط .
  - مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .

- صحیح سنن الترمذی ، محمد ناصر الدین الألبانی .  
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- صحیح سنن أبي داود ، محمد ناصر الدین الألبانی .  
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- صحیح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدین الألبانی .  
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .
- صحیح سنن النسائي ، محمد ناصر الدین الألبانی .  
مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- صحیح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي .  
دار النفائس ، الأردن ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- صحیح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .  
عناية : محمد فؤاد عبدالباقي .  
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ .
- صفات المنافقين ، ابن القيم .  
المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٩ هـ .
- صيد الخاطر ، ابن جوزي ، تحقيق : عامر بن علي ياسين .  
دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ .
- الضوء المنير على التفسير ( مجموع كلام ابن القيم في التفسير ) ،  
جمع : علي الحمد الصالحي .  
مؤسسة النور للطباعة بالتعاون مع مكتبة دار السلام ، الرياض .
- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى الكاملة ، ١٤١٠ هـ .
- العبر في خبر من غير ، الحافظ الذهبي ، تحقيق : محمد زغول .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٤٠٥ هـ .
- العزلة ، الخطابي .
- العبودية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح : محمد منير الدمشقي .



طبعة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .

- عشرة النساء ، النسائي ، تحقيق : عمرو عليّ عمر .  
مكتبة السنة ، القاهرة ، النشرة الثالثة من الطبعة ، ١٤٠٨ هـ .
- عقيدة السلف أصحاب الحديث ، أبو إسماعيل عبدالرحمن بن إسماعيل الصابوني ، تحقيق وتخريج : بدر البدر .  
الدار السلفية ، حولي - الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحقّ العظيم آبادي ، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان .  
دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لابن سيّد الناس ، تحقيق : د. محمد الخطراوي ومحبي الدين مستو .  
مكتبة دار التراث ، المدينة ، ودار ابن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
- غذاء الألباب شرح منظومة الآب ، محمد السفاريني .  
مؤسسة قرطبة ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاريّ ، ابن رجب ، تحقيق : محمود شعبان عبدالمقصود ، وزملاؤه .  
مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ ، للحافظ أحمد بن عليّ بن محمد بن حجر العسقلاني ، شرح وترقيم ومراجعة : محبّ الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبد الباقي ، وقصي الخطيب .  
دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
- فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني .  
دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .

- فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط .  
مكتبة المؤيد ، الطائف ، مكتبة دار البيان ، دمشق - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ .
- فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث للعراقي ، الإمام أبي عبدالله محمد السخاوي ، تحقيق : علي حسين علي .  
دار الإمام الطبري ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .
- الفرق بين الفرق ، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- فقه الدعوة الفردية ، د. علي عبدالحليم محمود .  
دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١٤١٢ هـ .
- فقه السيرة ، محمد الغزالي ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني .  
دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٥ م .
- الفقيه والمتفقه ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي .  
دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الفكر التربوي عند ابن تيمية ، د. ماجد عرسان الكيلاني .  
دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- الفكر التربوي عند ابن القيم ، د. حسن علي الحجاجي .  
دار حافظ ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، تخريج : أحمد راتب عرموش .  
دار النفائس ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ .
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن القيم .  
دار الكتب العلمية .
- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي .  
دار الجيل ، بيروت .
- قضاء الحوائج ، ابن أبي الدنيا .

- القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين .  
دار ابن جوزي ، الدمام ، ط ٣ ، ١٤١٩ هـ .
- القول المفيد في أدلة التوحيد ، لأبي إبراهيم محمد بن عبدالوهاب الوصابي .  
مكتبة الضياء ، جدة ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ .
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ( القصيدة النونية ) ، ابن القيم ، عناية : عبدالله العُمير .  
دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- الكبائر ، الذهبي ، تحقيق : عبدالرحمن فاخوري .  
دار السلام ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ .
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ ، لأبي بكر بن خزيمة ، تحقيق : د. عبدالعزيز الشهوان .  
دار الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
- كتاب الزهد ، للإمام عبدالله بن المبارك ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .  
دار الكتب العلمية ، بيروت .
- كتاب السنة ، عبدالله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : د. محمد سعيد القحطاني .  
دار ابن القيم ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- كتاب العلم ، الحافظ أبي خيثمة ، زهير بن حرب النسائي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .  
المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- كتاب الكبائر ، الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي .  
دار الندوة ، بيروت .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبي القاسم / جار الله محمود الزمخشري .

- دار المعرفة ، بيروت .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة .  
دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
  - كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، الحافظ ابن رجب ، تخريج وتعليق :  
عماد طه فرّة .  
دار الصحابة للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
  - كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، الحافظ ابن رجب ، تحقيق : بشير  
محمد عيون .  
مكتبة دار البيان ، دمشق ، مكتبة المؤيد ، الطائف ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
  - الكليات ، معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ،  
تحقيق : عدنان درويش ، ومحمد المصري .  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٩٩٣ م .
  - كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال ، علي بن حسام الدين الهندي .  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠١ هـ .
  - لسان العرب ، لابن منظور .  
دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .
  - لطائف المعارف ، الحافظ ابن رجب ، تحقيق : ياسين السّواس .  
دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
  - مجتنى الفوائد الدعوية والتربوية ، من مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن  
ناصر السعدي ، إعداد : محمد عبدالله الوائلي .  
دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
  - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد النيسابوري ، تحقيق : محمد محيي  
الدين  
عبدالحميد .  
دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٣ هـ .
  - مجمع الزوائد ومنبع الزوائد ، للهيثمى .

- دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ .
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** ، جمع : عبدالرحمن بن قاسم .  
مكتبة المعارف ، الرباط ، توزيع خادم الحرمين الشريفين الملك  
خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله - .
  - **مجموعة التوحيد** ، عدد من العلماء ، منهم : شيخ الإسلام ابن تيمية ،  
والإمام محمد ابن عبدالوهاب ، تحقيق : بشير محمد عيون ، ومراجعة :  
عبدالقادر الأرنؤوط .
  - مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
  - **مجموعة الرسائل والمسائل** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح  
وتعليق : جماعة من العلماء .
  - دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
  - **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** ، للقاضي الحسن بن عبدالرحمن  
الرامهرمزي ، تحقيق : د. محمد عجاج الخطيب .
  - دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ .
  - **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، لابن عطية الأندلسي ،  
تحقيق : المجلس العلمي بفاس .
  - مطابع فضالة ، وزارة الأوقاف المغربي ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
  - **مختار الصحاح** ، محمد بن أبي بكر الرازي .  
مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
  - **مختصر شعب الإيمان** ، الإمام أبي المعالي عمر القزويني ، تحقيق :  
عبدالقادر الأرنؤوط .
  - دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .
  - **مختصر الشمائل المحمدية** ، اختصار وتحقيق : محمد ناصر الدين  
الألباني .
  - المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
  - **مختصر منهاج القاصدين** ، الإمام أحمد بن قدامة ، تحقيق : علي حسن  
عبدالحميد .

- دار الفيحاء ، عمان ، ودار عمّار ، عمّان ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- مختصر منهاج القاصدين ، الإمام أحمد بن قدامة ، تعليق : شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط .
- دار الهجرة ، بيروت ، دار البيان ، بيروت ، ط ١٤٠٦ هـ .
- مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي .
- دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي .
- طبعة دار الفكر .
- مداواة النفوس ، لابن حزم الأندلسي ، تحقيق : عادل أبو المعاطي .
- دار المشرق العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
- المدخل إلى علم الدعوة ، محمد أبو الفتح البيانوني .
- مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- مرويات الإمام أحمد في التفسير ، جمع وتخريج : حكمت بشير ياسين .
- مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- المستدرک على الصحيحين ، للحافظ أبي عبدالله محمد الحاكم النيسابوري ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا .
- دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ .
- مسند أبي يعلى ، أبو يعلى الموصلي ، تحقيق : حسين أسد .
- دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .
- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، شرح : أحمد محمد شاکر .
- دار المعارف ، مصر ، ط ١ ، ١٣٧٧ هـ .
- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، مراجعة وضبط : صدقي محمد جميل العطار .
- دار الفكر ، مصر ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
- المصنّف ، لأبي بكر عبدالرزاق الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرّحمن

- الأعظمي .  
المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١٩٨٣ م .
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، الحافظ ابن حجر ، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظمي.  
دار المعرفة ، بيروت .
  - **معالم في السلوك وتزكية النفوس** ، عبدالعزيز العبد اللطيف .  
دار الوطن للنشر ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
  - **معجم الأدباء** ، ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق : إحسان عبّاس .  
دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
  - **معجم ألفاظ القرآن الكريم** ، عن مجمع اللغة العربية .  
مصر ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .
  - **معجم الصحابة** ، أبي الحسين عبدالباقي بن قانع ، ضبط وتعليق : صلاح المصراطي .  
مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
  - **المعجم الأوسط** ، للحافظ الطبراني ، تحقيق : د. محمود أحمد الطحان .  
مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
  - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، لمحمد فؤاد عبدالباقي .  
دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
  - **معجم مقاييس اللغة** ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون .  
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
  - **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، د. إبراهيم أنيس وزملاؤه .  
المكتبة الإسلامية ، استانبول - تركيا ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ .
  - **معرفة السنن والآثار** ، للحافظ أبي بكر البيهقي ، تحقيق : سيد كسروي حسن .  
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
  - **معرفة الصحابة** ، لأبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق : عادل العزازي .

- دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- **مفتاح دار السعادة** ، ابن القيم .
- دار الكتب العلمية ، بيروت .
- **مفردات ألفاظ القرآن** ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داودي .
- دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- **المفهم لما أشكل من تخلص كتاب مسلم** ، للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ، تحقيق : محيي الدين ديب مستو وزملاؤه .
- دار انب كثير ، دمشق ، بيروت ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- **المنافقون في القرآن الكريم** ، د. عبدالعزيز الحميدي .
- دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- **مناقب الشافعي** ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : السيد أحمد صقر .
- دار التراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ .
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، الإمام محيي الدين النووي .
- دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- **منهج الإسلام في تزكية النفوس** ، د. أنس أحمد كرزون .
- دار نور المكتبات ، جدة ، ودار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- **منهج الأنبياء في تزكية النفوس** ، سليم الهلالي .
- دار ابن عقان ، الخبر ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- **منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان** ، د. علي ناصر الفقيهي .
- ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- **موارد البلاذري** ، د. محمد جاسم المشهداني .
- مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، ط ١٤٠٧ هـ .
- **الموافقات** ، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي ، تحقيق وتخريج : أبي



- عبيدة مشهور حسن آل سلمان .  
 دار ابن عفان ، الخبر ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- **الموطأ ، للإمام مالك بن أنس .**  
 دار النفائس ، بيروت ، ط ٦ ، ١٤٠٢ هـ .
  - **النبا العظيم ، د. محمد عبدالله درّاز .**  
 إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ط ١٤٠٥ هـ .
  - **نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين ، محمد الخضري ، دار الندوة الجديدة .**  
 بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
  - **النشر في القراءات العشر ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، أشرف على تصحيحه : الشيخ عليّ محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية .**  
 دار الفكر للطباعة والنشر .
  - **نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد : مجموعة من المختصين ، بإشراف صالح بن حميد وعبدالرحمن ملوّح .**  
 دار الوسيلة ، جدّة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ .
  - **النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي .**  
 دار الباز .
  - **النية وأثرها في الأحكام الشرعية ، د. صالح بن غانم السدلان .**  
 دار عالم الكتب ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
  - **الوابل الصيّب من الكلم الطيّب ، ابن القيم ، دراسة وتحقيق : محمد عبدالرحمن عوض .**  
 دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .
  - **وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة منهج أهل السنة والجماعة ، عبدالقادر عبدالعزيز .**  
 دار الأخلاء ، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

- وصايا الأئمة في لزوم السنة ، ابن بطه ، إخراج : عبدالله العبيلان .  
مكتبة الصحابة ، جدة ، مكتبة التابعين ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- اليهود في السنة المطهرة ، د. عبدالله الشقاري .  
دار طيبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- اليهود في القرآن والسنة ، د. محمد أديب الصالح .  
دار الهدى ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .



# فهرس الموضوعات

# فهرس الموضوعات

|    |   |
|----|---|
| ١  | ..... <b>ختم و تقدير</b>  |
| ٢  | ..... منهج النبي ﷺ في الدعوة  |
| ٢  | ..... <b>المقدمة :</b>  |
| ١٧ | ..... منهج البحث  |
| ٢٤ | ..... خطة البحث   |
| ٣١ | ..... <b>تهييد :</b>  |
| ٣٢ | ..... <b>تقرير وجوب اتباع المنهج النبوي</b>   |
| ٣٢ | ..... أولًا : الأمر باتباع الصراط ، وترك السُّبُل .   |
| ٣٦ | ..... ثانيًا : دين الأنبياء واحد ؛ ولكل نبي شرعة ومنهاجًا .   |
| ٤٠ | ..... ثالثًا : الوعيد الشديد لمن اتبع غير سبيل المؤمنين .   |
| ٤٤ | ..... رابعًا : الأمر ببيان منهجه ﷺ هو وأتباعه .   |
| ٤٧ | ..... خامسًا : الأمر بالدعوة بأسلوبٍ محدد .   |
| ٥٨ | ..... سادسًا : ( الدعوة عبادة ) يجب فيها الاتباع .  |
|    | ..... سابعًا : اتباع المنهج النبوي يورث الاجتماع والائتلاف المأمور به ؛ وتركه يُفضي إلى التفرُّق والاختلاف المنهي عنه . |
| ٦٤ | ..... <b>قاعدة مهمّة في العبادات :</b>  |

## القسم الأوّل

### ٦٨ ( منهجه ﷺ في دعوة المسلمين )

|    |  |
|----|--|
| ٦٩ | ..... الباب الأوّل ( التلاوة )                     |
| ٧٠ | ..... الفصل الأوّل : التلاوة من أولى مهمات النبي ﷺ |

- ٧٤ ..... **الفصل الثاني : وتأثيرها العميق في النفوس**
- ٧٩ ..... **الفصل الثالث : تلاوة النبي ﷺ وأصحابه على الناس ( تطبيقات )**
- ٧٩ ..... الأول : مبادنتهم بتلاوة القرآن عليهم :
- ٨٠ ..... الثاني : تلاوة القرآن بعد التمهيد لها :
- ٨١ ..... الثالث : الاكتفاء ببيان ما يدعو إليه :
- ٨٣ ..... تلاوة الصحابة القرآن على الناس :
- ٨٥ ..... **الأمر الأول :**
- ٨٥ ..... **الأمر الثاني :**
- ٨٥ ..... **الأمر الثالث :**
- ٨٦ ..... **الفصل الرابع : قدر قراءة النبي ﷺ وأصحابه**
- ٩٢ ..... خلاصة هذا الفصل :
- ٩٤ ..... **الفصل الخامس : صفة تلاوة النبي ﷺ**
- ١٠٦ ..... الخلاصة :
- ١٠٧ ..... خلاصة باب التلاوة :
- ١١٠ ..... **الباب الثاني**
- ١١٠ ..... **المنهج النبوي في التربية والتزكية**
- تمهيد : في معاني التربية والتزكية وعلاقتها ، ومقاصد التربية وأهدافها ، وشواهد تصنيف منهجها :
- ١١٠ ..... أولاً : التربية في اللغة :
- ١١٢ ..... ثانياً : التربية في الاستعمال الشرعي :
- ١١٥ ..... ثالثاً : التزكية في اللغة :
- ١١٦ ..... رابعاً : التزكية في الاستعمال الشرعي :
- ١٢٧ ..... خامساً : علاقة التزكية بالتربية :
- ١٢٩ ..... الخلاصة :
- ١٢٩ ..... سادساً : غاية التربية النبوية ومقصودها الأعظم :
- ١٣٠ ..... سابعاً : أهداف التربية النبوية :
- ١٣٣ ..... ثامناً : شواهد تصنيف منهج التربية النبوية :
- ١٣٦ ..... **أ . محتوى التربية والتزكية ومضمونها مرتباً :**
- ١٣٧ ..... **ب . شواهد المضمون والترتيب :**

- الفصل الأول : التربية والتزكية النبوية** ..... ١٤٧
- المبحث الأول : ( تعليم الهدى ودين الحق ) . . . . . ١٤٧
- المطلب الأول : ( تعليم الهدى )** . . . . . ١٤٧
- المسلك الأول : الدعوة إلى التوحيد :** ..... ١٤٧
- التطبيقات النبوية : ..... ١٥٠
- المسلك الثاني : ( التربية النبوية على تحقيق التوحيد ) :** ..... ١٥٨
- المسألة الأولى : معرفة التوحيد ، وكيفية التحقق به ، وقول الله تعالى :  
{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ... } : ..... ١٥٨
- توحيد الربوبية : ..... ١٥٨
- توحيد الألوهية : ..... ١٦٠
- توحيد الذات والأسماء والصفات : ..... ١٦١
- كيفية التحقق بالتوحيد : ..... ١٦٢
- المسألة الثانية : التربية النبوية على تجريد التوحيد : ..... ١٦٩
- المسلك الثالث : التربية النبوية على ترسيخ الإيمان :** ..... ١٩١
- الأساليب النبوية في ترسيخ الإيمان : ..... ١٩٧
- الأسلوب الأول ، والثاني ، والثالث : ..... ١٩٧
- الأسلوب الرابع : تعليم مراتب الدين . . . . . ١٩٨
- الأسلوب الخامس : التنبيه على عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ،  
والحث على استكمالها . . . . . ٢٠٠
- الأسلوب السادس : الدلالة على خصال استكمال الإيمان . . . . . ٢٠٤
- الأسلوب السابع : تغليب القلوب بالله وقطع تعلقها بغيره . . . . . ٢٠٥
- الأسلوب الثامن : تعظيم قدر التوحيد في القلوب . . . . . ٢٠٦
- الأسلوب التاسع : غرس أسباب وجود حلاوة الإيمان وذوق طعمه . ٢٠٧
- الأسلوب العاشر : استكمال الإيمان بحسن الخلق . . . . . ٢٠٩
- الحادي عشر : زيادة طمأنينة القلب بالعلم وتظاهر الأدلة . . . . . ٢١١
- الثاني عشر : الحث على العمل والعبادة والاستعانة بالله . . . . . ٢١٦
- الثالث عشر : استحضار أمور الإيمان واستدامة الذكر وعدم الغفلة . ٢١٩
- الرابع عشر : تلاوة القرآن وتعلمه وتدبره . . . . . ٢٢٢
- الخامس عشر : النظر بتدبر في آيات الله في الأفاق وفي الأنفس . . ٢٢٤
- السادس عشر : التعريف بأسماء الله الحسنى والتعبد بها . . . . . ٢٢٥
- السابع عشر : التأسي بالنبي ﷺ ، ومعرفة سنته واتباعها . . . . . ٢٢٦
- الثامن عشر : التربية على معرفة صفات أهل الإيمان . . . . . ٢٢٨

- التاسع عشر : التربية على الزُّهد . ..... ٢٣٠
- العشرون : الجلسات الإيمانية . ..... ٢٣٥
- الحادي والعشرون : التحذير مما يُنافي الإيمان أو يُؤْصُهُ . ..... ٢٣٨
- الثاني والعشرون : الدعاء لهم وحثهم على ذلك . ..... ٢٤١
- المسلك الرابع : التربية النبوية على حماية جناب التوحيد وحمائه ،**
- وسد ذرائع الشرك :** ..... ٢٤٦
- المبحث الثاني : تربية العمل بالعلم ( إصلاح أداة التعلُّم ) : ..... ٢٥٨
- المطلب الأوَّل : إصلاح القلوب وتربية الإرادة .** ..... ٢٥٨
- المسلك الأوَّل : ( تطهير القلوب ) .** ..... ٢٥٨
- المسألة الأولى : أهميَّة تطهير القلوب ، مع الأدلة : ..... ٢٥٨
- المسألة الثانية : الأسلوب النبوي التطبيقي في تطهير القلوب : ..... ٢٧٠
- أولاً - بالتوبة والاستغفار : ..... ٢٧٠
- ثانياً - بالدعاء لتطهير القلب وتنقيته : ..... ٢٧١
- ثالثاً - بالأمر بالاستعاذة من شرِّه : ..... ٢٧١
- رابعاً - الإقناع العقلي : ..... ٢٧٢
- وفيما يلي صُور وتطبيقات من طريقتيه ﷺ في الإقناع :** ..... ٢٧٣
- خامساً - إنكار التصرف الناجم عن عدم اكتمال طهارة القلب : ..... ٢٧٩
- سادساً - بشارة من اتَّصف بطهارة القلب والدلالة عليه وإثارة التنافس في ذلك : ..... ٢٧٩
- المسلك الثاني : تربية المعرفة ( معرفة الله وأسمائه وصفاته ،**
- وآلائه وأفعاله ) :** ..... ٢٨٢
- المسألة الأولى : المعرفة المقصودة وتأثيرها في القلوب : ..... ٢٨٢
- المسألة الثانية : الواجب في أسماء الله وصفاته وتعلُّقاتها ومقتضياتها وآثارها ..... ٢٩٢
- الواجب في أسماء الله وصفاته : ..... ٢٩٢
- حكم معرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته : ..... ٢٩٣
- المسألة الثالثة : الطريقة النبوية في التربية على المعرفة : ..... ٣٠٠
- الطريق الأوَّل : التفكُّر في آياته وتدبُّرها : ..... ٣٠٠
- التطبيقات النبوية على غرس المعرفة : ..... ٣١٣
- الطريق الثاني : النَّظَر في مفعولاته : ..... ٣٢٩
- التطبيقات النبوية في لفت أنظار الصَّحابة للتأمُّل في الأنفس والأفاق : ..... ٣٣٩
- المسلك الثالث : ( تربية المحبَّة ) .** ..... ٣٥٢
- توحيد المحبَّة هو أصل العبادة وحقيقتها وسرُّها . ..... ٣٥٤

- الأساليب النبوية في غرس المحبة في القلوب :** ..... ٣٦٤
- الأسلوب الأول : التربية على المعرفة . ..... ٣٦٤
- الأسلوب الثاني : الترغيب في محبة الله ورسوله ، وبيان فضلها وثمراتها ، والترهيب من التقصير فيها . ..... ٣٦٦
- الأسلوب الثالث : التبشير بثمار محبة الله للعبد ومآله وما أعد الله له . ..... ٣٦٩
- الأسلوب الرابع : الإعلام بعلامات محبته وأحبائه . ..... ٣٧٠
- الأسلوب الخامس : إشاعة المحبة بين المؤمنين وتعميقها ، وإثارة التنافس في ذلك ..... ٣٧٤
- الفرع الأول :** الإعلام بالحب وإخبار الرجل بمحبته : ..... ٣٧٤
- ومن التطبيقات : ..... ٣٧٤
- الفرع الثاني :** الإعلام بفضل الحب في الله . ..... ٣٧٥
- الفرع الثالث :** بيان أن من خصال الإيمان الحب في الله ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه . ..... ٣٧٧
- الفرع الرابع :** الأمر بإفشاء السلام ، والدلالة على أنه سبب في حصول المحبة بين المؤمنين . ..... ٣٧٨
- الفرع الخامس :** إخبارهم بأعمال تعمق المحبة بينهم . ..... ٣٧٨
- الفرع السادس :** النهي عن مفسدات المحبة وموانعها . ..... ٣٨١
- الأسلوب السادس :** الدعاء لهم بالمحبة . ..... ٣٨٣
- الأسلوب السابع :** الدلالة على أسباب جلب المحبة وتقويتها . ..... ٣٨٤
- ١ - قراءة القرآن ، وتدبره ، والعمل به : ..... ٣٨٤
- ٢ - الحث على ذكر الله ذكراً كثيراً : ..... ٣٨٧
- ٣ - التقرب إلى الله بالتواضع بعد الفرائض مع الاجتهاد والاستدامة ..... ٣٩٠
- ٤ - دلالتهم على استدامة استحضار مئة الله عليهم ، وفضله ورحمته وآلائه ونعمه : ..... ٣٩٢
- ٥ - إخبارهم بشرط المحبة : ..... ٣٩٧
- ٦ - تربيتهم على الرجاء في رحمة الله وعدم الركون إلى العمل ..... ٣٩٩
- المسلك الرابع : تربية الخوف والرجاء .** ..... ٤٠٣
- المبحث الثالث : التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر . ..... ٤١١
- الفصل الثاني : الأساليب والوسائل التربوية النبوية** ..... ٤٢٤
- المبحث الأول : ( الأساليب التربوية النبوية ) . ..... ٤٢٤
- الأسلوب في اللغة : ..... ٤٢٤
- ١ - مقابلتهم بالترحيب وطلاقة الوجه والتبسم في وجوههم ، وعدم حجبهم ..... ٤٢٦



- ٢ - إنزالهم منازلهم واحترام مشاعرهم : ..... ٤٢٨
- ٣ - تألفهم واستمالة قلوبهم : ..... ٤٣٠
- ٤ - الحرص على هدايتهم والخوف والشفقة عليهم : ..... ٤٣٥
- ٥ - الرِّقُّ بهم ورحمتهم : ..... ٤٣٨
- ٦ - مداراتهم وملاطفتهم : ..... ٤٤٣
- ٧ - قبول ظواهرهم وإيصال سرائرهم إلى الله : ..... ٤٤٥
- ٨ - قبول أذكارهم والتجاوز عن أخطائهم : ..... ٤٤٧
- ٩ - إشهار فضائلهم : ..... ٤٥٢
- ١٠ - شكرهم والثناء عليهم : ..... ٤٥٥
- ١١ - تفريج كرباتهم وقضاء حوائجهم : ..... ٤٦٠
- ومن الأمثلة التطبيقية لتفريج الكربات : ..... ٤٦١
- ١٢ - زيارتهم وتفقد أحوالهم والاهتمام بهم : ..... ٤٦٣
- ١٣ - عيادة مرضاهم : ..... ٤٦٦
- ١٤ - الشفاعة الحسنة لهم ، وقبولها منهم : ..... ٤٦٩
- ومن الأمثلة التطبيقية له ﷺ في الشفاعة لأصحابه : .. ٤٧٠
- ١٥ - الذب عن أعراضهم : ..... ٤٧٢
- وقد ذب النبي ﷺ الغيبة عن نفسه بالمال : ..... ٤٧٣
- ١٦ - التأليف بين قلوبهم : ..... ٤٧٦
- ١٧ - قبول هداياهم ، ومكافأتهم عليها : ..... ٤٨٣
- ١٨ - عتابهم ، وإنكار المنكر عليهم : ..... ٤٨٥
- ١٩ - مواساتهم : ..... ٤٩٥
- ٢٠ - نصيحتهم : ..... ٤٩٦
- ٢١ - وصييتهم : ..... ٥٠١
- ٢٢ - مشاركته في الأعمال ، وعدم التميُّز عنهم : ..... ٥٠٤
- ٢٣ - مخالطتهم وعدم الاحتجاب عنهم : ..... ٥٠٩
- ٢٤ - تقديم الأهم ، والترجُّح فيه : ..... ٥١٣
- ٢٥ - التعويد على العمل وتحمل المسؤولية : ..... ٥١٨
- ٢٦ - الإقراع بينهم في المشكلات : ..... ٥٢٥
- ٢٧ - استغلال المواقف والأحداث في تربيتهم : ..... ٥٢٨
- ٢٨ - معالجة المواقف التي تسبب انكساراً في النفس : ..... ٥٣٦
- ٢٩ - التربية بابتسامة المغضب ، وإظهار الغضب ، والإعراض ، وقطع الكلام والسلام وردّه ، والهجر ، وإقامة الحدّ ، كلُّ ذلك مع حبّه لهم .. ٥٣٩
- ٣٠ - التربية بالقصة : ..... ٥٤٤
- ٣١ - تربية النبي ﷺ أصحابه بالقدوة والأسوة الحسنة : ..... ٥٤٩

- ٥٥٣ ..... **كيف ربّى النبي ﷺ أصحابه بأسلوب القدوة ؟**
- ٥٥٣ ..... **الأول : الدعوة إلى الاقتداء به قولاً وفعلاً .**
- ٥٥٦ ..... **الطريق الثاني : سيرته ﷺ ، وقيامه بالتطبيق العملي الكامل للوحي :**
- ٥٥٨ ..... **المحور الأول :**
- ٥٦٠ ..... **المحور الثاني :**
- ٥٧٠ ..... **المحور الثالث :**
- الباب الثالث ( المنهج النبوي في التعليم ) :**
- ٦١١ ..... **تعليم الكتاب والحكمة**
- ٦١٣ ..... **الفصل الأول : مضمون تعليمه ﷺ ومقاصده**
- ٦١٣ ..... **المبحث الأول : أصل العلم والإيمان .**
- ٦١٦ ..... **المبحث الثاني : رأس الأمر التوحيد .**
- ٦٢٩ ..... **المبحث الثالث : عمود الإسلام ودعائمه وسائر شرائعه .**
- ٦٤٧ ..... **المبحث الرابع : مصادر العلم وطريق فهمه .**
- ٦٥٩ ..... **الفصل الثاني : طريقة النبي ﷺ وأساليبه في التعليم**
- ٦٥٩ ..... **المبحث الأول : صفة تعليمه وتحديثه ﷺ ، ورفقه بالمتعلم .**
- ٦٦٤ ..... **المبحث الثاني : صفة مجلس تحديثه ﷺ وأدب أصحابه .**
- ٦٦٩ ..... **المبحث الثالث : تعليم النبي ﷺ ، وأمره بطلب العلم ، والترغيب فيه .**
- ٦٨٤ ..... **المبحث الرابع : أمره ﷺ بالعمل بالعلم .**
- ٦٨٤ ..... **المطلب الأول : بيان أن المراد بالعلم العمل .**
- ٦٨٨ ..... **الأول : تصحيح النية :**
- ٦٨٩ ..... **الثاني : الاستعانة على طلب العلم بالصوم وعلى حفظه بالعمل به .**
- ٦٨٩ ..... **الثالث : الوعظ بالأعمال مقدّم على الوعظ بالأقوال .**
- ٦٨٩ ..... **الرابع : القطر على الصفا .**
- ٦٩٠ ..... **الخامس : أولى الناس بالله ، وبكلامه :**
- ٦٩٠ ..... **السادس : الأكثرُ علماً ، الأحسن عملاً .**
- ٦٩٣ ..... **المطلب الثاني : ( بيان أن العلم حجةٌ لك أو عليك ) .**
- ٦٩٦ ..... **المطلب الثالث : ( فتح الجدول ومنع العمل ) .**
- ٧٠٣ ..... **المبحث الخامس : أمره ﷺ بتعليم العلم وتبليغه ونشره :**

- ٧١١ ..... المبحث السادس : ( ما يُنشر من العلم ومالا يُنشر ) .
- ٧١٢ ..... **القسم الأول :**
- ٧١٢ ..... **القسم الثاني : علمٌ لا يُنشر مطلقاً**
- ٧٢١ ..... **القسم الثالث : علمٌ في نشره تفصيل متعلقٌ بالأشخاص ، أو الأوقات ، أو الأحوال .**
- ٧٢١ ..... أولاً : ( علمٌ يُنشر في قومٍ دون قوم ) .
- ثانياً : العلم المتعلقٌ بنشره بالأوقات : ( وهو النوع الثاني من العلم
- ٧٢٩ ..... الذي في نشره تفصيل ) :
- ثالثاً : العلم المتعلقٌ بنشره بالأحوال ( وهو النوع الثالث من العلم
- ٧٣٠ ..... الذي في نشره تفصيل ) :
- ٧٣٢ ..... ضوابط نشر العلم :
- ٧٣٥ ..... المبحث السابع : ( الأساليب النبوية في التعليم ) .
- ٧٣٥ ..... ١. أوقات تعليمه ﷺ وأماكنه :
- ٧٣٩ ..... ٢. أمره ﷺ أصحابه بحضور مجلسه :
- ٧٣٩ ..... ٣. انتهاز المناسبات العارضة للتعليم ( أو ما يُسمى بالربط بالأحداث ) .
- ٧٤٠ ..... ٤. التخول والتجوز :
- ٧٤٢ ..... ٥. تخصيص النساء بأيام معلومة لتعليمهنّ ووعظهنّ :
- ٧٤٣ ..... ٦. التطويل في الموعظة والعلم نادراً :
- ٧٤٤ ..... ٧. أمره ﷺ بأخذ العلم عنه ابتداءً .
- ٧٤٥ ..... ٨. ترحيبه ﷺ بطالب العلم :
- ٧٤٦ ..... ٩. الأمر بالتيسير والنهي عن التعسير والتنفير :
- ٧٤٧ ..... ١٠. تعليمه ﷺ كل ما كان من أمر الدين .
- ٧٤٨ ..... ١١. التدرج في التعليم وتقديم الأهم :
- ٧٥٠ ..... ١٢. حفزُ الهمم للعلم والتعليم بالتذكير بفضلهما :
- ٧٥٠ ..... ١٣. البدء بالفائدة دون السؤال عنها :
- ٧٥١ ..... ١٤. تعليمه ﷺ بالوعظ والتذكير :
- ٧٥٢ ..... ١٥. تعليمه بالترغيب والترهيب :
- ٧٥٣ ..... أولاً : الجمع بين الترغيب والترهيب :

- ٧٥٣ ..... ثانيًا : التعلیم بالترغيب :
- ٧٥٤ ..... ثالثًا : التعلیم بالترهيب :
- ٧٥٩ ..... ١٦. تعلیمه ﷺ في الوقت المناسب ، وعدم تأخير البيان عن وقته :
- ٧٦٠ ..... ١٧. تعلیمه بالقصص :
- ٧٦١ ..... ١٨. تعلیمه ﷺ بالخطابة :
- ٧٦٣ ..... ١٩. تعلیمه بالوصية :
- ٧٦٤ ..... ٢٠. الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن :
- ٧٦٥ ..... ٢١. الإقناع بالقياس ( قياس النظير بنظيره ) :
- ٧٦٦ ..... ٢٢. تعلیمه ﷺ بالتشبيه :
- ٧٦٨ ..... ٢٣. تعلیمه ﷺ بضرب الأمثال :
- ٧٧٣ ..... ٢٤. تعلیمه ﷺ بجوامع الكلم :
- ٧٧٧ ..... ٢٥. تأكيد ما يعلمه بالقسم :
- ٧٧٩ ..... ٢٦. أسلوب العرض على الشيخ :
- ٧٨٠ ..... ٢٧. القراءة من الشيخ :
- ٢٨ ..... ٢٨. عنايته بالنخبة من أصحابه وإشهار فضائلهم في العلم ، وبيان مراتبه ،  
وأمره بالأخذ عنهم ، ( وفيه إشارة إلى التخصص ) :
- ٧٨١ ..... ٢٩. إثارة التنافس والغبطة بينهم في العلم :
- ٧٨٦ ..... ٣٠. التشجيع والتهنئة بالعلم :
- ٧٨٧ ..... ٣١. اعترافه ﷺ بالنسيان ، وتلطّف أصحابه في الردّ :
- ٧٩١ ..... ٣٢. اهتمامه ﷺ بضبط الحفظ :
- ٧٩٢ ..... ٣٣. ذكر ثواب العمل بعد أدائه لاستدامته ، وقبله ترغيباً فيه وتشويقاً إليه :
- ٧٩٤ ..... ٣٤. تعلیمه ﷺ بذكر علّة الحكم ليثبت الفهم ويمكن القياس :
- ٧٩٥ ..... ٣٥. اكتفاؤه ﷺ بالإجمال والتعريض دون التفصيل في تعليم ما يستجيب منه :
- ٧٩٨ ..... ٣٦. مداعبة من أخطأ تخفيفاً عنه ، وبيان خطئه في رفق ولين من غير تعنيف :

- الفصل الثالث : أصول وقواعد منهجية في طلب العلم مستقربة من المنهج النبوي ٨٠٠**
- المبحث الأول : التهيؤ للعلم والاجتهاد فيه . . . . . ٨٠٠
- المطلب الأول : إخلاص النية في طلب العلم : ٨٠٠**
- النية : ٨٠٠**
- الإخلاص : ٨٠١**
- مثال تطبيقي في الإخلاص : ٨٠٧
- المطلب الثاني : الحلم قبل العلم . ٨١٣**
- الحلم لغة : ٨١٣**
- وفي الاصطلاح : ٨١٣**
- ومن الأمثلة التطبيقية لحلم النبي ﷺ : ٨١٥
- المطلب الثالث : الجدُّ والمجاهدة في طلب العلم . ٨١٩**
- المطلب الرابع : ( حفظُ العُمُرِ والشبابِ خاصّة ) . ٨٣٣**
- المبحث الثاني : ( ما يؤخذ من العلم وعمن يؤخذ ) . . . . . ٨٣٧
- المطلب الأول : أخذ المهم ، وتقديم الأهم والتدرُّج فيه . ٨٣٧**
- المسلك الأول : أخذ المهم من كلِّ علم ، ثمَّ التخصُّص . ٨٣٧**
- مثال تطبيقي في طلب الصحابة تفسير القرآن : ٨٤٠
- المسلك الثاني : تقديم الأهم . ٨٤٣**
- المسلك الثالث : التدرُّج في التعلُّم . ٨٥٢**
- المطلب الثاني : ( أخذ العلم عن أهله ، وعن كلِّ شيخٍ ما يُحسِن ) . ٨٥٧**
- المطلب الثالث : اتباع السنَّة وتعظيمها وترك التقليد . ٨٦١**
- الاتباع لغة : ٨٦١**
- وفي الاصطلاح : ٨٦١**
- المبحث الثالث : ( حفظ العلم وفهمه واستنكاره ) . . . . . ٨٦٦
- المطلب الأول : الجمع بين الحفظ والفهم . ٨٦٦**
- المسلك الأول : ( الحفظ أصل في المنهج النبوي ) . ٨٦٦**
- المسلك الثاني : ( الفهم أصل في المنهج النبوي ) . ٨٧٥**
- المسلك الثالث : الحاجة إلى الجمع بين الحفظ والفهم . ٨٨٧**

- المطلب الثَّانِي : استذكار العلم وتعاهده . ..... ٨٩٧
- المطلب الثَّالِث : كتابة العلم وتقييده . ..... ٩٠٣
- المبحث الرابع : ( تطبيق عملي ) ، ( دليل طالب العلم ) . ..... ٩٠٦
- المطلب الأوَّل : أوصاف علماء السُنَّة الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْهُمْ الْعِلْمُ . ..... ٩٠٦
١. أقرب النَّاسِ سَمَنًا وَهَدِيًّا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ : ..... ٩٠٦
٣. سلامة العقيدة واستقامة الطريقة : ..... ٩٠٧
٣. ثبوت العدالة والضبط : ..... ٩٠٨
٤. ربَّانِيًّا : ..... ٩٠٨
٥. أن يكون مَمَّنْ رَبَّاهُ الْعُلَمَاءُ وَأَخَذَ عَنْهُمْ مَعَ طَوْلِ صُحْبَةٍ وَمِلَازِمَةٍ لَهُمْ ..... ٩١٠
٦. اتباع الكتاب والسُنَّة وإجماع الأمة : ..... ٩١١
٧. التواضع والرفق بالمتعلِّم : ..... ٩١٣
٨. أن يكون من الأكابر : ..... ٩١٥
٩. الأعلَم والأورع ، والأنتقن والأحفظ ، مع الشهرة وعلوِّ الإسناد : ..... ٩١٨
١٠. متدرِّجًا فِي تَعْلِيمِهِ : ..... ٩١٨
١١. العالم الَّذِي يَنْتَقِي الْحَدِيثَ انْتِقَاءً ، وَلَا يَحْدُثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَلَا يَحْدُثُ بِالشَّاذِّ ، وَلَا يَنْتَبِعُ الْغَرَائِبَ : ..... ٩١٩
١٣. إِفْشَاؤُهُ لِلْعِلْمِ فِي الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا عَلَانِيَةً إِلَّا لِعَارِضٍ : ..... ٩٢٠
- أوصاف من تُؤْخَذُ عَنْهُ الْفُتُوى : ..... ٩٢٢
- تفقد أحوال المفتين وغيرهم من أهل العلم : ..... ٩٣٠
- المطلب الثَّانِي : ( خوارم المنهج ومعوقاته ) . ..... ٩٣٢
- المطلب الثَّالِث : ( مراحل سَلْمِ التَّعَلُّمِ ) . ..... ٩٣٧
- الطريقة الأولى : ( طريقة المغاربة ) . ..... ٩٣٧
- الطريقة الثَّانِيَّة : ( طريقة المشارقة ) . ..... ٩٣٧
- أولًا : مرحلة التأسيس : ..... ٩٣٨
- مقاصد هذه المرحلة : ..... ٩٣٨
- الوسائل : ..... ٩٣٩
- الخصائص والضوابط : ..... ٩٣٩

- ٩٣٩ ..... **ثانيًا : مرحلة التوسُّط :**
- ٩٣٩ ..... مقاصدها :
- ٩٤٠ ..... الوسائل :
- ٩٤٠ ..... الخصائص والضوابط :
- ٩٤٠ ..... **ثالثًا : مرحلة التوسُّع والمطوَّلات :**
- ٩٤٠ ..... مقاصد هذه المرحلة :
- ٩٤١ ..... الوسائل :
- ٩٤١ ..... خصائص هذه المرحلة :
- ٩٤١ ..... **رابعًا : مرحلة التخصُّص :**
- ٩٤٣ ..... **المطلب الرابع : ( مفردات منهج طلب العلم في ضوء سَلَمِ التعلُّم ) .**
- ٩٤٣ ..... **أولًا : حفظ القرآن الكريم :**
- ٩٤٣ ..... طريقة الحفظ :
- ٩٤٤ ..... تجويد القرآن :
- ٩٤٥ ..... **ثانيًا : تفسير القرآن الكريم .**
- ٩٤٥ ..... المرحلة الأولى :
- ٩٤٦ ..... المرحلة الثانية :
- ٩٤٦ ..... المرحلة الثالثة :
- ٩٤٧ ..... **ثالثًا : حفظ السنَّة .**
- ٩٤٧ ..... المرحلة الأولى :
- ٩٤٧ ..... المرحلة الثانية :
- ٩٤٨ ..... المرحلة الثالثة :
- ٩٤٨ ..... المرحلة الرابعة :
- ٩٤٩ ..... المرحلة الخامسة : التوسُّع في حفظ السنَّة :
- ٩٤٩ ..... الطريقة الأولى :
- ٩٥٠ ..... الطريقة الثانية :
- ٩٥٠ ..... الطريقة الثالثة :
- ٩٥١ ..... طريقة حفظ الحديث :
- ٩٥٢ ..... كيفية المذاكرة بالحديث :
- ٩٥٢ ..... نصائح في حفظ الحديث :
- ٩٥٤ ..... **رابعًا : فقه الإيمان :**
- ٩٥٤ ..... المرحلة الأولى :
- ٩٥٤ ..... المرحلة الثانية :

- ٩٥٥ ..... المرحلة الثالثة :
- ٩٥٥ ..... المرحلة الرابعة :
- ٩٥٥ ..... مرحلة التوسُّع :
- ٩٥٦ ..... ملحظ :
- ٩٥٧ ..... **خامساً : اللغة :**
- ٩٥٧ ..... المرحلة الأولى : المقدِّمة الأجرُمية .
- ٩٥٧ ..... المرحلة الثانية : مُلحةُ الإعراب ، للحريري .
- ٩٥٧ ..... المرحلة الثالثة : أَلْفِيَّة ابن مالك ، وتُسمَّى الخلاصة .
- ٩٥٨ ..... مرحلة التوسُّع :
- ٩٥٨ ..... **سادساً : الفقه :**
- ٩٦١ ..... كتب الفقه :
- ٩٦٢ ..... التربية على اتباع الدليل والانتفاع بجهود العلماء دون تمذُّب :
- ٩٦٥ ..... **أولاً : مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان . رحمه الله . :**
- ٩٦٥ ..... المرحلة الأولى : أحد المختصرات :
- ٩٦٥ ..... المرحلة الثانية : أحد كتب المتوسطات .
- ٩٦٦ ..... المرحلة الثالثة :
- ٩٦٦ ..... **ثانياً : مدرسة الإمام مالك بن أنس . رحمه الله . :**
- ٩٦٦ ..... المرحلة الأولى :
- ٩٦٧ ..... المرحلة الثانية :
- ٩٦٧ ..... المرحلة الثالثة :
- ٩٦٧ ..... **ثالثاً : مدرسة الإمام الشافعي . رحمه الله . :**
- ٩٦٧ ..... المرحلة الأولى :
- ٩٦٨ ..... المرحلة الثانية :
- ٩٦٨ ..... المرحلة الثالثة :
- ٩٦٨ ..... **رابعاً : مدرسة الإمام أحمد . رحمه الله . :**
- ٩٦٨ ..... المرحلة الأولى :
- ٩٦٩ ..... المرحلة الثانية :
- ٩٦٩ ..... المرحلة الثالثة :
- ٩٧٠ ..... المرحلة الرابعة : مرحلة التوسُّع في الفقه .
- ٩٧٠ ..... **سابعاً : مصطلح الحديث :**
- ٩٧٠ ..... المرحلة الأولى :
- ٩٧١ ..... المرحلة الثانية :



|     |       |   |
|-----|-------|---|
| ٩٧١ | ..... | المرحلة الثالثة :                       |
| ٩٧١ | ..... | المرحلة الرابعة :                       |
| ٩٧٢ | ..... | <b>ثامناً : أصول الفقه :</b>            |
| ٩٧٢ | ..... | المرحلة الأولى :                        |
| ٩٧٢ | ..... | المرحلة الثانية :                       |
| ٩٧٢ | ..... | المرحلة الثالثة :                       |
| ٩٧٣ | ..... | <b>تاسعاً : سيرة النبي ﷺ ، وفقهما :</b> |
| ٩٧٣ | ..... | المرحلة الأولى :                        |
| ٩٧٣ | ..... | المرحلة الثانية :                       |
| ٩٧٣ | ..... | المرحلة الثالثة :                       |
| ٩٧٣ | ..... | <b>عاشراً : الفرائض :</b>               |
| ٩٧٣ | ..... | المرحلة الأولى :                        |
| ٩٧٥ | ..... | ضوابط في اختيار المنظومات :             |
| ٩٧٦ | ..... | طريقة حفظ المنظومات :                   |
| ٩٧٧ | ..... | محاذير في حفظ المتون :                  |

## القسم الثاني

### دعوة غير المسلمين ( الكفار ) ٩٧٨

|      |       |  |
|------|-------|--|
| ٩٨٠  | ..... | الباب الأول ( دعوة المشركين عامّة )                |
| ٩٨١  | ..... | الفصل الأول : دعوتهم إلى التوحيد                   |
| ١٠٠٣ | ..... | الفصل الثاني : الأساليب النبوية في دعوة المشركين   |
| ١٠٠٣ | ..... | المبحث الأول : دعوتهم بالحكمة .                    |
| ١٠٠٣ | ..... | ١- تبليغ ما جاء به وبيانه ، وجهادهم به :           |
| ١٠٠٤ | ..... | ومن الأمثلة التطبيقية :                            |
| ١٠٠٦ | ..... | ٢- الصبر على أذاهم ، والكفّ والحلم ، والعفو عنهم : |
| ١٠١٠ | ..... | ٣- الدعوة بالتأثف بالدعاء بالهدى لهم :             |
| ١٠١١ | ..... | ٤- تأثفهم بالعطايا والهدايا :                      |

- ١٠١٤ ..... ٥. التآلف بما يُحبُّ المدعوّ :
- ١٠١٤ ..... ٦. الإعراض عن أخطائهم ، والعفو عنهم :
- ١٠١٥ ..... المبحث الثاني : دعوتهم بالموعظة الحسنة .
- ١٠٢١ ..... المبحث الثالث : مجادلتهم ، ومحاورتهم .
- ١٠٢١ ..... أولاً : . الاستشهاد بما يقرونه على ما ينكرونه .
- ١٠٢٣ ..... ثانياً : . الصبر على سماع عروضهم ، والردّ عليهم في حلمٍ ورفق .
- ١٠٢٤ ..... ثالثاً : . مجادلتهم وإفحامهم .
- ١٠٢٥ ..... رابعاً : . استجابة النبي ﷺ لسؤال المشركين أن يريهم آية .
- ١٠٢٧ ..... خامساً . دعوتهم إلى التّفكّر .
- ١٠٢٨ ..... سادساً . التحدي والإعجاز حال الرّفص .
- ١٠٢٩ ..... سابعاً . تخييرهم في الإسلام أو دفع الجزية أو جهادهم .
- ١٠٣٠ ..... الفصل الثالث : وسائله ﷺ في الدعوة
- ١٠٣٠ ..... الجهاد :
- ١٠٤٠ ..... الباب الثاني ( منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب )
- ..... الفصل الأوّل : دعوتهم إلى التوحيد والتدرج في إخبارهم بالفرائض ،
- ١٠٤١ ..... وإخبار رسوله أنّه يأتي قومًا أهل كتاب
- ..... الفصل الثاني : بشارتهم بالسلامة والأجر مرتين إن هم استجابوا ،
- ١٠٤٦ ..... وعدم اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله
- ١٠٤٨ ..... الفصل الثالث : إجابته ﷺ على أسئلتهم التعجيزية
- ١٠٥٤ ..... الفصل الرابع : مجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم
- ١٠٦٠ ..... ١. النداءات القرآنية التي تخاطب العقل من خلال الوجدان :
- ١٠٦١ ..... ٢. الوعظ والتذكير بالنعم والنقم :
- ١٠٦٢ ..... ٣. تحديهم في إثبات دعاواهم :

٤. توضيح بطلان عقيدتهم في أنبيائهم وأخبارهم ورهبانهم ،  
 وتعليمهم الاعتقاد الصحيح : ..... ١٠٦٣
- الفصل الخامس : دعوتهم إلى المباهلة حال الرفض ..... ١٠٦٥
- الفصل السادس : هديه ﷺ في التعامل معهم ..... ١٠٧٠
- من هديه ﷺ في ذلك : ..... ١٠٧٠
- الفصل السابع : جهادهم ..... ١٠٧٣
- الباب الثالث ( منهجه ﷺ وهديه في المنافقين ) ..... ١٠٧٧
- تمهيد ..... ١٠٧٨
- في معنى النفاق ، وأقسامه ، وأحكامه ، ونجومه ..... ١٠٧٨
- نجوم النفاق : ..... ١٠٨١
- الفصل الأول : قبول علانيتهم ، وإيصال سرائرهم إلى الله ..... ١٠٨٩
- الفصل الثاني : الإعراض عنهم ، ووعظهم ، والصبر على أذاهم ..... ١٠٩٢
- الفصل الثالث : عدم توقيرهم أو الاستغفار لهم أو الصلاة عليهم  
 والقيام على قبورهم ..... ١١٠٨
- الفصل الرابع : جهادهم والإغلاظ عليهم ..... ١١١١
- مسألة جلييلة : ( تعلق الأحكام في الدنيا بالإيمان الظاهر دون الباطن  
 وإجرائها على المنافقين ما لم يظهر وكفراً بواحاً وقيموا عليه ) .. ١١١٦
- تعامل النبي ﷺ وأصحابه مع المنافقين بعد تنزل الفاضحة وآيات  
 التهديد من سورة الأحزاب : ..... ١١١٨
- الخلاصة : ..... ١١٢٣
- الفصل الخامس : محاصرته والتضييق عليهم وتهديدهم ..... ١١٢٧
- الفصل السادس : كشف خططهم ومؤامراتهم وإبطالها ..... ١١٣٢
- الفصل السابع : منهجه ﷺ في معالجة المواقف الناجمة عن فتن المنافقين ١١٤١

- ١١٤١ ..... أولًا : إذا كان النفاق الصادر عنهم ترك طاعة .
- ١١٤٧ ..... ثانيًا : إذا نجم النفاق في هيئة فعل يفعلونه وأطلعهم الله عليه قبل وقوعه
- ١١٤٨ ..... ثالثًا : إذا أظهروا نفاقًا في غيبته ولم يطلعهم الله عليه .
- ١١٥٩ ..... الفصل الثامن : إشهار علاماتهم وأعمالهم دون أسمائهم
- ١١٦٦ ..... فائدة في قول الله تعالى : { وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ } :
- ١١٦٧ ..... ومن أهم علاماتهم :
- ١١٧٤ ..... الخاتمة
- ١١٧٦ ..... الفهارس
- ١١٧٨ ..... فهرس الآيات الكريمة
- ١٢١٨ ..... فهرس الأحاديث الشريفة
- ١٢٧٨ ..... فهرس المصادر والمراجع
- ١٣٠٢ ..... فهرس الموضوعات



